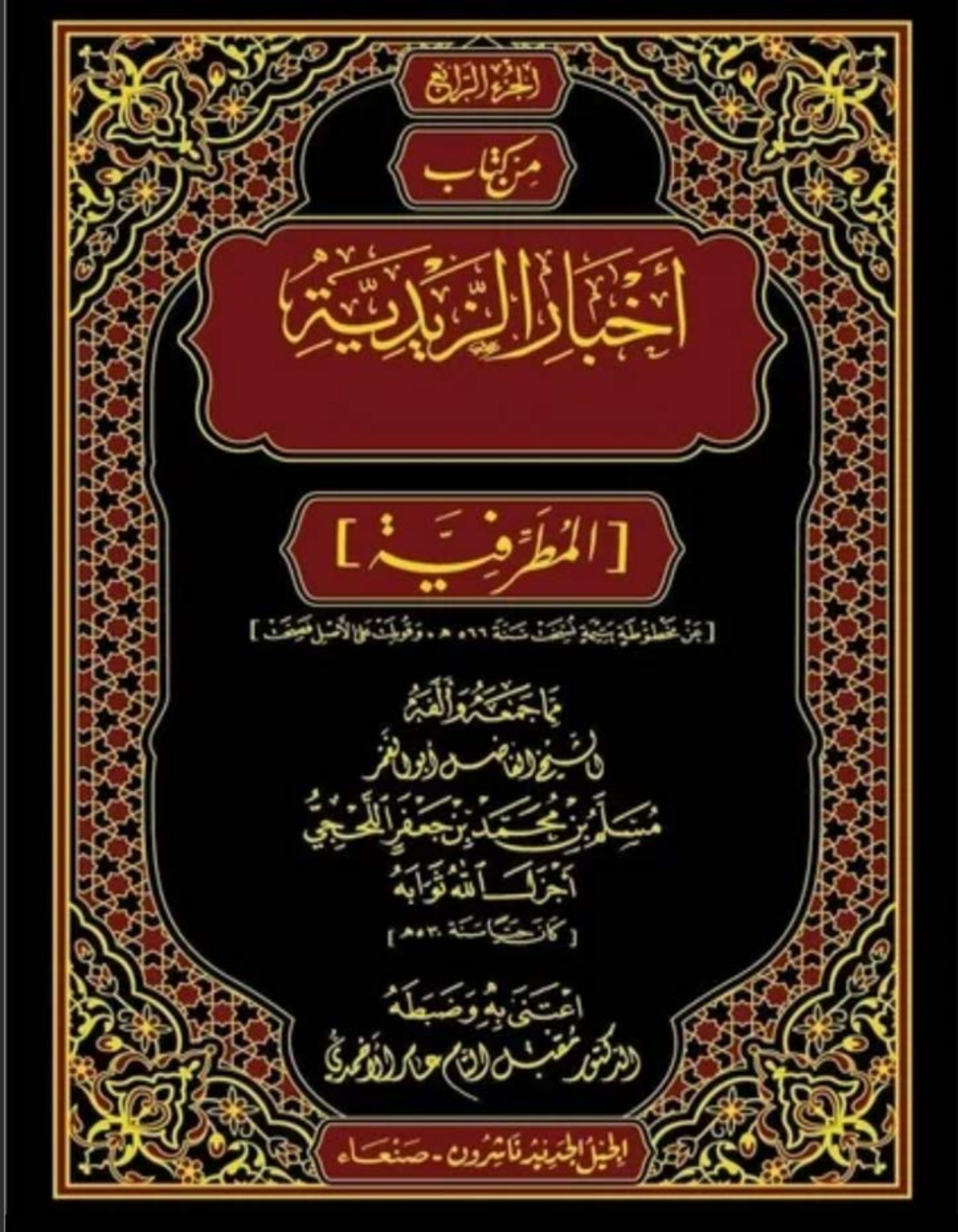


الجزء الرابع
من كتاب
أخبار الزيدية
[المطرفية]
[عن مخطوطة يتيمة نُسخت سنة ٥٦٦هـ ، وقوبلت على الأصل مصنف]
مما جمعه وألفه
الشيخ الفاضل أبو الغمر
مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي
أجزل الله ثوابه
[كان حياً سنة ٥٣٠هـ]
اعتنى به وضبطه
الدكتور مقبل التام عامر الأحمدي
الجيل الجديد ناشرون - صنعاء


أخبار الزيدية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

٢٠٢٠م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء (١٧٧٥)

لعام ٢٠٢٠م

النَّاشِر

مَكتبَة الجيل الجديد

الجيل الجديد ناشرون

اليمن - صنعاء

هاتف: ٢١٣١٦٤-٠١

فاكس: ٢١٣١٦٣- ٠١

E-mail:
aag@aag.ye.com

Web site:
www.aag-ye.com

قسم التوزيع والجملة:

(٢٥٥٢٨٦-٠١) تحويله (١٠٤)

فرع الجامعة الجديدة :ت/ ٢٢٧٥٤٠-٠١

فرع الحي السياسي :ت/ ٤٧٣٩٤٠- ٠١

فرع شارع تعز : ت/ ٦٠٨٤٦٩- ٠١

فرع عدن :ت/ ٢٥٧٢٩٠- ٠٢

فرع تعز :ت/ ٢٦٣٧٢٤ - ٠٤

فرع الحديدة :ت/ ٢١٨١٤٦ - ٠٣

فرع حضرموت :ت/ ٣٨٤٠٥٢ - ٠٥

فرع إب :ت/ ٤٠٦٨٤٢ - ٠٤

الجزء الرابع

من كتاب

أخبار الزيدية

من أهل البيت، عليهم السلام، وشيعتهم باليمن

[المطرفية]

[عن مخطوطة يتيمة نسخت سنة ٥٦٦ هـ ، وقوبلت على الأصل فصحت]

مما جمعه وألفه

الشيخ الفاضل أبو الغمر

مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي

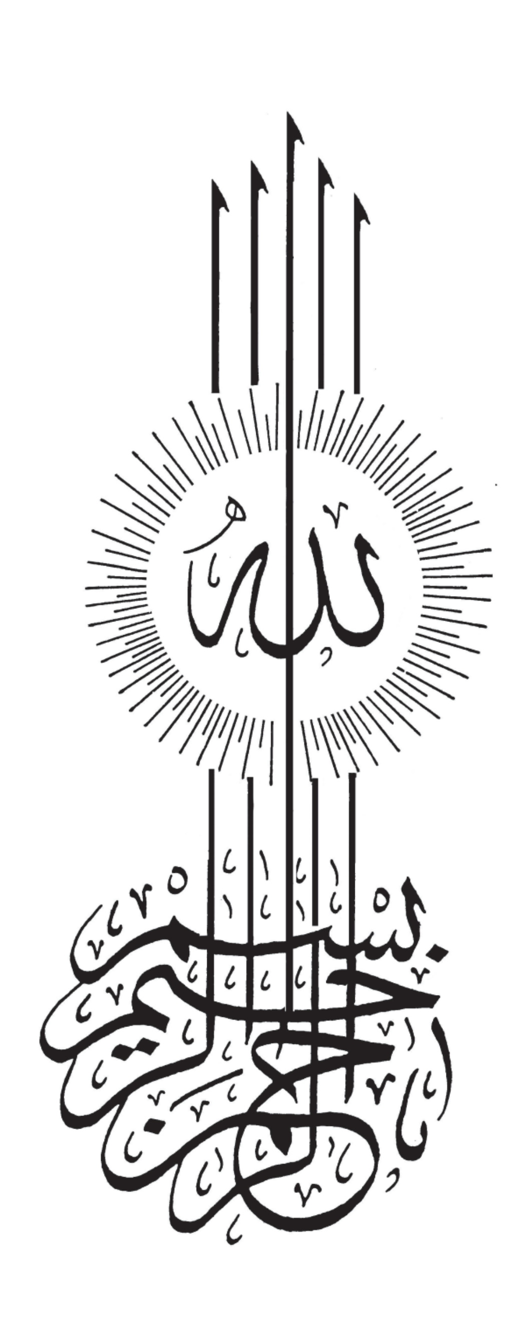
أجزل الله ثوابه

[كان حيًا سنة ٥٣٠هـ]

اعتنى به وضبطه

الدكتور مقبل التام عامر الأحمدي

الجيل الجديد ناشرون - صنعاء


بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمتُه

هو أبو الغَمْر، مُسَلَّمُ بنُ محمّدِ بنِ جعفرِ بنِ الحَسَنِ اللَّحْجيُّ الشَّظَبيُّ[(١)]: شاعرٌ أديبٌ نَسّابةٌ، علّامةٌ جامعٌ لفُنون العِلْم لا يَكاد يَفوتُهُ شيءٌ، مُؤَرِّخٌ من طِرازٍ نادرٍ، ولُغَويٌّ حُجَّةٌ، كلامُهُ حَسَنٌ جدًّا، وعبارتُهُ أَخّاذةٌ آسرةٌ، لا يَصُدُّ سِحْرَها بابٌ، ولا يَحولُ دون بُلوغها الفُهومَ حِجابٌ، مِفَنٌّ في تَصْريف القَوْل، وسَرْد الحِكايات، وبَسْط الأَخْبار، وحَبْك التَّرْجمات إلى أَبْعَد مدى، حتّى إنّك لتَخالُ نَفْسَكَ، وأنت تَتَذَوَّقُ تَرجماتِهِ لشُيوخِهِ ومُعاصِريهِ، تتَشَبّثُ بتَلابيبِ عَباءاتِهم، وتَجول معهم في قُراهم، وتَعِيشُ حياتَهم وعَصْرَهم، وتَأْكُلُ طعامَهم، وتتَخَرَّفُ في أَعْنابهم، وتَزْهد زُهْدهم، وتَشْقَى لشَقاوَتِهم، وتتَغَنَّى لغَنائهم.

من أساطين العِلْم ورجالِهِ بالقَرْن السّادس الهِجْريّ، أصلُهُ من مدينة لَحْج، سَلَخ صِباهُ وكُهولتَهُ وشيخوختَهُ -على الأَرْجَح- بهِجْرَة شَظَب، وبها حَصَّل عُلومَهُ، وأَصابَ معارفَهُ

---

(١) مُسَلَّمٌ، بضَمِّ الميم وفَتْح السّين المهملة وتَشْديد اللّام، كذا ضَبَطه ضَبْط عبارةٍ يحيى بن الحسين؛ مخطوط الطّبقات الصُّغْرى ليحيى بن الحسين (المستطاب): ورقة ٥٨ب-٥٩أ، على أنّ ثمّة حاشيةً لأحدهم في مخطوط أخبار الزّيديّة هذا (الصّفحة: ١١) تخالف ما ذهب إليه يحيى بن الحسين؛ إذ ضبط فيها كاتبها الاسم في معرض تعليقه على بعض كلام صاحبه، فقال: «قول مُسْلِم غير مُسَلَّمٍ لأنّ العبادة للذّات المسمَّى بالجلالة ...» وانظر ترجمته في مخطوط الفضائل (تاريخ بني الوزير): ورقة ٢٢٢، ومخطوط الطّبقات الكُبْرى لإبراهيم بن القاسم: ورقة: ١٩٢ب، ومعجم البلدان (لحج): ٥/ ١٤، وعنه في هديّة الزّمن في أخبار ملوك لَحْج وعَدَن: ٤-٥، والأعلام: ٧/ ٢٢٣، وقد وَهَم فيه الزِّركلي، رحمه الله، فأخذ عن البَغْداديّ سنة وفاة مُسَلَّمٍ العِمْرانيّ، وجعلها سنة وفاة مُسَلَّمٍ اللَّحجيِّ، وعنه حُمِلَ هذا الوَهْمُ وفَشَا؛ على أنّ الذي ذَكَرَهُ البَغْداديُّ في هديّة العارفين (٢/ ٤٣٢) هو: «العمراني - أبو الفتح، مسلم (بضمّ الميم وفتح السّين المهملة وتشديدها) بن أسعد بن عثمان بن أسعد بن عثمان العمرانيّ اليماني المتوفَّى سنة ٥٤٥ خمس وأربعين وخمس مئة، صنّف كتاب الأترجة في شعراء اليمن»، ومع ذلك فقد قال الزِّركليّ: «وعنه أخذت وفاته» يعني اللَّحجيّ! ولعلّ الذي أوقعه في هذا نسبةُ كتاب الأترجة في هديّة العارفين إلى العِمْرانيّ مع أنّ ياقوتاً الحَمَويَّ نَصَّ صراحةً على نسبته للّحجيّ، ولعلّ الزِّركليّ رَبَطَ سنة الوفاة بالأترجة. وانظر مقدّمة كتاب المثلين لمُسَلَّم اللَّحْجيّ: ١/ ١١.

على أيدي شُيوخها، واختصّ منهم بإبراهيم بن عليٍّ الضّاميّ.

كان حيًّا في سنة **ثلاثين وخمس مئةٍ** للهجرة ، ولم أَهْتَدِ إلى سَنَتَي ولادته ووفاته، ولكنّ ثمّةَ إشاراتٍ في هذا الجزء من كتابه، ونُقولاتٍ عمّا لم ينتهِ إلينا من أجزائه الأخرى، تَشي بامتداد حياتِهِ من نهاية القرن الخامس حتّى تصرّم النّصف الأوّل من القرن السّادس الهجريّ؛ فمن تلك النّقولات قول مُسَلَّمٍ يذكر دعوة المحسن لإمامٍ بالدَّيْلَم، ومشاورة شيخِهِ إبراهيم بن أبي الهيثم في نُصْرة المحسن كما سيرد في ترجمته لشيخه هذا: «وذلك **عام ثلاثة وثمانين وأربع مئة**»، **ونحو قول** أحمد بنِ عبد الله الوزير نقلاً عن مُسَلَّم: «وأنا أحدّث المذهب عن ابن رِفادٍ الصَّنْعانيِّ القُشيريِّ بوَقَش **سنة عشر وخمس مئة**؛ يقول: سَمِعْتُ مَنْ أَدْرَكْتُ مِن مشائخنا»[(١)].

على أنّ مُسَلَّماً نفسَه قد ساق في كتابِهِ حوادثَ تاريخيّةً عدّةً كانت في مطلع القرن السّادس أيضاً، نحو قولِهِ يذكر مُنْصَرَفَهُ من الحَجّ: «وقد أَتَيْتُ صَعْدَةَ مُنْصَرِفاً عَنِ الحَجّ **عامَ ثلاثة عشر وخمس مئة**».

ومنها قولُهُ يذكرُ شيخَهُ إبراهيمَ بنَ عليٍّ الضّاميَّ: «أَدْرَكْتُهُ شَيْخاً كبيراً سليمَ العَقْل والحَوَاسِّ، وصَحِبْتُهُ نحواً مِنْ **ثماني سنين**، وتُوفِّي رحمةُ الله عليه **عامَ ستّةَ عشرَ وخمسِ مئة**، وقد كُفَّ بَصَرُهُ».

ومنها قولُهُ يذكرُ القائمَ بصَعْدَة عليَّ بنَ زيدٍ الحَسَنيَّ: «وأَخْبَرَني يحيى بنُ يوسفَ أيضاً قال: سمع عيسى ذِكْرَ رَجُلٍ مِنَ الأَشْراف يُعادُ، وأنّه يَصْلُحُ للبَيْعة بعد عليّ بن زيدِ بنِ

---

(١) مخطوط الطّبقات الكبرى: ورقة ١٩٢ب.

المليح الحسنيِّ القائم بصَعْدَة ونواحيها **عام ثلاثين وخمس مئة** لطَلَب الإمامة»[١].

وغير بعيدٍ أنّ يكون ياقوتُ الحَمَويُّ (٦٢٦هـ) قدِ اعتمد على مُشْتَمِلِ هذا الخبر الأخير في التّأريخ لحياة مُسَلَّمٍ؛ حين قال عنه: «... كان حَيًّا في نحو **سنة ٥٣٠هـ**»[٢].

واتّكاءً على بُقْيا أخبار مُسَلَّمٍ في هذا الجزء، فإنّه -وهو الشّاكي مِن صَوارفِ الصِّبا واغْتِرارِهِ بِهِ، نحو **قولِهِ**: «ولقد كَثُرَ أَسَفي واشْتَدَّتْ حَسْرتي لكثيرٍ ممّا فَوَّتَهُ عليَّ غِرَّةُ الصِّبا وجُنونُ الشَّباب»[٣]، **وقولِهِ**: «ولكنّ العُذْرَ في الاسْتِكْثار مِنّي مِنْ هذه العُلوم ما قد ذكرتُهُ في غيرِ موضعٍ مِنْ غِرَّةِ الصِّبا وقِلَّةِ المعرفة بفَضِيلةِ الحِفْظِ لأَخْبار الصّالحين»[٤]، **وقولِهِ**: «ولولا غِرَّةُ الصِّبا منّي وغَباوةُ الحَداثة وقِلَّةُ التَّمْييز ...»[٥]- قد عُمِّر حتّى سنٍّ عاليةٍ، فصار يشكو وقتَ تصنيفِهِ كتابَهُ هذا ما أورثَتْهُ السِّنون، من فَرْط النِّسْيان عليه، وتَتابع الأَقْران ودُروجهم، ومَصارع الإِخْوان وتَصَرُّمهم، وبُعْدِ عَهْدِهِ وتَنَئِذٍ بمَن قَيَّدَ أَخْبارهم من مُعاصِريه؛ نحو **قولِهِ** يذكرُ عليَّ بنَ أبي السُّعود العابدَ: «وصَنَّفْتُ هذا الكتابَ وهو في الحياة كبير السِّنِّ قد أَحْسَنَ الله مَتاعَهُ، وأَطالَ عُمُرَهُ في طاعته ...، وحكى لي عَجائبَ مِنْ مُعاشرتِهِ للسِّباع، **أُنْسيتُ** أَكْثَرَها لأنّي صَنَّفْتُ هذا الكتابَ بعدَ مواجهتي لَهُ، وإِخْبارِهِ لي بذلك، **بنَحْوٍ مِنْ سِتٍّ وثلاثين سنةً أو أكثر شيئاً**»[٦].

ونحو **قولِهِ** يذكرُ إِدْراكَهُ بعضَ مَنْ أدركهم محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ حُمَيدٍ: «وقد أَدْرَكْتُ أنا بقيّةً ممّن أَدْرَكَ هو لا أَذْكُرُهُم إلى الآن إلّا اشتدّت حَسْرتي لفِراقهم، وعَظُمَ أَسَفي، وقَلَّ

(١) الصّفحة: ٥٢٨.

(٢) معجم البلدان (لحج): ٥/ ١٤.

(٣) الصّفحة: ٤٧.

(٤) الصّفحة: ٤٢٩.

(٥) الصّفحة: ٢٣٢.

(٦) الصّفحة: ٥١٥.

عَزائي، والله المستعان. ولولا ذِكْرُهم وما بَقيَ عندهم مِنْ أَخْبارهم لَما نَشَطْتُ لجَمْعِ هذا الكتاب. **إلّا أنّي جعلتُ النَّظْرَ فيه عُدّةً لِشَيْخوختي ووَقْت النِّسْيان**، ورَفْض الإخْوان، وفَقْد الأَقْران، وكالبكاء عليهم والنُّدْبَة لهم، فرحمهم الله رحمةً واسعةً، وغَفَرَ لهم مغفرةً جامعةً»(١).

ونحو **قولِهِ** يذكرُ ابنَي الصِّينيّ: «وقد كان أَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رَحِمَهُ اللهُ بأَسْمائهما وأَخْبارهما فنَسيتُ شيئاً، وشَكَكْتُ في شيءٍ؛ فأمّا أَسْماؤهما فتيَقّنتُها مِنْ بعض عَقْبِهما، وأمّا الأَخْبارُ **فلم أَتَنَبَّهْ لتَصْنيفِ هذا الكتابِ حتّى مَضَى القَرْنُ الّذين كنتُ أَتَذَكَّرُ ما شِئْتُ مِنْ ذلك بسُؤالهم**»(٢).

ونحو **قولِهِ** يذكرُ ابنَ صَعْتَرٍ: «وقد نسيتُ كثيراً مِنْ أَخْبارِهِ وفَضائلِهِ في صَدَقاتِهِ وأَخْلاقِهِ، **وتَعَذَّرَ عليَّ تَدارُكُ ذلك بمَوتِ إبراهيمَ بنِ عليٍّ** رَحِمَهُ اللهُ **وأَهْلِ قَرْنِهِ مِنَ الأفاضل** مِنْ أَهْلِ بلدتِهِ»(٣).

ونحو **قولِهِ** يذكرُ أبا عبد الله التَّرْخُميَّ: «لقد كنتُ أَسْمَعُ محمّدَ بنَ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ بوَقَش، وكان جُهَيْنةَ أَخْبارهم وصندوق أَسْرارهم، يَحْكي عَنْهُ كلَّ خَبَرٍ مَليحٍ ونادرةٍ في المَكارم عَجيبة، **إلّا أنّي أُنْسِيتُ أَكْثَرَ ذلك**»(٤).

ونحو **قولِهِ** يذكرُ إسماعيلَ بنَ أبي بكرٍ النّيْسابوريَّ: «وأَخْبَرَني شُيوخي نحو: عُلَيّانَ بنِ إبراهيمَ، وأَسْعَدَ بنِ عبد الفاضل، ومحمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ: مِنْ فَضائِلِهِ ونَوادِرِ أَكاليمِهِ وعَجائِبِهِ بكثيرٍ **إلّا أَنّني أُنْسيتُ منه غيرَ قليلٍ**»(٥).

---

(١) الصّفحة: ٥٥١.

(٢) الصّفحة:٦٩.

(٣) الصّفحة: ٧١.

(٤) الصّفحة: ٦٩.

(٥) الصّفحة: ٤٠٥.

يُضاف إلى ذلك أنّ مُسَلَّماً قد شهد جِدال المُطَرَّفيّة للقاضي جعفر بن أحمد بن عبد السّلام بن أبي يحيى، وشارك فيه، على أنّ القاضي جعفراً لم يخض في هذا الجدال إلّا بعد لُقياهُ بأحمد بن سليمان **سنة ٥٤٥ للهجرة**؛ واتّكاءً على ذلك وعلى استمرار الجدال بينهم زمناً فإنّ مُسَلَّماً قد سَلَخَ من عمره دهراً دهيراً لاسيّما أنّه شهد أحداث **سنة ٤٨٣هـ** كما تقدّم[١].

على أنّ ثمّة حاشيةً وردت في آخر المخطوطة فيها ذِكْر وُصول القاضي جعفر اليَمَن، وهو فيها متأخِّرٌ بتسع سنوات عن ٥٤٥هـ: «وكان وُصولُ القاضي العلّامة شمسِ الدّين جمالِ الإسلام والمسلمين جعفرِ بنِ أحمد بنِ أبي يحيى مِنَ العراق **سنةَ أربع وخمسين وخمسِ مئةٍ**، فنَشَرَ العِلْمَ والتّعليمَ، رضي الله عنه، إلى سنة ثلاثٍ وثمانين وخمسِ مئةٍ»[٢].

رغم أنّ تاريخ نِساخة مخطوطةِ هذا الجزء اليتيمةِ ومُقابلتها على الأصل، يقطع بوفاة مُسَلَّمٍ قبل ذلك؛ وقد كُتِب في آخرها: «تَمَّ الكتابُ وكَمَلَ والحمدُ لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً، في يومِ الأَرْبعاء آخِرَ شَهْرِ ذي القِعْدة مِنْ شُهور سنةِ **سِتٍّ وستّين وخمسِ مئةٍ**، وصلّى الله على محمّدٍ رَسُولِهِ خاصّة وعلى كافّة الأَنْبياء عامّة، وعلى آلهم الطّيّبين وسَلَّمَ وكَرَّمَ »[٣].

ترجمَ مُسَلَّمًا ياقوتُ الحَمَويُّ (٦٢٦هـ)؛ فقال وهو يُتَرجم مدينتَهُ (لَحج): «ومِنْ لَحْج كان مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيُّ، أديبُ اليَمَنِ، له كتابٌ سَمّاهُ الأُتْرُجَّة في شُعَراء اليَمَن، أَجادَ فيه، كان حَيًّا في نحو **سنة ٥٣٠هـ**»[٤].

وترجَمَهُ أحمدُ بنُ عبد الله الوزير (٨٩٢هـ)، فقال: «كان أَحَدَ المُبَرِّزين ممّن يُعْتَبَرُ في

---

(١) انظر تيارات معتزلة اليمن: ٦٦-٦٧.

(٢) حاشية عُلّقت بآخر صفحة بالمخطوط، ورقمها فيه: ٣٥٥.

(٣) بعده بخطٍّ مُغاير: «**قُوْبِلَ على الأَصْلِ فَصَحّ**، وصلّى على رَسُولِهِ محمّدٍ النَّبيِّ وآلِهِ وسلّم ورَحِم وكَرّم».

(٤) معجم البلدان (لحج): ٥/١٤.

درجة القاضي جعفرٍ، وله رَدٌّ على مَن يُرَجِّح تَقْلِيد المؤيّد، وعلى صاحب سيرة النّاصر في تَرْجيح تَقْلِيدِهِ، عليه السّلام، وتَفْضِيله على الهادي، وانْتَصَرَ لتَرْجيح تَقْليد يحيى ...، في كلامٍ طويل ...، وكان علّامةً جامعاً نسّابةً ...»[١].

وعن الوزير أَخَذَ يحيى بنُ الحسين (١٠٩٩هـ) وزاد، فقال: «مِنْ عُلَماء الهَدَويَّة في الفُروع ومِنَ المُطَرِّفِيّة في الاعْتِقاد ...، وكان جامعاً لفُنون العِلْم لم يَفُتْهُ شيءٌ»[٢].

وترجَمَهُ إبراهيمُ بنُ القاسم (١١٤٣هـ) فقال: «العَلّامةُ المِدْرَهُ الصَّمْصامَةُ[٣]، يَرْوي أُصولَ الدِّين سَماعاً على شَيْخِهِ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم عن مُطَرِّفِ بنِ شهابٍ عن عليِّ بنِ محفوظٍ عن إبراهيمَ بنِ بالغٍ عن أَبيهِ عنِ الهادي للحقّ»[٤].

---

(١) مخطوط الفضائل (تاريخ بني الوزير): ورقة ٢٢٢.

(٢) مخطوط الطّبقات الصُّغرى (المُسْتطاب): ورقة: ٥٨ب.

(٣) مِدْرَهُ القوم: خَطِيبُهُم والمُتَكَلِّمُ عنهم؛ التّاج: (د ر هـ). و**الصَّمصامة**: الجَريء الماضي؛ التّاج: (ص م م).

(٤) مخطوط الطّبقات الكبرى: ورقة ١٩٢ب.

شِعْرُهُ

لم ينتهِ إلينا من شعرِه في تَضاعيف هذا الجزء سوى أبياتٍ قليلةٍ، ولعلّ كُتبَهُ لو انتهت إلينا كُلُّها لانتهى إلينا فيها ما يَشفي الغُلّةَ ويَنْقَع الصّدى من شعره؛ على أنّ مُسَلَّماً كان يُغالب نفسَهُ في قرضِ الشّعر -رغم معرفته تَصاريفَهُ- للّذي نَشَأَ عليه مِنَ الوَرَع وطَلَب الآخرة والزّهد في الدّنيا ومَتاعها، وقد أَفْصَحَ عن ذلك في وَجازَةٍ ذاكراً نصيحةَ شيخِهِ أسعدَ بنِ عبد الفاضل له بتَرْك الشِّعْر، **فقال:**

«وكنتُ قد ابتدأتُ بقولِ الشِّعْر، وكاتبتُ به أَنْفاراً، فرَأَى ذلك مِنِّي ورَأَى رغبةً كانت في طاعة الله تعالى، فقال: أَنْصَحُكُ وتَقْبَلُ عنّي؟ قلتُ: نعم. قال: خَمِّلْ نفسَك وأَخْفِها لتَخْلُوَ بالله والعَمَل لله، وتَسْلَم مِنْ عار الشِّعْر وإِثْمِهِ ومَغارِمِهِ وشُهْرَتِهِ وسائر مَضارِّه؛ فقَلَّ مَنِ اشْتُهِر به إلّا هَلَك إمّا دينُهُ وإمّا بَدَنُهُ أو مالُهُ. في كلامٍ نحو هذا. ثمّ أَنْشَأَ يُخْبِرُني بمَنْ أَهْلَكِ الشِّعْرُ، كمحمّد بن زيادٍ الماربيِّ ومحمّد بن حُمَيْدٍ اليرسميّ ونحوهم. فما أَعْلَمُ أنّي ذكرتُ خِلافي له في هذا، وإِحْيائي للشِّعْر ومحبّتي له وما لَحِقَني به مِنَ المآثم والمَغارِم والعَداوات والمَكارِه، إلّا اشتدّت حَسْرتي، وعرفتُ فَضْلَ نُصْحِهِ وجَوْدَةَ رَأْيِهِ وذَكاءَ عَقْلِهِ رَحِمَهُ اللهُ».

ومن شِعْرِ مُسَلَّمٍ في رثاءِ ابن أبي الهَيْثم، وقد تَفَكَّرَ في أَخْبارِهِ[1]: (منَ السّريع)

فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَى مَيِّتٍ ... ماتَ ولم يَظْلِمْ ولم يُظْلَمِ

راقَبَ فِيْهِ ظالِمٌ رَبَّهُ ... وراقَبَ اللهَ فَلَمْ يَأْثَمِ

(١) الصّفحة: ١٧٩.

حَتَّى لَقَدْ قِيلَ لِمَنْ يَدَّعي فَضْلاً: **أَأَنْتَ ابْنُ أبي الهَيْثَمِ؟**

ومِنْ شِعْرِهِ قولُهُ مخاطباً يونُسَ بنَ محمّدِ بنِ مطيرٍ الأَهْنوميَّ(١): (من الطّويل)

نَدِمْتَ على ما مِنْهُ كانَتْ نَدامَتي فَقُمْتَ لِشَيْءٍ نَحْنُ عَنْهُ قُعودُ

وأَعْجَبَكَ القَدْرُ الّذي لَيْسَ مُعْجِباً فَأَخْبَرْتَنا عَنْهُ ونَحْنُ شُهودُ

تَلَبَّثْ يَسيراً رَيْثَما يَبْلُغُ المَدَى لِتَرْجِعَ عَنْ قُرْبٍ وأَنْتَ حَميدُ

تَوَسَّطْتَ بَحْراً لَسْتَ تَمْلِكُ عَبْرَهُ ولا تَسْتَطِيعُ العَوْدَ حينَ تَعودُ

فلا تَحْسَبِ الدُّنْيا مَعَ الدِّينِ تَنْبَني لَئِنْ رُمْتَ هذا إِنَّهُ لَبَعيدُ

وإِنَّكَ إِنْ يَسْلَمْ لَكَ الدِّيْنُ خالِصاً على ما أَرَى يَوْماً لأَنْتَ سَعيدُ

* * *

(١) الصّفحة: ٥٤١.

آثارُهُ

لم ينتهِ إلينا من كُتبه حتّى الأَوان إلّا كتابٌ واحدٌ وبعض آخر، فأمّا الكتاب الّذي يُطْمَأَنّ إلى تمامه فهو **(كتاب المِثْلين)**، وقد عُثِر على مخطوطةٍ له يتيمةٍ في ليبيا، وهي محفوظة بمكتبة جامعة قاريونس، وقد ظَفِرَ بتحقيق هذه اليتيمة ودراستها الدّكتور فيصل الحدّاد، رسالةً جامعيّةً بالجامعة نفسها، وطُبع بها سنة ١٩٩٨م.

وأمّا الّذي انتهى إلينا منه بعضه فهو: **(أخبار الزيّديّة باليمن)** المعروف بـ(تاريخ مُسَلَّمٍ اللَّحجيّ)، وقد وَقَفَ المستشرق ويلفرد منه على قُطَيْعةٍ اشتملت على **سيرة النّاصر**، فحقّقها وطبعها سنة ١٩٩٠م. ووقفتُ على مخطوطة الجزء الرّابع منه، وهو الّذي بين أيدينا، وقد اشتمل هذا الجزء على تمام الطّبقة الثّالثّة، ثمّ الطّبقة الرّابعة والطّبقة الخامسة.

وقد تَرْجَمَ مُسَلَّمٌ في هذا الجزء سبعًا وثمانين ترجمةً: اثنتان وسبعون ترجمةً مفردةً أوّلها ترجمة محمّد بن أحمد العلويّ وآخرها ترجمة سلامة المعلم، وستّ ترجمات مثنّاة، هي: ترجمة ابنَي الصِّينيّ وابنَي الرَّيّان وابنَي أبي رَزين والشّريفين وابنَي عبد الحميد وابنَي مُطَرِّف؛ وترجمة مثلّثة، هي ترجمة الفقهاء الإخوة اليَحيريّين.

وجلّ ما بذلته في هذا الكتاب هو إخراج النّصّ سليمًا معافًى ما أمكنني ذلك وضبطه ضبطًا وافيا، ولاسيّما أنّه عجّ –رغم طغيان التّرجمات على جلّ مادّته– بالأشعار والأراجيز، ولاسيّما لأبي السّعود بن زيدٍ الخولانيّ الحِمْيريّ؛ إذ ساق له مُسلَّمٌ في تضاعيف هذا الجزء وحده ما يقوم به ديوانٌ، على أنّنا لا نقف على ما ساقله من أشعارٍ وأراجيز في كتابٍ غيره، وهذه آيةٌ قاطعة على كَثْرة ما فُقد من تراث أمّتنا وعزيز أشعارها وأخبارها.

وقد زهدت في تخريج الأقوال والأخبار الّتى فشت في الكتب المصنّفة بعد اللّحجيّ نقلًا عنه، رغبةً منّي في بقائه أصلًا غير محشوٍّ بتلك النّقولات، وإنّما عملت على خروجه على الجادّة لتعرض عليه مشتملات تلك الكتب، فما وافقه نقلًا صريحًا أو قاربه فكرةً أو تلميحًا، صُوِّب بنصّه، وما خالفه دُفع به.

أمّا مُشْتَمَلُ الكتاب كلِّهِ، بحسب ما ذكر مُسلَّمٌ نفسُهُ، فخمسُ طبقاتٍ، نصّ على ذلك في القطعة المُشْتَمِلة على سيرة النّاصر، فقال: «**وقد قسمتُ مَنْ أُخْبِرُ عنه في هذا الكتاب خمسَ طَبَقاتٍ: الطّبقة الأولى ابنا الهادي، عليهم السّلام، ومَن في أيّامهما، الثّانية مَنْ بَعْدَهم ممّن أَخَذَ عنهم، الثّالثة مَنْ بَعْدَ هؤلاء مِنْ أَتْباعهم، الرّابعة مَنْ أَخذَ عَنِ الطّبقة الثّالثة، وهم مَنْ قَبْلَنا، الخامسة مَنْ في عَصْرِنا**»[(١)].

وذكرَ كتابَهُ هذا محمّدُ بنُ إبراهيم الوزير، فقال: «... بل ليس للزّيديّة وسائرِ الشّيعة نَهْمةٌ في تدوين أخبار سادات أهل البيت وعلماء شيعتهم من أهل مذهبهم، دَعْ عنك غيرهم، ولا علمتُ لأحدٍ منهم في ذلك مصنَّفًا إلّا ما صنّفه مُسَلَّمٌ اللَّحجيّ المُطَرِّفيّ من كتاب (الطّبقات)، ولقد أجاد فيه لو استوفى، لكنّه اقتصرَ على أهل مذهبه، وفي تَرْكهم تَرْكُ علومٍ كثيرةٍ، فإنّهم أَفْرَغُ للعلم منَ الدُّعاة الّذين اقتصرتِ الزّيديّة على ذِكْر بعضهم»[(٢)].

وذكرَه أيضًا من بني الوزير أحمدُ بنُ عبد الله، فقال: «وله كتاب الطّبقات»[(٣)].

وذكرَ مُشْتَمَلَهُ مُفَصّلاً أيضاً يحيى بن الحُسين، فقال: «له تاريخٌ جعلَهُ طبقاتٍ، وأَكْثَرُهُ في ذِكْرِ حالِ المُطَرِّفيَّة مِنْ أَصْحابِهِ وذِكْرِ أولادِ الهادي: المُرْتَضى والنّاصر، **وهو أربعةُ أَجْزاءٍ لِطافٍ، يأتي جميعُ الكتابِ في مُجَلَّدَينِ مُتَوسِّطَينِ**، وجعلَهُ خمسَ طبقاتٍ: **الطّبقةُ الأولى**: في أَحوال ابْنَي الهادي، استوفى ذِكْرَ الحُروب بين النّاصر وبين القَرامِطَة وغيرهم. **والطّبقةُ**

---

(١) سيرة الإمام النّاصر (من أخبار الزّيديّة باليمن): ٦.

(٢) العواصم والقواصم: ٤/٢٠٨.

(٣) مخطوط الفضائل (تاريخ بني الوزير): ورقة ٢٢٢.

الثّانية: في ذِكْر أَحْوال المُخْتار وأَوْلادِهِ وبَني الضَّحّاك، وذَكَرَ فيها ترجمةً وافيةً للشّيخ أحمدَ بنِ موسى الطَّبَرِيِّ. **والطّبقةُ الثّالثة**: مَنْ أَخَذَ عَنِ الطَّبريِّ مِثْلُ مُطَرِّفِ بنِ شِهابٍ وابنُ أبي الفَوارِسِ والإمامِ القاسم العِيانيِّ وسائرِ العُلَماء ممّن أَخَذَ عَنِ أَهْل الطّبقةِ الثّانيةِ، واختلاف الزّيديّة. **والطّبقةُ الرّابعة**: مَنْ أَخَذَ على مُطَرِّفِ بنِ شِهابٍ مِثْلُ نَهْدِ بنِ الصّباح وابنِ صَعْتَرَ وغيرهم، وقد ذَكَرْنا تَراجِمَهُم فيما سبق، والله المُوفِّق. **الطّبقةُ الخامسةُ**: مَنْ في عَصْر مُسَلَّمٍ مِنَ العُلَماء المُطَرِّفيّة. وأَوّلُ مَنْ بُدئ في تاريخِهِ المُرْتَضى محمّد بن الهادي قال: ولم يذكر مِنْ سِيَرَ الهادي ومَنْ تَقَدَّمَهُ، اكتفى بـ(**السِّيرة**) له، وبـ(**المصابيح**) لأبي العبّاس الحَسَنيّ و(**الإفادة**) وغيرها مِنَ التّواريخ»[١].

أمّا الكتاب المذكورُ خبرُهُ المحجوب أَثَرُه، من كُتب مُسَلَّم، فهو (**الأُتْرُجّة في شُعَراء اليَمَن**)، فقد ذَكَرَهُ ياقوتٌ الحَمَويُّ في أثناء ترجمة مُسَلَّمٍ، وذكر أنّه أجاد فيه، فقال: «له كتابٌ سَمّاهُ الأُتْرُجَّة في شُعَراء اليَمَن، أَجادَ فيه»[٢]، على أنّه نسبه البَغْدادي لمُسَلَّمٍ العِمْرانيّ[٣].

---

(١) مخطوط الطّبقات الصُّغرى (المُسْتَطاب): ورقة ٥٨ب-٥٩أ.

(٢) معجم البلدان (لحج): ١٤/٥، وفي مطبوعه: «الأترنجة»، ولعلّه تحريف إذ لا معنى له.

(٣) هديّة العارفين: ٢٢٠/٢.

شُيوخُهُ

كان مُسَلَّمٌ اللَّحجيُّ يَرْوي عن أبيه محمّدِ بنِ جعفرٍ اللَّحْجيِّ، ويُخْبِرُ عن أخيه جعفرِ بنِ محمّد بن جعفرٍ اللَّحْجيِّ، وكان له شيوخٌ كُثُر أَخَذَ عنهم، وتمثّل سِيَرهم، واقتفى آثارَهم القُذّة بالقُذّة، ولَهِجَ بمآثرهم، وقَيَّدَ أخبارهم، وزَبَر عنهم أخبارَ مَنْ قبلَهُ؛ فمن شُيوخِهِ الّذين انمازوا برَفْع نسبِهم من دون سائر أَصْحاب التَّرْجَمات، بحسب ما نَطَقَ به هذا الجزء هذا الّذي بين أيدينا؛ فمن هؤلاء الشّيوخ:

١- إبراهيمُ بنُ عليٍّ الضّاميّ:

ترجَمَهُ مُسَلَّمٌ فقال: «هو أبو إِسْحاق، إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ عيسى بنِ عليِّ بنِ العوالي بنِ محمّد بنِ حمّاد بنِ عُبَيد بن دافع بنِ مالك بنِ ضام بنِ يَريم بنِ أحمد بنِ يَريم بنِ مُرَّة بنِ عمرو بنِ مَرْثَد بنِ الحارث بنِ أَصْبَى بنِ جُشَم بنِ حاشِد. أَدْرَكْتُهُ شَيْخاً كبيراً سليمَ العَقْل والحَواسّ، وصَحِبْتُهُ نحواً مِنْ ثماني سنين، وتُوفِّي، رحمةُ الله عليه، عامَ ستّةَ عشرَ وخمسِ مئة، وقد كُفَّ بَصَرُهُ. وأَخْبَرَني رَحِمَهُ اللهُ أنّ مولدَهُ كان عام ثلاثةٍ وعشرين وأربع مئة؛ وذلك بعد المَجاعَة الّتي يَعْرِفُها أهلُ اليمن بالفَروس، فيما أَخْبَرَني به؛ قال: وكانت هذه المَجاعَةُ سنةَ إحدى وعشرين وأَرْبع مئة. وعلى هذا يكون عُمُرُهُ نحو اثنتين وتسعين سنةً أو ما يُقارب ذلك. وكان ما نَشَأَ عليه مِنَ الخَيْر والفَضْل مُكْتَسَباً مِنْ قِبَلِ أُمٍّ لَهُ كانت مِنَ الصّالحات ومِنْ بَنات نساءٍ صَوالحَ ورجالٍ محمودين»[١].

---

(١) الصّفحة: ٣٣١.

٢- إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثم:

ترجمَهُ فقال: «هو أبو إسْحاقَ، إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم بنِ كَهْلانَ بنِ محمّدِ بن أبي البَعير. نسبتُهُ -فيما أَحْسِب- في حِمْيَر، لأنَّ عَشائرَ هذه البلاد، الّتي بها قومُهُ، سَوادُها الأَعْظمُ مِنْ حِمْيَر، ومَنْ جَهِلَ نَسَبَ قومٍ مِنْ أَهْلِها فليظنّ أنّهم في حِمْيَر. وأَبوهُ مِنْ أَهْلِ العُزْلَةِ بسَناع في الطّبقة الثّالثة، وهو أَحَدُ أَصْهار نَهْدِ بنِ الصّبَاحِ، كانت تحتَهُ ابنةٌ له هي أُمُّ إبراهيم. ومَنْزِلُ أَهْلِ بيتِهِ بالمَعْلَل بناحية قريةٍ يُقالُ لها: حَلوبة، مِنْ أعمالِ بيت يَرام، وقد بقي له من باقي عَقارِهِ بها بقيّة إلى أن مات رَحِمَهُ الله فأَوْصَى به. وإليه انتهتْ مَشورةُ الزّيديّة في عِلْم الأُصول ومُشْكلات المَسائل بعد مُطَرِّفٍ، وإليه كان النَّظَر في دَرْسِهم وتَهْذيبِهِ، ونَشَأَ رَحِمَهُ الله على الطّاعة والزُّهْد والعِبادة لله، والاجْتِهاد والجِدّ والتَّشْمِير في ذلك، وغَلَبَ عليه في وقتٍ مِنْ شَبابِهِ الخوفُ مِنَ الله حتّى عَرَتْهُ وَحْشَةٌ ونِفارٌ وذُعْرٌ وفِكْرٌ، ثمّ تَمادى ذلك حتّى خِيْفَ عليه ضَرَرُهُ، وقارب أَعْراض الأَمْراض السَّوداويّة».

وذكر استشارته إيّاهُ في موضعٍ آخَرَ فقالَ: «فلم أَرَ أَنْ أَتْرُكَ مُشاورَةَ هذا الشّيخِ، ولم أَكُنْ تَبَحَّرْتُ في فِقْهٍ، ولا أَكْثرتُ مِنْ قِراءةِ كُتُبِ الأَئِمّة، عليهم السّلام، فأتيتُهُ مِنْ شَظَب إلى وَقَش»[١].

٣- أسعدُ بنُ عبدِ الفاضلِ العُبَيْديُّ الياميُّ:

ترجَمَهُ فقال: «أسعدُ بنُ عبدِ الفاضلِ بنِ يحيى العُبَيْديُّ الياميُّ، ونسبُهُ في آل أبي عُبَيْدة، ونَسَبُهم في هبرة بنِ مَذْكر بنِ يام بن أَصْبى. وكان رَحِمَهُ الله حين مات رَجُلاً شابًّا لم يَكْتَهِل بعدُ، وكان مِنْ أَبْناء الزّيديّة وتخريجِ الشُّيوخ الأفاضل منهم. كان أَبوهُ وعمُّهُ سلامةُ بنُ يحيى مِنْ عِبادِ الله الصّالحين -فيما بَلَغَني- وكذلك أُمُّهُ. وكان تعليمُهُ للقرآن

---

(١) الصّفحة: ١٦٢.

عند الشَّيخِ الحسينِ بنِ عبد الحميد الخلطيِّ وتَأْدِيبه مِنْ قِبَلِهِ، وتَهْذِيبه بالتّوحيد ومعرفة الأُصول فإنّما كان تمامُهُ مِنْ قِبَلِ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ البَحِيريِّ، رحمةُ الله عليهم، وله صُحْبَةٌ بإبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم وأبي القاسم بنِ شُجاعٍ ومحمّدِ بنِ إبراهيم بن رِفادٍ ونُظَرائهم مِنْ شُيوخ الزّيديّة. وكانت خُلْطَتي به ومَعْرفتي له مُتَقَدِّمَةٌ واخْتِصاصي به خالصاً لله سبحانه»[1].

ووصفَ ورَعَهُ ودِقّة نَظَرِهِ فقال: «وكنتُ أَعْرِفُهُ شَحِيحَ الوَرَعِ، دقيقَ النَّظَرِ، خَفيَّ المَسْلَك في اسْتِخراجِ العُلوم، لطيفَ التّأتّي للمُتَعَلِّم، حَسَنَ الخُلُق رفيقاً، مُحْتَرِزاً عمّا يُنَفِّرُ عنه أو عنِ الدِّيْن بسببِهِ ممّا يَدِقُّ ويَخْفَى فَضْلاً عمّا يَسْتَبين ويَظْهَرُ، ومُحْتَرِزاً عمّا يَطْمَعُ به العَوامُّ ويَحْزُبُهم عليه، مع تَواضُعٍ ورِفْق عقلهم به بِرًّا إلى الله. يَدْنو عند الدّعاء إلى الله حتّى يُباشِرَ الثَّرى ثمّ يَعْلو عند خَوفِ التُّهْمة بالطَّمَع والتَّمَلُّق وما يَضَعُ مِنَ الكريم حتّى يَتَجاوز الثُّرَيّا»[2].

ووصَف حياتَهُ فقال: «لقد خالطتُهُ آكلاً وشارباً ومُنْفِقاً ومُنْفَقاً عليه وسائساً ومَسوساً، فلم أَكُنْ أَراهُ رحمه الله يُبَذِّرُ إذا وُسِّعَ عليه ولا يَقْنَطُ إذا قَلَّ وضاق حالُهُ ولا يَفْتُرُ إذا أَنْفَق ولا يَغْتَنِمُ الفُرْصة فيما يُنْفَقُ عليه ولا يُظْهِرُ خَلَّةً ولا يُعرف له إقْلالٌ مِنْ غِنًى لفَضْل تَحَمُّلِهِ وصَبْرِهِ، ولا يَشْرهُ عند الشَّهْوة ولا يَنْقَبِضُ عند الضِّيقة»[3].

ووصف مجلسَهُ للتّعليم، فقال: «وكان يكون لنا مجلسٌ للتّعليم ليلاً عنده يُلَقِّنُنا فيه شيئاً مِنْ أُصول التّوحيد والعَدْل، فكان يستعمل في امْتِحاننا حِيَلاً رقيقةً بحُسْنِ خُلُقٍ وطيبِ مَنْطِقٍ وخِفّةِ مُؤْنَةٍ، وربّما يُطَيِّبُ نُفوسَنا مِنَ المَزْح بما يُؤْنِسُنا به، ويكون مُتَضَمِّناً لمعنى ما فيه كلامنا، فيكون لنا فيه تحريضٌ وإيْقاظ. ويكون مُقْبلاً على كلام بَعْضنا في

---

(١) الصّفحة: ٥٣١.

(٢) الصّفحة: ٥٣٢.

(٣) الصّفحة: ٥٣٢.

وقت وُصول المسألة إليه؛ لأنّا كنّا نجلس حَلْقَةً فيَبْدَأُ بمَنْ على يمينِهِ ثمّ بمَنْ عَنْ يَمِين ذلك حتّى ينتهي الكلامُ إلى مَنْ عَنْ شِماله، كعادة الزّيديّة في مجالسهم للتّعليم. فإذا بادَرَ أَحَدُنا بالجوابِ قبل وُصول السُّؤال إليه قال له: أَحْسِك قليلاً. يَضْرِبُ بذلك لَهُ مثلاً بالفارس لا يَرَى وَجْهاً للحَمْلَة فيَشْغَل فرسَهُ بشيءٍ مِنَ الحَسِيك لئلّا يُتْعِبَهُ قَرْعُهُ ويَضُرَّ بالفَرَس القيام. فكان يُؤدّبنا بذلك ونحفظُهُ لكونه مثلاً عقليًّا ونادِرَةً مِنَ الكلام تُقْبِلُ عليها النَّفْسُ»[١].

٤- ابنُ رِفادٍ الصَّنْعانيُّ القُشيريُّ:

ترجمَهُ فقال: «هو محمَّد بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ. أَصْلُهُ مِنْ أَهْل صَنْعاءَ الّذين صاروا إلى شِبام، ثمّ انْتَقَلَ إلى وَقَش وبها مات رَحِمَهُ اللهُ في صَفَر سنةَ أربعَ عشرةَ وخمس مئة. ونسبُهُ في بني قُشَيرِ بنِ كعب بنِ ربيعة بنِ عامر بن صَعْصَعة، وكان مؤمناً خَيِّراً فاضلاً، صَبوراً على تَعْليمِ الأَحْداث والعَوامِّ والمُبْتدئين لأُصول الدِّين جُمَلاً وجَوامعَ وتَفْصيلاً. تَعُدُّهُ الزّيديّةُ أَحَدَ كبارها المُقَدَّمين وعُلَمائها الصّالحين، وكذلك كان. وقد أَدْرَكْتُهُ وصَحِبْتُهُ وسمعتُ منه وتَعَلَّمتُ كثيراً ممّا نَفَعَني اللهُ به في دِيْني. وكان نَسِيجَ وَحْدِهِ في حِفْظِ أَخْبار الزّيديّة باليَمَن وغيرِهم غايةً في ذلك، بل آيةً. وكان رَحِمَهُ اللهُ حياةَ كثير مِنَ النّاس بكثيرٍ ممّا يسمع مِنْ ذلك منهُ فيُقْتَدى ويُنافَسُ في الخير ويُرَغِّبُ في اللَّحاق بآلِ الله سبحانه. ولو أنّي اسْتَوفيتُ قِسْطي مِنَ الخير لكُنْتُ كتبتُ عنه ما أَسْمَعُ مِنْهُ كُلَّه لكنّي انْخَدَعتُ لطولِ الأَمَلِ والتَّرَجِّي لغَدٍ فغَدٍ حتّى فاتَني به ما لا تُسْتَدْرَكُ معهُ الفَوائت، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمدُ لله على ما وَهَبَ، وسَلامٌ على عبادِهِ الّذين اصْطَفى»[٢].

---

(١) الصّفحة: ٥٣٦.

(٢) الصّفحة: ٤٣٩.

٥- عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ البَحِيرِيُّ الأَرْحبيُّ:

ترجمَهُ فقال: «هو عُلَيّان بن سعدٍ، نسبُهُ في بني بَحِير مِنْ ضيافِ [بنِ سُفْيانَ] بنِ أَرْحَبَ، وأَصْلُ مسكنِهِ شُوابة مِنَ الجوف الأَعْلى، ثمّ خَرَجَ عنها إلى مواضعَ، وتَنَقَّلَ في مساكنَ، وماتَ في موضعٍ اعْتَزَلَ فيه بالطَّرَفِ مِنْ حَضورِ الأَحْبوب؛ يُقالُ له: الرَّوْعة، وبه بَقي وَلَدُهُ وبنو أَخيهِ وعَقْبهم إلى الآن. وكان عُلَيّانُ ﵀ في الزّيديّة عظيمَ القَدْرِ لعِظَمِ تَأْثِيرِهِ في إحياء الدِّينِ وتَكثيرِ عَدَد أَهْلِهِ. وكان أَيْنما رَجَا حياةً بَنَى مَسْكَناً وعَلَّمَ وأَعانَ حتّى يَسْتَوي به لمن يَعْتَزِلُ إليه الأَمْر ثمّ الْتَمَسَ موضعاً آخر؛ فكان ﵀ سَبَبَ بناءِ مواضعَ كثيرةٍ، منها ما به أهلُهُ إلى الآن ...، كانت المَسْأَلةُ تُفْهَمُ مِنْ لِسانِ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ ﵀ بسُهولةٍ حتّى كَأَنَّ مَنْ يَسْمعها قد كان حَفِظَها مِنْ قبل؛ لحُسْنِ تَأْدِيَتِهِ في العِبارة وتَقْريبِهِ للبعيد إلى أَفْهام النّاس، ومَعْرِفَتِهِ بما يُسْرِعُ إلى عُقولهم مِنَ الأَمْثالِ والأَلْفاظ التي يَعْتادون، وتَقْرُبُ مِنْ طِباعِهم حتّى يكونَ المُتَعَلِّمُ المُبْتَدئ في سُرْعة عَرْض دَرْكِهِ للغَرَض المقصود كالمُتَوَسِّط، والمُتَوَسِّط كالبالِغِ للغاية مِنَ الكلام. مع كرمِ شيمَةٍ، وسَخاءِ نَفْسٍ، وبَذْلِ مُواساةٍ، وسماحة يَدٍ، وتَواضُعٍ ورِفْق، واسْتَجابَ لَهُ مِنَ النّاس في أيّامِهِ خَلْقٌ كثيرٌ، وجالَ في قبائل اليَمَن ومساكنها لطَلَبِ التَّعْليم والإِرْشاد إلى العَدْل والتَّوْحيد على الحقيقة، واتَّفَقَ رأيُ الزّيديّة في عَصْرِهِ على التّقديم له في الرَّأْي والإمامة في الصّلاة تَيَمُّناً به وتَبَرُّكاً ومعرفةً لفَضْلِ عِلْمِهِ وقَصْدِهِ ووَرَعِهِ. قالوا: كان عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ﵀ حريصاً على إِحْياءِ الحقِّ، شديدَ المُثَاقَبة للتَّعْليم قدِ اعْتاظَ المُذاكرةَ في التّوحيد من كثيرٍ مِنَ التّسْبيح ومثله مِنَ العِبادة، وتَشاغَلَ به في فَراغِهِ وشُغْلِهِ.

وكان رَحّالاً في البلاد مِنْ أَجْلِ ذلك خاصّةً، ذا عِنايةٍ بمُناظَرَةِ شُيوخ المُخالفين، ومُتَكَلِّميهم، قَويَّ الكَسْرِ عليهم بأَقْطَعِ حُجَّةٍ، وأَحْسَنِ بَيانٍ، وأَقْرَبِ مُتَناوَلٍ، وأَوْجَزِ

لَفْظٍ، وأَلْطَف حيلة، حتّى لم يَبْقَ لأَحَدٍ منهم في البلادِ الّتي يختلفُ إليها كلامٌ أَلبَتَّةَ، فمنهم من ...[١]، ومنهم مَنِ انْقَمَعَ وانْجَحَر، ولم يَعُدْ إلى التَّعَرُّض لكَلامِهِ. ومنهم مَنْ عانَدَهُ وأَظْهَرَ التَّشْنيعَ عليه، ولا يَجِدُ إلّا ما يَنْكَشِفُ للعامّة والخاصّة فيه سلامةُ ساحَتِهِ، ونَقْصُ المُخالِفُ لَهُ، فلا يَحِيكُ ذلك في عُقولِ النّاسِ مع ما يَرَونَ مِنْ فَضْله»[٢].

٦- النُّوَيرة، محمّدُ بنُ أبي حجيّة السَّنْحانيُّ:

ترجمَهُ فقال: «هو محمّدُ بنُ أبي حجيّة السَّنْحانيُّ. وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ أَحَدُ الشُّيوخ بوَقَش في العَصْر قال: قال لي النُّوَيْرةُ: ما اسمي إلّا النُّوَيْرَة لا غير. ونَسَبُهُ في العنابس مِنْ سَنْحان. وكان مِنْ جُمْلَةِ جُنْدِ الدّولة الصُّلَيحيَّة، فتابَ إلى الله تعالى ولَحِقَ بجَماعة عُبّاد الزّيديّة بوَقَش، فبَلَغَ الدَّرَجات العُلى في الزُّهْد والعِبادَة والعِلْم، وتَفَرّد بالمَثَلِ المَضْروب في ذلك، وكان مَشْهورَ الفَضْلِ عالي الصِّيْت. وكان رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَرْفَقِ مَنْ يُعَلِّمُ المُبْتَدئَ ويُرْشِدُ الضّالّ، وهو ممّن أَخَذْتُ عنهُ شيئاً مِنْ أُصولِ اعْتِقادي في التّوحيد والعَدْل، وكان بَكِيءَ الكلامِ لازماً للصَّمْت، فإذا خَشيَ أَنْ يَغْفَلَ فيَقولَ فيما لا يَعْنيهِ جَعَلَ في فَمِهِ حَصاةً، فإذا وَجَبَ عليه الكلامُ أَخْرَجها، وإنْ لم يَلْزَمْهُ ذلك أَمْسَكها، وكان يَلْزَمُ قراءة كتاب أبي مُطِيعٍ في **(أخبار الزُّهّاد والعُبّاد)**، ويَجْعَلُهُ جَليسَهُ، ويَقْتَدي بمَذاهبِ المُؤْثِرين للآخرة جُهْدَهُ. وبَلَغَ مِنْ بَرَكَتِهِ أنّه كان يُشْرَك في أَعْمالِ البَهائمِ وفي المَزْروع والأَموال الّتي يُخافُ عليها الآفات فتَسْلَم، وتأتي على ما يُحِبُّ أَهْلُها»[٣].

* * *

(١) ثمّة طَمْسٌ بالأصل قدر كلمتين، كأنّه متعمَّد.

(٢) الصّفحة: ١١٩، ١٢٠.

(٣) الصّفحة: ٤٢١.

المُطَرِّفيَّة

كانتِ الزّيديّة وقت ظُهور المُطَرِّفيّة تنقسم قسمين -كلاهما مِنْ شيعة الهادي يحيى بن الحسين الرَّسّيّ- هما: المُخْتَرِعة، والمُبْتَدِعة المُطَرِّفيّة، نسبةً إلى مُطَرِّف بن شِهاب بن عمرو بن عبّاد الشِّهابيّ من رجال القرن الخامس، وكانت المُطَرِّفيّة من أتباع مذهب الهادي في الفُروع، ولا يَرون جواز الخروج عليه، ويعتقدون الحقَّ في الاجتهادات لكلِّ مجتهدٍ[١].

كانت المُطَرفيّةُ عظيمةَ الإقبال على العِلْم والاشتغال به، غَلَب عليها الوَرَعُ والزُّهدَ والإخلاص في الطّاعة والعبادة، وكانت على مذهب المعتزلة في الأُصول إلّا أنّهم قالوا بخَلْق العناصر الأربعة: الماء والتّراب والهَواء والنّار، وبالانْفِعال فيها وراء ذلك.

خالفتِ المُطَرفيّةُ الزّيديّةَ في أهمّ مبادئها الأُصوليّة، وهي الإمامة، فلم يشترطوا النّسبَ في من يتولّاها، وقال علماؤها: «إنّ الإمامة جائزةٌ في جميع النّاس لا يختصُّ بها قومٌ دون قوم آخرين، وإنّما تُستَحَقُّ بالفَضْل والطَّلَب، وإِجْماع كلمةِ الشّورى». وقد جَلَب عليهم الجَهْر بهذا الرّأي غضبَ الإمام عبد الله بن حَمْزة ونقمتَهُ، فلم يقبل اجتهادهم في هذه المسألة، وكفّرهم وجَعَلَ حكمَهم حُكْمَ الحَرْبيِّين، واستحلّ دماءهم وأموالهم، وأَخْرَبَ ديارهم، وجعل مساجدَهم مساجدَ ضِرار فخَرَّبَها.

وقد لقيتِ المُطَرِّفيّة من غُلاةِ الزّيديّة كعبد الله بن حَمْزة ما لقيت، على أنّها لم تكن بمنأًى عن الغَمْز من المُعتدلين من علماء الزّيديّة أيضًا، فهذا يحيى بن الحُسين يَغْمزهم في أثناء الحديث عنهم في كتابه (الطّبقات الصّغرى): «واعْلَمْ أنّي ما ذَكَرْتُ المُطَرِّفيّة في هذا الكتابِ

---

(١) انظر الفصل الذي بناهُ الأستاذ علي محمّد زيد عن المطرفيّة في كتابه (تيارات معتزلة اليمن): ٦٤، وما بعدها.

إلّا لأَجْلِ أنَّ منهم مَنْ رَجَعَ عَنِ اعْتِقادِهم فيكون مِنْ جُمْلَةِ الهَدَويّة المُخْتَرِعَة الخُلَّص، ومَنْ لم يكن رَجَعَ منهم فذِكْرُهُ لأَجْلِ معرفةِ أُصولهم الفانية وأَقْوالهم المُبْتَدعة المُتَناثرة ممّا أَسْتَفِيدُ مِنْ أَقْوالهم لئلّا يَغْتَرَّ مُغْتَرٌّ -والعِياذ بالله- بقَولِ أَحَدٍ منهم، واللهُ أَعْلَمُ وإلى هنا انْتَهَى بنا الكَلامُ في ذِكْر المُطَرِّفِيّة ممّن وَقَفْنا عليه»(١).

وكذلك كان عُلماءُ المُطَرِّفيّة يَغْمزون المُخترعة، ويُنْكرون عليهم ما كانوا عليه، وفي ذلك يقول مُسَلَّمٌ اللَّحْجيّ: «وأَخْبَرَني عيسى بنُ داودَ الرَّيْديُّ، وكان مِنْ أَهْل الصّلاة، وظاهرَ الخير مِنَ الزّيديّة، وممّن تَثِقُ بحديثه؛ قال: قال لي ابنُ عمّي أيّوبُ بنُ محمّدٍ -وكنتُ أعرفُهُ يَقولُ بالاخْتِراع، ويَغْلو في حُبِّ أَهْلِهِ وبُغْضِ مُخالِفِيهم، ثمّ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ ذلك وتابَ منه، واعْتَذَر إلى مَنْ قَدَرَ على الوُصول إليه مِنَ **المُطَرِّفيّة**، وتَحَلَّلَ منهم»(٢).

وقد رَصَدَ مُسَلَّمٌ اللَّحجيّ أيضاً معاناتهم وتعاقب الدّول على حربهم، فقال: «وقد ذكرتُ في أَثْناء هذا الكتاب ممّا يَدُلُّ على عظيم ما ابْتُلَيْتْ به الزّيديّة باليَمَن بعد أئمّتهم، عليهم السّلام، مِنْ تَداوُلِ الدُّوَل، وخَلْفِ الأَخْلاف في المَذاهب والمِلَل، وعِشْرَةِ مَنْ يُدْنِيهم شيئاً ومَنْ يُقْصِيهم جَهْدَهُ مِنَ الظَّلَمَة ما يكفي شاهداً، ويَقومُ مُنادياً بأَعْلى الصَّوت على فَضْلهم وإخلاصهم لله وفي الله، وصَبْرهم على بلائه. كنحو ما عاشَروهُ مِنْ مُداراةِ الحواليِّين وآلِ الضَّحّاك وبني حمّادٍ مِنْ هَمْدان، وبَلْوَتِهم عليهم في التَّشَيُّع مَرَّةً، وفي دعوى التَّسَنُّنِ والمَيْلِ إلى المُسَوِّدة مَرَّةً أخرى. ثمّ مِنْ خوف الصُّلَيحيِّين ومَنْ في دَوْلَتهم مِنْ أَنْصارها مِنَ الجُنْد والسَّلاطين العُتاة ممّن قد سَفَكَ منهم الدِّماء، وخَرَّبَ الدِّيار والقُرَى، ثمّ من قِلَّةِ رِفْق أَهْلِهِ مَقالَتهم بهم، كنَحْو ما كان مِنْ تَشَيُّع بعضِ الشِّيْعةِ والأَشْراف وجَفائِهم لهم. ومَنْ يَنْظُرُ في هذا الكتاب، ويَتَأَمَّلُ ما فيه يَقِفُ على ذلك، ويَعْلَمُ منه قَدْرَ ذلك»(٣).

---

(١) مخطوط الطّبقات الصّغرى (المُنْتَطاب): الورقة: ٥٩أ.

(٢) الصّفحة: ٤٣٨.

(٣) الصّفحة: ٣٣٥.

هِجَر المُطَرِّفيّة

كانت للمُطَرِّفيّة هِجَرٌ للعِلْم كثيرة، منها: هِجْرة آل أبي عبد الله، وإِسْبِيل، والبَرَوِيّة، وثَـوْمَح، والجَبجـب، وجَنْـب (محجـر جنـب)، والحَظْفَـر، وحَمِـدة، وشَـوْحَط، وصـارَة، والصَّيَد، والعَشّة، والهَراثِم.

وأشهرُ هِجَرِهم وأَسْيرُها ذِكْراً وخَبَراً: **الرَّوْعة** و**سَناع** و**شَظَب** (الظَّهْراوين) و**قاعة** و**وَقَش**، وفيما يأتي تفصيلٌ لأخبار هذه الهِجَر وتِبْيان مواقعها نقلاً عن هِجَر العِلم للقاضي إسماعيل الأكوع:

هِجْرَة الرَّوْعة: «كانت من هجر المطرفية المشهورة، وتقع في مخلاف الحدب من بني مَطَر المعروف قديما بحَضور الأحدوب، وهي اليوم خربة لم يبق فيها سوى بيت عامر مسكون»(١).

هجرة سناع: «بلدٌ عامرةٌ من متنزهات صنعاء، وتقع إلى الجنوب الغربي منها على بعد نحو ستة كيلو مترات، وقد اتصل عمران صنعاء بها في وقتنا، وكذلك إلى حدَّة وكلاهما من مخلاف بني شهاب من ناحية بني مطر. وصفها أحدُ الشّعراء بقوله مع التّورية:

من يَقُل في البلاد غير سناعٍ فاجلدوه فقد تجاوز حَدَّه

أسسها هجرةً مطرّفُ بن شهابٍ، وكان له بها منزلٌ وبنى بها مسجد عُرابة، وكان مدرسةً للمُطرّفية، وذكر أحمد بن عبد الله الوزير في كتابه (الفضائل) أن الإمام عبد الله بن حمزة دخل هذا المسجد أيام بقائه في سَناع للدراسة عند الشيخ الحسن بن محمد الرصّاص،

---

(١) هجر العلم: ٢/٩٠٤.

فكتب في جداره قوله:

أقسمتُ حِلفةَ صادقٍ بَرٍّ وفي   لا يَدْخُلَنَّكَ ما حَيِيْتُ مُطرّفي

فلمّا رأى أحد المطرفيّة ذلك كتب تحته:

أوَ ما علمتَ بأن كلَّ مطرفي   عمّا عَمرتَ من الكنائس مكتفي

أنتم ومسجدُكم ومذهبُكم معاً   كذبالةٍ في وسط مُصباح طُفي

واستمرت سَناع مزدهرةً بالعلم لقرون عديدة حتى عهد قريب أدركناه، وكانت مستَقَرًّا لبعض العلماء، إلا أني لم أهتد إلى معرفة من له صلة بسناع من العلماء من القرن الهجري السابع إلى القرن الثالث عشر»[(١)].

هجرة شَظَب (الظَّهْراوين): «كانت هجرةً عامرةً، وقد أتى عليها الخَراب، ولم يبق إلّا بيتان مسكونان فقط ومسجدها، وبجواره قُبّةٌ صغيرةٌ على قبر، يُقال إنّ صاحبه عليّ بن المرتضى جدّ الإمام محمّد بن إبراهيم الوزير، وكانت تدعى (**هجرة شَظَب**) نسبةً إلى الجبل الذي تقع فيه، وأحياناً تُدعى (هجرة بني حجّاج) نسبةً إلى العُزلة التي يقع جبل شَظَب فيها، وتدعى اليوم (الهجرة)، وتقع في الشّرق من (السّودة) الّتي تقدّم ذكرها على بعد نحو ثلاثة كيلو مترات منها تقريباً، كما أنّها تقع جنوب جبل (سِدارة) والجبل الأبيض وما بين الهجرة وجبل سِدارة تقع مقبرة (جِزْع عِناش) التي يُقال لها اليوم (عِنَيْشات). وقد رأيتُ في هذه المقبرة شواهدَ قبورٍ لبعض علماء الهجرة لم أتمكّن من قراءتها لتآكل الكتابة المزبورة على الأحجار، وفي الطّرف الغربيّ من هذه المقبرة قبر حُمَيْدان بن يحيى القاسمي الآتية ترجمته. وتبعد هذه الهجرة عن صنعاء شمالاً بغرب بنحو مئة كيلو متر وبضعة كيلو مترات، ومن مدينة (عَمْران) بنحو ٥٨ كيلو متر»[(٢)].

---

(١) هجر العلم: ٢/ ٩٥٤-٩٥٥.

(٢) هجر العلم: ٣/ ١٣٣٩-١٣٤٠.

هِجْرة قاعة: ذكر مُسَلَّمٌ أنّ بانيها هو عُليّان، فقال: «وابْتَنَى عُلَيّانُ ﵀ وأصحابُهُ ببلد حِمْيَر هذه الهِجْرَةَ، الّتي تُعْرَفُ بِهجْرَة قاعَة، الّتي هي باقيةٌ إلى الآن، عمرها الله بحِياطَتِهِ. فكان هذا مِنْ عَجائبِ الأَشْياء، وعظيم الآيات»[(١)]. وقد ذكرها الأكوع قائلاً: «قريةٌ صغيرةٌ عامرةٌ آهلة بالسّكان من عزلة عيال حاتم، من ربع ذَرحان، من جبل عيال يزيد، وتقع في أعلى وادي قاعة المعروف بوادي الهجرة، المتّصل بوادي حِمْير (حقل) البون من جهة الغرب. وتبعد عن مدينة عمران غرباً بنحو اثني عشر كيلو متراً تقريباً، وعن صنعاء بأكثر من ستين كيلو متراً»[(٢)].

هجرة وقش: «قريةٌ عامرةٌ من مخلاف (بني قيس) من أعمال بني مَطَر (بلاد البستان) ثم من أعمال صنعاء. وتقع في السّفح الشمالي لجبل عرب، وإلى الشّرق منها جبل قَيفان، ومن الشمال جبل مَهْرة وسَمر، ومن الغرب وادي وقش. كانت هجرةً مشهورةً، زاخرةً بالعلماء، مقصودة لطلب العلم من أماكن مختلفة لمئات السنين، وذلك كما وصفها ابن أبي الرجال بقوله: كانت مطالعَ الكمال، وغايةَ شدّ الرحال، فيها الخطيب المِسْلاق، والعالم الزاخرُ الأمواج، والزاهدُ الناسك، وفيها قبورُ جملة من العلماء، وإلى ذلك يُشير بعضُهم:

في الشِّعب من وَقَش عقولٌ راجحه ومشايخٌ سلكوا الطّريقَ الواضحه

... هذا وقد شنّ عبدُ الله بن حمزة على المطرفية سنة ٦١٣هـ حرباً ضارية ظالمة، وكانت وقش من أعظم معاقلهم وهجرهم، فهدم مساكنَهم وأخرب مساجدَهم وأتلف تُراثَهم الفكري على نحو ما روى يحيى بن الحسين في كتابه (إنباء الزمن) في أخبار سنة ٦١٢هـ بقوله: وفي هذه السنة لما ملك المنصور بالله صنعاء وذمار، واستولى على الجبال

(١) الصّفحة: ١٩٠.

(٢) هجر العلم: ٤/٢٣٠٣.

وزالت دولةُ الغُزّ (الأيوبيين) منها، وجرّد إلى بيحان وعاد، ثم أمر الإمامُ عبدَ الله بن مرحب الحرازي بخراب هجرة وقش فهرب أهلها منها إلى بلاد خولان، وبعضهم إلى بني الروية (وادي السِّرّ). قال صاحب سيرته -أي سيرة الإمام عبد الله بن حمزة-: فأخربها وأخرب أحدَ مساجدها، وسماه مسجد الضرار لكونها هجرةَ المطرفية من الزيدية لما وقع بينَه وبينهم من الشقاق، وأمر بجميع أبوابها وأخشابها أن تُنْقَل إلى قاهرة ظفار (الظاهر) وكذلك أخرب الإمام مسجد المطرفية الذي كان بسناع قرب صنعاء المسمى مسجد عرابة، ولم يبق الآن إلا آثاره معروفة عند أهل البلد. وقد وصف إمامُ السنة محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠هـ محنةَ وقش ونكبتَها معزياً لها بعد مرور أكثر من مئتي عام على وقوع نكبتها بقوله:

لا تجزعي إن ظمئت يا وقشُ ... أوِ امتحى من بِناك ما رقشوا
أو غاب عنك الأولى دعوا شفقا ... تعاهدتك العِهادُ يا وَقَشُ»[1].

* * *

(١) هجر العلم: ٤/٢٣٤٣-٢٣٤٥.

وصف المخطوطة

اعتمدتُ في تحقيق هذا الجزء على مصوّرة مخطوطةٍ يتيمةٍ محفوظةٍ بمكتبة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، تحت رقم: ٢٤٤٩[١]، اشتريت من مكتبة لبنان العربيّة. كُتِبت بالحِبر الأسود على ورقٍ عربيّ سميك، كُتِب على غِلافها: «الجزء الرّابع من كتاب أخبار الزّيديّة، عليهم السّلام، وشيعتهم باليمن، ممّا جمعه وألّفه الشّيخ أبو الغَمْر، مسلم بن محمد بن جعفرٍ اللَّحجيّ، أجزل الله ثوابه»، ثمّ ذُيّل العنوان ببيتين مِن الشِّعر، وتمليك للشّريف محمّد بن المفضّل بن الحجّاج.

سَبَقَ صفحةَ العنوان ستُّ أوراقٍ حوامٍ، غَصّت بفوائدَ متفرّقة، منها: ذِكْر وفاة عليّ بن الفَضْل بالمُذَيْخِرة، وذِكْر هِجْرَة وقش عن القاموس، وأبياتٌ للمرتضى بن المفضّل في التّشوّق إلى هذه الهجرة، وفائدة فيها ذكر استشهاد الإمام المهديّ لدين الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم، وغير ذلك.

أوّل المخطوطة: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، والحمد لله وصلواتُهُ على مُحمّدٍ وآله الطّيّبين وسلامُهُ، في هذا الجزء **تمامُ أَخْبار أَهْل الطّبقة الثّالثة مِنَ الزّيديّة باليَمَن**، وقد ذَكَرْناهم وسائر الطّبقاتِ على غيرِ ترتيبٍ لأوّل طبقةٍ على أَوْسَطِها أو آخِرِها؛ لأنّ ذلك كلَّهُ يَثْقُلُ، ويَشُقُّ تَفَقُّدُهُ وحِراسة تاريخه»[٢].

وآخرها: «فقلتُ أنا لعليِّ بن يحيى: إنّ عند الحسينِ بنِ القاسم ممّا هو مَسْطورٌ في كُتُبِهِ: إنّ البَهائم تُبْعَثُ يوم القيامة وتَدْخُلُ الجَنَّةَ وتَنَعَّمُ. وأنّ الله تعالى لا يَفْعَلُ ذلك بها إلّا وقد جعل لها عُقولاً تَعْرِفُ بها ذلك، وإذا جَعَلَ لها عُقولاً لم يُجِزْ أَنْ يجعلها في الصُّوَر الّتي

(١) انظر الفهرس الوصفيّ لمخطوطات السّيرة النّبويّة ومتعلّقاتها: ٢/٦٧-٧١.

(٢) الصّفحة: ٢.

تُسْتَقْبَح وتَسوؤُها، فيَجْعَلُها في صُوَرٍ تُسْتَحْسَنُ؛ وهذا فهو رَأْي بعضُ أَهْلِ التَّناسُخ»[١].

المقابلة: قُوبلت هذه النّسخة على أصلها بحسب ما ذُكر في آخرها، وفيه:«**قُوْبِلَ على الأَصْلِ فَصَحّ** »[٢]، وبعدَهُ في الحاشية **فائدتان، الأولى** في ذِكْر وَفاة الفقيه يحيى بن الحسين بن عبد الله بِهجْرة وَقَش، **والثّانية** في ذِكْر مَقْدَم العلّامة جعفر بن أحمد بن عبد السّلام مِن العِراق إلى اليَمَن سنة ٥٥٤هـ.

أُلْحق بنهاية المخطوطة ورقتان حامِيتان، تَضَمَّنَتَا قصيدةً رائيّةً لإبراهيم بن الحدوّ في رِثاء الهادي إلى الحقّ تُربي على أربعين بيتًا، أوّلها[٣]:

دُمُوعٌ مَرَتْها فاسْتَهَلَّ غَزيرُها ... حَراراتُ ثُكْلٍ لَيْسَ يَخْبو سَعيرُها

وآخرها:

وما غَيَّرَ اللهُ المُهَيْمِنُ نِعْمَةً ... بِقومٍ ولم يُبْدِ الغِيارَ كَفورُها

وقد اعتمدت في إثبات أرقام المخطوطة وَفق الصّفحات، رغم وجود ترقيماتٍ ثلاثة كلّها محدث، واحدٌ منها بالأَلْواح (٦ب-١٨٤ب)، والآخران بالصّفحات، أحدهما حُفَّتِ الأرقام فيه بهلالين (١-٣٥٥)، على أنّه لم يُراعَ في التّرقيم الطُّرُق الفنيّة، وإنّما خُطّ بخطٍّ أسودَ عريضٍ في منتصف أعلى الصّفحة، كان يُلامِسُ أحياناً المَتْن، بل يَجورُ أحياناً على بعض حُروفه. وعدد أسطر صفحاتها بين ٢٠ و٢٦. وقد اختلّ تتابع التّرقيم في غير موضع من المخطوط، فالصّفحة (٥٢) تعقبها صفحة من دون ترقيم، ثمّ تعقبها أخرى تحمل الرّقم (٥٢) أيضًا؛ ولتلافي هذا الخلل رقّمت الصّفحة بما تستحقّه، أي (٥٤)، ثمّ تتالت الصّفحات بعدها في النّصّ المحقّق بفارق رقمين زائدين على ما هو في المخطوطة حتّى نهايتها (٣٥٥)، ثمّ يعقب هذا التّرقيم ثلاث صفحات حوامٍ.

---

(١) الصّفحة: ٥٧٨.

(٢) الصّفحة نفسها، ولكن بخطٍّ مغاير.

(٣) الصّفحة: ٥٧٨.

خَلَتِ النُّسخة من ذِكْر النّاسخ، لكنّه فيما بدا من نِساخته كان من ذوي العِلْم والمُكْنة بالعربيّة، وله يَدٌ في النِّساخة، حاكى رسمُهُ أحياناً رَسْم المُصْحف، نحو: الرّحمن، الصّلوة، الزّكوة، القيمة، إلى غير ذلك.

كتبتِ النّسخة بقلمٍ رفيعٍ عدا أسماء التّراجم، وبخطٍّ نسخيٍّ جيّد، أبرز فيه قَوائم الكلمة وزَواياها، وما يَلْحق بها من علامات الإِعْجام والإِهْمال والضّبط، وإِنْ خَلَت بعضُ الكلمات من ذلك فذاك في حُكْم النُّدْرة. وكانت الكتابةُ بالحِبْر الأسود غير أنّ تَقادُمَ العَهْد جار عليه فأحاله إلى البُنِّيّ، واستعمل الحبر الأحمر في موضعين بخطٍّ مغاير (٦ب-١٧١أ حاشية).

لم يَحِدِ النّاسخُ عَنِ المنهج الّذي ارتضاهُ لنفسِهِ في النِّساخة إلّا للضّرورة الملحّة، فالأسطرُ منسّقةٌ نسقاً واحداً إلّا أنّه قد يضطرّ لتغيير طريقة الرّسم المعتادة في بعض بدايات الأسطر ونهاياتها لتَزاحُم الكلمات، فيقسم الكلمة بين السّطرين، نهاية السّطر الّذي هي فيه، وبداية الّذي يَتْلوهُ.

خَلَتِ النّسخة من نظامِ التّعقيبة على الرّغم من إعادة كتابة بعض الكلمات في بداية بعض الصّفحات، وهي في نهاية الّتي سبقتها، ممّا يُوهم أنّ ثمّة تعقيبةً، لكنّ كَثْرةَ وجود هذا التّكرار في المتن نفسِهِ يدفع هذا الوهم، ويقوّي كونَهُ سَهْواً ليس غير.

جار التّرميمُ البدائيّ على صفحاتها الأولى فأتى على شيءٍ مِنَ المَتْن، وعلى الشّروحات والحواشي الّتي زُبرت بأقلامٍ يختلف خطُّها ورَسْمُها عن المَتْن. وقد جُلِّدت تجليداً يمانياً بورقٍ مقوًّى سميك الجِرْم، وغُلِّفت بجلدٍ بُنِّيٍّ داكنٍ زُيِّنت دَفّتاهُ بخطوطٍ متوازيةٍ ومتعامدةٍ.

وفي الختام لا بدّ من شُكْر الأستاذ المؤرّخ زيد الوزير لبَذْلِهِ مصوَّرته الخاصّة عن مخطوط هذا الكتاب بشفاعة الدّكتور محمّد محمّد مطهر صاحب الأيادي البيض، وكذا شُكْر الأستاذين: عبد الله علويّ البابكيّ، وهشام حسين الأَهْدل، على ما بذلاه في المجمع من عظيم جهدٍ لإخراج هذه الكتاب؛ واللهَ أسأل لهما المثوبة والأجر.

كتبه نَزيل صَنْعاء المحروسة

مقبل التّام عامر الأحمديّ

٨/١٠/٢٠١٥م

صور المخطوطة


(١)
الجزء الرابع من كتاب اخبار
الزيدية من اهل البيت عليهم السلم وشيعتهم باليمن
جمعه والفه الشيخ الفاضل ابو الغمر مسلم
بن محمد بن جعفر اللحجي اجزل الله ثوابه
نفعه الله

صفحة الغلاف



الورقة الأولى من النّصّ المحقّق



الورقة الأخيرة من النّصّ المحقّق

الجزء الرابع

من كتاب

أخبار الزيدية

من أهل البيت، عليهم السلام، وشيعتهم باليمن

[المطرفية]

[عن مخطوطة يتيمة نسخت سنة ٥٦٦ هـ، وقوبلت على الأصل فصحت]

مما جمعه وألفه

الشيخ الفاضل أبو الغمر

مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي

أجزل الله ثوابه

[كان حياً سنة ٥٣٠هـ]

اعتنى به وضبطه

الدكتور مقبل التام عامر الأحمدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحَمْدُ لله وصَلَواتُهُ على مَحمّدٍ وآله الطّيّبين وسلامُهُ.

في هذا الجزء **تمامُ أَخْبار أَهْل الطّبقة الثّالثة مِنَ الزّيديّة باليمن**، وقد ذَكَرْناهم وسائر الطّبقاتِ على غيرِ ترتيبٍ لأوّل طبقةٍ على أَوْسَطِها أو آخِرِها لأنّ ذلك كـ[ـلّهُ][(١)] يَثْقُلُ، ويَشُقُّ تَفَقُّدُهُ وحِراسة تاريخه.

فَمِنْ هذه الطَّبَقة ثمّ مِنْ آخِرِها في التّاريخ دونَ الفَضْلِ رِجالٌ قد دَخلوا في أَثْناء سِواهُم؛ منهم: الشّريفُ القاضي بمَشْرِق بلاد هَمْدان:

محمّدُ بنُ أحمد بن عليّ بنِ إبراهيم بنِ المُحْسِن العَلَويُّ

وكان -فيما بَلَغَني- أَحَدَ فُقَهاء الزّيديّة باليَمَن، وأَحَدَ عُلَمائهم وذَوي الدِّيانَةِ والفَضْل مِنْ آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه، وكان يَنْزِلُ بالنّاعِط مِنْ بَلَدِ ذَيْبان من أَرْحَبَ، ونَواحٍ أُخَرَ مِنْ نَحْو وَرْوَر وغيرها، وكان جَمّاعاً للكُتُبِ ووارِثاً لجَيِّدِها، لاسيّما كُتُبُ آلِ محمّدٍ، صلّى الله عليه وعليهم.

أَخْبَرَني ابنُهُ أحمدُ بنُ محمّدٍ، وقد كانت لي بِهِ مَعْرفةٌ وصُحْبَة، وكان ذا دِيْنٍ ومَعْرِفةٍ بما يُحْتاجُ إليه مِنَ الأُصول، خَبيراً بأَخْبارِ الزّيديّة مِنْ آبائِهِ وسائرِ آلِ محمّدٍ، صلّى الله عليه وعليهم، وشِيْعَتِهم رحمهم الله؛ قال: كان في خِزانة أبي رحمه الله ستُّ مئةِ مجلّدٍ فيها عُيونُ كُتُبِ آلِ محمّدٍ، صلّى الله عليه، وجَلائِلها وغَرائِبها المَعْدومة، وكان منها ما وَرِثَ مِنْ كُتُبِ جَدِّهِ

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين زيادةٌ تحوّجها المعنى ودلّ عليه ما بقي من الرّسم بعد جَور التّرميم البدائيّ عليه.

إبراهيمَ بن المُحْسِن رَحِمَهُ الله[١] ممّا هو بخَطِّ المُرْتَضى محمّد بن يحيى، عليهما السّلام، ممّا كَتَبَ بهِجْرَة الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، بالغَيْل مِنْ صَعْدة، ومنها ممّا كَتَب بدَرْب النّاصرِ لدِيْنِ الله أحمدَ بنِ يحيى، عليهما السّلام، المعروفِ فيما بين الغَيْل مِنْ صَعْدة ودَرْب يُرْسُم. ومنها ما هو بخَطِّ الشّيخ أبي الحسين أحمدَ بنِ موسى الطَّبَريّ رَحِمَهُ الله، في عُلوم آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه. ومنها ما اكْتَسَبَ[٢] هو من سائر الكُتُب.

وكان هذا الشّريفُ عَدْلاً بين الزّيديّة مَرْضِيًّا عندهم، يَرْجِعون إلى رَأْيِه، ويُؤَلِّف بينهم عند الفُرْقَة، ويَقْضي عند الخُصومة؛ وناهِيْك بمَنْ يَرْضَى بِهِ فَرِيْقَا الزّيديّة باليَمَن فِيْما بينهم ويُسَلِّمون له.

فأَخْبَرَني ابنُهُ أيضاً -أحمدُ بنُ محمّدٍ- وأنا في جماعةٍ مِنَ الزّيديّة، قال: أَخْبَرَني أخي العبّاسُ بنُ محمّدٍ -وكان أَكْبَرَهما سِنًّا وأَعْلَمَهما، وكنت أَعْرِفُهُ أَنا- قال: قال: كان أبي رَحِمَهُ الله قد أَسْلَمَني للتَّأْدِيْبِ وتَعْليم القرآن[٢]، وأنا غُلامٌ حَدَثُ السِّنِّ إلى الشّيخ عليِّ بنِ أحمد بن أبي رَزين رَحِمَهُ الله بمَدَر مِنْ مَشْرق حاشِد، فكنتُ في جملةِ مَنْ يَتَعَلَّمُ عندَهُ، وكان مُعَظَّماً في أَهْل العِلْم، مُعْتَرَفاً له بالفَضْل مَقْصوداً للتّعليم والاسْتِرْشاد، فبَيْنا نحن كذلك إذْ قَدِمَ علينا جماعةٌ مِنَ الزّيديّة ممّن يَعْظُمُ قَدْرُهُ ويُعْرَفُ فَضْلُهُ نحو: إبراهيمَ بنِ أحمد الصَّبَريِّ، والحسينِ بنِ عبد الحميد الخلطيّ المَسْوريّ، والحسينِ السَّرّاجِ الصَّنْعانيِّ، ومحمّدِ بنِ جابرٍ الحِجازيِّ، ويوسُفَ البَوْرعيِّ مِنْ أهل بَرّان مِنْ بلادِ نِهْم، وسلامةَ بنِ حادثٍ مُعَلِّم زُنَيْج ببَرّان أيضاً؛ وهؤلاء كُلُّهم ممّن يَرَى رَأْياً واحداً في العَدْل والتّوحيد ويَنْصُرُهُ. فبَيْنا هم كذلك إذْ أَقْبَلَ إليهم نَفَرٌ من مُخالِفِيْهم ممّن يَقولُ باخْتِراعِ الأَعْراضِ بين الله وبين الأَجْسام، وخَلْقِ أَفْعال العِباد في الثّمانية عشرَ أَصْلاً الّتي أَخَذَ اللهُ بآدابها خَلْقَهُ، وخَلَقَ الشّيءَ شيئاً

---

(١) يريد جدَّهُ الأعلى، أمّا جدُّهُ الأدنى فهو عليّ بن إبراهيم بن المحسن.

(٢) على أنّ الرَّسْم قد يحتمل أن يُقرأ: «اكتتب».

والإمامَ إماماً، وتفضيلَ بعضِ العِباد على بعضٍ في الخَلْق والرِّزْق والمَوت والحياة والتَّعَبُّد والمُجازاة لا لعَمَلٍ ولا بعَمَلٍ، ونَحْو ذلك مِنْ مسائل الخِلاف.

وكان أَمْرُ الكلامِ فيهم والجِدال إلى آلِ عَمّارٍ، وهم قومٌ كانوا يَنْزِلون ناعِط ومَدَر مِنْ مَشْرق حاشِد، منهم يحيى بن عمّار المُتَكَلِّم في الاخْتِراع ونَحْوِهِ؛ فطالبوهم بالمُناظَرَةِ حتّى دارَ بينهم الكلامُ في ذلك، وأَلْجَأَهُم الصَّبَرِيُّ وأَصْحابُهُ إلى الانْقِطاع عَقْلاً، فطالبوهم على ذلك بشَهادةٍ سَماعيَّةٍ مِنْ كُتِبِ آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه، لاسِيَّما في المساواة مِنَ الله، تبارك وتعالى، بين عِبادة في أفعاله السِّتّة الّتي هي: الخَلْق والرِّزْق والتَّعَبُّد والمُجازاة والموتُ والحياة، فاسْتَشْهَدوا مسألةَ العَدْل مِنْ كلامِ المُرْتَضى لدِيْنِ الله محمّدِ بنِ يحيى، عليهما السّلام.

فلمّا سَمِعَ ما فيها آلُ عَمّارٍ وأَصْحابُهم رأوا ما لا سَبيلَ لهم مَعَهُ إلى التّأويل والمُدافَعَة فجَحَدوا الكتابَ أَنْ يكون لمحمّدِ بنِ يحيى، عليهما السّلام، ومِنْ كلامِهِ، وزَعَمَ بعضُهم أَنَّهُ مَصْنوعٌ؛ فارْتاعَ لذلك النّاسُ واحْتاجوا إلى أَنْ يَسْأَلوا أبي ﷺ عَنْ هذا الكتابِ: أَمَعْروفٌ هو من كُتِب محمّدِ بنِ يحيى، عليهما السّلام، أم لا؟ وكان يومئذٍ بالنّاعِط مِنْ بلد ذَيْبان.

فأَجْمَع رأيُهُم ورأيُ خُصَمائهم العَمّارِيِّين ومَنْ معهم على تَحْكيمه في ذلك، والسُّؤالِ لَهُ عَنْ هذا الكتاب. فبعثوا إليه، فلمّا بَلَغَهُ رِسالَتُهم رأى أنّ الفَريضة قد لَزِمَتْهُ، لاسِيَّما في مثل هذا الأَمْرِ العظيم مِنْ جَحْد كُتُبِ العِتْرة، ودَفْعِ نُصوص المِلَّة، فأقبل مُبادِراً لا يَأْنَفُ ولا يَتَوَقَّف، وحَمَلَ معه هذا الكتابَ[٣]، وكان عندَهُ بخَطِّ المُرْتَضَى محمّدِ بنِ يحيى، عليهما السّلام، مَرْويًّا عَنْ آبائه معروفاً إِسْنادُهُ عندهم عنه، عليه السّلام، حتّى قَدِمَ به عليهم فأَوْقَفَهم عليه، ووَقَّفَهم على معرفتِهِ به وشهادتِهِ بصحّته مِنْ قِبَلِ ما عَلِمَ به عَنْ سَلَفِهِ، رحمهم الله، عَنْ جَدِّهم إبراهيمَ بنِ المحسن ﷺ، وأنّه مِنْ كُتُبِهِ الّتي اكْتَسَبَ في صُحْبَةِ

ابْنَي الهادي، عليهم السّلام، بصَعْدَةَ ودَرْبِ النّاصرِ، فلم يستطع آلُ عَمّارٍ تَكْذِيبَهُ ولا خِلافَهُ في ذلك المشهد، ثمّ لم ينتهوا عَنْ لُزوم ما كانوا عليه، وأَحْسِبُهُم ماتوا على ذلك.

وأَخْبَرَني هذا الشّريفُ أحمدُ بنُ محمّد بن أحمد بن عليّ العَلَويُّ أَنَّهُ رأى هذا الكتابَ الّذي فيه مسألةُ العَدْل في كُتُب آبائِهِ هذه، وهو هذا الّذي قَدِمَ بِهِ أَبوهُ إلى الشِّيْعةِ بمَدَر وأَوْقَفَهم عليه. ورَوَى عَنْ أخيه عَنْ أبيه معرفتَهُ، قال: وكان خَطُّ المُرْتَضَى، عليه السّلام، فيه بقَلَمٍ دقيقٍ، يريني أنّه يَتَصَوّرُ صورتَهُ، إلى أَنْ أَخْبَرَني بذلك مكتوباً في آخِرِهِ: «وكَتَبَ **محمّدُ بنُ يحيى**».

قال الشّيخُ الفاضلُ مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيُّ -أَيَّدَهُ الله-: وقد سمعتُ كثيراً مِنَ النّاس يُخْبِرون أَنّ هؤلاء المُخالفين يَزْعُمون أَنّ مَسْأَلةَ العَدْل هذه -مع ما شَهَرَ الله به فَخْرَ هذا الموقف وبين هذه الجماعة، بهذا الإِسْناد وبهذا الخَطِّ الشّريف الكريم على الله- لرَجُلٍ يُقالُ له: جَهْضَم، كنتُ لا أدري مَنْ هو، وأنّه لا يُشْهَرُ مكانُهُ بين أهل العِلْم، ثمّ أُخْبرتُ أنّه كان مِنْ شُيوخ الزّيديّة يُدْعَى جَهْضَمَ بنَ محمّدٍ، وكان صِهْراً للطَّبَريِّ ﵀، ووَجَدْتُ ذِكْرَهُ بعدُ في كُتُبِ الشّيخِ أبي السُّعودِ بنِ زيدٍ ﵀.

وكذلك أَخْبَرَني هذا الشّريفُ أحمدُ بنُ محمّدٍ العَلَويُّ أنّه سَمِعَ بذلك، فلقد رأيتُ مِنْ شدّةِ غَضَبِهِ لله في ذلك عَجَباً، ولقد قال لي ولِمَنْ سَمِعَ إِسْنادَهُ هذا: إِنْ سَأَلْتُموني اليَمين بالله تعالى على سَماعي هذا الإِسْنادَ لهذه المَسألةِ عَنْ أخي العبّاسِ بنِ محمّد بن أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن المحسن عَنْ أبيه عَنْ آبائه عَنْ محمّدِ بنِ يحيى، عليهما السّلام= حَلَفْتُ، كم شئتم ومتى شئتم. فعَلِمْنا أَنّ ذلك منه لِمَكانِ ما ذَهَبَ إليه الهادي، عليه السّلام، مِنَ الاحْتِياط في اسْتِحلاف الشّاهدين. فعَذَرْناهُ مِنْ ذلك لثِقَتِنا بِهِ ولم نَحْتَجْ نحن منه إلى ذلك، ولا رأينا أنّه يعني إِصْلاحَ أهلِ الأَهْواء والمُقَلِّدين للآباء مِنْ هؤلاء وسائر العَوامّ، لِما شاهدناهُ في الوقت ممّن ضُغِطَ بنَصِّ القاسم، عليه السّلام، في جَوابِهِ للمُلْحِدِ على أنّ[٤]

العَيْنَ لم تُرَ مُنْفَكَّةً عَنِ الأَحْوالِ ولا جاز أن تَنْفَكّ، ونحو ذلك ممّا لا يختلف فيه من قبلنا مِنْ كلامه في ذلك الكتاب.

فلمّا رأى أنّه يَنْقَطِع قال: ومَنْ يشهد بأَنَّ هذا الكتاب للقاسم، عليه السّلام؟ فلم يَتَخَلَّصْ مِنَ أَيْدينا إلّا بجَحْدِه لَه، وهو الأَغَرُّ المُحَجَّلُ الّذي لا يَنْجَحِد في كُتُبِ آلِ محمّدٍ، صلّى الله عليه، بين أَهْلِ اليَمَن ومَنْ بالعِراق والجِبال وخُراسان وسائر الآفاق مِنْ شِيْعَتِهم.

على أَنِّي قد شاهدتُ منهم مَنْ يَسوؤُهُ نَصٌّ مِنْ نُصوص الأَئِمَّة، عليهم السّلام، في هَتْك سِتْر مذهبِهِ فيَعْمَد إليه فيُغَيِّرُهُ ويَنْسَخه في نُسْخَةٍ تكون معه يَسْتَشْهِدها عند الحاجة منه إلى خَدِيْعَةِ العَوامّ والصِّبْيان وأَحْداث المُتَعَلِّمين، ثمّ فَضَحَهُ الله تعالى بين أيدينا بكُتُبٍ قديمةٍ مِنْ نَسْخ الصَّعْديّين، منها ما هو بخَطِّ ابن دانة وروايتِهِ عن ابن الضّميريّ عن محمّدِ بنِ الفَتْح بنِ يوسُفَ عَنْ محمّدِ بنِ يحيى، عليهما السّلام؛ ومنها بخَطِّ سِواهُ.

ولقد قَدِمْتُ أنا وأسعدُ بنُ عبد الفاضل العُبَيديُّ اليامِيُّ، أَحَدُ عِبادِ الله الصّالحين، مِنْ بعض الأَسْفار بنُسْخَةِ (**شَرْح البالغ المدرك**) إلى ناحية باري، وكان هناك يحيى بنُ المسلم السّاري أَحَدُ شيوخِ الصَّعْديّين والمُعَدَّلين منهم في ضِيافَةِ عبدِ الله بنِ أبي السُّعود بنِ إبراهيمَ الشُّريفيِّ رحمه الله فسَأَلَنا عاريتَهُ للنُّسْخة فَأَعَرْناهُ. ثمّ دخلنا عليه يوماً وهو بين يَدَيْهِ يَكْتُبُ منه، فمَرَّ بِهِ شيءٌ فيه كَسْر ما يَعتقد مِنْ رَأْيِ أَهْلِ الاخْتِراع، فما راقَبَنا ولا تَوَقَّف لحَضْرَتنا حتّى غَيَّرَ ذلك الفَصْل عَمّا كان عليه، وكَتَبَهُ في نُسْخَتِهِ كما يُريد. فناشَدْناهُ اللهَ في ذلك، وقَبَّحْنا عليه الأَمْرَ، وراعَنا ما صَنَع، فأَكْثَرْنا في زَجْرِهِ ووَعْظِه، وذَكَّرْناهُ ما هو مِنْ شَأْنِ عُدولِ المسلمين، ومَنْ يُؤْثِرُ التَّقْوى على الحَمِيَّة. فمَضَى على رأيِهِ ولم يلتفتْ إلى ما قُلْنا، فكانت تلك، والله، في أَنْفسنا ممّا بَقِيَ رَقْمَةً للدّهر، ولم تكد تَزولُ روعتُهُ ولا تَنْحَلُّ فَجْعَتُهُ.

وأَخْبارُ الشّريفِ محمّدِ بنِ أحمد العَلَويِّ رحمه الله في العِفَّة والوَرَعِ والأَمانةِ والعِلْمِ والدِّيانةِ والتَّواضُعِ والوَلاءِ والبَراءِ وسائرِ خِصالِ الخير، قد سَمِعْناها مِنْ غَيْرِ ابنِهِ، وما أَقَلَّ ما حَفِظْنا منها لِقِلَّةِ الاهتمام في أيّامِ الحَداثَةِ بمِثْلِ هذه الفَضِيْلة مِنْ إِحْياءِ أَخْبارِ الخَيْرِ وأَهْلِهِ؛ فمنها ما سمعتُهُ مِنْ شيخِنا إبراهيمَ بنِ عليٍّ الضّاميّ رحمه الله والشّيخِ عبدِ الحميدِ بنِ الحسين بن عبد الحميد بوَقَش، وأَسْعَدَ بنِ عبد الفاضل العُبَيديِّ، ومحمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ حُمَيْدٍ عندنا بشَظَب.

وأَخْبَرَني ابنُهُ أحمدُ بنُ محمّدٍ العَلَويُّ في شيءٍ ممّا يَدُلُّ على وَرَعِهِ واحْتِراسِهِ مِنَ القالة، قال: أَتَى أبي رحمه الله بَرّانَ مِنْ أَرْضِ نِهْم المَشْرق، فصادَفَ بها الشَّيْخَ إبراهيمَ بنَ أحمدَ الصَّبَريَّ عند الشّيخِ الحارثِ بنِ الحسين النِّهْميّ والدِ زُنَيْج بنِ الحارث، وكان رئيسَ أَهْلِ[٥] زَمانِهِ وناحيتِهِ مِنْ نِهْم، فيما يُذْكَرُ عنه، وكان يَتَدَيَّنُ ويُحِبُّ أهلَ الدِّين، وكان الحارثُ قد جَمَعَ شيئاً مِنَ الخُمْسِ ممّا يُصاب في مَعادن الفِضّة هناك، فرَأَى أن يُعْطي أبي منه شيئاً يَسيراً؛ فقال الصَّبَريُّ: إنّ هذا الشّريفَ أولى بالخُمْسِ الّذي عندك مِنْ غيرِهِ لِما هو عليه مِنَ الفَضْل. فكَأَنَّهُ تَحَيَّر، وإنّما كان بعضُ النّاسِ باليَمَن لا يُعْطُون القَرابةَ إلّا سُدْسَ الخُمْسِ؛ لقول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[الأنفال:٤١].

وكان الصَّبَريُّ رحمه الله ومَنْ في طَبَقَتِهِ مِنْ أَهْلِ الزُّهْدِ والعِلْم والنَّظَر بنُورِ الله يُجِيْدون اسْتِخْراجَ العُلُوم واليَقِين في أُمُورِ الدِّيْن، فأَفْتاهُ بدَفْعِ الخُمْسِ كُلِّهِ إلى الشّريف رحمه الله لثِقَتِهِ بدِيْنِهِ وأَمانَتِهِ على تَوحيدِ الله وعَدْلِهِ عندَهُ، وعلى حُقُوقِ الله وحُقُوقِ عِبادِهِ مِنَ الفَساد والخَطأ. فلم يَقْبل منه الحارثُ حتّى احْتَجَّ له على ذلك مِنَ كُتُبِ الأئمّة، عليهم السّلام، بشيءٍ، فزادَ الحارثُ الشّريفَ نحواً ممّا كان أَعْطاهُ. فأَعادَ الشّيخُ الصَّبَريُّ رحمه الله الاحْتِجاجَ عليه مرّاتٍ، وهو في كلِّ مرَّةٍ يزيدُهُ شيئاً حتّى أَعْطاهُ الخُمْس كُلَّه. والشّريفُ في كُلِّ ذلك،

مع فِقْهِهِ في الدِّين وعِلْمِهِ بما يحلُّ له مِنْ ذلك وغيرِه، وبأنّ صَرْف الخُمْس في أَحَدِ الوُجُوهِ السِّتَّة يَجُوزُ إذا كان أولى به في الحال لمُعْتَرٍّ= لا يُبادِرُ إلى تَناولِ شيءٍ مِنْ ذلك ولا يَتَكَلَّمُ فيه.

والّذي كنّا نَسْمَعُ أَنَّهُ يحتجُّ بِهِ في ذلك أنّ الخُمْس والزّكاةَ مالانِ لِمَنْ وَجَبَا عليه في غيرِ أَزْمانِ الأئمّة، عليهم السّلام، صَرْفُهما في الوُجُوهِ الّتي نصّ الله تعالى عليها في كتابه الّتي لا يُفْتَقَرُ في مَعْرِفَتِها إلى الإمام.

وهذا مَنْصُوصٌ عليه في كتاب **(الأحكام)** وغيرِهِ مِنَ كُتُب الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين، عليهما السّلام، وآبائه وابنَيْهِ وغيرهم مِنَ العِتْرة، عليهم السّلام، ثمّ قد نصَّ الهادي، عليه السّلام، في **(الأحكام)** في كتاب الخُمْس في السِّيْرة، على أنّ كتاب الإمام أَنْ يَصْرِفَ الخُمْسَ في وجهٍ واحدٍ مِنْ وُجُوهِ مَصارِفِهِ إذا رأى ذلك. فإذا كان لِمَنْ يَلْزَمُهُ الخُمْس أَنْ يصرفَهُ إذا لم يكن إمامٌ حيثُ يَصْرِفُهُ الإمام كان هذا كالنَّصِّ على ما ذَكَرْنا مِنْ ذلك.

وقد حَكَتِ النّاصريّةُ عَنِ النّاصرِ للحقِّ الحسنِ بنِ عليٍّ، وعَنِ الهادي إلى الحقّ، عليهما السّلام، في كُتُبِها= الإجماعَ على ذلك ثمّ القياسَ فيه على الزّكاةِ؛ إِذْ لصاحبِها صَرْفُها في وجهٍ واحدٍ مِنْ وُجُوهِ مَصارِفها غير بعيدٍ إن شاء الله.

وكما للرّعيّةِ، في غيرِ أيّام الأئمّة، أَنْ يصرفوا سَهْمَ المُؤَلَّفَةِ مِنَ الصَّدَقات، وسَهْمَ العاملين[٦] عليها، وسَهْمَ السّبيل= في الفُقَراء وسائر وُجُوهِ المَصارف الّتي للصَّدقة[١]، فكذلك لهم أَن يَصْرِفُوا سَهْم الرّسولِ منَ الخُمْسِ في سائر مَصارِفِ الخُمْسِ لفَقْدِ الرّسولِ والإمامِ الّذي يَقُومُ مَقامَهُ، وما جازَ في وَجْهٍ واحدٍ جاز في سائر الوُجُوهِ مَنْ ذلك.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ بنِ عُبَيْد بن الخَطّاب، أَحَدُ شُيُوخِ الزّيديّة في عَصْرِنا بوَقَش، وذَوي العِلْم والوَرَع منهم، وأصلُهُ مِنْ أهل عَجاز[٢] مِنْ مَشْرِق حاشِد، ونسبُهُ في

(١) كُتِب فوقه بالمخطوط: «كما نصّ عليه الهادي في المجموع».

(٢) قوله: «عجاز» بالزّاي آخره، كذا تكرّر وروده في المخطوط ما عدا موضعًا واحدًا رُسمت فيه علامة الإهمال على الرّاء، على أنّه يُراد به الموضع نفسه من مشرق هَمْدان؛ وهو معروفٌ اليوم بالرّاء المهملة.

بني شاوِر المعبل؛ أَخْبرني بذلك، قال: أَخْبَرنا الشّيخُ محمّدُ بنُ إبراهيم بن رِفادٍ رَحِمَهُ اللهُ فيما كان يُخْبِرُنا مِنْ أَخْبار الزّيديّة وأَهْل اليَمَن، وكان جُهَيْنَةَ الأَخْبار فيهم، قال: أتى عَطّافٌ أَحَدُ رِجالِ الزّيديّة بسَناع الشّريفَ زيداً[١] بصَنْعاء، وكان مِنْ مُتَكَلِّمي المُخْتَرِعَة وكِبارِ أَهْلِ المدينة ورُؤَساءِ الشِّيْعة بها، وقد كانتِ المُخْتَرِعَة أَظْهَرتِ الجَحْدَ لمَسْأَلَةِ العَدْلِ المَرْوِيَّةِ عَنِ الإمام المرتضى لدين الله محمّدِ بنِ يحيى الهادي إلى الحقّ، عليهما السّلام، وكان عَطّافٌ يحفظُها، فلمّا دَخَلَ على الشّريف -وكان لا يعرفُهُ- قال: يا مولاي، أنا رَجُلٌ مُتَعَلِّمٌ، وأنا أُرِيدُ أَنْ أقرأَ عليك مَسْأَلَةً قد حَفِظْتُها؛ يُقالُ: مسألة العَدْل؟ قال: اقْرَأْ. فقَرَأَ واعتمد تَصْحِيْفَها والفَساد في قراءَتِهِ لها. والشّريفُ يَقولُ: ليس هكذا ليس هكذا، ويُخْبِرُهُ بالكلمةِ بعد الكلمة، وكيف أَصْلُها، ويرى أنّه يُعَلِّمُهُ. فلمّا فَرَغَ قال: يا بُنَيَّ، هذه نسخةٌ خَطَأٌ. قال: يا مولاي، ولِمَنْ هذه المسألة؟ قال: هي للمُرْتَضى لدِيْنِ الله محمّدِ بنِ يحيى، عليهما السّلام، وهي عندي بخَطِّهِ، عليه السّلام، وحراسته، فَأْتِني حتّى أَكْتُبَها لك، ثمّ تَحْفَظُها حينئذٍ على الصّحة غيرَ ما تَحْفَظُها الآن، فإنّك تَحْفَظُها على التَّصحِيف والخَطَأ.

قال عَطّافٌ -وكانت معه وَرَقَةٌ-: يا مولاي، فاكتبْ لي في هذه الورقة التَّذْكِرَةَ بها، وبأَنّها للمُرْتَضى لدينِ الله محمّدِ بنِ يحيى، عليهما السّلام، وأَنّها عندك بخَطِّهِ. ففَعَلَ الشّريفُ ذلك، وكَتَبَ له ما سَأَلَ بخَطِّهِ.

ثمّ لم يَتَهَيّأ لعَطّافٍ إليه رُجُوعٌ حتّى اجتمعَ إليه قومٌ مِنَ المُخْتَرِعَة والسَّناعِيّة، وتَكَلَّمُوا فيما بينهم مِنَ الخِلاف، واحْتَجَّ كُلُّ فريقٍ بحُجَّتِهِ، وجَرَى ذِكْرُ المَسْأَلَة، واحْتَجَّ بها أَهْلُ سَناع، فقال الشّريفُ: هذه بحِفْظِهم، لا للمُرْتَضى. فتَقَدَّمَ إليه عَطّافٌ، وقال: اقرأ، يا مولاي، هذه الرُّقْعة الّتي كَتَبْتَ لي. فلمّا[٧] رآها الشّريفُ بُهِتَ وانْقَطَع، فلم يُجِرْ جَواباً.

قال الشّيخُ الفاضلُ مسلمُ بنُ محمّدٍ: والشّريفُ -فيما أَرَى- هو زيدُ بنُ عليٍّ الحسنيّ

---

(١) سيأتي ذِكْرُهُ، وهو الشّريفُ زيدُ بنُ عليٍّ الحَسَنيّ.

إِمامُ الزّيديّة بالمسجد الجامع مِنْ صَنْعاء في عَصْرِهِ في الصّلاة ومُقَدَّمهم. وعَطّافٌ -فيما أَحْسِب[١]-: عَطّافُ بنُ سبأٍ البَكِيلِيّ، أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة السَّناعِيّة والسّابقين مِنْ بَكيل إلى النَّجْوة مِنِ اعْتِقاد الجَهْل الّذي كانوا عليه. وقال لي زيدُ بنُ أحمدَ: كنتُ أَسْمَعُ ابنَ رِفادٍ يَقولُ: هو صِهْرٌ للشّيخِ أبي السُّعُودِ بنِ زيدٍ، رحمةُ الله عليه.

---

(١) **أَحْسِب**: أظنّ، يُقالُ: حَسِبَهُ كذا كَنَعِمَ يَحْسِبُهُ ويَحْسَبُه (في لُغَتَيْهِ) بالفَتْحِ والكَسْرِ؛ والكَسر أَجْوَدُ اللُّغَتَيْنِ: ظَنَّهُ؛ التّاج: (ح س ب).

العبّاسُ الخَيْوانيُّ

هو أَحَدُ الشُّيُوخ مِنَ الزّيديّة، وذَوي العِلْم والفَضْل والدِّيانة الصّحيحة، وهو مِنْ أَصْحاب عليِّ بنِ محفوظٍ، رحمهما الله، وأَصْحاب عليِّ بنِ الملّاح[١] الصَّعْديِّ رحمه الله ومُطَرِّفٍ رحمه الله.

وكان شيخي إبراهيمُ بنُ عليٍّ الضّاميّ رحمه الله يَرْوي عنه قَدْراً صالحاً مِنَ العِلْم، ويُعَظِّمُهُ ويُحسنُ الثَّناء على فَضْله. وأَخْبَرَني أَنَّهُ مِنْ بني رضوان الخَيْوانِيِّين. وزَلَّ عَنِّي اسم أَبِيْهِ، وعند حاجتي إلى تَعَرُّفِ ذلك لم يَبْقَ أحدٌ ممّن يعرفُهُ أَسألُهُ عنه؛ لأنّي صَنَّفْتُ هذا الكتابَ بعد أن ذَهَبَ أَهْلُ قَرْنِهِ وقَرْنٌ بَعْدَهم.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ بأَنَّهُ صاحبُ الصَّدقة الّتي تُعْرَفُ بناحية بيت شَهير مِنَ البَوْنِ الأَسْفل، ثمّ في محمى تالِب منه، وهي تُعْرَف -فيما أَحْسِب- بصَدَقة العبّاس. وقد كان عَليان بن إبراهيمَ يُخَبِّر عنه بما يُحْتاجُ إليه مِنْ خَبَرِهِ إلّا أَنَّهُ فاتَني الآنَ تَذْكِرَةُ ذلك لمَوْتِهِ أيضاً رحمه الله وإيّاهم.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رحمه الله أَنَّهُ كان مِنَ الأَغْنياء ومِنَ المُحْسِنين وذَوي المَعُونة في الله مع ذلك. وكان درجةً عظيمةً في الوَساطة بين الهادي، عليه السّلام، وابْنَيْهِ رضي الله عنهما وشِيْعتهم الأوائل، وبين أهل عَصْرنا، يُتَوَصَّلُ بها إلى محاسنَ وفوائدَ مِنْ أَخْبارهم وعُلُومِهم، فاتَتْ بموت هذين الشَّيْخين؛ أَعْني إبراهيمَ بنَ عليّ وعَليان بن إبراهيم، ونَحْوهما ممّن كان يَرْوي عنه.

---

(١) في المخطوط: «علي بن محفوظ الملاح» ثمّ ضبّب على «محفوظ».

ولقد كَثُرَ أَسَفي واشْتَدَّتْ حَسْرتي لكثيرٍ ممّا فَوَّتَهُ عليَّ غِرَّةُ الصِّبا وجُنُونُ الشَّباب، ولا مِثْلِ هذا البابِ ونحوه مِنْ فَوْتِ أَسانِيْدَ وأَخْبارٍ كثيرةٍ عَنْ هؤلاء الأئمّة وآبائهم وشِيْعَتهم، رحمةُ الله عليهم أجمعين.

نَهْدُ بنُ الصَّبّاح[٨]

هو نَهْدُ بنُ الصَّبّاحِ العَنْسيُّ.

صاحبُ مُطَرِّفِ بنِ شِهاب، رحمهما الله، والمُبَرِّزُ في السَّبْقِ على كثيرٍ مِنْ أَصْحابِ مُطَرِّفٍ، رحمهم الله. وذُكِرَ أَنَّهُ مِنْ بَني أبي السَّمْراء قوم بناحية مِخْلاف الشَّرف مِنْ أَعْمال حضور وشِبام. ولم أَسْمع أَحَداً مِمّن أَدْرَكْتُ مِمّن يَعْرِفُ لَهُ خَبَراً يَقْعُدُ بِهِ عَنْ درجة مُطَرِّفٍ في العِلْم والزُّهْد والعِبادة والتَّعْليم وكثيرٍ مِنَ الفَضائل، وقَلَّ ما تَذْكُرُهما الزّيديّةُ إلّا مَعاً؛ أما تَسْمَعُ ما قال أبو السُّعود بنُ زيدٍ في أُرْجوزتِهِ: (من مشطور الرَّجَز)

لولا كُهُولٌ مِنْهُمْ ومُرْدُ

فِيْهِمْ عَفافٌ وتُقًى وزُهْدُ

هَذَّبَهُمْ مُطَرِّفٌ ونَهْدُ

لم تَدْرِ ما قَبْلُ ولا ما بَعْدُ

وقد كانت بركاتُهُ كثيرةً، ولاسِيَّما البَرَكةُ في اسْتِنْقاذِهِ لشيخِ الزّيديّة بعدَهُ وبعد مُطَرِّفٍ، وعَلّامتِها، إبراهيمَ بنَ أحمدَ الصَّبَريَّ، رحمهم الله جميعاً، مِنْ ضَلالةِ الجَبْرِ ومَهالِكِ آراءِ العَوامِّ والحَشَوِيَّة، فإنّ ذلك مِنَ الفَضائل؛ وخبرُهُ في ذلك سَيُذْكَرُ، إن شاء الله.

وكذلك بَرَكتُهُ في ولادتِهِ لشيخِ الزّيديّة بعدهم، وإمامِهم والمحامي عنهم، وعابِدِهم المُطْلَق، وجامِعِ شَمْلهم بوَقَش بعد التَّفَرُّق في البلاد= إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثمِ بنِ كَهْلان رحمه الله؛ فإِنَّهُ جَدُّهُ لأُمِّهِ، ومُجْتَبي أَبِيْهِ بمُصاهَرَتِهِ وصُحْبَتِهِ.

وخَبَرُهُ في تَوْبةِ الصَّبَريِّ بسَبَبِهِ فهو ما أَخْبَرَني به عَليان بن إبراهيمَ ﵀، قال: أَخْبَرَني إبـراهيمُ بـنُ أحمـدَ الـصَّبَريُّ عَـنْ نفسِهِ، قـال: كنـتُ أُعَلِّـمُ القـرآنَ بـسَعْوان للـوَرْد وآل أبي جالـب؛ والـوَرْدُ يومئذٍ أَحَدُ رِجالِ الزّيديّة والأَعْوان على طاعة الله وبَذْلِ المـال في جَنْب الله، وذَوي الفَضائل في الدِّين، وكنتُ على رَأْيِ المُجْبِرَة، فأَقْبَل نَهْدُ بـنُ الصّبّاح ﵀ حتّى قَعَدَ عندنا، فلمّا هَدَأَتِ الأَنْفاسُ والنُّفُوس، ورآني للحديثِ مَوْضِعاً، أَقْبَلَ عليَّ، فقـال: أَخْبِرْني، يـا أبا إِسْحاق، اللهُ دالٌّ على فِعْلِهِ أم فعلُهُ دالٌّ عليه، وهـل أنـت دالٌّ على فعلِكَ أم فعلُكَ دالٌّ عليك؟ فأخذتُ في كَفّي حَصًى، وجعلتُ أُقَلِّبُ ذلك الحَصَى وأَتَفَكَّرُ -وكنتُ مع ما أعتقدُهُ مِنْ مذهب أهل الجَبْرِ لا أَقُولُ على الله تعالى بالرُّؤية- فقلتُ في نفسي: اللهُ لا يُرى وفِعْلُهُ يُرى وفِعْلي لا يُرَى وأنا أُرَى. فقلتُ: فِعْلُ اللهِ دالٌّ عليه، وأنا دالٌّ على فِعْلي. فقال: أحسنتَ، يا أبا إِسْحاق. وكنتُ قد أَخَذْتُ على نفسي ألّا أَجِدَ مذهباً أَوْثَقَ مِنْ مذهبي إلّا رَجَعْتُ إليه. فكنتُ كلَّما عَزَمْتُ على تَرْك مذهبي امْتَنَعَتْ نفسي وأَبَتْ عليَّ، وقالتْ: تَتْبَعُ اثني عشرَ رجلاً وتَتْرُكُ اثني عشرَ ألفاً.

يعني بـ«الاثني عشرَ» الّذين أَنْكَرُوا على أبي بَكْرٍ تَقَدُّمَهُ عليًّا[١]، عليه السّلام؛ نحو: أبي ذَرٍّ، وعَـمّارٍ، وأبي الهَيْثَم بن التَّيْهان، وخُزَيْمة بن ثابت، وخالد بن سعيد [بن][٢] العاص، وغيرهم؛ وخَبَرُهم[٣] مذكورٌ.

فلمّا رأيتُ ذلك مِنَ النَّفْس قلتُ لها: بَيْني وبَيْنَك كتابُ الله. وبِتُّ لَيْلَتي أَنْظُرُ في ذلك وأَتْلُو القرآن، فأَجِدُ مَدْحَ القليلِ وذَمَّ الكثير، فلمّا أصبحتُ عَدَوتُ على المُزَيِّنِ فَحَلَقَ لي رَأْسي، وعَزَمْتُ على التَّشَيُّعِ، ففعلتُ ذلك[٩].

---

(١) في المخطوط: «علي» بلا نصبٍ، ولعلّه قد اطّرح حرف الجرّ ويكون الكلام غير الوجه أعلاه: «على عليّ».

(٢) ما حُفّ بمعقوفين زيادة يتحوّجها سياق الكلام.

(٣) في المخطوط: «خيرهم» بياءٍ مثنّاة من تحت بعد خاءٍ معجمة.

وهَمَمْتُ أَنْ أَخْطِبُ إلى نَهْدٍ ابنتَهُ، ولم يُسْرِع إِقْدامي على الكلام فيه، وسألتُ ذلك بعضَ أَهْلِ سَعْوان فامتنعوا عليَّ، وقالوا: يا هذا، أين أنت عن نَهْدٍ، وأين هو عنك! فلم أَنْتِهِ دون أَنْ لقيتُهُ وكلّمتُهُ في ذلك. فأجابني إلى ما أُريدُ، وقال: يا بُنَيَّ، لي ابنتان، فإن أَحْبَبْتَ فاخْتَرْ، وإنْ أَحْبَبْتَ اخْتَرْتُ لك. قلتُ: بل اخْتَرْ لي. فقال: الكبيرةُ تصلُحُ لرَجُلٍ فقيرٍ، وأنت فقيرٌ، فقد اخْتَرْتُها لك.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمد بنِ عُبَيدٍ أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة الصّالحين في العَصْر بوَقَش، وأَهْل الوَرَع القويّ والدِّيانة الصّادقة منهم عَنْ محمّد بن إبراهيم بن رِفادٍ عَنِ الصَّبَرِيِّ بنَحْو خَبَرِ عَليان إلّا أنّه قال: قال الصَّبَرِيُّ -لمّا انْكَسَرَ ما في يَدِهِ مِنْ مذهَبِهِ بكسر نَهْدٍ عليه- لنفسه: لا أنا على مذهبي الأوّل، ولا قد تَيَقّنْتُ هذا الثّاني. قال: فبِتُّ أَنْظُرُ في ذلك الخَبَرِ إلى آخِرِهِ.

وأَخْبَرَ زيدُ بنُ أحمد عَنِ ابن رِفادٍ قال: كان نَهْدٌ مِنْ مخترعة عَنْس، وكان مِنْ أَشَدِّهم في ذلك، وبَلَغَ به الأَمْرُ أنّه كان قدِ اعْتَزَلَ هو ومَنْ يَخْتصُّهُ منهم عَنِ النّاس إلى كَهْفٍ من جبل إِسْبِيْل.

فأَخْبَرَني محمّدٌ عنه أنّه كان يَقُولُ: أَقَمْنا ندرسُ العَمَى سنين، نأكلُ رزقَ الله، وتَأْتِيْنا نِعَمُهُ إلى ذلك الكَهْف فنَتَقَوَّى بها على العَمَى عنه، والجَهْل به، لا نَنْفَكُّ يَأْتِيْنا الكَبْشُ بعد الكَبْشِ، والطّعامُ بعد الطّعام، وغير ذلك مِنْ فَضْلِهِ، ونحن نرمي بالحَجَرِ بيننا إلى فوق ثمّ يَسْأَلُ الواحدُ منّا صاحبَهُ: أَرَأَيْتَ الحَجَرَ أم ارتفاعَهُ؟ فيقول: بل ارتفاعَهُ.

وحدّثني زيدُ بنُ أحمد عَنْ محمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ، وحدّثني الحسين بن محمّد القَهْميّ عَنْ شُيُوخ الزّيديّة وعُدُولهم قال: كان نَهْدٌ رحمه الله يَقُولُ: كنتُ أبيتُ ليلي أَنْغَلُّ[١]

---

(١) **انْغَلّ**: لعلّه من الغَلْغَلة، وهي دُخول الشّيء في الشّيء والوصول فيه إلى حيث لا يصل واصلٌ. وكذا يقال: تَغَلّل وتَغَلْغَل في الشّيء: دخل فيه.

إِسْبِيْلَ طبقةً طبقةً حتّى انتهيتُ إلى الهواء الأَسْفل الّذي تحت الأَرْض أَطْلُبُ الجسمَ لا أَجِدُهُ إنّما أعتقد أنّ الّذي أَتَصَوَّرُ أَعْراضٌ بعد أَعْراضٍ[١].

و(**إِسْبِيْل**): هو الجبلُ المعروف بمَشارق ذَمار مِنْ بلاد عَنْس.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمد عَنِ ابن رِفادٍ، والشَّيخ إبراهيمَ بنِ أبي الهيثم، في سببِ توبة نَهْدِ بنِ الصَّبّاح ﵀: أنّه كان قد خَرَجَ يُريد صَعْدَةَ لطَلَبِ العِلْمِ بها، وكان معه صاحبٌ له -زَلَّ عنه اسمُهُ- قال: فأَحْسِبُهُ لـمّا أَتَى نواحي صَنْعاء تَكَلَّمَ مع بعض مَنْ لقي في شيءٍ مِنْ عُلُوم الدِّين، فقال له: أنت تُحِبُّ هذا فعليك بصاحب ذلك المنزل، وأشار إلى سَناع. فأَتَى نَهْدٌ مُطَرِّفاً، رحمهما الله، هو وصاحبُهُ، وأَجْروا الكلامَ في مسائل الخِلاف بينهم، فكان نَهْدٌ صامِتاً يَسْمَعُ، وصاحبُهُ يُكَلِّمُ مُطَرِّفاً ويَحْتَجُّ، ويَحْتَجُّ مُطَرِّفٌ أيضاً. قال: فكان مُطَرِّفٌ يَقولُ: إِنِ انتفعَ منهما مُنْتَفِعٌ بشيءٍ مِنَ الكلام فهذا، فأمّا هذا السّاكت فلا أدري. قال: وكان نَهْدٌ يسمعُ ما يجري بينهما فيَعْقِلُهُ فكلّما فَهِمَ[١٠] مسألةً غُشيَ عليه غَشْيَةً، فقِيْلَ له في ذلك؟ فقال: أَوَتَلُومَنّني، وأنا منذُ دهرٍ أَقْرَعُ باب جَهَنَّمَ ولا أَدْري؟ فلمّا انقضى الكلامُ بينهم في مسائلِ الخِلافِ انْصَرَفَ نَهْدٌ راجعاً إلى بلده، وقدِ اسْتَقْبَحَ ما كان يَعتقدُهُ، فلمّا صارَ إلى مَنْزِلِهِ جَعَلَ يَنْظُرُ فيما أَعْطاهُ مُطَرِّفٌ ويُناظِرُ نَفْسَهُ في مسائله مَسْأَلَةً مَسْأَلَةً، فكُلَّما فَرَغَ من شيءٍ نتجت[٢] له فيه حُجَجٌ أخرى مِنْ عَقْلِهِ.

ثمّ إنّه رَجَعَ إلى مُطَرِّفٍ ﵀ فعَرَضَ عليه ذلك، فكان يَقُولُ: قلتُ: كذا، واحْتَجَجْتُ عليه بكذا، ونَتَجَ لي مِنَ الحُجّة عليه كذا وكذا. فقال مُطَرِّفٌ: أَعْطَيْناكاهُ[٣] مُفْتَرِقاً ويَنْبَغي أَنْ نأخذَهُ عنك مُجْتَمِعاً. ثمّ أَمَرَ بكتابتِهِ عنه.

---

(١) كتب فوقه بخطّ مختلف: «وهذا منه ذلك».

(٢) يحتمل الرّسم في المخطوط أن يُقرأ: «تنتجب»، ولكنه سيُعيد العبارة، وفيها: «ونتج لي من الحجة عليه».

(٣) قوله: «أعطيناكاه» كذا بالمخطوط؟

فهذا ما أَخْبَرَني به زيدُ بنُ أحمد، مِنْ خَبَرِ نَهْد رَحِمَهُ اللهُ.

وأَخْبَرَني الشّيخُ عبدُ الحميد بنُ الحسين بنِ عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ الخلطيّ المَسْوَريّ، شيخُ الزّيديّة بوَقَش في العَصْر وإمامُ مَسْجِدِها وابنُ مشائخها؛ قال: أَخْبَرَني الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثم رَحِمَهُ اللهُ، قال: كان نَهْد ومحمّد ابنا الصّبّاح مِنْ فُتّاك عَنْس ومَنْ يُخاف شَذاهُ[1] وشَرَّهُ. وكانا قد شُهِرا بالجُرْأة والإقْدام؛ فَهَمَّ أحدُهما بتَزْويجٍ، فَقَدِمَا صَنْعاء وذلك في أيّام الزّيديّ، فأَصْبَحَ ذاتَ يومٍ وقد أُخْرِجَ قومٌ كانوا في سِجْنِهِ بالحِيْلَةِ أو نَقْبِ السِّجْن، وأُخْرِجُوا ليلاً. فعَظُمَ عليه الأَمْرُ، فأَتاهُ آتٍ، فقال: إنّ في البلد ابْنَي الصّبّاح العَنْسِيَّيْن، وهما مِنَ الجُرْأةِ في حَدٍّ كذا وكذا. وكأَنَّهُ قد كان سَمِعَ بأَخْبارهما، فأَمَرَ بهما فكُحِّلَتْ أَعْيانهما، فإذا هما أَعْمَيان. فقالا: هذه الدُّنْيا قد بَطَلَتْ علينا فلا تَبْطُلُ الآخرة. فتابا ولَحِقا بنَفَرٍ مِنْ عُبّاد المُخْتَرِعَة كانوا بجَبَلِ ضِركام مِنْ شرقيّ ذَمار.

قال: فأقام نَهْدٌ رَحِمَهُ اللهُ معهم ثلاثين سنةً على ما هُمْ عليه، فلمّا كان منه فَكَّرَ ذاتَ ليلةٍ أو يومٍ في أَمْرِهِ، وقال: وما يُؤَمِّنُني أَنْ يكون لله دينٌ أَرْضَى ممّا أنا عليه؟ فعَمِلَ على السَّفر إلى صَعْدة لطَلَبِ العِلْم، فلمّا صار بصَنْعاء لَقِيَهُ رَجُلٌ ممّن قد عَلِمَ نِيّتَهُ في هذا، فقال: لو مَرَرْتَ برَجُلٍ هٰهنا، يُقالُ له: مُطَرِّفٌ، يُوصَفُ بالعِلْم. قال: وأين هو؟ فدَلَّهُ على مَحَلِّهِ بسَناع، فصار إليه، فلمّا وَصَلَهُ تَلَقّاهُ مُطَرِّفٌ بالإكْرام لَهُ والإعْزاز وضَيَّفَهُ. فلمّا خَلا للحديثِ مَعَهُ قال: أَخْبِرْني، ما الدّليل على أنّ صانعَ العالمِ واحدٌ؟ قال نَهْدٌ: تَضادُّ الاثنين في الإرادة والمَشِيْئَة. وقال مُطَرِّفٌ: فأَخْبِرْني، هل يَتَضادُّ المُتَضادّان وهما موجودان[2][١١] أم مَعْدُومان؟ قال: فأَطْرَقَ نَهْدٌ مُفَكِّراً ساعةً طويلةً، ثمّ قال: هذا رأسُ العِدْلِ -أو قال: أَوّلِ

(١) الشَّذا: الأذى.

(٢) بعده في المخطوط بآخر الصّفحة، وهو كلامٌ مقحمٌ وقد نبّه النّاسخ عليه بقوله: «حاشية: وهما موجودان، قال مُطَرِّف: فهل يَتَضادُّ العَرْضان، وهما موجودان في جسمٍ واحدٍ في وقتٍ واحد، نحو الحَرَكةِ والسُّكون؟ فقال: لا. ثمّ قال: هذا أوّلُ كُلِّ سَقْط؛ كما سيأتي في خَبَرِ أبي عبد الله التَّرْخُميّ».

عِدْل- سَقَطَ، أو حُمِل. يُريدُ أنّ هذه المسألةَ مِنْ أَقْوَى ما في أَيْدِيهم، وقد فَسَدَتْ عليه. لأنّ المُخْتَرِعَة يَقولُون: إنّ التَّضادَّ يَقَعُ بين الأَعْراض دون الأَجْسام، وأنّ الأَجْسام ذاتٌ واحدة، ولا يختلف إلّا الأَعْراض القائمة بها فقط. وذلك أنّه إنْ قال: يَتَضادّان وهما مَعْدُومان. كان مُحالاً اختلافُ المعدومين وتَضادُّهما، وكذلك تَماثُلُهما واتِّفاقُهما. وإن قال: يتضادّ[ا]ن وهما موجودان، أَوْجَبَ وُجُودَ الضِّدَّين معاً في مَحَلٍّ واحدٍ في حالٍ واحد، ووَجَبَ لذلكَ وُجُودُ الجِسْم مُحْتَرِكاً ساكناً معاً، وحارًّا بارداً، وجَماداً حَيَواناً ونحو ذلك، وهو مُحالٌ أيضاً.

ثمّ إنّ نَهْداً دَفَعَ إليه ديناراً بعد ذلك، وسَأَلَهُ أَنْ يَطْلُبَ له طعاماً يَأْكُلُهُ، ويُقِيمُ حتّى يَسْأَلَ عمّا في نفسه مِنْ مَسائِلِ الدِّين. فأَخَذَ مُطَرِّفٌ الدّينار وأَمْسَكَهُ، فأَقامَ عنده نَهْدٌ أربعين يوماً، ثمّ عَمِلَ على الرُّجُوع إلى بَلَدِهِ، فأَعْطاهُ مُطَرِّفٌ الدّينار وجَهَّزَهُ إلى أَهْلِهِ.

فأقام نَهْدٌ سنةً في بَلَدِهِ، ثمّ انْتَبَهَ للرُّجُوعِ إلى مُطَرِّفٍ، فرَجَعَ وكان مِنْ خَبَرِهِ ما قد ذُكِرَ في الرِّواية الأُولى، وظَهَرَ مِنْ جَوْدة عَقْلِهِ للأُصُول، ومَعْرِفتِهِ بالعِلْم ما أَعْجَبَ مُطَرِّفاً وأصحابَهُ. فلمّا أقامَ قال لمُطَرِّفٍ: أيّها الشّيخُ، إنّك هٰهنا خامِلٌ ضائعٌ مُضَيِّعٌ لعِباد الله! قال: فما تَرَى أَنْ أَصْنَع؟ قال: تَسِيرُ بنا إلى أَرْضِ عَنْسٍ حتّى تُحْيِي بها مِنْ دِيْن الله ما أمكن. قال: فعَلِمَ أنّ هذا مِنْ صوابِ الرّأي، فسارا معاً إلى ذَمار، وكان أَهْلُها مُخْتَرِعَةً، فلمّا نَزَلا بها أَتَيا مسجدَها وسَمِعَ بهما النّاس، فاجتمعوا إليهما، وكان لأَهْلِها شيخٌ من أهل بَشار مُتَكَلِّم يُقالُ له: إبراهيمُ بنُ منصورٍ، فكَلَّمَ مُطَرِّفاً فيما بينهم مِنَ الخلاف، فقال: مُطَرِّفٌ له فيما كَلَّمَهُ به: أَخْبِرْني، هل يُسْمَعُ ما لا صوت له، أو يُرَى ما لا لون له؟ في نحو هذا مِنَ الكلام. وقد ذُكِرَ مِثْلُهُ في موضوعٍ بروايةٍ أخرى. فقال إبراهيم: وهل قُلْتَ: إنّه يُسْمَع ما لا صوت له؟ وكرّرها مُنْكِراً، والْتَفَتَ إلى النّاس كالمُسْتَشْهِد! فعُرِفَ انْقِطاعُهُ. وأَحْسِبُهُ قد كان بينهما مسائلُ أخرى، فافْتَرَقَ المجلسُ على موافقةٍ مِنَ الجمهور لمُطَرِّفٍ وإِسْقاطٍ

لإبراهيمَ، وغَلَبَ على أَكْثَرِ النّاسِ اعتقادُ مذهبَهُ رحمه الله.

قال: ثمّ صارَا مِنْ ذَمار إلى بلدِ[١٢] التَّراخُمِ، فنَزَلا بالشّيخِ أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ أحمدَ التَّرْخُميِّ، وجَرَى بينهما وبينه الكلامُ الطّويل في الاخْتِراع ونَحْوِهِ، فلم يَزالا به حتّى ظَهَرَ له الصّوابُ، فرَجَعَ بعد صُعُوبةٍ وعُسْرٍ، وقد ذُكِرَ خَبَرُهُ في موضعِهِ بروايةٍ أخرى.

القاضي تُبَّعٌ

هو تُبَّع بن المسلّم.

القاضي بجَوْب مِنَ البَوْن وعَلّامةُ هَمْدان في عَصْرِه، وأَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة المشهورين بالعِلْم والعَمَل وكثيرٍ مِنَ الفضائل.

ونسبُهُ في قومٍ يُقالُ لهم: بنو عباد مِنْ حِمْيَر، وأَهْلُ بيتِهِ مِنْ بُيُوتاتِ العِلْم في البَوْن وفي المَشْرق مِنْ أَرْض حاشِد. وكان بجَوْب رِجالٌ كثيرٌ مِنْ حَمَلَةِ القرآن، وطُلّابِ العِلْم والأَدَب والفِقْهِ، وجُمّاعِ الكُتُب الجليلة المُفيدة، وقالَةِ الشِّعْر، ورُواةِ الحديثِ والأَخْبار.

منهم تُبَّعٌ وأقاربُهُ، ومنهم آلُ اللُّبْحيِّ، وآلُ رُبيعة، ومنهم كان ربيعةُ الشّاعر على عَهْد الصُّلَيحيِّ وله معه خبرٌ مذكور؛ لأنّه كان هَجاهُ ثمّ هَرَبَ لـمّا مَلَكَ أَرْضَ هَمْدان، ثمّ لم يَأْتِ بَلَداً إلّا مَلَكَهُ الصُّلَيحيُّ حتّى أَتَى الشِّحْر، ثمّ رَجَعَ حتّى اسْتَجارَ بسَلَمَة بن محمّد الشِّهابيّ، فاسْتَأْمَنَ له منه؛ ولأَمانِهِ خَبَرٌ يَطُول.

ولم يكن تُبَّعٌ بخامِلِ الذِّكْر في النّاس مع تَواضُعِهِ، وتَزَيِّيْهِ بزِيِّ الفُقَراء، ولِباسِهِ للمُرَقَّعات، وإِخْفائهِ لنَفْسِهِ. لقد بَلَغَني أنّ المُعِيْدَ والصُّلَيحيَّ أيّام مُلْكِهما، كانا يخافانِ الكلمةَ مِنْ كلامِهِ ويُحِبّان مُسالمتَهُ، ونحوهما.

أَخْبَرَني شيخي إبراهيمُ بنُ عليٍّ الضّاميّ رَحِمَهُ اللهُ، قال: حدّثني القاضي محمّدُ بنُ تُبَّع بن المسلّم قال: لـمّا أَقْبَلَ المُعِيْدُ يُريدُ صَنْعاءَ تَلَقَّتْهُ هَمْدانُ إلى بعضِ الطّريق، ثمّ أَتَوا إلى والدي رَحِمَهُ اللهُ فقالوا: اخْرُجْ معنا إلى هذا الرَّجُلِ، فانْظُرْ لنا ما عندَهُ، فإِنْ كان إماماً طاعَنّا بين يَدَيْهِ بالرِّماح. قال: لَسْتُ آتِيْهِ، ولكنّي أَكْتُبُ لكم مسائلَ، فإِنْ أَجابَ عنها فهو عالِمٌ، وإن

عَجِزَ عَنْ جَوابِها فليس كذلك. فَفَعَلَ وفَعَلُوا، ودَفَعَ إليهم دَواةً وأَوْراقاً. فلمّا أَتَوا المُعِيْدَ، ووَقَفَ على المسائل، قال: لا يَحْضُرني مِنْ الوَرَق شيءٌ. قالوا: معنا الوَرَق. قال: فلا بُدَّ مِنْ دَواةٍ، وليس تَحْضُرُني. فقالوا: وهذه دَواةٌ، فدَفَعُوها إليه. فقال: هذه سُمّاقيّاتُ تُبَّعٍ، والله، لئن ظَفِرْتُ به لأُخْرِجَنَّ لسانَهُ مِنْ قَفاهُ. قال: فكان تُبَّعٌ منه خائفاً، فكان يختفي بجَبَلِ صِلّيل[١] مُدّةً مِنْ دهرِهِ.

ودَخَلَ المُعِيْدُ صَنْعاء في عشرةِ آلافٍ مِنْ هَمْدان وأَهْلِ اليَمَن، فيهم السّلطانُ يحيى بنُ أبي حاشِد بن الضَّحّاك الهَمْدانيّ، وهو يومئذٍ زعيمُ[١٣] هَمْدان، فلمّا استقرّ قَرارُ المُعِيْد سألَ يحيى بنَ أبي حاشِد أَنْ يجمعَ بينَهُ وبين تُبَّعٍ، ووَعَدَهُ أَنْ يَعْفُوَ عنه، ويَرْفَعَ منزلتَهُ، ويعرفَ له قدرَهُ؛ فلم يَثِقْ منه بذلك.

قال: فقال: ما رأيتُ أَعْجَبَ مِنْ أَمْرِك، دَخَلْتَ صَنْعاء في عشرةِ آلافِ سَيْفٍ، وخَفَقَتْ عليك راياتُ مُلُوك اليَمَن، ثمّ تَطْلُبُ رَجُلاً لا يَمْلِك إلّا عَصاهُ ومِشْعَلاً! فقال: المُعِيْدُ: اسْكُتْ، فوالله، لقد أَفْسَدَ ذلك عليَّ اليَمَنَ كُلَّهُ.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ القاضي محمّدِ بنِ تُبَّعِ بنِ المسلّم، قال: دَخَلَ أبي رَحِمَهُ اللهُ مسجدَ العقباتِ[٢] بسَواد البَوْن، فوَجَدَ فيه أحمدَ بنَ المُظَفَّر الصُّلَيحيَّ أيّامَ دعوتِهم ومخالفتِهم للنّاس على القيام بها، وقَبْلَ أَخْذِهم لجَبَل[٣] مَسار بحَراز، فسَلَّمَ عليه تُبَّعٌ وهو لا يعرفُهُ، ثمّ قال له: مَنِ الرَّجُلُ؟ فقال: رَجُلٌ مُتَطَبِّبٌ. قال تُبَّعٌ: فأَخْبِرني، كم في البَدَنِ مِنْ عِرْقٍ وعَظْم، وعَنْ كذا وعَنْ كذا؟ وسأَلَهُ عَنْ مَسائلَ طِبِّيّةٍ، فلم يُجِبْهُ بشيء.

قال: فكان ابنُ مُظَفَّرٍ، بعد ذلك، يَقولُ: كان تُبَّعٌ فَيْلَسُوفاً. لِما سَمِعَ منه. وكانتِ العَوامُّ تَسْتَعْظِمُ مثلَ هذا الاسْمِ وتَعْتَدُّهُ شَرَفاً لجَهْلِهم بمعنى الفَلْسَفةِ في اللُّغَة اليُونانيّة،

---

(١) ضُبط في المخطوط: «صَليل» بفتح الصّاد المهملة، على أنّه سيأتي بكسرها وتشديد اللّام، وهو المعروف اليوم.

(٢) قوله: «العقبات» كذا ظهر رسمه، ولم أقف له على ذكر أو أثر على تقليبي رسمه وُجوهًا عدّة.

(٣) في المخطوط: «لخيل» بياءٍ مثنّاة من تحت، والمعروف المشهور أنّه أخذ جبل مَسار.

وما لها في الدِّيْن في المعنى، ولو عَلِمُوا أنّ أَهْلَها يُريدون بهذا الاسمِ التّشبيهَ بالآلهيّة، وأنّ أكثرَ أَهْلِها يَؤُولُ رَأْيُهم إلى الإلْحاد لَرَفَضُوا ذِكْرَها؛ فأمّا قولُ أبي الفَتْح البُسْتيِّ: (من المتقارب)

تَقِ اللّهَ والْزَمْ هُدَى دِيْنِهِ ومِنْ بَعْدِهِ فالْزَمِ الفَلْسَفَهْ

ودَعْ عَنْكَ قَوْماً يَعِيْبُونَها فَفَلْسَفَةُ المَرْءِ فَلُّ السَّفَهْ

فقد أَظْهَرَ غَرَضَهُ في ذلك؛ وأنّه إنّما يرى أنّ الفلسفة عنده «**فَلُّ السَّفَه**»،وهذا حَسَنٌ.

وليس ما في سِيَرِ الفَلاسِفَة وأَخْلاقِ كثيرٍ منهم مِنَ الحِلْم والحَزْم والصَّبْر والزُّهْد في الدُّنْيا وتَكَرُّمِ النُّفُوسِ عَنْ أَخْلاقِ البَهائم= هو الّذي عِبناهُ، وإنّما ذلك اعْتِقادهم في الإلهيّة والنُّبُوءَة والمَعاد والكُتُب والشّرائع، فإنّهم يكفرون بذلك ويَلْحَدون في صِفَتِهِ.

وكان تُبَّعٌ عند الصُّلَيحيِّ مَهيباً مُكَرَّماً، ولم يكن اخْتَلَط به -فيما بَلَغَني- ولا رآهُ، وأَحْسِبُ ذلك بتأثير مقامته هذه مع أحمدَ بنِ المُظَفَّر.

أَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رَحِمَهُ الله قال: حدّثني محمّدُ بنُ تُبَّعٍ قال: قال: كانت وَصِيَّةُ جَوْب على يَدَيْ أبي رَحِمَهُ الله، وهي الّتي كان الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، يليها في أيّامِهِ، وكان أبي لا يَرَى حُضُور مجالسَ الصُّلَيحيِّين، ولا يَسْتَحِلّ زيارَتهم، ولا[١٤] الوُقُوفَ بين أَيْديهم.

فلـمّا مَلَكَ الصُّلَيحيُّ البَوْنَ أَخَذَ الوَصِيَّةَ، فلم يَرَ إلّا أَنْ يُطالِعَهُ فيها، وكان يومئذٍ بمَسْوَر لاعَة أيّامَ افْتَتَحَهُ. فسار يُريدُهُ، فلَقِيَهُ بقاعَة مِنْ أعلى البَوْن، فلمّا أَقْبَلَ إليه قِيْلَ له: هذا تُبَّعٌ القاضي. فأَكْرمَهُ وأَدْناهُ، وأَقْبل عليه يُحادِثُهُ، فقال: يا تُبَّعُ، أَخْبِرْني عَنْ قَوْلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه: «**افْتَرَقَتْ أُمَّةُ أخي موسى على إحدى وسبعين فِرْقَةً، كُلُّها هالكةٌ إلّا فِرْقَة؟ وافْتَرَقَتْ أُمَّةُ عيسى على اثنتين وسبعين فِرْقَةً، كُلُّها هالكةٌ إلّا فِرْقَة؟ وتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً، كُلُّها هالكةٌ إلّا فِرْقَة واحدة**»[1]، فمَنْ هذه الفِرْقة؟ فقال: إنّ

---

(١) المعجم الكبير للطَّبرانيّ: ١٣/١٧، وفيه: «ألا إنّ بني إسرائيل افترقت على موسى سبعين فرقة، كلّها ضالّة إلّا فرقة واحدة، الإسلام وجماعتهم، ثمّ إنّها افترقت على عيسى ابن مريم على إحدى وسبعين فرقة، كلّها ضالّة إلّا واحدة، الإسلام وجماعتهم، ثمّ إنّكم تكونون على اثنتين وسبعين فرقةً، كلّها في النّار إلّا واحدة، الإسلام وجماعتهم».

رسول الله، صلّى الله عليه، قُبِضَ يوم الإثنين، ودُفِنَ يوم الأربعاء، وكُلٌّ على قائم سَيْفِهِ[١]. فقال الصُّلَيحيُّ: مِنْ هٰهنا أُتُوا[٢]، ومِنْ هٰهنا ذَهَبُوا. ثمّ لم يَقُلْ شيئاً. ثمّ قال: يا تُبَّعُ، قد رَدَدْنا عليك الوَصِيَّة، ووَلَّيْتُك القَضاء، فَصَلِّ بالنّاس الجُمُعة، فأَنْتَ قاضي هَمْدان. قال: يا مولاي، قَتَلْتَ هَمْدانَ، وطَرَدْتَ النّاسَ وشَرَّدْتَهم، والبَلَدُ خَلاء، ومَنْ عَساهُ يجتمعُ معي؟

وكانَتْ وَطْأَةُ الصُّلَيحيِّ على هَمْدان وَطْأَةَ المُتَثاقِلِ حتّى لم يَذَرْ لهم طُباخاً[٣]؛ لأنّهم كانوا أَهَمَّ أَجْنادِ اليَمَن عليه لوُجُوهٍ، أَحَدها: لِشِدَّتهم وفَراسَتِهم وشُمُوخ أُنُوفِهم عَنِ الخُضُوع للمُلُوك، حتّى إنّ المُلُوكَ لتُدارِيهم وتَقْبَل المُسالَمَةَ منهم وتَحْمِلُ إليهم الجوائزَ والأَمْوالَ الجَمَّةَ مِنْ زَبِيْد وغيرها مِنْ ممالِكِ شِيْعَةِ بني العبّاس باليَمَن وغيرِهم مِنَ المُتَغَلِّبِين على المَخالِيْف. ومِنْ ذلك لتَعَصُّبِ عامَّتِهم لآلِ رسول الله، صلّى الله عليه، ولتَشَيُّعِهم لهم، لاسِيَّما لأئمّةِ الزّيديّة، وإنْ كانوا مع ذلك جَبّارين طُغاةً. فلم يَكُنِ الصُّلَيحيُّ يَعْتَدُّ ما مَلَكَ مِنْ بلاد اليَمَن مُلْكاً[٤] حتّى مَلَكَ أَمْرَ هَمْدان وقَهَرَهم وتأتّى لإبادَتِهم وإِذْلالهم.

لقد أَخْبَرَني يُوسُفُ بنُ الذُّويب، المعروف عندنا بمسعود، وهو شيخٌ كان عندنا بشَظَب مِنْ قَومٍ يُقالُ لهم: البرادع، يَنْزِلون سخير[٥] مِنْ ظاهر بني صُرَيْم مِنْ وادِعَة، وكان ممّن صَحِبَ الشَّريفَ القاسمَ بنَ جعفر بن القاسم بن عليٍّ الرَّسِّيِّ، لَهُ وَرَعٌ وتَعَفُّفٌ وصَلاةٌ

---

(١) في مخطوط الطّبقات الصّغرى (الورقة: ٤٧أ) «وعلي قائم بسيفه» وهو تصرّفٌ مخلٌّ لكلام مُسَلَّم، وتوجيه غير سَويّ.

(٢) في المخطوط: «أتيوا» وهو رسمٌ تكرّر في الكتاب غيرَ مرّةٍ، نحو قوله فيما سيأتي: «نسيو» و«لقيوا».

(٣) **طُباخاً**، بضمّ أوّله كذا ضُبِط بالمخطوط: قُوَّةً؛ وفي التّاج (ط ب خ): الطُّبَاخُ كسَحاب كذا وُجِدَ بخطّ الإياديّ ويُضَمُّ كذا وُجِدَ بخطّ الأَزْهَرِيّ: الإِحكامُ والقُوّةُ والسِّمَنُ يُقالُ: رَجُلٌ في كلامه طَباخٌ إذا كان مُحْكَماً.

(٤) في المخطوط: «ملكا ملكا» بتكرار «ملكا».

(٥) قوله: «سخير» من دون إعجام أو ضبط في المخطوط ومن عادة النّاسخ وضع علامة الإهمال للحروف المهملة، ولمّا لم يضع شيئًا فاللّفظ يحتمل وجوهًا للقراءة، ولاسيّما أنّني لم أقف له لظاهر رسمه على خبرٍ أو أثر.

وخُشُوعٌ، وكنتُ أَثِقُ بحَدِيْثِهِ لِما ظَهَرَ لي مِنْ سِتْرِهِ.

وأَخْبَرَني مالكُ بنُ عبدِ الله بنِ الكُباسِ وغيرُهُ مِنْ شُيُوخِ النّاس بنَحْوٍ مِنْ حديثِهِ، فأَخْبَرَني مسعودٌ قال: أَدْرَكْتُ هَمْدانَ قَبْلَ خُرُوجِ عليِّ بنِ محمّدٍ الصُّلَيحيِّ ودَعْوتِهِ، وهم أَلْفُ فارسٍ في صَنْعاءَ والبَوْن وأَعْمالِهما غيرَ وادِعَة وبَكيل ويام وحَجُور، وأَدْرَكْتُ عَنْساً، وهم أَلْفُ فارسٍ أيضاً، وبني الحارث بالرَّحبَة وفيهم خمسُ مئةِ فارسٍ، والأَبْناء وفيهم ثلاثُ مئةِ فارسٍ -أو قال: خمسُ مئة- أو نحو ذلك[١].

وكانَ ابنُ الأَشْحَبِ -أو[٢][١٥] قال: الأَشْحَب- مَلِك مَسْوَر ولاعَة، وهو مِنْ آل المُنْتاب- يَأْخذُ الإِتاوَة مِنْ مَلِكِ تِهامَة كُلَّ عامٍ، فإذا حال الحَوْلُ بَعَثَ لرُؤَساء هَمْدان مَنْ يَأْتِيْهِ بهم إلى بيت الجرابي بناحية مَسْوَر، ثمّ كَتَبَ إلى مَلِكِ زَبِيْد: إنَّ هَمْدانَ وحِمْيَرَ قد أَتَوني لجوائزهم، فإن أَتَتْهم الجوائزُ وإلّا أَتَوك. فيبعث إليه بالأَمْوال، فيُعْطِيهم منها، ويَكْسُوهم، ويَنْصرفون.

قال مسعودٌ ومالكٌ وغيرُهما ممّن أَخْبَرَني مِنْ شُيُوخ النّاسِ وثِقاتهم، والخَبَرُ ظاهرٌ لا خِلافَ فيه، فلم يَزَلِ الصُّلَيحيُّ بهم حتّى تَرَكَتْهُم دولتُهُ رحمةً للعالمين وعِبْرَةً للنّاظرين. وقَسَمَ ابنُهُ بعدَهُ بلادَ هَمْدان وبني الحارث والأَبْناء وعَنْس بين جَنْب وسَنْحان ونَهْد والحِجازيّين مِنْ هَمْدان مِنْ جُنْدِهِ. وكان الصُّلَيحيُّ إذا ذَكَرَ ظَفَرَهُ بهَمْدان زَها وفَخَر، واعْتَدَّ بذلك، وأُعْجِب بقَهْرِهم وعَجِبَ لَهُ كيف اتَّفق.

أَخْبَرَني شيخي إبراهيمُ بنُ عليٍّ رحمه الله، عَنِ القاضي محمّدِ بنِ تُبَّع بنِ المسلّم، قال: دَخَلَ عليُّ بنُ محمّدٍ الصُّلَيحيُّ البَوْنَ مَرَّةً، وكان ذلك بعد مَوتِ أبي رحمه الله، فهَرَبْتُ بأهلي وعِيالي إلى بلد الأَقْهُوم مِنْ بلاد الجابِريِّين مِنْ هَمْدان المَغْرب. فكنتُ بموضعٍ منه يُقالُ له:

---

(١) كرّر في المخطوط قوله: «أو نحو ذلك» تارةً في المتن وأخرى في الهامش.

(٢) كرّر في المخطوط: «أو» تارةً في نهاية الصّفحة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

بيت أَكْلُب. وإنّ الجابِريِّين اجتمعوا إلى العَلاء بن البايتي، وكان سَيِّداً مِنْ ساداتهم، وهو مِنْ بني مَعْروف بنِ فَهْم بنِ جابرِ بن عبد الله بنِ قادَم بنِ زيدِ بنِ عَرِيْبِ بنِ جُشَمَ بنِ حاشِد بن جُشَمَ بنِ خَيْرانَ بنِ نَوْفِ بنِ هَمْدان، وكان يُنْسَبُ إلى أنّه باطنيُّ الرّأي والمذهب.

فاجتمعوا إليه يُريدُون الطّاعةَ للصُّلَيحيِّ والتَّسليمَ لأَمْرِه، فرأيتُ أَنْ أَخْرُجَ في عُرْضِهم، وكان قد نَزَلَ بعَسْكَرِه على بِرْكة جَوْب، فخرجتُ لأَنْظُرَ ما صَنَعَ في دُورِنا مِنْ خَرابٍ أو حَريقٍ أو غير ذلك، فأَقْبَلْنا وقدِ اجتمعَ إليه أَصْحابُهُ، وقد قام على رِجْلَيْهِ، وكَشَفَ عَنْ ساعِدَيْهِ، وأَقْبَلَ على وُجُوهِ مُلُوك اليَمَن ورُؤَساء قَبائِلِها، وكانوا معه يومئذٍ؛ فمنهم: آلُ الكِرَنْديِّ مُلُوكِ المَعافِرِ ومِخْلافِ التَّعْكَر ونواحيها، وبنو مَرْوانَ مُلوكِ أَشْيَحَ وأَعْمال إِرْيان أَلْهان ونحوها، وبنو السُّخْطيِّ مُلُوكُ يَحْصُبَ، وملوك رَيْدان ومَنْكَث، وبنو أبي الفُتوحِ مُلُوكُ خَوْلانَ العالية، وابنُ شاذل مَلِكُ عَدَن، ونحوهم كالحُواليِّين والهَياثِم والأَتْبوع وآلُ مَعْنٍ، وغيرُهم مِنْ أَعاظِم اليَمَن.

فقال: يا سَلاطينُ ويا مشائخُ، مَنْ كان أَشْجَع أَهْلِ الجاهليّة: قالوا: عَنْترة، وفلانٌ وفلان. قال: والله، إنّ عبد الأَكْبر بنَ وُهَيبٍ وبَني ذَعْفان -يعني الحَمّاديِّين- لأَشْجَعُ مِنْ عَنْتَرة وأولئك. ثمّ قال: مَنْ أكرمُ أَهْلِ الجاهليّة؟ قالوا: حاتمٌ. قال، والله، إنّ أبا عُفَير اللَّعَويَّ لأَكْرَمُ منه؛ رجلٌ يَقْري الحاجَّ مِنْ عَدَن إلى زَبْدَة مِنْ صَمِيم مالِه. ثمّ قال: مَنْ أَشْعَرُ أهل الجاهليّة؟ قالوا: امرؤُ القيس بنُ حُجْرٍ؟ قال: والله، لإِسْماعيلُ بنُ علاء أَشْعَرُ منه. ثمّ قال: مَنْ أَعْلَمُ أَهْلِ[١٦] الجاهليّة؟ قالوا: قُسُّ بنُ ساعِدَة الإِياديّ؟ قال: والله، إنّ تُبَّعاً لأَعْلَمُ منه. ثمّ رَكَضَ برِجْلِهِ الأَرْضَ وقال: اليومَ مَلَكْتُ اليَمَن، اليومَ مَلَكْتُ اليَمَن؛ يريدُ أنّه لم يَعْتَدَّ بما كان مَلَكَ قَبْلَ مُلْكِهِ لهَمْدان وبلادها. ودليلُ ذلك تَعْظِيْمُهُ لقَدْرِ شِعْرِ ابنِ علاء، وكان ضعيفاً كثيرَ الفَساد، إلّا أنّ فيه البيتَ والأبياتَ ممّا يُسْتَجاد، فأراد تَفْخِيمَ

الأَمْرِ والفَخْرَ بما وَصَلَ إليه مِنْ قَهْر هَمْدان.

قال إبراهيمُ: قال محمّدُ بنُ تُبَّع: فتَقَدَّمْتُ إليه، وقلتُ: أنا ابنُ تُبَّعٍ، وهذه دُوْرُنا قد أُحْرِقَتْ! فصاح، يا غُلامُ. فابْتَدَرَ الغِلْمانُ والنّاسُ، فقال: اذهبوا فأَطْفِئُوا النّارَ مِنْ دُورِ هذا وأَهْلِهِ. قال: فتَدارَكُوا منها ما بقي، ولم يكن ذَهَبَ جميعُها.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رَحِمَهُ اللهُ في شيءٍ مِنْ أَخْبار الهَمْدانِيِّين، قال: أَدْرَكْتُ النّاسَ يُخْبِرون، وسمعتُ مَشائخَ هَمْدان يَقولُون: إنّ قيسَ بنَ الضَّحّاك سُلْطانَ هَمْدانَ في عَصْرِهِ خَرَجَ بعد قَتْلِ أبيه وقَومِهِ للمُخْتارِ بنِ النّاصر بن الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، وكان قيسٌ يَتَولّاهُ ويَتَعَصَّبُ له، وكان قدِ اخْتَلَط بِهِ وعَلَّمَهُ وقتَ أُسارهم له بتِلْفُم، وقد ذُكِرَ هذا الخبرُ في موضعٍ مِنَ الكتاب= فخرج قيسٌ على أَبِيْهِ وقومِهِ حتّى قَتَلَ قَتَلَةَ المُخْتارِ، وذُكِرَ أنّ أَباهُ كان فيمن قُتِلَ. ودَخَلَ البَوْن في جُيُوشٍ كادَتْ تَمْلأُ ما بين جَبَلَيْهِ، فهَرَبَ منه النّاسُ إلى جِبالِ حَضُور المَصانِع، فقَصَد آلَ زُنَيْج بن حَمّادٍ بصِلّيت مِنَ البَوْن. وأَتَى آلُ وُهَيْبٍ إلى عبدِ الأَكْبر بنِ وُهَيْب فقالوا: ما وُقُوفُك ههُنا وقد هَرَبَ النّاس؟ قال:إنّ لي صاحباً لا أَعْمَلُ إلّا برَأْيِهِ، فأَذْهَب فأُشاوِرهُ. قالوا: فدَخَلَ على فَرَسِهِ في مَعْلَفِهِ، وقال مخاطباً للفَرَس: أَتَهْرُبُ أم لا؟ فلمّا أَحَسَّ به الفَرَسُ صَهَلَ. فخرج إليهم فقال: إنّ صاحبي أَبَى الفِرارَ، وأنا له مُطِيعٌ، فلَزِمَ مكانَهُ، وما اكْتَرَث لكَثْرَةِ تلك الجُيُوش.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ، قال: كان ذَعْفانُ بنُ محمّدِ بنِ جعفرٍ الحَمّاديّ يَلْقَى التَّحيَّة مِنَ فُرْسان بني الحارث، وكانوا ثلاثَ مئةِ فارسٍ مَعْدودِينَ مُعَدِّينَ للعَظائِم. ومَلَكَ ذَعْفان صَنْعاءَ وعَلا على آلِ الضَّحّاك في أيّامه. فأَخْبَرَني عَنْ مشائخِهِ وسَلَفِهِ أنّ ذَعْفانَ كان لأُمِّ وَلَدٍ، يُقالُ لها: ميمونة، وكان أَبُوهُ وعُمُومتِهِ يَتَهاونُون به. وكان أَبُوهُ مُعَظَّم هَمْدان بصَنْعاءَ يومئذٍ.

فأَخْبَرَني عَنِ القاضي محمّدِ بنِ تُبَّع بنِ المسلّم، قال: كان في بني الحارثِ رَجُلانِ

يُعْرَفانِ بالجُمَيْلَين يُنازِعانِهِ الأَمْرَ، ويَتَوَثَّبانِ عليه في أَشْياءَ، فكانا قد غَلَباهُ على أَرْضٍ له وعَيْنِ ماءٍ بالرَّحبَة، مع ما هو عليه مِنْ عِظَم الشَّأْن في قومِهِ والرّياسة عليهم.

وكان مِنْ تَهاوُنِهِ بذَعْفانَ قد جَعَلَهُ خادِماً لفَرَسِهِ، وأنّ ذَعْفانَ غاظَهُ ما صَنَعَ بأبيه الجُمَيلانيّ[١٧] فأَخَذَ سيفَ أبيه ذاتَ يوم تحت ثيابِهِ، وخَرَجَ يُريدُ الجُمَيْلَين، فاتَّفَقَ أنّهُ وَجَدَهما في تلك الأَرْضِ الّتي اغْتَصباها أبا ذَعْفان محمّدَ بنَ جعفرٍ وَحْدَهما، ووَجَدَهما مُتَفَرِّقَين: أحدهما واقفٌ عند العَيْن، والآخر يَسْقي الزَّرْع. فقَتَلَ السّاقي، ثمّ أَتَى الواقِفَ بالعَيْن فقَتَلَهُ.

وكان عُظَماءُ النّاسِ يومئذٍ يُباشِرُون كثيراً مِنْ أُمُورهم بأَنْفِسهم؛ لأنّهم كانوا أَجْناداً مُتَغَلِّبين مَنْ عَزَّ بَزّ، ولم يكونوا مُلُوكاً مُتَرَبِّين[١] في دُسُوت المُلْك كغيرهم، إلّا أنّهم مع ذلك يَغْزُون القُرَى، ويَفْتِكون الفَتكات، ويَعْمَلُون الأَعامِيلَ الرّائعة[٢] المُفْزِعَة، ويَقُودُون الجُيوشَ الجَرّارة.

قال: فباتَ ذَعْفان ليلَتَهُ لم يُخْبِرْ أَباهُ بشيءٍ، ثمّ أَخْبَرَهُ بما صَنَعَ، فكَذَّبَهُ وأَكْبَرَ ما ادَّعى وأَعْظَمَهُ. فأَقْسَمَ له ذَعْفانُ لقد قَتَلَهُما. فلمّا تَيَقَّنَ محمّدُ بنُ جعفرٍ ذلك مِنْ فِعْلِهِ عَظُمَ عندَهُ، وجَلَّ في عَيْنَيْهِ وأَكْرَمَهُ، ثمّ سَلَّمَ إليه أَمْرَ صَنْعاء.

وكانت صَنْعاء -فيما بَلَغَني- دُرُوباً مُقْتَسَمَةً بين هَمْدان؛ وأَعْلاهم يومئذٍ قَدْراً آلُ الضَّحّاك وآلُ حَمّادٍ وآلُ زُنَيْج. وكان مِنْ بُيُوتاتهم الجليلةِ بالبَوْن آلُ ذي لَعْوَة وآلُ وُهَيْبٍ ونحوهم. ولمّا صار أَمْرُ صَنْعاءَ إلى ذَعْفانَ بنِ محمّدِ بنِ جعفرٍ الحَمّاديّ تَجَبَّرَ وطَغَى.

فأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رحمه الله قال: حدّثني القاضي محمّدُ بنُ تُبَّعٍ، قال: حدّثني الضَّحّاكُ المُعِيْديُّ -قال إبراهيمُ بنُ عليٍّ: وقد أَدْرَكْتُهُ شيخاً كبيراً وعليه سِيْماءُ الدِّين

(١) يحتمل في المخطوط أن يُقرأ: «مترئسين».

(٢) كذا: «الرّائعة»!

والطَّهارة وله آلة ذلك، وكان يَنْزِلُ حَدَقان مِنْ رحبَة صَنْعاء وابْناهُ سلامةُ وأحمدُ ابنا الضَّحّاك، وهما مِنَ المَعارِيف في أَجِلّاء هَمْدان- قال محمّدٌ: فأَخْبَرَني الضَّحّاكُ قال: كان ذَعْفانُ بنُ محمّدِ بنِ جعفرٍ الحَمّاديّ وقتَ مُلْكِهِ بِصَنْعاء لا يَشْرَبُ إلّا في آنِيَةِ الذَّهَب والفِضَّة، فاسْتَسْقى يوماً فسُقيَ في إناءِ جَوْهَرٍ، فغَضِبَ وقال: ما أنا بَدوِيٌّ ولا أَعْرابِيٌّ فأُسْقَى في هذا! قال: فضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرَبانَهُ ثمّ إنّ مَلِكَ زَبِيْد بَعَثَ إلى هَمْدانَ يَدْعُوهم للعَطاء والخُرُوج معه لحَرْبِ بَعْضِ أَعْدائه؛ وكانتْ هَمْدانَ -مع مُلْكِها- لا تَأْنَفُ مِنَ الدُّخُولِ في رُسُوم الجُنْديّة وغاراتها، ولا تَرَى في ذلك شيئاً.

قال: فتَقَدَّمَ ذَعْفانُ بنُ محمّدٍ إلى زَبِيْد ليَزْدادَ في العَطاء. قال الضَّحّاكُ: وأتيتُ بعد ذلك في فُرْسانٍ مِنْ هَمْدان فوق المئة، فتَلَقّانا مَلِكُ زَبِيْد في جُنْدِهِ بالطُّبُولِ والبُوقاتِ والأَعْلامِ والرّايات، فلم أَرَ فيمن تَلَقّانا ذَعْفانَ، فقلتُ في نفسي: ما بَلَغَ ابنُ ميمونةَ في نفسِهِ، فلم يَتَلَقَّنا مع المَلِك وأَصْحابِهِ؟ ثمّ قِيْلَ لي: إنّه مريضٌ، فدخلتُ عليه أنا وأُناسٌ معي، فرأيتُهُ في أَسْفَلِ دارٍ على غيرِ فِراشٍ وبين يَدَيْهِ[١٨] جَرَّةٌ كانت للعَسَل مكسورةٌ[(١)] فيها له ماءٌ، يشرب منها بكِلْتا يَدَيْهِ، وعليها مِنَ الذِّبّانِ ما عَلِمَ الله. فذَكَرْتُ ما قال يومَ سُقيَ في إناءِ الجَوْهَر، ورَأَيْتُ عِبْرَةً عظيمةً. قال: ومات في مرضِهِ ذلك بزَبِيْد.

قال الضَّحّاكُ: وممّا رأيتُ مِنَ العَجائبِ أنّ ذلك المَلِكَ بزَبِيْد خَرَجَ يُريدُ المَهْجَمَ مِنْ سُرْدُد، وقدِ اجتمعَ له جَيْشٌ عظيم، فلمّا خَرَجَ على النّاسِ لم يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَقْصَى ذلك الجيشِ إلى أَدْناهُ إلّا شَمَّ رائِحَةَ المِسْكِ مِنْ ثِيابِهِ، فلمّا نَزَلَ بالمَهْجَم مَرِضَ، واسْتَسْقَى بطنُهُ حتّى صار فوقه كالطَّبْلِ العظيم، ووَرِمَتْ أَطْرافُهُ، ثمّ تَفَجَّرَ بَدَنُهُ أَجْمَعَ بماءٍ كبَوْلِ الحِمار، ثمّ أَنْتَنَ جَسَدُهُ فما بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَقْصَى العَسْكر إلى أَدْناهُ حتّى شَمَّ نَتَنَهُ كما شَمَّ بالأَمْس طِيْبَهُ، ثمّ مات فما دَفَنَهُ إلّا أَعْبُدٌ مِنَ الزِّنْج كانوا معهُ، فدَفَنُوهُ وهم مُتَلَثِّمون اسْتِقْذاراً لرائحته.

---

(١) في المخطوط: «مكسروه» بتقديم الرّاء المهملة على الواو.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ مشائِخِهِ، قال: بَلَغَ إبراهيمَ بنَ حَمّادٍ، وهو مِنْ سَلَفِ آلِ زُنَيْج بصِلّيت مِنَ البَوْن عَنْ يحيى بنِ أبي حاشِدِ بنِ الضَّحّاك مَلِكِ هَمْدانَ في عَصْرِهِ= أَمْرٌ كَرِهَهُ، فغَضِبَ فرَكِبَ فَرَسَهُ وأَقْبَلَ حتّى قَرَعَ على يحيى بنِ أبي حاشِدٍ لَهْجَ قَصْرِهِ بصَنْعاء وقال: (من مشطور الرَّجَز)

أَتاكَ مَنْ لا يُؤْخَذُ ابْتِهازا

إذا أَمَرْنا بِالخِلافِ جازا

و«**اللَّهْج**» بلُغَة اليَمَن: هو الطّاقة مِنْ طِيْقان القُصُور والدُّوْر. و«**الابْتِهاز**» بالزّاي، و«**الابْتِهار**» بالرّاء، وكذلك «**البَهْز**» و«**البَهْر**»: بمعنى الغَلَبَة والدَّفْع والقَهْر.

وأَخْبَرَني عواضُ بنُ سلامةَ مولى آلِ أبي عُبَيْدةَ بمَدَر مِنْ مَشْرق حاشِد، وكان مِنْ أَهْلِ الدِّيْن ومَنْ يُوْثَق بِهِ، قال: سَمِعْتُ غيرَ واحدٍ مِنْ مَشائِخِنا، ومِنْ بني حَمّادٍ، وكانوا أَصْدقاء لشُيُوخنا، يُخْبِرون أنّ حاجبَ بنَ إبراهيمَ الحَمّاديَّ شَهِدَ وقعةَ حاز فارساً وعليه **طالقان** أحمرُ-أي: لِبْد-فجعل يَكُرُّ في عسكرِ الصُّلَيحيِّ مُقْبِلاً ومُدْبِرا، ويَطْعَنُ ويَجْرَحُ حتّى كادَ يأتي على كثيرٍ منهم إلّا أنّه كانتِ الدَّبَرَةُ على هَمْدانَ يومئذٍ.

فلمّا عَرَضَ الصُّلَيحيُّ عَسْكَرَهُ ورَأى الجَرْحَى جَعَلَ يَسْأَلُهم عَمَّنْ أَصابَهم، وهل عَرَفُوهُ؟ فكلّما سَأَلَ منهم واحداً عَمَّن جَرَحَهُ، قال: صاحبُ الطّالقان الأحمر. فقال: وَيْحَكُم، إنّه قد أَتَى على النّاسِ صاحبُ الطّالقان الأحمر. فقال رَجُلٌ ممّن حضرَهُ: إنّه مُطَنْبِرٌ[1] كان بالبَوْن. فقال الصُّلَيحيُّ: يا لله على مئةِ مُطَنْبِرٍ مثلِهِ.

قال: فلمّا وَطِيءَ الصُّلَيحيُّ هَمْدانَ وذَلَّلَها صارَ حاجِبٌ إلى الجَوْف، وتَرَكَ الفَرَسَ وتَوارَى هنالك آخِرَ عُمُرِهِ. وكانت له دَوابّ تُكْرَى له بها يعيشُ به.

---

(١) **المُطَنْبِر**: مَنْ يُحْسِن استخدام الطُّنْبُور، وهو آلةٌ مِنَ آلات اللَّعِب واللَّهْو والطَّرَب معروفة؛ اللّسان والتّاج: (ط ن ب).

وقد ذَكَرَ مفرّحُ بنُ أحمد الرَّبَعيُّ[١٩] في كتابه في (**سيرة آل القاسم**) الحسنيّين بشَهارَةَ أنّ وَقْعة حاز هذه مِنْ آخِرِ وقعةٍ كانت بين الصُّلَيحيِّ وهَمْدانَ، وفيها قُتِلَ آخِرُ مَنْ بَقيَ مِنْ فُرْسانهم ورِجالهم المَنْظُور إليهم، نحو عليِّ بنِ ذَعْفانَ الحَمّاديِّ، وقيسِ بنِ وُهَيْبٍ، وذلك في سنةَ ثمانٍ وأربعين وأربع مئة.

قال: وفيها حَصَرَ الصُّلَيحيُّ القاسمَ بنَ جعفرِ بنِ القاسمِ بنِ عليٍّ الرَّسِّيَّ وأَهْلَ بيتِهِ بهَرابة مِنْ بلاد وادِعَة، فأَسَرَهم ومَنَّ عليهم. فطُفِئَتْ جَمْرَةُ الحُرُوب عنه، ولم يَبْقَ عليه مُعْتَرِضٌ، ففعَلَ ما شاء.

وفي هَلاكِ هَمْدان بِيَدِ الصُّليحيِّ قال قائلُهُم بعد ذلك: (من الطّويل)

مَتَى تَسْأَلُوا هَمْدانَ ماذا دَهاهُمُ ... يَقُولُوا لَكُمْ: داعي الإِمامِ أبي عَلي
ودَعْوَةُ داعي آلِ ياسِيْنَ، قُلْتُمْ: ... حَياةٌ، فَقُولُوا: في العَذابِ المُنَزَّلِ
تَرَى أَرْؤُساً مَنْصُوْبَةً وعَلَى الثَّرَى ... وداعٍ يُنادي: أَيُّها الخَيْلُ، أَقْبِلي
وكَمْ مِنْ أَسِيْرٍ في القُيُودِ وقَرْيَةٍ ... خَرابٍ ومَطْرُودٍ إلى غَيْرِ مَوْئِلِ
وكَمْ حُرَّةٍ مَسْلُوْبَةٍ لا تَلُفُّها ... ثِيابٌ ولا تَأْوي إِلى قَعْرِ مَنْزِلِ
وكَمْ مِنْ يَتِيْمٍ ضائِعٍ في مَضِلَّةٍ ... مِنَ البِيْدِ يَعْوي كالخَلِيْعِ المُعَيَّلِ
وكَمْ مِنْ فَقِيْرٍ صافَحَ القَيْدُ كَعْبَهُ ... يُطالَبُ في مالٍ ولم يَتَمَوَّلِ
وكَمْ مِنْ كَبِيْرِ السِّنِّ قَدْ رَقَّ جِلْدُهُ ... نَبِيْذٍ سَلِيْبٍ بِالحَشِيْشِ مُزَمَّلِ
وتِلْكَ ذُنُوْبٌ أَسْلَمَتْنا إِلى العِدَى ... ولَوْلا مَعاصي رَبِّنا لم نُذَلَّلِ
نُصَلِّي فَنَدْعُو، والضَّمِيْرُ مُخالِفٌ ... لِظاهِرِ ما نُبْدي، فَنُخْذَلُ مِنْ عَلي

وكَمْ مِنْ مَقامٍ قَدْ دَعا النَّاسُ رَبَّهُمْ وقالُوا مَعاً: يا رَحْمَةَ اللهِ فانْزِلي[(١)]

فَكانُوا كَما قالَ اليَهُوديُّ مَرَّةً ولَيْسَ مُضِلٌّ عَنْ مُضِلٍّ بِمَعْزَلِ:

لَعَمْرُكَ ما لامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ولكِنَّ مَنْ لم يَنْصُرِ اللهَ يُخْذَلِ

«**أيّها وأيّتها**»: كلّ ذلك جائزٌ لأنّه يُذكّر بمعنى الرّجال، ويؤنّث بمعنى الدَّوابّ، وقد يوجد مثل ذلك في كلام النّاس؛ والتّذكير على الجملة، إذا كان ذكر مع المؤنّث الحقيقيّ، جائزٌ.

---

(١) **المَقام**: بالفَتْح والضَّمِّ، وقد يَكُونانِ للمَوْضِع؛ لأنّك إذا جَعَلْتَه مِنْ قَامَ يَقُوم فَمَفْتُوحٌ، وإنْ جَعَلتَه من أَقام يُقِيمُ فمَضْمُومٌ، فإنّ الفِعلَ إذا جاوزَ الثّلاثَةَ فالمَوضِعُ مَضْمُومُ المِيمِ؛ لأنّه مُشَبَّهٌ بِبَناتِ الأَرْبَعة نحو: دَحْرَجَ وهذا مُدَحْرَجُنا؛ التّاج: (ق و م).

ابنا الصِّيْنيِّ

هما رَجُلانِ مِنْ أَقاربِ القاضي تُبَّعِ بنِ المسلّم، كانا يَنْزِلان قريةَ بني ضامٍ مِنْ مَشْرقِ حاشِد، ونَسَبُهما في قومٍ يُقالُ لهم: بَنُو عباد، مِنْ حِمْيَر. وهما عليّ وإسحاق ابنا الحسنِ بنِ محمّدٍ.

وقد كان أَخْبَرني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رَحِمَهُ اللهُ بأَسْمائهما وأَخْبارهما فنَسِيْتُ شيئاً، وشَكَكْتُ في شيءٍ؛ فأمّا أَسْماؤهما فتيَقّنتُها مِنْ بعض عَقْبِهما، وأمّا الأَخْبارُ فلم أَتَنَبَّهْ لتَصْنِيفِ هذا الكتابِ حتّى مَضَى القَرْنُ الّذين كنتُ أَتَذَكَّرُ ما شِئْتُ مِنْ ذلك[٢٠] بسُؤالهم.

والصِّيْنيُّ لَقَبٌ لا نَسَبٌ فيما بَلَغَني، وبَلَغَني أنّ أباهُم كان أَصْلَعَ أو حَلِيْقاً، فَمَرَّ بقومٍ فكأَنَّهم عَجِبُوا لبَرِيْق رَأْسِهِ، فقالوا: كأَنَّهُ صِيْنيٌّ. تَشْبِيهاً بالصَّحْفة الصِّيْنيّةِ والقَدَحِ الصِّيْنيِّ ونحو ذلك.

ومهما ذَهَبَ عَنّي مِنْ أَخْبارهما فلن يَذْهَبَ عَنِّي أنّ إبراهيمَ بنَ عليٍّ كان يُخْبِرُنا بأنّ أُمَّهُ-وكانت مِنْ عَوائدِ النّساءِ وذَواتِ الفَضائل، وربّما مَرَّ لها ذِكْرٌ في أَخْبار إبراهيمَ بنِ عليٍّ، إن شاء الله- كانت تَأْمُرُهُ بصُحْبَتِهما ومُجالَسَتِهما، وتَحْدُوهُ على ذلك وتَنْهاهُ عَنْ غيرِهما.

قال: وكانا مِنْ عُلَماء الزّيديّة وعُبّادهم ذَوي الجِدّ والاجْتِهاد في طاعة الله. قال: فقَبِلْتُ عنها ذلك. فمِنْ قِبَلِهما أَصَبْتُ حُبَّ الخير، وتَعَوَّدْتُ العَمَلَ بما يُرْضي اللهَ سبحانَهُ، وتَعَلَّمْتُ أَصْلَ اعْتِقادي، ثمّ صِرْتُ إلى صُحْبَةِ عامرِ بنِ صَعْترٍ رَحِمَهُ اللهُ، فتَمَّمَ البُنْيان.

ابنُ صَعْتَرٍ

هو عامرُ بنُ صَعْتَرِ بنِ عامرِ بن تميمٍ العُذَريُّ.

مِنْ أَهْل التّوّ مِنْ مَشْرِقِ حاشِد، وكان أَحَدَ شُيُوخَ أَهْلِ العَدْلِ والتّوحيد مِنَ الزّيديّة. وكان رَجُلاً مِنَ الأَغْنِياء وذَوي النِّعَم والرّياسة في قومِهِ، فلم يُفارقْ بَلْدَتَهَ ولا كان سَيّاراً في الأَرْضِ، بل كان يُطْعِمُ في موضعِهِ، ويَتَصَدَّق ويُقْري الضَّيْفَ، ويُعلِّمُ بحَسَبِ فَراغِهِ مَنْ رَأَى مِنْهُ رَغْبَةً في ذلك، ولا يَتَعَرَّضُ لذلك تَعَرُّضَ الدُّعاةِ والمُتَفَرِّغين لذلك.

وقد نسيتُ كثيراً مِنْ أَخْبارِهِ وفَضائلِهِ في صَدَقاتِهِ وأَخْلاقِهِ، وتَعَذَّرَ عليَّ تَدارُكُ ذلك بمَوتِ إبراهيمَ بنِ عليٍّ رحمه الله وأَهْلِ قَرْنِهِ مِنَ الأفاضل مِنْ أهلِ بلدتِهِ، إلّا أَنّي أَحْسِبُ أنّه كان يَذْكُرُ أنّه كان يَسْتَولي على كثيرٍ مِنْ أَمْوالِ الخارِدِ ونَحْوِهِ، ويُوَسِّعُ في بَذْلِ المعروف إلى النّاس، وأَحْسِبُهُ أبا الصَّعاتِرَةِ بالتّوّ اليومَ.

فأمّا طريقتُهُ في الاعْتِقادِ فهو كان مُعَلِّمَ شيخِنا إبراهيمَ بنِ عليٍّ هذا، رحمهما الله، لِما يعتقدُ مِنَ العَدْل والتّوحيد. وقد ذكرتُ في موضعٍ أنّه هو اعْتِقادُ مُطَرِّفٍ بعيْنِهِ لا خِلافَ فيه، وإنْ لم يكن أَخَذَهُ عنه، بل أَخَذَهُ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ، عَنِ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، ولهذا ومِثْلِهِ وإِحْيائِهِ نَدِمْتُ على ما فاتَني مِنْ أَخْبارِ الزّيديّة، وقد فاتَني الكثيرُ منها بمَوتِ الشُّيُوخِ منهم، رحمهم الله، فتَداركتُ ما في هذا الكتاب، وهو الأَقَلُّ مِنْ ذلك.

ومِنْ فضائلِهِ أنّه كان في سِنِي المَجاعة الّتي تُعْرَفُ بمَجاعَة بني الصُّلَيحيِّ عندنا، وتُعْرَفُ بسِنِيْ دَخْنان في أَعْمال صَنْعاء=مَلْجأً للفُقَراء والجُوَّع، ولذلك لَجَأَ إليه[٢١] إبراهيمُ بنُ عليٍّ رحمه الله، فيما أَخْبرني به، فكان شَبِيْهاً بماءِ السّماءِ الأَزْديِّ لمن اتَّصَل به.

وأَحْسِبَهُ كان مِنْ شُيُوخِ النّاسِ في بابِ الجاهِ، فلم تُصِبْهُ مَضَرَّةُ دولةِ الصُّلَيحيِّ في مالِهِ ولا في نفسِهِ، فإِنَّ إبراهيمَ بنَ عليٍّ رَحِمَهُ اللهُ أَخْبَرَنا أَنَّهُ كان عندَهُ جاراً مُتَوارياً عَنْ ظَلَمَةِ مَنْ يَخْدِمُ الدّولةَ مِنْ عشيرتِهِ بني ضام.

المُغِيْثُ

هو رَجُلٌ مِنْ شُيُوخِ الزّيدية الأَفاضِل، أَهْلِ الإِخْلاصِ والقُصُودِ الحَسَنة، والصّفاءِ لله وفي الله، والإِيْثارِ للآخرة، وكان يَنْزِلُ صَنْعاء، ودارُهُ قد كانت معروفَةً على شَطّ السُّرارِ بناحية دَرْب بني غانم اليومَ، وقَبَضَها بعضُ الصُّلَيحيِّين في دولتهم فجَعَلَها دارةً أو داراً بإزائها، ذهب عنِّي ذلك.

ونسبُهُ في بني الخِراش مِنْ ضياف بن سُفْيان بن أَرْحَب، إحدى قبائل بَكيل، وصار في آخر عمرِهِ إلى الجَوْف وبه مات رَحِمَهُ الله.

فأَخْبَرَني عَواضُ بنُ عليِّ بنِ عليِّ بنِ شاطرٍ، وكان مِنْ صُلَحاء الزّيديّة برَيْدَة، له اجتهادٌ وورَعٌ، وكان مُتَوَرِّعاً عَنِ القَطْع بسُوْءٍ على أَحَدٍ مِنْ فَرِيْقَي[1] الزّيديّة، وكنتُ أَثِقُ به وأَرْضاهُ. قال: حدّثني محمّدُ بنُ أيّوب -قال: وكان مِنْ صُلَحاءِ النّاسِ عندنا برَيْدَة وذَوي الدِّيانة- قال: قال لي أبوك عليُّ بنُ عليٍّ: كانَ آخِرُ ما بَقيَ مع المُغِيْثِ مِنْ مالِهِ ما عَمِلَ به جَفْنَةً مِنْ خُبْزٍ ولَحْمٍ، وجَمَعَ عليها جماعةً مِنَ المسلمين فأَكَلُوها، ومات بعد يومين أو ثلاثةٍ رَحِمَهُ الله. وذلك أنّه حين مَلَكَ الصُّلَيحيُّ صَنْعاء خَرَجَ مهاجراً عنها إلى الله، فقَصَدَ جَوْف أَرْحَب ومعه بقيّةٌ مِنْ مالِهِ يُنْفِقها في سبيلِ الله على ما جَرَتْ به عادتُهُ بصَنْعاء، حتّى إذا لم يَبْقَ إلّا دقيقٌ وشيءٌ يكون ثَمَنَ كَبْشٍ أَعْطانِيْهِ وأَمَرَني فاشْتَرَيتُ له بِهِ كَبْشاً في يومِ جُمُعَةٍ كان، وأَمَرَ بالكَبْشِ فذُبِحَ وبالدّقيق فخُبِزَ، فكانت منها جَفْنَةٌ عظيمة، ثمّ دعا لها مَنْ أَكَلَها مِنَ المسلمين، وكان مِنْ خَبَرِهِ ما تقدّم ذِكْرُهُ.

---

(١) كُتِب بالهامش بخطٍّ مغاير: «المخترعة والمطرفية» وهو للتّبيان وليس لرَمِّ سَقْطٍ إذ لا مكان له.

وأَخْبَرَني عَليان بنُ إبراهيمَ بنِ يحيى بنِ زنجي رحمه الله، عَنْ سَلَفِهِ مِنْ مَشائخِ الزّيديّة وغيرِهم، قالوا: كان المُغِيْثُ رحمه الله قد فَرَّغَ للزّيديّة أيّامَ كَوْنِهِ بصَنْعاء داراً برَسْمِهم، فكانوا يَقْصِدونها إذا أَتَوا صَنْعاء فيَنْزِلون بها لا يحتاجون إلى إذْنٍ.

وأَخْبَرَني عليان -أو محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ- أنّه كان ذا نِعْمَةٍ وسَعَةٍ، وكان له خَدَمٌ يَدْبَغُون[1] الجُلُود، فكان يُصِيب في ذلك ويَتَّجِر، وكانت صَدَقاتُهُ أَمْثالاً سائرةً، وعَجائبُهُ في نَوادِرِها أَسْماراً تُحْكَى[٢٢] وتُعاد.

وبَلَغَني أنّه كان لا يَلِيْق[2] جُوْداً، ولا يَهُولُهُ بَذْلُ المال، بل كان يَتَلَذَّذُ به؛ وفي ضِيافتِهِ جَرَى المثلُ السّائر بين الزّيديّة في «**حِيْطة الحِجازيّ**».

وكان مِنْ خَبَرِهِ فيما أَخْبَرَني به مُعَلِّمي أسعدُ بنُ عبدِ الفاضلِ بنِ يحيى بنِ العُبَيْديّ اليامِيُّ -وكان مِنْ أَفْضَلِ مَنْ رأيتُ مِنْ شبابِ الزّيديّة، وأَشْبَهِهم في حِلْمِهِ وزُهْدِهِ ورَأْيِهِ ووَقارِهِ وتَثَبُّتِهِ، بالمَشائخِ مع عِبادةٍ وعِلْمٍ، وقد ذكرتُهُ في موضعٍ آخَرَ بما هو أَهْلُهُ أو هو فوق ما ذَكَرْتُ- عَنْ مشائخِهِ مِنَ الزّيديّة، وكان مِنْ أَصْحابِ عُلَيّانَ بنِ سعدٍ البَحيريِّ وإبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثم والحسين وعليّ ابْنَي عبد الحميد ونحوهم؛ قال: كان المُغِيْثُ قد عَوَّدَ الزّيديّةَ في ضِيافتِهِ أنْ يأتيَهم بأَلْوانِ الطّعام، كلّما أَكَلُوا على لَونٍ ساعةً رُفِعَ وأَتَى بآخَرَ، فكان مَنْ قدِ اعْتادَ ذلك يَنْتَظِرُهُ، فاتّفَقَ في بعضِ الأيّام أنّه أتى بلَحْمٍ كثيرٍ مِنْ لَونٍ واحدٍ، ولم يكن عندَهُ ذلك اليوم غيرُهُ، وجَعَلَ يختلفُ إليهم على ما جَرَتِ به عادةُ المُضِيْف، ويَقولُ: كُلُوا فليس معكم في هذه السّاعة غيرُ هذا. مرّةً بعد أُخْرى، وكان القومُ يَظُنّون أنّ هذا مِنْ حُسْنِ خُلُقِهِ المَعْروف، وعادَتِهِ في حُبِّه الاسْتِكْثار مِنْ طَعامِهِ، وربّما يأتي بشيءٍ آخَرَ، فلم يَشْبَعْ أَحَدٌ منهم إلّا أحمدُ الحجازيُّ رحمه الله، وكان مِنَ الأَفاضِلِ الصّالحين

---

(١) دَبَغ الجِلْد يَدْبَغه ويدبِغه ويدبُغه، بالثّلاث الحركات.

(٢) يَلِيْق: يُمْسك؛ يُقال: فلانٌ لا تَلِيْقُ كَفُّهُ دِرْهَماً ولا تَلَيْقُ بكَفِّهِ دِرْهم؛ أي: ما يُمْسِكُه ولا يَلْصَق به؛ التّاج: (ل ي ق).

فذَهَبَ إلى ما قال الشّاعر: (من الطّويل)

وما هِيَ إلّا جَوْعَةٌ إنْ سَدَدْتَّها وكُلُّ طَعامٍ بَيْنَ جَنْبَيَّ واحِدُ

فأَكَلَ حاجتَهُ مِنْ ذلك اللّون وقَضَى غَرَضَهُ.

وطال تَرَدُّدُهُ وتَحْضِيْضُهُ لهم على الأَكْل، فلمّا رآهم لا يأكلون رَفَعَ المائد[ة]، وأَتَى لهم بغَسُولٍ فغَسَلُوا، فباتُوا أَجْياعاً إلّا أحمد الحِجازيّ؛ فكأنّهم سَأَلُوهُ على وَجْهِ المُؤانَسَة وحُسْنِ الخُلُق عَنِ السّبب فيما صَنَعَ؟ فقال: أخذتُ بالحِيْطة. أو نحو ذلك. فقِيْلَ: «**حِيْطَةُ الحِجازيّ**». وضَرَبُوا ذلك مثلاً.

ومِنْ عجائبِ أَخْبارِهِ ما أَخْبَرَني به عَليان بنُ إبراهيمَ رحمه الله عَنْ مَشائِخِهِ، قال: كانت للمُغِيْث جِرْبَةٌ فباعَها مِنْ أُخْتٍ كانت له، وتَصَدَّقَ بثَمَنِها، ثمّ إنّ أُختَهُ مَرِضَتْ، فدَخَلَ عليها فأَوْصاها بتَقْوَى الله وأَن تَتَصَدَّقَ بالجِرْبَة، وقال لها -فيما يَقولُ-: اسْتَأْثري بثَوابِ هذه الجِرْبَة، فإنّك إنْ مِتِّ، وتَرَكْتِها لي أَرِثُها، تَصَدَّقْتُ بثَمَنِها. فلم تفعل. فلمّا ماتَتْ وَرِثَ الجِرْبَة ووَرِثَ معها حَلْياً كان لها بأَلْف دينارٍ، فباعَ[٢٣] الجِرْبَةَ، وتَصَدَّق بذلك كُلِّهِ. واتَّفَقَ أنَّ ابنَ عَمٍّ له اشترَى الجِرْبَةَ ثمّ مات فوَرِثَها المُغِيْثُ فباعَها وتَصَدَّق بثَمَنِها مرّةً ثالثة.

وأَخْبَرَني عَليان بنُ إبراهيمَ عَنْ مشائِخِهِ، قال: كان بصَنْعاءَ شريفٌ فَقِيرٌ له بناتٌ كثيرٌ، فلم يكنْ أَحَدٌ يرغبُ في نِكاحِهِنَّ للفَقْر، فتَفَكَّرَ المُغِيْثُ في شأنِ الشّريف وبناتِهِ، وفيما يَنْصُرُهُ به فيهنّ لله وفي الله، ويَقْضي به حَقَّهُ في دِيْنِ الله، فعَمَدَ إلى كُسْوَةٍ جيّدةٍ وحِلْيَةٍ صالحةٍ فشَراها، وكان أَوان عِيْدٍ مِنَ الأَعْياد، وأَتَى بها الشّريفَ، وقال: قد أَعَرْتُك هذه الكُسْوَة وهذا الحَلْيَ لبَناتِك للعِيْد، فأَخَذَها الشّريفُ، فلمّا مَضَتْ أيّامُ العِيْد أَتَى بها حتّى رَدَّها إلى المُغِيْثِ، فقال المُغِيْثُ: قد وَهَبْتُها لَهُنَّ، فلمّا انصرف بها الشّريفُ إلى بناتِهِ فَشَا الخَبَرُ إلى الأَشْراف فخَطَبُوهنّ، فزَوَّجَهُنّ.

وأَخْبَرَني أسعدُ بنُ أبي السُّعُودِ بنِ المختار، الصَّيْقَل ببلادنا، وكان مِنَ الزّيديّة وممّن

صَحِبَ الشُّيُوخ الصّالحين منهم، وهو مِنَ الثِّقات عندنا، عَنْ عُلَيّانَ بنِ إبراهيمَ أنّه سَمِعَهُ يَقولُ: كانت بَناتُ ذلك الشّريف ستًّا.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ قال: أَخْبَرني إبراهيمُ بنُ أحمدَ الصَّبَرِيُّ شيخُ المسلمين عَنْ نفسِهِ في سببِ توبَتِهِ وخَبَرِها، وقد ذكرتُ ذلك في أَخْبار نَهْدِ بنِ الصّبّاح، رحمهم الله، وذكرتُ أنّه قال: فلقيتُ نَهْداً فخَطَبْتُ إليه ابنتَهُ، فقال: يا بُنَيَّ، لي ابنتان، فإنْ أَحْبَبْتَ فاخْتَرْ، وإنْ أَحْبَبْتَ اخْتَرْتُ لك. فقلتُ: بل اخْتَرْ لي. فقال: إنّ الكبيرةَ تَصْلُحُ لرَجُلٍ فَقِيرٍ، وأنت فقيرٌ، فقد اخْتَرْتُها لك. قال: ثمّ أَخَذَني وهَبَطْنا صَنْعاء فأَتَيْنا إلى المُغِيْث، فلمّا قال له: أُريدُ كذا وكذا. اشْتراهُ فلم يَبْقَ شيءٌ يحتاجُهُ مِنْ جِهاز[1] العُرْس والعَرُوس إلّا أَتَى به.

---

(١) **الجِهاز**: بالكَسْر والفتح.

ابن أبي الشَّوك

هو الحَسَنُ بن أبي الشَّوك.

رَجُلٌ مِنْ شُيُوخِ الزّيديّة، كان يَنْزِلُ الرَّجَو مِنْ مَشْرِق حاشِد، وكان له بَصَرٌ وعِلْمٌ ودِيانةٌ وقَدْرٌ عند أهل العِلْم، وهو مِنْ قُدَماء هذه الطّبقة.

أَخْبَرني شَيْخي إبراهيمُ بنُ عليٍّ أنّه أَدْرَكَهُ بالرَّجَو شيخاً كبيراً، وأَخْبَرَني أنّه سَمِعَ أَهْلَ الرَّجَو يُخْبِرون عَنْهُ أنّه سُئِلَ عَنِ المُعِيْدِ في أيّامِهِ: أَإِمامٌ هو أم لا؟ فقال للسّائل: لا، ولكن اكْتُم عليّ. قال: فخَرَجَ الرَّجُلُ السّائلُ له مِنْ ساعتِهِ حتّى دَخَلَ على المُعِيْد، فأَخْبَرَهُ الخَبَرَ. فأَمَرَ بإِحْضار الحَسَن بن أبي الشَّوك، فلمّا دَخَلَ عليه، قال: يا حَسَنُ، أَحَقًّا أنّك قلتَ: إنّي غيرُ إمامٍ؟ قال: نعم، للسّائلِ ومثلِهِ، إنّما إمامُهُ ثَوْرُهُ؛ وإنّما أَنْتَ إمامي وإمامُ مثلي مِنَ النّاس. قال: فضَحِكَ المُعِيْد، وقال: بارَكَ الله فِيْكَ وأَعْجَبَهُ[٢٤] ذلك منه.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ أيضاً أنّ الحَسَنَ بنَ أبي الشَّوك نَظَرَ فرَأَى خَدَمَ المُعِيْد وأَصْحابَهُ أهلَ شَعْرٍ يُرَجِّلُونَهُ، فقال: يا مولاي، ما بالُ هؤلاءِ أَهْل شَعْرٍ يُرَجِّلُونَهُ؟ قالوا: نَكْرَهُ أن نَتَشَبَّهَ بهؤلاء الرَّوافض المَناحَيْس. وكان المُنْكِرون لإمامَتِهِ أهلَ التَّزَيِّي بِزِيِّ العِبادة وأَهْلِ الدِّيْن. فالْتَفَتْ إليه الحَسَنُ، فقال: يا مولاي، كَرِهُوا أن يَتَشَبَّهُوا بِكَ ويكونوا على ما أنت عليه. قال: فأَمَرَ بهم فحُلِقَتْ رُؤُوسهم مِنْ ساعَتِهم.

المَخروفُ

هُو رَجُلٌ عابدٌ، ساحَ على وَجْهِهِ وتَوَحَّشَ عَنِ النّاس مُدّةً، وكان له يَقِينٌ وتَوَكُّلٌ وقُوَّةٌ في الله تعالى، وإِيْثاراً له على خَلْقِهِ، فكان لا يَهابُ الجَبّارين مِنَ المُلُوك ولا سائر النّاس، ولا يَرُوعُهُ الفَقْرُ ولا شيءٌ مِنَ الشُّرُور، حتّى إنّه كان لا يَرْتاعُ للسِّباعِ ولا نحوها، فيما بَلَغَني.

واسمُهُ عليُّ بنُ ...[1]، ونسبُهُ في خَولان العالية، أو كان نازلاً فيهم.

وبَلَغَني أنّ خَوفَهُ للهِ وخشيتَهُ وزُهْدَهُ وتَعْظِيْمَهُ لله كان أَكْثَرَ مِنْ فِقْهِهِ في الدِّيْن، إلّا أنّه لا يَرَى إلّا رَأْيَ أَهْلِ الزّيديّة. ولـمّا مَلَكَ الصُّلَيحيُّ اليَمَنَ، وقَهَرَ مُلُوكَهُ وأَجْنادَهُ، وراعَ أَهْلَ اليَمَن سُلطانُهُ، وخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ= كان لا يَهابُهُ، ويَأْتِيْهِ فيَعِظُهُ ويُوَبِّخُهُ في ذُنُوبِهِ؛ ويَسْمَعُ الصُّلَيحيُّ منه، ويُقْبِلُ عليه، وكان مَهِيْباً بِهَيْبَةِ الله تعالى، مُكَرِّماً لله عند الخَواصّ والعَوامّ.

أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ، قال: خَرَجَ عليُّ بنُ محمّدٍ الصُّلَيحيُّ في موكبِهِ، فتَلَقّاهُ المَخْرُوفُ ليَعِظَهُ، فمَنَعُهُ الجيشُ ونَهَرُوهُ، فزَجَرَهُم الصُّلَيحيُّ عَنْ ذلك، فتَرَكُوهُ، فأَقْبَلَ حتّى إذا كان يَسْمَعُهُ قال: يا عليَّ بنَ محمّدٍ، اتَّقِ اللهَ فإنّ هؤلاء لن يَنْفَعُوك مِنَ الله؛ تَظْلِمُ النّاسَ لهم، ولستَ بِمُحْرِزِ النَّفْعَ بهم. ثمّ الْتَفَتَ إلى الجيش، وقال: وأنتم، فاتَّقُوا الله، فإنّ هذا لن يَنْفَعَكم مِنَ الله.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَوْلانَ العالية، مِنْ أَهْلِ الدِّينِ والأَمانة،

---

[1] فراغٌ في المخطوط قدر كلمة.

كان يَثِقُ بِه، قال: أَتَى عليٌّ المَخْرُوفُ أَرْضَنا، فدَخَلَ مسجداً مِنَ المَساجد، فتَسامَعَ به النّاس، وكان مَشْهورَ البَرَكة والحَظِّ مِنَ اللهِ عند العامّة والخاصّة، فكُلُّ مَنْ سَمِعَ به مِنَ النّاسِ أَتَى مِمّا عندَهُ بشيءٍ حتّى امْتَلأَ المسجدُ خُبْزاً وعِنَباً وأَطْعِمَةً؛ وكُلَّما جِيءَ بشيءٍ قَبِلَهُ.

وكان قد بَصُرَ بأَيْتامٍ فُقَراء مُحْتاجين، قد ظَهَرَ له حِرْمانُهم، واطِّراحُ النّاس لهم، وكانوا قريباً منهُ، فلمّا انصرفَ النّاسُ خَرَجَ حتّى جَمَعَهم، فأَكَلُوا ذلك كُلَّهُ، وهو يُحَضِّضُهم على الأَكْلِ، ويَقولُ: كُلُوا، يا أولادي، فلولا المَخْرُوفُ ما رَأَيْتُمُوهُ. أي إنّ النّاس آثَرُوهُ عليهم طَلَباً للسُّمْعة بِهِ، ونَسُوا[١] أنّ فَرْضَهم يَلْزَمُهم كفَرْضِهِ، وحِرْمانَهم يَقْبُحُ كحِرْمانِهِ، فلولا شُهْرتُهُ وما في إِكْرامهم إيّاهُ لهم مِنَ الفَضْلِ عندِ أَنْفُسِهم ما اجتمعَ ما[٢٥] أَطْعَمَهم إيّاهُ.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيم، قال: بينا المَخْرُوفُ رحمه الله جالسٌ بفِناءِ مَنْزِلِهِ إذْ[٢] أَقْبَلَ إليه رَجُلٌ فقالَ: دُلَّني على أَمْثَلِ مَنْ في هذه القرية. فنَظَرَ وإذا ليس في تلك القريةِ أَحَدٌ يُساوِيْهِ في إِيْثارِ الخير، بل الغالِبُ عليهم آفاتُ العَوامِّ، فلم يَسْتَحِلَّ أَنْ يَكْذِبَه؛ فقالَ: أنا أَمْثَلُهم. قال: فإنّ لي أولاداً لا شيءَ لهم. فقام المَخْرُوفُ فناولَهُ ما بَقِيَ في دارِهِ مِنْ طَعامٍ أو دَقيقٍ، فانصرف به.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ، أَحَدُ شُيُوخِ الزّيديّة بوَقَش في العَصْر، قال: أَخْبَرَني: الشّيخُ أبو السُّعُود بنُ محمّدٍ العَنْسيّ، أَحَدُ الشُّيُوخ الأَفاضل بوَقَش قال: أَدْرَكْتُ المَخْرُوفَ رحمه الله وأنا غُلامٌ، وكان يَبِيْتُ يَقْرَأُ القرآن، وهو يَجُولُ في الجبال، ويَدُورُ ليلَهُ فإذا غَلَبَهُ النّومُ أَتَى إلى جَبَلٍ مِنْ تُرابٍ وحَصًى لَيِّنَةٍ قد هَدَّهُ[٣] مِنْ رَأْسِهِ إلى أَسْفَلِهِ على جَنْبِهِ، وكان لا يُصِيْبُهُ منه ضَرَرٌ، فيذهبُ عنّه النّوم، وكان يبكي ويُرَجِّعُ القرآن بصوتٍ شَجِيٍّ لا يَمْلِكُ

(١) في المخطوط: «نسيوا» وهو رسمٌ تكرّر في الكتاب غيرَ مرّةٍ، نحو قوله فيما سيأتي: «لقيوا».

(٢) في المخطوط: «إذا» وهو خطأ.

(٣) في النّفس من رسم قوله: «قد هده» شيءٌ.

معه السّامعُ نفسَهُ مِنَ البُكاء، فكان كثيراً ما يُرَدِّدُ قولَهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ﴾[الحجّ:١] إلى قوله: ﴿شَدِيدٌ﴾[الحجّ:٢]. ويُطَوِّلُ قراءَتَهُ فيه مع شَجا صوتِهِ وحُزْنِهِ.

وكانتِ القريةُ تحتَ ذلك الجَبَلِ، فيبكي النّاسُ إذا سَمِعُوهُ في لَيْلِهم، فكان ذلك دَأْبَهُ.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمدَ عَنْ محمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ رَحِمَهُ اللهُ قال: تَعَرَّضَ المَخْرُوفُ لوَعْظِ عليِّ بنِ محمّدٍ الصُّلَيحيِّ في عُنْفُوان مُلْكِهِ، والاحْتِجاج عليه لله تعالى، فلم يَنَلْ ذلك مِنْ كَثْرَةِ الجُيُوش، فصَعِدَ على سَطْحِ حانوتٍ مِنَ الحَوانِيْت بصَنْعاء، فلمّا حاذاهُ ناداهُ: يا خَيُّ، يا عليُّ، اتَّقِ اللهَ، ولا يَغَرّك هذه الجُيُوشُ الّتي قد جمعتَها، فلَيْسُوا يَنْفَعُونك، إنّما يُهْلِكُونك فقط. فقالَ له: بعضُ الجيش: تقول: يا خَيُّ، قُلْ: يا مولانا الأَمِيرُ؛ ما معنى: يا خَيُّ؟

قال: وقد وَقَفَ الصُّلَيحيُّ عَنِ السَّيْرِ وأَقْبَلَ عليه، فلمّا سَمِعَ ما قال الجُنْديُّ نَهاهُ، وقال: خَلِّهِ يَبْلُغْ غَرَضَهُ. قال: فوَعَظَهُ بأَبْلَغِ المَوْعِظَةِ وأَنْفَذِها في النُّفُوس، ثمّ انصرف.

قال: ثمّ إنّ الصُّلَيحيَّ أَمَرَ له بثيابٍ كثيرةٍ جِدًّا، فأَمَرَ بها إلى سُوقِ الخيّاطين، ثمّ أَمَرَهم فقَطَّعُوها قُمُصاً صِغاراً وكِباراً، ثمّ فَرَّقَها على الأَيْتامِ والأَراملِ وفُقَراء[٢٦] المسلمين عَنْ آخِرِها. فبَلَغَ ذلك الصُّلَيحيَّ، وقِيْلَ كان قد أَمَرَ خَدَمَهُ بالنَّظَرِ إليه، وإلى ما يَصْنَعُ فيها. قال: فلمّا فَرَّقَها في وَجْهِ الله وحيثُ يُرْضِيْهِ، قال: هذا هو الزّاهدُ على الحقيقة.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمدَ، حفظه الله، قال: أَخْبَرَني[١] محمّدُ بنُ إبراهيم بنِ رِفادٍ رَحِمَهُ اللهُ قال: كان المَخْرُوفُ في أوّل أَمْرِهِ مُتَلَصِّصاً ثمّ تابَ، وكان قد أَقْبَلَ يُرِيدُ صَنْعاء في سنةٍ شديدةٍ[٢] ومَجاعَةٍ عظيمةٍ، ومعه شيءٌ مِنْ طعامٍ قد حَمَلَهُ على ظَهْرِهِ، قد أُخْرِجَ له مِنْ بعض خَزائنِ الأَغْنِياء لوَجْهِ الله تعالى. فمَرَّ ببَعْضِ اللُّصُوصِ وكان رامياً، فأَخَذَ سَهْماً ليَرْمِيَه

(١) كرّر في المخطوط قوله: «قال أخبرني».

(٢) في المخطوط: «شديد» إلّا أن يكون أراد: «في سفه شديد» فإنّ الرّسم يقبله على نُفُور معناهُ.

فقال: ما شَأْنُكَ، أَتُرِيدُ هذا الطّعامَ، فأنا أُسَلِّمُهُ إليك ولا تَرْمِني؟ قال: فضَعْهُ في الأرض. قال: فوَضَعَهُ، فدَنَا اللِّصُّ ليَحْتَمِلَهُ على ظهرِهِ، فوَثَبَ عليه المَخْرُوفُ فصَرَعَهُ، واتَّكَأَ عليه حتّى قَلَبَ يَدَيْهِ إلى خَلْفِهِ، وقد قَطَعَ الوَتَر، فرَبَطَهُما به رَبْطاً مُحْكَماً، ثمّ قال له: سِرْ بين يَدَيْ. فسارَ وقد كان باقي الوَتَرِ في القَوْس، فسارَ والقَوْس في الأَرْض خلفَهُ يَجُرُّها إلى أَنْ دَخَلَ صَنْعاءَ فرَآهُ النّاسُ فصاحوا عليه، ونَوَّهُوا[1] عليه، وقالوا: أكنتَ تُريدُ أن تَحْتَرِبَ المَخْرُوفَ، وقد كان يَحْتَرِب النّاس؟

وأَخْبَرَني زيدٌ عَنِ ابنِ رِفادٍ قال: كان يُقالُ: إنّ المَخْرُوفَ يحجّ إلى بيتِ الله الحَرامِ لا يَتَزَوَّدُ زاداً، ولا يَسألُ المَخْلُوقين. وقِيْلَ: إنّه كان يَجْعَلُ في مِشْعَل طُهُورِهِ شَجَراً، فينظرُ وإذا هو قد صار إلى ما يَلْتَذُّ بأَكْلِهِ، زَعَمُوا أنّه كان يَصِيرُ عِنَباً، والله أَعْلَمُ. وقد يُقالُ: إنّ هذا لا يَصِحُّ إلّا في وقت الأَنْبِياء، عليهم السّلام، فقط.

---

(١) قوله: «ونوهوا» كذا بالمخطوط.

غَشّامٌ[١]

هو غَشّامُ بنُ جابرٍ.

رَجُلٌ مِنْ عُبّاد الزّيديّة وصُلَحائهم وأُولي الفَضْل منهم.

وكان يَنْزِلُ قريةَ بيت ذانِم مِنَ البَوْن الأَسْفل، وهو والدُ آلِ غَشّام، وكان فيهم عِلْمٌ ودِيْن. وكان غَشّامٌ مِنْ أَهْلِ وَلاية[٢] الله.

فأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ، رحمهما الله، أنّ المعاصي كَثُرَتْ في قريةِ بَيْت دانِم، فغَضِبَ غَشّام لله، فخَرَجَ عنها حتّى ابْتَنَى بَيْتاً في الجَبَل، وأَنْزَلَ اللهُ تعالى بأَهْلِ القريةِ الطّاعون فأَهْلكهم. فأَمْهَل غَشّامٌ حتّى إذا لم يَبْقَ في القرية أَحَدٌ هَبَطَ حتّى رَجَعَ إلى مَنْزله بها فسَكَنَهُ.

---

(١) الرّسم بإهمال العين، ولكنّه عادة يرسم علامة الإهمال، ولم يرسمها هٰهنا، وكذا في أسماء النّاس غشّام.

(٢) **الوَلاية**: قال ابنُ بَرِّي: وقُرِئ قولُه تعالَى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم﴾[الأنفال: ٧٢]، بالفَتْح وبالكَسْر، بمعْنَى النُّصْرةِ؛ قال أَبو الحَسَنِ: الكَسْرُ لُغَةٌ وليسَتْ بذلكَ. وفي التّهذيب: قالَ الفرَّاء: كَسْر الواو في الآيةِ أَعْجبُ إليَّ من فَتْحِها لأنَّها إنَّما يُفْتح أَكْثَر ذلكَ إذا أُريد بها النُّصْرة، قالَ: وكان الكِسائي يَفْتحُها ويَذْهَبُ بها إلى النُّصْرةِ. قال الأزْهري: ولا أَظنّه علم التَّفْسير. وقال الزَّجّاج: يُقَرأُ بالوَجْهَيْن، فمَنْ فَتَح جَعَلَها من النُّصْرةِ والسّبب، قالَ: والوِلايَةُ الّتي بمنْزلَةِ الإمارَةِ مَكْسُورَة ليُفْصَلَ بين المَعْنَيَيْن، وقد يجوزُ كَسْر الوِلايَة لأنَّ في تَولِّي بعض القَوْمِ بعضاً جِنْساً من الصِّناعَةِ والعَمَلِ، وكُلّ ما كانَ مِن جِنْسِ الصِّناعَةِ نَحْو القِصارَةِ والخِياطَةِ فهي مَكْسورَةٌ؛ انظر التّاج: (و ل ي).

عَمْروٌ القاضي

هو القاضي ببَيْت أَكْلُب مِنْ بَلْد بني قَهْم بنِ جابر بنِ عُبَيْد الله بن قادَم(١).

وكان شيخُنا إبراهيمُ بنُ عليٍّ [٢٧] الضّاميُّ رحمه الله يُعَظِّمُهُ، ويُثْني عليه خَيْراً في عِلْمِهِ ودِيْنه، وكان شديدَ المحبّة لله وفي الله، والبُغْضِ في الله، وكان طَرَفاً مِنَ الزّيديّة فكان مُمْتَحَناً بجِهادِ عَدُوِّهم ومُخالِفِهم بقَلْبِهِ ولِسانِهِ، مُعْمِلاً في نُصْرَةِ الحقِّ وخُذْلان الباطلِ فِكْرَهُ، وكان مَنْ يُجاوِرُهُ مِنْ المُخالفين إباضيّةً يَشْتَدّ نَصَبُهم لعَداوَةٍ لآلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه.

فَأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رحمه الله قال: دعا موسى بنُ عيسى بنِ عبد الرّحيم بنِ موسى بنِ هارون القاضي بعوق مِنْ أَعْمالِ شَظَب إلى البَيْعةِ له بالإمامةِ، وهو يومئذٍ أَوْجَدُ الإباضيّة عِلْماً ورَأْياً وتَدْبيراً ورئيسَ الجابريِّين لأنّه وَسِيْطُ النَّسَبِ في بَني هَلّان بن عَوق بن جابرٍ، وطَلَبَ تَقَلُّدَ الإمامَةِ فاستُجِيبَ له وسُوْعِد إلى ذلك، وكان الكلابح يومئذٍ سوقَ البلاد العُظْمى ومَجْمَعَ القبائل مِنَ الجابريِّين وآل القُدَميّين(٢)، فبَعَثَ إلى القبائلِ وبَثّ(٣) دُعاتهِ فيهم للاجْتِماع بالكلابح لعَقْدِ البَيْعة له بالإمامة. وبَلَغَ ذلك عَمْراً القاضي رحمه الله فضاقَ به ذَرْعاً، وكان يَرْجُو أَنْ يَخْمُلَ مَذْهَب الإباضِيّة ويَعْلُو مذهب الزّيديّة.

وقد كان ممّن اتَّبَعَ عَمْراً على مذهب الزّيديّة رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ شَظَب، كان يَنْزِلُ موضعاً يُقالُ له: المركعُ مِنْ القارتين من رأس الجبل، مِنْ نَفَرٍ يُقالُ لهم: بنو المعصفر، مِنْ بَطْنٍ يُقالُ

---

(١) مخطوط الإكليل (ج١٠/ق ٥٤-٥٥)، وفيه: «قَهْم بنِ الجابر بنِ عبد الله بن قادَم»، وفي مطبوع الكتاب (الخطيب): «فَهْم بنِ الجابر...».

(٢) في المخطوط: «من الجابرين والقدمين».

(٣) في المخطوط: «وبسث» محرّفاً.

لهم: بنو أسدِ بنِ عَوْق بن جابرٍ، وأَحْسِبُهُ كان يُقالُ له: حَبَشيّ. فوقع عندَهُ ما في نَفْس عَمْرٍو مِنَ الاغْتِمام بهذه البَيْعة إنْ تَمَّتْ؛ إذْ كانت تمتدُّ إليه يَدُ صاحبِها إنْ رامَ له سُوءاً مِنْ بعد ذلك، وإنْ سَلِمَ مِنْ أنْ يسطو(١) به لم يتمكّن مِنَ الدُّعاء إلى مذهبه، ولا الكلامِ فيه كما يُريد.

فحَضَرَ هذا الرَّجُلُ الأَسديُّ الّذي مِنْ أَصْحاب عَمْرٍو مُجْتَمَعَ هذه القبائل بالكلابح، وقد أَجْمَعَ على العَمَلِ في تَفْرِيقهم بأَيِّ وَجْهٍ أَمْكَنَ ذلك، وكان في مَنْعِهِ مِنْ صاحب البَيْعة بِرَجْلَة رجاله ونَفِيْس بَذْلِهم عنه.

فلمّا دارتْ حَلْقَةُ القومِ في صَحراء الوادي وابْتَدَؤُوا في الكلام أَخَذَ حَجَراً فرَمَى به بينهم، وكانتْ بين القبائلِ العَداوات الشّديدة والذُّحُول(٢) العظيمة، والتَّخاوفُ مِنْ قَبْلِ ذلك فاقْتَتَلَ القومُ إلى اللّيل، ومالتِ الأَقْهوم ناحيةً وقُدَمُ ناحيةً والشَّظَبيّون ناحيةً، وافترقَ القبائلُ على حَرْبٍ وقبيح لم[٢٨] يَكُنْ لهم بعدَهُ اجْتِماعٌ إلى اليوم؛ لِمِثْلِ ما كانوا راموا، وبَطَلَتْ دعوةُ موسى بنِ عيسى.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ ﷺ أنّ عليَّ بنَ شَهْرٍ صاحبَ القَولِ بالاخْتِراعِ ببيت وَهْبٍ مِنْ ظاهر هَمْدان، تَداعَى هو وعبدُ الله بنُ موسى بنِ عيسى بنِ عبدِ الرّحيم بنِ موسى بنِ هارون العَوفيُّ، القاضي في الإباضِيّةِ بعد أبيه موسى بنِ عيسى إلى المناظرة، فالتقوا ببلد الأَقْهُوم. فكان عمرٌو يَدُورُ بعَليِّ بنِ شَهْرٍ ويُحاوِلُهُ أَنْ يَقْبَلَ مَشُورَتَهُ في كلامه فلا يفعل بجَهْلٍ كان فيه، وخُلُقٍ كان له كَراهيّةً مِنْ عمرٍو أَنْ يُؤتَى المسلمون من ثَغْرِهِ، فلم يُجِبْهُ إلى ما أَرادَ، فتَرَكَهُ فرَجَعَتْ الإباضِيَّةُ وهي تدّعي قَطْعَ ابنِ شَهْرٍ والفُلْجَ(٣) عليه. قال: وكان مِنْ كلامِهِم يومئذٍ شيءٌ في اللَّوْح المَحْفُوظ؟

(١) في المخطوط: «يسطا» بألف مقصورة.
(٢) **الذُّحُول**: الثّارات.
(٣) **الفُلْجُ** والفَلَج: الظَّفَر.

ابنا الرَّيّان

هما أحمدُ وإبراهيمُ ابنا الرَّيّان.

كانا يَنْزِلان مَدَر مِنْ مَشْرِقِ حاشِد، وعَقْبُهما آلُ الرَّيّان. وكانا مِنَ الصّالحين وأَهْلِ وَلايةِ الله وخَصائص عِبادِهِ.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رحمه الله أنّ ابنةَ إبراهيمَ بنِ الرَّيّان كانتْ زوجةَ مُطَرِّفِ بنِ شِهابٍ أُمَّ ابْنَيْهِ عليّ وأحمد ابْنَي مُطَرِّفٍ، وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُ خِطْبَتِها في أَخْبار مُطَرِّفٍ، وما يُعْرَفُ مِنْ فَضْلِها وفَضْل أبيها، كما عُرِفَ فَضْلُ بَعْلِها في ذلك.

وكان أحمدُ بنُ الرَّيّان مَأْلَفاً[١] للزّيديّة بمَدَر، يُؤويهم[٢] ويُنْفِقُ عليهم مِنْ مالِهِ، ويَجْمَعُهم للذِّكْرِ والتّعليم والحياة به، فكان عظيماً عندهم وعند الله سبحانَهُ.

أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ، قال: سمعتُ مَشائِخَنا، رحمهم الله، يُخْبِرون أنّ المشائخَ مِنَ الزّيديّة، رحمهم الله، كانوا يجتمعون عندَ أحمدَ بنِ الرَّيّان رحمه الله بمَدَر للحديثِ والتّعليم وذِكْرِ الله تعالى كُلَّ ليلةٍ، فكان لا يَزالُ يأتي لهم بما يَأْكُلُونَهُ فيأتي بأَوْعيةٍ يَمْلَؤُها زَبيباً ويُكْثِر، فبينا هو ذاتَ ليلةٍ يُريدُ ذلك إِذْ عَرَضَ له أَمْرٌ، فتَوَلَّتْ ذلك امرأتُهُ، فأَخَذَتْ مِكْيالاً وجَعَلَتْ تَكِيْلُ الزّبيبَ في تلك الأَوْعية، فالْتَفَتَ فإذا هي تَكِيْلُ، فقال: ما أَراكِ تصنعين، أَلْقي عَنْكِ المِكيالَ، فإنّ الله تعالى أَعْطانا بلا كَيْلٍ فنُعْطي أَوْلِياءَهُ بلا كَيْل! وأَنْكَرَ عليها أَشَدَّ النّكرة.

---

(١) بعده في المخطوط: «ملقى» ثمّ ضبّب عليه.

(٢) في المخطوط: «يويهم» ثمّ كتب فوقه مما يشبه سنّة السّين، فكأنّهم: يؤنسهم.

إسماعيلُ المُزَيِّنُ

هو رَجُلٌ[٢٩] كان مِنْ عِبادِ الله الصّالحين مِنَ الزّيديّة بمَدَر مِنْ مَشْرق حاشِد، وكان مِنْ الإِخْلاصِ والصِّدقِ في دِيْنِهِ بمنزلةٍ كريمة، شديدَ الحُبّ في الله والرِّعاية لحُقُوق أَوْلياء الله، مُؤْثِراً بما يَجِدُ في جَنْب الله.

أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله، قال: حدّثني محمّدُ بنُ المُظَفّر المَسْوَريّ أَحَدُ الزّيديّة الأَفاضل، قال: كان المُزَيِّنُ إسماعيلُ عند اجْتِماعِ الزّيديّة بمَدَر في الخَرِيْف يجعلُ لهم منه يومَ الجُمُعَة، فيَأْخُذُهم إلى عِنَبِهِ فيَأْكُلُون يومَهم، ويُزَيِّنُهم ويَحْلِقُ رُؤُوسَهم وينفعهم مِنْ صِناعَتِهِ بما يُحسِنُ، ويُصْلِحُ مِنْ شَأْنِهم ما يُمْكِنُه، ثمّ يَرُوحُ بهم فيُعَشِّيهم، فكان هذا دَأْبَهُ رحمه الله حتّى يَتَفَرَّقوا إلى البلاد.

فأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ، قال: أَخْبَرَني العَبْدُ الصّالحُ العفيفُ أبو القاسمِ بنُ شُجاعٍ رحمه الله، وكان مِنْ أَهْلِ الهِجْرَة إلى وَقَش: قال: كنتُ أنا والشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله بناحية مَدَر بالوادي الأَعْلى، وكان معنا رَجُلٌ مِنْ عِباد الله الصّالحين يُقالُ له: تُبَّعُ بنُ خطيبٍ، فأَخْبَرَنا أنّه كان يحمي ذلك الوادي في بَعْضِ السِّنين وفيه جِرْبَةُ عِنَبٍ مِنَ الجَبَل إلى الجَبَل، وكانت لإِسْماعيلَ المُزَيِّنِ. قال تُبَّعٌ: فأَتاني وقال: يا تُبَّعُ، اقْسِمْ هذا العِنَبَ على سَهْمين، ثمّ اقْسِم سَهْماً منها أَخْماساً لكم مَعاشِرَ الحُماةِ خُمْسُهُ، ولأَوْلياء الله تعالى خُمْسٌ. ففَعَلَنا ذلك ثمّ انْصَرَفَ. وأَقْبَلَتِ السّماءُ بالمَطَر والبَرَدِ، فأَخَذَ الوادي مِنْ أَسْفَلِهِ إلى الجِرْبَةِ ثمّ أَمْسَكَتْ، فلمّا كان بعد ذلك أَقْبَلَتْ سَحابَةٌ أخرى فأَخَذَتِ الوادي مِنْ أَعْلاهُ إلى الجِرْبَة. قال: فما أَكَلْنا بعد ذلك عِنَباً إلّا منها.

ابنُ أبي الأَحْناش

هو إِسْماعيلُ بنُ أبي الأَحْناش الصَّنْعانيُّ.

رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة ذَوي العزائم واليَقِينِ والصِّدْقِ والإِخْلاص، وله مَكارمُ وفَضائلُ أَذْكُرُ منها ما حَفِظْت.

أَخبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ: قال: كان إِسْماعيلُ بنُ أبي الأَحْناش مِنْ الأَفاضل بصَنْعاء، قال: وكان حَذّاءً، فكان إذا خَرَجَ مِنْ دارِهِ إلى دُكّانِهِ في السُّوقِ لم يَخْرُجْ وبينَهُ وبين أَهْلِهِ شيءٌ يحتاجُ فيه إلى وَصِيَّة ولا اعْتِذار، وكان يَتَحَلَّلُ منهم ويَقولُ: أَخْشَى أَلّا أَعُودَ إليكم. وكان يَخْرُجُ ومعه سِلاحُهُ، فقِيْلَ له في ذلك؟ فقال: أَخْشَى أَنْ يَدْعُو لله داعٍ يُلْزِمني إجابَتَهُ فأَحْتاجُ إلى الرُّجُوعِ[٣٠] إلى البيت.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ، قال: كان لإسماعيلَ بنِ أبي الأَحْناشِ موضعُ عِنَبٍ ببلدِ بَوْسان مِنْ ناحية الخَشَب، فكان يأتي منه العِنَبُ والزّبيبُ، فكان لا يَبِيْعُ منه مَنْ يُتَّهَمُ بعَمَلِ الخَمْرِ شيئاً مِنْ قليلٍ ولا كثيرٍ ولا غالٍ ولا رخيصٍ، ولا يبيعُهُ إلّا مَنْ يَتَيَقَّن أَنَّهُ يَأْكُلُهُ أَكْلاً أو يَعْمَلُهُ خَلًّا.

النَّجاشي

هو النَّجاشي بنُ فُلْفُلٍ الوُهَيْبيّ.

مِنْ بَني وُهَيْب بالبَوْن.

وكان رَجُلاً له دِيْنٌ، وشريفاً مِنْ أَشْراف هَمْدان، ساميَ الهِمَّةِ في نفسِهِ لحَسَبِهِ ودِيْنِهِ. وقد كان لـمّا غَلَبَ الصُّلَيحيُّ على اليَمَن وقَهَرَ مَنْ نَاوَأَهُ مِنَ العَرَب كَرِهَ المَقامَ تحتَ طاعتِهِ أَنَفَةً ودِيانَةً، فخَرَجَ مُهاجراً إلى الله.

فأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ، قال: حدّثني النَّجاشي بنُ فُلْفُلٍ الوُهَيْبيّ قال: هاجرتُ في دولةِ بَني الصُّلَيحيِّ مِنْ بلادهم، وخَرَجتُ عنها هارِباً بدِيني مِنْ بلدٍ إلى بلد حتّى صِرْتُ بحَضْرموت، فدَخَلْتُ شِبامَ، وأَقَمْتُ بها أيّاماً، فكنتُ أَجْلسُ إلى فقيهٍ مِنْ فُقَهائها على رَأْي العامّة، وكان معي كتاب **(الأَحْكام)** للهادي إلى الحقّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، فلـمّا اسْتَأْنَس إليَّ ذلك الفقيهُ ودَنا مِنِّي دَنَوتُ منه، ووَضَعْتُ في يَدِهِ **(الأحكام)**، وقُلْتُ: انْظُرْ في هذا الكتاب ماذا تَراهُ. فنظر فيه وآجالَ فِكْرَه، ثمّ قال: صاحبُ الكتاب يُحِبُّ أن يكون مَثَلُهُ في دِيْنِهِ كالثّوب الأَبْيَض الصّافي، إذا أصابَتْهُ نُقْطَةٌ مِنْ سَوادٍ وسِواهُ ظَهَرَتْ له وأَزالها. ولنا مذهبٌ مثلُ الكِساء الأَسْودِ يحتملُ ما حمّلناهُ مِنْ دَرَنٍ ووَسَخٍ، ودُهْنٍ ودَسَم.

أبو عبدِ اللهِ التَّرْخُميُّ

وهو محمّدُ بنُ أحمد.

هو مِنْ قُدَماءِ هذه الطّبقةِ وأوائِلِهم، وقد ذَكَرْتُ بعضَ تعريفِهِ في خَبَرِ مُطَرِّفٍ، وكان يَتَشَيَّعُ، وكان قد شَكَّك في مسائلَ مِنَ الخِلاف بين الزّيديّة، واعْتَقَدَ مسائلَ فحلّ شُبَهَها عنه مُطَرِّف رحمه الله.

وكان أبو عبدِ الله وأَخُوهُ أبو الهَيْثَم وكذلك التَّراخِمُ مَطالبَ مِنَ المطالِبِ للنّاسِ مِنْ فَقِيرٍ وغَنيّ؛ لأنّهم كانوا مع سَماحَتِهم مِنْ أَبْناءِ المُلُوك وأَهْلِ النِّعَم الجليلة والأَمْوال الحاملة للنّوائب.

فأمّا أبو الهَيْثَم فلا أَتَيَقَّنُ على ما مات مِنْ اعْتِقادٍ؛ إذْ كانتِ البلادُ قد غَلَبَ عليها مذهبُ العامّة فزفها[1] بعد قُرون، وأيّدَهُ وسَوَّدَهُ خِفّتُهُ على المُلُوك وسُهُولَتُهُ، فنَصَرَهُ بنو أُميّة ثمّ بنو العَبّاس حتّى ثبت في النّاس حظّهُ، وتَقَلَّدَهُ عُبّادهم وقُرّاؤهم، وتَفَقَّهَ عليه فُقَهاؤهم، فلم يَفْشُ فيهم هذا الدّين إلّا ببركة الهادي إلى الحقّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، وابْنَيْه عليهما السلام، والدُّعاة[٣١] بعدهم مِنْ شِيْعتهم إلى الله تعالى بالعِلْمِ والعَمَل منهم، اللَّذين كانا أَقْوَى عليهم مِنَ السّلطان وأَمْضَى مِنَ السّيف. فمعلومٌ أَنْ لولا عِفّةُ أبيالحسينِ الطَّبَريّ ونُظَرائِهِ مِنْ شِيْعتهم مِنْ تَلامِذَتِهِ وسِواهُم، وحُسْنِ أَخْلاقهم، ونَزاهَةِ أَنْفُسهم، وصِدْقِ اعتِقادهم وزُهْدِهم وإِيْثارِهم للآخرة، وقُوَّةِ حُجَجِهم وحُسْنِ إِيْقاعهم لها في مَواقِعها، ووَضْعِها في مَواضِعها، لَما ظَهَرَ مِنْ ذلك شيءٌ إلّا ما شاء الله.

---

(١) قوله: «فزفها» كذا رسمه في المخطوط، ولم يتّجه لي معناه، والزّفيف ضرب من السّرعة.

وأمّا أبو عبدِ الله فكنتُ أَسْمَعُ مَنْ أَدْركتُهُ مِنَ الزّيديّة يَذْكرون تَشَيُّعَهُ ومحبَّتَهُ لآلِ رَسولِ الله، صلّى الله عليه، وشِيْعتِهم الأَبْرارِ، والقَول بالعَدْل والتّوحيد، ويَنْشرون مِنْ ذِكْر مَكارمِهِ ما لا أُحْصِيْه.

ولقد كنتُ أَسْمَعُ محمّدَ بنَ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ بوَقَش، وكان جُهَيْنة أَخْبارهم وصندوق[١] أَسْرارهم، يَحْكي عَنْهُ كلَّ خَبَرٍ مَليحٍ ونادرةٍ في المَكارم عَجِيبة، إلّا أنّي أُنْسِيتُ أَكْثَرَ ذلك. فممّا أعرفُهُ ممّا أخبرنا به -وأَذْكَرَنِيْهِ حتّى تَيَقَّنْتُهُ عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ بعد تَوَهُّمٍ في بعضِ أَلْفاظِهِ، كان منّي- خَبَرُهُ وخَبَرُ أَخِيْهِ مع الغَنَم؛ فَأَخْبرني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ مُذَكِّراً، قال: حدّثنا الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أحمدَ الصَّبَريُّ[٢]، رحمهم الله، قال: خَرَجَ أبو الهَيْثَم وأبو عبد الله[٣] التَّرْخُمِيّان يُريدانِ ذَمار -أو بعض أعمالها- وذلك في وقتِ الخَرِيْف، وكان مِنْ أَهْل الحيلة[٤] ونواحيها رِجالٌ يحملون العِنَب مِنَ الحياف[٥] وثاتذ وغيرهما، فيَبِيْعونَهُ في تلك النّواحي، فأَقْبَلُوا بأَحْمالِ عِنَبٍ كما كان يكون منهم؛ فاتّفَقَ أَنْ لَقِيَهُم التَّراخُمُ في طريقهم تلك، فتَداعُوا إلى أَنْ يُطْعِمُوهم شيئاً منه، فلم يَرَ ذلك أَكْثَرُهم، وكان فيهم رَجُلانِ أَخَوانِ، فقال أَحَدُهما للآخَر: أمّا أنا فقد عَزَمْتُ على أن أُطْعِم هؤلاء السّادةَ هذا العِنَبَ الّذي معي فهل لك أَنْ تُطْعِمَهم عِنَبَك؟ فأَبَى، وقال: إنّهم مُلُوكٌ لا يَقَعُ ذلك عندهم، ولا يَلْتَفِتون إليه، وأَكُون أنا كَمَن يَزيدُ في البَحْر إداوةً[٦]. فساق ذلك الرَّجُلُ دابَّتَهُ حتّى أتاهم، فسَلّم وحَطّ الحِمْل، وعَزَمَ عليهم فأَكَلُوا تَواضُعاً وكَرَماً، وتَرَجَّلَ التَّرْخُمِيّان حتّى قَعَدا وأَصابا منه، وفَعَلَ أَصْحابُهما كذلك، ثمّ أَمَرا له بسُفْرَتين مِنْ طعامٍ

(١) في المخطوط: «من صندوق» ثمّ كُتب فوقه: «ط: و» وهو ما أثبت.

(٢) في المخطوط: «أحمد بن إبراهيم الصّبريّ» وهو خطأ، وستأتي ترجمته لاحقاً على ما أُثبت أعلاهُ.

(٣) في المخطوط: «وأبوا عبد الله» ولعلّه وَهْم.

(٤) قوله: «الحيلة» كذا رسمه في المخطوط، ولم أقف له على ذكر أو ضبط.

(٥) قوله: «الحياف» كذا رسمه في المخطوط، ولم أقف له على ذكر أو ضبط.

(٦) **الإداوة**: المَطْهَرَةُ، وهي إناءٌ صَغيرٌ من جلْدٍ يُتَّخَذُ للماءِ؛ التّاج: (ء د و).

كان معهم، فشَدَّهما على دابّته. ودعا كُلُّ واحدٍ منهما كاتبَهُ، فظَنَّ الرَّجُلُ أنّهما يَكْتُبانِ له بمثلٍ مِنْ عِنَبِهِ، ففَرِحَ بذلك وقَنِع به، فلمّا دُفِع إليه الرُّقْعَتان، دَفَعَ إليه كلُّ واحدٍ منهما مئةَ دينار، فعَظُمَ ذلك عندَهُ واشتَدّ سُرُورُهُ، وانصرف إلى أَهْلِهِ قَرير عَيْنٍ ناعِم بالٍ بما ظَهَرَ له[٣٢] وحَصَلَ معه، فلمّا أَتاهم وَجَدَ أَخاهُ قد أَخْبَرَهم خَبَرَهُ وذَمَّ عندهم رَأْيَهُ، فامْتَلأَتِ امرأتُهُ غَيْظاً، فلمّا رَأَتْهُ استقبلتْهُ بما يَكْرَهُ، فسَكَّنَ غَضَبَها ببعض القَولِ، ثمّ حَلَّ عَنِ السُّفْرتين فَناوَلها سُفْرَةً، ودَفَعَ إلى أخيه الأخرى، فكأنّها لانَتْ قليلاً، ثمّ أَراها شيئاً مِنَ الدّنانير يَسِيراً ففرحت، وحَسَدَهُ أَخُوهُ. ثمّ نَظَرَ في الرُّقْعَتين فوَجَدَهما قد كَتَبَا له إلى وُكلائهما بطعامٍ كثيرٍ، له قيمةٌ عظيمةٌ، فازداد فرحُهُ، واشتدَّ أَسَفُ أخيه ونَدَمُهُ، فلم يَزَلْ به ذلك حتّى مَرِضَ مرضاً شديداً أَشْفى به على الموت. وقَبَضَ الرَّجُلُ تلك الصِّلَةَ فاسْتَفاد فيها، ونَمَتْ حتّى صار مِنْ أَغْنِياء أَهْل ذلك الزّمان.

وقد أَخْبَرَني آخرون مِنْ قصّة العِنَبيّ أنّها كانت مع الأمير عبد الله بن قَحْطان الحواليّ، وأنّهُ انصرفَ منه بدنانيرَ كثيرةٍ، وثلاثةِ كُتُبٍ بأُلُوف أَذْهاب مِنَ الحيوان: كتاب إلى عامِلِهِ بحاشِد، وكتاب إلى عامِلِهِ بقرد وملح، وكتابٌ إلى عامِلِهِ بمقري. وأنّه دَفَنَ الذُّرَةَ حتّى أَتَتْ مَجاعَةٌ فباعها بمالٍ عظيمٍ، وصار إلى مُقري فابْتَنَى منها الدّارَ الّتي بناحية السُّوق الجديد، يُعْرَفُ بدار العِنَبيّ. وصار مِنْ أَغْنَى النّاس. وعَدالَةُ نَقَلَةِ الخَبَرِ الأوّل تُوْجِبُ أَنّهُ الأقوى والمعمول عليه.

ونحو قصّة العِنَبيِّ هذه قصّةُ عبد الله الصّعبيِّ بذي أَشْرَق مِنْ وادي نَخْلان بالمِخْلاف مع بعض مُلُوك بني مَعْنٍ، وكان قدِ انْصَرَفَ عَنْ بعض الكِرِنْدِيِّين بالتَّعْكَر عَشِيًّا، فأَتَى ذي أَشْرَق فلَقِيَهُ خارِجَها رَجُلٌ مِنْ أَهْلِها فسَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَشْرافها يَنْزِلُ بِهِ في ليلته تلك، فأراد ذلك الغاوي فضيحةَ الصّعبيِّ، وكان فقيراً مُعْدَماً لا يَمْلِكُ سوى بُقَيْرَةٍ يَبُلُّ حَلْقَهُ مِنْ لَبَنِها، فقال له: تَسْأَلُ عَنْ عبد الله الصّعبيِّ؟ فلمّا دنا مِنَ القرية بَعَثَ

إليه فأَقْبَلَ في ثيابِ فَقْرِهِ الّتي لا يَمْلِكُ غيرَها، فظَنَّهُ إنّما فُوْجِئ وهو مُتَبَذِّلٌ في ثِيابٍ لا يَبْرُزُ فيها إلى النّاس، فاستعجل ولم يُغَيِّرْها، فلمّا سَلَّمَ وانْصَرَفَ معه المَعْنيُّ أَتَى به منزلَهُ فرَأَى منزلَ فَقْرٍ لا يُشَكُّ فيه، وعلم أنّهُ مَغْرُورٌ مِنَ الرَّجُلِ إلّا أنّهُ يَرَى تَجَمُّلاً وخُلُقاً حَسَناً، فصَبَرَ على ما كان، فنَزَلَ عندَهُ وعَمَدَ الصّعبيُّ إلى بَقَرَتِهِ تلك فذَبَحَها وعَمِلَ بها للمَعْنيِّ وأَصْحابِهِ عَشاءً فتَعَشّوا وناموا شيئاً مِنْ ليلتهم، ثمّ إنّ المَعْنيَّ دَعا بالصَّعبيِّ فسَأَلَهُ فيمَ يَعِيشُ وفيمَ يَتَحَرَّفُ ويَكْتسبُ؟ فأَخْبَرَهُ أنّ صِناعته[٣٣] بَيْع العُطْب، فلمّا أَصْبَحَ لم يَعْذِرْهُ مِنْ أَنْ يَصْحَبَهُ إلى الجُوَة، فلمّا دَخلَها بَعَثَ إلى مَنْ دَخلَها مِنْ أَهْلِ أَبْيَن فوَجَدَ منهم بَشَراً، فأَمَرَهم فجمعوا له مئةَ حِمْلٍ مِنْ عُطْبٍ، فلمّا اسْتَقَلَّتْ مُحَمَّلَةً دعا بالصَّعْبيِّ فاسْتاقَها وانصرف إلى أَهْلِهِ بها، واعْتَذر إليه المعنيُّ اعْتِذارَ مِثْلِهِ مِنْ كُرَماءِ العَرَب، فكانتِ المئةُ الحِمْلُ بَذْرَ غِنَى الصّعبيّ، وانْتَهى به الأَمْرُ إلى أنّه مَلَكَ أَكْثَرَ أَموالَ أَهْلِ بَلَدِهِ.

وكان ابنُهُ محمّدُ بنُ عبدِ الله الصَّعبيُّ أَصْلَ الأَدَبِ بذي أَشْرَق؛ لأنّه جَمَعَ له الفُقَهاءَ والنُّحاةَ ومَنْ يَعْتُدُّ عندَهُ عَلْماً، فهَذَّبَهُ، وهو الّذي أَخذَ عنه آلُ أبي عَباد النُّحاةُ هناك عِلْمَ النَّحْو.

وهذا ممّا أَخْبَرَني به القاضي أبو الخيرِ أحمدُ بنُ عبد السّلام بنِ أبي يحيى بصَنْعاءَ عَنْ مشائِخِه وثِقاتِهِ.

ويَشْهَد لنا باستحقاق التَّراخُمِ للخبر الأَوَّلِ دون أَبْناءِ[١] قَحطانَ ما ذَكَرَهُم أبو محمّدٍ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ يعقوبَ الهَمْدانيُّ النَّسّابةُ المُلَقَّبُ بابنِ الحائك= بِهِ مِنَ الكَرَمِ والفَضْل والصِّفات العجيبة في كُتُبِهِ، فإنّه حكى عَنْهم وعَنِ السُّخْطِيّين مِنْ ذلك ما لم يَحْكِ عَنِ الحُواليّين؛ وبالجملة فإنّه ذَكَرَ أنّه لـمّا نَفاهم محمّدُ بنُ يُعْفِرٍ الحُواليّ في أيّامه -وكان مِنْ أَعْيان التَّراخُمِ يومئذٍ أبو العبّاسِ التَّرْخُميّ الأَدِيبُ المُتَرَسِّلُ- صاروا إلى مكّة، وكان بها يومئذٍ

(١) في المخطوط: «ابن» وفوقها كُليمة غير واضحة.

أبو أحمدَ بن المتوكّل مُتَنَحّياً عَنْ بَغْداد كالخائف، فكانوا يَغْشون مجلسَهُ، فيُشاهِدُ مِنْ وَقارِهم وحُسْنِ شَمائلهم ورَجاحتهم وكَرَمِ مَذاهبهم ما يُعجبُهُ، فكان يَقولُ: هؤلاء قُرَيش اليَمَن.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ بنِ عُبَيد، أَحَدُ شُيُوخِ الزّيديّة في عَصْرنا بوَقَش، وهو في الأَصْل مِنْ أَهْلِ عَجاز مِنْ مَشْرِق[1] بلاد هَمْدانَ، قال: أَخبَرَنا الشّيخُ محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ رَحِمَهُ اللهُ بوَقَش عَنْ مَشائِخِهِ الزّيديةّ، قال: كان أبو عبدِ الله التَّرْخُميُّ يَعْتقدُ شيئاً ممّا يَعْتقدُهُ المُخْتَرِعَة. وبَلَغَ ذلك مُطَرِّفاً رَحِمَهُ اللهُ فخَرَجَ إليه في نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ، منهم نَهْدُ بنُ الصّبّاحِ العَنْسيّ[2] ونحوه، فلمّا نَزَلُوا به، وأَنْزلهم واطْمَأَن بهم القَرارُ عندَهُ وصَلَحَتْ الحالُ للحديث معه، وكان مِنْ أَعْظَمِ الشُّبَهِ الّتي تَعْرِضُ له مِنْ ذلك الاعْتِقادِ مسألةٌ في التَّضادّ، وأنّ ذلك لا يكون إلّا بين الأَعْراض دون الأَجْسام= أَخَّرُوا الحديثَ في ذلك؛ فقال مُطَرِّف[٣٤][3] رَحِمَهُ اللهُ: أَخْبِرْني، ما الدّليلُ على أنّ اللهَ واحدٌ؟ قال: فاسْتَضْعَفَ ذلك مِنْ سُؤالِهِ، وتَهاوَنَ بِهِ؛ كأنّه يَرَى أنّه لا يُسألُ عَنْ مِثْلِ هذه المسألة لأنّها مِنْ مَسائل المُتَعَلّمين والصِّبْيان. فقال مُطَرِّفٌ: لا عليك، إنّي قد عَلِمْتُ أنّ هذه مِنْ مسائل المُتَعَلِّمين، ولكنّ لي فيها غَرَضاً[4]، فأَجِبْني. فقال أبو عبدِ الله: الدّليلُ على أنّ اللهَ واحدٌ تَضادُّ الاثنين واختلافهما في الإرادة والمَشِيئة. فقال مُطَرِّفٌ: هل يَتَضادُّ المُتَضادّان وهما موجودان أو معدومان؟ قال أبو عبدِ الله رَحِمَهُ اللهُ: لا يَتَضادّ المُتَضادّان إلّا وهما موجودان. فقال مُطَرِّفٌ

(١) كرّر في المخطوط قوله: «مشرق».

(٢) في المخطوط: «والعنسي» ثمّ كأنّه ضبّب على الواو، ونهدٌ هذا لقبُهُ العنسيّ.

(٣) ثمّة حاشية فيها: «ولبعض الشّعراء يَمْدح محمّد بن يُعْفِر ويَفْخَر له بنَفْي التَّراخُم عَنِ اليمن: (من الطّويل)

رَأَيْتُ ابْنَ يُعْفِرَ خَيْرَ المُلُوكِ وأَعْظَمَها للأَعادي انْتِقاما
نَفَى التَّرْخُميَّ إلى مَكَّةٍ ولم يَسْتَطِعْ في زَبِيْدٍ مُقاما»

(٤) في المخطوط: «غرض» غير منصوبٍ.

رحمه الله: فأَخْبِرني، هل يَتَضادُّ العَرضان وهما موجودان في جِسْمٍ واحدٍ، وفي وقتٍ واحد، نحو الحَرَكة والسُّكُون، وما أَشْبَهَ ذلك؟ فقال: لا. ثمّ قال: هذا أوّل حِمْل سَقَط، هذه أَعْظَمُ مسائِلِنا. ثمّ تاب رحمه الله عَنْ ذلك، وصارَ مِنْ شُيُوخ الحقّ في عَصْرِهِ.

سَيّارٌ

هو سَيّارُ بنُ محمّدِ بنِ سَلَمَةَ الشِّهابيّ، أَحَدُ سَلاطين بني سَلَمَةَ وأَجِلّائهم، وكان مِنْ أَهْلِ الدِّيانة والفَضْل وكَرَم النَّفْس والمُواساة للإِخْوان والمَعُونة في الله وإِكْرامِ أَوْليائه.

فأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله قال: قَسَمَ سَيّارُ بنُ محمّدٍ ثَمَرَةً مِنْ ثِمارِ أَرْضِهِ، فجَعَلَ عندَهُ بعضَها وعند امْرَأَتِهِ بعضَها، وذلك في يومِ حَصادها، فكلّما أَتاهُ آتٍ أَعْطاهُ ممّا عند[ه][1]، وتفعلُ الامرأةُ كذلك فيما عندها، حتّى قامَ وليس عندَهُ شيءٌ، ودَخَلَ وليس عندها شيءٌ.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ رحمه الله قال: أَخْبَرَني عليُّ بنُ مُطَرِّفٍ رحمه الله قال: كان أبي ذاتَ يومٍ عند سَيّارِ بنِ محمّدٍ، فأَتاهُ الخَبَرُ أنّ بُقَيرَةً كانت له يَنْتَفعُ بها أَهْلُهُ أَكَلَتْ قَضْباً فانْتَفَخَتْ وماتتْ، وعَلِمَ سَيّارٌ بالخَبَر، فلمّا أراد أبي الرَّواحَ إلى أَهْلِهِ أَمْسَكَهُ سَيّارٌ، وقال: يا سبحانَ الله، أَتَموتُ بَقَرتُكَ وتَرُوحُ منّي بلا بَقَرةٍ! ثمّ شَرَى له بَقَرَةً، فأَخَذها وانْصَرف.

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين سقط في المخطوط.

ثَعْلَبٌ

هو ثَعْلبُ بنُ أَحْمد.

رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة مِنْ أَهْلِ قاعَة مِنَ البَوْن الأَعْلى، كان مشهوراً في عَصْرِهِ بشيءٍ مِنَ العِلْم، وكان ممّن له دِينٌ ظاهرٌ وممّن يُسألُ ويَسْألُ.

رأيت مسائلَ في مُعاياةِ[١] الفِقْهِ بين رِجالٍ مِنْ أَهْلِ ذلك الزّمان بالبَوْن والمَغْرِب، منها ما هو منظومٌ في أَبْياتٍ جيّدة، ومنها فيما يُسْتَضْعَف. فمن أولئك مِنْ أَهْل البَوْن ثَعْلَبُ بنُ أحمدَ ومحمّدُ بنُ الحسين[٣٥] بنِ أبي حذيفة.

وكان يُتَّهَم برَأْي الباطنيّة ثمّ انكشف ذلك عَنْ أَهْل بيتِهِ حتّى كان فيهم منَ الشّريف القاسم بن جعفر بنِ القاسمِ بنِ عليٍّ وهَمْدان ما ذُكِر [في][٢] أَخْبار الصُّلَيحيِّ وأَشْعار عامرٍ الظُّلَيميّ، ثمّ لَحِقُوا بالصُّلَيحيّين، فانْضَمّوا إليهم إلى الآن.

ومِنْ أَهْل هذه المَسائلِ مِنْ أَهْلِ المَغْربِ عامرُ بنُ عبدِ الله الظُّلَيميُّ، وهو مِنْ أَهْل جَبَلِ مِنتك، وكان -فيما بَلَغَني من طُرُقٍ شتّى- إباضيَّ الرَّأْي، ثم صار إلى رَأْي الزّيديّة، ثمّ صار إلى رَأْي الباطنيّة، وكان، مِنْ أَصْحاب سليمانَ بنِ عبدِ الله الزَّواحيِّ وأَقْران عليِّ بنِ محمّدٍ الصُّلَيحيِّ، عندَهُ.

وقُتِل في أيّام تَغَلُّبِ الصُّلَيحيِّ على اليَمَن أَوانَ وَقْعَة الزَرّايب مِنْ بيش، وكان ذلك[٣]

---

(١) **المُعاياةُ**: أنْ تَأْتِيَ بكَلامٍ لا يُهْتَدَى له كالتَّعْمِيَةِ والألْغازِ أو بعَمَلٍ لا يُهْتَدَى لوَجْهِه. وتقولُ: إيَّاكَ ومَسائِلَ المُعاياةِ فإنَّها صَعْبةُ المُعاناةِ. وقد عَاياهُ مُعاياةً؛ التّاج: (ع ي ي).

(٢) ما حُفّ بمعقوفين زيادةٌ يتحوّجها سياق الخبر.

(٣) ثمّة كلمة بالمخطوط مضبّب عليها وغير مقروءة.

فيما انتهى إليّ؛ لأنّ أَهْل جبل ميتك والإباضِيّة بَلَغَهم أنّ الصُّلَيحيَّ قُتِلَ في هذه الوقعة، فوَثَبُوا على عامرٍ الظُّلَيميِّ فقتَلُوهُ، وانكشف الأَمْرُ على غيرِ ما بَلَغَهم. وكان الظَّفَرُ للصُّلَيحيِّ بالحَبَشة، فلمّا قَدِمَ صَنْعاء خَرَجَ إليهم فقتَلَ أَهْلَ المَغْرب مِنْ ميتك وغيرها، ودَوَّخَ البلاد هناك.

ومِنْ أَهْل هذه المَسائلِ محمّدُ بنُ عبدِ الله المَدَريُّ الحِمْيريُّ الشّاعرُ بمَطَر مِنْ بلد عيّان، وكان يَرَى رَأْيَ العامّة، وسمعتُ مَنْ يَقولُ: إنّه رَأَى بعدُ رَأْيَ أَهْل الباطن واتَّصَلَ بمُلُوكهم.

ومِنْ أَهْل المَغْرب أيضاً: أبو الهَدّام بنُ إسحاق، ويوسفُ بنُ حَيدان، وهما مِنْ أَهْل الشّرف ثمّ مِنْ ناحية بني هَلّان، وكان أبو الهَدّام قاضي الإباضِيّة هناك. وكان مِنْ أَقْران الشُّقاريِّ عندهم ومُعَظَّماً فيهم؛ والشُّقاريُّ رَجُلٌ مِنْ أئمّتهم وعُلَمائهم مِنْ أَهْل حَجَّة. نسبُهُ في بني زيد بن أَعْشب، وكان يهجو الصُّلَيحيَّ وهو بمَسار ويهجوهُ الصُّلَيحيُّ، وبينهما نقائضُ مرويّة عند أَقْوامٍ مِنَ النّاس، فيها ما هو ضعيفُ الطَّبَقة رديءُ اللُّغَة، وفيها الجَيِّد؛ والأُنْموذج مِنْ ذلك نحو قَوْلِ الصُّلَيحيِّ يُجيبُ الشُّقاريّ: (من الطّويل)

وإنْ قُلْتُمُ: كانَا ضَجِيْعَي مُحَمَّدٍ، فَقَبْراهُما بِالنّارِ يَضْطَرِمانِ
كذا اللّاتُ والعُزَّى على البَيْتِ عُلِّقا ولَيْسا بِقُرْبِ البَيْتِ يَنْتَفِعانِ

يعني أبا بَكْرٍ وعُمَر.

والمعنى جيّدٌ، واللّفظُ كما ترى؛ وذلك أنّهما مُؤَنَّثَان؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾[النّجم] فأنَّثَ. وفي ذلك خطأٌ آخَرُ في آخِرِ قوله: «**على البَيْتِ عُلِّقا**». و«**اللّات**»: بَيْتٌ كان بثَبَّةٍ بالطّائف تعبدُهُ ثَقِيف وتُعَظِّمُهُ ضِراراً لقُرَيش في الكعبة أو تَشَبُّهاً بها[٣٦]. و«**العُزّى**»: بيتٌ كذلك بنَخْلَة. ولَيْسَتَا بشيءٍ يُعَلَّق.

فأمّا الشُّقاريُّ فهَرَبَ حين[1] مَلَكَ الصُّلَيحيُّ المَغْرِبَ، إلى جبال خَوْلان قُضاعَة، ثمّ رَجَعَ إلى حَجَّةَ فظَفَرَ بِهِ فقُتِل. وأمّا أبو الهَدّام فدَخَلَ في طاعة الصُّلَيحيِّ، وتَوَلَّى العَمَلَ له في بلدِهِ؛ فكانت الإِباضِيّةُ تَثْلُمُهُ بذلك إلى الآن.

وهذا ممّا أَخْبَرَني به شُيُوخُ مَنْ أَدْرَكتُ في بلادنا ممّن أَدْرَك ذلك وعَرَفَهُ.

وكان مِنْ أَهْل المَغْرِب أيضاً رَجُلٌ مِنْ سَلَفِنا يُعْرَفُ بمحمّدِ بنِ أحمدَ اللَّحْجيِّ، وأَحْسِبُهُ كان يرى رأي العامّة الحَشَويَّة، ويَتَفَقَّهُ فِقْهَ الشّافعيّة، والله أَعْلَمُ؛ فإنّ أبي رَحِمَهُ الله كان يُخْبرني أنّ مِنْ آبائه[2] مَنْ كان يرى ذلك ويَدَّعي التَّسَنُّنَ.

وكان مِنْ أَهْل البَوْن وتلك النّواحي مِنْ أهل هذه المَسائلِ عبدُ الله بنُ محمّدِ بنِ الثُّوير؛ وآلُ الثُّوَيْر الّذين أَدْرَكنا قُضاة لُغابة ونواحيها على رأي الزّيديّة.

وكان مِنْ أَهْل هذه المسائل: إسماعيلُ بنُ أحمد، والحسينُ بنُ معاوية، ومحمّدُ بنُ عُرْوة. وهي مَسائلُ قد دُوِّنَتْ عند أَهْل البلاد في كُتُبٍ، منها ما اشتمل على كثيرٍ، ومنها ما اشتمل على قليل.

المثالُ منها قولُ إسماعيلَ بنِ أحمدَ: (من الوافر)

ثَلاثَةُ	إِخْوَةٍ	لأَبٍ	وأُمٍّ	وكُلُّهُمُ	فَمُحْتاجٌ		فَقِيرُ
أَتَتْهُمْ	إِرْثَةٌ		فتَقَسَّمُوها	وكُلُّهُمُ	بِعَدْلٍ	لا	يَجُورُ
فَحازَ	الأَكْبَرانِ	الثُّلْثَ	مِنْها	وباقي	المالِ	أَحْرَزَهُ	الصَّغِيرُ

وجوابُهُ مِنْ عامرِ بنِ عبدِ الله الظُّلَيميِّ: (منَ الوافر)

هِيَ	ابْنَةُ	عَمِّهِمْ	لا	شَكَّ	فِيْها	حَلِيْلَةُ	بَعْضِهِمُ	وَهُو	الصَّغِيرُ
فَكانَ	لَهُ	بِفَرْضِ	الزَّوْجِ	نِصْفٌ	وبالتَّعْصِيْبِ		يَجْتَمِعُ		الكَثِيرُ

(١) ثمّة كلمة بالمخطوط غير مقروءة، وكأنّه مضبّبٌ عليها.

(٢) يعني آباء اللَّحْجي، صاحب التّرجمة.

إذا اقْتَسَمُوا البَقِيَّةَ صارَ عِنْدي لَهُ الثُّلْثانِ لا الثُّلْثُ الحَقِيرُ

وقَولُ محمّدِ بنِ أحمدَ اللَّحْجيِّ: (من الطّويل)

أَتَعْرِفُ خالاً أَحْرَزَ المالَ كُلَّهُ وفازَ بِهِ مِنْ دُوْنِ عَمٍّ وما عَصَبْ
وما الخالُ عَمُّ المَيْتِ حِيْنَ تَقُصُّهُ ولكنَّهُ أَدْنى وأَوْلَى إذا انْتَسَبْ

فأَجابَهُ عامرٌ، فقال: (من الطّويل)

إذا ما أَخِيْ يَوْماً تَزَوَّجَ جَدَّتي وجاءَتْ بِإِبْنٍ فَهْوَ خالي مِنَ النَّسَبْ
فَإِنْ مِتُّ كانَ الخالُ أَوْلَى بِمالِنا وأَدْنى مِنَ الأَعْمامِ في جُمْلَةِ الرُّتَبْ
هُوَ ابْنُ أَخِيْ خالي وما العَمُّ عِنْدَنا يَكُونُ لَهُ حَقٌّ مَعَ ابْنِ أَخٍ لِأَبْ

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الخير بن زَرْبُون الصَّنْعانيّ، وأَدْرَكتُهُ عندنا بباري شَيْخاً كبيراً، قال: كان عبدُ الأكْبر بنُ وُهَيْب قد أَوْقَع بأَهْلِ قاعَة، فقَتَلَ وسَلَبَ وخَرَّب القريةَ وأَذَلَّ أَهْلَها، وكانوا قد قَتَلُوا ابناً له، فبالَغَ في نِكايَتِهِم جَهْرَةً؛ فرَأى ثَعْلَبُ[٣٧] بنُ أحمدَ في النّوم سبعةَ رِجالٍ عليهم ثِيابٌ نَظِيفةٌ، في أوّلهم رَجُلٌ بيدِهِ عَصاً قد أَقْبَلَ حتّى وَقَفَ على ماجِلِ قاعَةَ على الحاجب، وأَشارَ بعَصاهُ إلى قريةِ قاعَة، وقال: (من مج الوافر)

أَلَا أَيَّتُها القَرْيَـ ـةُ إِمَّا مِتِّ أَيّاما
فَلا بُدَّ إِلهُ العَرْ شِ أَنْ يُحْيِيْكِ أَعْواما
وأَنْ يُهْلِكَ أَقْواماً بِما أَوْلَوْهُ أَقْواما
وأَنْ يَنْصُرَ مَظْلُوماً وأَنْ يُهْلِكَ ظُلّاما

فلم يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عليُّ بنُ محمّدٍ الصُّلَيحيُّ، وبَلَغَ به الأَمْرُ إلى أَنْ قَتَلَ هَمْدان وذَلَّلَ بَني وُهَيْب وغيرَهم. وكان قيسُ بنُ وُهَيْبٍ سَيِّدَ هَمْدانَ في عَصْرِهِ فقَتَلَهُ بحاز، ودَوَّخَ البلد، ثمّ آلَ الأَمْرُ لقاعَة إلى أَنْ عُمِّرَتْ وحَيَّتْ إلى الآن.

حَمّادٌ الجَحْبَرِيُّ

هو حَمّادُ بنُ أحمدَ(١).

مِنْ أَهْل مَيْتَك، ويُعْرَفُ بالجَحْبَرِيِّ، وكان مِنْ رِجالِ الزّيديّة ذَوي العِلْم والدِّيانة والوَرَع والصِّيانة، وكان ممّن نابَذَ الصُّلَيحيَّ وحارَبَهُ بلسانِهِ وهو بمَسار، ثمّ نابَذَهُ هو وقومُهُ حتّى غَدَر بِهِ بعضُهم وبقومِهِ. فلمّا مَلَكَ المَغْرِب هَرَبَ إلى بلاد خَوْلان فلم يَظْفَر به، وله فَضْلٌ وهو ممّن يَتَعارَفُهُ الزّيديّة وتَشْهُرُهُ. وكان له شِعْرٌ صالحٌ وأَعْرِفُ منه قصيدةً لَهُ لامِيَّةً، فيها طُولٌ يُوصي فيها أَوْلادَهُ، قدِ اشْتَملتْ على محاسنَ مِنَ الأَدَب والحِكْمة، وهي الّتي أوّلها: (من الطّويل)

بَنِيَّ اصْبِرُوا لِلدَّهْرِ عِنْدَ الزَّلازِلِ ولا تَجْزَعُوا عِنْدَ الخُطُوبِ النَّوازِلِ

---

(١) كتب فوقه بالمخطوط: «يوسف» فإمّا أن يكون أراد (يوسف) بدل (أحمد)، وإمّا أن يكون أراد تتمّة اسمه، أي: حمّاد بن أحمد بن يوسف، ومع ذلك فقد غفل عن كتابة (بن) قبل (يوسف).

جُشَيْمٌ

هو جُشَيْمُ بنُ عبدِ الله البَحِيريُّ.

مِنْ ضيافِ[1] بنِ سُفيان بن أَرْحَب، وأَهْلُ بيتِهِ مِنْ بَني بَحِيْر، يُقالُ لهم فيما بَلَغَني: بنو محمّدٍ.

وكان يَنْزِل شُوابة مِنْ أَعْلَى جَوْفِ أَرْحَب.

وكان رَجُلاً شاعراً له نَوادرُ قويّةُ المعاني، وله في شِعْرِهِ أَلْفاظٌ ضعيفةٌ قدِ استعملَ فيها مُولّدة اليَمَن، فتجنّبت أكثر ما جاءَ عَنْهُ منها، ولقد يمرّ بي في أَثْناءِ أبياتٍ له ما يَضْطَرُّني إلى الحِفْظِ له استحساناً، ثمّ أُذْهَلُ عَنْهُ اسْتِهْجاناً؛ فالاسْتِحْسان لمَعانِيْهِ والاسْتِهْجانُ لأَلْفاظِهِ؛ مثال ذلك في قوله: (من مشطور الرَّجَز)

قُلْتُ لِصَحْبي وأَنا كالفازِعْ:
قُوْمُوا بنا نَطْلُبُ أَصْلاً نافِعْ
مَعْرِفَةَ الباريءِ والشَّرائِعْ
وطُعْمَ مِسْكِيْنٍ يَتِيْمٍ ضائِعْ[٣٨]
تَسِيْلُ مِنْ رَحْمَتِهِ المَدامِعْ
لا تَبْتَنُوا البِئْرَ بنا مِنْ طالِعْ[2]
وتَرْقَعُوا بالخَصَفِ المقانِعْ

---

(١) في المخطوط: «صناف».

(٢) قوله «بنا» بتسهيل الهمز للضّرورة الشّعريّة، وأصله: بناء.

كَمْ مِنْ ضَعِيْفِ الدِّيْنِ أَوْ مِنْ قانِعْ

يَخْتَطِفُ التَّسْلِيْمَ خَطْفَ السّافِعْ

يَقُولُ: شَوِّلْ وإلّا لاهِ الزّارِعْ

ولَيْسَ إلّا نَفْسَهُ يُخادِعْ

إنَّ عُمَيْلَ السُّوءِ سَمٌّ ناقِعْ

ومعلوم أنّ قولَهُ: «**وأنا**» بِإظْهار الأَلِف مَعِيْبٌ في اللُّغة. وقوله: «**كالفازِعْ**» ينبغي أن يكون كـ(الفَزِع) أولى. وقوله: «مِنْ **طالِعْ**»، (مِنْ فوق) أولى لأنّ الطّالع والطُّلُوع مِنَ الأَضْداد، وليس العَرَب تَقولُ مثل ذلك ولا تستعملُهُ في العُلُوِّ والاسْتِعْلاء. و«**الخَصَف**» يُريدُ بِهِ: الفُرُش المَوْضُونة مِنَ الطَّفَى[١] وخُوْص النَّخْل، وهو اسْتَعارَهُ مِنَ **الخَصَفَة**، وهي: جُلّةُ التَّمْر، ونحو ذلك.

وهذه أَمْثالٌ حَسَنَةٌ برزتْ مَعانيها في غيرِ كساها، فأَشْبَهَتِ الحِسانَ الحَرائرَ الشّرائف مِنَ النّساء تَبْرُزُ في الأَطْمار المُخَرَّقة.

وكذلك: «**شَوِّلْ** وإلّا لاهِ الزّارِعْ» مِنْ أَحْسَنِ الأَمْثال إلّا أنّ اسْتِعْمال (التَّشْويل) في كلامِ أَهْل اليَمْن دُوْنَ كَلام غيرِهم يُرادُ به نَوْعٌ مِنَ الحَرْث. ومنهم مَنْ يَقولُ: شَوَّلَ السَّهْمُ في الغَرَض. أي: دَخَلَ فيه أَكْثَرُهُ، وبَقيَ بعضُهُ يُرى. وهذا بَعِيدُ الاشْتِقاق والاسْتِعارة، لأنّ أَصْلَ (شالَ يَشُول ويَشِيل) مِنَ الارْتِفاع؛ ومنه قِيْلَ للإبِل الّتي ارتفعتْ أَلْبانُها -أي: قَلَّتْ فلم تَدِرّ-: شَوْلٌ. وقال راجِزُهُم[٢]: (من مشطور الرَّجَز)

كَأَنَّ في أَذْنابِهِنَّ الشُّوْلِ

مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونَ الأَيْلِ

---

(١) **الطّفَى**: جمع الطّافية، يُقال: طَفَتِ الخُوصة فوق الشَّجَر: إذا ظهرت؛ التّاج: (ط ف ي).

(٢) ثمّة كلمة بالمخطوط غير مقروءة، وكأنّه قد ضبّب عليها.

وبَلَغَني عنه أنّه كان يَرَى رَأْيَ الزّيديّة، وكان قد اتّخذ كثيراً مِنْ مُخالِفيهم مَساخِرَ ومَطاعِنَ في دِينِ مَنْ يَنْتَسِبون إليه، وكان يُولَعُ بِجُهّالِ الحُسَينيَّة الّذين يعتقدون حياةِ الحُسينِ بنِ القاسم، وأنّه لا يَموتُ حتّى يَمْلأَ الأرضَ عَدْلاً كما مُلِئَت جَوْراً، ويكون هو المهديَّ المُبَشَّرَ به للأُمّة.

وكان فيما بَلَغَني، وإنّما ثَقِفْتُ كثيراً مِنْ أَخْبارِهِ مِن عَطّافٍ والقاسمِ ابْنَي موسى، رَجُلَين مِنْ قومِهِ مِنْ بَكيل صارَا إلى نواحِينا، لهما دِيانةٌ.

وكان[١] رَجُلاً يَتُوبُ[٢] التّوبةَ العجيبة، ويَزْهَدُ في الدُّنْيا، وربّما يَفتر حتّى يُلَبّي خِدْمةَ مَنْ لا تَجوزُ خِدْمتُهُ مِنَ الظَّلَمَة[٣٩]، ويطلب الجائزة بالشّعر منَ الظّلمة. ولقد بَلَغَني أنّه تَعَرَّضَ لِمِثْلِ ذلك مِنَ الصُّلَيحيِّ، فأَدْخَلَهُ في أهلِ الأربعين؛ وهم مَنْ كان يُجِيْزُهُ بأربعين ديناراً.

وكان مَنْ أَخْبَرَني بهذا محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ السَّمَيْدعِ البَحيريّ[٣]، وهو مِنْ قومِهِ ثمّ مِنْ أُسْرتِهِ، ولم يكن محمّدٌ هذا يَتَدَيَّنْ بشيءٍ سِوَى ما عابَ على جُشَيْمٍ مِنَ المَدْح والتَّكَسُّبِ بالشِّعْر ومُنادَمَة المُلُوك على الخَمْر، وهذا فإنّما أَقُولُهُ بما عَرَّفَني به مِنْ رَأْيِهِ وأَعادَهُ وشاعَ أيضاً عنه. مع ما كان يَظْهَرُ عَنْهُ مِنَ الإلْحاد وجَحْد البَعْث، وذلك ربّما مَرَّ في شيءٍ مِنْ شِعْرِهِ في موضعٍ مِنْ هذا الكتاب لَمَعْنًى؛ ثمّ تاب جُشَيْمٌ -بعد ما حُكي سنةً- وأَناب.

وأَخْبَرَني غيرُ واحدٍ مِنَ الثّقات، منهم أَسْعَدُ بنُ عبدِ الفاضل العُبَيّديُّ ﷺ، وقد ذكرتُ فضلَهُ في الدِّيانة والأَمانة عَنْ مشائخه ﷺ: أنّ رَجُلاً بالجَوف الأَعْلى كان يُعِدُّ آلةَ الصّلاة ويَسْتَجِيدُها فيُعِدُّ القِناعَ الأَبْيضَ الجيّد، ودُرّاعةً بَيْضاءَ جيّدة للصّلاة، وكَرًّا[٤]

(١) كُتِب فوقه بالمخطوط بخط مختلف: «جشيم».

(٢) في الهامش: «ط: يُسوّف».

(٣) في المخطوط «اليحيري»، وإنّما «يحير» في حِمْيَر، و«بحير» في أَرْحَب وهو أَرْحَبيٌّ، كما سيأتي على الصّواب غير مرّة.

(٤) **الكَرّ**: شيءٌ يصنع من لِيْف الخُوص، أو من العَسِيب وغيره؛ ولعلّه الشّيء الذي يمُدّ ليُصلَّى عليه.

حَسَناً، ومِشْعَلاً جيّداً، حتى يَروقَ مَنْظَرُهُ ذلك منه النّاظرين، ولم يكن يُسْمَعُ منه ما يُعْرَف به عِلْمُهُ أو جَهْلُهُ ولا مِقْدارُ عَقْلِهِ.

ثمّ إنّ جُشَيْماً جعلَهُ مِنْ بالِهِ، وقد رَأى شمائلَهُ وتَفَرَّسَ فيه الجَهْلَ حتّى أصابَ فُرْصةً في سُؤالِهِ؛ فسألَهُ عَنِ النَّبيِّ، صلّى الله عليه: أَحَسَنيٌّ أم حُسَيْنيّ؟ فقال: بل حُسَينيٌّ[١] لأنّه مِنْ عشيرة **امَّهْدي**. يريد: المَهْديّ. ويَعْني به الحُسَينَ بنَ القاسم. قال: فلمّا رَأى جُشَيْمٌ ذلك قال: فأَخْبِرْني، اللهُ أَقْدَمُ[٢] أم عليُّ بنُ أبي طالبٍ؟ قال: بلِ اللهُ، وإِنْ تَنْظُرُ فمن يَذْكُرُ زمان صِفِّيْن؟ فكأنّه شكّ بعدُ لهذا السَّبَب.

وقالوا: فعند ذلك قال جُشَيْمٌ قصيدةً فيها مِنْ جَيِّدِ شعرِهِ، أوّلُها: (مِنَ البسيط)

الدِّيْنُ ثَوْبٌ نَفِيْسٌ لَيْسَ يُبْتَذَلُ ... ولَيْسَ يَلْبَسُ ثَوْبَ المُصْطَفَى السِّفَلُ[٤٠]

ثمّ قال: (مِنَ البسيط)

ما لي أَرَى[٤٠] عَرَباً بِيْضاً ثِيابُهُمُ ... ومِنْ قُلُوبِهِمُ بِالمَيْلِ يُكْتَحَلُ

مِخْلاتُهُ مِنْ لِحافِ الصُّوْفِ مُفْعَمَةٌ ... وقَلْبُهُ مِنْ مَعاني دِيْنِهِ عَطَلُ

وأَخْبَرَني أَسْعَدُ أيضاً عَنْ مشائِخِهِ، قال: أَصابَتِ النّاسَ مجاعةٌ، ولبَني بَحِيْرٍ مولًى له عِيالٌ وبه فَقْرٌ وحاجة، فغَلَبَ على ظَنِّهِ أنّه يَعِيشُ في الحِيْلَة على ذلك الرَّجُلِ الّذي ذَكَرْتُ خَبَرَهُ مع جُشَيْمٍ هٰهنا، وذَكَرْتُ قولَهُ: النَّبيُّ حسينيٌّ[٣]؛ لأنّه مِنْ عشيرة امَّهْديّ، أو قال: مِنْ قرابتِهِ، أو آخر مثله، إلّا أنّ الأقوى في ظَنّي أنّه هُو.

فأَتَى ذلك المولى جُشَيْماً فأَخْبَرَهُ بغَرَضِهِ ذلك ونِيَّتِهِ فيه، وسألَهُ عارية ثِياب يَخْدَعُهُ بها، فأَعارَهُ ذلك وأعارَهُ سَيْفاً ودَرَقَةً[٤]، وكان منزلُ ذلك الرَّجُلِ مُتَنَحِّياً عَنْ مسجدِ القرية أو

---

(١) في المخطوط: «حسني»، ولكنّ الصّواب ما أُثبت أعلاه، بما يقتضيه سِياق الخبر.

(٢) في المخطوط: «أقديم» أو قريبٌ منه.

(٣) في المخطوط: «حسني»، ولكنّ الصّواب ما أُثبت أعلاه، بما يقتضيه سِياق الخبر.

(٤) **الدَّرَقَة**: التُّرْس؛ التّاج: (ج ح ف، د ر ق).

موضعِ مُصَلًّى له، وبَيْنَهُ وبين موضعِ مُصَلّاهُ موضعٌ يَكْمُنُ فيه الرَّجُلُ. فلَبِسَ المولى الثِّيابَ والسِّلاحَ -وأَحْسِبُهُ قال أَخَذَ في يَدِهِ مِشْعَلاً- وقَعَدَ في ذلك الموضع، فلمّا انصرف الرَّجُلُ عن صلاة العشاء مَرَّ به فقامَ في وجهه وسَلَّمَ عليه، ولم يَدْنُ منه جدًّا، وقال: أنا رَسولُ المَهْديِّ لدين الله الحُسَينِ بنِ القاسم، صلواتُ الله عليه، إليك، وهو بموضعِ بشِعْب كذا ومعه طائفةٌ مِنْ أَصْحابه، منهم: عيسى ابن مريم، عليه السّلام، والخَضِر. ثمّ أَخَذَ في خَدْعِهِ بما يكونُ كالأَمارَةِ أو إِيْهام عِلْم الغَيْب، أو أَخْبَرَهُ بأسماء أَهْلِهِ أو بشيءٍ في منزلِهِ، ونحو هذا ممّا يُرَى مِنْ أَجْلِهِ أنّه صادقٌ فيما ادَّعَى. ثمّ قال: وقد أَمَرَني أَنْ آخُذَ مِنْ عندك لهم عَشاءً، وخَصَّك بهذه الفضيلة لِما أَنْتَ أهلُهُ. أو نحو هذا مِنْ الكلام. فانْخَدَعَ الرّجلُ وبادَرَ حتّى ذَبَحَ مِنْ غَنَمِهِ ذبيحةً، وأَمَرَ بطعامٍ فَصُنِع، فكانت منه جَفْنَةٌ جيّدةٌ، وخرج بها حتّى أَتَى بها الموضعَ فاحْتَمَلها المولى وتَوَجَّهَ بها حيثُ يُوْهِمُهُ أنّه ليس مِنْ أَهْل البلد. فلمّا وَثِقَ بأنّه لا يَلْقاهُ صار به إلى أَهْلِهِ فأَكَلُوهُ وأَصْبَحَتِ الجَفْنَةُ في صَحْنِ دارِ الرّجلِ. وأَحْسِبُهُ قد قِيْلَ: إنّه وَجَدَ فيها رائحةَ طيبٍ أعجبته، فقَويَ تَصْديقُهُ للأَمْر، فلمّا كانت اللّيلةُ المقبلة عاد المولى لِمِثْلِ ذلك، وعاد الرَّجُلُ إلى عَمَلِ جَفْنَةٍ أخرى، فكان[٤١] هذا دَأْبَهُ حتّى جاء الله بالفَرَج، وانْجَلَتْ تلك الشِّدَّةُ.

وجُشَيْمٍ مَواعِظُ جيّدةٌ، منها قولُهُ: (منَ الوافر)

كَفَى لِلْعاقِلِ الفَطِنِ اللَّبِيْبِ ... بما في الصُّنْعِ مِنْ أَمْرٍ عَجِيْبِ
وما تَأْتي المَنايا في البَرايا ... بِأَنْواعِ المَصائِبِ والخُطُوبِ
فَلَوْ لم تَلْقَ في الأَيّامِ إلّا ... مُفارَقَةَ الأَحِبَّةِ لِلْحَبِيْبِ
وسُكْنَى في المَرامِسِ وارْتِحالاً ... عَنِ اللَّذاتِ والمالِ الرَّغِيْبِ(١)

---

(١) المَرامِس: جمع المَرْمَس، وهو: القَبْر.

لَكانَ لَنا بِهِ شُغْلٌ عَظِيْمٌ فكَيْفَ بِمَوْقِفِ اليَوْمِ العَصِيْبِ
عَزِيْزٌ في قَبِيْلَتِهِ حَسِيْبٌ ولَيْسَ لَدَى جَهَنَّمَ بِالحَسِيْبِ
تَراهُ يُقادُ مَغْلُولاً ذَلِيْلاً شَدِيْدَ الوَجْدِ ذا قَلْبٍ كَئِيْبِ
وقَدْ خَذَلَتْهُ أُسْرَتُهُ ولانَتْ قَساوَتُهُ وأَعْلَنَ بِالنَّحِيْبِ
وكانَ إذا الْتَقَتْ غُرَرُ المَذاكي شَدِيْدَ البَأْسِ في رَهَجِ الحُرُوبِ
يَرُدُّ الخَيْلَ دامِيَةَ الهَوادي مُبَقَّرَةَ الخَواصِرِ والتَّرِيْبِ
تَراهُ يَسْتَطِيْعُ غَداً دِفاعاً بِنَصْرٍ مِنْ قَرِيْبٍ أو نَسِيْبِ
أَلا لا لَيْسَ مُنْتَفِعاً بِشَيءٍ سِوَى الإِيْمانِ والدِّيْنِ الصَّلِيْبِ
وللإِيْمانِ أَخْلاطٌ كَثِيْرٌ تُحافِظُ مِثْلَ عَقّارِ الطَّبِيْبِ

وفي الأصل: «وللإيمانِ عَقّارٌ كَثِيرٌ»[١].

ويَكْفي المَرْءَ مِنْ أَدْنَى الخَطايا كما يَكْفي الذُّبابَ مِنَ القَلِيْبِ
فيا باري البَرِيَّةِ فاعْفُ عَنِّي بِحَقِّكَ أَنْتَ عَلّامُ الغُيُوبِ
ففي ذي الدّارِ قَدْ أَكْمَلْتُ حَظِّي فَلا تَقْطَعْ مِنَ الأُخْرَى نَصِيْبي

وله مِنْ قصيدةٍ حسنةِ الوَعْظ: (من الطّويل)

دَعِ الذُّخْرَ، يا مَغْرُورُ، إنَّ التُّقَى الذُّخْرُ فَلَيْسَ هنا عُسْرٌ يَدُومُ ولا يُسْرُ[٤٢]
وما الذُّخْرُ إلّا مَسْلَكُ الدِّيْنِ والتُّقَى فَمَنْ لم يَسِرْ فِيْهِ فَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
ومَنْ لم يَضَعْ قُدّامَهُ التِّبْرَ جُنَّةً يُنَجِّيْهِ لم يَنْفَعْهُ مِنْ خَلْفِهِ التِّبْرُ

---

(١) قوله: «في الأصل»كذا؟ على أنّ ظاهر السّياق يدلّ على أنّ الكلام لمُسَلَّم، ولعلّ الأصل الذي يتكلّم عليه هو الأصل الذي نقل عنه الشّعر. وورد بعده بخطٍّ مختلف ما نصّه: «لو قال: **مشاكلة عقاقير الطّبيبِ**. لكان أَجْوَدَ وهذا بَيِّنٌ».

وَمَنْ رامَ عِزًّا بِالتَّكَبُّرِ لم يَكُنْ لَهُ لَبَثٌ حَتَّى يُذَلِّلَهُ الكِبْرُ[1]

وما كِبْرُ مَنْ يَبْتَزُّهُ المَوْتُ صاغِراً وما عِزُّ ذي عِزٍّ وآخِرُهُ القَبْرُ

سَواءٌ عَلَيْهِ يَوْمَ يُصْبِحُ هالِكاً أَعاشَ بِعُمْرٍ طالَ أَمْ لم يَطُلْ عُمْرُ

ولا فَرْقَ بَعْدَ المَوْتِ بَيْنَ مُعَمَّرٍ مِئِيْنَ ونَفْسٍ لم يَتِمَّ لَهَا شَهْرُ

وكَمْ غاشِمٍ قَدْ أَرْغَمَ الدَّهْرُ أَنْفَهُ وذي جِدَّةٍ أَبْلَى شَبِيْبَتَهُ الدَّهْرُ

وما أَطْوَلَ الدُّنْيا إذا ما جَهِلْتَها وما أَقْرَبَ الأُخْرَى إذا اسْتُعْمِلَ الفِكْرُ

ويروى: «ما أَحْسَنَ الدُّنْيا».

---

(١) **اللَّبَث**، بالتّحريك: المُكْث، وقد جاء على القياس، ووإنّما مصدرُهُ المستعملُ على غير القياس وهو اللَّبْث واللُّبْث، ونحوهما؛ قال الجوهريُّ: مصدر (لَبِثَ) لَبْثاً، وهو نادِرٌ أي مخالفٌ للقياس، لأَنَّ المصدَرَ من فَعِلَ بالكَسْرِ قِياسُه أن يكونَ بالتَّحْرِيكِ إذا لم يَتَعَدّ مثل تَعِبَ تَعَباً؛ التّاج: (ل ب ث).

أبو العُمَيْرِ الدِّواريُّ

هو أبو العُمَيْر بنُ أبي طاهرٍ.

كان يَنْزِلُ نَجْرانَ بين آلِ الرَّبِيْعِ مِنْ بني عبدِ المَدان، ونسبُهُ في أَبْناء فارس. وأُخْبِرْتُ أنّ آلَ أبي طاهرٍ مِنْ ولد عبدِ الكريمِ بنِ مَعْقلِ بنِ مُنَبِّه. وسمعتُ بعضَ آل عَقِيْلٍ بصَنْعاء يَذْكُرُ أنّهم بنو عَقِيْل بن مَعْقِل بن مُنَبِّه، وأنّ مَعْقِلَ بنَ مُنَبِّهٍ أخو وَهْب بن مُنَبِّه أحد التّابعين.

وكان أبو العُمَيْر مِنْ قُدَماء هذه الطَّبَقة وأفاضلِ الزّيديّة وذَوي الحُبِّ في الله والوَلاية على دِينِ الله، والعملِ في إِحْيائه بما أَمْكَنَهُ مِنْ رَأْيٍ وقَولٍ وعَمَلٍ وبَذْلِ مال. وكان مِنْ أَهْل النِّعَم الطّائلة والأَمْوال الضَّخْمة. وكان آلُ عبد المَدان -بل سائر بَلْحارث- يَتَعَصّبون لوَلاية بني العَبّاس، ويَتَشَدَّدون في ذلك لوُجُوهٍ، منها: ما كانوا يعتقدون مِنْ رَأْيِ العامّة، ومنها ما كانت بنو العَبّاس تُكْرِمُ به أوائلَ أَشْرافهم مِنَ الولايات وضُرُوب مِنَ الكرامات. وقد كان مِنْ أوّل أَسْباب ذلك وُلادَةُ رَيْطَةَ بنتِ عبدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ عبد المَدان لأبي العبّاسِ السَّفّاح أوّل خُلَفاء بني العَبّاس. ثمّ وَلايَتُهُم بعد ذلك للعَمَلِ مِنْ قِبَلِهم حتّى شَبَّ على مَحَبَّتِهم الصّغيرُ ومات الكبيرُ، وخَلَفَ قَرْنٌ بعد قَرْنٍ على ذلك. وبحَسَبِ ما كان فيهم مِنْ محبّةِ بني العَبّاس والوَلاء لهم كان فيهم مِنْ عِناد بني فاطمة، عليهم السّلام، والبَراءة منهم.

فكان أبو العُمَيْر، مع حُبِّهِ لسُكْنَى نَجْران، واعْتِقادِ مذهب الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، شديدَ الشّوقِ إلى إِظْهار شيءٍ منه أو مِنْ شِعارِهِ أو علاماته بجَهْدِهِ[٤٣]، فكان يَبْذِل في ذلك الأموالَ الرَّغِيْبة، ويفعلُ الأَفاعِيل العجيبة.

فأَخبَرَني غيرُ واحدٍ مِنْ أَهْلِهِ وغيرهم، والخَبْرُ في هذا إِجْماعٌ لا خِلافَ فيه إلّا أنّ ممّن

أَخْبَرَني جابرُ بنُ عبدِ المحمود بنِ أبي العُمَيْر بن أبي طاهرٍ، وكان مِنْ أَفْضَل مَنْ رأيتُ بنَجْران مِنَ الزّيديّة عِفّةً وعِبادةً وتَفَقُّهاً ونُسْكاً عَنْ سَلَفِهِ -وأَخْبَرَني أَيْضاً أبي إلّا أنّه أَجْمَلَ ولم يُفَصِّل- قال: كان التَّشَيُّعُ بنَجْرانَ لا يُظْهَرُ، والأَذانُ بـ«**حَيَّ على خَيْرِ العَمْل**» لا يُقْدَرُ عليه بوَجْهٍ ولا سَبَب، حتّى كان مِنَ أبي العُمَيْر ﷺ بناءُ مسجدِ دَرْبِ آلِ رَبيعٍ بمدينة نَجْرانَ العُظْمَى[١]، وبَذْلُ المال في بني عبدِ المَدان حتّى كانوا يُراعُون حَقَّهُ، ويَرَون فَضْلَهُ، فلمّا رَأَى أَنَّ بَذْلَ المالِ ينفعُهُ في غَرَضِهِ تَطَمَّعَ في شَرْيِ الأَذان بـ«**حَيَّ على خَيْرِ العَمْل**» مِنْ صَومَعَةِ المسجدِ الّذي بَناهُ، فعَمِلَ في ذلك حتّى أُجِيْبَ إليه، فشَراهُ شِرًى بدنانيرَ كثيرةٍ -ذَهَبَ عَنّي ذِكْرُ عَدَدِها- فلمّا أُذِّنَ بِهِ في حياته جَرَتِ السُّنّة بذلك، فلم يَعْتَرِضْ فيه أَحَدٌ بعد.

وقد أَخْبَرَني والدي ﷺ وغيرُهُ مِنَ النّاس أنّه كان فيمن بَعْد أبي العُمَيْر مِنْ آلِ أبي طاهرٍ خَلَفٌ رِضًى مثلهم يَنُوبُ عنه في حِمايةِ ثَغْرِهِ الّذي خلف عليهم؛ نَحْو أحمدَ بنِ أبي القاسم، فقد تَواتَرَتْ أَخبارُهُ عندنا بالسَّماحةِ الفائضة على النّاس، وسَعَةِ الرِّفْد والقِرَى للوُفُود، وحَمْلِ الأَثْقال المُنْقِضَة للظُّهور. حتّى كان يَتَسامَعُ به الغِرَباءُ مِنَ الآفاق، ويَنْزِلُ عليه المُقِلّون بالعِيالِ والأولاد فيوافُق أَمَلَهم، ويُزِيحُ عِللهم، وكان تَعَصُّبُهُ للمذهب وتَعَصَّبُ أهلِ بيتِهِ وافياً تامًّا.

ولشُهْرَةِ أَهْلِ هذا البيتِ بالغَضَبِ لله وفي الله، والحُبِّ لَمَنْ أَطاعَهُ والبُغْض لَمَنْ عَصاهُ= صَنَعَ العثمانيُّ وقال ما صنع[٢]، وقال كفراً لِنِعْمَتِهم واعْتِياضاً بهم النَّصارَى مِنْ أَعْداء مِلَّتِهِ ومِلَّتِهم.

وكان العثمانيُّ -فيما أَخْبَرَني به غيرُ واحدٍ، منهم مِنْ أَهْل نَجْران: أحمد بن عُبيد الله الهاشميّ، وأحمدُ بنُ محمّدٍ الدِّواريُّ مِنْ آلِ أبي طاهرٍ- رَجُلاً شاعراً مَدّاحاً، وكان يَتَسَمَّى

---

(١) كُتب فوقه بالمخطوط: «هي قرية الهجر مسكن آل عبد المَدان»، وقد جُعِلت في مخطوط الطّبقات الصّغرى متناً، وبعده فيه (الورقة: ٤٩ب): «وقد صارت هذه المدينة خراباً وكذلك دُرُوبها، وقدِ اتّخذ الدِّواريّون وغيرهم مواضع أُخَر».

(٢) تتّجه العبارة أكثرَ لو كانت: «صنع العثماني ما صنع».

بالقضاء، واسمُهُ أحمدُ بنُ محمّدٍ، وكان مِنْ وَلَد عثمان بن عَفّان فيما بَلَغني، وكان يُقالُ: القاضي العثمانيّ.

قالوا فقَدِمَ[٤٤] اليَمَن مِنْ أَرْض العِراقِ، وكان بالبصْرة فامْتَدَحَ قُوّادَ الحَبَشة ومُلُوكَ عَدَن ونحوها والصُّلَيحيِّين، فلمّا قُتِلَ عليُّ بنُ محمّدٍ الصُّلَيحيُّ بالمَهْجَم مِنْ سُرْدُد قَلَبَ المِجَنَّ للأُصُلُوح، فهَجاهم وهَنَّأَ سعيدَ بنَ نَجاحٍ والحَبَشةَ بقَتْلِهِ في شعرٍ لَهُ، منه بقوله لسعيدِ بنِ نَجاحٍ: (من الكامل)

يا سَيْفَ دَوْلَةِ دِيْنِ آلِ مُحَمَّدٍ	لا سَيْفَ دَوْلَةِ خَيْبَرٍ ويَهُودِها
وافَيْتَ يَوْمَ السَّبْتِ تَقْدُمُ فِتْيَةً	تَلْقَى الرَّدَى بِنُحُورِها وخُدُودِها
صَبَرُوا فلَمْ يَكُ غَيْرَ جَوْلَةِ	مِرْوَدٍ حَتَّى انْطَفَتْ جَمَراتُ ذاتِ وَقُودِها
ورَأَيْتَ أَعْداءَ الشَّرِيَعَةِ شُرَّعاً	صَرْعَى وفَوْقَ الرُّمْحِ رَأْسُ عَمِيْدِها
أَوْرَدْتَها لِهْبَ الرَّدَى وصَدَرْتَ في	ظِلِّي مَظَلَّتِها وخَفْقِ بُنُودِها
يا غَزْوَةً لِعَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ	ما كانَ أَشْأَمَ مِنْ صَدَى غِرِّيْدِها[(١)]
بَكَرَتْ مِظَلَّتُهُ عَلَيْهِ فلم تَرُحْ	إلّا على المَلِكِ الأَجَلِّ سَعِيْدِها[(٢)]
ما كانَ أَقْبَحَ شَخْصَهُ في ظِلِّها	ما كانَ أَحْسَنَ رَأْسَهُ في عُوْدِها
أَأَرادَ مُلْكَ الأَرْضِ قاطِبَةً؟ فَلَمْ	يَظْفَرْ بِغَيْرِ الباعِ مِنْ مَلْحُودِها
أَضْحَى عَلَى خَلّاقِها مُتَعَظِّماً	جَهْلاً فَأَلْصَقَ خَدَّهُ بِصَعِيْدِها
تَعْساً لأَيّامِ الرَّوافِضِ إِنَّها	رُفِضَتْ مُرُوءَتُها لِنَقْضِ عُهُودِها

(١) قوله: «لعليٍّ» نونّه وهو موصوفٌ بـ(ابن) للضّرورة الشّعريّة، وسيأتي نحو ذلك في الاسم نفسه ولكنّه منونّ بالنّصب.

(٢) في المخطوط: «مطليَة» لم يتّجه لي معناها، ولعلّه وَهْمٌ في الرّسم.

ما كانَ أَكْذَبَ شِعْرَنا في مَدْحِها ما كانَ أَنْزَرَ حَظَّنا مِنْ جُوْدِها

أَخْبَرَني مالكُ بنُ عبدِ الله بنِ الكُباس المطعميّ وغيرُهُ، أنّ عليَّ بنَ محمّدٍ الصُّلَيحيَّ كان لَهُ راجِزٌ مِنْ رُجّازِ العامّة، يُقالُ لَهُ: العُذيقيّ، وكان يُدْنِيهِ ويُحْسِنُ إليه، فلمّا بَرَزَ مِنْ قَصْرِهِ في سَفَرِهِ هذا الّذي لم يَرْجع مِنْهُ صَعِدَ على موضعٍ مُرْتَفعٍ -أو قِيْل: على عمدان- ورَجَزَ، فقال:

إنَّ عَلِيًّا والإِلٰهَ اقْتَسَما

فاسْتَوَتِ القِسْمَةُ ثُمَّ اسْتَهَما

فَلِعَلي الأَرْضُ وللهِ السَّما[١]

فلهذا ومثلِهِ قال العثمانيُّ:

أَضْحَى عَلَى خَلّاقِها مُتَعَظِّماً

قالوا وإن العثمانيَّ **رُقِّي** عنه[٢] إلى المُكَرَّمِ أحمد بن عليّ بنِ محمّدٍ الصُّلَيحيِّ -وهو المَلِكُ بعد أَبِيْهِ- **أنّه** هَجاهُم وشَمَتْ بِها أَصابَهم، أو بَلَغَهُ شِعْرُهُ[٤٥]، فخافَ فهَرَبَ فلم تَلِقْهُ[٣] أَرْضٌ حتّى اسْتَأْمَنَ له القاضي عمران بنُ الفَضْل اليامِيُّ، فيما ذُكِر؛ وله إليه يَسَأَلُهُ ذلك شِعْرٌ يَصِفُ فيه خَوفَهُ وجَزَعَهُ، أوّلُهُ: (منَ البسيط)

ماذا تَرُدُّ على الرُّكْبانِ عَدْنانُ إنْ لم تَجُدْ بِجَمِيْلِ الصَّفْحِ قَحطانُ؟

يا لَيْتَ شِعْرِيَ، يا بْنَ الفَضْلِ، مالِكَنا هَلْ عِنْدَهُ لِعَظِيْمِ الذَّنْبِ غُفْرانُ؟

---

(١) قولي: «فلعلي...» من دون تشديد الياء لضرورة الوزن، وثمّة وجه آخر لقراءة المشطور، هو: «فلعليٍّ الارض والله السّما» بتخفيف الهمز في (الأرض) وإضافة الألف قبل لفظ الجلالة على توّهم أنّها سقطت سهوًا أو جهلا.

(٢) **رُقِّي** عنه: أي رُفِع عنه.

(٣) في المخطوط: «تُلْقه» بضمّ أوّله وسكون ثانيه؛ وإنّما المعنى يقتضي ما رُسِم أعلاه، أي: لا تُمسكه أرضٌ؛ نحو قولهم: لا تَليق كفّه درهمًا، ولا تَليق بدرهم، أي: ما يُمسكه ولا يلصق به؛ التّاج: (ل ي ق).

ومنها: (منَ البسيط)

قَوْمَا احْفِرا جَدَثِيْ إِنِّي يُخَيَّلُ لي ... مِنْ حَيْثُ ما سِرْتُ أَنَّ الأَرْضَ نِيْرانُ

وكُلَّ صادِحَةٍ لِلطَّيْرِ صارِخَةٌ ... وكُلّ نابِتَةٍ في الأَرْضِ مُرّانُ

وإِنْ عَنَتْ لِيَ عِيْنٌ قُلْتُ: عَيَّنَهُ ... وإِنْ بَدَتْ لي ظِباءٌ قُلْتُ: فُرْسانُ[1]

حَتَّى كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ مِنْ جَزَعٍ ... ولامِعَ البَرْقِ أَسْيافٌ وخِرْصانُ

ومنها: (منَ البسيط)

تَقُولُ بِنْتِيَ: أَمْعِنْ في الفِرارِ، وهَلْ ... مِنِ ابْنِ أَسْماءَ يُغْني اليَوْمَ إِمْعانُ؟

قالوا: وإنّ العثمانيّ قَدِمَ إلى نَجْرانَ، وعليه تَواضُعٌ وهَيْئَةُ تَعَفُّفٍ، فلَجَأَ إلى آلِ أبي طاهرٍ؛ إِذْ كانوا مَقْصِدَ العافي، ومَلاذَ اللّاجئ، وأَمَلَ الرّاجي؛ فتَظاهَرَ عندهم بما أَقْنَعهم[2] مِنْهُ، فعالُوهُ وعِيالَهُ وكانوا مآله وثُمالَهُ إلى أَنْ بَلَغَ نَصْرانيًّا بنَجْران كانَ مِنَ الأَغْنياء، وأَهْلِ البَطَرِ والإِسْرافِ واللَّعِب بالأَمْوال؛ يُقالُ له: رُشْد بنُ عبد الواحد=أَنّهُ يَتَظاهَرُ بالعِفَّة تَمْوِيهاً على رَأْيِهِ وتَسَتُّراً عَنْ آل أبي طاهرٍ، وأَنَّهُ يَرى شُرْبَ الخَمْر لو اتَّفَقَ له ذلك.

فأَخْبَرَ أحمدُ بنُ محمّدٍ الدّواريُّ وغيرُهُ أنّ النَّصْرانيَّ بَعَثَ إلى العثمانيِّ غُلاماً له بقارورةٍ مِنْ شرابٍ صافٍ قد خَفيَ لونُهُ وريحُهُ، وقال له: يَقُولُ لك مولاي: ما هذا الدُّهْنُ، فإنّه لم يَعْرِفْهُ؟ ودَفَعَ إليه رُقْعةً، وقال له: إذا تَعَرَّفَ ما في القارورةِ فادْفَعْ إليه الرُّقْعَةَ. فأَتَى الغُلامُ العثمانيَّ بالقارورة فصَبَّ مِمّا فيها في راحتِهِ وتَذَوَّقَهُ فعَرَفَهُ، ودفع إليه الرُّقْعة فإذا فيها: (من الخفيف)

لَسْتُ أَدْري مِنْ رِقَّةٍ وصَفاءٍ ... هي في كَأْسِها أَمِ الكَأْسُ فِيْها

فَشَرِبَ ما في القارورة، وكَتَبَ على ظهر الرُّقْعة: (منَ الخفيف)

قَدْ أَتَتْني يا بْنَ الأَكارِمِ راحٌ ... هِيَ رَوْحٌ، لا بَلْ عَلَتْ تَشْبِيها

---

(١) قوله: «عَنَتْ» لعلّه أراد «عَنَّتْ» أي: ظهرت، وخفّف للضّرورة الشّعريّة.

(٢) في المخطوط: «أقع قنّعهم».

ثُمَّ شَعْشَعْتُها فَلَمْ أَتيَقَّنْ هِي في كَأْسِها أَمِ الكَأْسُ فِيْها
فَتَمَنَّيْتُ لو غَدَوْتُ جَلِيْساً أَوْ أَنِيْساً عَبْداً لِمُسْتَعْمِلِيْها

فلمّا رَجَعَ الغُلامُ بالجوابِ بَعَثوا إليه ببَغْلَةٍ، فرَكِبَ وأَتَى مجلسَ النَّصْرانيِّ وفيه نُدَماؤُهُ، وكان يُنادِمُهُ سَلاطينُ بني عبدِ المَدان؛ نحو منصورِ بن[٤٦] المُهَلَّبِ ونُباتةَ بنِ منصورِ بنِ مَنيعٍ. فاخْتَلَطَ بهم وأَنِسُوا إليه؛ وقال أَشْعارَهُ الخَمْرِيَّةَ السَّيّارَةَ في البلاد في مُنادَمَتِهم، وكَشَفَ قِناعَهُ لآلِ أبي طاهرٍ حين وَثِقَ بأَخِلّاءِ المَدانِيِّين والنَّصْرانيِّين، فراحَ إلى منزلِهِ بينهم جِهاراً سَكْرانَ، ثمّ قال قصيدةً أوّلها: (منَ الكامل)

قُمْ فاسْقِنِيْها، يا بْنَ عَبْدِ يَسُوعِ، صَهْباءَ صافِيَةً كَلَوْنِ دُمُوعي
واخْلَعْ عِذارَكَ عالِماً أَنَّ الّذي قَدْ فازَ بِاللَّذاتِ كُلَّ خَلِيْعِ
واشْرَبْ بِنا ما دامَ رُشْدٌ باقِياً في عِزِّهِ ونُباتَةُ بْنُ مَنِيْعِ

ومنها في كَشْفِ عَتُوه وعِنادِهِ: (منَ الكامل)

وشَرِبْتُ حَتَّى صِرْتُ لَسْتُ بعارِفٍ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ ولا إِلَى ايْنَ رُجُوعي
وظَلِلْتُ أَنْشُدُ مَنْ لَقِيْتُ بِسَكْرَتي: أَيْنَ الطَّرِيْقُ لِدَرْبِ آلِ رَبِيْعِ؟
غَيْظاً لِسُنِّيٍّ يُحَرِّمُ شُرْبَها بَعْدَ الصَّلاةِ وغَيْظَ آخَرَ شِيْعي

ثمّ تَمَرَّدَ وتَجَرَّدَ، فقال مِنْ قصيدةٍ يُعَرِّض بهم: (من الرَّمَل؟)

حَرَّمُوها بَعْدَ ما قَدْ قَبَضُوا ثَمَنَ الطّابَةِ ماذا طَيَّبا[١]
وأَحَلُّوا بَيْعَها مَرْهُوطَةً لو أَرادُوا الحِلَّ باعُوا عِنَبا[٢]

---

(١) **الطّابة**: الخَمْر.

(٢) **مرهوطة**: المراد هٰهنا أنّهم صنعوا من العنب خمرًا، وذلك بجمع العنب بغيره وخلطه حتّى صار خمرًا، على أنّني لم أقف على هذا المعنى في كتب المعجمات؛ رغم إيعاب المعنى فيها ذكر ابن فارس بأنّ الرّاء والهاء والطّاء أصلٌ يدلّ على تجمّع؛ انظر مقاييس اللّغة: (ر ه ط).

رُبَّ مَنْ يَجْهَلُ مِنّا رُشْدَهُ لا يَرَى الحَقَّ إذا ما وَجَبا
يَحْتَسِيْها وَقْتَ رَيْعانِ الصِّبا ويُخَلِّيْها إذا ما اضْطَرَبا
كالّتي في رَمَضانٍ لم تَصُمْ بَلَهاً مِنْها وصامَتْ رَجَبا

وقال قصيدتَهُ الرّائيّة الّتي أوّلها: (منَ الكامل)

ما العَيْشُ إلّا كاعِبٌ وعُقارُ وأَكارِمٌ نادَمْتُهُمْ أَخْيارُ

فوَصَفَ فيها الخَمْرَ وبالَغَ، ومَدَحَ منصورَ بنَ المُهَلَّبِ المَدائنيَّ ونُباتَةَ بنَ منصورِ بنِ مَنِيْع، ومنها: (منَ الكامل)

خُذْها فَإِنْ حَلَّتْ أَصَبْتَ وإِنْ تَكُنْ حَرُمَتْ فَمَحْوُ ذُنُوبِها اسْتِغْفارُ

ومنها:

أَفَبَعْدَ ما صَرُّوا عَلَى أَثْمانِها عابوا لَقَدْ قَلَبُوا الحَدِيْثَ وجاروا

فبالَغَ في الصَّدِّ عَنِ الله والدُّعاءِ إلى معصيتِهِ، ونُصْرَةِ إبليس، لَعَنَهُ الله، والحَضِّ على طاعته في هذا؛ ومنها: (منَ الكامل)

قُوْمَا انْحَرَا إِبِلِي فَقَدْ طابَتْ لَنا نَجْرانُهُمْ ورِجالُها والدّارُ
جاوَرْتُهُمْ ضَيْفاً فَحِيْنَ أَلِفْتُهُمْ طابَتْ لَنا بَلَدٌ وقَرَّ قَرارُ(١)
وأَخافَني مَلِكي فَلَمّا جِئْتُهُمْ سَتَرُوا عَلَيَّ وجَمَّلُوا وأَجارُوا
وفَرَرْتُ مِنْهُ وما أُراني وائلاً وهُوَ المَنُونُ، وأَيْنَ مِنْهُ فِرارُ[٤٧](٢)؟

فكان هذا مِنْ كُفْرِ العثمانيِّ لِنِعَمِ المُنْعِمِين عليه، ناطقاً بأَنَّ ما **ادّعى** على جيرانه، السّابقين إلى الإحسان إليه، وإِيْوائِهِ في ديارهم، المُتَعَهِّدين والموالين عليه صَيِّبَ(٣)

(١) كتب في المخطوط تحت قوله: «بلد» كلمة عنها، هي: «أرض».
(٢) **الوائل**: النّاجي.
(٣) **الصَّيِّب**: المُنْهَمِر المتدفِّق من الأمطار.

أَمْطارِهم، آلِ أبي طاهر= زُورٌ باطلٌ ومُحالٌ حائل؛ ولقد عُرِف له ومنه ذلك حتّى قال فيه أبو المنصور البَصْريُّ، وهو رَجُلٌ يُقالُ له: محمّدُ بنُ عَبْدون قَدِمَ نَجْرانَ، فلَجَأَ إلى أحمدَ بنِ أبي القاسم بنِ أبي طاهرٍ، فآواهُ وأَكْرَمَهُ، وكان يَكْتبُ لَهُ، وكانت بينه وبين العثمانيِّ معرفةٌ من متقدّمةٌ بالعِراق معارضاً لرائيّته هذه: (منَ الكامل)

لَعِبَتْ بِلُبِّكَ كاعِبٌ وعُقارُ ... وامْتاحَ ماءَ حَيائِكَ الخَمّارُ

وسَرَتْ إِلَيْكَ يَدُ الأَماني إِذْ سَرَتْ ... فَأَرَتْكَ أَنَّ المُوبقاتِ صِغارُ

وصَبَا فُؤَادُكَ فاسْتَقَدتَ لِمَعْشَرٍ ... حَثّوا الكُؤُوسَ، فَقُلْتَ: هُمُ أَخْيارُ

وأَتاكَ إِبْلِيسٌ يَجُرُّ رِداءَهُ ... لَـمّا رآكَ وما عَلَيْكَ وَقارُ

فَلَقِيْتَهُ نَشْوانَ مَسْلُوبَ الحِجَى ... في حالَةٍ تَزْهُو بِها الفُجّارُ

فَحَباكَ وَصْفَ سُلافَةٍ قَدْ أُحْكِمَتْ ... أَوْ قَدْ تَبَقَّى لِلْبُلُوغِ نَهارُ

يا أَيُّها القاضي المُنَوَّهُ بِاسْمِهِ ... أَقْصِرْ فَحُقَّ لِمِثْلِكَ الإِقْصارُ

واقْصِدْ سَبِيْلَ الرُّشْدِ تَرْشُدْ إِنَّهُ ... أَقْصَى مَدَى ما أَنْتَ فِيْهِ النّارُ

لا تَجْمَعِ الشَّيْبَ الّذي هُوَ نازِلٌ ... بِكَ والمَعاصي إِنَّ ذا لَلْعارُ

واسْتَحْيِ أَنْ تَلْقَى إِلهَكَ قائِلاً: ... «في البَيْتِ مِنْ نَفَحاتِها أَنْوارُ»

إِنْ كانَ في الجَنّاتِ مِنها أَنْهُرٌ ... قَدْ أُعْذِبَتْ أَتَقُولُ: تِلْكُ عُقارُ

تَنْفي العُقُولَ وتَجْلِبُ الخَبَلَ الّذي ... إِنْ مَسَّ ذا لُبٍّ عَلاهُ هُتارُ

إِنْ كُنْتَ جازَيْتَ المَطِيَّ بِعَقْرِها ... ورَأَيْتَ أَنَّ ثَوابَها الجَزّارُ

فَلَقَدْ جَزَيْتَ عَلِيّاً بْنَ مُحَمَّدٍ ... وبَنِيْهِ لَـمّا قَرَّبُوا وأَمارُوا[1]

---

(١) نونّ «عليّ»، وهو موصوفٌ بـ(ابن) للضّرورة الشّعريّة، وقد مرّ نحو ذلك في الاسم نفسه ولكنّه منونّ بالكسر.

بِأَخَسِّ ما يُجْزَى ولم تَكُ راعِياً ... لِنَداهُ لَمّا أَنْ عَراهُ عِثارُ

ورَمَيْتَهُ بِنِبالِ شِعْرِكَ لم تَدَعْ ... لَكَ مِنْ مَعادٍ فالدِّيارُ قِفارُ

وزَعَمْتَ أَنَّكَ خِفْتَ سَطْوَةَ شِبْلِهِ ... ونَفَى رُقادَكَ خِيْفَةٌ ونِفارُ

وكَذاكَ مَنْ عادَى المُلُوْكَ فَنَوْمُهُ ... نَزْرٌ وحَشْوُ فُؤَادِهِ اسْتِشْعارُ[٤٨]

فأَصابَ أبو المنصور الفَصَّ في صفاتِهِ، وطَبَّقَ المَفْصِل، وحَكَّ القَرْحَة، حتّى ما أَخْطَأَ شيئاً.

وإِنّما دَعاني إلى ذِكْرِهِ وإلى إِيْرادِ ما أَوْرَدْتُ مِنْ شِعْرِهِ، وليس من نَمَط كتابي ولا جهة قَصْدي، إبانةُ العُذْر لآل أبي طاهرٍ فيما نَسَبَ إليهم وادَّعى عليهم، واسْتَشْهدتُ في ذلك خَلاعتَهُ وفَسادَ دينِهُ وضَعْفَ شُكْرِهِ ولُؤْمَ عِشْرَتِهِ لهم ولغيرهم ممّن أحسن إليه؛ ليَعْلَمَ سامعُ ما قال فيهم أنّه نازلٌ تحت قولِ الصّاحبِ بنِ عَبّاد في أبي بكر الخُوارَزميّ وقد هَجاهُ بعد إِحْسانٍ كان منه إليه وصُحْبَةٍ مَدِيدةٍ جيّدة، حيث يقول: (منَ الطّويل)

سَأَلْتُ بَرِيْداً مِنْ خُراسانَ مُقْبلاً: ... أَماتَ خُوارَزْمِيُّكُمْ؟ قالَ لي: نَعَمْ[١]

فَقُلْتُ: اكْتُبُوا بالجِصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ: ... أَلَا قَبَّحَ الرَّحْمنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمْ[٢]

---

(١) كُتب فوق قوله: «بريدا» كلمة: «حجيجا» وفوق قوله:«مقبلا» كلمة: «أقبلوا». وفوق قوله:«قال» كلمة: «قيل».

(٢) كتب فوق كلمة «قبح» كلمة: «لعن».

البُشاريّ(١)

هو رَجُلٌ يُقالُ له: عبدُ الله بنُ أبي القاسم.

كان يَنْزِلُ بَشار مِنْ أَرْض عَنْس، وبها موضعُ عُزْلةٍ لأَصْحابٍ له. وكان يَرَى رَأْيَ عليِّ بن شَهْر المُتَكَلِّم ببيتِ وَهْبٍ في اخْتِراع اللهِ للأَعْراض واسطةً بَيْنَهُ وبين الأَجْسامِ يُغَيِّرُها بها، ويَقُولُ تُدْرِكُها بجميع الحَواسِّ، ونحو ذلك ممّا هو مَذْهَب من سِيْماء المُخْتَرِعَة مِنَ الزّيديّة.

وقد بَلَغَني أنّه كان قد تكلّم مع مُطَرِّفٍ، وأَتَى وَقَش بعد ذلك للمُناظَرة ونحوها، فلم ينتفعْ بشيءٍ ولا عَرَفَهُ، ولم يَنْقَدْ له أَحَدٌ وأَحْسِبُهُ مِنْ أوّل مَنْ سَنَّ البَراءة والعَداوَة بين هذين الفريقين.

فأمّا مُخالِفُوه فإلى الآن لا تُعْرَف منهم جُرْأَةٌ على قولِ قَبِيْحٍ فيهم، ولا يَرَونَ ذلك ولا يُعْلَم منهم سَفَهٌ في لَعْنٍ ولا طَعْن، وكثيراً ما أَسْمَعُ قائلَهم يَقُولُ: لا يكون المؤمنُ سَبّاباً ولا عَيّاباً ولا مُغْتَاباً ولا طَعّاناً ولا لَعّاناً. وإنّما يقتصرون على الاحْتِجاج والمُناظَرات فقط، ويَعْرِفون حَدّ ما يُخافُ به الهَلَكَة مِنَ الخلاف، ويَدُلُّون على ذلك، وكذلك يَعْرِفون إلى أيِّ مذهبٍ تَؤُول تلك المسألة لا غير. فربّما تكون مسألةٌ تميل إلى بعض مذاهب المُجْبِرَة أو المُشبهَة أو بعض أَغْلاط مُعْتَزلة البصرة في مثل الإرادة ونحو ذلك.

وأَدْرَكْتُ مِنَ النّاس مَنْ يحكي شيئاً مِنْ كلامِهِ في مجالس النَّظَر والجَدَل، يَدُلُّ على

---

(١) قوله: «البُشاريّ» بضمّ أوّله، كذا ضُبط في المخطوط، على أنّه سيُضبط بُعيده بفتح أوّله نسبةً إلى: «بَشار»؛ وكذا سيرد في غير موضعٍ من الكتاب محرَّفًا إلى: «الشباريّ»

ضُعْفِهِ في النّظر واللُّغة؛ مِنْ ذلك ما أَخْبَرَنا به محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ، قال: قَدِمَ علينا عبدُ الله بنُ أبي القاسم البُشاريِّ إلى وَقَش فتَكَلَّمَ مع المشائخ، رحمهم الله، في اخْتِراع الأَعْراض من الله تعالى في الأَجْسام الّتي قد وُجِدَتْ مَقْرُونةً[٤٩] بأَعْراضٍ تُوْصَفُ بها، فلمّا حُصِرَ وانْقَطَع قال: فما يُقالُ في مِثْلِ ذلك؟ قالوا: يُقالُ: تَغَيَّرَتِ الأَجْسام واسْتَحالت بقُدْرَة الله ومشيئَتِهِ إذْ رَكَّبَها على ذلك وجعلَهُ يُمْكن فيها وتنفعل إليه لا شريك لله في ذلك. فلمّا سمع ذلك لم يتّقه[١] إلّا بأَنْ قال: لا يَسْتَحيل إلّا الثّور. وكان في ذلك المجلسِ صَبيٌّ أَحْسِبُهُ ذَكَرَ أنّه أخٌ كان لَهُ يُقالُ له: إبراهيم، قد سَمِعَهُ يَذْكُرِ حسَّ الأَعْراض، فأَقْبَلَ عليه وقال: وكذلك لا يُحَسّ إلّا الشَّعِيرُ والبُرّ. فخَجِلَ وانْقَطَع.

وأراد البُشاريّ بقوله: «**لا يَسْتَحيلُ إلّا الثّور**» معنًى يستعملُهُ أهلُ اليمن في الدّابّة إذا أَعْيَتْ فلم تَبْرَح مكانها إمّا مِنْ ضَعْفٍ أو كَدٍّ في عَمَلٍ أو نحوِ ذلك[٢]؛ فيُقالُ حينئذٍ: استَحالت. وأراد إبراهيمُ معنًى آخَرَ يستعملُهُ أهلُ اليَمَن في عَرْكِ الحُبُوب بالرّاحَتَين لاسْتِخْراجها مِنْ قُشُورها للأَكْل. فإنّهم يقولون: حُسَّ[٣] مِنَ الشَّعير ما شِئْت، وكذلك مِنَ البُرِّ والذُّرَة، وذلك في أَوان الحَصاد، وبها شيءٌ مِنْ خُضْرَة.

وكان محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ يُخْبِرُ عَنْ شيخٍ مِنْ أَهْلِ صَنْعاء: كان يُعْرَفُ بإبراهيم النَّعُوس، أنّه كان يَسْتَعْمِلُ في خِطابِهِ للنّاس وجَوابِهِ نوعاً مِنْ هذا، فيكون كالهَزْل وهو فيه جادٌّ، وذلك أنّه كان إذا مَرّ به المارُّ صُبْحاً، واستعملَ مِنَ السّلام غيرَ لَفْظِهِ نَحْواً ممّا هو مُعْتادٌ الآن بين أهل اليمن؛ إمّا أَنْ يقول: أَصْبَحتَ، أو أَصْبَحْتم، أو كيف أَصْبَحْتم أو

(١) رسم النّاسخ في المخطوط فوق القاف في قوله: «يتقيه» ميماً.

(٢) قوله: «إمّا... أو كد في عمل أو...» كذا!

(٣) وفي اللّسان (ح س س): «حَسَّه !يَحُسُّه حَسًّا، والصّادُ لغةٌ فيه، عن أبي حنيفة أي أَحْرَقَه، يقال: إنّ البردَ مَحَسَّةٌ للنباتِ والكَلأ، أي يَحُسُّه ويُحرقُه» وفي اللّسان أيضاً (ج ش ش):«**جَشَّ** الحَبَّ يَجُشُّهُ جَشًّا وأَجَشَّه: دَقّه. وقيل: طَحَنه طَحْناً غليظاً جَرِيْشاً، وهو جَشِيش ومَجْشُوش».

يَقُولُ[١]: ما حالُكَ؟ وذلك عندهم يَقُومُ مقامَ قول القائل: السّلام عليكم ورحمة الله. كأنَّ قولَهُ -عند قولِهِ «أَصْبَحْتَ وأَصْبَحْتم»-: نعم. أي: قد أَصْبَحْنا أَحْياءً موجودين. وعند قوله: كيف أَصْبَحْتم؟ يقول: أَخَذْنا سِراجاً فجَعَلْنا فيه دُهْناً، وأَخَذْنا فَتِيْلَةً فغَمَسْناها في الدُّهْن، وأَخَذْنا كِبْرِيْتاً فجَعَلْناهُ في نارٍ، فإذا اشْتَعَلَ أَدْنَيْنا منه تلك الذُّبالَةَ، فأَصْبَحْنا مِصْباحَنا. في نَحْوِ هذا مِنَ الكلام.

وكان مِنَ الجَواب عند قول القائل: ما حالُكَ؟ أن يقول: عَرَضٌ. وإِنْ قال: ما أَحْوالُكُ؟ فالجوابُ: أَعْراضٌ. فكان إذا أَخْبَرَنا بجَوابِ ابنِ أبي القاسم في اسْتِحالة الأَجْسام وتَغَيُّرِها مِنَ حالٍ إلى حال، باسْتَحالَةِ الثَّور، أو إن أُتي نحو ذلك مِنْ غيرِهِ ربّما يُخْبِرُنا بإبعاده النَّعُوس، هذه في مِثْلِ هذه الأَلْفاظ فتكون مَثَلاً مُفْهِماً للمَعْنَى دَالًّا على جَهْل الخَصْم أو تَجاهُلِهِ؛ إِذِ العَرَضُ بين ذَوي العُقُول في الحقائق والاسْتِعارات اللُّغَوِيّة مفهومٌ[٥٠] لا يَكادُ يَجهلُهُ إلّا شديدُ البَلاهَةِ أَعْمَى القَلْب وإنّما يُتَجاهَلُ تَجاهُلاً.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمدَ بنِ عُبَيدِ بنِ الخَطّاب، وهو أَحَدُ شُيُوخ الزَّيْديّة بوَقَش، وأصلُهُ مِنْ أَهْل عَجاز مِنْ مَشْرِق حاشِد مِنْ هَمْدان. ونسبُهُ في شاوِر المعبّل، قال: سمعتُ محمَّدَ بنَ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ يَحْكي أنّ عبدَ الله بنَ أبي القاسم البُشاريَّ دَخَلَ بشِبام أيّام عِمارَتِها على عَهْدِ سليمانِ بنِ عامرٍ الزَّواحيِّ، وبه جَرَبٌ خبيثٌ قد أَضَرَّ بِهِ، فأَتَى عبدَ الله بنَ سُميرٍ المُتَطَبِّب، وكان يَرَى رَأْيَ الزّيديّة في الأُصول، وإن لم يكن ذا عَمَلٍ[٢] ظاهرٍ. فلمّا جَلَسَ بين يَدَيْهِ شَكا عليه ذلك الجَرَبَ، وسأَلَهُ عن دَوائه، وكان قد عَرَفَ اعْتِقادَهُ في الاخْتِراع وغيرِهِ مِنْ مَسائل الخِلاف، فقال: إنْ كان الدَّواءُ يَنْفَعُكَ وَهَبْتُ لك شَرْبَةً تَشْرَبُها لذلك، وإنْ كان لا يَنْفَعُكَ لم أَبِعْكَ ولم أَهَبْ لك. فقال: تَفَضَّل بِعْني بثَمَنٍ

(١) قوله: «إمّا... أو أصبحتم أو ...» كذا!

(٢) كُتِب فوقه بالمخطوط: «علم ط».

أَدْفَعُهُ إليك. قال: لا أَبِيْعُك بل أَهَبُ لك إِنْ كانَتِ الأَدْويةُ تَنْفَعُك. فلمّا رَأى أنّه لا يَبِيْعُهُ حتّى يَعْتَرِفَ بأنّه يَنْتَفِعُ بالجِسْمِ وأنّه يحيلُ ويَسْتحيل؛ فيترك مذهبَهُ، انْصَرَفَ وتَرَكَ التَّداوي.

وقد كنتُ سمعتُ أنا هذا الخبرَ مِنْ محمّدُ بنِ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ، ونَسِيْتُ منه شيئًا، فإنّما أثبتُّهُ هٰهنا برواية الشّيخِ زيدِ بنِ أحمدَ لكَوْنِهِ ذاكِراً وكوني مُتَذَكِّراً لبعضه.

ونَحْو هذا الحديث ما أَخْبَرَني به محمّدُ بنُ سلمانَ البَكِيليُّ، قال: نَزَلَ ببعض الزّيديّة بمَسْوَر، أَحْسِبُهُ ...[1] ليلاً، نَفَرٌ مِنَ الزّيديّة المُخْتَرِعَة ممّن يَقُولُ: بأنّه لا يُشْبعُ الخُبْزُ، بل شيءٌ فيه. فأَتاهُم بلحيحة لا تُشْبع ولا تُقارِبُ الشِّبَع وتَرَكَهُم جِياعاً في أَخْبَثِ حالٍ، فلمّا اشْتَدّ جُوعُهم، وظَنَّ ذلك قد بَلَغَ منهم غايةً، عَرَضَ لهم في كلامِهِ بما يُوئسُهُم مِنَ العشاء. فلمّا انتهى الجُوعُ بِهِم إلى الجُرأةِ على المسألةِ؛ قال أَحَدُهم: يا هذا، أمَا عندَكَ شيءٌ تُطْعِمُنا؟ قال: إنْ كان الخُبْزُ يُشْبعُ أَتَيْتُكم بخُبْزٍ كثيرٍ يُشْبعُ مثلُهُ، وإنْ كان لا يُشْبعُ إلّا شيءٌ فيه فَقَدَ أَتَيْتُكم بما يُجْزي لذلك، وهو يكون فيه ذلك الشّيءُ. قالوا: فإنّا نَتُوبُ إلى الله مِنَ هذا الاعْتِقاد. فانْصَرف حتّى أَتاهم بخُبْزٍ كثيرٍ، فأَكَلُوا حتّى شَبِعُوا.

---

(١) ثمّة فراغٌ بالمخطوط قد كلمة.

ابنُ زايدٍ الجَنْبيُّ[٥١](١)

هو الحَسَنُ بنُ زايد بن ذَوّاد.

نسبُهُ في جَنْبٍ مِنْ مَذْحِج ثمّ في ...(٢).

وكان يَنْزِلُ حَدَّة مِنْ حازّة المَعْلَل مِنْ أَرْض بني شِهاب، ثمّ تَحَوَّلَ إلى سَناع فبَقي بها، حتّى مات بالطّائف مُنْصِرَفاً مِنَ الحَجّ والزّيارة لقَبْر رسولِ الله، صلّى الله عليه، رحمه الله.

وكان عظيمَ البَرَكةِ على الزّيديّة، سعيدَ الجِدِّ على المِلَّة، قَوِيَّ التّأثير، حسنَ السُّنة؛ وذلك أنّه أوّلُ مَنْ عَقَدَ مجالسَ التّدريس وتَعْلِيم الأُصُول، وأَسَّ لذلك الخَلْوة وسَنَّ السَّمَر في ذلك ليلاً. وهو مِنْ أَصْحاب مُطَرِّفٍ رحمه الله، وليس مِنْ قُدَماء هذه الطّبقة في التّاريخ، لكنّه مِنْ مُتَقَدِّمِيْهم في التّأثير في الإسلام، ومِنْ مُتَأَخِّرِيهم زَماناً.

أَخْبَرَني الشّيخُ الفاضلُ -مُقَدَّم الزّيديّة بلا خِلافٍ- إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله قال: كان الحسنُ بنُ زايدٍ رحمه الله أوّلَ مَنْ عَقَدَ مجالسَ الذِّكْر وأَسَّ خَلْوة الحَديث، وتَلْقِين المسائل الأُصُوليّة والكلام عليها لَيْلاً، والسَّمَر بذِكْر الله تعالى، وتَعْلِيم تَوْحِيْده في اللّيالي، بسَناع على ما هو اليومَ مَسْنُونٌ في هِجَرِ الزّيديّة بعدَهُ.

وأَخْبَرَني الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثم رحمه الله قال: كان الحسنُ بنُ زايدٍ ومحمّدُ بنُ حُمَيدٍ اليُرْسُميّ الشّاعرُ -وهو الّذي خَرَجَ عَنِ الزّيديّة وهَجاهم، ولَحِقَ بالصُّلَيحيِّين- يَنْزِلان حَدَّة، وكانا يَعْتِقدان يومئذٍ مسائلَ خِلافٍ مِنْ نَحْو الاخْتِراع= قال: فكانا يأتِيانِ

---

(١) الصّفحتان الآتيتان ليستا مرقّمتين بالمخطوط، والتّرقيم بعدهما متّصل من دونهما بما يُفضي إلى اختلال التّرقيم ويخالف ما هو عليه هٰهنا، على الرّغم من اتّصال الكلام واتّساقه.

(٢) ثمّة فراغٌ بالمخطوط قد كلمة.

أَشْياخَ الزّيديّة بسَناع للمُناظَرة، ويَنْصَرِفان على ما هُما عليه. فلمّا كان في يومٍ مِنَ الأيّام امْتَدَّ بينهما الكلامُ وبينهم في مسجد سَناع حتّى غَرَبَتِ الشّمس -أو كادت- فقامَا للرَّواح إلى حَدَّة؛ وكانتِ المسألة على انْقِضاءٍ، وكاد يَتَبَيَّنُ لهما الصّوابُ، فلمّا ولَّيَا، قال الحَسَنُ: واللهِ، لا أَرُوحُ حتّى أَفْرُغَ مِنْ هذه المسألة، ولا يَسَعُني عند الله أَنْ أنامَ، وأنا أَجْهَلُها، فَرَجَعَ، ورَجَعَ ابنُ حُمَيدٍ، وعادوا إلى الكلام فانْقَطَعَ الحَسَنُ وسَلَّمَ للمشائخ، رحمهم الله، ثمّ إنّه انتقل إلى سَناع، وانتقل معه ابنُ حُمَيدٍ. وأَسَّ الحَسَنُ التّدريسَ ورسومَهُ على ما تقدَّم ذِكْرُهُ، فصارت سُنّةً في الزّيديّة إلى اليوم. فكان ذلك ممّا ازدادتْ به شُهْرةُ الموضع عند النّاس بالعِلْم والعِبادة والتّعليم، فقُصِدَ مِنْ كلِّ جِهَةٍ وحَيِيَ بِهِ الإسلام[٥٢].

وكان أَخُوهُ أحمدُ بنُ زايدٍ مِنَ الصّالحين، وعاشَ بعدَهُ، وكانت تحتَهُ أُخْتٌ للشّيخ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم، رحمهم الله، فوَلَدَتْ له ابناً، فسَمّاهُ الحَسَنَ، فهو الحَسَنُ الجَنْبيُّ الّذي أَدْرَكْناهُ، يُقالُ، وخَبَرُهُ، إن شاء الله، يَمُرُّ في طَبَقَتِهِ؛ وفي أَبِيْهِ يَقولُ أبو السُّعودِ بنُ زيدٍ رَحِمَهُ الله -في مَرْثِيَةِ أَخِيْهِ الحسنِ بنِ زايدٍ- الّتي أَوّلُها: (منَ المتقارب)

تُقَى اللهِ مُعْتَصَمُ الخائِفِ ... وتَوْحِيْدُهُ لَذَّةُ العارِفِ

ومنها: (منَ المتقارب)

وفي أَحْمَدٍ عِوَضٌ بَعْدَهُ ... وإِخْوانِهُ أُنُفِ الآنِفِ
مُحِبِّي النَّبيِّ إمامِ الهُدَى ... وعِتْرَتِهِ عِصْمَةِ الخائفِ

ويَقولُ محمّدٌ العَلَلي في مَرْثِيَتِهِ للحَسَنِ بن زايدٍ: (من الطّويل)

ويا حَمَدَ الخَيْراتِ صَبْراً وحِسْبَةً ... لِتَلْقاهُ في دارِ الكَرامَةِ في اللِّقا

ويَقولُ أبو القاسمِ الرَّبَعيُّ: (من الطّويل)

وفي صِنْوِهِ البَدْرِ المُرَجَّى لَنا بِهِ ... مَعاً عِوَضٌ مِنْ كُلِّ فِقْدانِ فاقِدِ

وكان الحسنُ بنُ زايدٍ الجَنْبيُّ وعُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ البَحيريُّ مِنَ أَكْثَرِ مَنْ رُثيَ بالأَشْعار مِنَ البلاد مِنْ شُعَراء الزّيديّة وذلك لعَظِيم فَقْدِهما عندهم، وجَوْدَةِ تَأْثِيرِهما فيهم؛ فمِمَّن رَثَى الحَسَنَ بن زايدٍ -مع أبي السُّعُودِ بنِ زيدٍ، ومحمّد العَلَلِي وهو رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة كان بشِبام أَقيان-: محمّدُ بنُ حُمَيدٍ، وصالحُ بنُ الحَسَنِ البصير أَحَدُ شُيُوخِ الزّيديّة، ويحيى بنُ موسى بنِ رَزينٍ، وجَوّالُ بنُ مُصْعَبِ بنِ سلامةَ الجَنْبيُّ، وأبو القاسم بُن أحمدَ الرَّبَعيُّ، وشُرَيحُ بنُ أَسْعَدَ الشِّهابيُّ، وعَطّافُ بنُ سَبَأٍ البَكِيليُّ، والسّلطانُ إبراهيمُ بنُ أبي الغَوازيِّ بنُ مالكٍ المُنْتابيُّ، وسليمانُ بنُ عليٍّ، وهو رَفِيْقُهُ في سَفَرِهِ الّذي مات فيه، وغير هؤلاء.

ولعَظِيمِ فَقْدِهِ عند إخوانِهِ دُوِّنَتْ مَراثِيْهِ إلى اليوم بينهم، وفيها ممّا يَنْطِقُ بأَوْصافِهِ الحَسَنَة الصّادقة، ويَدُلُّ على شِدّة رُزْئهم بِهِ؛ نحو قَولِ أبي السُّعُودِ بنِ زيدٍ يَرْثِيهِ: (منَ الطّويل)

عَلَى قَدْرِ عُظْمِ المَيْتِ يُسْتَعْظَمُ الخَطْبُ ... ويَعْظُمُ بَعْدَ الهالِكِ الفَقْدُ والكَرْبُ

فَأَدْنَى الأَسَى أَلّا تَجِفَّ جُفُونُنا ... مِنَ الدَّمْعِ إِذْ ذاقَ الرَّدَى الحَسَنُ النَّدْبُ(١)

ومنها: (منَ الطّويل)

وثُلَّتْ عُرُوشُ المُسْلِمِيْنَ بِهُلْكِهِ ... وفُلَّ حُسامُ الشِّيْعَةِ الصّارِمُ العَضْبُ

وهُدَّ مِنَ الإِسْلامِ، إِذْ صارَ في الثَّرَى ... رَمِيًا رُفاتاً، طَوْدُهُ الشّامِخُ الصَّعْبُ[٥٣](٢)

ومنها: (منَ الطّويل)

وما كانَ مِنَ أَخْلاقِهِ البُخْلُ والبَذَى ... ولا الطَّعْنُ في الأَخْيارِ كَلّا ولا السَّبُّ(٣)

ولكنَّهُ كان امْرَأً مِنْ طِباعِهِ ... وعادَتِهِ الإِحْسانُ والخُلُقُ العَذْبُ

---

(١) **النَّدْب**: الخَفِيف إلى الحاجة الظّريف النَّجِيب.

(٢) سيُعاد الترقيم في المخطوط بعد هذه الصّفحة من (٥٢)، وسنجاوزه ونستمرّ في الترقيم على الصّواب.

(٣) **البَذا**: يريدُ: البَذاءَ، وسهَّلَ للضّرورة الشّعريّة؛ وهو من قولهم: بَذُوَ بَذاءً وبَذاءَة.

وبِرُّ وَلِيِّ اللهِ، والحِلْمُ والحِجَى ... وما يَرْتَضِيْهِ عَنْهُ مِنْ فِعْلِهِ الرَّبُّ
وكانَ، إذا اشْتَدَّتْ مِنَ الدَّهْرِ أَزْمَةٌ ... وأَكْدَى بُغاةُ العُرْفِ، مَنْزِلَهُ رَحْبُ[١]
فَأَوْدَى ولم يُوْدِ الّذي بي مِنَ الأَسَى ... فَنارُ الأَسَى في الصَّدْرِ كالنَّجْمِ لا تَخْبُو[٢]

ومنها: (مِنَ الطّويل)

فَتًى تَرَكَ الدُّنْيا وآثَرَ دِيْنَهُ ... وصَحَّ لأَهْلِ البَيْتِ مِنْ قَلْبِهِ الحُبُّ
ودارَسَ أَهْلَ العِلْمِ وَقْتَ حَياتِهِ ... ولم يَكُ مِنْ أَخْلاقِهِ الزَّهْوُ والعُجْبُ
وكانَ طَوالَ الدَّهْرِ بِالكُتْبِ مُوْلَعاً ... فَقَدْ فَقَدَتْهُ بَعْدَ أُنْسٍ بِهِ الكُتْبُ
فَيا شِيْعَةَ الهادي عَزاءً وحِسْبَةً ... فَسَيْفُ المَنايا لا يَكِلُّ ولا يَنْبُو

وقول محمّدِ بنِ حُمَيدٍ يَرْثِيْهِ، فمِنْ قصيدةٍ أوّلُها: (مِنَ الكامل)

الآنَ جُدْتُ بِدَمْعِيَ المَسْفُوحِ ... وثَوَى الجَوَى في قَلْبِيَ المَجْرُوحِ
لِوَفاةِ أَرْوَعَ مِنْ ذُؤابَةِ مَذْحِجٍ ... حُلْوِ المَذاقَةِ في الوُدادِ نَصِيْحِ
سَمْحِ اليَدَيْنِ بِمالِهِ وبِنَفْسِهِ ... وبِدِيْنِهِ جَعْدِ البَنانِ شَحِيْحِ
نَزِهِ الجَوارِحِ أَنْ يُقارِبَ رِيْبَةً ... في الجِدِّ والتَّلْوِيْحِ والتَّصْرِيْحِ

وقول صالح البصيرِ مِنْ قصيدةٍ فيه: (مِنَ الطّويل)

رَمَتْ حَسَناً أُسْتاذَ الرِّجالِ مَذاهِباً ... وأَحْسَنَهُمْ صَبْراً عَلَى كُلِّ مُقْلِقِ
وأَبْذَلَهُمْ لِلْعُرْفِ مِمّا تَحُوْزُهُ ... يَداهُ وأَوْفاهُمْ بِعَهْدٍ مُوَثَّقِ
وأَصْدَقَهُمْ وَعْداً وأَرْفَعَ مُحْتِداً ... وأَزْكاهُمُ ما بَيْنَ غَرْبٍ ومَشْرِقِ
مَضَى طاهِرَ الأَثْوابِ مِنْ كُلِّ رِيْبَةٍ ... عَلَى مَذْهَبِ الهادي الأَمِيْنِ المُصَدَّقِ

---

(١) **أَكْدَى**: أَمْسَكَ عنِ العَطاء، وبَخِل وقلَّ خيرُهُ وعَطاؤُهُ.
(٢) **أَوْدَى**: هَلَكَ.

وقوله أيضاً مِنْ قصيدةٍ فيه: (منَ الطّويل)

وكُنْتَ لَنا أُنْساً ومِصْباحَ ظُلْمَةٍ إذا اسْتُبْهِمَتْ جَلَّيْتَها ولَكَ الشُّكْرُ
مَضَى الحَسَنُ المَفْقُودُ بَرًّا مُطَهَّراً مِنَ الرِّجْسِ لا فُحْشٌ عَراهُ ولا نُكْرُ
عَفِيْفاً شَرِيْفاً ماجداً مُتَكَرِّماً سَبُوقاً إلى الخَيْراتِ يَسْمُو بِهِ القَدْرُ
حَلِيْماً إذا ما الصِّيْدُ حُلَّتْ لَها الحِبَى رَأَيْتَ أَبا المِفْضالِ فِيْها لَهُ الفَخْرُ
سَكُوتاً عَنِ العَوْراءِ لا يَنْطِقُ الخَنا إذا طاشَتِ الأَحْلامُ وارْتَفَعَ الهَذْرُ[٥٤]
فَيا حَسَناً أَوْحَشْتَ مِحْرابَ ذِكْرِنا ومِدْراسَ بَيْتِ العِلْمِ عَنْ عَهْدِهِ صِفْرُ
ويا حَسَناً كَيْفَ المَزارُ وبَيْنَنا وبَيْنَكَ قَفْرٌ بَرْزَخٌ بُعْدُهُ شَهْرُ
ويا حَسَناً دَقَّ الظُّهُورَ مُلِمَّةٌ وهَتْكٌ فَلا قَلْبٌ سَلِيْمٌ ولا ظَهْرُ

وقول أبي القاسمِ بنِ أحمدَ الرَّبَعيِّ مِنْ قصيدةٍ: (منَ الطّويل)

عَفا اللهُ عَنْكَ اليَوْمَ يا با مُحَمَّدٍ وكافاكَ خَيْراً يا حَلِيْفَ المَحامِدِ
ويا مَفْزَعَ الإِخْوانِ في كُلِّ ناجِمٍ ويا كَهْفَ ضَيْفٍ في دُجَى اللَّيْلِ وافِدِ
ويا مُصْلِحاً للهِ في كُلِّ وِجْهَةٍ بِتَعْلِيْمِ إِخْوانٍ ونَشْرِ فَوائِدِ
ويا مُفْحِمَ الخَصْمِ الأَلَدِّ إذا أَتَى بِقَوْلٍ لِقَوْلِ الطَّاهِرِيْنَ مُعانِدِ
بِإِيْضاحِ حَقٍّ واحْتِجاجٍ مُبَيِّنٍ لِمُعْتَقَدٍ واهِي القَواعِدِ فاسِدِ[١]
لَكَ الخَيْرُ ما أَنْكا قُلُوباً تَرَكْتَها بِأَرْضِ شِهابٍ يا كَرِيْمَ المَوالِدِ
ولَم يُخْطِ شُوْساً في آزالَ الّذي جَرى وصِيْداً سَراةً مِنْ بَكِيْلٍ وحاشِدِ
وعَنْساً ومَنْ بِالمَشْرِقَيْنِ كِلَيْهِما ومَسْوَرَ والإِخْوانَ مِنْ آلِ صائِدِ

---

(١) يحتمل أن يُقرأ آخر الشّطر الأوّل: «... واحتجاج مقابل»، وكذا «... واحتجاج متين» وهو مختلّ الوزن.

وقول شُرَيحِ بنِ أَسْعَدَ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ قصيدةٍ: (منَ الطّويل)

رَمَتْنا صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جانِبِ ... ونابَذْنَنا فِعْلَ العَدُوِّ المُحارِبِ

رَمَيْنَ فَما أَشْوَينَ مِنّا مَقاتِلاً ... بِنَبْلٍ حِدادٍ ماضِياتٍ صَوائِبِ[(١)]

فَمِنّا دَفِيْنٌ تَحْتَ رَدْمِ ضَرِيحِهِ ... تَمُرُّ لأَذْيالِ الصَّبا والجَنائِبِ

ومِنّا جَرِيْحٌ ذو أَنِيْنٍ مُطَرَّحٍ ... لِما فَعَلَتْ فِيْهِ أَكُفُّ النَّوائِبِ

وآخَرُ مَفْجُوعُ الفُؤادِ مُرَوَّعٍ عَلَى ... تَلَفٍ رَهْنٌ لإِحْدَى المَعاطِبِ

فحَتّامَ لا يَبْقَى لِحَيٍّ بَشاشَةٌ ... وحَتّامَ لا تُصْحي سَماءُ المَصائِبِ

وحَتّامَ مَنْ رامَ البَقا لَيْسَ خالِداً ... وحَتّامَ مَنْ يَمْضي فَلَيْسَ بِآيِبِ

أَفي كُلِّ يَوْمٍ فَجْعَةٌ ورَزِيَّةٌ ... بِأَنْفُسِ إِخْلاصٍ لَدَيْنا حَبايِبِ

ومنها: (منَ الطّويل)

هُوَ الحَسَنُ المَوْصُوفُ بِالحَسَنِ التَّقِي ... وبِالطِّيْبِ في أَعْراقِهِ والمَناسِبِ

فَتًى ماتَ مَحْمُودَ السَّجايا مُهَذَّباً ... طَوِيلَ المَدَى مُسْتَجْمِعاً لِلمَناقِبِ

وقول أبي السُّعُودِ بنِ زيدٍ فيه أيضاً[٥٥]: (منَ الطّويل)

فَما كانَ سَبّاباً ولا ذا نَمِيْمَةٍ ... ولا ذا اغْترارٍ بِالظُّنُونِ الكَواذِبِ

ولا بِغَبِيٍّ جاهِلٍ مُتَفَيْهِقٍ ... ولا جائِرٍ عَنْ مَهْيَعِ الرُّشْدِ ناكِبِ

ولكِنَّهُ كانَ امْرأً ذا تَكَرُّمٍ ... وفِكْرٍ ذَكِيٍّ ثاقِبٍ في العَواقِبِ

بآبائِنا نَدْبٌ أَرِيبٌ مُوَحِّدٌ ... لَبِيبٌ صَلِيبُ الدِّيْنِ جَزْلُ المَواهِبِ[(٢)]

---

(١) **أشوين**: من الشَّوَى، يقال: أَشْواهُ الرّامي: أَصابَ شَواهُ، أي الأَطْراف، لا مَقْتَلَهُ؛ التّاج: (ش و ي).

(٢) قوله: «بآبائنا» في النّفس من رسمه شكٌّ ولاسيّما أنّه غير معجم. **والنَّدْب** من الرّجال: الخفيف في قضاء ما نُدِب له.

وقول عَطّافِ بنِ سَبَأٍ البَكِيلِيِّ مِنْ قصيدةٍ: (منَ الطّويل)

فَيا حَسَنَ الأَفْعالِ يا حَسَنَ الثَّنا ... ويا حَسَنَ الضَّرّا ويا حَسَنَ السَّرّا

لَقَدْ عَظُمَتْ فِيْكَ الرَّزايا فَأَحْرَقَتْ ... بنارِ الأَسَى قَلْبي وشَبَّبَتِ الجَمْرا

غَداةَ سَكَنْتَ القَبْرَ في أَرْضِ غُرْبَةٍ ... فَسُقْياً لَها أَرْضاً وسُقْياً لَهُ قَبْرا

رَضِيْتُ بِهِ حَتَّى القيامة مَسْكَناً ... ورُوْحُكُ تَلَقّاها المَلائِكُ بِالبُشْرَى

فَأَخْلَيْتَ بَيْتاً كانَ قُرْبَ أَحِبَّةٍ ... فَأَقْوى وأَضْحَى عاطِلاً مُوْحِشاً صِفْرا

وكُنْتَ بِهِ تُؤْوي الضُّيُوفَ إذا أَتَوا ... وتُفْرِشُهُمْ عُرْفاً وتُلْحِفُهُمْ بِرّا

وتَقْرِيْهِمُ قَبْلَ القِرَى أَعْذَبَ اللِّقا ... وذاكَ لَعَمْرُ اللهِ أَعْذَبُ ما يُقْرَى

وتُتْبِعُهُ بِالأَكْلِ والشُّرْبِ والحِبا ... تَدِيْنُ طَوالَ الدَّهْرِ مُذْ كُنْتُ بِالأَثْرَى

بِما مَلَكَتْ كَفّاكَ لَوْ كانَ دِرْهَماً ... لَجادَتْ بِهِ اليُمْنَى ولم تَبْخَلِ اليُسْرَى

وقول سليمانَ بنِ عليٍّ، صاحبِهِ الّذي دَفَنَهُ، مِنْ قصيدةٍ: (منَ الطّويل)

فيا راكِباً بَلِّغْ سَناعاً نُكاءَهُ ... ونادِ بِصَوْتٍ في اليَمانِيْنَ هاتِفِ

وقُلْ لَهُمْ: ماتَ الكَرِيْمُ ابْنُ زايِدٍ ... عَظِيْمُ المَقاري ذو الخِصالِ الشَّرائِفِ

وعَزِّ لأَهْلِ الدِّيْنِ في كُلِّ بَلْدَةٍ ... بِأَرْوَعَ زَيْدِيِّ المَقالَةِ عارِفِ

والشِّعْر مِنَ الزّيديّة فيه كثيرٌ، قد ذَكَرْنا ذلك. وفي ذلك شَهادةٌ بتَعْظِيم محلِّهِ كان فيهم، وكبير رُزْئِهِ عندهم، وله فضائلُ لم أَحْفَظ كثيراً مِنْ عجائبها.

الصَّبَرِيُّ

هو إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ أبي حِمْيَرٍ الأَصَمّ.

وهو مِنْ مَشاهيرِ شُيُوخ الزّيديّة، وأصلُهُ -فيما أَخْبَرَني به الجُمْهور مِنَ النّاس- مِنْ أَهْلِ جَبَل صَبِرٍ مِنْ جِبالِ المَعافِر، وإليه يُنْسَب. والنِّسْبة إليه عند النّاس بفَتْح الباء بخِلافِ موضوعِ الاسم، كما يقولون في النِّسْبة[٥٦] إلى البِصْرة: بَصْريّ، وإلى مِصْر: مَصْريّ.

وكانَ قَدِمَ أَعْمالَ صَنْعاء وهو على رَأْيِ العامّة المُجبِرَة، وقد ذَكَرنا خَبَر تَوبَتِهِ عَنْ ذلك في أَخْبار نَهْدٍ رحمه الله، وخَبَرَ تَزْوِيجِ نَهْدٍ له ابنتَهِ، ومَشورتَهِ عليه، ومَعُونَتَهُ، وفي ذلك مِنَ الدّلائل على فَضائل أَخْلاقهم، وحُسْنِ أُخُوَّتهم في الله وقَصْدِهم له ما يكفي، وإِنْ كانت أَخْبارُهم قد فاتَني أَكْثَرُها لنِسْياني وضَعْف هِمَمِ آخَرين غيري عَنْ تَدْوين ذلك قبلي، كي لا يَفُوت ويَمُوت.

وهو مِنْ آخَرِ أَهْلِ هذه الطّبقة، لأنّ أَوَّلهم هُمُ الّذين أَخَذَ عنهم، لكنّه مِنْ أوّلهم سَبْقاً في الفَضْل وإليه.

ولقد أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله، وكان مِنْ أصْحابِ الصَّبَرِيِّ الّذين تَعَلَّمُوا منه، وأَخُذوا عنه؛ قال: قرأتُ كتاب (**أَخْلاق النّبيّ**، صلّى الله عليه) فما رأيتُ أَحداً تَخَلَّقَ بها إلّا إبراهيمَ بنَ أحمدَ الصَّبَرِيَّ رحمه الله.

وقد أَدْرَكْتُ أنا النّاسَ يَضْرِبون به المَثَلَ في دِيانَتِهِ وعِلْمِهِ ووَرَعِهِ وزُهْدِهِ؛ ولذلك قال أبو السُّعُودُ بنُ زيدٍ في أُرْجُوزتِهِ: (من مشطور الرَّجَز)

أَمِ التَّقيَّ الصَّبَرِيَّ المُشْتَهَرْ

فقال: «**المُشْتَهَر**» لظُهُور فَضْله للخاصّ والعامّ.

وأَحْسِبُ عُلَيّانَ بنَ سَعْدٍ ﷺ أَخَذَ عنه أَخْلاقَهُ الكريمةَ في اسْتِدْعاء العامّة مِنَ النّاسِ وتـألُفِهم للطّاعـة واسْتِدْنائهم إلى التّوبـة، وشِـدَّةِ الرِّفْـق بهـم والحِيْلَـة لهـم عـلى أَنْفُسِهم في صَلاحهم، وإنْ كـان أَصْلُ ذلـك مِـنْ سُـنّة الرّسـولِ، صلّى الله عليه، والـصّالحين مِـنْ أَهْلِ بيتِهِ، عليهم السّلام، وتَعْلِيْم الطَّبَرِيّ أبي الحسين ﷺ.

فأمّا سَماحةُ إبراهيمَ الصَّبَرِيِّ وجُودُهُ في وَجْهِ الله وإِيْثارُهُ لأَوْليائه على نفسِهِ وولدِهِ، فتلـك صِـفَةٌ ليستْ بخاصّـةٍ لـه دون إِخْوانِـهِ مِـنَ الزّيديّـة إلّا أنّ فَـضْلَهُ في ذلـك يكـون مِـنْ وَجْهين، **أَحَدُهما** فَقْرُهُ، **والثّاني** كَثْرَةُ مَنْ كان يَعُولُ عِيالةً دائمةً، ويُنْفِق نَفَقةً لازمةً، مع ما كانت سُنَّتُهُ في مُسامَحَةِ أَهْلِهِ على أن يَبْذِلُوا كبَذْلِهِ أَوْفى مِنْ ذلك وأَكْثَر.

أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ ﷺ قال: سألتُ إبراهيمَ بنَ أحمدَ الصَّبَرِيَّ ذات يومٍ: كم يَعُولُ؟ فقال لي: ثمانيةَ عشرَ نَفْساً. فقلتُ: وَيْحَك، ومَنْ هُمْ فلا أَعْهَدُ غيرَك وامْرأتَك؟ قال: إنّي خطبتُ إلى نَهْدٍ ﷺ ابنتَهُ عند تَوبتي، قبل أَنْ تَتَقَدَّمَ منه معرفةٌ بي ولا خِبْرَةٌ لي، فأَجابَني إلى مـا سـألتُ حُـسْنَ ظَـنٍّ بي، وثِقَـةً بظاهِري واتّكـالاً عـلى كَـرَمٍ إنْ كـان عنـدي؛ فـما كنـتُ لأَخْلِفَ ظَنَّهُ فيَّ وأُضَيِّع ابنتَهُ.

قال: وكان يُنْفِقُ[٥٧] عليها، وقد أَعْرَضَتْ عنه وعَصَتْ أَمْرَهُ، وتَرَكها وتَزَوَّجَ امْرأةً غيرَها.

قال: قال: وهـذا عليُّ بنُ أحمد بن أبي رَزِين خَطَبْتُ ابنتَهُ لابني محمّدٍ، فقال: يا أبا إِسْحاق، هي ابنتُكَ ومحمّدٌ ولدُكَ، وإنّما أُزَوِّجُكَ أنت، وأَقْضي حاجتَكَ أنت. فراعَيْتُ ابنَ أبي رَزينٍ ورَعَيْتُ ما اسْتَرْعاني مِنْ أَمْرِ ابنتِهِ إِذْ جعلها أَمانَةً عندي ووَثِقَ في أَمْرِها بي دون ابني؛ فأنا أُنْفِقُ عليها وعلى ابني.

وهذا أخي أبو حِمْيَرٍ رَجُلٌ مؤمنٌ مِسْكينٌ لا حِيْلَةَ له، فما كنتُ لآكُلَ أنا وعِيالي، وهو

وأهلُهُ جِيَاع. وكذلك أَجِيْري وامْرَأَتُهُ، وامْرأتي وابْناها. وكان له رَبِيْبانِ يَعُولهما في عِيالِهِ، فعَدَّ حتّى عَدَّ ثمانيةَ عشرَ نَفْساً كُلّهم يلتزمُ بفريضتِهِ ولا يَسْتَحِلُّ اطّراحَهُ وإضاعَةَ حَقِّه.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيم رحمه الله قال: مرّت بالنّاس سنةٌ شديدةٌ، فأَتَى الصَّبَريّ رحمه الله إلى أهلِهِ بطعامٍ، فجعل يُعْطي منه، وامرأتُهُ تُعْطي حتّى أَتَيَا على آخِرِهُ، فلمّا دَخَل إليها جعلتْ تَعْتَذِرُ إليه. فقال: لا بَأْسَ عليك إنّه يأخُذُكِ مِنَ الحَيَاء ما يأخذني. فكانتْ هذه مِنْ أَخْلاق إبراهيمَ الصَّبَرِيِّ، مع ما ذكرنا مِنْ فَقْرِهِ ومع غاشيةٍ كانت تَغْشاهُ مِنْ ضَيْفٍ وسائل، ونحو ذلك.

ولقد بَلَغَني أنّ مَنْ كان يعرفُهُ بذلك كان يَحْزَنُ عليه ويَرْحَمُهُ مِنْ شِدّة الواطئ والوافِد وكَثْرَتِهِ، على أنّه رحمه الله كان عَفِيفَ المَكْسَب، كريمَ المَطْلَب، وَرِعَ المَذْهب مُتَحَرِّجاً عَنِ التَّعَرُّض لكثيرٍ مِنَ الأُمُور، زاهداً في كثيرٍ ممّا يَحِلُّ له خشيةَ ما يَضَعُ مِنْ مُرُوءتِهِ، ويَثْلم مِنْ دينه.

أَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ رحمه الله قال: كان الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أحمد الصَّبَرِيُّ يَنْزِلُ الصَّمَعَ مِنَ الرَّحبَة، ثمّ انتقل بغُنَيْماتٍ كانت له، في زمان قَحْطٍ بها، إلى حَبابَة مِنْ أَعْمال شِبام أَقْيان، فنَزَلَ على رَجُلٍ بها، كان[1] مِنَ الصّالحين، فكان ربّما يأتي شِبام في الحين بعد الحين. وكان مشهوراً عند الخاصّة والعامّة بأنّه عَيْنُ الزّيديّة ومُقَدَّمُها، ومَنْ يَعْتَرِفُ له عُبّادُها وعُلَماؤها بالفَضْل، قال: فأتى شِبام مرّةً وأنا بها، فبَلَغَ ذلك سليمانَ بنَ عامر بن سليمان بن عبد الله الزَّواحيَّ، وهو سُلْطان تلك المَخالِيْف، فبَعَثَ إليه أحمدَ بنَ إبراهيم بن مطرٍ الصَّنْعانيّ، فأَبْلَغَهُ منه السّلام، وأَخْبَرَهُ أنّه قد أمر له بعشرين كَيْلَجَةً مِنْ شَعيرٍ، وخَيَّرَهُ بين أن يَقْبِضَها مِنْ شِبام أو من حَبابَة مِنْ يَدِ عاملِهِ بها، وأَظْهَر بِرَّه. قال: فشكرَ لَهُ الصَّبَرِيُّ، ثمّ قال: لا أقبل إلّا على شرطٍ. قال: وما ذلك؟ قال: تسألُهُ عمّا أَمَرَ لي به أعلى قَدْرِهِ ذلك أم على قَدْري؟ فعَظُمَ ذلك الأَمْرُ على ابنِ مطرٍ، وقال: يا أبا إسحاق، لا

---

(١) كرّر في المخطوط: «كان».

يُسْتَقْبَلُ السّلطان بِمِثْلِ هذا لأنّه دون[٥٨] قَدْرِك وقَدْرِهِ. قال: فلستُ أقبلُهُ. ثمّ عادَ إليه مرّةً أخرى فأعادَ له القولَ الأوّلَ، فيَئِسَ منه ولم يَعُدْ إليه.

قال: فلقيتُهُ في السُّوق، وقلتُ له: يا أبا إسحاق، أَلَا أخذتَ ما أمرَ لك به هذا الرَّجُلُ، فهو لك حَلالٌ وأنت له مُسْتَحِقٌّ. فقال: يا بُنَيَّ، واللهِ، إنّي لَمُحْتاجٌ منه إلى مِكيالٍ واحد ولا غِنى بي عنه، ولكنّي لَـمّا كنت ممّن يُطْعَنُ بِهِ على الزّيديّة خشيتُ قولَهم: فَعَلْنا للصَّبَريِّ وفعلنا. وتقول العامّة: هذا رأسُ الزّيديّة ومُعَلِّمُها للوَرَع والزُّهْد، فكيف قَبِلَ صِلاتِ الظَّلَمَة؟

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيم ﵀ قال: لـمّا كَبِرَ الشّيخُ الصَّبَرِيُّ ﵀ وضَعُف، وكان يومئذٍ بالصَّمَعِ مِنَ الرَّحبَة، أَتاهُ أهلُ الصَّمَعِ حين رأوا ضَعْفَهُ وكَثْرَةَ زُوّارِهِ ومَنْ يَغْشاهُ ويَتَكَلَّفُ قِراهُ ونُفاعَتَهُ مع فَقْرِه، فقالوا: يا أبا إسحاق، قد كَبِرْتَ وهذه المَؤُونة عليك، فخَفِّفْها. قال: فأَقْبَلَ عليهم وقال: إنّ هذا الّذي نعملُهُ هو دِيْنٌ، وليس يَنْبَغي أَنْ نكون كُلَّما تقرّبنا إلى الآخرة ودَنَونا منها وتباعَدْنا عَنِ الدُّنْيا وتَرَكْناها خَلْفَنا، تَرَكْنا الّذي[١] نحن اليومَ أَحْوَجُ إليه ممّا قَبْل.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيم ﵀ عَنِ الشّيخ مِقْدام بن العشبيّ[٢] أَحَدِ شُيُوخ الزّيديّة وعُبّادها والأفاضل منها بالبَوْن وأَعْمالِهِ، قال: قال الشّيخُ إبراهيمُ الصَّبَرِيُّ ﵀: ما صَلَّيتُ صلاةً وَجَبَ عليَّ فيها سُجُودُ السَّهْوِ إلّا مرّتين؛ مرّةً خرجتْ دابَّةٌ كانت عندي عارِيَةً لبعضِ النّاس فخِفْتُ عليها ففَكَّرْتُ، فسَجَدْتُ سَجْدَتَي السَّهْو. ونَسيَ عُلَيّانُ المَرَّةَ الأخرى ما كانت.

---

(١) في المخطوط: «الذين»، وتحتمل إن لم يُكترث بالإعجام: «الدين».

(٢) قوله: «العشبي» بعين مهملة فشين معجمة ثمّ باء، كذا رسمُهُ بالمخطوط، على أنّه سيأتي مضبوطاً: «العُبْشي» بعين فباء ثمّ شين، ولم أقف على ما يقطع بأيّهما الصّواب، فضلًا عن كونه يأتي تارة «مقدام بن العشبي» وأخريين: «مقدام العشبي/العبشي».

وهذه فضيلةٌ نادرةٌ لهذا الشّيخ رحمه الله، مع فَقْرِهِ وكَثْرَةِ مَنْ يَعُولُ ويَغْشاهُ مِنَ الوُفُود والزُّوار، دالّةٌ على قوّة يَقِيْنِهِ بالله تعالى وإِخْلاصِهِ وإِيْثارِهِ لأَمْرِهِ.

وليَعْلَمْ مَنْ وَقَفَ على كتابي هذا: أنّه لم يَبْقَ إلى اليوم باليَمَن ذِكْرٌ لأَحَدٍ مِنَ الزّيديّة مَرْوُيًّا بعد مُرُورِ السِّنِين الكثيرة، وقِلَّةِ اهتمامِ النّاسِ باليَمَن في إِحْياءِ أَخْبارِ أَهْلِهِ وعُلُومِهم وعَجائبهم إلّا لشُهْرَةِ ذلك المَرْويِّ خَبَرُهُ في تلك القُرُون إلى أبعدِ غايةٍ بنَحْو ما رُوي عَنْهُ مِنَ الصّفات. وأنّ الفاضل منهم ما بَقِيَ له ذِكْرٌ، مع عَداوَةِ السَّوادِ الأَعْظمِ للتَّشَيُّع وأَهْلِهِ ثمّ مع عَداوَةِ أَكْثَرِ الشِّيْعة للزّيديّة ثمّ مع عَداوَةِ بعضِ الزّيديّة اليومَ لبعضٍ، إلّا وقد اضْطَرَّ فَضْلُ هذا المذكورِ النّاسَ إلى ذِكْرِهِ غايةَ الاضْطِرار وأَلْجأَهُم أَشَدَّ الإِلْجاء[٥٩].

ولا يَظُنُّ أحدٌ أنّ ذلك الزّمنَ إنّما أُحْيِي فيه خَبَرُ أَحَدٍ ممّن ذكرنا خَبَرَهُ لغَلَبَةِ الحِرْصِ على طَلَبِ العِلْم، وحِفْظ أَخْبار العلماء ومحاسنهم المُقَوِّية لِهِمَمِ الأَخْيار، بل قد كان فيهم مثلُ ما في زماننا هذا مِنْ كَساد ذلك، وقِلَّةِ الرَّغْبة فيه لأَنَّ العِلْمَ حِكْمةٌ، والحِكْمةُ ضِدَّ الهَوَى، والغالِبُ على العامّة اتِّباعُ الأَهواء.

أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله قال: خَرَجْنا مع الشّيخِ إبراهيمَ الصَّبَريِّ رحمه الله مِنْ رَيْدَةَ إلى بيت شَهير ذاتَ يومٍ، فقال لي: **يا بُنَيَّ، ما يُراد مِنْ زمانٍ الكُرّاثُ فيه أَنْفَقُ مِنَ العِلْمِ؛ يَدْخُلُ بَيّاعُ الكُرّاثِ القريةَ فما يخرجُ مِنْ كُرّاثِهِ بورقةٍ، ولو دَخَلَها عالمٌ ما انْتَفَعُ منه أَحَدٌ بكلمة.**

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله قال: دَخَلَ إبراهيمُ بنُ أحمد الصَّبَريُّ رحمه الله على ذَعْفانَ بنِ يحيى اللَّعَويّ أيّامَ سُلْطانِهِ بالبَوْن، فوَعَظَهُ، فقال ذَعْفان: يا أبا إسحاق، إنّا قد دَخَلْنا في أَمْرٍ لا نريد الخُرُوج منه. فقال إبراهيم: فأمّا إذا أَبَيْتَ قَبُولَ نَصِيحتي، فاعْلَم أَنِّي حُجَّةُ لله عليك، ولا بُدَّ مِنْ أَنْ أَنْصَحَكَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وهو أَنْ تعلم أنّ الله عَزّ وجَلَّ قد خَلَّى بينك وبين أعدائِهِ، فاحْذَرْ أَنْ تَتَعَرَّضَ لأوليائه فتُحَرِّدِ الحَبْلَ بينك وبينه فتقطعه.

ومعنى «تَحَرُّد الحبل» أي: تُتابعَ فَتْلَهُ وتَسْتَقْصي فيه حتّى يَخْتَرق فيَنْقَطِع. وهذا مستعملٌ باليمن واشتقاقُهُ غير بعيد.

وأَخْبَرَني أسعدُ بنُ عبد الفاضل العُبَيْديُّ اليامِيُّ، والفقيهُ سليمانُ بن يحيى بن عبد الله اليَحِيْرِيُّ، وأَحْسِبُ أنّ غيرَهما مِنَ الزّيديّة قد أَخْبَرَ أيضاً أنّ إبراهيمَ بنَ أحمد الصَّبَرِيَّ رَحِمَهُ اللهُ كان يَنْهَى إِخوانَهُ عَنِ القُرْفُصاء في الجُلُوس، ويَكْرُهُ ذلك. قال الفقيهُ: وكان يَقولُ: هو يَحِلُّ القويّ[١].

وأَخْبَرَني الآخَرون أنّه كان يجلس في كُلِّ مكانٍ إذا كان جافًّا لا تَظْهَرُ فيه نَجاسةٌ رَطْبَة، وفي الطُّرُق أينما احْتاج إلى الجُلُوس، ولم يكن يَرَى بذلك بَأْساً، ويَتَعَجَّبُ منه مَنِ اعْتادَ غيرَ ذلك.

قال الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى فأَخْبَرَني أبي رَحِمَهُ اللهُ، وكان يَصْحَبُهُ في أَسْفارِهِ ويُجالِسُهُ في حَضَرِهِ، ولا يَكادُ يُفارِقُهُ. قال: كنتُ معه رَحِمَهُ اللهُ مرَّةً في بَلَدِ الأَبْناء مِنْ أَعْمال صَنْعاء وما يَلِيْها، فأَمْسَيْنا في بعضِ المَحالِّ عند رَجُلٍ مِنَ المسلمين، فآوانا وأَكْرَمَنا وطَلَبْنا أنْ نُصَلِّي، وكانتِ الظُّلْمَة فوَهَبَ لي ذلك الرّجلُ طَهُوراً، ووَهَبَ للشّيخ رَحِمَهُ اللهُ طَهُوراً فعَمَدَ[٦٠] الشّيخُ إلى موضع في صَحْنِ الدّار فأَلْقَى فيه إناءً[٢] قد أَتاهُ به الرّجلُ، فتَوَضّأ عليه من قُعُودٍ على عادةِ أهل رَأْيه الأوّل مِنْ أهلِ التَّسَنُّن، ثمّ ذَهَبَ إلى الموضع الّذي قدّمنا إليه الرَّجُل، فعَمَدَ إلى دَكَّةٍ فيه، فقال: هل يَطَأُ هذه الدَّكَّةَ صَبيٌّ ببَولٍ[٣] أو نَجاسة أو يُنَجِّسها شيءٌ؟ قال الرَّجُلُ: لا. فقَعَدَ على الدَّكَّة، وأَتاهُ الرَّجُلُ بإناءٍ فغَسَلَ رِجْلَيْهِ، وماؤُهما يَنْصَبُّ إلى ذلك الإِناء حتّى لم يُؤْذِ البيتَ بشيءٍ. ثمّ قام على قَدَمَيْهِ وصَلّى، وذَهَبَ عَنِّي هل في الخَبَرِ أنّهُ قام على شيءٍ مِنْ ثِيابِهِ أم لا.

---

(١) في المخطوط: «فألقى فيه بإناء»، والمعنى مضطربٌ غير متّجه.

(٢) يحتمل أن يُقرأ الرّسم: «يبول».

(٣) في المخطوط: «يبول» ولكن سياق الكلام يقتضي ما أثبت أعلاه.

قال: قال أبي: ورأيتُ أنّي إذا خَرَجْتُ حتّى أَتَحَرَّى موضعاً خارجَ المنزل يَصْلُحُ للصّلاة والوُضُوء، كنتُ قد أَصَبْتُ. فلمّا أَصْبَحنا قال لي: يا يحيى، اذْهَبْ فَأَرِني حيثُ صَلَّيْتُ، فسِرْتُ معه، فلمّا انْتَهَيْنا إلى الموضع نَظَرْتُ فإذا أَمامَ موضعِ سُجُودي رَوْثٌ، فارْتَعْت لذلك.

وقد أَخْبَرَني بنَحْوِ هذا الخَبَرِ أسعدُ بنُ عبد الفاضل، رحمةُ الله عليه، وذَكَرَ أنّ ذلك كان بصَنْعاء، وأَحْسِبُهُ قال: كان في ليلة نَدًى وظُلْمَة. ولم يَذْكُر أنّ صاحبَ الصَّبَريِّ هذا كان الفقيهَ يحيى، ولا سَمّاهُ باسْمٍ.

وفي هذا الخَبَرِ مَوْعِظَتانِ، **إحداهما**: زَجْرٌ عَنِ الاسْتِقْصاء فيما خفّف الله فيه الكُلْفَةَ عَنْ عِباده. **والثّاني**: [1]عَنْ خِلافٍ لِمَنْ يُوْثَقُ بعِلْمِهِ ودِيانَتِهِ ممّن هو به مُقْتَدٍ.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى قال: أَخْبَرَني أبي رحمه الله قال: أَقْبَلْنا مِنْ مَسْوَر بني عبد الحميد نُريدُ الرُّجُوع إلى سَناع[2]، وكان فينا محمّدُ بنُ حُمَيْدٍ اليُرْسُميُّ، ونحن نَحُفُّ بِهِ ونَخْدِمُهُ على وَجْهِ التَّوَدُّدِ إليه والمُراعاةِ لِما نَرَى له مِنْ حَقٍّ في الأَدَب ونَحْوِه، فكنتُ أَحْمِلُ خُفَّيْنِ كانا لَهُ يَحْفَظُ بِهِما قَدَمَيْهِ مِنْ البَرْد. أَحْسِبُهُ قال: وكان راكباً وأنا أَسِيرُ، فأَتَيْنا قَراتِيْل[3] مِنْ مِخْلاف ماذِن، وقد عَمِلْنا على المَبِيْتِ بها، و كانت في رِجْلي شِقاقٌ مُؤْذِيَةٌ فسألْتُهُ أَنْ يَأْذَنَ لي في لِباسِ الخُفَّين بعد الوُضُوء للصّلاة لدَفْعِ أَذَى تلك الشِّقاق. فقال: أَخافُ تُعْدِيني الشِّقاق الّتي بك. فاغْتَظْتُ لِما كان مِنْهُ، وأَنْكَرْتُ كلامَهُ في ذلك، فَرَمَيْتُ إليه بالخُفَّينِ وانْصَرَفْتُ عنه. ثمّ عَزَمْتُ على التّمام في طريقي إلى سَناع، فأَتَيْتُها بعد العِشاء فضَرَبْتُ على الشّيخِ إبراهيمَ الصَّبَريِّ البابَ، وكنتُ آوي إليه، فأَدْخَلَني وقَدَّمَ إليّ ما وَجَدَ

(١) كُتب فوقه بالمخطوط بخطٍّ مغاير: «ط الزّجر».

(٢) كرّر في المخطوط لفظة: «سناع» مرّة بالمتن وأخرى بالهامش.

(٣) كُتب في الهامش بخطٍّ مغاير: «قرية معروفة».

مِنْ طَعامٍ فسَدَدْتُ منه فَوْرَةَ[٦١] جُوعي بما حَضَرَ. وكانت لي بالمسجد ثِيابُ صَلاةٍ، فقُمْتُ لأَخْرُجَ إليه. فقال لي: أين تذهبُ؟ قلتُ: إلى المسجد. قال: لِمَ؟ قلتُ: فيه ثيابُ صلاتي، وأنا لم أُصَلِّ صلاةَ اللّيل بَعْدُ. فقال: فَصَلِّ ههنا. قلتُ: لا غِنَى بي عَنْ تلك الثِّياب. قال: صَلِّ في ثيابي. قلتُ: أخاف أَنْ أُعْدِيك البَهَق. قال: ليس هذا بشيءٍ، هذا ما لا يُلْتَفَتُ إليه. قال: فأَخَذْتُ ثيابَهُ وصَلَّيتُ فيها. وازْداد نَكِيري على ابنِ حُمَيدٍ فيما اعْتَذَر به مِنَ العَدْوى، وكان هو قدِ اغْتاظَ عليَّ. فلمّا قَدِمَ تَكَلَّمَ في جماعةِ المسلمين بما كان في نفسِهِ ومَنَّ عليهم، وقال: نَبَّهْتُ عليكم، ورَفَعْتُ لكم ذِكْراً، وشَرَّفْتُكم، وفعلتُ وفعلتُ، وكأنّه أشار إلى ما كان مِنْ رَمْيي إليه بالخُفَّيْن، وانْصِرافي عنه.

قال سليمانُ: فكان ذلك أوّلَ مجلسٍ انْكَشَفَ فيه بين ابنِ حُمَيْدٍ وبين الزّيديّة الشَّرُّ، ثمّ تزايد الأَمْرُ حتّى فارَقَهم، وكان منه ما قد ذَكَرْنا[١] بعضَهُ في بعض هذا الكتاب نَحْو أَخْبارِ أبي السُّعُودِ بنِ زيدٍ وسِواها.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمد أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة في العَصرِ بوَقَش وذَوي الدِّيانة منهم والفَضْلَ، قال: أَخْبَرَني المسلمُ الصَّيْقَلُ أَحَدُ رِجالِ الزّيديّة وأَفاضِلِ المؤمنين مِنْ أَصْحاب الصَّبَرِيِّ، قال: جاء إلى الصَّبَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ ضَيْفٌ، وكانت له غُنَيْماتٌ، وكان يصحبُهُ رَجُلٌ، يَخْدِمُهُ فيه، خَيِّرٌ، فأَمَرَهُ أَنْ يختارَ منها شاتين، وأَنْ يَذْبَحَهما، فقال: يا سيِّديّ، وما تريدُ مِنْ ذَبْحِ شاتين، وإنّما يَكْفِيْك لِمَا تُريدُ شاةٌ واحدة؟ قال: يا بُنَيَّ، لنا ولضَيْفِنا شاةٌ، ولنا جِيرانٌ لا بُدَّ أن يَشُمُّوا رائحةَ اللَّحْم عندنا، فنَحْتاجُ لهم إلى شاة. فانْصَرَفَ الرَّجُلُ وفَعَلَ ما أَمَرَهُ به، وعَرَفَ أين هو مِنْ تَقْوَى الله ومُراعاة الحُقُوق.

وأَخْبَرَنا زيدُ بنُ أحمد، حَفِظَهُ الله -أَحْسِبُهُ قال: عَنْ محمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ- قال: كانت للصَّبَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ بَقَرَةٌ يُقَسِّمُ لَبَنَها بين جِيْرانِهِ كُلَّ يومٍ، فإذا كان يوم الجُمُعَةِ أَتاهُمُ به أَجْمَعَ قبل

(١) ضُبِط في المخطوط: «ذُكِرنا» كذا؟

أَنْ يُمْخَض؛ يُرِيدُ أَنْ ينتفعوا بزُبْدِهِ إذا مَخَضُوهُ في ذلك اليومِ للدُّهْنِ أو للصِّبْغ أو غيره.

وأَخْبَرَنا زيدُ بنُ أحمدَ، حفظه الله، عَنِ المسلم الصَّيْقَل ﷺ عَنْ إبراهيمَ الصَّبَرِيِّ، قال: كان ﷺ على ما قد سار بِهِ خَبَرُهُ مِنَ السَّماحة لله وفي الله، والبَذْلِ لِما يَرْزُقُهُ الله في جَنْبِ الله، ووَجْهِ مَرْضاتِهِ مِنْ نَفْعِ المسلمين، وقِرَى الضَّيْفِ ومَصالح الدِّيْن. وكان كثيرٌ مِمّن يُحِبُّهُ[٦٢] في الله يرى كَثْرَةَ إِنْفاقِهِ وكَثْرَةَ مَنْ يَغْشاهُ ويَزُورُهُ يَرْحَمُهُ ويَرْثي لَهُ[١] مِنْ ذلك، وكان ﷺ يَلْتَذُّ بذلك ويَسْتَرُّ به ويَرْتاح له. فكان مِنْ أَصْحابِهِ رَجُلانِ قد تَحَمَّيا جُرْناً فيه طعامٌ بالرَّحبَة لبعضِ أَهْلِها بأُجْرَة؛ أحدُهما: رَجُلٌ يُقالُ له: يَعْلَى الجَنْبيُّ، وآخَرُ زَلَّ عنّا اسمُهُ. فكان كُلَّما مَرَّ بهما زائرٌ يُرِيدُهُ أو ضَيْفٌ يَقْصِدُهُ، نَهَياهُ عَنْ ذلك وزَجَراهُ عَنِ التَّثْقيلِ عليه بالقِرَى والغُرْمِ والنَّفَقةِ في البِرّ والضِّيافة، كُلُّ ذلك صيانة منهما لَهُ ورِعاية لحقِّهِ فيما يَعْتَقدان، حتّى انقطع عنه الوَفْدُ أيّاماً وليالي، فاسْتَنْكَرَ ذلك، ثمّ انْتَظَرَ فلم يَأْتِهِ أَحَدٌ فحَزِنَ لذلك، وضاقَ صَدْرُهُ، وأَلِمَ له قَلْبُهُ، وتَطاوَلَ فِكْرُهُ، وقال: لَعَلِّي أَذْنَبْتُ ذَنْباً سَخِطَ به عليَّ ربّي حتّى انقطع عنّي المسلمون، وهَجَرُوا داري، ولمّا اشْتَدَّ أَسَفُهُ لذلك، وقَلِقَ له، وكَرَبَهُ الغَمُّ، شَكاهُ إلى بعضِ مَنْ قَرُبَ منه. فقالوا: **أَوَما** علمتَ، لِمَ ذلك؟ قال: لا. قالوا: إنّ يَعْلَى وصاحبَهُ مُذْ هُما في جُرْنِهما لا يَرَيانِ أَحَداً يَقْصِدُكَ إلّا صَدّاهُ[٢]، يَرَيان أنّهما يُؤَدِّيان بذلك لك حَقًّا، ويُورِدانِ عليك راحةً ونَفْعاً. فلمّا سَمِعَ ذلك رَكِبَ دابَّتَهُ حتّى أَتاهُما، فلمّا وَقَفَ عليهما، قال: لا جَعَلَكما الله في حلٍّ ثلاثاً. ففَزِعا لِما سَمِعا منه، وعَظُم عليهم الأَمْرُ فيه، وقالا: ولِمَ ذلك، يا شيخُ؟ قال: لأنّكما قَعَدْتُما لي على طريق الجنّة تَحُولان بيني وبينها، وتَمْنَعانني الخيرَ، وتَصُدّان عنّي أَوْلِياءَ الله، وأَهْلَ محبّتي مِنَ المسلمين. قال: فاعْتَذَرَا إليه، وتابا إلى الله مِنْ ذلك، فانصرف.

---

(١) **يرثي** له: يرقّ له، يمانية ما تزال مستعملة، وبعضهم يستخدمها بألف مقصورة: يرثى.

(٢) كُتب فوقه بالمخطوط بخطٍّ مغاير: «عنك»، وكأنّه أراده كاتبه للتّوضيح.

ورَوَى الفقيهُ يحيى بنُ الحسين بنِ عبد الله عن والدِهِ الحسينِ بنِ عبد الله الفقيهِ ﵀ وعَنْ غيرِهِ مِنَ المشائخ أنَّ الصَّبَرِيَّ رحمه [الله] كان إذا سَلَّمَ مِنَ الصّلاةِ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فإذا قِيْلَ له في ذلك، قال: أَخافُ أَنْ تَقولَ الملائكةُ: لا سَلّمْتَ ولا سَلِمْت.

ورَوَى أيضاً عَنْ والدِهِ ﵀ قال: كنتُ أنا والشّريفُ محمّدُ بنُ أبي الفَتْح الدَّيْلميّ في قريةٍ يُقالُ لها: شَوْكان، مِنْ نواحي السِّرّ؛ إِذِ اقْتَتَلَ يَهُوديّان وتَنازَعا في شيءٍ ادَّعَى أَحَدُهُما فيه الأَمانَةَ، فقال له صاحبُهُ: أَأَنْتَ الصَّبَرِيُّ؟ يُصَغِّرُ إليه نفسَهُ، ويَضْرِبُ المَثَلَ بالصَّبَرِيِّ لِعِظَمِ قَدْرِهِ. فقال الشّريفُ: يا حسينُ، أَلا تَنْظُرُ إلى ما ضَيَّعَ ابنُ الصَّبَرِيِّ مِنْ أَبِيْهِ وعِظَمِ منزلتِهِ حيثُ صار أَهْلُ الكتابِ يَضْربون به المَثَلَ مع شِدّةِ عَداوتهم للمسلمين! وتَعَجَّبَ مِنْ ذلك وعَجِبَ به. وإنّما أَرادَ بـ(تَضْيِيعِ ابنِ الصَّبَرِيِّ): يعني محمّدَ بنَ إبراهيمَ بنِ أحمدَ، لأَنَّهُ صار[٦٣] في آخِرِ وقتِهِ إلى الحُسَينيّة، واعتقدَ اعْتِقادَهم، وفارَقَ أَهْلَ وَقَش.

قالَ الفقيهُ يحيى بنُ الحسين بن عبد الله: وسَمِعْتُ القاضي أَسْعَدَ بنَ أبي السُّعُود بن أبي ثور ﵀، وهو أَحَدُ الشُّيُوخ بوَقَش يخبرُ عَنْ نَفْسِهِ أو عَنْ مِثْلِهِ -اشْتَبَهَ عليَّ القَولُ فيه- أنّه سَأَلَ إبراهيمَ بنَ أحمد الصَّبَرِيَّ ﵀ أَنْ يكتبَ له سِمْطَ عَنْترة لأن يَتَغَيَّبَهُ، وهو غُلامٌ؟ فقال: يا بُنيَّ، اكْتُبْهُ مِنْ غيري، فإنّي كنتُ سمعتُ رجلاً أَنْشَدَهُ لي ونحن في سَفَرٍ في ظِلِّ شجرةٍ أَرَحْنا تحتها، فسمعتُهُ مرّةً واحدةً حَفِظْتُ منه ثمانين بيتاً -أو قال: سبعين- على نَسَقٍ، وسائر الشِّعْر حَفِظْتُهُ وفيه تقديمٌ وتأخير.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمد، حَفِظَهُ الله قال: أَخْبَرَني الشّيخُ أبو السُّعُود بنُ أبي ثورٍ ﵀ قال: جَرَى كلامٌ في الصّوت بحَضْرة إبراهيمَ الصَّبَرِيِّ وإبراهيمَ بنِ أبي الهيثم، فقال الصَّبَرِيُّ: ينبغي أَنْ يكون لا يوجدُ إلّا بشيءٍ مِنَ الهواء -أو قال: مع شيءٍ مِنَ الهواء- في كلامٍ نحو هذا. قال: فأَقْبَلَ عليه إبراهيمُ بنُ أبي الهيثم، رحمهم الله، وقال: اعْقِلِ الكلامَ في هذا، فإنّي أَخافُ أَنْ يحدثَ فيه خِلافٌ وتَفْريقٌ بين الجماعة، فتَرَكَ ذلك وانْقَطَعَ الكلامُ فيه.

نُمَيْر بن أبي صالح

هو نُمَيْرُ بن أبي صالحٍ المَدَريُّ.

رَجُلٌ مِنْ أَهْل مَدَر بمَشْرق هَمْدان، مِنْ بني الطُّمْس، وهم قومٌ كانوا هنالك، وكان مِنْ عِباد الله الصّالحين. وكانت مَدَر في مدّةٍ مِنَ الدّهر طويلةٍ منزلَ أَهْل الصَّلاح والفَضْل مِنَ الزّيديّة.

فأَخْبَرَني الشّيخُ عبدُ الحميد بن الحسين بن عبد الحميد، الشّيخُ بوَقَش عَنْ أبيه ومشائِخِهِ قال: كان مِنَ الزّيديّة قومٌ يُعْرَفون بآل الرَّبَعيِّ ينزلون أَكانِط مِنْ مَشْرق حاشِد، وكان فيهم شيخٌ يُقالُ له: سَعيدٌ، مِنَ الصّالحين وأَهْل وَلاية الله تعالى، فنَظَرَ في شَأْنِهم نُمَيرُ بنُ أبي صالحٍ، وكان مُتَحَنِّناً بالمؤمنين، مُتَعَطِّفاً على أَوْلياء الله رحيماً بهم، ناظراً في نَفْعِهم، وذلك في المَجاعة الّتي تُعْرَف بسَنَةِ الفروس، وهي سنة إحدى وعشرين وأربع مئة، فقال للشُّيُوخ الّذين بمَدَر: قد تَرَون ما حَدَثَ، وإنْ طَلَبْنا أَنْ نُوْصِلَ[(١)] إلى إخْواننا هؤلاء -يعني الرَّبَعيّين- شيئاً نَسْتَنْقِذُهم به مِنْ هذه المَجاعة لم نَأْمَنْ أَنْ يُنْتَهَبَ في الطّريق، فهل ترون أَنْ نَنْقُلَهم إلينا، ويَحتمل كلُّ رَجُلٍ منّا نفقةَ رَجُلٍ منهم ونَفَقَةَ عِيالِهِ؟ فقالوا: نَعَم. فاحتال إلى أَنْ أَتَى بهم إلى مَدَر، فقام بفَرْض سعيدٍ، فحاطَهُ وأَكْرَمَهُ[٦٤] في حياتِهِ.

فلمّا حانَ موتُ نُمَيْرِ بنِ أبي صالحٍ دَعا مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ إخْوانِهِ، فدَفَعَ إليه أربعين ديناراً حاشِديّة، وقال: انْظُرْ إلى الشّيخ سعيدٍ الرَّبَعيِّ فمتى احتاج أعطيتَهُ شيئاً مِنْ هذه الدّنانير. فكان كلّ ما احتاج دَفَعَ إليه ديناراً إلى أَنْ فَنِيَتْ، فلمّا فَنِيَتِ انقطع ذلك عَنْ سعيدٍ، فسَأَلَهُ عمّا كان

(١) في المخطوط: «يوصل».

يُعْطِيْهِ؟ فقال: كان ذلك شيئاً أَعْطانِيْهِ نُمَيْر بنِ أبي صالحٍ، وأَمَرَني بكِتْمانِهِ ودَفْعِهِ إليك شيئاً شيئاً ثمّ فَني. فقال: رحم الله نُمَيْراً حاطَنا حيًّا وميتاً. ولم تكن هذه طريقةُ نُمَيْرِ بنِ أبي صالحٍ رحمه الله مع بعض المسلمين دون بعضٍ، بل نِعْمَ العَونُ كان لأوليائه، والمواسي لهم.

أَخْبَرَني الشّيخُ عبدُ الحميد بنُ الحسين عَنْ أبيه ومشائخه قال: مَرَّ نُمَيْر بنُ أبي صالح رحمه الله بمُطَرِّفِ بنِ شهابٍ رحمه الله أيّامَ كان بمَدَر، وهو جالسٌ يَتَحَدَّثُ ومعه أربعون ديناراً حاشديّة، يُريدُ أَنْ يُعْطِيَها إيّاهُ، فانْتَظَرَ قيامَهُ فأَبْطَأَ، فمَدَّ يَدَهُ فأَلْقاها في جَيْبِهِ، ثمّ انْصَرَف. فلمّا قام مُطَرِّفٌ وَجَدَها، فأَتاهُ فسَأَلَهُ عنها؟ فقال: ما احتجتَ منها فخُذْ، وما استغنيتَ عنه فتَصَدَّقْ.

وأَخْبَرَني الحسنُ بنُ عبد الله الأَصْبَحيُّ، وهو أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة في العصر، ومَنْ له دِيْنٌ، قال: كان أَهْل الخير والفَضْل بمَدَر قد جَلَسُوا مجلساً لهم في أيّام الخريف بها، فتَذاكَرُوا مَنْ يَأْتِيْها مِنَ المسلمين وعباد الله الصالحين في تلك الأيّام وكانت فيهم كَثْرة، فقال رَجُلٌ منهم: قد رأيتُ أَنْ نعمل عَمَلاً؛ يأخُذُ كلُّ رَجُلٍ منّا إِخْوانَنا هؤلاء يوماً إلى عِنَبِهِ، فيأكلون منه في يومهم، ثمّ يُعَشِّيهم في عَشِيَّتِهِ. قالوا: نِعَمَ الرّأْيُ رَأَيْتَ. قال: فإنّهم ضَيْفي غداً، إن شاء الله. فأَخَذَهم مِنَ الغَدِ فأَطْعَمَهم عِنَباً، ثمّ ذَبَحَ لهم شاةً فعشّاهم بها. وتَتابَعُوا على مِثْل ذلك. فلم يزالوا كذلك شهرين؛ لأنّهم كانوا ستّين رَجُلاً، ثمّ انقضى الخريفُ وجعلوها سُنّةً باقية أيّام حَياتِهم.

وأَخْبَرَني الحسنُ الأَصْبَحيُّ أيضاً قال: قَدِمَ إلى مَدَر رَجُلان مِنْ أَهْل مَسْوَر المُنْتاب مِنْ فُقَراء الزّيديّة، فقال بعضُ أَهْل مَدَر لبعضٍ: ما نصنعُ في شَأْن هذين الرَّجُلين؟ فقال ستر بن يام -رَجُلٌ مِنْ بني وزير كان مِنَ الأَفاضل وأَهْل الدِّيانات-: عندي لأحدهما سبعون مُدًّا مِنَ الزّكاة: خمسةٌ وثلاثون اكْسُوهُ بها وعِيالَهُ، وخمسةٌ وثلاثون نِصابٌ له ولعِيالِهِ يأكلونها. فقام باقيهم[٦٥] بالآخَرِ وعِيالِهِ وكَفَوهُ كُلْفَتَهُم، وأَحْسَنُوا حِياطَتَهم.

الوَرْد

هو رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ سَعْوان، مِنْ أَعْمال صَنْعاء، وأَصْلُهُ مِنْ أَهْل رَيْمَة، وأَحْسِبُهُ أَبْناويّ النَّسَب(١)، وكان مِنَ الأَسْخِياء الأَغْنِياء، والأَبْرار الأَتْقِياء، وأهل المَحَبّة الشّديدة للمسلمين ورِجالِ الدِّينِ والمُراعاة لحُقُوقِهم، وشِدّة الغَيْرة على الحَسَنات، وقَضاء حَوائج الأَولياء، وسَدّ الفاقات، حتّى إنَّهُ ليَحْزَنُ على ما فاتَهُ مِنْ حَوائجِ المؤمنين إلى غيره.

أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ قال: أَتَيْتُ سَعْوانَ مع إبراهيمَ الصَّبَريِّ رحمه الله فكنتُ عند الوَرْدِ رحمه الله، ثمّ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ حَمْلِ مَؤُنَتي عليه طَوالَ إقامتي، فدَعاني الشّيخُ أبو السُّعُودِ بنُ أبي ثورٍ الأَيْهَريُّ أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة ليلةً، فتَعَشَّيْتُ عندَهُ؛ فلَقِيَني الوَرْدُ رحمه الله وقد غَضِبَ، فعَتَبَ عليَّ، وقال: أَتُراكَ تُخَفِّف عنّا، فوالله، لقد كانت سنةُ قَرن عنتر ولقد كان عندي جُلُّ الزّيديّة، فكانوا كلَّما رُزِقُوا شيئاً أَمَرْتُهم أَنْ يَدْخَرُوهُ لعِيالهم، فزالتِ الشِّدَّةُ، وقد أَنْفَقْتُ عليهم سبعين مُدًّا بالصَّنْعانيّ - ورُبْعَ المُدِّ يومئذٍ بدينار - فما عسى رغيفُك يكون، وما مَؤُونةُ واحدٍ في جماعة؟

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله قال: عاش الوَرْد إلى أيّام حاتمِ بنِ الغُشَيْم الياميِّ وتَمَلُّكِهِ بصَنْعاء، فسُعِيَ بِهِ إليه فلمّا جاءهُ قال: بَلَغَني أنّك تُؤوي الشِّيْعَةَ والأَشْرافَ وتُكْرِمُهم! قال: صَدَقَكَ مَنْ أَخْبَرَك، أنا رَجُلٌ جبانٌ فإذا أَتاني خَدَمُ ربّي أو نَزَلَ بي ضَيْفٌ قَرَيْتُ وأَكْرَمتُ، كما تَقْري أنت ضَيْفَك، وكما نَقْري نحن خَدَمَك لخوفِك. فخَلَّى سبيلَهُ.

---

(١) كُتِب فوقه بالمخطوط: «بل سنحاني النّسب».

ابنُ سَبَأٍ الهَرْثَميُّ

هو الحَسَنُ بنُ سَبْأٍ.

رَجُلٌ مِنْ شُيُوخ الزّيديّة وذَوي الفَضْل منهم وأَسْخِياء العَرَب وذَوي المُروءات والإِفْضال مِن النّاس.

ونسبُهُ في الهَراثِم مِنْ وادِعَة، وكان رَحّالاً في الأَسْفار، مُخالطاً لذَوي الفَضْل مِنَ الزّيديّة، وأَحْسِبُهُ صار بعدُ إلى ناحية بيتِ شَهِيرٍ أو بيت ذانِم لِمَحَبَّةِ مَنْ كان بالبَوْنِ منهم، نحو عليِّ بنِ حَرْبٍ ونُظرائه، رحمهم الله.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله أنَّ الحَسَنَ بنَ سَبَأٍ كان مُوْلَعاً بقَرْيِ الأَضْياف، مُكْرِماً لهم في السَّفَرِ والحَضَرِ، فسافَرَ إلى صَنْعاءَ في رُفْقَةٍ له، فلمّا قَدِمَها أَمَرَ لهم بعَمْلِ قِرًى فاضلٍ، فلمّا دَعاهم إليه قالوا[٦٦]: ما هذا إنّما كنتَ تَقْرِيْنا في منزِلِكَ، فما بال ذلك في السَّفَرِ؟ فقال: يا بَنيَّ، مُرُوءةُ **امِّنسان** معه أينما هاشَ، ليس إذا سافرنا نَذَرُها في **امْبيت**، قَرَيْتُكم في امْبيت مِنْ مالي، وفي **امْسَفَر** مِنْ مالي. أي: الإنسان والبيت والسَّفرْ. وأكثرُ القبائل باليمن يُبْدلون لامَ التَّعْريفِ ميماً، وهذه لُغَةٌ معروفةٌ عند النّاس. وقد رُوِي أنّ النَّبيَّ، صلّى الله عليه، خاطَبَ بها أَهْلَها، وأنَّهُ كَتَبَ إلى أبي موسى الأَشْعريّ: «**ليس مِنَ امْبِرِّ امْصِيام في امْسَفَر**». أي: ليس مِنَ البِرِّ الصِّيامُ في السَّفَر.

و«**هاشَ**»: سار. وهذه لُغَةٌ تَخُصُّ قبائلَ مِنْ هَمْدان ومَنْ جاوَرَهم مِنْ مَذْحِج، نحو وادِعَة وبَكيل ومُراد، ومَنْ قارَبَها منهم.

ابنُ أبي صَنْعاء

هو مالكُ بنُ أبي صَنْعاء.

المُؤَدِّبُ المُقْرئ، وكان مِنْ أَعْلَمِ أَهْل اليَمَن بالقَراءة فيما بَلَغَني، وشَهِدَ له بذلك عُلَماءُ اليَمَن.

أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ الله قال: سمعتُ الشّيخَ الفاضلَ العلّامةَ الأَدِيبَ عليَّ بنَ أحمدَ بن أبي رَزينٍ يَقولُ: ما عَلَّمَ القُرآنَ في اليَمَنِ بَعْدَ مالكِ بنِ أبي صَنْعاءَ أَحَدٌ مثلُهُ. قلتُ: ولِمَ؟ قال: لأنّه لَزِمَ فَنًّا واحداً يُدَرِّسُهُ سبعين سنةً، فكيف لا يَفْضُلُ فيه؟ فهذه شهادةُ ابن أبي رَزِينٍ له، وهو شيخُ وَحْدِهِ في العُلُوم، وقارئ أهل هذه البلاد، وإمامُ نُحاتِها واللُّغَوِيِّين بها، وعيون العُلَماء في كلِّ فَنٍّ، المُبَرِّزُ في أَكْثَرِ ذلك.

وقد أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ الله أنّه قال: سمعتُ إبراهيمَ بنَ أحمدَ الصَّبَرِيَّ يَقولُ: لقد عَرَفْتُ أكثرَ اليَمَن، وعرفتُ أكثرَ أهلِهِ، فما رأيتُ -ولا أَعْلَمُ- أَحَداً هو أَفْضَل مِنْ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ أبي رَزِينٍ في فُنُونٍ ليستْ لغَيرِهِ مِنَ العِلْم فِيْمَنْ بين مَكَّةَ وعَدَن.

فهذه تَزْكيةُ هذا الشّاهدِ مِنَ الصَّبَرِيِّ، على أنّ هؤلاء مشاهير مَعارِيف، أَخْبارهم بالفَضْل الّذي كانوا عليه إلى الآن ظاهرةٌ لم تَمُتْ.

[قال][1] عَليان بن إبراهيم قال: حدّثني المُقْرئُ المُؤَدِّبُ مالكُ بن أبي صَنْعاء قال: كنّا نَقْرَأُ القرآن على المُقْرئ[٦٧] بمَكَّةَ، وكنّا جماعةً -قال: وكان الجماعةُ مِنْ أَهْل صَنْعاءَ- فإذا كَرَّرَ الواحِدُ منّا عليه حَرْفاً فرَدَّدَهُ جاشَتْ نفسُهُ ضَجَراً، فكان يَقْرَعُها بقول الله:

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين زِيد لتحوّج السّياق له.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾[النّساء:٩٤].

قال: ثمّ إنّ الجماعة حَمَلُوهُ إلى صَنْعاءَ فخَتَمْنا عليه القرآن بها. قال: فكان يَقُولُ: ما وَجَدْتُ القرآنَ مع أَحَدٍ كما تركتُهُ إلّا مع مالكٍ.

وأَخْبَرَني إمّا عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ وإمّا أَسْعَدُ بنُ عبدِ الفاضل ومحمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ حُمَيدٍ أو هم معاً، قالوا: كان مالكُ بنُ أبي صَنْعاءَ يَسْمَعُ مِنْ أُناسٍ أَنّهم يَزْعُمُون أنّه رَقِيْقُ الدِّيْن. قال فكان يَقُولُ: أما تُنْزِلونني في أَنْفُسِكم منزلةَ دُبّاء عَسَلٍ، كُلُوا العَسَلَ وارْمُوا بالدُّبّاء.

وهذا مِنْ محمودِ حِلْمِهِ، وحُسْنِ صَبْرِهِ، ورَغْبَتِهِ في الدُّعاء إلى التَّعْليم، وهو شَبِيْهُ ما رُوي عَنِ الخليل بنِ أحمدَ الأَزْديِّ مِنْ قولِهِ: (من البسيط)

اعْمَلْ بِعِلْمي، وإِنْ قَصَّرْتُ في عَمَلي، يَنْفَعْكَ عِلْمي ولا يَضْرُرْكَ تَقْصِيري

ولم يَصِحَّ لي عَنْ أَحَدٍ مِنَ الشُّيُوخ المَرْضِيِّين عَنْهُ ما يُعابُ بِهِ مثلُهُ، إنّما العامّةُ وأهلُ الظُّنُون السّريعة لا يَرْضون مِنَ العلماءِ وذَوي الصِّيْتِ إلّا بأن يكونوا في صِفَةِ عيسى ابنِ مريمَ، عليه السّلام، زُهْداً وعِبادةً، ولا يَقْنَعون منهم، معَ التّعليم وإِحْياءِ كُتُبِ الله وحُجَجِهِ، بأَداءِ الفَرائض فقط، وهذه آفةٌ باقيةٌ إلى الآن.

وما عَلِمُوا أنّ المُقْتَصِرَ على الفَرائِضِ، والعابِدَ المجتهدَ المُبالغَ في كَدِّ نفسِهِ في مَرْضاة الله، كلاهما وليٌّ لله مِنْ أَهْلِ كرامتِهِ يَصِيرانِ إلى الجنّة، وإن تَفاوَتَتْ دَرَجُهما فيها، لكنّ نَقْصَ أَهْلِ الجنّة والاسْتخفافِ بهم، عالِيْهم ودانِيْهم في الثّواب، نَقْصٌ لَمَنْ أَكْرَمهم وتَوَلّاهم وعَدَاوةٌ لهم، وإِنْ تَفاضَلُوا. فليسَ إذا كان الخيِّران أحدهما خَيِّرٌ والفاضِلانِ أحدُهما أَفْضَلُ يكون ذلك هَلَكَةً للمَفْضُول ولا مُوْجِباً له الضَّلال.

الحِجازيُّ

هو أحمدُ بنُ الحِجازيِّ.

أَحَدُ شُيُوخِ الزّيديّة الأَفاضل، وذَوي العِلْمِ والعِبادة والزُّهْد.

ونسبُهُ على ما وَجَدْتُ في نَسَبِ ابنِ أَخِيْهِ إبراهيمَ بنِ جابرٍ في عَنْز بنِ وائلٍ[٦٨].

وكان بسَناع، ثمّ بَلَغَني أَنَّهُ لـمّا صار إخوانُهُ مِنَ الزّيديّة وقتَ تَفَرُّقِهم إلى مَدَر ووَقَش وغيرها، نَزَلَ بموضعٍ بالبَرَويَّة يُقالُ: له عُصْفران، قريب من وَقَش. وكانت شمائلُهُ وأَلْفاظُهُ بالخيرِ ناطقة عَنْ ضَمائرِهِ، على ما بَلَغَني، وهو مِنْ آخِرِ هذه الطَّبَقة زَماناً.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ ﵀ قال: قال لي أحمدُ الحِجازيُّ ﵀ بسَناع: آيةً مِنْ كتاب الله ما قَرَأْتُها إلّا خَنَقَتْني العَبْرةُ؛ قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾[الأنعام:٩١]. وصَدَقَ ﵀ إنّ مثلَ هذه الآية لتُبْكي المؤمنَ لأنّهُ مَنْ قَدَرَ اللهَ دون قَدْرِهِ شيئاً، إِذْ لا يعرفُ مَنْ يُقالُ: إنّه يُقَدِّرُهُ حَقَّ قَدْرِهِ لم يَصْرِفْ نَظَرَ قلبِهِ عَنْ طاعتِهِ، ومُراعاةِ تَعْظِيمِهِ، وإيْثار حَقِّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وهذا يكون حينئذٍ والِهاً إلى الله سبحانه، مُقْبِلاً على ذِكْرِهِ بالتَّعْظِيم، فلا يَزِلَّ ولا يَغْفُل ولا تُقْلَب منه خَطْرَةٌ ولا نَظْرةٌ ولا كلمةٌ إلّا في حِكْمةٍ وعِبادةٍ، ولا يَروعُهُ موتٌ ولا فَقْرٌ ولا سُقْمٌ ولا أَلَمٌ، ولا تَنْزِلُ به نازلةٌ إلّا عَرَفَ أين رِضا اللهِ تعالى منها، فآثَرَ العَمَلَ به، وأَبَى سُخْطَهُ فتَباعَدَ مِنْهُ وباعَدَ النّاس.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمُ قال: قال لي أحمدُ الحِجازيُّ: الْزَمْ صُحْبَةَ المؤمنين، ولا تَصْحَبْ أَعْداءَ الله، فإنَّ النَّفْسَ عَدُوٌّ، والفاسِقَ عَدُوٌّ، فإذا اجتمع عليك عَدُوّانِ غَلَباكَ، وإذا صَحِبْتَ صالحاً كنتما اثنين فغَلَبْتُما النَّفْسَ.

وكان رَحِمَهُ اللهُ مِنَ أَهْلِ النَّظَر الجيِّد، والاسْتِخْراجِ الحَسَنِ المعلوم.

أَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ اللهُ قال: قرأتُ (**المكنون**) للقاسمِ بنِ إبراهيمَ، عليهما السّلام، فقرأتُ فيه: **ويدّخر** لنفسه في جدّته ما يَحْمَدُهُ في عاقبته. وكان بعضُ النّاس قد عَلَّمَنِيْهِ «**يذّخر**» بالذّال المعجمة، أو التّخفيف. فسَمِعَني أحمدُ الحِجازيُّ فقال: يا بُنَيَّ، إنّ اللُّغَةَ عَنِ العَرَبِ تَقْليدٌ، فإذا كان ولا بُدَّ فكتابُ الله أَحَقُّ بالتَّقْليد؛ قال الله سبحانه: ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[آل عمران:٤٩].

الطَّبَقةُ الرّابعةُ مِنَ الزّيديّةِ باليَمَن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمدُ لله وصلواتُهُ على محمّدٍ النَّبيِّ وآلِهِ وسَلامُهُ.

أَهْلُ هذه الطَّبَقة هُمُ الّذين أَخذُوا عَنْ مُطَرِّفِ بنِ شهابٍ رَحِمَهُ اللهُ ومَنْ في عَصْرِهِ[٦٩]، ونُظرائِهِ مِنْ عُلَماء الزّيديّة نَحْو أَصْحابِ ابنِ محفوظٍ وابن أبي الأَغَرِّ، وغيرهم.

وقد كان في هذه الطّبقةِ رِجالٌ يُشْكِلُ على اللَّبيبِ التَّفْضِيلُ بينهم؛ لأنّ فيهم المُنْقَطِعَ على العِبادة والزُّهْد مع العِلْم الكافي، ومنهم مَن هو مع عِلْمِهِ وعِبادَتِهِ وزُهْدِهِ مُعَلِّمٌ داعٍ إلى الله بجهدِهِ في الرِّفْقِ والرَّأْفَةِ والتّبيين والتَّنْبِيه، جيّدُ التّأثير في ذلك. ومنهم مَنْ هو جامعٌ لذلك كلِّهِ، سيّارةٌ في البلاد، مُحْيي أينما حلّ، ومُوْقِظٌ حيثُ نَزَل، كالسَّحاب الماطر أينما حَلَّ عَزالِيْهِ(١) أَحْيا المَواتَّ وأَنْبَت النَّبات. إلّا أنّهم قد اعْتَرَفُوا بالتَّقْدمة والفَضْل فيهم والرّياسة بعد مُطَرِّفٍ رَحِمَهُ اللهُ وأَهْلِ طَبَقَته لجماعةٍ، منهم: إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثم، وعُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ، وعليُّ بنُ حَرْبٍ، وعليُّ بنُ أحمدَ بنِ أبي رَزينٍ، وإسماعيلُ الغريب، ويحيى الفقيهُ، وأبو السُّعُود بنُ زيدٍ، والنُّوَيْرة، وعليُّ بنُ مُطَرِّفٍ، والحسينُ بنُ عبدِ الحميد، ونُظَرائهم. ثمّ قَدَّمُوا مِنْ مساكن هؤلاء وهِجَرِهم وَقَش، وقَدَّمُوا شيخَها إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثَم، واعْتَرُفوا له بالفَضْل.

---

(١) **العَزالي**: جمع العَزْلاء، وهي مَصَبُّ الماء من الرّاوية؛ ومنه قِيْل للسَّحابة إذا انْهَمَرت بالمَطَر الجَود: حَلَّت عَزاليها؛ التّاج: (ع ز ل).

إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم

هو أبو إِسْحاقَ، إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم بنِ كَهْلانَ بنِ محمّدِ بن أبي البَعِيْر.

نسبتُهُ -فيما أَحْسِب- في حِمْيَر، لأَنَّ عَشائرَ هذه البلاد، الّتي بها قومُهُ، سَوادُها الأَعْظمُ مِنْ حِمْيَر، ومَنْ جَهِلَ نَسَبَ قومٍ مِنْ أَهْلِها فليظنّ أنّهم في حِمْيَر.

وأَبُوهُ مِنْ أَهْلِ العُزْلَةِ بِسَناع في الطّبقة الثّالثة، وهو أَحَدُ أَصْهار نَهْدِ بنِ الصَّبّاحِ، كانت تحتَهُ ابنةٌ له هي أُمُّ إبراهيم. ومَنْزِلُ أَهْلِ بيتِهِ بالمَعْلَل بناحية قريةٍ يُقالُ لها: حَلوبة، مِنْ أعمالِ بيت يَرام، وقد بقي له من باقي عَقارِهِ بها بقيّة إلى أن مات رحمه الله فأَوْصَى به.

وإليه انتهتْ مَشُورةُ الزّيديّة في عِلْم الأُصُول ومُشْكلات المَسائل بعد مُطَرِّفٍ، وإليه كان النَّظَر في دَرْسِهم وتَهْذيْبِهِ، ونَشَأَ رحمه الله على الطّاعة والزُّهْد والعِبادة لله، والاجْتِهاد والجِدّ والتَّشْمِير في ذلك، وغَلَبَ عليه في وقتٍ مِنْ شَبابِهِ الخوفُ مِنَ الله حتّى عَرَتْهُ وَحْشَةٌ ونِفارٌ وذُعْرٌ وفِكْرٌ، ثمّ تَمادى ذلك حتّى خِيْفَ عليه ضَرَرُهُ، وقارب أَعْراض الأَمْراض السَّوداويّة.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ حُمَيدٍ، أَحَدُ أَفاضلِ الزّيديّة عندنا، وذَوي الإِيْثار لله، وقد ذَكَرْتُ خَبَرَهُ في[٧٠] موضعٍ: أنّه كان يطيرُ مِنْ ذِكْرِ النّار، ويَكادُ يبدو منه ما يَرُوعُ مَنْ يُشْفِقُ عليه مِنَ الأَمْراض؛ فَعَمِلَ الشّيخُ يحيى بنُ أحمدَ بنِ أبي رَزينٍ، وكان صِهْرَهُ تحتَهُ ابنةٌ له، في عِلاجِهِ فحلّ السّوداء والأَخْلاط المُحْترقة، واسْتَعان على ذلك مِنْ وُجْدِهِ هو وما يَمْلِك مِنْ شيءٍ مِنَ المال، ومع عِلْمِهِ بالطِّبِّ أيضاً بالله سبحانَهُ وبِمَنْ كانتِ الدَّولةُ الصُّلَيحيّة قد أَنْشَأَتْهُ أو اجْتَلَبَتْهُ مِنَ الأَطِبّاء إلى صَنْعاءَ وشِبام؛ فدَبَّرَ غِذاءَهُ أَجْوَدَ تَدْبيرٍ،

وراعى سائرَ تَدْبيرِهِ في الأَحْوالِ كلّها كما ينبغي، وسَقاهُ مِنَ المُسْهِل ما يُلائِمُهُ، ويَسْتَبقي الرُّطُوبات النّافعة له في بَدَنِهِ حتّى اعْتَدَلَ مزاجُهُ أَجْودَ الاعْتِدال، وسَلِمَ ممّا كان خِيْفَ عليه، ولم يَكَدْ يُفارِقُهُ ﷺ ذلك الخوفُ والفَزَع مِنْ عَذابِ الله سبحانَهُ ووَعِيْدِهِ إلى أَنْ مات.

فقَوِيَ الدّليلُ على أنّ ما كان به كان مِنْ خَوفِ الله لا مِنْ أَجْلِ فَسادِ خلطٍ؛ لقد شاهدتُ منه مرّةً، وقد أَتَيْتُهُ مُسْتَشِيراً أيّامَ دَعْوة المُحْسنِ بنِ الحسنِ بنِ النّاصر الحَسَنيِّ بصَعْدَةَ، ثمّ بثُلا مِنْ بلاد حِمْيَرَ أَقْيان، إلى بعضِ مَنِ ادُّعِيَتْ له الإمامةُ بالدَّيْلَم والجِيْل مِنْ عَقْبِ المؤيّدِ بالله أبي الحسين الهارونيّ، قدّس الله روحَهُ. وأُتي بشُهُودٍ على شهادةِ قوم مِنْ أَهْل تلك الدِّيارِ، ممّن يأتي الموسمَ بمكّة مِنَ الحجّاجِ على إمامَتِهِ وتَوْليتِهِ أَمْراً لدّعوة للمُحْسن، فلِفَضْلِ هؤلاء الشُّهُودِ على شَهادة أولئك الأَعاجم خَفَّ كثيرٌ مِنَ النّاس، وأَرْجَفَتِ العامّةُ للمُحْسنِ بالأَمْرِ العظيم، ثمّ دُلَّ عليَّ، فكَتَبَ إليَّ يَأْمُرُني بالمَعُونة له في ناحيتي، وكان ذلك بنشاطٍ مِنْ بَعْضِ أَهْل بلادي ونيّة.

فلم أَرَ أَنْ أَتْرُكَ مُشاورَةَ هذا الشّيخ، ولم أَكُنْ تَبَحَّرْتُ في فِقْهٍ، ولا أَكْثرتُ مِنْ قِراءةِ كُتُبِ الأَئِمّة، عليهم السّلام، فأتيتُهُ مِنْ شَظَب إلى وَقَش، فلمّا خَلُوتُ بِهِ قلتُ: قد تَرَى إِطْباقَ كثيرٍ مِنَ الفاضلين مِنَ الزّيديّة على صحّةِ هذه الدّعوةِ، وما شَهِدوا عليه مِنْ شهادة مَنْ شَهِدَ على شَهادةِ حاجٍّ مِنَ العِراقِ والجبالِ والجِيْلِ والدَّيْلَم، ذَكَرُوا أنّهم يعرفونهم بالعَدالة والفَضْل على إمامَةِ هذا الإمام، وأنت لا تجهلُ عظيمَ الخَطَر في الغَفْلَةِ عَنِ النّظر في دُعاء الأَئمّة، والقيام بنَصْر الله، وشِدّة الهَلَكة في رَفْض الحقّ في ذلك، ويقين الضّلال منه، وقد أَشْكَل عليَّ الأمرُ فأَخْشى مِنَ القيام، وأَخْشى مِنَ القُعُود، وقد أتيتُكَ لتُشِيرَ عليَّ بما يَسألُكَ اللهُ عنه يومَ القيامة، فاجْتَهِدِ النَّظَرَ فإنِّي متعلِّقٌ بثيابك بين يَدي الله غَداً. فلمّا سَمِعَ[1] الكلامَ رأيتُ منه تَغُيّراً وارْتياعاً واضْطِراباً[٧١] رَحِمَتْهُ منه، وفَزِعْتُ له، ونَزَلَ بي

(١) بعده في المخطوط كلمةٌ صغيرة غير واضحة، لعلها: «مني» أو «هذا».

أَمْرٌ لِما رأيتُ مِنْ فَزَعِهِ وارْتِياعِهِ مِنْ ذِكْرِ الله تعالى والقيامة والسُّؤال. فأَمْهَل يَسِيْراً ثمّ بَلَّ -فيما أَحْسِبُ- شفتَيْهِ بلسانِهِ، وكذلك كان يَفْعلُ إذا نابَهُ ما يُقْلِقُهُ في الدِّيْن، فكأنَّهُ يَعْطَشُ أو يَجِفُّ رِيْقُهُ. ثمّ قال لي: لقد أَكَّدْتَ عليَّ الحُجَّةَ، وأنا أُخْبِرُكَ: اعْلَمْ أنّه لم يَسْتَبِنْ لي بعدُ شيءٌ في الإمامة، وقد تَرَى خِفَّةَ أَصْحابنا إلى قَبُول هذا، فاكْتُمْ عليَّ ما أقولُ لك. قلتُ: وكيف لم يَسْتَبِن لك وهٰهنا فلانٌ وفلانٌ، وعددتُ جماعةً لهم شأنٌ عظيمٌ في الدِّين، قد شَهِدوا على شهادةِ وُجُوهِ الزّيديّة ببلاد خَولان، واجتمعوا وأَكَلُوا معاً وشَرِبوا، بعد العَداوة والبِغْضَة، وفيهم عليُّ بنُ محمّدِ بنِ عبّاسٍ صاحبُ أَمْرِ أهل هِجْرَة صارَة بأَرْض خَولان، وأَخُوهُ. وقد كان مِنْ سُنَّةِ أَبِيْهِ لهم ألّا يأكلوا ذَبيحةَ مُخالفٍ ولا عاصٍ ولا رُطُوبَتَهُ، ولا يُوالُوا أَحَداً سِواهم، فرَفَضُوا تلك السُّنّة واخْتَلَطوا وأَجْمَعُوا على الدُّعاء إلى هذا الإمام، وهذا أَمْرٌ هائلٌ رائعٌ[1]؛ وهؤلاء مِنْ زيديّة خَولان فقد شَهِدوا على شَهادةِ مَنْ ذَكَرْنا مِنْ حُجّاجِ الجبالِ ونواحي الرَّيِّ وطَبَرِسْتان والجِيْل والدَّيْلَم، وهم يَعْرِفونَ منهم بمكّة في المواسم القاضيَ أبا طالبِ بنِ أبي نصرٍ الرّازيَّ وعبدَ الجليل القَزْوينيّ وابنَيه، بأَوْكَد ما كانوا يَحْتَجُّون بهذه الدّعوة وما اشْتَبَهَ عليَّ مِنَ الشُّبْهة في ذلك. فقال لي: يا بُنَيَّ، إنّ الإمامة لا تَصِحُّ بشهادة الشُّهُود، الإمامةُ تَصِحُّ بالتَّواتر، فأين تجدُ التَّواتر في هذا؟ فسَكَتَ حينئذٍ، وانْصَرَفْتُ، وقد قَبِلَتُ عنه.

ثمّ لـمّا كاتَبَني المُحْسِنُ وخَفَّ مِنْ أهل ناحيتي إلى طاعتِهِ مَنْ كنتُ أَعْتَدُّ به في أَمْري وسارَعَتْ إلى ذلك جماعةٌ كثيرةٌ مِنْ حِمْيَرَ وهَمْدانَ وأهلِ مَسْوَر والمَغْرِب= سَوَّلَتْ لي نفسي مُتابِعَتَهم رَجاءً لحياةِ شيءٍ مِنَ الدّين؛ وهَيْهاتَ أَنْ يَقومَ بناءُ الدِّيْن والحِكْمة على قواعِدِ الهَوَى. فسَرِتُ في نَفَرٍ مِنْ أهل بلادي حتّى أَتَيْناهُ بثُلا، وكانت قد سَلَّمَتْهُ إليه حِمْيَرُ، وهو يومئذٍ أَجَلُّ[2] جِباها وأَحْصَنُهُ وأَعْظَمُهُ حُكْماً على البلاد. فأَكْرَمنا وفَرِحَ بوُصُولنا إليه،

(١) كذا: «الرّائع»، وقد مرّ نحو ذلك!

(٢) يحتمل الرّسم: «أحد» أيضاً.

ولَبِثْتُ عندَهُ أيّاماً صالحةً حتّى رَجَعْتُ وقد رأيتُ خَلَلَ الأَمْر إلّا أنّي لـمّا عَمِلْتُ بالهَوَى، وعَصَيْتُ ذلك النَّصِيحَ الحكيم الّذي نَظَرَ لي ولنَفْسِهِ ولله، خُذِلْتُ حتّى انْخَدَعْتُ، وكنتُ حَدَثَ السِّنِّ غَرِيراً، وانْقَدْتُ لقَومٍ مِنْ عَوامّ الأَشْراف والشِّيْعة حتّى حَمَلُوني على قولِ[٧٢] أَشْعارٍ جَلَبَتْ عليَّ عداوة أَقْوامٍ، ولم أَخْلُ مِنْ شَرِّها إلى الآن. ثمّ ذَهَبْتُ أعتذرُ بعد ذلك إلى مَنْ ذَمَمْتُهُ في تلك الأَشْعار، وكان أكثرُهم مِنْ سَلاطِين أَهْل الدّولة الصُّليحيّة ورُؤسائها والمَعارِيف فيها، فقَلَبَ لي هؤلاء العَوامُّ ظَهْرَ المِجَنِّ وأَلْحَقُوني بالقوم، وانْتَصَروا مِنِّي لهم، وسَقوني بما سَقَيْتُهُم به. ثمّ قَدم البلادَ هذا القاضي المذكورُ في أوّل الكلام أبو طالبٍ الرّازيُّ وشريفٌ ذَكَرُوا أنّهُ مِنْ وَلَدِ الهادي الأَصْغَر يحيى بنِ محمّد بن يحيى الهادي، عليه السّلام، يُقالُ له: الحسين، وفقيهٌ مَعَهُ ناصريُّ المذهب يُقالُ له: الحسينُ بنُ أبي يوسف، ورَجُلٌ يُقالُ له: عبدُ الله بنُ المبارك التّرجيّ.

وأَخْبَرَني عبدُ الله التّرجيُّ هذا أنّهُ كان أخذهم صحبتَهُ مِنْ بعضِ العِراق نحو بَغداد إلى مكّة ثمّ مِنْ مكّة؛ وكان التّرجيُّ أَتَى أَرْض الجِيْل والدَّيْلَم، وأقام بها وأصاب مَتاعاً رَجَعَ به، وكان يسيراً فظَهَرَ لنا مِنْ هؤلاء القادمين علينا مِنَ التّخليط واختلاف الكلام وتَغَيُّرِ الأَحْوال ما ساءت به ظُنُونُنا بشهاداتهم وتَوَجَّهَ به الطّعن في عَدالتهم. وذلك أنّهم حين أقبلوا إلى اليَمَن مِنْ مكّة كانوا في صُحبة الصّادرين مِنَ الحاجّ، وفيهم أخٌ لي يُقالُ له: عبد الله بنُ محمّدٍ، وكان ثِقَةً مَرْضِيًّا مقبولَ الشّهادة، له دِيْنٌ، فسَمِعَ منهم تصحيح دعوى الدّعوة المذكورة، وأنّ بالدّيلم إماماً هو الّذي يدعو إليه المحسن وكذلك مَنْ صَحِبَهُ وأتاهم مِنْ أَهْل بلادنا ومن يلينا. فلمّا صاروا قريباً مِنْ صَعْدَة أَرْجَفُوا على العَوامّ بآلةٍ مِنْ صُفْرٍ كانت في رِحالهم، نحو السّطل والقِدْر، وأَرَوهم أنّ ذلك ذهبٌ، ففَشَا ذلك في خَوْلان وهَمْدان وطُمّاع الجَهَلَة منهم. ثمّ قَدِمُوا إلى صَعْدَة وإلى المحسن فظَهَرَ منهم غيرُ ذلك، ثمّ انْكَشَفَ طَلَبُهم للمحسن لنائلِ المحسن وبِرّ النّاس، ثمّ تَعَذَّرَ أكثرُ ذلك فأَقَرُّوا

بأنّهم كَذَبُوا في شيءٍ مِمّا أشاعُوهُ وقالُوهُ. ثمّ أَظْهَرَ منهم مَنْ لَقِيَني إنْكارَ الإمام والإمامة، وهو عبد الله بنُ المبارك التّرجيّ، وأَخْبَرَ أنّهُ عَمِلَ هذا الكَذِبَ، ولَفَّقَ مَنْ شَهِدَ به معه مكيدةً للصَّعْديِّين ليُصِيبَهم بعَداوةِ هذا الشّريف وخَوْلان، وتَعْرِيضاً لهم للحُرُوب والغَرامات لجَفاءٍ كان منهم له.

وأَخْبَرَني عبدُ الله بنُ المبارك التّرجيُّ في جماعةٍ كثيرةٍ حَضَرُونا[٧٣]، وجَهَرَ بذلك بينهم أنّه قد كان طَلَبَ هذه الحركة، وطَمِعَ بأَنْ يَتَهَيَّأَ له جَلْبُ مُتَغَلِّبٍ أو سبيلٌ يغلِبُ على صَعْدَة ونحوها مِنَ البلاد؛ إمّا بأَنْ يَخِفَّ معه ويَنْخَدِعَ له غاوٍ مِنْ غُواة التُّرْك مِنْ أَهْلِ العراق، ويَأْبِقُ معه مِنْ أُبّاقهم نَفَرٌ يَصْلُحون لِما كان له صُباوة بن شاد تكين الغُزِّيّ وأصحابه، فقد صَحَّ له التَّمْليكُ على جانبٍ مِنَ اليَمَن ليس بقليلٍ، وذلك عام ثلاثة[(١)] وثمانين وأربع مئة، وكان مِمّا مَلَكَ صَعْدةُ ونَجْران، ونحوها.

وكان فيما أَخْبَرَني به الشّريفُ القاسمُ بنُ الأميرِ محمّدِ بنِ جعفرِ بنِ القاسمِ بنِ عليٍّ الرَّسِّيُّ الحَسَنيُّ: قد خَرَجَ آبِقاً بأَصْحابِهِ أولئك غاصباً لمَولاهُ، وإمّا بأَنْ تَتَهَيّأَ له حِيْلَةٌ يَنْقادُ له بها النّاسُ كنحو حِيْلَتِهِ هذه في نُصْرَةِ المُحْسن والمَجِيءِ بهؤلاء المُرْجِفين كذلك.

فإن لم يَتِمَّ شيءٌ مِنْ ذلك التَمَسَ واعظاً ومُقْرِئَين مِنْ بعض القَرّائين، ودَخَلَ بهم زَبِيْد يَعْظُ الواعظُ ويَقْرَأُ المُقْرِئانِ على ما عليه القَومُ اليَومَ ليَكْتَسِبَ بذلك مَعاشاً.

ثمّ رامَ بعد ذلك المَصيرَ إلى ذي جِبْلَة للدُّخولِ في جُمْلَةِ خَدَمِ الحرّة الملكة الصُّلَيحيَّة، وفِراقَ رَأْيِ الزّيديّة فنَهَيْناهُ عَنْ ذلك، وأَعْلَمْناهُ أنّه يُفْتَضَحُ، ولا يَصِلُ إلى طائلٍ مِنْ نائل، فيَهْلِك باقي جاهِهِ مع هَلاكِ أَكْثَرِهِ، وهَلاكِ دِيْنِهِ.

ثمّ لَبِثَ أيّاماً وشَرَى أَمَةً ببلادنا مِنْ غيرِ مالِكِها، ثمّ جَعَلَها للنّكاحِ، فولدت له ابناً يُقالُ [له][(٢)]: أحمدُ، ثمّ باعها بعد أَنْ صارت له أُمَّ وَلَدٍ، ثمّ عُوْتِبَ، فقال: أنا ناصريٌّ،

---

(١) في المخطوط: «ثلاث» كذا؟

(٢) ما حُفّ بمعقوفين زيادة يتحوّجها سياق الكلام.

وأَتَى بعَجائبَ كثيرةٍ وأَلْوانٍ شَتّى مِنْ قِلَّةِ الوَرَعِ والتَّخْلِيط، وضَعْف الدِّين والرّأي.

وظَهَرَ مِنْ أبي طالبٍ الرّازيّ أَشْياءُ مِنْ نحو هذا أخرى شاعَ بها خَبَرُهُ، وانْكَشَفَ عَنْ عبد الجليل القَزْوينيّ أنّه إماميٌّ لا زَيْديّ، وأنّه من جملة مُتَعَيِّشةِ التُّجّار ليس في عِداد ذَوي الفَضْل في الدِّيانة منهم، ولا يُوثَق بشهادته.

ثمّ قرأتُ بعد أيّامٍ في **(تعليقِ الإفادة)** وبعضِ كُتُبِ آل رسول الله، صلّى الله عليه، أنّ الإمامةَ تَصِحُّ بالتَّواتِرِ، ولا تَصِحُّ بالشّهادة، ونحو ذلك ممّا قد كان نَطَقَ به الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله، فرأيتُ مِنْ خَشْيتِهِ وفَزَعِهِ مِنَ الله عند تَذْكيري له بِهِ في هذه القِصّة؛ وما أُخْبِرتُ به مِنْ ذلك ومِنْ صَواب رَأْيِهِ في قِلَّةِ الانْخِداع لِمِثْلِ هذه الدَّعَوات والتَّحَرُّز مِنَ الشُّبُهات ومُوافَقة نَظَرِهِ لنُصُوصِ الأئمّة، عليهم السّلام، وقوّة تَبيِّنِهِ فيما يَمُرُّ به مِنَ الأُمُورِ ما يَشْهَدُ عندي له بصِدْقِ ما أُخْبِرْتُ بِهِ ممّا لم أَرَهُ مِنْ أَخْبارِهِ الحكيمة المتقنة، وخَشْيَتِهِ مِنَ الله الّتي هي مِنْ صفات العُلماء الحَسَنة.

وأَدْرَكْتُهُ وهو شيخٌ كبيرٌ، فكنتُ أذكرُ[٧٤] -بما أرى من هيبتِهِ ومِنْ شِدّة بَياضِ شَيْبَتِهِ- شَيْبَةَ القاسم بنِ إبراهيمَ، عليهما السّلام، وهَيْبَتَهُ، فإنّه جاء في أَخْباره: صفتُهُ بشِدّة بَياض الشَّيب، وشِدّة هَيْبَتِهِ واضحاً به مع تَواضُعِهِ وذلك لشُغْلِهِ بنفسه.

وحُكِي عَنْ محمّدِ بنِ منصورٍ أنّه كان يَقولُ: أوَظَنَنْتُم أنّا كنّا كُلَّما أَرَدْنا كَلَّمْناهُ؟ لقد كان له في نفسِهِ شُغْلٌ، وكأنّ شَفَتَيْهِ لا تَزالانِ تَتَلَمْلَمانِ بذِكْرِ الله وما يَتَعَلَّقُ بطاعته، صفةَ عيسى بن زيد بن عليٍّ، عليهم السّلام، فقد جاء في أَخْبارِهِ أنّه كان كذلك لا تَزالُ شَفَتاهُ تَتَلَمْلَمان بذِكْر الله سبحانه.

وأَخْبَرني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله قال: أقام عندي إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله أيّاماً في وقت العَنِبِ في سَنَةٍ كانت، فكان إذا دخل المُتَوَضَّأَ لطُهُورِ الصّلاة تُسْمَعُ له زَفَراتٌ تَكْثُرُ حتّى يَفْزَعَ منه مَنْ لا يَعْرِفُهُ. قال: فكان أَهْلي يَسمعونَهُ ويَسأَلُونني عَنْ شأنِهِ وخَبَرِهِ في

ذلك، فأُخْبِرُهم أنّ ذلك مِنْ أَهْوال النّار والموت ونحو ذلك، فانْتَفَعُوا بذلك فكانوا يخافون. وكنتُ أنا أَعْرِفُهُ بتلك الزَّفَرات، وكَثْرَة شُغْلِهِ بنفسِهِ، ومحاسبتِهِ وفزَعِهِ لها. فكانتْ رُؤْيَتُهُ تُذَكِّرُ بالله ووَعِيْدِهِ، وتَعِظُ أَكْثَرَ مِنْ كلامِهِ؛ وإذا فَكَّرْتُ في ذلك ذَكَرْتُ الحديث عَنْ محمّدِ بنِ واسعٍ، وهو خَبَرُ سَيّارٌ عَنْ جعفرٍ أنّه كان يَقولُ: كنتُ إذا أَحْسَسْتُ مِنْ قلبي قَسْوَةً أتيتُ محمّدَ بنَ واسعٍ، فنَظَرْتُ إليه نَظْرةً.

وجاءَ في الحديثِ عَنِ النَّبيِّ، صلّى الله عليه، أنّه قال: «**يا أبا ذرٍّ، المُتّقون الّذين يتّقون مِنَ الشّيءِ الّذي لا يُتَّقى منه**»[1]. وفي حديثٍ آخَرَ: «**لا يكونُ المؤمنُ مؤمناً حتّى يَدَعَ ما لا بَأْسَ به حَذِراً ممّا به البأسُ**»[2].

فأَخْبَرَني غيرُ واحدٍ مِنَ الزّيديّة العُدُولِ أنّ إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثَم كان إذا ضَيَّفَ ضَيْفاً لا يَسْتَحِلُّ سُؤْرَهُ ولا يَرْجِعُ في مُلْكِهِ، ويَقُولُ كُلْهُ أو احْمِلْهُ، ويرى أنّه قد أَخْرَجَ ذلك عَنْ مُلْكِهِ بالنِّيّة فأَعْطاهُ إِيّاهُ تَمْلِيْكاً لا إباحةً، فلّما رأى ذلك يَشُقُّ على كثيرٍ مِنَ النّاس صار يَنْوي في قِرَى الضّيفِ الإباحة فله ما أَكَلَ ويَرْجع إليه ما أَفْضَل.

وأَدْرَكْتُهُ أنا على هذه الصِّفَة فأَكَلْتُ عندَهُ مع جماعةٍ وتَرَكْنا السُّؤْرَ[٧٥] فأَخَذَهُ.

وأَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ عبدِ الفاضلِ العُبَيْديُّ رحمه [الله][3] قال: كان في أيّام كونِهِ عندنا بمَدَر في البلد رَجُلٌ يلقّب رُكْبَة، واسمُهُ أَسْعَدُ، فاحتاج إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْث م رحمه الله إلى أَنْ يُكَلِّمُهُ في شيءٍ، ولم يكن دَرَى أنّ اسمَهُ أَسْعَدُ، فدَعاهُ بلَقَبِهِ، فلمّا كان ذاتَ يومٍ سَمِعَ داعياً يَدْعُوه بأَسْعَدَ، فنَزَلَ به قَلَقٌ واضْطِرابٌ وأَمْرٌ عظيم؛ حيثُ دَعاهُ بـ«رُكْبَة»، ولا عِلْم له أنّه لَقَبٌ، فبادَرَ إليه حتّى اعْتَذَرَ إليه، وتَضَرَّعَ في الصَّفْحِ منه عنه، وأَخْبَرَهُ أنّه ما عَلِمَ،

---

(١) لم أقف عليه في كتب الأحاديث.

(٢) المستدرك على الصّحيحين: ٤/٣٥٥، وفيه: «إنّ الرّجل لا يكون من المتّقين حتّى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس».

(٣) ما حُفّ بمعقوفين زيادة يتطلّبها السّياق.

فعَفا عنه وحَلَّله.

وكان ذلك الرَّجُلُ -فيما أَحْسِبُ- لا يَغْضَبُ مِنْ ذلك اللَّقَب، وكانتْ هذه الحكايةُ مِنْ أوّل ما تَأَدَّبْنا به، ونحن أَحْداثٌ، في تَجَنُّبِ الدُّعاء بالأَلْقاب ونحوها.

وأَخْبَرَني مهلهلُ بنُ أبي مسلم بنُ العمريّ الهَمْدانيّ، رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة مِنَ آل زُنَيْج مِنْ صِلّيت، تاب إلى الله تعالى وأناب، ولَحِقَ بوَقَش حتّى مات، وكان مَرْضِيًّا تَقِيًّا= قال: أَوْدَعْتُ إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثَمِ رَحِمَهُ اللهُ حَبًّا مِنَ الحُبُوب ثمّ أَتَيْتُهُ لَهُ فأَعْطانِيْهِ وانْصَرَفْتُ رائحاً إلى أَهْلي، وكانوا في ناحيةٍ أُخْرى بالمَغْرِب، فسِرْتُ حتّى تَباعَدْتُ عَنْ وَقَش، فلم أَلْبَث أن أَدْرَكني -أو قال: أَدْرَكني رَسُولُهُ- وفي يَدِهُ حُبَيْباتٌ مِنْ تلك الوَدِيعَة، وقال: هذه بَقِيَتْ مِنْ وَدِيْعَتِك، فاقْبِضْها وحَلِّلْنا. قال: فتَعَجَّبْتُ مِنْ ذلك، وقلتُ: وما هذه وما فيها مِنْ شيءٍ؟ فقال: خُذْها، ولا نَسْمَعُ منك قولاً في شيء.

وكان رَحِمَهُ اللهُ وأهلُ جِوارِهِ وشُيُوخُهم لا يرون إِظْهار فَقْرٍ ولا خَلَّةٍ ولا إِقْلال، ولا يشكون المَصائب، فرُبّما تَنْقَطِعُ نَفَقاتُهم وهم مُقْبِلُون على عِبادةِ رَبِّهم والعِلْمِ والتَّعليم لدِيْنِ الله، ودَرْسِ كُتُبِ الأَئمّة، عليهم السّلام، بعد كتابِ الله فمَنْ بَلَغَتْ درجتُهُ في اليقين بالله والإِخْلاص دَرَجَتَهُم ثَبَتَ معهم، ومَنْ قَصَّرَ عَنْ ذلك ضَرَبَ في الأرض وجال. ورُبّما يكون خُرُوجهم في الأَسْفار لعِلَلٍ وأَسْبابٍ غيرِ الطَّلَب ولا التَّعَرُّض لرِفْدِ أَحَدٍ، وكانوا يَتَحَرَّجون مِنْ أَخْذ الزّكَوات والأَعْشار، ويُؤْثِرون بها غيرَهم مِنَ المسلمين، وليس بأَكْثَرِهم غِنًى عنها، ولا هو ذو مالٍ ولا مُوْجِبَ يَمْنَعُهُ مِنْ أَخْذها، بل يكون أَحَقَّ بها مِنْ غيرِهِ، لكنّهم يَكْرَهون مُزاحَمَةَ أَهْلِها فيها. فكان فَضْلُ الله عليهم كثيراً[٧٦] لا يَنْقَطِعُون منه مِنْ إِحْسان.

لقد أَخْبَرَني الشّيخُ الحَسَنُ بنُ فُلْفُلٍ رَحِمَهُ اللهُ، وكان مِنْ أَفاضلِ الزّيديّة وعِباد الله الصّالحين، وهو في الأَصْل مِنْ أهل مَقْولَة مِنْ بلاد سَنْحان، ثمّ انتقلَ إلى بلاد وادِعَة

وغيرها= قال: سمعتُ يحيى بنَ جابرٍ المُعَلِّمَ، وهو مِنْ أَهْلِ حَبابَة، مِنْ أَعْمال شِبام إقْيان(١)، وكان رَجُلاً صالحاً مِنْ أهل بيتٍ صالحين يُحَدِّثُ بحَضْرَةِ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم وأبي القاسمِ بنِ شُجاعٍ، وكان أبو القاسم مِنْ عُبّادِ الزّيديّة وزُهّادهم وذَوي الفَضْل فيهم؛ فقال: كان جَدّي رَجُلاً مِنْ مَساكين المسلمين، فكان يَأْخُذُ مِنَ الزّكاة ما يَقُوتُهُ ووَلَدَهُ مِنْ دون النِّصابِ، وكانت له بَناتٌ يُعَلِّمُهُنّ القرآن، فإذا أَكَلُوا ما عندهم مِنْ تلك الزّكاة قال لأَهْلِهِ: انْظُروا ما تَناثَر مِنْ حَبٍّ فالْتَقِطُوُه، ويأَمُرُهُم بأَنْ يَنْخُلُوا الحُسَّة(٢)، وهي النُّخالة مِنْ قُشُور الشَّعِير. فإذا فَعَلُوا، أَمَرَهُم بأَنْ يَأْكُلُوا ما اجتمع مِنْ ذلك ولو قَلَّ، ثم يَبْقون بعد ذلك يوماً أو يومين لا يأكلون شيئاً، فعند ذلك يَقْدَمُ على المسألة لشيءٍ آخَرَ، فيَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ ويَطْلُبُ مِنْ مالِ الله ما وُهِبَ له.

قال الحَسَنُ بنُ فُلْفُلٍ ﵀: فلمّا سَمِعَ ذلك إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْث م ﵀ أقبل على أبي القاسم بنِ شُجاعٍ؛ وقال: احْفَظِ الكلامَ، يا أبا القاسم، وانْظُرْ هَلْ بَقيَ ممّن يَفْعَلُ مثلَ هذا أَحَدٌ. فكانوا رحمهم [الله](٣) يَتَسابقون إلى أعلى المَنازِلِ في الوَرَع والزُّهْدِ والتَّوَكُّلِ على الله سبحانه، ويَنْدُبُ بعضُهُم بعضاً إلى ذلك.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ ﵀ قال: انْقَطَعْتُ نَفَقَةُ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم ﵀ أيّامَ كان بمَدَر مِنْ مَشْرِقِ حاشِد، ونَفَقَةُ مَنْ كان معه مِنَ الزّيديّة يومئذٍ هناك. وكانوا أَهْلَ مُواساةٍ لا يَعْلَمُ أَحَدٌ منهم بعُدْمِ صاحِبِهِ إلّا قاسَمَهُ فيما عندَهُ مِنْ رِزْق، وكذلك كانوا [بـ]سَناع(٤).

---

(١) قوله: «**إقيان**» كذا رسم الهمزة في المخطوط، والمشهور فيه: أقيان.

(٢) قوله: «**الحُسَّة**» بضمّ الحاء المهملة ثم سينٌ مهملة مفتوحة مشدّدة؛ كذا ضُبِط في المخطوط، وفي المعجم اليمني (١/٢٦٨): «الحِسَّة» بكسرٍ ففتح.

(٣) ما حُفّ بمعقوفين زيادةٌ يحتاجها السّياق.

(٤) ما حُفّ بمعقوفين زيادةٌ يحتاجها السّياق.

قال: وكان منهم طائفةٌ مُقِيْمين، وطائِفةٌ مُسافرين في بلادٍ شَتّى، فبَيْنا هم في عشيّة مِنْ عَشاياهم في المسجد جُلُوسٌ يَتَحَدَّثون في أَمْرِ دِيْنِهم ويَتَذاكَرُون فيه، ويَذْكُرُون الله تعالى، وأَكْثَرُهم لا شيء عندَهُ إِذْ قام رَجُلٌ[٧٧] مِنَ الحَلْقَة، فقال له إبراهيم: أين أُراكَ تُرِيدُ، يا أَبا فُلان؟ قال: أَطْلُبُ عَشاءً للأَهْلِ، فإنّه لا شيءَ عندهم في هذه اللّيلة. فقال: يا سبحانَ الله، فأينَ اليقينُ، وأين تَأْثيرُ المعرفة بالله؟ ثمّ أَمَرَهُ بالقُعُود والتَّوَكُّل على الله تعالى، والثّقَة بقولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ الطّلاق:٢-٣]. فبَيْنا هم قُعُودٌ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ معه حِمْلانِ مِنْ طَعامٍ ومعه دنانيرُ، فلمّا سَلَّمَ عليهم قال: أَيُّكم إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم؟ فدَلُّوهُ عليه، فقال: يا أبا إسحاق، أنا رَسُولُ الحسينِ بنِ عبدِ الحميد، وقد بَعَثَ معي بهذه الدّنانير، وهذين الحِمْلين. فتَقَبَّضَ كذا وكذا، وتَبْعَثُ إلى أَهْلِهِ بكذا وكذا.

وكان الحسينُ بنُ عبدِ الحميد أَحَدَ الأَفاضل والعُبّاد الزُّهّاد منهم، وهو ابنُ خالةِ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم؛ أُمُّهاتُهما مِنْ بَناتِ نَهْدِ بنِ الصّبّاح. وكان سَلَكَ ناحيةً مِنَ المَشْرِق وأَعْمالِ السِّرّ، فبَرَّهُ قومُهُ بشيءٍ وبَرُّوا إبراهيمَ بشيءٍ، قال: فدَفَعَ إبراهيمُ نصيبَ الحسينِ بنِ عبدِ الحميد ممّا بَعَثَ به إلى أَهْلِهِ.

ثمّ جَمَعَ إبراهيمُ الجماعةَ مِنْ إِخوانِهِ أولئك فقَسَّمَ ما أَتاهُ بينهم، وأَعْطَى نصيبَ الغائب منهم أَهْلَهُ حتّى لم يَبْقَ معه إلّا قُوتُ ليلتِهِ تلك له ولأهلِهِ.

وقد أُخْبِرْتُ أنّهم كانوا بعد نُزُولهم بوَقَش يفعلون مثل هذا، فناهِيْك بقَومٍ هذه أَخْلاقُهُم في مثلِ زَمانِهم ذلك.

وقد كان أحمدُ بنُ الحسين الحَذّاءُ الصَّنْعانيُّ، ويُعْرَفُ بالبَلْخيّ، وهو مِنَ الزّيديّة المَسْتُورين، يُخْبِرُ عَنْ إبراهيمَ النَّعُوس الصَّنْعانيِّ، وقد أَدْرَكْتُهُ شيخاً كبيراً، أنّه كان يَقْعُدُ بمَجْلِسِهِ مِنْ سُوقِ الأَساكِفة بصَنْعاء، فإذا وَقَفَ عليه إِنْسانٌ يَقولُ له: ما فَقَدْتَ؟ فمنهم

مَنْ يُجِيْبُهُ بِما لا يُرِيدُ، ومنهم مَنْ لا يُجِيبُهُ. فمَرَّ بِهِ ذاتَ يَومٍ رَجُلٌ، ثمّ وَقَفَ فقالَ لَهُ: ما فَقَدتَ؟ فقال: العافية. قال: منذ كم؟ قال منذ قام هذا الدّاعي، يعني الصُّلَيحيَّ. قال: فأَعْجَبَهُ ذلك منه، وكأنَّهُ وافَقَ بُغْيَتَهُ فاتّخذَهُ صَديقاً، وحَسُنَتْ مُوافَقَتُهُ له وإخوّتُهُ مدّةَ مَقامِهِ بصَنْعاءَ إلى أَنِ انْتَقَلَ إلى أَثافت.

وحَسْبُكَ مِنْ ضَرَرِ ذلك الزّمانِ على الدِّيانةِ أنَّ كثيراً مِنَ المُدّعين لها -العائبين على عَمْرِو بنِ العاص بَيْعَهُ دِيْنَهُ مِنْ معاويةَ بمِصْر- باعَها بالأَكْلَةِ والشَّرْبة والكلمة. وسيَمُرُّ ذِكْرُ بَعْضِ مَنْ فَعَلَ ذلك منهم، فيكون مثالاً لغَيْره ممّن لم نَذْكر(١).

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله قال: دَخَلَ الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم صَنْعاء، وأنا معه، فقَصَدَنا مسجداً كان في شارع آل أبي يَزيدَ قريباً مِنْ دار عليِّ بنِ أبي يزيد[٧٨]، فإذا هو خَرِبَة فيه ما يُقْذي النّاظر، ويُشْجي قَلْبَ المؤمن، فلمّا نَظَرَنا إليه رَفَعَ إبراهيمَ رحمه الله رأسَهُ إلى دارِ آل أبي يَزيد فنَظَرَ إليها فإذا هي شامخةٌ مُنِيفةٌ في الهواء معمورةٌ بأَحْسَنِ العِمارة، فالْتَفَتَ إليّ، وقال: أما الّذي أَحَبُّوهُ فانْظُر كيف قد جَعَلُوهُ، وأمّا الّذي لا حاجة لهم إليه ولا غَرَضَ فيه فخَرِبَةٌ كما ترى. قال: ثمّ أَخَذَ بيديْ، فخَرَجْنا إلى المقابر، فأَتَى مقبرةَ الصُّلَيحيِّين فجعل يَنْظُرُ إلى عِمارة قُبُورهم وتَزَيُّنها بالأَصْباغ والنُّقُوش والزَّخارف، ثمّ التفتَ إليّ ثمّ قال: أَمَا تَرَى إلى ما صَنَعَ هؤلاء القوم بأَنْفُسِهم، أَخَذوا أَمْوالَ اليَتامى والمَساكين فأَنْفَقُوها على الجِصِّ والطِّيْن، فظَلَمُوا وأَثِمُوا، ولم يَنْفَعُوا ولم يَنْتَفِعوا، ماذا أَغْنَتْ عنهم زَخْرَفَةُ القُبُور وتَزْوِيْقُها، بل ما رَجَعَ به عليهم تَشْهِيرُها وتَشْرِيْفُها! في كلامٍ هذا مِنْ مَعْناه.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ قال: أَتَى إلى إبراهيمَ بنِ [أبي](٢) الهَيْثَم، وهو يومئذٍ

---

(١) يحتمل الرّسم: «يذكر» أيضاً.

(٢) ما حُفّ بمعقوفين يتطلّبه صواب نسب الرّجل.

بسَناع، رَجُلٌ فسأَلَهُ عمّن تُجْبِرُهُ الظَّلَمَةُ على الخُرُوج معهم في العَساكر والجُيُوش لحَرْبِ مَنْ يُحارِبُونَهُ، فإنِ امْتَنَعَ عُوْقِبَ في ماله؟ فقال ﷺ: إنّ الله سبحانه أراد مِنَ الخَلْق أن يَفْتَدُوا أَنْفُسَهم بأموالهم، وأن يفتدوا أَدْيانهم بأنفسهم وأموالهم، فافْتَدوا أَمْوالهم بأَنْفُسِهم وأَدْيانهم. أراد ﷺ قوله تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[1] [الصّفّ:٢٠] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ الآية[التّوبة:١١١].

وأَخْبَرَني نُجَيمُ بنُ عبد الله بن أبي العريض، رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ شَظَب مِنْ أَفاضل الزّيديّة، لا أَعْلَم فِيْمَنْ نَشَأَ منهم ببلادنا أَفْضَلَ منه في وُجُوهٍ مِنَ الخَيْر كثيرةٍ= قال سمعتُ مَنْ لا أُحصي مِنَ الزّيديّة الصّالحين يُخْبِرُون أنّه لـمّا اضْطُرّتِ الزّيديّة إلى الخُرُوج عَنْ سَناع إلى بعض البُلْدان، وطَلَب المَساكن، وذلك لـمّا أَشْفَوا عليه مِنَ الهَلَكَة بأَيْدي الظَّلَمَة مِنْ جَوَرَةِ المُلُوك، وقَصَدُوا بِهِ مِنَ الشَّرّ شَقَّ عليهم ذلك وعَظُمَ، ولم يَسْمَح أَحَدٌ منهم بفراق أَخِيْهِ، وقالوا: نَخْشَى أَنْ نَمُوتَ في شِعابِ الأرض وبُطُون الأَوْدية لِـما نتخوّف في أَوْدية البلاد -الّتي بين الجبال المَنِيعة مِنَ السّلاطين- مِنَ الحُمّى والأَوْباء والأَسْدام[2] ونحو ذلك.

فكَثُرَ تَرَدُّدُهم وإِحْجامُهُم عَنْ ذلك وأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ الموت وتَخَوُّفِهِ في البلاد الرَّدِيَّة، قال: فلمّا رَأَى ذلك إبراهيم بن أبي الهَيْثَم ﷺ[٧٩] قال: وَيْحَكُمْ، اطْلُبُوا الموتَ ما دُمْتُم تَجِدونَهُ قبل أَلّا تَجِدُوهُ إذا طَلَبْتُمُوهُ. يعني في النّار، ففَهِمَ القومُ ما أراد، فرَحَلُوا بأَجْمَعِهم.

---

(١) في المخطوط: «جاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم»، وثمّة خلطٌ بين آياتٍ عدّة، ففي سورة الصّفّ قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾، وفي سورة التّوبة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾، وفي التّوبة أيضاً قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

(٢) **الأَسْدام**: جمع السُّدْم والسُّدُم، وهو المياه المتغيِّرة.

وأَخْبَرَني بمِثْلِ ذلك أبو الجَيْش بنُ العلاء التُّهانيُّ، وقال في حديثِهِ: فبَكَوا ثمّ تَفَرّقوا فيما أَمَرَهُم به.

فأَخْبَرَني غيرُ واحدٍ مِنَ الزّيديّة الثِّقات[1] في العَصْر قالوا: جَعَلَ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم بعد ذلك يَجُولُ في البلاد، ويَطْلُبُ المَساكنَ ويَخْتارُ حيثُ يَصْلُحُ له[2] ولإِخْوانه مِنَ المنازل، فأَصاب وادي وَقَش خالياً مِنَ السُّكّان بين جِيرانٍ يَرضاهُم مِنْ بني شِهاب وحِمْيَر، مِنْ أَهْل البَرَوِيَّة وأَهْل حَضُور وقومهم مِنْ قُضاعة، نَحو بني مَطَر، وهم مِنْ خَولان قُضاعة، وبني سُوَيد وهم مِنْهم، وحُرْثان وهم قومٌ مِنْ نَهْد؛ فشاوَرَهم في النُّزُول بينهم، ففَرِحُوا بذلك وعَقَدُوا له الجِوار، واشْتَرَط الشّرائط الّتي بها يكون حاكماً لا محكوماً عليه، فعَقَدُوا له ذلك ووَفَوا له إلى الآن. ثمّ انْتَقَلَ إلى ذلك الموضع هو وإخوانُهُ أولئك فصار هِجْرَةً تُقامُ فيها الصّلاة وتُؤَدّى الفَرائض، ويُعْبَدُ الله فلا يُعْصَى، ويُتَعَلَّمُ العِلْمُ، ويَحْيا فيها الدِّين حتّى قامتْ بالحُجَّة لله على أَهْلِ العَصْرِ مَقامَ الإمام الدّاعي إلى ربِّهِ المُشْهِرِ سَيْفَهُ، مَنْ تاب مِنْ أَهْل البلاد لَجَأَ إليها، وفَرَّ بدِيْنِهِ إلى أَهْلها. ومَنْ جَهِلَ شيئاً أَتاها للبَحْثِ والسُّؤالِ عنه. ومَنْ نَبَا به مَحَلٌّ مِنْ ظالمٍ غاشم هَرَبَ إليها للأَمْنِ والعزّ، ومَنْ أَهَمَّهُ أَمْرُ مَعادِهِ ومَعاشِهِ أَتاها مُتَوَكِّلاً على الله فأَتاهُ فَضْلُهُ مِنْ حيثُ لا يَحْتَسِب، وتُسُومِعَ بها فوق ما كانت السُّمْعَة بسَناع فانْتَهى ذِكْرُها إلى أَطْراف الآفاق، فضُرِبَتْ إليها آباطُ الإِبِلِ، وطُوِيَتْ إليها المَراحلُ، ونَفَعَ الله بها مَنْ أَرادَ وَجْهَهُ مِنْ خَلْقِهِ. وكانت محنةً لدَعْوى المُدَّعِين للدِّين: مَنْ أَتاها وصَبَرَ بها على مَشَقَّةِ بَرْدٍ أو أَذَى فَقْرٍ أو خُشُونَةِ عَيْشٍ مُؤْثِراً للعِبادَة وطَلَبِ العِلْمِ والمَعْرفةِ انْكَشَفَ الأَمْرُ عنه بأنّه مِنْ خالص الله وأهل وُلايَتِه. أو مَنْ قَصَدَها هارِباً بدِيْنِهِ لا يَبْتَغي عنها مَذْهَباً، مع عِلْمِهِ بأَنَّهُ سيَفْقِدُ خِصْبَ عَيْشٍ كان فيه، ورَفاهِيَة حالٍ، وخَفْضِ

---

(١) في المخطوط: «الثقاة».

(٢) في المخطوط: «له من» بزيادة (من).

دُنْيا، ويَتَبَدّلُ بِهِ ضدّه فكذلك. ومَنْ خَرَجَ عنها طالباً سَعةَ العَيْشِ، ولِيْنَ المَتاع، ودَعَةَ البَدَنِ، وراحَةَ النَّفْسِ ممّن يَغْشاها عَنْ غِرَّةٍ بما يمكن أَنْ يُمْتَحَنَ به المُعْرِضُ عَنْ طَلَبِ الدُّنْيا. أو مَنْ يَعَضُّهُ نابُ البُؤْسِ، ويَضْغَطُهُ ضِيْقُ الحال ممّن وُلِدَ بها، انْكَشَفَ الأَمْرُ عنه بأنّه ممّن فَتَنَهُ الله وخَذَلَهُ، وخَلّا بينَهُ وبين الشّيطان ووَكَلَه.

وقد يُوجَدُ ذلك في كثيرٍ مِنَ[1][٨٠] الأَحْداثِ والشُّبّان النّاشئين بها، وكذلك سَناع قَبْلَها نحو مَن سَنَذْكُرُهُ ممّن يَقْتَضِي ذِكْرُهُ موجبٌ في الكتاب، ويوجد في وارد إليها، كانت بيَدِهِ دنيا ظَنَّ أنّها لا تَفْنَى، ورُزَقٌ تَوَهَّمَ أنّهُ سَيَبْقى، فلمّا تمّ إِنْفاقُهُ لِما صَحِبَهُ مِنْ عَرَضِ دُنْياهُ قَلَّ صَبْرُهُ وضَعُفَ تَوَكُّلُهُ، أو غَلَبَهُ وَلَدٌ أو امرأةٌ تَحُثُّهُ على رَأْيِهِ فأُزْعِجَ فانْزَعَج، وأُخْرِج فخَرَج.

أَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ رَحِمَهُ الله قال: قَدِمَ علينا[2] إلى وَقَش رَجُلٌ كان مؤمناً مِنْ أَهْلِ صَنْعاء، يُعْرَفُ بمحمّدِ بنِ فُقَيمٍ، بأَهْلِهِ وولدِهِ، عاملاً على الحُلُول معنا والإقامة بيننا، وقد كانتْ جَرَتْ عادةٌ مِنَ المسلمين هناك بقِرَى الوافد أيّاماً. فلمّا انْقَضى ذلك وصارَ إلى الإِنْفاق ممّا في يَدِهِ عَمِلَتْ امرأتُهُ عَشاءً لهم بحِلْبَةٍ بلا لَحْمٍ فأَنْكَرَتْ ذلك، وأَحْسِبُهُ قال: ثمّ عَمِلَتْ لهم عَشاءً آخَرَ بلا سَمْنٍ فازدادَ ثِقْلُ ذلك عليها، وضَجَّتْ منه فقالتْ: يا رَجُلُ نَأْكُلُها عاريةً، وبلا سَمْنٍ؟ قال: نعم، وإن بَقِيْتِ أيّاماً لم تَأْمَني أَنْ نَصيرَ بلا خُبْزٍ. فارْتاعَتْ وصاحَتْ، ثمّ صاروا إلى عُدْمٍ وإِقْلال، فحَمَلَهُ على الرُّجُوع إلى صَنْعاء فرَجَعَ. وقد أَدْرَكْتُهُ بها أنا شيخاً أعرفُهُ ولا خُلْطَةَ لي به.

وكان بعضُ أولاد الأَغْنياء وخَدَمِ الدّولةِ بصَنْعاء قد حَدَّثَتْهُ نفسُهُ بقَصْدِ وَقَش على وَجْهٍ قد خَطَرَ ببالِهِ، فلم يكن يَظْهَرُ منه عَلامةُ رَغْبَةٍ في الدِّيْن ولا قَصْدٌ صحيحٌ غيرَ أنّه قد

---

(١) كتب على هامش المخطوط «ومسجد إبراهيم بن أبي الهَيْثَم معروفٌ بوَقَش إلى الآن، وهو ومسجدُ الشّمس مسجدَا وَقَش القديمان، وإليهما كانت تُشَدُّ الرِّحال وإيّاهما عَنَى مَنْ قال: (من البسيط)

(٢) ضبّب في المخطوط على العين بخطّ مخالف بما يحملها على أن تؤول إلى: «إلينا».

طَهُر[1] وصلّى، وتَظاهَرَ بما لا بُدَّ له منه من ظاهر الإسلام فلَذَعَهُ بَرْدُ الطَّهُور، وأَذَى السَّهَر مع الجماعة في خَلْوةِ الذِّكْر، والتَّحَفُّظ مِنَ النَّجاسة، والغَسْل مِنَ الجَنابَة، والتَّناوب بالمسائل، والاعتراض بالدّلائل، والتَّنْبيهات على ما يَفِيض فيه مِنْ محظورٍ أو مَكْروهٍ تعليماً وتَهْدِيةً، كما يلزم الوليّ للوليّ، ويجب مِنَ النّصيحة لدِين الله تعالى. فأصبحَ ذات يومٍ هارباً لا يَلْوي على شيءٍ حتّى لَحِقَ بدارِ أَهْلِهِ.

فأَخْبَرَني أخي جعفرُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيّ، وكان يومئذٍ بوَقَش، قال: لـمّا رآى ذلك الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم قال: شِعْبُنا هذا مَطْرَدَةٌ للسِّفْل. فامْتَحَنّا كلامَهُ هذا، فلم نجد أَحَداً فارَقَهُ قالياً له كارهاً إلّا وهو كذلك. وبُرْهانُ ذلك باقٍ إلى الآن يوجد في كلِّ أَوانٍ كذلك. فمَنْ رابَهُ هذا فلْيَنْظُرْ يَجِدْ.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ ﵀ قال كان[٨١] إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم ﵀ يَقُولُ لمحمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ ﵀: حَدِّثنا حديثَكَ مع المَجَنّة فيحدِّثهم، وكان المَجَنّة رَجُلاً مِنَ أَهْل شِبام يعملُ مع محمّدِ بنِ إبراهيمَ في دُكّانِهِ أيّامَ كونِهِ بها، وكان محمّدٌ صَيْقَلاً يعمل أَجْفان السُّيُوف، ويُجَلِّدُ الدَّفاتر والمَصاحف، فكان يُقيمُ بشِبام وقتاً، ويأتي وَقَش فيُقِيمُ بها وَقْتاً يَتَعَلَّمُ ويَتَأَدَّبُ بأَخْلاقِ الدِّينِ، فإذا رَجَعَ إلى شِبام هو ومَنْ يكون معه قال لهم المَجَنّة: هل تدرون ما مَثَلُكُم؟ إنّما أنتم كقومٍ كانت لهم ثِيابٌ وَسِخَةٌ، قد اسْوَدَّتْ وَسَخاً ودَرَناً، فأَتَوا بها القَصّارَ فغَسَلَها وصَفّاها حتّى إذا صارت أَشَدَّ بَياضاً مِنَ الثَّلْج، أَخَذُوها فرَدُّوها في الرِّيْم.

و(**الرِّيْم**) بكسر الرّاء: وهو وَسَخٌ يجمعُهُ القَصّارون في جَرَّةٍ أو إناءٍ، ويجعلون معه بَعَراً مِنْ بَعَر الإِبِل أو غير ذلك، ويجعلون فيه الثِّيابَ الوَسِخَة، ثمّ يَعْرُكُونها فيه، ثمّ يُقَصِّرُونها فتَصْفَى. وهذا مِنْ معروف كلامِ أَهْل اليَمَن عندهم.

---

(١) **طَهَر**، بالفتح والضّم، كنَصَر وكَرُم؛ التّاج: (ط هـ ر).

وقد أَخْبَرَني أنا محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ بهذا، ونِعْمَ الموعظةُ هو.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله قال: سأَلَ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله رَجُلاً عَنْ مسألةٍ، فأجاب فيها بجَوابٍ مُقْنِعٍ، فسَكَتَ، والْتَفَتَ إلينا، فقال: إنّ هذا الجواب -وإن كان حَسَناً- غيرُ كافٍ في هذا. قُلْنا: ولِمَ؟ قال: لأنّه لو رَجَعَ عليه مِنْ طريقٍ أخرى وأَكْثَرَ تَقْلِيْبَهُ، نَقَضَهُ وخَرَجَ منه إلى غيره. وإنّما يُقْبَلُ مِنْ جوابِ الرَّجُلِ ويُوْثَقُ بِهِ ما كان معقولاً قد بَناهُ على أَصْلِ قَدْرِ فَهْمِهِ، يرجِع إليه متى شاء، ويَنْظُرُ فيه حتّى يخرجَ جوابُهُ مستقيماً؛ فإنِ اعْتَرَض عليه باعْتِراضٍ بعد اعْتِراض، أو غَيَّرَ لَفْظَ السُّؤالِ أَتَى بجَوابٍ واحدٍ؛ لأنّ معنى المَسألةِ واحدٌ وإنِ اختلف أَلْفاظُها، ويَسْتَضْعِفُ مِنَ الأَجْوبة ما جاء بالاتِّفاق مِنْ غيرِ نَظَرٍ معقول.

وأَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ عبدِ الفاضل العُبَيْديُّ رحمه الله قال: قال إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم لجماعةٍ كانوا عنده، سَمِعَ مِنْ بعضِهم أَجْوُبَةً في المسائل دالّةً على ضَعْفِ بِنائه: ما أُشَبِّهُكُم إلّا برَجُلٍ كان له ابنٌ حَدَثٌ غِرٌّ، فسأَلَهُ أن يُعَرِّفَهُ الأشياءَ حتّى يَعْرِفَ أَجْناسَها وأنواعها وحُدُودها، فأجابَهُ إلى ذلك وقال له: أُرِيْكَ الأشياءَ عِياناً إنْ شاء الله. فقَعَدَا على طريقٍ سابلةٍ بحيثُ تَمُرُّ بهما أَشْياءُ كُثُر، فأوّل ما مَرَّ بهما غَنَمٌ مع راعي، فقال: ما هذه يا بَهْ؟ قال: يا بُنَيَّ، هذه الضَّأْن. فقال: وبِمَ أَعْرِفُها حتّى أكون متى مَرَّ بي شيءٌ عرفتُهُ بأنّهُ مِنَ الضَّأن؟ قال: بهذه الأَصْواف والأَظْلاف والخَراطِيمُ والأَذان والأَلاياء وهذه المِشْيةُ وهذا الثُّواجُ وهذه الضُّرُوع، فلم يترك أَمارةً بمثلها تُعْرَف[٨٢] الضّأنُ إلّا أَراهُ إيّاها عِياناً. فلمّا وَلَّتْ تلك الغَنَمُ أَقْبَلَتْ غَنَمٌ أخرى بلونٍ آخَرَ، فقال الغُلامُ: فما هذه؟ قال: يا بُنَيَّ، فقد فَرَغْتُ مِنْ تعريفك لهذا الجِنْس، هذه الضّأنُ. فقال: فهذه بِيْضٌ وتلك سُودٌ. قال: إنّها ضَأْنٌ وإنِ اختلفتْ أَلْوانُها، أَمَا تَرَى هذه الأَصْوافَ كتلك الأَصْواف وهذه الأَلاياء وهذه الأَظْلاف وهذا الثُّواج، وذَكَرَ ما يختصُّ بالضّأن. فلمّا وَلَّتْ أَقْبَلَتْ أخرى لها لونٌ آخَرُ، فصاح به الغُلامُ وقال: فما هذه؟ فرأى أنّهُ لم

ينتفع بما تقدّم له مِنَ التّعريف، فقال: وَيْحَك، إنّها ضَأْنٌ. يريد ﵀ بهذا جَهْلَهم بمَعاني العُلُوم والمَسائل إذا وردتْ في قَوالب أخرى وأَلْفاظٍ سوى الأولى.

مثالُ ذلك إجماعُ شيعةِ الهادي إلى الحقّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، على أنّهُ ليس لله مفعولٌ على الحقيقة، ونَصّ الهادي، عليه السّلام، على ذلك، وكَسره له بالحجّة في كثيرٍ مِنْ كُتُبِهِ نحو كتاب (**التّوحيد**) الّذي نعرفُهُ الآن بـ(**المسترشد**) و(**مسائل** عليّ بن محمّد بن عُبَيد الله العَلَويّ) وغير ذلك. ودلالة ذلك على أنّ تَوَسّط الأَعْراض بين الله وبين الأَجْسام يُوجبُ مباشرته للأَجْسام أو قيام الأَعْراض به، وهذا تَشْبيهٌ مَحْضٌ قد فَسَّرَهُ، عليه السّلام. فإذا عَقِلَ ذلك الرّجل عَقْلاً وفَهِمَهُ بَطَلَ عنده أَنْ يكون لله إرادةٌ غيرُ مُراده، وصُنْعٌ غيرُ مصنوعه، وخَلْقٌ غيرٌ مخلوقه، وتَدْبيرٌ غيرُ مدبَّره، وتركيبٌ غيرُ المركّب، وقَصْدٌ غيرُ المقصود، وفِطْرةٌ غير المَفْطور.

وإنْ حَفِظَهُ حَفِظَ حِفْظاً تقليداً، ولم يعقلْهُ عَقْلاً كان إذا احْتجّ عليه في إِبْطالِ أَنْ يكون لله إرادةٌ غيرُ المُرادِ، فاعتقد بُطْلان ذلك جَوَّزَ أَنْ يكون له فِعْلٌ غيرُ المفعول، وإذا لُقِّن بُطْلان[1] هذا ولم يعقلهُ جَوَّزَ أَنْ يكون له صُنْعٌ غيرُ المصنوعِ، وقَصْدٌ غيرُ المقصود، وتركيبٌ غيرُ المركّب، وتدبيرٌ غيرُ المدبّر، ووَقَعَ مع بعض المعتزلة في الغَلَط والتّشبيه. فهذا مثالٌ يُعْرَفُ به معنى ما أراد الشّيخ ﵀ في هذا المَثَل الّذي ضَرَبَهُ.

وأَخْبَرَني الشّريفُ دُبَيْس بن محمّدٍ الحَسَنيُّ، وهو مِنْ وَلَد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالبٍ، عليه السّلام، ثمّ مِنْ بني أبي حَنْظَلَة[2] منهم، وكان مِنْ أَهْل الحِجاز، ثمّ مِنْ أَهْل يَنْبُع قال: قدمتُ اليَمَن لطَلَبِ العِلْم، فانتهيتُ إلى ذي جِبْلة، وذلك في أيّام المُفَضَّل بنِ أبي البَرَكات الحِمْيريِّ الملكِ بالتَّعْكَر، فطلبتُ التّعليم بها لأنّي

---

(١) بعده في المخطوط كلمة صغيرة، كأنّه ضرب عليها.

(٢) قوله «أبي» عن هامش المخطوط.

كنتُ أَرَى أَنّ مَنْ بها مِنْ أَهْلِ الباطن هم الشِّيْعة لقولهم بإمامة أمير المؤمنين عليٍّ[٨٣](١) بنِ أبي طالبٍ، صلواتُ الله عليه، فلمّا رأيتُ ما ينكرُ مثله منهم أَمْسَكْتُ ولَبِثْتُ حتّى أَتَى سَفْرٌ مِنْ بَكيل أَلْهان وخَوْلان العالية، فذكرتُ لهم خَبَري، فقالوا: قد عَدَلْتَ عَنْ غَرضِك، وحِرْت عن بُغْيتك. ثمّ أَخْبَروني بوَقَش وأَهْلها فلمّا وَعَيْتُ صفاتِهم اسْتَصْوَبْتُ الرُّجُوع إلى الحِجاز لأَهْلي. فأَقْبَل بهم حتّى أَتَى الكَدْراء مِنْ سَهام، فاتَّفَقَ أَنَّهُ لَقيَ بها رَجُلاً ممّن يَنْزِلُ وَقَش فارْتَحَلَ صُحْبَتَهُ حتّى أَتَى وَقَش. قال: فلمّا صِرْتُ بها أَتَيْتُ إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثَم، فذكرتُ له خَبَري، وما جِئْتُ له. فقالَ: مرحباً وأَهْلاً، أيّها الشّريفُ. ثمّ أَوْصاني فقال: احْفَظ عَنِّي، لا تَقْصِدَنَّ إلّا اللهَ وحدَهُ لا شريك له، ولا تُعَوِّلْ على أَحَدٍ مِنَ النّاس، وخَفِّفِ المَؤُونةَ عَنِ المسلمين، ولا تَتَّكِلْ عليَّ دون الله، تُصِب وتَرْشُد إنْ شاء الله. ففَعَلَ ذلك الشّريفُ فأَصابَ خيراً، وتَعَلَّمَ أَصْلاً مِنَ العِلْم نَفَعَهُ اللهُ بِهِ ومَنْ شاء مِنْ قومِهِ وأَتْباعِهِ، ولَبِثَ باليَمَن زماناً طويلاً، ثمّ رَجَعَ إلى الحِجاز.

وكان إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله معروفَ البَرَكة في قولِهِ وفِعْلِهِ وجُوارِهِ وعِشْرتِهِ وصَحابتِهِ، مَهيباً عند الظَّلَمَةِ مِنَ السّلاطين مراعي الحَقّ، قد ظهرتْ له آياتٌ وكَراماتٌ ممّا يجوزُ وُجُودها للصّالحين، وفيهم ومِنْ أَجْلهم.

ولقد أَخْبَرَني مِنْ ذلك الزّيديّة بما لعلَّهُ عندهم معروفٌ إلى الآن، واخْتُصِصْتُ مِنْ ذلك بخَصائصَ مِنْ خَبَرَ غيرِهم. ولا كما سمعتُهُ مِنْ عبدِ الله بنِ سالمٍ الحَضْرميِّ، المعروف بابن البَوّاب، وكان رَجُلاً له بي معرفةٌ متقدّمة، ثمّ غاب عَنِ البلد إلى نواحي صَعْدَةَ وغيرِها، وكنتُ قد أتيتُ وَقَشَ في غَيْبَتِهِ تلك مرَّتين أو مَرّاتٍ، ثمّ التقيتُ أنا وهو عندنا بشَظَب، وكانت له به أُخْتٌ وبنو أُخْتٍ، فسألتُهُ عَنْ شيءٍ مِنْ خَبَرِهِ، وسَأَلَني عَنْ شيءٍ مِنْ خَبَري وغَيْبَتي؟ فلمّا عَلِمَ بأَنّي قَدِمْتُ مِنْ وَقَش؛ قال لي: إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم

(١) كُرّر في المخطوط قوله «عليّ» مرّة في نهاية الورقة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

يَعيشُ أم لا؟ قلتُ: بل يعيش. قال: لقد رأيتُ مِنْ أَمْرِهِ عَجَباً. قلتُ: وما ذاك؟ قال: كان الأميرُ سَبَأُ بنُ أحمدَ بنِ المُظَفَّرِ الصُّلَيحيُّ في بعضِ إقامتِهِ ببيت بَوْس قَدِ انْقادَ له الشِّهابيُّون إلى بعض الأَغْراضِ، وكنّا في خِدْمتِهِ، فبَعَثَنا بكُتُبُ على الزِّراعات في بعضِ ما هُوْدِنَ عليه[٨٤] مِنَ البلادِ، وأُغْضي له عنه، فنحنُ في ذلك إِذْ أَتَيْنا جِرْبَةً فيها ما ينبغي أَنْ يُخْرَصُ[1] ويُكْتَب، فحين دَخَلَها أَوَّلُنا طَلَعَ عليه ثُعْبانٌ عظيمٌ مثلُهُ يَرُوعُ الجَمْعَ، فحَمَلَ عليه وعلينا فانْهَزَمْنا عنه، ثمّ أَتَيْناها مِنْ جِهَةٍ أخرى فدَخَلَ أَوَّلُنا فإذا ذلك الثُّعبان أو غيرُهُ قد حَمَلَ عليه، فانْهَزَمْنا، فدُرْنا إليها مِنْ مَكانٍ ثالثٍ فكان كذلك، فتَعَجَّبْنا مِنْ ذلك، فقِيْلَ لنا: إنّها لرَجُلٍ عابدٍ بوَقَش يُقالُ له: إبراهيم بن أبي الهَيْثَم. فانْصَرَفْنا وتَرَكْناها إلى مُشاوَرة الأمير سَبَأ، فلمّا أَخْبَرْناهُ الخَبَرَ، قال: خَلُّوها وخَلُّوا ما فيها. فلم نَعْرِض لها بعدُ.

فهذا خَبَرٌ ابْتَدأني به رَجُلٌ لم أسألْهُ عنه، ولا كنتُ قد سمعتُهُ مِنْ غيرِهِ، وهو لا يَرَى رَأْيَ الزّيديّة، بل يَحْتَجُّ عليهم، ويُمَوِّهُ بما يحسنُ على العامّة في إثْبات رَأْيِ الصُّلَيحيِّين واعْتِقادَهم، يَدِين بذلك ويُصَرِّحُ به، وهو ممّن نَشَأَ في نِعَمِهم، وخَدَمَهم، وكان أَبُوهُ سالمٌ الحَضْرميُّ بَوّاباً للأمير سَبَأ بنِ أحمدَ الصُّلَيحيِّ على أَشْيَحَ وأَحَدَ ثِقاتِهِ وخُلَّصَ خَدَمِهِ.

وقد قلتُ فيه أيّامَ موتِهِ، وقد تَفَكَّرْتُ مِنْ أَخْبارِهِ في مِثْلِ هذا: (منَ السّريع)

فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَى مَيِّتٍ ماتَ ولم يَظْلِمْ ولم يُظْلَمِ
راقَبَ فِيْهِ ظالِمٌ رَبَّهُ وراقَبَ اللهَ فَلَمْ يَأْثَمِ
حَتَّى لَقَدْ قِيْلَ لِمَنْ يَدَّعي فَضْلاً: **أَأَنْتَ ابْنُ أَبي الهَيْثَمِ؟**

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ الله قال: كان إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم يُخْبِرنا قال: كان مِنْ

---

[1] **يُخْرَص**: من قولهم: خَرَصَ العَدَدَ يَخْرِصُهُ ويَخْرُصُه خَرْصاً وخِرْصاً، إذا حَزَرَه، ومِنْهُ خَرْصُ النَّخْلِ والتَّمْرِ، لأَنَّ الخَرْصَ إنَّما هو تَقْدِيرٌ بظَنٍّ لا إحاطَة. وقِيلَ: الاسْمُ بالكَسْرِ، والمَصْدَرُ بالفَتْحِ يُقَالُ: كَمْ خِرْصُ أَرْضِكَ وكَمْ خِرْصُ نَخْلِكَ؟ وفَاعِلُ ذلِكَ الخَارِصُ، والجَمْعُ الخُرّاصُ؛ التّاج: (خ ر ص).

مشائخ الصَّنْعانيّين شيخٌ يُعْرَفُ بالأَفْقَم، كان له نُسُكٌ، فسار في طريقٍ حتّى انتهى إلى زَرْعٍ لقومٍ قد وُطِئ حتّى اتُّخِذَتْ فيه طريقٌ، وكان قد مَرَّ به جَيْشٌ مِنَ الجُيُوش، فوَطِئوهُ وبَيَّضُوا تلك الطّريق، فسار، في تلك الطّريقِ وفي ذلك الزَّرْع، عَجُوزٌ، فقالت: يا هذا لِـمَ تَطَأُ زَرْعَنا؟ قال: أَوَ ما وَطِئَهُ أَحَدٌ غيري؟ فقالت: يا هذا، أَوَ كُلَّما سَلَكَ الظّالمون طريقاً سَلَكْتَها؟! فأَرْسَلَتها مَثَلاً، فكان المشائخُ، رحمهم الله، يَتَواعَظُون بهذا الخَبَرِ، وأَحْسِبُهُ فيما سمعتُهُ مِنْ محمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ ﷺ وسِواهُ.

وأَخْبَرَنا الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم ﷺ عَنْ مُطَرِّفِ بنِ شِهاب أنّه كان يَقُولُ في انْخِداعِ العَوامِّ[٨٥] للأَهواء، وسُرْعةِ تَقْلِيدهم للمُمَوِّهين: **لو خَرَجَ رَجُلٌ يَزْعُمُ أنّ الشّمسَ طَلَعَتْ مِنَ المَغْرِبِ، لم تَغْرُبْ إلّا وله شِيْعَةٌ يَقُولون بقَولِهِ.**

وأَخْبَرَني غيرُ واحدٍ مِنْ ثِقات الزّيديّة وأَهْلِ الدِّيانة منهم، نحو ...[١]، قال: لـمّا قَتَلَ حاتمُ بنُ الغُشَيْم الياميُّ المُتَغَلِّبُ على صَنْعاء ابْنَهُ محمّدَ بنَ حاتمِ الجبّار -وقد ذَكَرْنا مِنْ تَجَبُّرِهِ وطُغْيانِهِ في موضعٍ مِنْ هذا الكتاب ما يَدُلُّ على إِجْماعِ القُلُوب على بَغْضائِهِ- سَمِعَ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم مِنْ نَفَرٍ مِنَ الزّيديّة الاسْتِبْشارَ بذلك والسُّرُورَ، فزَجَرَهم، وقال: إنّهُ وإنْ كان ظالماً فإنَّهُ مظلومٌ، والرِّضا بالظُّلْم لا يَجُوز؛ وإن كان لَظالِمٌ مُسْرِفٌ. يريد ﷺ أنّهُ وإنْ كان ممّن يَسْتَحِقّ القَتْل لإلْحادِهِ وكُفْرِهِ، وبِمَنْ قَتَلَ مِنَ النّاس بيَدِهِ، فليس ذلك لأَبِيْهِ إنّما ذلك لإمامِ الحَقِّ ولأَوْلِياء الدَّمِ الّذين لهم الاقْتِصاصُ منه، والاسْتِقادَة والأَخْذ بحُقُوقِهم، وليس أَبُوهُ بواحدٍ مِنْ هؤلاء. فإنْ وُجِدَ مَنْ يكون سُرُورُهُ بالرّاحة منه وفَقْدِهِ وفَقْدِ فِسْقِهِ وكُفْرِهِ لا على وَجْهِ الشَّماتة والرِّضا بظُلْمِهِ ممّن لا حَقَّ لَهُ في دَمِهِ لم يَكُنْ بَأْسٌ إن شاء الله، والله أَعْلَم.

وأَخْبَرَني الحسين بن محمّد القَهْميُّ عندنا بشَظَب قال: سمعتُ المَشائخَ بوَقَش نحو

(١) فراغٌ في المخطوط قدر ثلاث كلمات.

الحسين بن علي بن الفضل رحمه الله ونُظرائِهِ يُخْبِرون أنّ الشّيخَ إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثَم رحمه الله سألَ النّاسَ عَنْ أكْبَرَ المعاصي؟ فقال قائلٌ: الزّنا. وقال آخرُ: الغِيْبة. وقال آخَرُ: كذا. وآخرُ: كذا. فلمّا فَرَغُوا قال: **أَكْبَرُ المعاصي تَرْكُ طَلَبِ العلم؛ فإنّ الجاهلَ إنّما يَقْدَمُ على هذه الكبائر كُلِّها لجَهْلِهِ**. فلم يدفع ذلك أَحَدٌ.

ولذلك مثالٌ في قبائحِ الجَهْلِ أَذْكُرُهُ، أَخْبَرَني محمّدُ بنُ غُثَيم الصَّنْعانيُّ(١) -رَجُلٌ مِنْ صُلَحاء الزّيديّة يَنْزِلُ أَرْضَ وادِعَة- قال: كان غُلامٌ مِنْ أَهْلِ المرفق مِنْ عُذَر المَشْرق قد أَتَى الرَّوْعة في أيّام عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ رحمه الله، وتَعَلَّمَ بها شيئاً مِنَ التّوحيد ثمّ انْصَرَفَ إلى أَهْلِهِ، فأَطالَ لَبْثُهُ فيهم ونَسِي ما تَعَلَّمَ، ثمّ إنّ عُلَيّانَ بنَ سَعْدٍ رحمه الله[٨٦] لَقِيَهُ فعَرَفَهُ وأنّه سَلَّمَ عليه وسأَلَهُ عَنْ أُمُورِهِ، فلمّا أَنِسَ إليه قال كالباحِثِ له عمّا بَقيَ عندَهُ ممّا تَعَلَّمَ:أَخْبِرْني، ما الفَرْقُ بينك وبين رَبِّك؟ قال: الله قديمٌ وأنا مُحْدَثٌ. قال: فإنْ قلتَ: إنّك قديمٌ والله مُحْدَثٌ، ما يكون؟ قال: فلا شيء ما، ولكنْ لا يَبْرُكُ **امْبَكْرُ** مَكانَ **امْبازِل**. أي: لا يَبْرُكُ البَكْرُ مكان البازِل. فهَلْ يكون أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَعْتَقِدَ مُعْتَقِدٌ أنّه لا يكون، في كَونِ اللهِ مُحْدَثاً وعبدُهُ قديمٌ، عندَهُ بأس؟ وهل سببُ هذا الكُفْرِ إلّا الجَهْلُ، ونَظائرُ هذا كثيرةٌ، وللجَهْل قَبائحُ جَمَّةٌ غَزيرة.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسنِ الغريب البَصْريُّ قال: كنّا نتحدَّثُ عند إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم رحمه الله في القرآن وكيفيّةِ وُصُولِهِ مِنَ السّماء إلى الأَرْض، فقال لنا: لا تعتقدوا في الأَعْراض ما يُعْتَقَدُ في الأَجْسام؟ قلنا: وفِيْمَ ذلك؟ قال: لأنّ المُعَلِّمَ يجتمعُ حولَهُ خمسون مُتَعَلِّماً فيُقْرِئُهُمْ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فيَحْفَظُها كُلُّهم كما يَحْفَظُها هو، ويَبْقَى حافظاً لها؛ ويكون مع الواحدِ مِنّا دينارٌ فيُعْطِيْهِ آخرَ فلا يَبْقَى مَعَهُ، ولا يكون مع آخرين.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ، أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة بوَقَش رحمه الله في العَصْر؛ قال: قال

---

(١) قوله:«غثيم» بغين معجمة وثاء مثلّثة ثمّ ياء مثنّاة آخره ميم، كذا رسمه، على أنّه سيأتي في موضع آخر: «غشيم».

لنا النُّوَيْرةُ السَّنْحانيُّ رحمه الله: **تَدارَكُوا بنا الانْتِفاعَ بهذا الشّيخ، تَدارَكُوا بنا الانْتِفاعَ بهذا الشّيخ**[1] **فإنّه يُلَقَّنُ الحِكْمَةَ**. قال: يُريد أَنْ نَغْتَنِمَهُ فنَتَعَلَّمَ منه قبل أَنْ يَمُوت. يعني إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثَم رحمه الله.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمدَ رحمه الله قال: أَتَى إسماعيلُ بنُ حاجبِ بنِ حمزةَ الشِّهابيُّ بعد تَوبتِهِ وحُلُولِهِ بوَقَش إلى الشّيخِ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم رحمه الله فقال: عَلِّمْني شيئاً يَنْفَعُني في الرِّياءِ فإنّي مِنْ نَفْسي في جَهْدٍ ومَشَقّةٍ. فقال: نعم، أَرَأَيْتَ إذا أَتاك خادمُ دابّةِ سَلَمَةَ -يعني سَلَمَةَ بنَ الحسنِ بنِ ذَعْفان الشِّهابيَّ، لأنّه كان مُعَظَّمَ بني سَلَمَة يومئذٍ لسِنِّهِ وفَراسَتِهِ وتَدَيُّنِهِ، ونحو ذلك- ما تَصْنَعُ به؟ قال: أُدْخِلُهُ منزلي، وأُقَدِّمُ ما حَضَرَ مِنْ طعامٍ. قال: فهل أنتَ تُرائِيْهِ أو تَتَهاون به؟ قال: بل أَتَهاون به. قال: فإنْ أَتَى سَلَمَةُ؟ قال: أَقْبَلْتُ عليه، وتَلَقَّيْتُهُ، وعَظَّمْتُهُ، وقَدَّمْتُهُ، وطَلَبْتُ له أَجْوَدَ قِرًى، وسَهَوتُ عَنْ خادِمِهِ ذلك. قال فكذلك فاصْنَع بالله[٨٧] تعالى وعِبادِهِ، آثِرْهُ بالتّعظيم والإِجْلال والهَيْبَة والحَياء، وأَعْرِض عنهم.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمدَ أيضاً قال: أَتَى شيخٌ مِنْ شُيُوخِ بني مَطَر الخَوْلانيّين، مِنْ أَهْلِ قريةٍ يُقالُ لها: نعمان، قريبةٌ مِنْ وَقَش ذو حالةٍ فيهم ورياسةٍ يُقالُ له: عليُّ بنُ مسلم= إلى الشّيخِ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم رحمه الله فوَجَدَهُ في المسجد مُضْطَجِعاً على أَدِيْم كانَ يَسْتَصْحِبُهُ، يجلسُ عليه ويَفْتَرِشُهُ، فسَلَّمَ عليه، ثمّ جَعَلَ يَمدحُهُ ويُثْني عليه، ويَقُولُ: أَحْيَيْتَ الإسلامَ، وحَرَسْتَ الدِّين، وفعلتَ وفعلتَ. فكُلَّما قال كلمةً قال: مَهْلاً، يا شيخُ. ويَرْتَعِش لها ارْتِعاشاً. وتَطاوَلَ ذلك فعَظُمَ عليه البَلاءُ منه حتّى رَحِمْناهُ. وكان ذلك منه رحمه الله لتَواضُعِهِ، وطَلَبِهِ الإِخْلاص لله، وأَلّا يكونَ عملُهُ إلّا له.

---

(١) كذا مكرّرٌ في المخطوط، ولعلّه أراد بذلك التّوكيد.

وأَخْبَرَنِي زيدٌ، حفظه الله(١)، قال: أَقْبَلَ عليُّ بنُ أبي السُّعُودِ العابدُ في مُرَقَّعَتِهِ إلى وَقَش، وكان يَعِظُ كلَّ أَحَدٍ، ويقدمُ على العُبّاد الأفاضل بالإِنْكار لِما يَسْتَنْكِرُ حتّى يَعْلَمَ ما العُذْرُ فيه. فرَأَى على الشّيخ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم رَحِمَهُ اللهُ جُبَّةً مِنْ غَزْلٍ قد تُصُدِّقَ بها عليه؛ فقال: يا شيخُ، أَمِثْلُكَ يَلْبَسُ هذه الجُبَّةَ، وأنت عابدُ الشِّيْعة وعالِمُهم وزاهدُهم؟ فقال: يا عليُّ، عليك في هذه المُرَقَّعَة تَعَبُّدٌ، وعليَّ في هذه الجُبَّة تَعَبُّد، وتَعَبُّدي هٰهنا أَسيرُ مِنْ تَعَبُّدِك. قال: وما ذاك؟ قال: لأنّي أَلْبَسُ الجُبَّةَ إظْهاراً لنِعْمَة الله عليَّ كما أُمِرْتُ بإظْهارها، وإنّي لَماقِتٌ لنفسي تحتها، وكأَنّي إنّما أَلْبَسُ الشَّوك على جسدي إذا لَبِسْتُها، فمِنْ هٰهنا كان تَعَبُّدي أَسْهَلَ مِنْ تَعَبُّدِك. قال: وما تَعَبُّدي الّذي هو أَعْظَم؟ قال: لأنّه يَدْخُلُك -مع مُرَقَّعَتِك- الرِّياءُ والعُجْبُ، وحُبُّ أَنْ يُقالَ: إنّك زاهدٌ لا يُحِبُّ زِيْنَةَ الدُّنْيا، وإنّك تجمعُ هذه الخِرَقَ والخُيُوطَ مِنَ المَزابِلِ؛ فتَلْتَذُّ بقَولهم. قال: فصَمَتْ، ولم يَقُلْ شيئاً.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمدُ أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة في العَصْر بوَقَش، قال: حَدَثَ الكلامُ في أَعْمال العُصاةِ، وهل يكون ممّا يُسْتَحْسَن منها حسنةٌ أم لا؟ فأقبل السّلطانُ سَلَمَةُ بنُ الحَسَنِ بنِ ذَعْفانَ الشِّهابيُّ إلى الشّيخ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم رَحِمَهُ اللهُ وقال له: تَكَلَّمْ لنا في[٨٨](٢) هذا، فإنّ النّاسَ قد خاضُوا فيه. فقال: أَفْعَلُ. فأَمَرَ فيهم فاجتمعوا إلى المسجد، وأَقْبَلَ الشّيخُ فوَعَظَهم حتّى خَضَعُوا ورَقَّتْ قُلُوبُهم، فلمّا أَصْغَوا إلى الحديث، واعتقدوا أنّهم يَسْمَعونَهُ قال لهم: أَخبِرُوني على كم النّاسُ؟ يُريد في الأحكام. قالوا: قُلْ لنا في ذلك. قال: النّاس على وَجْهين: أَهْل إِقْرار وأَهْل إِنْكار؛ **فأهلُ الإنْكار**: أَهْلُ الجَحْد، وهم الدَّهْريّة ومَنْ شاكَلَهم، وأَهْلُ الكُتُب وعَبَدة الأَوْثان. ثمّ قال لهم: أَخبِرُوني ما أَفعالُ أَهْلِ الجَحْد؟ قالوا: جُحْدانٌ وكُفْر. قال: اتْرُكوهم ناحيةً. ثمّ قال: فأَخْبِرُوني عَنْ أَفْعال أَهْلِ عِبادة الأَوْثان وأَهْل الكُتُب الجاحِدين لمحمّدٍ، صلّى الله عليه؟ قالوا: شِرْكٌ. قال: فهل

(١) كُتِب في المخطوط فوق قوله: «حفظه الله» جملة: «رحمه الله»، وكأنّه استدراكٌ من النّاسخ لوفاة الرّجل في عهده.
(٢) كُرّر في المخطوط حرف الجرّ «في» مرّة في نهاية الورقة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

يكون في الشِّرْك والجَحْد حسنةٌ؟ قالوا: لا. قال: فاتْرُكُوهم ناحيةً. ثمّ قال: على كم **أَهْلُ الإِقْرار**؟ قالوا: قُلْ. قال: على ثلاثٍ وسبعين فرقةً؛ أربعون منها عامّةٌ يقولون بالتّشبيه والجَبْر والتَّكْذيب. قال: فهُمْ يعبدون الّذي هو على صورة آدَمَ، ويَفْعَلُ فِعْلَ بني آدَمَ، مِنَ الكَذِب والظُّلْم والجَوْر، ذلك. ثمّ قال: فهل يكونُ في الجَبْر والتَّشْبيه والتَّكْذيب حسنةٌ؟ قالوا: لا. قال: اتْرُكُوهم ناحيةً. ثمّ قال: والخَوارجُ عُشْرون، ويَجْمَعُهُم القَولُ بكُفْرِ عليٍّ، عليه السّلام، فكُلُّهم يَعْبُدُ مَنْ عليٌّ عندَهُ كافِرٌ؛ والّذي عليٌّ عندَهُ كافِرٌ ليس هو الله، فهل يكونُ مِنْ عَمَلِ مَنْ عَمِلَ لغيرِ الله حسنةٌ؟ قالوا: لا. قال: اتْرُكُوهم ناحيةً أخرى. ثمّ قال: والشِّيْعَةُ ثلاثَ عشرةَ فرقةً؛ اثنا عشر منهم رافضةٌ منهم [مَنْ][1] يعبدُ إمامَهُ ويَقولُ مرّةً: نبيٌّ، ومرّةً: يَعْلَمُ الغيبَ، ويَقولُ: اعْرِفْ إمامَك واعْمَلْ ما شئت، إلى وُجُوهٍ أُخْرى مِنَ الكُفْرِ، فهل يكون مِنْ عَمَلِ هؤلاء الّذين يَعْمَلُون لغيرِ الله وبغيرِ أَمْرِ الله حَسَنةٌ؟ قالوا: لا. قال: فاتْرُكُوهم ناحيةً. ثمّ قال: فَقَدْ بَقِيَتِ النّاجيّةُ مِنَ الزّيديّة ولها عَوامّ، ومِنْ مُعْتَقدي أُصُولها عُصاةٌ، وهؤلاء لا يَفْعَلُون شيئاً إلّا لوَجْهين؛ إمّا لرياءٍ أو لطَلَبِ دُنْيا، فهل يكون الرِّياءُ لله أو طَلَبُ الدُّنْيا؟ قالوا: لا. قال: فما كان لغيرِ الله هل يكون حَسَنةً[٨٩]؟ قالوا: لا. فقال له أحمدُ بنُ منصورٍ العَبْسيّ: أَقُولُ إنّه[2] قد يُعْمَلُ لله لا لهذين الوَجْهين؟ فقال الشّيخُ: وَيْحَكَ، يا حمدُ لا تَكادُ تَسْلَمُ لنا حركةٌ ولا عملٌ نَعْمَلُه إلّا بجِهادٍ للأَنْفُس مِنَ الرِّياء أو طَلَبِ الدُّنْيا فكيف إلّا العَوامّ[3]، ونحن ممّن يَطْلُبُ العِبادة، فاعْلَم.

قال: فتكَلَّمَ الشّيخُ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ زايدٍ الجَنْبيُّ رحمه الله فقال: أَتَأْذَنُ لي يا شيخُ أَنْ أُجِيْبَهُ؟ قال: نعم. فقال له الحَسَنُ: إنّهُ لا يخلو عَمَلُهُ مِنْ أَنْ يكون لِمَنْ يَعْتَقِدُ أنّه يُثِيبُ مع المعصية، فهذا غيرُ الله؛ والعَمَلُ لغيرِ الله ليس بحَسَنةٍ، أو يكون يعملُهُ لِمَنْ يُثِيْبُ عليه،

(١) ما حُفّ بمعقوفين زيادةٌ يتحوّجها سياق الكلام.

(٢) ورد في المخطوط مضبوطاً بفتح الهمزة: «أَنَّهُ».

(٣) قوله: «إلا العوام»، كذا في المخطوط، ولعلّه يتّجه المعنى بـ«بالعوام».

فهذا عَبَثٌ، والعَبَثُ ليس بحَسَنَةٍ. فانقطع. فكان إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله رفيقاً رحيماً بالنّاس، سريعَ الدَّمْعة عند ذلك.

فأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمدَ، حفظه الله[1] قال: كان الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم، رحمةُ الله عليه، يُخْبِرُنا خَبَراً عَنْ بعضٍ ما كان في عَصْرِهِ: مِنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الصّلاة، فكان لا يُخْبِرُ به إلا بَكى؛ وذلك أنّه كان يَقولُ: أَتَى رَجُلاً مِنَ المسلمين ضَيْفٌ، وله بُنَيَّةٌ صغيرةٌ، فذَبَحَ لهم شاةً، فكانتْ بُنَيَّتُهُ تلك تَأْتِيهِ وتَقولُ: يا بَهْ، أَطْعِمْني قُطَيْعةَ لَحْمٍ. فيَقولُ: لا. وتقول: أَطْعِمْني. ويقول: لا. فلمّا طالَ ذلك عليها قالت: طُوْبَى لِمَنْ شَبعَ مِنْ هذا القِرَى. فلم يَلْتَفِتْ إلى ذلك ولا راعَهُ منها. قال زيدٌ: فإذا حَدَّثَنا رحمه الله بهذا بَكَى. وكنّا نَرَى أنّهُ يَبْكي رحمه الله رحمةً لها، ويُخْبِرُ بذلك تَحْذِيراً مِنْ مثلِهِ للمسلمين، فإنّهُ مِنْ قَسْوةِ القَلْبِ؛ والقَلْبُ القاسي بَعِيدٌ مِنَ الله، ثمّ هو مِنْ مَلائِمِ الأَخْلاق ومَقابِحِها، والمؤمنُ غِرٌّ كريمٌ لا خِبٌّ لئيم. ولو قيل: إنّ[2] الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، قد قال: **أُكْرِمُ ضَيْفي، وأُهِيْنُ وَلَدي.** فلم يكن، عليه السّلام، يُهِينُ وَلَدهُ هذا الهَوان، ولا يَقولُ أَحَدٌ منهم: «**طُوْبَى لِمَنْ شَبع مِنْ هذا القِرَى**»، وهو يَسْمَعُ فلا يَرِقُّ لهُ، ويُؤْثِرهُ بما يُقْنِعُ مِثْلَهُ.

أَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ قال: تَحَدَّثَ الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم وجماعةٌ مِنْ شُيُوخ الزّيديّة بالخَلْوة مِنْ مسجد وَقَش في شيءٍ مِنَ التّوحيد وعِلْمِ الأُصُول بحديثٍ بالَغُوا فيه، فسُرُّوا واشْتَدَّ فَرَحُهُم به[3]، فالْتَفَتْ الشّيخُ إبراهيمُ إلى النّاس فقال: ما تَقولون فيمَنْ يَسَمَعُ بمِثْلِ مجلِسِنا هذا مِنْ أَهْل مكّة أو أَهْل عَدَن؟ قالوا: يجبُ عليه الارْتِحالُ حتّى يسمعَ مثلَهُ. قال: فما تقولون فيمن يسمع به مِنْ أَهْل البَرَويّة؟ والبَرَويُّة

---

(١) كُتِب في المخطوط فوق قوله: «حفظه الله» جملة: «رحمه الله»، وكأنّه استدراكٌ من النّاسخ لوفاة الرّجل في عهده.

(٢) كرّر في المخطوط: «إن».

(٣) في المخطوط: «فسرّوا قنع واشتد فرحهم به»، ولم يتّجه لي معناه إلّا أن يكون قوله: «قنع» بمعنى: قناعة، وهي كما ذكرها الزَّبيديّ (ق ن ع) عاميّة؛ ويكون الكلام حينئذ على النّحو الآتي: «فسرّوا قُنْعاً واشتدّ فرحهم به».

أَرْضٌ بإزاء وَقَش، بل وَقَش مِنْ قِسْمَتها فيما أَرَى. قالوا: يكونُ ذلك له أَلْزَمَ، والحَقُّ عليه فيه أَعْظَم. قال: فمَنْ يسمعُ به ممّن هو معنا بوَقَش ولا يَزُورُهُ؟ قالوا: لا شَكَّ في ضَلالته. قال: فمَنْ يكون معنا في هذا المجلس مِنْ هذه الخَلْوة ولا يَلْتَفِتُ إليه؟ قالوا: هو[٩٠] شَرّ مِن أولئك كُلِّهم.

قال مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ[١]: وروى يحيى بن الحسين بن عبد الله الفقيهُ[٢]، قال: أَخْبَرَني شيخٌ كان عندنا بوَقَش، يُقالُ له: محمّد بن مسعود الحَجّاجيّ، مِنْ قومٍ يُقالُ لهم: بنو الحَجّاج، مِنْ جِيران وَقَش وأَحْلاف بني مَطَر=قال: كنتُ وأنا غلامٌ أَرْعَى كِباشاً لي في وَقَش أيّامَ ابْتِداء عِمارتِها، فسأَلَني الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله أنْ أُصْلِحَ له، في ساقيةٍ للماء يجري إلى دارِهِ، شيئاً. فقلتُ: أَخافُ على الكِباشِ الذّئْبَ. قال: لا بَأْسَ عليها. فوَقَفْتُ معه، واشْتَغَلْتُ أَكْثَرَ نهاري بإِصْلاحِ السّاقيةِ، وتَوارَتِ الكِباشُ عَنْ بَصَري، ومَنَعَتْني هيبتُهُ عَنِ الانْصِرافِ. فلمّا فَرَغْتُ أَمْسَكَني إلى أَنْ وَهَبَ لي شيئاً مِنَ الطّعامِ، ثمّ تَبِعْتُ الكِباشَ، وأنا أَظُنُّ الذِّئابَ قدِ افْتَرَسَتْها. فلمّا وَقَعَتْ عيني عليها رأيتُ ذِئْبَينِ بينها، فلمّا قَرُبْتَ انْصَرَفا، وإذا الكِباشُ سالمةٌ، ورأيتُ في بعضِها أَثَرَ ابْتِلالٍ بلُعابِ الذِّئْبَينِ كثيرٍ، وما في أَيِّها جَرْحٌ[٣]. فأَخَذْتُ كِباشي وتَعَجَّبْتُ مِنْ بَرَكَتِهِ، رحمةُ الله عليه.

وأَخْبَرَني[٤] الشّيخُ زيدُ بن أحمد بوَقَش قال: كان إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله يُضايقُ

---

(١) كتب فوقه بالمخطوط وبخطّ مغاير «الشّيخ» و«أيده الله»، فيكون اتّصال الكلام بها زيد وبحسب موقعه: «قال الشّيخ مسلم بن محمد أيده الله»، وأحسبه تزيّداً على الأصل من بعضهم على هذه النّسخة، على أنّه قد سلف نحو ذلك بخطّ النّاسخ نفسه بالمتن.

(٢) كتب فوقه بالمخطوط وبخطّ مغاير «أيده الله».

(٣) قوله: «جَرْح» بفتح الجيم، كذا ضُبِط بالمخطوط؛ وفي التّاج (ج ر ح): **الجُرْح**، بالضمّ: يكون في الأَبدانِ بالحَديد ونَحْوِه؛ **والجَرْحُ**، بالفتح: يكون باللّسان في المَعانِي والأَعراضِ ونحوِها. وهو المُتداوَلُ بينهم، وإن كانا في أَصلِ اللُّغة بمعنًى واحد.

(٤) ثمّة كُلَيمةٌ في المخطوط غير واضحة الرّسم، والكلام يستقيم باطّراحها، ولعلّها تكرار لـ«ني» في قوله: «أخبرني».

في المناظرة ويَسْتقصي الكلامَ ويُبالِغُ فيه، فقيل له في ذاك! فقال: هذا أدنى إلى نَفْعِ المُناظر، فإنّهُ إمّا ألّا يَنْفَكَّ حتّى يَفْهَمَ ما ينبغي له أنْ يَفْهَمَهُ، وإمّا أنْ يُوقِظَ لَهُ احْتِراقُ قَلْبِهِ الإِقْبالَ على تَلْقِين المسألةِ وإفادَتِها تَعْليماً، فيَعْقِلها عَقْلاً جَيِّداً.

وأَخْبَرَني الحسينُ بنُ عبدِ الله الأجيحيُّ(١)، أَحَدُ الزّيديّة بمَشْرِق حاشِد مِنْ أَرْض هَمْدان، قال: لمّا فَسَدَ على الزّيديّة أَمْرُ سَناع، وأَجْمَعُوا على الخُرُوج عنها، صار إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم إلى مَدَر مِنْ[٩١](٢) مَشْرِق حاشِد، فابْتَنَى بها داراً جيِّدةً. فاعتقدَ أَهْلُ مَدَر أنّه قدِ اسْتَوطَنَها، وأنَّه لا يُفارِقُها، وفَرِحَ به منهم مَنْ فَرِحَ، فكأَنَّهم أَفْشَوا ذلك حتّى بَلَغَهُ، فقال: ما هو إلّا أَنْ أَرَى لله معصيةً ثمّ أَرْحَلُ عنها ولا أُبالي.

فلم يَزَلْ كذلك حتّى بَلَغَهُ أنّ قوماً مِنْ أَهْلِ القريةِ شَرِبُوا خَمْراً فلمّا بَلَغَهُ ذلك ارْتَحَلَ ولم يَلْتَفِتْ إلى الدّار ولا إلى ما بمَدَر مِنْ أَمْوالِ الله والوَصايا والصَّدَقات الّتي تُصْرَف إلى الزّيديّة، وصحّةِ البلد وطِيْبِها. فلم يَزَلْ يَطْلُبُ موضعاً يَسْكُنُهُ حتّى أَصابَ وَقَش فاسْتَوْطَنها حتّى مات رَحِمَهُ الله، لأنّه سَلِمَ له بها دِيْنُهُ(٣).

وأَخْبَرَني غيرُ واحدٍ، مِنَ الزّيديّة بوَقَش، منهم، قال: كان السّلاطينُ مِنْ بني سَلَمَة قد جَعَلَوا لإبراهيمَ بن أبي الهَيْثَم في خَيْلِهم سِهاماً معلومةً تَبَرُّكاً به واسْتِدْفاعاً للسُّوءِ عنها، فبَلَغَهُ ذلك فقَبِلَهُ طَلَباً لنَفْعٍ يَدْخُلُ به على الإسلام والمسلمين، ثمّ لم يَلْبَثْ أنْ فَكَّرَ في نفسِهِ، فقال: هذه خَيْلٌ تُعْلَفُ مِنْ أَمْوالِ النّاسِ ظُلْماً وتُحْسَكُ ويُغارُ عليها على عِباد الله ظُلْماً، ولي فيها نصيبٌ، فأكون إذَنْ شريكاً في الظُّلْم. فبَعَثَ إليهم رسولاً يقولُ: إنْ كان ما وَهَبْتُم لهذا الرّجُلِ يَصِحُّ منه شيءٌ فاشْتَروا منه نصيبَهُ وأَعْطُوهُ ثَمَنَهُ. فقالوا لرَسُولِهِ: إنّما أَرَدْنا أَنْ

---

(١) مخطوط الطّبقات الصّغرى (المُسْتَطاب): «اللاحجي».

(٢) كُتِبت هذه الصّفحة بخطٍّ مختلف.

(٣) بعده في المخطوط لكنّه ضُبِّب عليه: «وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنِ أحمدَ بوَقَش قال: كان الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رَحِمَهُ الله: في مسجد الشّمس بوَقَش».

تَلْحَقَنا بَرَكَتُهُ في خَيْلنا. فرَجَعَ الرَّسُولُ بجَوابهم هذا. فسار إليهم بنفسه، وقد صاروا بِلُدانَ، فقال: أنا لا أُشاركُ بعد اليوم في هذه الخَيْلِ، فإمّا أَنْ تَشْتَرُوا مِنّي نَصيبي فيها وإمّا خَرَجْتُ مِنَ الْمُشاركة فيها بوَجْهٍ. فلمّا جَدَّ وعَرَفُوا جِدَّهُ أَعْطَوهُ ثَمَنَ نصيبِهِ، فصَرَفَهُ في القُرَب[١].

وأَخبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ أنّه كان إذا عَزَمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ وَقَش على سَفَرٍ دعا به إبراهيمُ بن أبي الهَيْثَم ثمّ يَسألُهُ: هل تركتَ مَنْ يَسْقي لأَهْلِك الماءَ ويَحْتَطِبُ لهم؟ فإِنْ قال: لا. قال: فلا أرى لك أَنْ تُسافِرَ حتّى تُخَلِّفَ خليفةً يَقومُ بذلك. وإِنْ قال: نعم. قال: قَدِّمْ راشداً.

---

(١) قوله: «القُرَب» لعلّه أراد جمع القُرْبة؛ وفي التّاج (ق ر ب): «**والقُرْبُ** والقُرْبَةُ...: القَرَابَة».

عليُّ بنُ حَرْبٍ

هو عليُّ بنُ حَرْبِ بنِ عُبَيْد الله بن شَبْرَة.

مِنْ أَهْل رَيْدَة مِنَ البَوْن الأَسْفل، وعَمّاهُ: عليّ والحسين ابنا عُبَيْدِ الله، وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهما[1].

وكان مِنْ مُقَدَّمي الزّيديّة[٩٢] عِلْماً وعِبادةً وزُهْداً ووَرَعاً وتَواضُعاً ورِفْقاً واحْتِجاجاً لله، وقد ذكرتُ في أَخْبارِ مُطَرِّفٍ أنّه مِنْ أصحابِهِ الّذين أَخَذُوا عنه العِلْم والعَمَل وتَخَلَّقُوا بأَخْلاقِهِ الكريمة.

وانْتَقَلَ عليُّ بنُ حَرْبٍ إلى موضعٍ بناحية وادي بيت شَهير، قريباً مِنْ هِجْرَة آلِ أبي عبد الله، فابْتَنَى به منزلاً، وصَحِبَهُ عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ الله فابْتَنَى منزلاً بإزائِهِ، وعَمِلا به مسجداً جَيِّداً.

وفي خَبَرِهِ في انتقالِهِ إلى هذا الموضع آيةٌ مِنْ آيات الله؛ أَخْبَرَني مَنْ لا أُحْصي مِنْ عُدُول الزّيديّة منهم عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ قال: أَتَى الشّيخُ عليُّ بنُ حَرْبٍ رَحِمَهُ الله هذا الموضعَ كالمُرْتادِ أو سائرِ طريقٍ إلى دَعّان أو ثَوْمَح أو غيرهما مِنَ الأماكن، فرآه يَصْلُحُ للعُزْلَة به، ولم يكن به ماءٌ، ثمّ نَظَرَ فرَأَى أَصْلَ الجَبَلِ -وهو قريبٌ منه- ضِرْوةً[2] خَضْراء، فيها فَضْل طَراوَةٍ ورُطُوبة، فقال: لا تكون هذه الشّجرةُ بهذه الحال إلّا وهي على ماءٍ. ثمّ عَمِلَ في

---

(١) ترجم لهذين العَلَمين يحيى بن الحسين في الطّبقات الصّغرى (الورقة: ٣٧ب) نقلاً عن المفقود من كتاب مُسَلَّم هذا، وهما غير عليّ والحسين ابنَي عبد الحميد الخلطيّ المسوريّ المترجَم لهما لاحقاً في هذا الكتاب.

(٢) **الضِّرْوة**: واحدة الضِّرْو، وهو شَجَرٌ طيِّبُ الرِّيح يُسْتاكُ به ويُجْعَل ورَقُهُ في العِطْرِ ؛ قالَهُ اللَّيْثُ؛ قالَ النّابغَةُ الجَعْديُّ: قال أبو حنيفَةَ: أَكْثَرُ مَنابِتِ الضِّرْو باليَمَنِ؛ كذا قال الزَّبيديُّ بالتّاج: (ض ر و).

حَفْرِ مكانِ الشَّجْرة، فحَفَرَ فلم يَلْبَث أنِ انْبَثَقَ الماءُ الغَزِيرُ، ففرح بذلك، وبنى البيتَ والمسجدَ. فلمّا مات ﵀ لَزِمَ عَليان بن إبراهيمَ ﵀ المكانَ بَعْدَهُ، وصَبَرَ بِهِ صَبْرَ مثلِهِ للوَحْشَة والخَوف، وقِرَى الضَّيْف، وحَمْلِ الكُلْفَة مِنَ العامّة والخاصّة، وأعانَهُ الله على ذلك فلم يَقْطَع به شيءٌ، فلَبِثَ بذلك زماناً.

ثمّ إنّ سلطانَ البلدِ، حاتمَ بنَ ذَعْفانَ بنِ يحيى بنِ حَوْشَب بن المُفَضَّلِ اللَّعَويّ، رَغِبَ في أنْ يَزْرَعَ على ذلك الماء ما يَنْتَفعُ به لعَلَفِ دَوابِّهِ ونحو ذلك، فرُغِّب، فلم يَشْعُرُ عُلَيّانُ حتّى أَتَى خدمُهُ لذلك، فكَلَّمَهُم، وأَتَى إليه فكَلَّمَهُ في ذلك فلم يَلْتَفَتْ إليه أَحَدٌ، فلمّا فَرَغوا مِنْ عَمَلِ الضَّيْعةِ وزَرَعُوا ما زَرَعُوا مِنْ قَضْبٍ وغيرِهِ، وساءَ جُوارُهم لعُلَيّانَ ﵀، أجمعَ رأيَهُ على النُّقْلَة إلى جماعةٍ مِنَ الزّيديّة ببلاد حِمْيَر مِنْ حَضُور المَصانع= غارَ[1] ذلك الماءُ فكأنَّهُ ما كان قطّ.

وابْتَنَى عُلَيّانُ ﵀ وأصحابُهُ ببلد حِمْيَر هذه الهِجْرَةَ، الّتي تُعْرَفُ بهِجْرَة قاعَة، الّتي هي باقيةٌ إلى الآن، عمرها الله بحِياطَتِهِ. فكان هذا مِنْ عَجائبِ الأَشْياء، وعظيم الآيات.

وأَخْبَرَني عَواضُ بنُ عليِّ بنِ عليِّ بنِ شاطرٍ، رَجُلٌ مِنْ شُيُوخ الزّيديّة برَيْدَة، وقد تَقَدَّمَ له ذِكْرٌ في موضعٍ، بما يُعْرَفُ به، قال: كان عليُّ بنُ حَرْبٍ ﵀ رَجُلاً له هَيْئَةٌ وجِسْم، وكان قويَّ[٩٣] النَّفْسِ ماضيَ العَزيمة، نافذاً في أَمْرِهِ، يُعِدُّ السِّلاح ويَرْمي بالنَّبْل. فإذ رآهُ النّاظرُ رَأَى وَقاراً وسَكِينةً وسَمْتاً حَسَناً وتَواضُعاً وخُشُوعاً، فإذا سَمِعَهُ سَمِعَ لُطْفاً ورِفْقاً، وإذا لَقِيَهُ سائراً في طريقٍ لم يَرَ منه إلّا عَيْنَيْهِ وبعضَ وَجْهِهِ، قدِ اسْتَغْشَى قِناعَهُ، وأَخَذَ طَرَفَيْهِ مِنْ تحت أَنْفِهِ بيَدِهِ.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ ﵀ قال: كان عليُّ بنُ حَرْبٍ ﵀ يَقولُ: **كُلُّ مؤمنٍ ليس بينَهُ وبين الله تعالى سِرٌّ لم يستكمل فَضيلة الإيْمان.**

---

(١) في المخطوط: «فغار» مقروناً بالفاء، وإنّما الصّواب باطّراحها لأنّه جواب (لمّا).

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ الله قال: كان عليُّ بنُ حَرْبٍ رَحِمَهُ الله يَقولُ: يُعْطي اللهُ ابنَ آدمَ، وهو باسِطٌ كَفَّيْهِ حِرْصاً وهَلَعاً، يَقولُ: يا ربّ يا ربّ. يَقولُ الله تعالى: أين تجعلُ ما تَسْأَلُني أَنْ أُعْطِيَك الآن، كُلُّ ما في يَدَيك أَمُدُّك بغَيرِه؟

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ الله قال: بَعَثَني الشّيخُ عليُّ بنُ حَرْبٍ رَحِمَهُ الله، ونحن بناحية الصَّيَد، إلى سوقٍ هناك بدُرَيْهِماتٍ أَشْتَري بها لَحْماً لضَيْفٍ له، فلَقِيَني بَحيرُ اللَّعَويُّ، وكان مِنْ رجالهم وذَوي الجاهِ والهَيْبَة فيهم، فسألتُهُ أَنْ يشتري لي اللَّحْم لجاهِهِ عند النّاس، ففَعَلَ، فلمّا أتيتُ الشّيخ رَحِمَهُ الله أَخْبَرْتُهُ الخبرَ، فاشْتَدَّ حُزْنُهُ وظَهَرَتْ كآبَتُهُ، وحَوْلَقَ[1] واسْتَرْجَع وفَكَّرَ، ثمّ قال: يا بُنَيَّ، أَعْطَيْتَ دَراهِمَنا مَنْ يَسْلُبُ النّاسَ، ونحن إنّما نُريدُ أَنْ نلقى الله مَسْلُوبين لا سالِبين.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ قال: كان عليُّ بنُ حَرْبٍ رَحِمَهُ الله بأَهْلِ قَرْوَد مِنْ أَرْض الصَّيَد في أيّام كونه هناك، فأصابهم مَرَضٌ عامٌّ فمَرِضَ فيمن[2] مَرِضَ منهم، وكانوا مُتوَجِّهين إلى الخير مُتَأَلِّهين، ذَوي دِيْنٍ في أيّامه تلك، فجعلوا يُظْهِرون تَجديدِ التّوبة، ويَشْرِطون على أَنْفسهم الشُّرُوط، ويَنْذِرون النُّذُور في ذلك، فلمّا بَلَغَهُ ذلك منهم قال: اللّهم إنّما هي نفسي الحاسرةُ البطيئةُ المَغْرورةُ، الّتي تَعْلَمُ -ولستُ أَصِفُ لَكَ ما تَعْلَمُ منّي- فإِنْ تُعافِ فبِفَضْلِك، وإنْ تكنِ الأُخْرى فلا أَلْقاك بكَذِبٍ مُسْتَقْبَل.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ الله قال: كان ذَعْفانُ اللَّعَويُّ سلطانَ رَيْدَةَ وعاملَها، وكان قد سأَلَ عليَّ بنَ حَرْبٍ رَحِمَهُ الله أَنْ يَقْبَلَ منه صِلاتٍ وَصَلَهُ بها، فأَبَى؛ وأَرادَ يَهَبُ له جِرْبَةً مِنْ مالِهِ، فلم يَقْبَلْها. فقلتُ له في ذلك؟ فقال: يا بُنَيَّ، بَلَغَنا عَنْ رسولِ الله، صلّى الله عليه، أنّه قال: «**تَرْكُ حَقٍّ يَرْتِقُ الإسلامَ خَيْرٌ مِنْ أَخْذِ حَقٍّ يَفْتُقُهُ**»[3] [٩٤]. إنّه وإِنْ كان ما بَذَلَ لي لا يَحْرُمُ

(١) قوله: «حولق» كذا بالمخطوط وهي مستعملةٌ لدى بعضهم، يريد: حوقل.

(٢) في المخطوط: «فيمن من» بزيادة «من» وهو خطأ.

(٣) لم أقف عليه في كتب الأحاديث.

عليَّ فإنّي لا آمَنُ قولَهم: قَبَّحُوا علينا أَخْذَ الحرامِ، فلمّا جَمَعْناهُ لهم أَخَذُوهُ.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ ﵀ قال: وَهَبَ العبّاسُ الجَنْبيُّ، وكان مِنَ الصّالحين بالقَراوِد مِنَ الصَّيَد، لعليِّ بنِ حَرْبٍ ﵀ ضَيْعَةً له، فقبِلَها وشَكَرَ له، وكان مِنْ عادتِهِ أَنْ يبيتَ يَقرأُ ويَذكرُ الله تعالى. فلمّا كانت تلك اللّيلة باتَ يَقْرَأُ ويُفَكِّر في تلك الضَّيْعة وما يَصْنَعُ بها، وكيف يُصْلِحُها، ومَنْ يَزْرَعُها، فلمّا أَصْبَحَ أَتَى العبّاسُ ﵀ فقال: يا أَبا الفَضْل، كَتَبَ الله أَجْرَكَ، وتَقَبَّلَ عَمَلَكَ، وأَجْزَلَ ثَوابَكَ، قد وَجَبَ على الله سبحانه لَكَ الثَّواب، وقد رَدَدْتُ عليك هذه الضَّيْعةَ الّتي وَهْبَتَ لي، فلا حاجةَ لي بها فإنّها تُشْغِلُ عَنْ ذِكْرِ الله. ثمّ رَدَّها عليه وانْصَرَف.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ ﵀ قال: دَخَلَ عليُّ بنُ حَرْبٍ ﵀ على ذَعْفانَ بنِ يحيى اللَّعَويِّ وإِلَيْهِ أَمْرُ البَوْن يومئذٍ، في أَمْرٍ دَعاهُ إلى ذلك، فوُضِعَ بين يَدَيْهِ طَبَقٌ فيه زَبِيْبٌ وكَعْك. فقال: يا أبا الحَسَن، هذا كَعْكٌ وُهِبَ لي مِنْ صَنْعاء، وزَبِيْبٌ وُهِبَ لي مِنَ الشّام. يُريدُ أَنْ يُطَيِّبَ نفسَهُ بأَنَّهُ ليس مِنْ ماله ولا مِنْ جِباياته حتّى يَأْكُلَ عندَهُ. فقال: إنَّ بَيْتي على طريق صَنْعاء، فلَمْ يَأْتِني ما أَتاكَ، وإِنّي أَكْرَهُ لَكَ أَنْ تَأْكُلَهُ، فكيف آكُلُهُ أنا.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ ﵀ قال: كانت لعليِّ بنِ حَرْبٍ ﵀ دابّةٌ فاحْتاجَ لها إلى تِبْنٍ، فجَمَعَ له بعضُ أَهْلِ رَيْدَة تِبْناً، وبَلَغَ ذلك ذَعْفانَ بنَ يحيى فقال: أَعْطُوهُ مِنْ تِبْنِنا. فلمّا رَأَى ذلك القومُ قالوا: إنْ خَلَطْتُم تِبْنَ ذَعْفانَ بتِبْنِكم لا يَأْخُذُ مِنْهُ عليُّ بنُ حَرْبٍ وَزْنَ خَرْدَلَةٍ. فمَيَّزُوهُ فاجْتَنَبَهُ.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ ﵀ قال: حَدَّثَني أحمد بن عليّ، رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة الصّالحين، كان يَنْزِلُ منبّه[1] مِنَ الشّكاك مِنَ البَوْن، قال: دَخَلْتُ على ذَعْفانَ بنِ يحيى، فقلتُ له: كيف إِجْلالُكَ وإِكْرامُك لعَليِّ بنِ حَرْبٍ؟ فقال: إنّ النّاسَ إذا أَرادوا أَنْ

(١) قوله: «منبه» كذا ظاهر رسمه بالمخطوط، على أنّه يحتمل غير وجه، ولم يظهر توجيهه على وجه الدّقّة.

يَسْتَسْقُوا فِي السَّنةِ اجْتَمَعُوا فصَلُّوا ودَعَوا، وعليُّ بنُ حَرْبٍ يُصَلِّي ويَدْعُو اللهَ تعالى كُلَّ يومٍ فرَجَوتُ أَنْ يَدْفَعَ اللهُ بِهِ عَنْ بلدي ومَنْ فيها البَلاءَ.

وأَخْبَرَنِي عَواضُ بنُ عليٍّ الشّاطريُّ ﵀ قال: كان يكون في أيّام الخَرِيف عند عليِّ بنِ حَرْبٍ ﵀ جماعةٌ، تجتمعُ في محلّةٍ مِنَ المسلمين ورِجالِ الدِّيْن، فإذا كان يوم الجُمُعُة جَمَعَهُم[٩٥][1] المسجدُ، فيَأْمُرُ لهم بكَبْشٍ فيُذْبَح، وطَعامٍ فيُعْمَل، ثمّ يَدْعُوهم فيَأْكُلُونه، وكان يكون ذلك دَأْبَهُ حتّى تنقضي أيّام الخَرِيف.

وأَخْبَرَنِي أَسْعَدُ بنُ أبي السُّعُودِ بنِ المختار، الصَّيْقَل عندنا، وكان مِنْ ثِقاتِ المسلمين والمَرْضِين منهم في بلادنا، وممّن صَحِبَ شُيُوخَ الزّيديّة وخالَطَهم، قال: أَخْبَرَنِي عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ قال: أَقْبَلَ عليُّ بنُ حَرْبٍ ﵀ إلى رَيْدَةَ في جماعةٍ مِنَ الزّيديّة لهم رِواءٌ ومَنْظَرٌ وقَدْرٌ عند النّاس، فتَلَقّاهُ رَجُلٌ شِرِّيرٌ مِقْدامٌ على الله تعالى والنّاسِ بكُلِّ سُوءٍ، مِنْ قَومٍ طُمّاعٍ كانوا برَيْدَةَ، أَهْلَ شَرٍّ وعَرٍّ[2]، يُقالُ: بنو موجر، وكان هذا الرَّجُلُ إمامَهم المُقَدَّم في كُلِّ ظُلْمٍ وإِثْمٍ حتّى صار مَثَلاً، ويُقالُ له: أَرْبَد، فسَبَقَ إلى عليِّ بنِ حَرْبٍ وأَصْحابِهِ -وأنا يومئذٍ معهم غُلامٌ فِيْمَنَ سَبَقَ مِنَ النّاس للسّلام عليهم- فلمّا فَرَغُوا مِنَ السّلام اسْتَقْبَلَ عليَّ بنَ حَرْبٍ ﵀ وقال: يا شيخُ، أَبْطَأَ عليَّ لِقاؤُكَ ولي مُدّةٌ لم أَرَكَ، وقدِ احْتَجْتُ إلى تلك الوَدِيْعةِ الّتي أَوْدَعْتُك، فماذا تَرَى؟ قال: ففَهِمَ الشّيخُ ما أرادَ وما عندَهُ فتَلَقّاهُ بصَبْرٍ وحِلْمٍ وخُلُقٍ حَسَنٍ، وقال: قد نسيتُ ما أَوْدَعْتَني فذَكِّرْني ما كان. قال: كنتُ أَوْدَعْتُك خمسةَ دنانير. قال: وكان قدِ اتَّفَقَ مع الشّيخِ يومئذٍ شيءٌ يَسْتُرُهُ اللهُ بِهِ، فأَخْرَجَ له خمسةَ دنانير، وقال: قد أَبْطَأْنا فاجْعَلْنا في حِلٍّ، وأَحْسَنَ إليه الاعْتِذار. فأَخَذَها وانْصَرَف.

قال: فلمّا رأى ذلك تلك الجماعةُ هَمُّوا بأَرْبَد الهُمُوم، فمِنْهُم مَنْ رام أَنْ يُنْهي أَمْرَهُ إلى

---

(١) كُرّر في المخطوط «جمعهم» مرّة في نهاية الورقة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

(٢) **العَرّ**، بفتح العين، ههنا: إتباعٌ للشّرّ للمبالغة والتّوكيد؛ وفي اللُّغة: العُرُّ، بضمّ العين: الجَرَب.

سُلْطان البلد، ومِنْهم مَنْ رَأى أن يُشَهِّرَ قُبْحَ ما صَنْع في النّاس؛ فكان في ذلك ما يُؤَدِّبُهُ وغير ذلك ممّا يَخْطُرُ ببالِ المُغْتاظِ، ويحدثُ عند الغَضَب، فمَنَعَهم عليُّ بنُ حَرْبٍ عَنْ كُلِّ ما هَمُّوا به، وسارُوا حتّى دَخَلُوا جامع رَيْدَةَ فاسَتَراحوا إلى وقتِ الصّلاة من الظُّهْر، ثمّ أَخَذُوا في الأُهْبَة لها فبَيْنا هم كذلك إذْ أَقْبَلَ أَرْبَدُ حتّى أَتَى عليَّ بنَ حَرْبٍ فدفع إليه الدّنانيرَ، وقال: إنّما أَرَدْتُ أَنْ أَخْتَبِرَك ما تَصْنَع حين رَأَيْتَ تَلَقِّي النّاسِ لك وتَعْظِيْمِهم لقَدْرِك، فالْتَفَتَ عليُّ بنُ حَرْبٍ[٩٦] إلى النّاس، وقال: قد سمعتُم ما قال هذا الرَّجُلُ؟ فقالوا: نعم. قال: فقد تَصَدَّقْتُ بهذه الدّنانير عليه وحَرَّمْتُها عليَّ. فأَظْهَر أَرْبَدُ الكَراهَة لذلك، فأَبَى عليُّ بنُ حَرْبٍ أَنْ يَقْبَلَها، وقال: خُذْها بارك الله لك فيها، واحْذَر أَنْ[١] تجعل هذا سُنّةً في المسلمين. فأَخَذَها وانْصَرَف.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله قال: كان رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ رَيْدَةَ قد غيّر زَرْعاً[٢] لجُشَيْم بن عليٍّ اللَّعَويّ، وكان مِنْ أَجِلّاء هَمْدان وذوي الهَيْبَة، ثمّ تاب ذلك الرَّجُلُ فخَشي على نفسِهِ مِنَ اللَّعَوِيّين إنْ أَقَرَّ ومِنَ اللهِ إنْ أَصَرّ. فشكا ذلك إلى عليِّ بنِ حَرْبٍ فقال رحمه الله: أنا أكفيك ذلك إنْ شاء الله، ولا يَعْلَمُ بك أَحَدٌ، فأَتَى عليُّ بنُ حَرْبٍ رحمه الله جُشَيْماً وسأَلَهُ أَنْ يَهَبَ له ذلك الزَّرْع -أو قال قيمتَهُ- وقال: أُحِبُّ أَنْ تكون توبةُ صاحبِهِ إليّ متى تاب. ففعَلَ جُشَيْمٌ ذلك ووَهَبَهُ له على الوَجْهِ الّذي أَرادَ ممّا يكون به نَجاةُ الرَّجُل. ثمّ أَتَى الرَّجُلَ التّائبَ فتَصَدَّقَ بذلك عليه وحَلَّلَهُ منه، وفعَلَ له ما رَجا أَنْ يكون به خَلاصُ مثلِهِ.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ قال: أَتَى إلى عليِّ بنِ حَرْبٍ رحمه الله رِجالٌ مِنْ أَهْل صَنْعاء، مِنْ طُلّاب العِلْم والاسْتِرْشاد، فلمّا حانَ انْصِرافُهم إلى صَنْعاء جَعَلُوا يَدْعُون له ويُثْنون عليه، يَقُولون: نَفَعْتَنا وبَصَّرْتَنا. فلمّا رَأَى ذلك منهم قال: هل تَدْرُون ما مثلي ومِثْلُكم؟ إنّما

---

(١) في المخطوط: «أن أن» «أن».

(٢) في المخطوط: «رزعاً» بتقديم الرّاء المهملة، وهو وَهْم.

أنتم كقوم وَرَدوا بِرْكَةً كثيرةَ الطُّحْلُب، ففَرَّقُوا الطُّحْلُب عَنْ وَجْهِ الماء بأَكُفِّهم، فانْفَرَق، فلمّا رَفَعُوا أَيْدِيَهم عنه رَجَع إلى مِثْلِ حاله الأُوْلى.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ اللهُ قال: أَتَى عليُّ بنُ حَرْبٍ بابنِ أُخْتِهِ أحمدَ بنِ أبي القاسم الرَّبَعيِّ مُؤَدِّباً اخْتُيرَ له، فقال للمُؤَدِّب: **إنّي قد أَتَيْتُكَ بغُلامٍ عاقلٍ، فلا تَرُدَّهُ إليَّ مجنوناً، إيّاك أَنْ تُفْزِعُهُ حتّى يَسْتَشْعِرَ الخوفَ مِنْكَ فيُشَرِّدهُ خوفُك، فإنّك متى فَعَلْتَ ذلك لم آمَنْ أَنْ تُعَلِّمَهُ فلا يَفْهَم، أو تَدْعُوهُ فلا يَأْمَن أَنْ تكون تُريدُ به شَرًّا. اغْتَنِمْ أوقاتَ نشاطِهِ وإقْبالِهِ بقَلْبِهِ إليك، ولا تَتْبَعْ حالاتِ ضِيْقِهِ وفُتُورِهِ، ولا تُغْلِظْ عليه عند مَلالِهِ.**

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ اللهُ قال: سمعتُ عليَّ بنَ حَرْبٍ رَحِمَهُ اللهُ يَقولُ: هذا طَرَفُ الحَلالِ هٰهنا[٩٧]، وهذا طَرَفُهُ الثّاني هٰهنا، فإذا أَخَذْتَ أَخَذْتَ وَسَطاً، ومتى تَوَسَّطْتُ بينهما فعَثَرْتَ وَقَعْتَ في وَسَطِ الحَلال؛ وإذا انْتَهَيتَ إلى آخِرِ حَدٍّ منهُ لم آمَنْ أَنْ أَعْثَرَ فيكون وُقُوعي في الحَرام. وهذا الكلام فيه معنى الحديث عَنْ رَسُولِ الله، صلّى الله عليه: «**الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرامُ بَيِّنٌ، وبين ذلك أُمورٌ مُشْتَبِهَة، فمَنْ تَرَكَ ما اشْتَبَهَ عليه فهو لِما اسْتَبان لَهُ أَتْرَكُ، ومَنِ اجْتَرَأَ على ما شَكَّ فيه أَوْشَكَ أَنْ يُواقِعَ ما اسْتَبَانَ له، ومن يَرْتَعُ حول الحِمَى يُوْشِكُ أَنْ يُواقِعَهُ**»(١). والحديث عنه، صلّى الله عليه: «**لِكُلِّ شيءٍ حِمًى، وإنَّ حِمَى اللهِ مَحارِمُه، أَلَا وإنَّ الرّاعي حول الحِمَى يُوْشِكُ أَنْ يَقَعَ فيه**»(٢).

وأَخْبَرَني أبو الجَيْشِ بنُ العَلاء التُّمانِيُّ، وكان مِنْ أَفاضل الزّيديّة وذَوي الدِّيانة فيهم عَنْ مشائخه مِنَ الزّيديّة قال: لَقي عليَّ بنَ حَرْبٍ رَحِمَهُ اللهُ، رَجُلٌ مِنَ العامّة، وقدِ اسْتَنْكَرَ منه بَعْضَ ما يَجُوز في الشّريعة ولا يَعْرِفُهُ العَوامُّ، فلامَهُ عليه وعَنَّفَهُ، فأَقْبَلَ عليُّ بنُ حَرْبٍ عليه،

---

(١) السّنن الكبرى للبيهقيّ: ٥/٥٤٦، وفيه: «... اشتبه عليه كان لما استبان له أترك، ومن اجترأ على ما يشكّ فيه أوشك أن يواقع ما استبان له، والمعاصي حمى الله ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه».

(٢) المعجم الكبير للطّبرانيّ: ٢١/١٢٥، وفيه: «من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ولكلّ ملك حمى، وحمى الله محارمه».

وقال: جَزاكَ الله خيراً، نَبَّهْتَ وذَكَّرْتَ وفَعْلَتَ ما يَأْجُرُك الله عليه، ودعا له دُعاءً حسناً.

وكان مع عليٍّ بعضُ أَصْحابِهِ فقال: يا شيخُ، تَعْتَرِفُ لهذا بخَطِيئةٍ ولا خَطِيئة! قال يا خَيُّ، لو دفعتُهُ عَنْ هذا وزَجَرْتُهُ عَنْهُ انْقَطَع عَنِّي نُصْحُ النّاصحين ووَعْظُ الواعظين وتَنْبِيْهُ المُنَبِّهين، وأنا إلى ذلك محتاجٌ.

وسَمِعْتُ أبا الجَيْشِ بنَ العَلاءِ يُحَدِّثُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أنّه كان يَقُولُ: **مِنْ سَعادَةِ المؤمنِ أَنّ كُلَّ أَحَدٍ يَحْرُسُهُ**. يُريدُ أنَّ المؤمنَ يَعِظُهُ إذا زَلَّ، ويُذَكِّرُهُ إذا غَفَل، والفاسِقَ يُعَيِّرُهُ بذَنْبِهِ، فيَتُوب منه، ويَنْشُدُ إِقْلاعَهُ وتَباعُدَهُ عنه.

وأَخْبَرَني أبو الجَيْشِ بنُ العَلاءِ التِّهاميُّ أيضاً قال: سار نَفَرٌ مِنَ الزّيديّة الأَخيارِ إلى عِنَبٍ لهم كان قد حَصَل بشِعابٍ مِنْ أَعْناب[1] أَرْض الصَّيَد، وهناك حامٍ لتلك الأَعْناب يَنْظُرُ إليهم، فلمّا تَوَسَّطُوا الأَعْناب هَبَطَ إليهم يَسْعَى بسُرْعَةٍ حتّى سَلَّمَ عليهم، ثمّ قال: أَعِزّوا مَنْ أَعَزَّكم، واعْلَمُوا أَنَّ غَيْرَكم لا يُتْرَكُ يَسِيرُ هٰهنا بين هذه الأَعْناب. ففهموا ما أَرادَ وجَعَلُوهُ مَوْعِظَةً يَتَدارَسُونها. وإنّما أَرادَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بالدِّيْن وأَهْلِهِ أَنْزَلَهم تلك المَنْزِلة عند النّاس فذَكَّرَهم فَضْلَ ذلك وفَضْلَ نِعْمةِ الله عليهم، ونَبَّهَهم على المحافظة على ذلك.

وأَخْبَرَني أبو الجَيْشِ بنُ العَلاءِ التِّهاميُّ قال: كان عند عليِّ بنِ[٩٨] حَرْبٍ رحمه الله نَفَرٌ مِنَ المسلمين، فنَفِدَتْ نَفَقاتُهم، ولا عِلْمَ له ولا لهم حتّى أَعْلَمَهُ أَهْلُهُ ليلاً، فرَكِبَ دابَّتَهُ مِنْ وقتِهِ، وسارَ حتّى أَتَى عبدَ الله بنَ أبي قَبْيح[2] بناحيةِ الحَوايط مِنَ البَوْن الأَعْلى، وكان أَحَدَ شُيُوخِ الزّيديّة المُعِيْنين على طاعةِ الله والمُنْفِقين في سبيل الله، فشَكا عليه أَمْرَهم. وكان قد طَلَبَ بَعْضُ مَنْ له الشُّفْعَةُ عليه، في مالٍ اشْتَراهُ، خُصُومتَهُ، وكان المال قدِ اشْتَراهُ

---

(١) بعده في المخطوط كلمة غير واضحة الرّسم، أو محكوكةٌ لاطّراحها.

(٢) قوله: «قبيح» نُثرت النّقاط تحته وفوقه حتّى عزّ توجيه، على مجيئه مضبوطًا.

بسبعين ديناراً، فقد أَعَدَّها الخَصْمُ له، وعبدُ الله يَأْبَى أَنْ يُسَلِّمُ له ما اشْتَرى إلّا بعد المُحاكمة إلى حاكمٍ مِنَ حُكّام المسلمين، فهو على ذلك إلى أَنْ أَتاهُ عليُّ بنُ حَرْبٍ، رحمهما الله، فخرجَ مِنْ ساعتِهِ إلى الشَّفِيع فسَلَّمَ[(١)] له المالَ، وأَتَى بالدّنانير حتّى دَفَعَها إلى عليِّ بنِ حَرْبٍ، فانْصَرَف بها، فأَنْفَقَها على المُتَعَلِّمِين.

وأَخْبَرَني أبو الجَيْشِ وغيرُهُ أنّ عليَّ بنَ حَرْبٍ أَتَى بجِرابٍ مملوءةٍ دَراهمَ مِنَ الدَّراهم الأُوْلى الّتي لها قَدْرٌ، فأَنْفَقَهُ على المُتَعَلِّمين، وأَحْسِبُ هذا الخَبَرَ ممّا كان يُحدِّثُ به عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله.

فأمّا أبو الجيشِ فقال في خَبَرِهِ: إنّ الّذي بَعَثَ إلى عليِّ بنِ حَرْبٍ بجِرابِ الدَّراهمِ عبدُ الله بنُ أبي قَيْبح رحمه الله أيضاً.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى بنِ عبد الله اليَحِيريُّ قال: كانتْ وَصِيَّةُ العَبّاسِ الخَيوانيِّ ببيت شَهير بيَدِ أبي رحمه الله، يَقُومُ عليها، ويَنْظُرُ فيها، ويَصْرِفُها في مَصارِفها، وكان أبي رحمه الله يومئذٍ وَكِيْلاً لعليِّ بنِ حَرْبٍ رحمه الله، وكان قد غابَ عَنْ بيتِ شَهير إلى رَيْدَةَ لعُذْرٍ أَلْزَمَهُ ذلك. ثمّ إنّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بيت شَهير يُعْرَفُ بابنِ مِكْيال ادَّعَى في الوَصِيّة دَعْوى، وزَعَمَ أنَّ منها شيئاً له، فدَخَلَها، وذلك في أَوانِ الخَرِيف، فأَكَلَ منها وقَطَفَ مِنْ عِنَبِها شيئاً في إناءٍ معه، وانْصَرَف به. قال: فاغْتاظَ أبي رحمه الله، فرَكِبَ، وكان قد صارَ كبيرَ السِّنِّ إلى عليِّ بنِ حَرْبٍ، وسِرْتُ مَعَهُ حتّى دَخَلْنا عليه، فلمّا سَلَّمَ أَخْبَرَهُ بما صَنَعَ ابنُ مِكْيالٍ، وهو ساكتٌ ما يَتَكَلَّم، وأَرادَ أبي الانْصِراف، فقال: ما تَصْنَعُ في هذا الأَمْر؟ فقال: يا مولاي، وما أَصْنَعُ هذا مالُ لله، وهو أَقْدَرُ مِنّا على ابنِ مِكْيالٍ وغيرِهِ؛ وذَعْفانُ سُلْطانٌ جَبّار، فإنْ شَكَوناهُ إليه ضَرَبَ عُنُقَهُ، وليس عليه هذا، فإنْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَمْنَعَ مِنْ مالِهِ فذلك[٩٩][(٢)]

(١) في المخطوط كان يريد أن يكتب: «عليه» ففعل، ثمّ ضبّب عليها تضبيباً خفيفاً.

(٢) كُرّر في المخطوط «فذلك» مرّة في نهاية الورقة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

إِلَيْهِ لا إليّ. قال: فانْصَرَفْنا، ووَثَبَ ابنُ مِكْيالٍ على حِصْنِ أَهْلِ ثَوْمَح فأَخَذَهُ في الحال، فصَرَخَ الثَّومَحيّون بالأَقْهوم وبعضِ هَمْدان فقَتَلُوهُ، فدَخَلْنا الحِصْنَ بعد قَتْلِهِ وإذا ذلك العِنَب الّذي أَخَذَهُ مِنَ الوَصِيّة باقٍ بعَيْنِهِ كما رأيتُهُ عندما قَطَفَهُ ما ذاقَهُ.

عُلَيّانُ بنُ سَعْد

هو عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ.

نسبُهُ في بني بَحِير مِنْ ضيافِ [بنِ سُفْيانَ][١] بنِ أَرْحَبَ، وأَصْلُ مسكنِهِ شُوابة مِنَ الجَوْف الأعلى، ثمّ خَرَجَ عنها إلى مواضعَ، وتَنَقَّلَ في مساكنَ، وماتَ في موضعٍ اعْتَزَلَ فيه بالطَّرَفِ مِنْ حَضُورِ الأَحْبوب؛ يُقالُ له: الرَّوْعة، وبه بَقِي وَلَدُهُ وبنو أَخِيْهِ وعَقْبهم إلى الآن.

وكان عُلَيّانُ رَحِمَهُ اللهُ في الزّيديّة عظيمَ القَدْرِ لعِظَمِ تَأْثِيرِهِ في إحياء[٢] الدِّينِ وتَكثيرِ عَدَدِ أَهْلِهِ. وكان أَيْنما رَجَا حياةً بَنَى مَسْكَناً وعَلَّمَ وأَعانَ حتّى يَسْتَوِي به لمن يَعْتَزِلُ إليه الأَمْر ثمّ الْتَمَسَ موضعاً آخر؛ فكان رَحِمَهُ اللهُ سَبَبَ بناءِ مواضعَ كثيرةٍ، منها ما به أهلُهُ إلى الآن، منها بمَسْوَر، ومنها بناحية بلد جَنْب المَحْجَر المعروف بمَحْجَر قلد، وهو بلدٌ قريبٌ مِنْ بلادنا يَتَيامَنْ عنها، وأَحْسِبُهُ كان سببَ بعضِ ما أُسَّ مِنْ مِثْلِ ذلك ببلاد الأَهْنُوم وحَضُور وغيرها. وشُهْرةُ فضلِهِ وأَخْبارِهِ في الزّيديّة أَوْضَحُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ وأَبْيَن مِنْ عَيْنِ الشّمْس، وما أَحْكي هٰهنا منها شيئاً إلّا لئلّا أُخِلَّ بذِكْرِهِ، وهو أَفْضَل مِنْ غيره.

فأَمّا خَبَرُهُ في بَدْءِ أَمْرِهِ فمِنْهُ ما أَخْبَرَنا به العبدُ الصّالحُ أَسْعدُ بنُ عبد الفاضل العُبَيْديُّ المَدَريُّ، وكان مِنْ أَصْحابِهِ وممّن تَرَبّى بآدابِهِ وأَخَذَ على آسانِهِ[٣]، قال: كان

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين زيادةٌ يتحوّجها النّسب، وقد مرّ على التّمام.

(٢) في المخطوط: «حيات» بتاءٍ مبسوطة، وقبل الكلمة ألفٌ صغيرة.

(٣) **آسان** الرّجل: مذاهبه، **والآسان**: الآثار القديمة، وكذا جمع الأُسُن بضمّتين، وهو الخُلُق زِنَةً ومعنًى، يُقالُ: هو على آسانٍ مِن أَبيهِ وآسالٍ، أَي على شَمائلَ مِن أَبيهِ وعلى أَخْلاقٍ من أَبيهِ؛ التّاج: (ء س ن).

عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ﵀ يُخْبِرُنا بأَخْبارِهِ فقال: كنتُ قد صَحِبْتُ الأَشْرافَ بشَهارَةَ في حُرُوبهم ومَغازِيْهم، وأَصَبْتُ مَظالِمَ وجَنايا[1]، ثمّ إنّها حَدَثَتْ لي عِبْرَةٌ ومَوْعِظَة، فعَزَمْتُ على التّوبة، فتَعَلَّمْتُ الصّلاة، ثمّ أَدْرَكَتْني خَشْيةٌ ورَغْبَةٌ في النَّجْوة، فاعْتَزَلْتُ القُرَى ومِلْتُ إلى ناحيةٍ مِنْ جَبَلٍ، فأَصَبْتُ بها مَأْوًى كنتُ آوي إليه، فأَقَمْتُ[١٠٠] أَعْبُدُ اللهَ به بمَبْلَغِ عِلْمي، وقَدْرِ مَعْرِفَتي مُدَّةً مِنَ الزّمان.

وأَخْبَرَني أحمدُ بنُ أبي العريضِ، رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة مِنْ أَهْل بلادنا له عِلْمٌ ومَعْرِفَةٌ ودِيانةٌ، وصُحْبَةٌ لشُيُوخ الزّيديّة مِنْ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ وغيرِهِ، قال: قال عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ﵀: فلقيتُ يحيى بنَ عَمّارٍ، وكان شَيْخاً مِنَ الزّيديّة يَنْزِلُ ناحيةَ ناعِط وما والاها مِنْ مَشْرِق حاشِد، وكان يَقُولُ بالاخْتِراع ويَعْتَقِدُ الخِلافَ الّذي عليه المُخْتَرِعَة مِنَ الزّيديّة، شديدَ التَّعَصُّبِ له عظيمَ الوِلاية والعَداوة عليه، وكان مَشْهُوراً في تلك النَّواحي يُتَحاكمُ إليه ويَقْضي بين النّاسِ= قال عُلَيّانُ: فلمّا لقيتُهُ رَأَى رَغْبَتي في الدِّيانة وتَوبَتي وحُسْنِ قَصْدي، فقال لي: بارَكَ الله فيك، لقد أَصَبْتَ ولكن احْذَرْ عليك هؤلاء الطّبعيّة المَلاعين. يعني مُخالِفِيْهِ مِنَ الزّيديّة؛ وكان في خُلُق يحيى بنِ عَمّارٍ دَعارَةٌ، وفي لسانه بَذًى وجَراءَة. قال عُلَيّانُ: فكان قولُهُ هذا في نفسي.

ثمّ بعد ذلك لَقِيْتُ عليَّ بنَ حَرْبٍ، رحمةُ الله عليه، فسَرَّني ما رأيتُ منه مِنَ الخير والفَضْل، وأَدْناني وأَحْسَنَ صُحْبَتي، وأَخْبرتُه بما قال يحيى بنُ عَمّارٍ، فقال: عَفا اللهُ عَنّا وعنه. ولم أسمعْ منه كما سمعتُ مِنْ يحيى بنِ عَمّارٍ، فاطْمَأْنَنْت إليه. ثمّ قال لي بعد ذلك: يا عُلَيّانُ، ههنا جُمَيِّعَةٌ مِنَ أولياء الله، فهَلْ لك أَنْ نَزُورهم[2]؟ فأَجبتُهُ إلى ذلك. فأَتَيْنا سَناع وبها أولئك المَشائخ الّذين مِنَ الطّراز الأَوّل، فلم أَحْتَجْ معَ النَّظْر إليهم وإلى ما هم عليه مِنَ الدِّيانة وإلى

---

(١) **جَنايا** وجِنايات: جمع جِناية.

(٢) في المخطوط: «نزوراهم».

حُسْن ترتيبهم فيها إلى دليلٍ على فَضْلِهِم، وتَيَقَّنْتُ أنّهم النّاسُ. ثمّ طالبتُهم على ما يَعْلَمون ويَتَعَلَّمون مِنَ الاعْتِقاد بالأَدِلَّة، فأَتَوا بما لا مَزِيدَ عليه في البُرْهان، ولا شَكَّ معه في البيان، فانْقَطَعْتُ إليهم بعد ذلك، ورَفَضْتُ أهلي، ووَطَني إلّا مِنَ الزِّيارة في الحِيْن بعد الحِيْن.

وأَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ عبدِ الفاضل العُبَيْديُّ رَحِمَهُ اللهُ في صِفَةِ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللهُ قال: كانت المَسْألةُ تُفْهَمُ مِنْ لِسانِ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللهُ بسُهُولةٍ حتّى كَأَنَّ مَنْ يَسْمعها قد كان حَفِظَها مِنْ قبل؛ لحُسْنِ تَأْدِيَتِهِ في العِبارة وتَقْرِيْبِهِ(١) [١٠١] للبعيد إلى أَفْهام النّاس، ومَعْرِفَتِهِ بما يُسْرِعُ إلى عُقُولهم مِنَ الأَمْثالِ والأَلْفاظ التي يَعْتادون، وتَقْرُبُ مِنْ طِباعِهم حتّى يكونَ المُتَعَلِّمُ المُبْتَدئ في سُرْعة عَرْض دَرْكِهِ للغَرَض المقصود كالمُتَوَسِّط، والمُتَوَسِّط كالبالِغ للغاية مِنَ الكلام. مع كرمِ شِيْمَةٍ، وسَخاءِ نَفْسٍ، وبَذْلِ مُواساةٍ، وسماحة يَدٍ، وتَواضُعٍ ورِفْق، واسْتَجابَ لَهُ مِنَ النّاس في أيّامِهِ خَلْقٌ كثيرٌ، وجالَ في قبائل اليَمَن ومساكنها لطَلَبِ التَّعْليم والإرْشاد إلى العَدْل والتَّوْحيد على الحقيقة، واتَّفَقَ رأيُ الزّيديّة في عَصْرِهِ على التّقديم له في الرَّأْي والإمامة في الصّلاة تَيَمُّناً به وتَبَرُّكاً ومعرفةً لفَضْلِ عِلْمِهِ وقَصْدِهِ ووَرَعِهِ.

وأَخْبَرَني جماعةٌ مِنْ رِجالِ الزّيديّة عندنا وفي سائر البلاد منهم: محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ، وعُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ، وأسعدُ بنُ عبد الفاضل، ومحمّدُ بنُ إبراهيم بنِ حُمَيدٍ،

---

(١) ثمّة حاشية ليس في المتن دلالةٌ على موضعها منه رغمّ تعلّقها به على أنّها بخطٍّ مُغاير، وفيها فائدة ضبط اسم عُلَيّان، بضمٍّ ثمّ فتح ثمّ ياء مشدّدة -لعلّ هذا الضّبط يخصّ عُلَيّان بن سعد، أمّا عَلْيان بن إبراهيم فبفتح العين وسكون اللّام، هكذا ضُبط اسمه مرّةً واحدة في رأس ترجمته- ونصُّ تلك الحاشية: «كتب أبو السُّعودِ بن أبي ثورٍ إلى عُلَيّانَ بن سعدٍ: (من الخفيف)

بَلِّغ الأَرْيَحِيَّ عَنّي عُلَيّا ... نَ وجَمِيْعَ الإخوانِ مِمَّنْ يَلِيْهِ

أَنّني مُصْطَفٍ مِنَ الدِّيْن ما كا ... نَ بَني العبْديِّ (كذا) لَنا يَصْطَفِيْهِ

مَذْهَبي مَذْهَبُ الأَئِمَّةِ زَيْدِ بْـ ... ـنِ عَلِيٍّ وقاسِمٍ وبَنِيْهِ

لَسْتُ إنْ كُنْتُ ذا اعْتِراضٍ أُرَى بالـ ... ـجَبْرِ والاخْتِراعِ والتَّشْبِيْهِ

عُذْتُ باللهِ مِنْ مَقالٍ بَدِيْعٍ ... واعْتِقادٍ لَدَيْهِ لا يُرْضِيْهِ».

وأحمدُ بنُ أبي العريض، وأبو السُّعُودِ بنُ عبدِ الله أَحَدُ شُيُوخِ المسلمين عندنا وأَهْلِ الاجْتِهاد -دَخَلَ خَبَرُ بعضِهم في خَبَرِ بعضٍ- قالوا: كان عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ رحمه الله حريصاً على إِحْياءِ الحقِّ، شديدَ المُثاقَبة للتَّعْليم قدِ اعْتاظَ المُذاكرةَ في التّوحيد من كثيرٍ مِنَ التَّسْبيح ومثله مِنَ العِبادة، وتَشاغَلَ به في فَراغِهِ وشُغْلِهِ.

وكان رَحّالاً في البلاد مِنْ أَجْلِ ذلك خاصّةً، ذا عِنايةٍ بمُناظَرَةِ شُيُوخِ المُخالفين، ومُتَكَلِّمِيهْم، قَويَّ الكَسْرِ عليهم بأَقْطَعِ حُجَّةٍ، وأَحْسَنِ بيانٍ، وأَقْرَبِ مُتَناوَلٍ، وأَوْجَزِ لَفْظٍ، وأَلْطَفِ حيلة، حتّى لم يَبْقَ لأَحَدٍ منهم في البلادِ الّتي يختلفُ إليها كلامٌ ألبَتَّةَ، فمنهم من ...[1]، ومنهم مَنِ انْقَمَعَ وانْجَحَر، ولم يَعُدْ إلى التَّعَرُّض لكَلامِهِ. ومنهم مَنْ عانَدَهُ وأَظْهَرَ التَّشْنِيعَ عليه، ولا يجِدُ إلّا ما يَنْكَشِفُ للعامّة والخاصّة فيه سلامةُ ساحَتِهِ، ونَقْصُ المُخالِفُ لَهُ، فلا يَحِيكُ[2] ذلك في عُقُولِ النّاسِ مع ما يَرَونَ مِنْ فَضْله.

ثمّ كان لا يأتي بَلَدَهُ إلّا في سلاحِهِ وأَنْظَفِ ثِيابِهِ وأَجْمَلِها، وإذا رأى الفَقِيرَ والعُرْيان لم يَرُعْهُ أَنْ يَخْلَعَ عليه تلك الثِّياب. فبَلَغَ مِنْ سَماحَتِهِ، وحُسْنِ مُواساتِهِ في الله أَنَّ مَنْ كان يَراهُ بتلك الصِّفَة يكونُ أَكْسَى ما يكونُ صُبْحاً، ويُمْسي أَعْرَى ما يكون؛ نَلْتَمِسُ الحِيْلَةَ في بَقاءِ ثيابِهِ عليه بأَنْ نَكْسُوَهُ الكُسْوَةَ لله تعالى، ونَقِفُها احترازاً[١٠٢] مِنْ سُرْعةِ تَعَرِّيْهِ مِمّا يتجمّل به.

أَخْبَرَني نُجَيْمُ بنُ عبدِ الله بنِ أبي العريض، وقد ذكرتُهُ بصفتِهِ فيما تَقَدَّم، عَنْ بعضِ مَنْ أَخْبَرَهُ مِنْ ثِقاتِ الزّيديّة، نحو عمِّهِ أحمدَ بنِ أبي العريض قال: لقي عُلَيّان بنُ سَعْدٍ في بعضِ طُرُقِ مَسْوَر -أو بلاد حِمْيَر- امرأةً مِسْكينةً عاريةً وضُعَفاءَ معها مِنَ الأولاد عُراةً، قال: فجَعَلَ مَنْ معه مِنَ المسلمين يجعلون أَيْدِيهم أو ثِيابَهم على أَعْيانهم، فلم يَتمالك أَنْ نَزَعَ ثيابَهُ كلَّها إلّا ما يَسْتُرُ عَورَتَهُ وأَلْقاها على الامرأةِ وأولادِها. وكان فيمن معه عليُّ بنُ أبي الجيش، رَجُلٌ مِنْ سَلاطين بَني عبد الحميد، له دِينٌ وفَضْلٌ، فأَلْقَى عليه ثوبَهُ، وأَلْجأَهُ إلى لباسه بشيءٍ قاله.

---

(١) ثمّة طمسٌ قدر كلمتين، كأنّه طمسٌ متعمَّد.

(٢) لا **يحيك**: لا يُؤثِّر.

وأَخْبَرَني نُجَيْمُ بنُ عبد الله عَمَّنْ يَثِقُ به، نحو عمِّهِ أحمدَ بنِ أبي العريض، قال: أَقْبَلَ الشّيخُ عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ﵀ في رُفْقَةٍ له حتّى إذا كان بسَلَف مُدَع مِنْ بلد حِمْيَر، وهو أَبْرَدُ موضعٍ باليَمَن، لَقِيَهُ شيخٌ معه له أولادٌ عُراةٌ، فأَحْسِبُهُم قالوا: بكى لِما رأى بهم مِنَ العُرْي في تلك السّاعة ثمّ في ذلك الموضع. وكانت قد حصلتْ له دنانيرُ مِنْ بِرِّ إخوانه، فلم يحسن في كُسْوتهم حينئذٍ شيئاً، فدفع إليه الدّنانيرَ، وكان ﵀ به الحاجةُ الماسّةُ والعُدْم، فكانوا يتعجّبون مِنْ إيْثارِهِ على نفسه، مع ما هو عليه مِنَ الإقْلال.

ولم يَتَّفِقْ لأَحَدٍ مِنَ الزّيديّة انْقِيادٌ مِنْ عامّتهم وخاصّتهم، واعْترافٌ بالرّياسة والفَضْل، وقَبُولٌ للأَمْر والنَّهْي والتّعليم= بعد أبي الحسين(١) الطَّبَرِيِّ إلّا ما اتّفَقَ لعُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ ﵀.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ حُمَيدٍ ﵀ قال: كان يُصَلّي مدَّةً مِنَ الزّمان خَلْفَ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ ﵀ بمسجد الشَّمْس بوَقَش، خَلْقٌ مِنَ النّاس، لم يكن قَدِ اجتمع قَبْلَهُم مِنَ الزّيديّة في جماعةٍ مثلهم، فبَلَغَ ذلك حاتمَ بنَ الغُشَيْم الياميَّ أيّامَ سُلْطانِهِ بصَنْعاء، وهو مِنْ أَجْناد الصُّلَيحيِّين، كان قد تَغَلَّبَ على صَنْعاء وأَعْمالها، فأقامَهُ ذلك وأَقْعَدَهُ، وأَحْسِبُهُ قال: لقد صَلَّى خَلْفَهُ في جَبّانَتِها مِئُون مِنَ الرِّجال، لهم نُبْلٌ وهيئةٌ في الدِّيْن ورِفْعةٌ وفَضْلٌ وهِمَمٌ زاكية؟ قال: فقال: حاتمٌ يمكن أَنْ تُحَدِّثَ هذا نفسُهُ بطَلَبِ الأَمْرِ، وأَحْسِبُهُ قال: فهَمَّ بأَنْ يَغْزُوَ وَقَشَ؛ فقِيْلَ له: إنَّ الزّيديّة[١٠٣] لا يَرَون الخُرُوجَ مِنْ غيرِ إمامٍ فاطِميٍّ. فسَكَنَ وتَعَذَّرَ عليه ما هَمَّ به خوفاً ممّا يُحِيطُ بهذا الموضع مِنَ القَبائل وبني شِهاب وخَدَمِهم، وأَنْ يَتَوَرَّطَ في وَرْطَةٍ لا يخرج منها، فكَفَّ، وتَشاغل بحَرْبِ بني شهابٍ ونحو ذلك في وقتٍ مِنْ زمانه، فلم يَصِلْ إلى طائل.

وأَخْبَرَني أسعدُ بنُ عبدِ الفاضل ﵀ قال: كان عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ﵀ قَدِ اشْتَدَّ اهتمامُهُ

---

(١) في المخطوط: «أبي الحبيش»، وإنّما هو أبو الحسين، وهو أشهر من أن يُعَرّف في الزّيديّة.

ببلاد خَوْلان قُضاعة، وأَجالَ الفِكْرَ في العَمَل في إِصْلاحهم، وكان قد ظَهَرَ فيهم رَجُلٌ مِنْ أَهْل بلاد عَبْس، يَقولُ بالاخْتِراع ويَغْلُو في العَداوة والبِغْضَة، ويقول بتَنْجِيسِ رُطُوبات العُصاة والمخالفين مِنْ أَهْل القِبْلة برَأْيِهِ، وتَحْريم ذَبائحهم. ويَرَى رَأْياً بَدِيْعاً(١) مُنْكَراً لا يَراهُ الزّيديّة ولا المعتزلة، وهو أنّ الله تعالى يَخْتَرعُ في السَّيْفِ القَتْلَ وإلّا فلا يَقْتُل، وفي النّارِ الإِحْراقَ وإلّا فلا تُحْرِقُ، وكثير مِنَ الأَقْوال المُحْدَثَة؛ يُقالُ له: محمّدُ بنُ عبّاسٍ.

فأَخَذَهم بهذه الأُمُور الصَّعْبَة البَدِيعة فقَبِلُوها عنه، وانْقادُوا له حيثُ يَرَى منهم، وكان يَنْزِلُ بموضعٍ يُقالُ له: صارَة، مِنْ أَرْضِ بني جُماعة منهم.

وكانت خَوْلانُ أَحْسَنَ القبائل حِياطَةً للجارِ والنَّزيلِ، وأَوْفاهم ذِمَّةً، وأَمْنَعَهم مَنْعةً، وأَجْودَهم نَخْوةً، وأَسْلَمَهم صُدُوراً، لا يُعْرَفون بغَدْرٍ ولا إِدْغالٍ في شيءٍ، ولا خُلُقٍ فاضحٍ. فعَظُمَتِ الرّغبةُ مِنْ عُلَيّانَ ﷺ في اسْتِنْقاذهم مِنَ الهَلَكةِ بهذه البِدَع المُحْدَثة، ورَجاءِ الكَسْر على ابنِ عبّاسٍ، وإِبْطال مذهبِهِ ذلك وبِدْعَتِهِ المُحْدَثَةِ في العَدْل والتّوحيد، فأَتَى أرضَ خَوْلان، واجتمع هو وابنُ عبّاسٍ للكلام فيما أَحْدَثَ مِنْ خِلافٍ ونحوه، وكان عُلَيّانُ ﷺ قد نَزَلَ على رَجُلٍ مِنْ أَهْل ساقَين، كانت إليه رياسةُ قومِهِ وأَهْلِ بلدِهِ، يُقالُ له: عليُّ بنُ هلالٍ، وكان مِنْ أَقْرَبِ خَوْلان إلى فَهْمِ الدّقيقِ مِنَ الكلامِ والوُصُول إلى المَعْقُول. فلمّا تَكَلَّموا تَصَفَّحَ عُلَيّانُ كلامَ ابنِ عبّاسٍ ففَطَنَ لقَصْدِهِ فيه، وإنّما غَرَضُهُ التَّشْنيعُ عليه بشيءٍ يُذْعَرُ به عنه العَوامُّ ويُبَغِّضُهُ إليهم. وكان قد حَصَرَهُ(٢) في مَسائلَ وقَطَعَهُ بحُجَجٍ، فلمّا لم يَرَ أَحَداً ممّن حولَهُ فَهِمَ ذلك ولا دَرَى به أَمْسَكَ، وقد ضَجَّ ابنُ عبّاسٍ مِنَ الحَصْر، وضَجِرَ مِنْ ضَغْطِ الحُجَّة وكَرْب الكَسْر لِما في يَدِهِ، فرَفَعَ صوتَهُ وعَلا كلامُهُ وظَهَرَ لشِيْعَتِهِ[١٠٤] ضَجَرُهُ، فوَثَبَ إليه رَجُلٌ مِنْ أصحابِهِ فقال: أَقَدْ حَلَّ الرَّمْيُ،

---

(١) **البَديع**: المُبْتَدَع.

(٢) **حَصَرَهُ**: ضَيّق عليه.

أيُّها الشّيخ؟ فسَمِعَهُ عليُّ بنُ هِلالٍ فصاحَ بِهِ وأَخْزاهُ ببعضِ القَولِ فسَكَتَ، فرَجَعَ عَنْ مَقالِتِه ذلك؛ وقُطِعَ الكلام، وانْصَرَف النّاسُ كُلٌّ إلى أهلِهِ.

وقَرُبَ ابنُ هلالٍ مِنْ مُوافَقة عُلَيّانَ رحمه الله، فرَجَعَ عُلَيّانُ إلى مُسْتَقَرِّهِ مِنْ هِجْرَة الرَّوْعة بحَضُور، وقد قَطَعَ في نَيْلِ البُغْيَة، ودَرْكِ الطِّلْبَة مِنْ إحْياء بلاد خولان، ونَفْعِ أَهْلها. وقد سَبَرَ أَخْلاقهم، وعَرَفَ مِنْ أَيْنَ مأْتاهم، وكيف الحِيْلَةُ فيهم، فعَمِلَ على الأُهْبَة للرُّجُوع وعَظُمَتْ رَغْبَتُهُ في غَرْس الحقِّ بينهم رَجاءً للثّواب فيهم، ولتَحْصِينِ الدِّيْن من[1] دُوَلِ الظَّلَمَةِ الجائرين مِنَ الْمُلُوك، وإعْزاز أَهْلِهِ بجُوارِ مَنْ لا يُبالي بسُلْطانِ ذي سُلْطانٍ باليَمَن كُلِّهِ، ولا عَداوَةِ جَبّارٍ قَويٍّ –كان– أو ضعيفٍ. وثقة الجار بصِدْق نَصْرهم، وقوّة أَمْرِهم، وشِدّةِ أَسْرِهم في ذلك.

أَخْبَرَني أَسْعَدُ قال: كان شِدّة الاهتمام بهذا الأَمْر قد أَشْجى عُلَيّانَ وأَرَّقَّهُ وأَزْعَجَهُ وأَقْلَقَهُ إلّا أنّه لـمّا رأى مِنْ بُعْدِ أَفْهامِهِم عَنِ العُلُوم الغامِضة، وبُطْءِ أَذْهانهم في حَلِّ شُبَهِ المسائل العارضة، كان كثيرَ التَّفَكُّرِ في ذلك.

فأَخْبَرَني أَسْعَدُ رحمه الله قال: فكان عُلَيّانُ رحمه الله يَقولُ: ما الحِيْلَةُ في ذلك إلّا أن أَخْرُجَ بجماعةٍ مِنَ الزّيديّة ممّن له عَقْلٌ وبَصَرٌ وهِمَّةٌ في حياةِ الحَقِّ وعِلْمٌ وصَبْر، وقد أَخَذْنا نَفَقاتِنا مَصْرُورَةً معنا، ثمّ لا نقبلُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خولان قِرًى ولا رِفْداً، ولا نُكَلِّفُهم مَشَقّةً، ثمّ نختارُ مِنْ بلادِهم موضعاً نعمرُهُ ونجعلُهُ مَسْكَناً بين أَمْنَعِهِم مَنْعَةً، وأَوْفاهم ذِمَّةً، ونَقْعُدُ فَنُعَلِّمُ ونَتَعَلَّمُ برِفْقٍ وتُؤَدَةٍ، فإذا رأوا غِنانا عنهم في دُنْيانا، وحاجتهم إلينا في دِيْنِهم انْتَفَعُوا، وقَوِيَ التّأْثيرُ فيهم، ثمّ لم يَلْبَثْ أَنْ يَغْلِبَ الحقُّ الباطل على مُرُور الزّمان. قال: فمات رحمه الله وهو على ذلك، وكان عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ رحمه الله –مع ما ذَكَرْناهُ مِنَ العِناية بحياةِ الدِّيْن، والدُّعاء إلى الله والعِبادة والعِلْم، والصَّبْر على مُعاناةِ المَخْلُوقين والرِّفْق في ذلك– كثيرَ

---

(١) كتب في المخطوط: «الدين في» ثم كتب فوق «في» ما أثبت أعلاه؛ أي: «من».

النَّفَحاتِ بالعَطاء ممّا رَزَقَهُ الله، شديدَ المَحَبَّة لإطعامِ الطّعام في جَنْب الله، حريصاً على ذلك وغيرِهِ مِنْ كُلِّ بِرٍّ.

فأَخْبَرَني[١٠٥] عُلَيّانُ بنُ إبراهيمَ ﷺ قال: كنّا مرّةً في أيّام الخَرِيف جماعةً مِنَ الزّيديّة بمَدَر، فيهم طائفةٌ مِنَ المشائخ، رحمهم الله، وكان عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ يومئذٍ بالجَوْف، فأَتانا لِيُسَلِّمَ علينا ويَزُورَ المشائخ، رحمهم الله، الّذين كانوا هناك، ثمّ أَرادَ الرُّجُوع فأَتَيْتُهُ فقلتُ: يا أَبا المُهَلَّبِ، أَقِمْ معنا ولا تَعْجَلْ بالرُّجُوع. فقال: ليست معي لذلك أُهْبَةٌ، وما معي لِحافٌ ولا مِشْعَلٌ للطُّهُور. قال: فدَفَعْتُ إليه كسائي ومِشْعَلي، وقُلْتُ: اسْتَعْمِلْ هذين في هذه المُدَّة. قال: فهل معك دينارٌ تُسَلِّفَنيْهِ؟ قُلْتُ: نعم. ودفعتُ إليه ديناراً. فلم يكن بأَسْرَعَ مِنْ أَنْ ذَهَبَ وأَخَذَ بِنِصْفِهِ بُرًّا وبنصفِهِ لَحْماً، وجَمَعَ غَنيَّ الجماعةِ وفقيرَهم، فأَطْعَمَهُم إيّاهُ.

وأَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ أبي السُّعُودِ بنِ المختار، الصَّيْقَل ببلادنا، وكان يَنْزِلُ قارة الأَقْهُوم، قال: أَقْبَلَ عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ﷺ في جماعةٍ مِنَ الزّيديّة راجعين مِنْ بلاد الأَهْنُوم إلى بلادهم، فصادَفُوني بمسجد بِرْكة الظّهراوين[(١)]، وأنا حديثُ عَهْدٍ بالتّوبة، فطهروا وصَلُّوا، وذلك في أَذانِ الصّلاة مِنَ الظُّهْر -أو قال العَصْر- وكان بيَدَيْ كتاب (**الشّرح والتّبيين**) وكتاب (**الهجرة**) في مجلَّدٍ واحد، فنظر إلى ذلك عُلَيّانُ ﷺ -وأَهْلُ البلاد الغالب عليهم رَأْيُ الإباضَة- فلم يَشُكَّ في تَشَيُّعي، وفَهِمَ ما عندي من حُبِّ الدِّيْن وأَهْلِهِ، ومِنَ الجَهْلِ بكثيرٍ ممّا يَحْتاج إليهِ فيهِ الإنسان. فقال لي: ما لَكَ لا تَعْمَل بما في هذا الكتاب؟ وأَجْرَى معي حديثاً سَبَرَ به ما عندي مِنَ القَبُول لِما يُلْقَى إليَّ، ورجا مِنّي الانْتِفاع. فلمّا فَرَغَ أصحابُهُ مِنَ الصّلاة اسْتَنْهَضُوهُ للرَّواح، وكان غَرَضُهُم أن يأتوا هِجْرَة جَنْب، الّتي تُعْرَف بمَعِين، وكان هو الّذي أَسَّسها ﷺ. فاشْتَقْتُ إلى حَلاوَةِ حديثِهِ، ورغبتُ فيما عندَهُ فأَبَيْتُ

---

(١) في المخطوط: «الظهرين»، وإنّما هو الظّهراوين، كما مرّ وسيأتي.

عليهم إلّا أَنْ يكون مَبِيْتُهُم عندي فأَبَوا أَشَدَّ الإباء، وكانوا قدِ اسْتَعْجَلُوا واشْتاقُوا إلى الرُّجُوع إلى منازلهم، فبَدَرَتْ[1] مِنّي يَمِينٌ بالله العظيم ليَبِيْتُنّ، فلم يَلْتَفِتُوا إلى ذلك، وجَعَلُوا يَلْبَسُون ثِيابَهم وسِلاحَهم، ويجمعون أَدَواتِهم؛ وعُلَيّانُ جالسٌ بجَنْبي، فلمّا اسْتَقَلُّوا أَقْبَلُوا عليه بعَزْمٍ وجِدٍّ، وقالوا: قُم، يا شَيْخُ، ما هذا الجُلُوس؟ فأَمْهَلَهم حتّى فَرَغُوا مِنْ ذلك، ثمّ أَقْبَلَ عليهم: فقال: أما سمعتُم ما حَلَف بِهِ هذا الرَّجُلُ؟ فلو أنّه لم يَسْبِقْ منه يَمِينٌ لكان لنا أَنْ نَبِيْتُ معه[١٠٦]، إِذْ قد أَحَبَّ مَبِيْتنا والحديثَ معنا لله وفي الله. في نحوٍ مِنَ هذا الكلام. فخَزِيُوا إلى أَنْفُسهم وانْكَسُروا، فقَعَدُوا فباتُوا ليلتَهم تلك، فلم يَنْصَرِفُوا عَنّي حتّى فَتَحُوا لي عَيْناً على طُرُق النَّجْوة، وعَلِقَتْ محبّتُهم بقَلْبي، فلم يزل ذلك يَنْمو عندي ويُزْعِجني حتّى لَحِقْتُ بهم إلى هِجَرتهم، ونَفَعَني الله تعالى بهم.

وأَخْبَرَني أبو الجيشِ بنُ العلاء التُّمانيُّ، حَفَظَهُ الله، وكان مِنْ رجالِ الزّيديّة في العَصْر بوَقَش وأَهْلِ الزُّهْد والفِقْهِ والوَرَع فيهم، ومعرفتي به قويّةٌ، وخُلْطَتي له مُتَقَدِّمة، فله عندي في الأمانة والثِّقَة منزلةٌ عالية= قال: اجتمع مشائخُ الزّيديّة بوَقَش في وقتِ تَوافُرِهم وكَثْرَة الفاضلين، فمنهم في خَلْوةِ الحديث القديمة بالمسجد الأوّل، فانْعَقَد لهم مجلسٌ حَسَنٌ قَرَّتْ به عُيُونُهم؛ وكان ممّن شَهِدَهُ إبراهيمُ بنُ أحمدَ الصَّبَريُّ وإبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم وعُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ومحمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ ونُظَراؤُهُم، فتَكَلَّمُوا في شَرْحِ اعْتِقادهم، فاسْتَحْسَنَ ذلك محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ رحمه الله فقام قائماً ثمّ قال: يا مشائخُ، هذا أَحْسَنُ إلّا أنّه دَعْوى، فما الدّليل على صحّته؟ فقام عُلَيّانُ فقال: يا أبا عبد الله، إنّ المسألةَ بيننا تكون كالغَرَضِ المَنْصُوبِ بين الرُّماة تَدُورُ بها فلا يزال يَرْمِيها كُلٌّ مِنْ حيثُ هو، إِنْ كانت لنا أو علينا، يَثْبُتُ ما يَثْبُتُ ويَسْقُط ما يَسْقُط، فنَعْمَلُ بما صَحَّ وثَبَتَ، ونَتْرُكُ ما فَسَدَ وسَقَطَ.

وكان عُلَيّانُ رحمه الله عظيمَ العِنايةِ بإِحْياء الدِّيْن، شديدَ الصَّبْرِ على نَوائِبِهِ وكُلَفِهِ، بل

---

(١) في المخطوط: «فبدارت».

مشتاقاً إلى ذلك، عظيمَ التّواضُعِ، مَيِّتَ الكِبْر، قَعِيدَ التَّعْظيم، مُبْتَذِلاً لنفسِهِ وما يجدُ مِنْ مالٍ وما لَهُ مِنْ جاهٍ، فيما يَعودُ على الإسلام نَفْعُهُ.

فأَخْبَرَني أبو الجيشِ بنُ العلاءِ التُّمانيُّ، حاطه الله، قال: أَتَى عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ رَحِمَهُ الله وَقَش بعد أَنِ انْتَقَلَ إلى الرَّوْعة مِنَ الطّرف مِنْ حَضُور فوجد بها خمسَ مئةِ رَجُلٍ مِنَ المُتَعَلِّمين، فأَخَذَ منهم مئةً ورَجَعَ بهم إلى الرّوعة، فكان يُعَلِّم إلى انْتِصاف اللّيلِ ثمّ يَقُومُ إلى منزله يَطْحَنُ في باقي ليلته مِنْ نَفَقاتِهم ما اسْتَطاع. فكان ذلك دَأْبَهُ إلى أَنِ انْصَرَفوا.

وأَخْبَرَني أبو الجيشِ التُّمانيُّ، أصلحه الله، قال: دَخَلَ بعضُ العَوامِّ وَقَش فنَشَطَ للتّوبة، وأَقْبَلَ والنّاس في المسجد فقال: أُحِبُّ أَنْ أَتُوبَ إلى الله، فمَنْ يَغْسِلُ لي شَمْلَتي حتّى أُصَلِّيَ فيها، فلم يَخِفَّ إلى ذلك مِنَ الفِتْيان أَحَدٌ سُرْعَةً، وكان عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ[١٠٧] في الجماعة فوَثَبَ حتّى خَرَجَ بغيرِ حِذاءٍ، فأَخَذَ شَمْلَتَهُ فغَسَلَها، وأَعانَهُ على أَمْرِهِ فيما أراد. فجَعَلَ سائرُ النّاس يَنْدَمُ ويَتَأَسَّفُ على المُبادرة إلى ذلك، ويَعَجَبُ مِنْ سَبْقه إلى كلِّ فَضْلٍ حتّى فيما لا يُسْتَخْدَمُ فيه مثلُهُ مِنَ المَشاقّ، وما يَلِيْقُ بمَنْ دونَهُ سِنًّا وجاهاً، مع سِنِّهِ وجَلالَتِهِ فيهم.

وأَخْبَرَني أبو الجيشِ أيضاً قال: كان عُلَيّانُ بنُ سَعْد بعَجاز(١) مِنْ مَشْرِق بلاد هَمْدان، ومعه نَفَرٌ مِنَ الزّيديّة فيهم أبو القاسمِ بنُ شُجاع والفَتْحُ بنُ المسلم، وكان أبو القاسم قد بُلِيَ بالتَّرَدُّد في الطُّهُور وبُطْءِ اليَقين في ذلك عنده، فأَخَذَ له ذاتَ يوم ماءً فتَطَّهر منه للصّلاة حتّى انتهى إلى أَنْ غَسَلَ إحدى رِجْلَيْه وفَتَر ماؤُهُ، فصاح: مَنْ يَمُدُّني بماءٍ؟ فأراد الفَتْحُ تَأْدِيْبَهُ وامْتِحانَهُ لعلَّهُ يَتْرُكُ ذلك، فتَباطَأَ عنه، وسَمِعَهُ عُلَيّانُ فوَثَبَ حتّى خَرَجَ بغير نَعْلٍ، فأَتاهُ بماءٍ. فنَدَمَ القومُ وجَعَلَ بعضُهم ينظرُ إلى بعضٍ. والْتَفَتْ عُلَيّانُ إلى الفَتْح فقال: رَجُلٌ مثلُ هذا لا يُمْكِنُهُ المسيرَ إلى الماء ولا الدُّخُول للمسجد يُفْعَلُ به هذا في مثلِ هذه الحالة!

---

(١) قوله: «عجار» بإهمال أوّله وآخره، كذا ورد في هذا الموضع من المخطوط، برسم علامة الإهمال على العين والرّاء، وما عدا هذا الموضع فبالزّاي في المخطوط كلّه، على أنّه يُراد به الموضع نفسه من مشرق هَمْدان؛ وهو معروف اليوم بالرّاء المهملة أيضًا.

وأَخْبَرَني أبو الجيشِ بنُ العلاء قال: كان يعقوبُ بنُ هَمْدان الشّاوِريُّ مِنْ عِباد الله الصّالحين، ومِنْ أفاضل الزّيديّة وذَوي الدِّيانات منهم، وكان عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ رَحِمَهُ الله يحبُّهُ في الله ويُراعي حُقُوقَهُ. ثمّ إنّه ابْتَدأ به جُذامٌ فاعْتَزَلَ النّاسَ، فاشْتَدَّ اهتمامُ عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ بأَمْرِهِ، وشَقَّ عليه حالُهُ، واشْتَغَلَ به قَلْبُهُ، فكان يَخافُ عليه الفَقْرَ وشِدَّةَ الفاقة، ويخشى ألّا يقومَ مَنْ حولَهُ بفريضته فيَتَجَشَّم تَعَهُّدَهُ مِنَ الرَّوْعة إلى موضعه مِنْ بلاد بني شاوِر، والزِّيارة له في كلِّ وقتٍ بما يَقوتُهُ ويُصْلِحُ مِنْ شأنِهِ لا يُغَيِّرُ ذلك إلّا ريثما يُصِيبُ له رزقاً فيأتيه به. ثمّ إنّه عَرّفَ به آلَ السّرويِّ الجابريِّين بصَبَحة، وهو وادٍ مِنْ أَرْض بني شاوِر وظاهر بيت طور مِنْ أَرْض جَنْب اليوم. وكان فيهم رِجالٌ أهلُ دِيانةٍ ووَلايةٍ في الله ونَفْعِ المسلمين، وإِحْياءٍ للدِّين، وأَهْلِ الدِّين منهم المسلم وإسماعيل ابنا محمّدٍ السّرويِّ، ونَسَبُهُما في بني مرادِ بنِ جابرٍ مِنْ حاشِد مِنْ هَمْدان، وكانوا مِنْ أَغْنِياء النّاس فصَرَفُوا إليه مِنْ أَعْشارهم وصَدقاتِ أَمْوالهم ما انْتَفَعَ به حتّى مات.

وأَخْبَرَني أبو الجيشِ بنُ العلاء ونُجَيْمُ بنُ عبدِ الله بن أبي العريض عندنا بشَظَب[١٠٨]، وقد ذكرتُ ثِقَتَهُ وأَمانَتَهُ ودِيانَتَهُ عَنْ شُيُوخِهما مِنَ الزّيديّة، قال: أَتَى عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ونَفَرٌ مِنَ الزّيديّة بعضَ البِرَكِ إمّا لشُرْبٍ أو لتَطَهُّرٍ، فبَيْنا هم هناك إِذْ أَقْبَلَتْ امرأةٌ لتَسْقيَ مِنَ الماءِ في جَرَّةٍ، فوقَعَتْ في الماءِ وُقُوعَ الغَرَق، فرَدَّ القومُ وُجُوهَهم تَوَرُّعاً(١) عَنِ النَّظَرِ إليها خشيةَ أَنْ تَبْدُوَ لها عَوْرَةٌ، وهم يَنْظُرون، ولم يكن عندهم إلّا ذلك؛ فلمّا لم يَرَ عُلَيّانُ منهم غيرَ ذلك(٢) رَمَى بما تَبَقَّى عليه مِنْ ثيابِهِ ووَثَبَ في البِرْكَةِ فغاصَ للامْرأَةِ حتّى أَخْرَجَها وقد كادَتْ تموتُ ثمّ واراها بثيابِها، فلمّا اهتدتْ لِما هي عليه مِنْ أَمْرِها وأَفاقَتْ انْصَرَفت. وانْصَرَف النّاس يَشْكُرُونَهُ ويَعْجَبُون مِنْ حُضُور ذِهْنِهِ وعِلْمِهِ بما هو الأَوْلى بِهِ في تلك الحال، ومِنْ غَفْلَةِ أَصْحابِهِ عَنْ ذلك وعَجْزِهم فيه.

---

(١) في المخطوط: «توارعا».

(٢) في المخطوط: «غير إلا ذلك».

وكان كلامُ عُلَيّانَ ﵀ جُمَلاً وجَوامِعَ وَجِيْزَةً يَسْهُلُ حِفْظُهُ على السّامع، ويُسْرِعُ إلى قلبِهِ.

فأَخْبَرَني أحمدُ بنُ أبي العريض أَحَدُ إِخْوانِنا بشَظَب، قال: تَكَلَّمَ قومٌ في ما بين الزّيديّة باليَمَن مِنَ الاخْتِلاف في الفَضْل، فقال عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ﵀: **الأَشْياءُ كلُّها عند الله سواءٌ لاسْتِغْنائِهِ عنها، ومُتَفاضلةٌ لحَوائج الخَلْق إليها**. فحُفِظَ كلامُهُ ونُسي ما سِواهُ.

وكان ﵀ لا يَفْتَأُ ولا يَفْتُرُ عَنْ تألُّفِ النّاسِ، واسْتِدْعائهم إليه، ومُعاوَنَتِهم عليه بما قَدَرَ عليه مِنْ مَعُونَةٍ، بكلمةٍ لَيِّنَةٍ رَقِيْقةٍ أو بَذْلِ مالٍ أو مُؤاساةٍ وبِرٍّ، بما يمكنُهُ مِنْ قَولٍ أو فِعْلٍ حتّى كانت مَوَدَّتُهُ قد تَمَكَّنَتْ مِنْ قُلُوبِهم، واسْتَوْلتْ على مَنْ خالَطَهُ منهم، وحَسُنَ تَأْثيرُهُ بذلك في الإِسْلام.

أَخْبَرَني أحمدُ بنُ أبي العريض أيضاً قال: كنّا بالرَّوْعة عند عُلَيّانَ ﵀ في جماعةٍ مِنَ المُتَعَلِّمين غيرِ قليلةٍ، كُلُّ طائفةٍ لهم مَنْ يَصْنَعُ زادَهُم على الانْفِرادِ، وكانتْ له بُقَيْرَةٌ بها لَبَنٌ يَسيرٌ جدًّا، فكان يجمعُهُ مِنَ الجُمُعَة إلى الجُمُعة، ثمّ يأتي به فيَجْمَعُ عليه تلك الطّوائفَ فيَأْكُلون به، ثمّ يَقْسِمُ بينهم دُهْنَهُ فيَدَّهِنُون به ويَأْتِيْهم بالكُحْلِ فيَكْتَحِلُون، ثمّ يأتي بالجَلَم[1] فيُقَصِّرون به أَظْفَارَهم وشُعُورهم، ويَتَنَظَّفُون ممّا يمكنهم التَّنَظُّف منه ممّا يَسْتَقْذِرُون مِنْ أُمُورِهم، فكانت تلك عادةً قد جَرَى وأَجْراهم عليها.

قال: وكان يَقولُ لهم: لا جَعَلَ الله في حِلٍّ منكم مَنْ كانت له إليَّ[2][١٠٩] حاجةٌ فلم يَسْأَلنِيها.

قال أحمدُ: وأَتَى إلى عُلَيّانَ[3] ﵀ ونحن بالرَّوْعة رَجُلٌ شريفٌ، فرَأَيْتُهُ وقدِ اسْتَدْعاهُ إلى ناحيةٍ قريبةٍ مِنَ المسجد، فوَقَفَا بحيثُ نَراهما، فلمّا كَلَّمَهُ لم يَلْبَث أَنْ رَدَّ عُلَيّانُ يَدَهُ إلى

---

(١) **الجَلَم**: المِقْراض، ومُثنّاه الجَلَمان كالمِقْراضَين، وهو ما يُجَزّ به.

(٢) كُرّر في المخطوط «إلي» مرّة في نهاية الورقة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

(٣) قوله: «عُليان» بضمّ أوّله، وقد تقدّم نحو ذلك، ولكنّه كان حاشيةً، وورد أيضاً بالشّعر في الحاشية نفسها.

جُبَّةٍ كانت عليه، فجَعَلَها على ذلك الشّريف. قال: وأَقْبَلَ قومٌ مِنْ أَهْلِ حَضُور يسألُونه في خُصُومةٍ بينهم، وعليه عِمامةٌ له يَتَجَمَّلُ بها، فلمّا فَرَغُوا مِنْ كلامهم، وكان فيهم رَجُلٌ مِنَ العُصاةِ لله عليه شَعْرٌ كثيرٌ، ممّا يَعُدُّهُ الجاهلُ جمالاً، أَقْبَلَ عليه عُلَيّانُ فلم يَزَلْ يَتَلَطَّفُ ويُرْفِقُ به في المَوْعِظَة ويَتَأَتَّى لِهِدايَتِهِ حتّى تاب على المكانة مِنْ فَوْرِهِ، وخَشَعَ لله وانْقادَ لطاعتِهِ، فلمّا رَأَى ذلك منه حَمَلَهُ على حَلْقِ شَعْرِهِ ذلك، فحَلَقَهُ، فلمّا فَرَغَ من ذلك نَزَعَ عِمامَتَهُ تلك عَنْ رأسِهِ فأَلْقاها عليه، ولَبِسَ عِمامَةً بَقِيَتْ له ثمّ دَخَلَ المسجدَ فوَقَعَتْ عينُهُ به على رَجُلٍ مِنْ ضُعَفاء المسلمين قد حَلَقَ رأسَهُ بالجَلَم حِلاقاً فاحشاً أَشْبَهَ شيءٍ بجُزاز الشّاة، فساءَهُ ذلك، فأَخَذَ عِمامَتَهُ تلك فقَسَمَها بينَهُ وبين ذلك المِسْكين.

وأَخْبَرَني أحمدُ بنُ أبي العريض قال: كان مَنْ يُحِبُّ النَّفْعَ لعُلَيّانَ رحمه الله والإحسانَ إليه بالكُسْوَةِ ونحوه يَرَى قِلَّةَ لَبْثِ ذلك عليه، فالْتَمَسُوا لإمْساكها عليه حِيْلَةً فكانوا يَقِفُونَها عليه، فثَقُلَ ذلك عليه رحمه الله، فامْتَنَعَ مِنْ قَبولِ ما جاؤوهُ به مِنْ ذلك، ورَدَّهُ عليهم، فكأنّهم انتهوا عَنِ الوَقْف.

وأَخْبَرَني أبو السُّعودِ بنِ عبدِ الله أَحَدُ شُيُوخنا بشَظَب قال: كنّا بالرَّوْعة عند عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ رحمه الله: أنا وأحمدُ بنُ أبي العريض وسالمُ بنُ ثواب الأعشبيّ وابنُ حيّان الأعشبيّ ومقدامُ العشبيّ[١] في طائفةٍ مِنَ الزّيديّة الطُّلّابِ للعِلْمِ والتَّزاوُرِ في الله سبحانِهِ، فتَحَفَّزَ ابنُهُ محمَّدُ بنُ عُلَيّانَ لمُناظَرَةِ مقدامٍ في إمامةِ النّاصر لدِيْن الله، عليه السّلام، فزَجَرَهُ عُلَيّانُ عَنْ ذلك، وأَقْبَلَ علينا وقال: عليكم بكتابِ الله تعالى والتَّدَبُّرِ له والنَّظَرِ في كتاب **(الأحكام)** فإنّ الهادي، عليه السّلام، قد أَوْرَدَ مِنْ كُلِّ خيرٍ أَصْلاً، وجَعَلَ فيه لكُلِّ خَبَرٍ سَبَباً، فإنّكم قد آثَرْتُم على ذلك الطَّرْد والعكس، وانْشَغَلْتُم به.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ بن عُبَيد أَحَدُ شُيُوخِ الزّيديّة في العَصْر بوَقَش قال:

---

(١) سلف ذكره: «مقدام بن العشبي»، ولم أقف على ما يقطع بأيّهما الصّواب.

أَخْـبَرَني محمّـدُ بـنُ إبـراهيمَ بـنِ رِفـادٍ رَحِمَهُ اللهُ قـال[١١٠]: اجتمـع عُلَيّـانُ بـنُ سَـعْدٍ رَحِمَهُ اللهُ وإسحاقُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الباعث بشِبام، فتكَلَّما في الخِلافِ الحادِثِ في الأَسْماء، فقال عُلَيّانُ: أسماءُ الله على وَجْهين: اسمُ ذاتِهِ، واسمٌ مِنْ فَعْلِهِ وفِعْلِ خَلْقِهِ، وهو التّعْبيرُ بالأَلْفاظ والحُرُوف المَنْظُومة. فقال إسحاقُ: ليس هذا هكذا، اللهُ اسمٌ مُحْدَثٌ. فأرادَ عُلَيّانُ أَنْ يُؤَكِّدَ الكلامَ فقال: هلِ الله اسمٌ أم مُسَمَّى؟ فقال: اسمٌ. قال: أَفَتَعْبُدُ الاسمَ أَمِ المُسَمَّى؟ قال: أَعْبُدُ المُسَمَّى بالله. قال عُلَيّانُ: أَوَلَسْتَ تَعْبُدُ اللهَ؟ قال: لا. قال: فالمُشْركون أَقْرَبُ إلى الحقِّ منك؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزُّخرف:٨٧]. فانْقَطَعَ، وشَنَّعَتْ عليه العامّة.

وأَخْبَرَنا زيدُ بنُ أحمدَ بنِ عُبَيدٍ أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة في العَصْر بوَقَش عَنْ هَمْدانَ بنِ يعقوب الشّاوِريّ رَحِمَهُ اللهُ، وكان أَحَدَ شُيُوخِ الدِّين مِنَ الزّيديّة الأَفْضَلين= قال: أَصابَتِ النّاسَ سَنَةٌ شديدةٌ ومَجاعَةٌ عظيمةٌ، فاضْطُرِرْتُ إلى الاسْتِعانة على ما مَسَّني مِنْ ذلك برَأْيِ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللهُ وبَرَكتِهِ. قال زيدٌ: وكان يَعْقوبُ ممّن تاب على يَدِ عُلَيّانَ وببَرَكَتِهِ، وعَظُمَتْ رغبتُهُ وإخلاصُهُ في ذلك فعَظُمَ حُبُّ عُلَيّانَ له وإيْثارُهُ لوِلايَتِهِ فكان يَأْنَسُ إليه لذلك ويَطْمَئِنُّ. قال زيدٌ: قال يعقوبُ: فأَتيتُ عُلَيّانَ رَحِمَهُ اللهُ -أَحْسِبُهُ قال: إلى الرَّوْعة مِنْ حَضُور- فشكوتُ عليه أَمْري، فقال: لا أُحْسِنُ في أَمْرِك حِيْلَةً الآن غيرَ دينارين معي ما أَمْلِكُ غيرَهما، ولا أَجِدُ إلى غيرِهما سبيلاً، ولعلّهما يَقُوتان عِيالَك إلى وقتِ كذا، وإلى ذلك إنْ شاء الله آتِيْك بشيءٍ آخَرَ، ثمّ نَزَعَ عنه ثوبَهُ الّذي كان عليه، فدفعَهُ إليّ، ودَخَلَ منزلَهُ فأَخَذَ كِساءً كان لوَلَدِهِ فأَعْطانِيْهِ لوَلَدي، فانْصَرَفْتُ راجعاً إلى أهلي. فبينا أنا ذاتَ يومٍ قاعدٌ في منزلي، وقد انْقَضى ما كان عندي مِنْ نفقةٍ كنتُ قد أَخَذْتُها بذلك الدِّينارين، إِذْ سمعتُ في الطّريق إلى منزلي وَقْعَ نَعْلٍ وقُوّةَ مَشْيٍ وقَعْقَعَةَ سِلاحٍ، فتَطَلَّعْتُ إلى ذلك فإذا عُلَيّان رَحِمَهُ اللهُ قد أَقْبَلَ إليَّ فأَنْزَلْتُهُ فلمّا قَضَى حَقَّ السَّلامِ والحديث قال: ما عندك مِنْ شيءٍ؟ قلتُ: ما بقي

عندي شيءٌ. قال: فانْهَضْ بنا. فقُمْتُ معه وسار واتَّبَعْتُهُ حتّى أَتَى بي رَجُلاً يَعْرِفُهُ قد ذَكَرَهُ -نَسِيْنا نحن اسْمَهُ- يَنْزِلُ بالقُرْبِ مِنْ جُعرة سوق بني شاوِر، فسَأَلَهُ سَلَفَ شيءٍ مِنَ الطّعام فأَعْطاهُ كَيْلَجَتَينِ[1][١١١] أو نَحْوَهما، فعَمِلْنا في حَمْلِهِ إلى منزلي فكان منه قُوْتُنا يومئذٍ، ثمّ سار إلى السّرارِ مِنْ بلد بني شاوِر، فاسْتَلَفَ مثلَ ذلك مِنْ آخَر، وكان قد دنا الفَرَج مِنَ الله. ثمّ سار إلى [آلِ][2] السّرويِّ الجابريّين بوادي صَبَحة، وكانوا مِنْ أَخْيار النّاس ورِجالِ الدِّين الصّالحين، وكانوا يُعَظِّمُونَهُ ويَسْمَعُون أَمْرَهُ، وقالَ: أُريدُ أَنْ تُراعُوا يَعقوبَ مِنْ صَدقاتِ أَموالكم بما يَكْفيهِ ووَلَدِهِ، فعَقَدُوا له ذلك. فكان إذا أَتَيْتُ على نِصابٍ مِنَ الصَّدقة وانْقَضى، أَتوني بآخَر.

وأَخْبَرَنا زيدُ بنُ أحمدَ، حفظه الله، قال: أَخْبَرَني سليمانُ بنُ أحمدَ البَكيليّ، أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة في العَصْر، وذَوي الدِّيانة منهم، وكان مِنْ أَصْحاب عُلَيّان رَحِمَهُ الله قال: سِرْنا مع عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ في نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ نُريدُ مَسْوَر بني عبد الحميد، فلَقِيْنا في الطّريق أَرْمَلَةً معها لها أولادٌ كثير، فإذا هُم عُراةٌ كلُّهم، وكان رَحِمَهُ الله قد تأخَّرَ عنّا ليَقْضيَ بعضَ الحاجة، فلمّا مَرَّ بهم سألَها عنهم، فقالت: أولادٌ لي أَيْتامٌ. فَرَقَّ لهم ورَحِمَهم وساءَهُ ما رأى بهم مِنْ سُوءِ الحال، فعَمَدَ إلى ثوبِهِ فقَطَّعَهُ قِطَعاً، فأَعْطَى الامرأةَ منه ما تَخْتَمِرُ به، وأَعْطَى بَنِيْها كُلَّ واحدٍ منهم قطعةً، فلمّا رَأَى ذلك لا يَكْفِيهم قَطَّعَ بينهم عِمامَتَهُ، ثمّ نَزَعَ قَميصَهُ فدَفَعَهُ إليها، ولَحِقَ بنا وإذا هو عُرْيانٌ مَسْلُوبٌ ليس عليه إلّا إزارُهُ وسِلاحُهُ، فارْتَعْنا لذلك فأَقْبَلْنا عليه نَسألُهُ عَنْ شأنِهِ ومَنْ نَهَبَهُ وسَلَبَهُ. فقال: نَهَبَتْني الفَرِيْضَة الّتي ضَيَّعْتُمُوها، تَمُرّون بأَيْتامٍ وأَرْمَلَةٍ عُراةٍ في أَقْبَحِ صُورة وأَعْرَى عُرْيٍ تَغُورُ مِنْ مَنْظَرِهم الأَبْصارُ، وما

(١) ثمّة حاشية طويلةٌ لغير النّاسخ، أهمّ ما فيها إنْ صحّ ضَبْطُ اسم (مُسَلَّم) بخلاف ما ضبطه يحيى بن الحسين في الطّبقات الصُّغْرى: (ورقة: ٥٨ب)، وفي تلك الحاشية: «قول مُسْلِم غير مُسَلَّم لأنّ العبادة للذّات المسمَّى بالجلالة...» وذلك في معرض تعليقه على بعض كلام الكتاب.

(٢) ما حُفّ بمعقوفين زيادة يتحوّجها سياق الخبر، وقد تقدّم على نحو تامّ.

منكم إلّا مَنْ هو مُسْتَظْهِرٌ بفَضْلٍ مِنَ الثِّيابِ مِنْ ثَوبٍ وثوبين، ونحو ذلك، ثمّ لا تَكْسُونهم مِنْ ذلك. قال: ثمّ تَقَدَّمَ وتَقَدَّمنا فلم يُمْسِ إلّا وقد كَساهُ الله سبحانه.

وأَخْبَرَنا زيدُ بنُ أحمدَ قال: حدّثني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ ﴾، قال: كان عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ ﴾ قد رَكِبَهُ دَيْنٌ كثيرٌ في مَصالح الإسلام(١)، ونَفْعِ الأَراملِ والأَيْتام، فاجْتَمَعَ شُيُوخُ الزّيديّة بوَقَش، وكان قد أَهَمَّهم ذلك مِنْ أَمْرِهِ وشَغَلَ قُلُوبَهم، فيهم إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم وأبو السُّعُودِ بنُ محمّدٍ وغيرهما مِنَ الجِلَّةِ الأفاضل، فقال لهم إبراهيمُ: سِيْرُوا حتّى نَتَكَلَّمَ مع عُلَيّانَ في هذه الدُّيُون الّتي عليه ونَعِظُهُ في ذلك لعلَّهُ يَكُفُّ عَنْ تَكَلُّفِهِ لما يَثْقُلُ عليه. فساروا حتّى أَتَوا باب مَنْزِلِهِ، فلمّا خَرَجَ إليهم ورَأَى أنّهم شُيُوخُ النّاسِ وعُيُونُهم ارْتاع لَمجِيْئِهم، ولم يَدْرِ لِما ذلك، فشَخَصَ إليهم يَنْظُرُ[١١٢] ماذا يقولون له، وما الّذي راعَهم حتّى أَتَوهُ فيه. ثمّ تَكَلَّمُوا فقالوا: جِئْناك في أمرٍ نَخافُ الله فيه عليك. فازدادَ ارْتِياعُهُ وقال: جَزاكم الله خيراً، أَخْبِرُوني به فإنّي أَخافُ النّار. قالوا: عليك للنّاس دُيُونٌ كثيرةٌ، وكأنّهم كانوا يخافون أَلْسِنَةَ العَوامِّ عليه ومُقاساةَ المَشَقَّة منه، فتَكَلَّمُوا في ذلك ونَحْوِهِ بما حَضَرَهم. قال: فهانَ عليه الأَمْرُ فقال: إنّما دَخَلْتُ في ذلك لله تعالى طَلَباً لَمرْضاتِهِ ورحمةً لَمنْ لا جاهَ له مِنْ ضُعَفاء خَلْقِهِ -في نَحْو هذا الكلام- وهو تعالى أَكْرَمُ مِنّي وسَيَقْضي ذلك عَنّي. قال: فتَفَرَّقُوا عنه، وقالوا: لا حِيْلَةَ لكم في عُلَيّان.

وأَخْبَرَني زيدٌ قال: ما ماتَ عُلَيّانُ وعليه مِنْ ذلك الدَّيْنِ درهمٌ، وذُكِرَ في خَبَرِ ذلك أنّ ابنَهُ محمّدَ بنَ عُلَيّانَ أيّام صلاحِهِ أَخْبَرَهُ أنّه كان على عُلَيّانَ ﴾ مئةُ دينارٍ، قال: فسافَرَ ﴾ فلم يَرْجِع حتّى أَتَى بها فقَضَى كُلَّ ذي دَيْنٍ دَيْنَهُ حتّى اسْتَوفَوا عَنْ آخِرِهم، فما استوفوا ومعه شيءٌ ممّا جاء به. قال: فقلتُ له: يا أَبَتِ، ما تركتَ لك؟ قال: يا بُنَيَّ، إنّي أَظُنُّ أنّه قد دَنا موتي، وأنّي مَيِّتٌ عَنْ قريب. قال: فقلتُ: بل يُبْقِيك الله، ولِما قلتَ هذا؟ قال: لأنّي

(١) في المخطوط: «مصالح المسلمين» ثم كتب فوق لفظةِ «المسلمين» لفظةَ «الإسلام».

سمعتُ في الحديث: «**إنّ الله إذا أَحَبَّ أَنْ يَقْبِضَ عَبْداً عَسَلَهُ**»[(١)]، أو قال: «**إذا أَحَبَّ عَبْداً عَسَلَهُ**». وقد عَسَلَني. قال: فلم يَلْبثْ أَنْ مَرِضَ ومات رَحِمَهُ اللهُ.

وأَخْبَرَنا زيدُ بنُ أحمدَ، حَفَظَهُ الله، قال: كان إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم يَقولُ: وأَيْنَ مثلُ عُلَيّان؟ وكان يَقولُ: ليس أَحَدٌ مِنَ الشِّيْعة يَلْحَقُ بعُلَيّان. وكان يَقولُ: كانت سِيْرةُ عُلَيّانَ سِيْرَةَ الأئمّة، عليهم السّلام.

وأَخْبَرَنا زيدُ بنُ أحمدَ، حَفَظَهُ الله، عَنِ الشّيخِ أبي السُّعُودِ بنِ أبي ثورٍ رَحِمَهُ اللهُ قال: كان بوَقَش مِنْ شُيُوخِ المسلمين فَقِيرٌ ضَعِيفٌ لا حِيْلَةَ له فباتَ عندَهُ عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ في ليلةٍ مِنَ اللّيالي، فاحْتاجَ إلى الخُرُوج لقَضاءِ الحاجة، فدُلَّ على بيتِ الماء في منزلِ ذلك الشّيخ فوَجَدَهُ مملوءاً مِنَ العَذِرَة إلى أَعْلاهُ، فقال للشّيخِ في ذلك؛ قال: لا أَقْدرُ على إخراجِهِ، ولم أَجِدْ شيئاً اسْتَأْجِرُ به مَنْ يُخْرِجُهُ. فقام عُلَيّانُ حتّى الْتَمَسَ زِنْبِيْلاً ومِسْحاةً، ولَبِسَ طِمْرَين والْتَثَمَ بخَلَقٍ[(٢)] كان، وبات ليلَتَهَ يحملُ ما في ذلك الحُشِّ[(٣)] حتّى أصبح وقد فَرَغَ منه، ثمّ قَصَّ أَظْفارَهُ[١١٣]، وسُخِّن لَهُ ماءٌ، ونَزَعَ طِمْرَيْهِ واغْتَسَلَ وتَنَظَّفَ، ثمّ تَوَضَّأ وصلّى الفَجْرَ، فلمّا أَمِنَ مِنَ البَرْد غَسَلَ طِمْرَيْهِ ونَظَّفَهما وصار لِما كان يَشْتَغِلُ به مِنْ أَمْرِهِ، وكأَنَّهُ لم يكن منه شيءٌ. وأَحْسِبُ هذا الحديثَ ممّا كانوا يَكْتُمُونَهَ في حياتِهِ إجْلالاً له. ولا أَحْسِبُ أحداً من زُهّاد المسلمين وعِبادِ الله الصّالحين بَلَغَ في التّواضُعِ وحُبِّ النَّفْعِ للفُقَراءِ والمَساكين والغُرَباء مِنَ المسلمين وأَوْلياءِ الله الصّالحين هذه المَنْزِلةَ، ولا أَهانَ نَفْسَهُ للهِ ولأَوْليائه هذا الهَوان. ولولا هذا ومثلُهُ لم يَعْتَرِفُ له شُيُوخُ الدِّين في كُلِّ بلدةٍ بالفَضْل، ولم تَلْحَقْ بهم بعد موتِهِ الوَحْشَةُ في كُلِّ أرضٍ.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٩/٣٢٣، وفيه: «إذا أراد الله بعبد خيرا عسله». قيل: وما **عَسْلُهُ**؟ قال: «يفتح الله له عملا صالحا قبل موته، ثمّ يقبضه عليه».

(٢) **الخَلَق**: البالي؛ يريد ثوباً خَلَقاً بالياً.

(٣) **الحُشّ**: الكَنِيْف والمُسْتَراح.

وأَخْبَرَنا زيدُ بنُ أحمدَ قال: كان عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ -فيما بَلَغَني- يأتي البلدَةَ مِنَ البلاد فيَعِظُ ويُعَلِّمُ ويُرَغِّبُ في الخيرِ، ويُبالِغُ في الرِّفْقِ والتَّأَنِّي للتَّوبة مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ جَهْدَهُ، فإذا تابَ تائبٌ قال: اتْبَعْني كي تَتَعَلَّمَ. ويَقُولُ له: وما آكُلُ، وماذا أُنْفِقُ؟ فيقول: عليَّ نفقتُكَ وكُلُّ شيءٍ تحتاجُ إليه. فتَكْثُرُ اسْتِجابَةُ النّاسِ له ورَغْبَتُهم في الخيرِ، فلَعَلَّ مَنْ كان يَتْبَعُهُ مُتَوَكِّلاً عليه يَسْتَغْني عنه بالتَّوَكُّلِ على الله تعالى بعد مَعْرِفَتِهِ، ويَصِيرُ مِنْ أَهْلِ خُلْصانِ اللهِ وخاصَّتِهِ، أو يَصِيرُ إمامَ أَهْلِ جِهَةٍ، وداعيةَ أَهْلِ ناحيةٍ إلى الله. ومنهم مَنْ كان هو لَهُ في غِيابِهِ، ويَتَكَلَّفُ كُلْفَتَهُ ما بقي إلى أَنْ يَحُولَ بينَهُ وبينَهُ أَمْرٌ مِنَ الأُمُورِ الحائلة.

قال الفقيهُ يحيى بنُ الحسينِ بنِ عبدِ الله الفقيه: سمعتُ شَيْخاً مِنْ مَشائخِ المسلمين يُقالُ له: مهلهلٌ، كان مِنَ المهاجرين إلى وَقَش، وأَصْلُهُ مِنْ شَعُوب، وكان مِنْ أَهْلِ الوَرَعِ والدِّيانة، يُحَدِّثُ عَنْ نفسِهِ: أَنَّهُ رَأَى في النّومِ عيسى ابنَ مريم، صلّى الله عليه، فسَلَّم عليه، وقال له: كيف السّبيلُ إلى النَّجاة، يا روحَ الله؟ فقال له: مَنْ أراد ذلك والجَنَّةَ فليعملْ عَمَلَ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ رحمه الله.

وأَخْبَرَني الشّيخ زيدُ بنُ أحمد، سَلَّمَهُ الله[1]، بوَقَش حَماها الله، قال: كان مِنَ المُخْتَرِعَةِ رَجُلٌ يُقالُ له: أَسْعَد المراديّ، ينزلُ بَلَدَ بني شاوِر العُلو، إمّا بسوق جعرة أو قريباً منها، فلَقيَ عُلَيّانَ بنَ سعدٍ بها، وكان أهلُ ذلك القَرْنِ مِنَ المُخْتَرِعَة يعتقدون أنّ الجِسْمَ لا تُدْرِكُهُ الحَواسُّ ولا تُدْرِكُ إلّا العَرَضَ فقط، فطَلَبَ منه المُناظرة، فلم[١١٤] يَنْبَسِطْ عُلَيّانُ لذلك لقِلَّةِ عِلْمِ الخَصْمِ وقِلَّةِ عِلْمِ الحاضِرِ لها هناك؛ فجعلَ يَدورُ به ويَسألُهُ الكلامَ معه، وهو يَمْتَنِعُ، واجتمع إليهما النّاسُ، فلمّا رَأَى ذلك عُلَيّانُ قال: يا وُجُوهَ العَرَب، اسألوا لي هذا الرَّجُلَ: هل هو يسمعني إذا كلّمتُهُ؟ فقال المُراديّ: لا. فسَمِعَهُ النّاس فصاحُوا عليه وآذَوهُ وأَنْكَروا قولَهُ، فاحتاج إلى أَنْ يَهْرُبَ عنهم.

---

(١) كرّر في المخطوط لفظ الجلالة: «الله».

وسمعتُ أنا رَجُلاً مِنَ الزّيديّة يتكلّمُ مع رَجُلٍ آخَرَ في مثلِ هذا، ويَسألُهُ عَنْ رسولِ الله، صلّى الله عليه، هل بَلَّغَ كتابَ الله وأدَّى عَنِ الله ما أَرْسَلَهُ به إلى خَلْقِهِ مِنْ دِيْنِهِ، وسَمِعُوهُ، صلّى الله عليه، أم غيرَهُ؟ فقال: المخالفُ: إنّما سمعوا كلامَهُ لا هو. قال: فهل كلامُهُ هو أم غيرُهُ؟ قال: بل غيرُهُ لأنّه عَرَضٌ والرَّسُولُ جِسْمٌ ولا تحسُّ إلّا الأَعْراض. قال: فإذا لم تكنْ قد سمعتِ الأُمَّةُ رسولَ الله لم يُبَلِّغْ عن الله، فهل مَنْ قال: إنّ رسول الله لم يُبَلِّغْهُ عَنِ الله، مسلمٌ أم كافر؟ فتَحَيَّرَ ثمّ قال: إنّما يسمعون كلامَهُ فدَلَّهم عليه. قال: ومِنْ [أين](1) عَرَفُوا أنّه كلامه؟ قال لأنّهم قد عَرَفُوهُ هو قَبْل.

قال فأَخْبِرْني: هل رأوا جِسْمَ رسولَ الله، صلّى الله عليه، ذاته؟ قال: لا، وإنّما رأوا أَعْراضَهُ مِنْ لونٍ وصورةٍ، ونحو ذلك. قال: فهل أَعْراضُهُ هو أم غيرُهُ؟ قال: بل غيرُه. قال: فهل يَرَى الشَّيءَ ويَعْرِفُهُ مَنْ رَأَى غيرَهُ ولم يَرَهُ قطُّ؟ فإنْ قلتَ: نعم، لَزِمَكَ أَنْ يكون مَنْ يَرَى الأَعْراضَ قد رَأَى اللهَ تعالى؛ لأنّه لا غيرَ لها إلّا الله والجِسْم، وكذلك يكون قد رَأَى الجِسْمَ أيضاً فبَطَلَ قولُكُ: إنّه لا يُرَى. فسَكَتَ وانْصَرَف. ثمّ لَقِيَهُ مرّةً أخرى فقال: أَخْبِرْني عَنْ رَجُلٍ قَذَفَ رجلاً مُسْلِماً حُرًّا بالغاً، فاسْتَدعى عليه إلى الإمامِ أو قاضِيْهِ، ثمّ شهد الشُّهُود بأنّهم سمعوا القاذفَ لجِسْم(2) الإنسان يَقْذِفُ إنساناً جِسْماً، وقد رأوهما أم سمعوا غيرَ القاذف، ورأوا غيرَهُ وغيرَ المقذوف؛ لأنّ العَرَض غيرُ الجسم بل خِلافهُ. فإنْ قلتَ: إنّ الإمام يَرَى رَأْيَك هذا، ويَرَى أنّه لا يُرَى ولا يُسْمَع إلّا عَرضٌ. فشهد الشُّهُود بأنّهم لم يروا جِسْمَين إنْسانين مَعْروفين، ويسمعوا أَحَدَهما يقذفُ الآخر. هل له أَنْ يَحُدَّ القاذف، وهم لم يشهدوا بأنّهم رَأَوْهُ ولا سَمِعُوهُ، بل غيرَهُ، وهي الأَعْراض؟ فإنْ قلتَ: نعم. ألزمتَ الإمامَ الظُّلْمَ والمعصية لله لأنّه جَلَدَ مَنْ لم تَقُمْ عليه بَيِّنَةٌ، ولم يُسْمَع هو، ولم يُرَ

(1) ما حُفّ بمعقوفين زيادة لاستقامة الكلام.

(2) قوله: «لجسم» سُبق بألف ضُبّب عليها.

هو. وإنْ قلتَ[١١٥]: لا يَحُدّ. أبْطَلْتَ حُدُودَ الله وحُقُوق عبادِهِ. وإنْ قلتَ: إنّ الشُّهُود سمعوا القاذفَ نفسَهُ ورَأَوا القاذفَ والمَقْذوفَ أَنْفُسَهما، فحَدَّ الإمامُ القاذفَ أَصَبْتَ وأَوْجَبْتَ إصابَةَ الإمامِ للصّواب، وخَرَجتَ مِنْ مَذْهَبِك.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ قال: بات عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ رَحِمَهُ الله في بعضِ أَسْفارِهِ عند رَجُلٍ زَرّاع ذي ضِياعٍ كثيرةٍ ومالٍ واسعٍ، وكان رَحِمَهُ الله لا يمكنُهُ تعليمَ أَحَدٍ شيئاً مِنْ عِلْمِ دِيْنِهِ بحَسَبِ الحال والاحتمال ما ينفعُهُ ولو قَلَّ، فباتَ ليلتَهُ يُلَقِّنُهُ ما يرى أَنّهُ يَسْهُلُ عليه حِفْظُهُ وتَخِفُّ كُلْفَتُهُ، وهو لا يحفظُ ويغلِبُهُ النّومُ، فلا يسمع. قال: فرَأَى أَنْ يَأْتِيَهِ مِنْ طريقِ طِباعِهِ بما يُوقِظُهُ فقال: هل سمعتَ أنّ هذه السَّنَةَ تكون ضعيفةً؟ فأقبل عليه وتَيَقَّظَ وأَلَحَّ عليه في المسألة عَنْ ذلك، وكيف ومتى ومَنْ قالَهُ وما أَشْبَهَ ذلك؟ وعُلَيّانُ إمّا نائمٌ أو مُتَناوِمٌ لا يجيبُهُ بشيءٍ حتّى طال ذلك. فلمّا أَكْثَرَ قال له: يا شيخُ، أَتَيْتُكُ أُنْذِرُكَ وأُحَذِّرُكَ مِنْ هَلَكَةِ الأَبَد الدّائم الّذي لا يَفْنَى، وأنت لا تسمعني ولا تَرْتاعُ لذلك! فلمّا ذكرتُ لك كلمةً واحدةً في سنةٍ واحدةٍ يُسْرِعُ انْقِضاؤُها ارْتَعْتَ لذلك.

أبو السُّعودِ بنُ المبارك

هو رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حَضُور مِنَ الصّبر، وهو محلٌّ قريبٌ مِنْ بيت جدد[١].

نسبُهُ -فيما بَلَغَني- في بني أبي جبل.

كان عبداً مِنْ عِباد الله الصّالحين ممّن صَحِبَ عُلَيّانَ بنَ سَعْدٍ البَحيريَّ شيخَ الزّيديّة، رحمهما الله، وتَخَلَّقَ بأَخْلاقِهِ الكريمة زُهْداً وعِبادةً وإِحْساناً وإِنْفاقاً في سبيل الله بقَدْر مُكْنَتِهِ.

وكان الشّيخُ محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ رحمه الله يَذْكُرُهُ فيُحْسِنُ الثّناءَ عليه في الله.

وسألتُ عنه الشّيخَ عبدَ الحميد بنَ الحسين بنِ عبد الحميد الخلطيَّ، بوَقَش حماها الله، عنه، فأَخْبَرَني عَنْهُ بكُلِّ حَسَنٍ وعِظَمِ قَدْرِهِ في الدِّين، وأَحْسَنَ الثّناءَ عليه.

وأَخْبَرَني أخي في الله أسعدُ بنُ عبد الفاضل العُبَيْديُّ المَدَريُّ الحاشديُّ، وكان مِنْ أَصْحاب عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ، رحمهما الله، قال: كان أبو السُّعُود [١١٦] بنُ المبارك شابًّا يُحِبُّ لَهْوَ الحديثِ، فكانَ يَغْشَى مجالسَ النِّساءِ عند اجْتِماعهنّ للحديثِ ومجالسِ الشّبّان مِنَ الفِتْيان، فلمّا تابَ حَسُنَ قَصْدُهُ للآخِرَة، وعَظُمَ عنده قَدْرُ الدِّينِ، فكَثُرَتْ وَحْشَتُهُ مِنَ العُصاة لله ومَنْ لا دِينَ له، وكان ذا وَفْرَةٍ مِنَ الشَّعْر، وجُمَّة حَسَنة، فبَقيَ النِّساءُ والعَوامُّ على حَدِّ الأُنْس به وقِلَّة الهَيْبَة له، وقد كَرِهَ ذلك، فأَعْرَضَ عنهم، فلم يُخِرْهُ[٢] ذلك فيهم. فأَقْبَلَ ذاتَ يومٍ إلى شارعٍ فيه نساءٌ فتَلَقَّيْنَهُ بالسّلامِ والمسألةِ، فصَدَّ عَنْ ذلك ثمّ بَعُدَ في

---

(١) قوله: «جدد» بالجيم المعجم من تحت كذا بالمخطوط، والمشهور المعروف بالخاء المعجمة من فوق.

(٢) لم يُخِرْهُ: لم يُضعفه ويكسره، من قولهم: خار الرّجلُ: إذا ضعف وانكسر التّاج: (خ و ر).

طريقِهِ، فدعا بمَنْ حَلَقَ له رأسَهُ، ثمّ سار في طريقه، فلمّا رأينَهُ النّساءُ قد حَلَقَ رأسَهُ هَرَبْنَ منه تَيَقُّناً أنّه قد عَزَمَ على التّوبة ورَفْضِ اللَّهْوِ، والإِعْراض عَنْ أَهْل الدُّنْيا. وكنتُ قد رأيتُ بخَطِّهِ كتاب (**أحكام**) الهادي إلى الحقِّ يحيى بن الحسين، عليهما السّلام، بمسجد وَقَش، وكان قد كَتَبَهُ وتَصَّدَقَ به عليه للقراءة، فلم يكن خَطُّهُ بقويٍّ وإنّما ذِهْنُهُ وفِقْهُهُ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن البَصْريُّ الغريبُ قال: كان أبو السُّعُودِ بنُ المباركِ رَحِمَهُ اللهُ قد أُبْتُلي بامرأةٍ خبيثةٍ مُضِرَّةٍ به مُؤْذِيَةٍ، فخافَ منها على دِيْنِهِ وطَلَبَ الحِيْلَةَ في صَلاحِها أو فِراقِها بأَمْرٍ هَيِّنٍ فلم يَتِمَّ له ذلك إلّا بمالِهِ كُلِّهِ، وكانتْ له ضِياعٌ كثيرةٌ فأَعْطاها إيّاها وفارَقَها. قال: فكان إذا مَرَّ بتلك الضِّياعِ يُقَبِّلُ جُدُرَها. فرآهُ بعضُ المسلمين فعَجِبَ منه وقال: ما شأنُكَ تُقَبِّلُ الحِجارَةَ؟ قال: ما فَكَّ رَقَبَتي مِنْ بنتِ فلانٍ إلّا هذا المال.

أبو العَسْكر المَسْوريُّ

هو أَحَدُ عِبادِ الله الصّالحين مِنَ الزّيديّة، وكان يَنْزِلُ مَدَرَ مِنْ مَشْرق حاشِد.

وأَخْبَرَني الثّقةُ أنّ نسبَهُ في قومٍ يَنْزِلُون قريباً مِنْ بيت الجرابيِّ بمَسْوَر يُقالُ: لهم بنو الصَّبّاغ.

أَخْبَرَني الشّيخُ عبدُ الحميد بن الحسين الخلطيُّ بوَقَش قال: أَصابَتِ النّاسَ سَنَةٌ شديدةٌ، اشْتَدَّ قَحْطُها، وعَظُمَ بَلاؤُها، وامْتَنَع القَطْرُ فيها، وكان أَهْلُ مَشْرِق حاشِد لا يَشْربون الماء إلّا مِنْ الخارِد أو مِنْ بِرْكة رَيْدَة البَوْن، وكان عمرانُ والدُ الحسين بنِ عمران -أَحَدُ الزّيديّة في العَصْر- يَسْتَقي الماءَ على بَعِيرٍ له مِنْ بِرْكة رَيْدة. فكان أبو العَسْكر متى أُوْتي بالماء وانْتَقَضَ عليه طُهُور اللّيلة نام مُسْتَرِيحاً، وأَصْبَحَ يجدُ ما يَتَوَضّأ به لصلاةِ[١١٧] الفَجْر، وإِنْ تَعَذَّرَ الماءُ بات ليلتَهُ يُصَلّي ويدورُ في حُجْرَةٍ له في دارِه، ويَقْرأُ القُرْآن حتّى يُصْبحَ. فأَبْطَأَ عمرانُ في بعض الأيّام في طريقه مِنْ رَيْدَةَ حتّى أَمْسَى وأَتَى وقد تَعِبَ فرَمَى بنفسِهِ فنام فبينا هو في نومِهِ إِذْ رَأَى مَنْ يَقولُ له: وَيْحَكَ يا عمرانُ، تَنامُ وتَسْتريحُ وأبو العسكر ساهرٌ يَدُورُ في حُجْرَةٍ قد آذاهُ البَرْدُ والسَّهَرُ؟ فانْتَبَهَ مَذْعُوراً فقام حتّى صَبَّ لأبي العسكر ما يَكْفِيْهِ مِنَ الماء في إِناءٍ ثمّ أَتاهُ به، فقَبِلَهُ أبو العسكر، ووَثِقَ به لطُهُور الفَجْر فنام.

أبو الفَرَجِ بنُ عليّ بنِ أبي شبيب

أَحَدُ شُيُوخِ الزّيديّة بوَقَش وعِبادِ الله الصّالحين.

ظاهرُ الخَيْر معروفُ العِبادة والطَّهارة، وهو مِنْ قومٍ بصَنْعاء يُعْرفون ببني أبي شبيب معروفين. وكان اسْتَحَبَّ بالأَذانِ في أوائل الأَوْقات والسَّبْق إلى الصّلاة.

وأَخْبَرَني صِهْرَهُ أبو السُّعُود بنُ إبراهيمَ بنِ أبي تُرابٍ أَحَدُ الزّيديّة بوَقَش قال: كان يُحافظُ على الصّلاةِ مع الجماعة ويجتهدُ أَلّا يَفوتَهُ ذلك قال: ففاتَتْهُ صلاةُ الجماعة يوماً واحداً فبَكَى بُكاءَ الحَزينِ، وعَظُمَتْ حَسْرتُهُ وغَمُّهُ لذلك.

ابنا أبي رَزِينٍ

هما عليّ وموسى ابنا أحمدِ بنِ أبي رَزِينٍ.

وآلُ أبي رَزِينٍ قومٌ يَنْزِلُون صَنْعاء وشِبام وصَعْدَة، ورأيتُ بخَطِّ بعضِهم يَقُولُ: يحيى بنُ محمّدِ بنِ جعفرٍ، ثمّ في آخر نسبِهِ: يَقولُ: ابن أبي رَزين الأَزْديّ، والله أَعْلَمُ بقَرابَةِ ما بين مَنْ بصَعْدَة ومَنْ بصَنْعاء وأَعْمالها. إلّا أنّ مَنْ أَدْرَكْناهُ منهم كانوا يَتَواصَلُون على ذلك ويَعْتَرِفُ بعضُهم لبَعْضٍ.

فأمّا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ أبي رَزِينٍ فقد أَدْرَكْتُهُ بوَقَش شيخاً كبيراً مَكْفُوفَ البَصَر، وقَرَأْتُ عليه مِنَ (**المفصل**) ما أُصَلّي به. وكان إمامَ القَراءةِ والنَّحْو وسائر اللُّغَة باليمن يومئذٍ، ولا أَعْرِفُ الزّيديّة أَجْمَعَتْ في عِلْمِ القَراءَةِ بعد مالكِ بنِ أبي صَنْعاءَ على أَحَدٍ مثلِهِ.

وكان مِنْ عِباد الله الصّالحين وأَهْلِ الفَضْل المَشْهُورِ في العِلْم والعَمَل، قَويَّ العِبادة، ظاهرَ الزُّهْد والوَرَع[١١٨] عَظِيمَ التَّواضُعِ والإِنْصاف.

أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم ﵀ قال: سَأَلَ الشّيخُ أبو القاسم بنُ شجاعٍ، رحمةُ الله عليه، الشّيخَ العلّامةَ أبا الحسين عليَّ بنَ أحمد بن أبي رَزين، رحمة الله عليه، عَنْ مسألةٍ فقال: عندي فيها كذا وكذا. ثمّ فَكَّرَ في قولِهِ: عندي. وأنّهُ يُوْجِبُ له الإمامةَ في العِلْم والرِّياسة في الفَتْوَى، إذ لا يَقُولُ ذلك إلّا مَنْ لَهُ رتبةُ الاخْتِيار في الاجْتِهاد والقُدْرَة على القِياس والقِيام بالحُجَّة على ما يختار، وهو يَضَعُ نفسَهُ عَنْ ذلك ولا يَدّعِيْهِ. فنَدِمَ مِنْ هذه الكلمة، وأَحْسِبُهُ قال: فأَسْتَغْفِرُ الله. قال: ثمّ جَعَلَ يَقُولُ: ليس لي عِنْد، ليس لي عِنْد، يُرَدِّدُها مرّاتٍ. وناهيك مِنْ وَرَعِهِ أنّهُ بَلَغَ مِنْ عِلْم لسان العَرَب والعَرُوض والحساب والهندسة درجةً عاليةً، لا نَعْرفُ له فيها مُساوياً مِنَ الزّيديّة، ولا مِنْ غيرهم مِنْ إِنْشاءِ الدُّول باليَمَن. وإنَّ مِنَ المُلُوك باليَمَن مَنْ

يَرْغَبُ في اسْتِصْحابِهِ وخُلْطَتِهِ والانْتِفاع به في شيءٍ مِنْ ذلك مع بَذْلهم للرَّغائب لـمَنْ كان دونَهُ، وإجازتهم على المَدائح بالأَمْوال الجَزِيلة مَنْ هو مِنْ تَلامذتِهِ وتلامذَةِ أخيه موسى بن أحمد بن أبي رَزين في اللُّغَة، نحو: الماربيِّ الشّاعر، وابن حُمَيدٍ، وابن الصَّبَرِيِّ، وغيرهم، مع قُرْب مملكة الصُّلَيحيِّين والزَّواحيِّين من موضع هِجْرتِهِ.

فأمّا مَنْشَؤُهُ فبين ظَهْرانَيْهم، ومع شُهْرَةِ فَضْلِهِ في الأَدَب وعُلُوِّ رُتْبَتِهِ فيه، فتَحَرَّزَ مِنْ إجابتهم إلى شيءٍ يُخِلُّ بدِيْنِهِ، وأنّهُ رَغِبَ منه في شَرْحِ كُتُبِ نُحاةِ اليَمَن مِنْ قَبْلِهِ فأَتَى في ذلك بما هو مِنَ المناقب لمِثْلِهِ والفَضائل المُنَوِّهَة باسْمِهِ، المُشِيْدَةِ بذِكْرِهِ؛ نحو كُتُب آل أبي عبادٍ النَّحْويِّين. وبَلَغ **(ديوان الأَدَب)** الّذي أَلَّفَهُ الفارابي في مُسْتَعَمَلِ لسان العَرَب مِنْ خَطِّهِ خمسين ديناراً أو أكثر، وبَخِلَ به على النُّسّاخ، وشَحَّ به عَنِ العواري، وافْتَخَرَ به النّظيرُ على نَظِيرِهِ، وعُدَّ مِنْ ذَخائر الأَجِلّاء وحَشْوِ خَزائن الأَفاضِل.

وإنّ مَنْ قَرَأَ عليه القرآنَ مِنْ طلّاب الآخرة اخْتِيرَ للصّلاة بالجَماعات دون غيرِهِ، ورُغِبَ في قراءة القرآن عليه، وازْدُحِمَ على بابه لذلك. ومَنْ قَرَأَهُ مِنْ طلّاب الدُّنْيا عاشَ بِهِ في[١١٩] البلاد، وقُدِّمَ عند الأَجِلّاءِ، وأُسْني له الكرامات، وفَرَغَتْ له الأَذْهانِ، وحُدِّق إليه بالعُيُون؛ لمكانه مِنْ نسبة قراءتِهِ وتَأْدِيبِهِ إلى ابن أبي رَزينٍ ﵀. وكان يَظُنُّ النّاظرُ إليه لَعَلَّ له صورةً أو لوناً زائداً به على ما للنّاس لأَجْلِ ذلك. فمع هذا كُلِّهِ لم تَنْخَدِعْ نفسُهُ فتقولُ: إذا كان قد بَلَغَ مَنْ هو مِنْ تَأْدِيبي وتَأْدِيْب مَنْ أَدَّبْتُهُ ما أَرَى مِنَ الكرامة، وبُذِلَ لهم ما بُذِلَ مِنَ العَطاءِ، فلا أَشُكّ أَنّي سَيَبْلُغُ بي فوق ذلك أَضْعافاً مُضاعَفَة لمكانِ فَضْلي عليهم! فيَرْكَن إليهم شيئاً قليلاً. حتّى إنّه مع إقْلالِهِ اقْتَصَرَ على تَعْلِيم الصِّبْيان الهجاءَ والخَطَّ واللُّغَةَ وسائرَ العلوم الّتي يُعاشُ بتَعْلِيْمِها عند المُلُوك والسُّوَق؛ ثمّ مع ذلك رَجَعَ إلى تَرْكِ أَكْثَرِ ذلك ونَدِمَ منه.

أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيمَ قال: كان عليُّ بنُ أحمدَ بنِ أبي رَزين قد عَلَّمَ أولاداً لبعضِ

أَسْبابِ[1] الصُّلَيْحيِّين أو مَنْ هو منهم، فكان في نفسِهِ مِنْ ذلك أَمْرٌ، ثمّ اشْتَدَّت نَدامَتُهُ مِنْ ذلك، وعَظُمَ خوفُهُ مِنَ الله تعالى، وكان له موئلٌ لا بَأْسَ به فيه، له نَفْعٌ كثيرٌ فعَمَدَ إلى مالِهِ ذلك فصَرَفَهُ في مَصْرِفِ المَظالِم والكَفّارات وقَسَّمَه بين الفُقَراء والمساكين حتّى صارَ في جُمْلَةِ مَنْ تَحِلُّ له الصَّدَقة. ثمّ مع ذلك لم يَأْخُذْ منها شيئاً قَطّ ولا رَغِب فيه.

وأَخْبَرَني غيرُ عُلَيّانَ مِنْ أَهْلِ وَقَش ونحوهم أنّه كان لا يَزالُ يُكَفِّرُ الكَفّاراتِ، ويُخْرِجُ الشّيءَ بعد الشّيء إلى الفُقَراء والمساكين.

وأَخْبَرَوني أيضاً أنّه بعد ذلك قَطَعَ التّعليم للنَّحْو وغيرِهِ لـمّا رَأَى مِنْ طَلَبِ المـاربيّ وابن حُمَيدٍ ونحوهما للدُّنْيا بذلك، فكان لا يَقْدِرُ أَحَدٌ منه على ذلك حتّى إنَّ كثيراً ممّن نَشَأَ بعد ذلك كانوا يتمّنون مِنْه فِيْهِ الكلمةَ الواحدة. ولفَقْرِ أولئك إلى التَّبَحُّر في عِلْم العربيّة بَعْدَهُ احْتاجَ بَعْضُهم إلى رُكُوبِ الأَسْفار البعيدة في ذلك، كنحو ما صَنَعَ الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى بنِ عبد الله اليَحِيريُّ، وهو مِنْ أولاد الزّيديّة، مِنْ خُرُوجِهِ إلى مِصْر حتّى قَرَأَ بها على الشّيخ أبي بكرٍ محمّدِ بنِ عبدِ الملك الشَّنْتَرينيِّ الأَنْدَلُسيِّ، وتَلَقَّنَ مِنْه ما هو به اليومَ إمامٌ في العربيّة باليَمَن.

وسمع عليُّ بنُ أبي رَزين لزيدِ بنِ محمّد بنِ[١٢٠] إبراهيم الصَّبَريِّ -وكان ابن بنتِهِ، وكان له وَرَعٌ وعَقْلٌ- بتَعْلِيم طَرَفٍ، فصارَ بِهِ إماماً، فلا يَكادُ يُوجَدُ في هذه المَخاليفِ أَحَدٌ لـه سَلامةٌ في لِسانِهِ وبَصَرٌ جَيِّدٌ بالعَربيّة إلّا مَنْ كان تَلامذة زيدِ بنِ محمّدٍ هذا والفقيه سليمان بن يحيى، ومَنْ عَداهم يُوجَد فيها عنده الاخْتِلال الظّاهر.

وأَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم ﷺ قال: سمعتُ إبراهيمَ بنَ أحمد الصَّبَريَّ ﷺ يَقُولُ: لقد عرفتُ أَكْثَرَ اليَمَن، وعرفتُ أَكْثَرَ أَهْلِهِ فما رأيتُ -ولا أَعْلَمُ- أَحَداً هو أَفْضَل مِنْ عليّ بن أحمد بن أبي رَزين في فُنُونٍ ليست لغيرِهِ مِنَ العِلْم، فيمن بين مكّة وعَدَن.

---

(١) **الأسباب**: جمع السَّبَب، وهو: اعتلاق قرابةٍ؛ وفي الحديث: «كلّ سببٍ ونسبٍ ينقطع إلّا سببي ونسبي» النّسب بالولادة، والسّبب بالزّواج؛ انظر التّاج: (س ب ب).

وأَخْبَرَني أخي جعفرُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيُّ قال: سمعتُ القاضي أبا الخير أحمد بن عبد السّلام بن أبي يحيى بصَنْعاء يَقُولُ لا أَعْلَمُ أَحَداً فيمن أدركتُ مِنَ النّاس كان كابْنَي أبي رَزينٍ عليٍّ وموسى.

فأَخْبَرَني بهذا الخبرِ عَليان بن إبراهيم رحمه الله فقال: كان موسى حسنةً مِنْ حسنات عليٍّ رحمهم الله. وسمعتُ إسماعيلَ بنَ عليّ بن عُبَيْد الله الأبّار يَقُولُ: لا يوجد باليَمَن ولا عَلِمْتُ أَحَداً هو أَفْضَلُ مِنْ عليّ بن أحمد بن أبي رَزين في العِلْم والأَدَب.

وأَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله قال: تعلّمتُ القرآنَ عند عليِّ بن أبي رَزين أيّام كان بمَدَرٍ، وكان بها عَجُوزان مُؤْمِنَتان مِنَ الصّوالِحِ الفاضلات يُقالُ لهما بِنْتا حُبيل، فكان لا يزال يَأْمُرُ بعَمَلِ الطّعام كلّ يومٍ ويحمله إليهما، فإذا أَتَى به بابَ منزلهما قَرَعَهُ أوِ اسْتَفْتَحَ بنوعٍ مِنَ الاسْتِفْتاح للأَبْواب، فإذا وَثِقَ بأَنْ ليس خَلْفَهُ أَحَدٌ وَضَعَ ما معه خَلْفَ الباب ثمّ انصرف عنه.

قال عُلَيّان: ويُعْتَرَفُ له بالفَضْل في كلِّ فَنٍّ مِنَ الخير مِنْ عِلْمٍ ودِيْنٍ ورَحْمةٍ وصِدْقٍ ووَفاءٍ وخُلُقٍ شريفٍ.

وأَخْبَرَني أخي جعفرُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيُّ، وقد أَتَيْنا وَقَش في حياة عليّ بن أحمد بن أبي رَزين، قال: سمعتُهُ ليلةً، وقد أَتَى المسجد يَتَوَضَّأُ للمغرب، فقعد ينتظر شيئاً -زَلَّ عنّي ذِكْرُهُ- فسمعتُهُ وهو على مُتَوَضَّئِهِ يتكلّم بشيءٍ لا يَفْتُرُ عنه إلى أَنْ فَرَغَ قُعُودهُ ذلك، وأتمّ وُضُوءَهُ وانصرف. قال: فسألتُهُ ما كان يَقُولُ في تلك السّاعة. قال: كنتُ أَدْرُسُ شيئاً مِنَ الحساب. قلتُ: ولِمَ؟ قال: أَشْحَذُ بِهِ عَقْلي لئلّا أَخْرَف. وكانت سِنُّهُ يومئذٍ كبيرةً جدًّا. فتَعَجَّبْنا منه ومِنْ نَظَرِهِ في ذلك.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى بنُ عبد الله اليَحِيريُّ قال: كان مِنْ خَطِّهِ **(كتابُ إِقْلِيْدِس في**[١٢١] **الهندسة)**، فلمّا مات بِيْعَ بِثَمَنٍ صالحٍ، فكنّا نَتَأَسَّفُ عليه ونَعُدُّهُ مِنَ الفَضائلِ

الفائتة للرِّجال، وذلك أنَّ كُتُبَهُ كانت لا تحتاج إلى مُذاكِرٍ ولا مُعَلِّمٍ بل تَقُومُ بنفسها.

وأَخْبَرَني القاضي أبو الخيرِ أحمدُ بنُ عبد السّلام بنِ أبي يحيى بصَنْعاء، قال: كان ممّن خَرَّجَهُ ابْنا أبي رَزينٍ -وخاصّةً موسى بن أحمدَ بنِ أبي رَزينٍ- محمّدُ بنُ زيادٍ الشّاعر الماربيّ، وكان وقع إلى شِبام، وموسى بها يومئذٍ، فتَعَلَّمَ عنده طَرَفاً مِنَ العربيّة، وكانت له قَريحةٌ، فصار يَقولُ شعراً، ولجأ إلى رَجُلٍ مِنْ مَياسِير أَهْلِ صَنْعاءَ يُقالُ له: أحمدُ الرّازيُّ، وكانت بينَهُ وبين إبراهيمَ بنِ يحيى بنِ زَرْبون الصَّنْعانيِّ الشّاعرِ عَداوَةٌ، فكأَنَّهُ أَوْمأَ للماربي في هِجائِهِ، فهَجاهُ أو كادَ، وأَحْسِبُ إبراهيمَ بنَ يحيى حَسَّ ما رابَهُ منه أو بَلَغَهُ شيءٌ تَيَقَّنَهُ، فنَظَرَ إليه وقد مَرَّ بِهِ فكأَنَّهُ احْتَقَرَهُ وازْدَراهُ، ثمّ رَجَزَ بِهِ في الحال، فقال: (من مشطور الرَّجَز)

يا ماربِياً يا بَلْدَةَ الحَماقَهْ

أَنْتِ رَمَيْتِنا بذي البُراقَهْ

وأَخْبَرَني المُنْتابُ بنُ أسعد بنِ المنصورِ بنِ الحسين بنِ المُنْتابِ بمَسْور ونواحيها أنّ الّذي قال هذا الرَّجَز للماربيِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حَبابة يُعْرَفُ بالكُشَيريّ.

ثمّ رَغِبَ محمّدُ بنُ زيادٍ الماربيُّ في الشِّعْر وقولِهِ، واتَّخَذَهُ صِناعةً يَتَكَسَّبُ بها، فصار إلى شَهارَة واتَّصَلَ بآل القاسم، فأَكْرَمَهُ الأميرُ جعفرُ بنُ محمّدِ بنِ جعفرٍ وأَدْناهُ، ثمّ صار إلى تِهامَةَ فاتَّصَلَ بعيسى بنِ حمزةَ بنِ وَهّاسٍ الحَسَنيّ فأَحْسَنَ إليه، ورَفَعَ منزلتَهُ حتّى اشْتَدَّ حُبُّ الماربيِّ له، فلمّا قَتَلَهُ أَخُوهُ يحيى بنُ حمزةَ قال الماربيُّ فيه القصيدةَ النُّونيَّةَ السّائرةَ الّتي أوّلها: (منَ الكامل)

خُنْتَ المَوَدَّةَ، وَهْيَ أَلْأَمُ خُطَّةٍ   وسَلَوْتَ عَنْ عِيْسَى بن ذي المَجْدَيْنِ[1]

---

(١) قوله: «المجدين» تحتمل أن تُقرأ: «الجدّين». وثمّت حاشيةٌ في المخطوط فيها أبياتٌ منَ النّونيّة التي منها البيت أعلاهُ، وهي: «ذَكَرَ في الأبيات (عَثَّرَ)، وهو موضعٌ باليَمَن. كانت أَخَذَتِ الغُزُّ الشّريفَ يحيى بنَ حمزة بن وهّاس الحَسَنيَّ أَسِيراً إلى العِراق، وبقي أَخُوهُ بعده أَمِيراً في البلاد - حَرَض وأعمالها- وكاتَبَ وبَذَلَ الأَمْوالَ لِفَكاك يحيى حتّى افْتَكّ أَخاهُ =

فرُوِيَتْ وتُنوقِلَتْ، وسارت في أَطْراف اليَمَن وشُهِرَ بها، فنوَّهَتْ باسمِهِ. ثمّ أَتَى زَبِيْد فأَكْرَمَهُ الأميرُ بها جيّاشُ بنُ نَجاحٍ وأَحْسَنَ إليه، ثمّ عاد إلى شِبام فامْتَدَحَ الزَّواحيِّين فأَكْرَمُوهُ، وأَتَى سَبَأَ بنَ أحمدَ الصُّلَيحيَّ والمُفَضَّلَ بنَ أبي البَرَكات الحِمْيريَّ بالتَّعْكَر، والملكةَ السَّيِّدةَ بنتَ أحمدَ الصُّلَيْحِيَّةَ، وسائرَ مُلُوكِ اليمن، وأُعْطي الأُلُوفَ[١٢٢] مِنَ الدّنانير، فكان ذلك

= أَخاهُ المذكور، فلمّا عادَ إلى عَثَّر دَبَّرَ على أخيه عيسى فقَتَلَهُ، فقالَ المـاربيُّ المذكور أبياتاً، منها هذا البيت الّذي ذَكَرَهُ المُؤَلِّف، وبعدَهُ: (مِنَ الكامل)

يا طَفَّ عَثَّرَ أَنْتَ طَفٌّ آخَرُ ... يا يومَ عِيْسَى أَنْتَ يومُ حُسَينِ
قد كان يَشْفي بَعْضَ ما بي مِنْ جَوًى ... لو طاحَ يومَ الرَّوْعِ في الجبلين
هَيْهاتَ إنَّ يَدَ الحِمامِ قَصِيرَةٌ ... لو هُزَّ مُطَّرِدُ الكُعوبِ رُدَيْني
أَبْلِغْ بَني حَسَنٍ، وإِنْ فارَقْتُهُمْ ... لا عَنْ قِلًى وحَلَلْتُ باليَمَنَيْن:
أَنِّي وَفَيْتُ بِعَهْدِ عِيْسَى بَعْدَهُ، ... لا لو وَفَيْتُ قَلَعْتُ أَسْوَدَ عَيْني

وكان نَذَرَ أَلّا يَرَى الدُّنْيا إلّا بعَيْنٍ واحدةٍ، فغَطّي إحدى عَيْنَيْهِ بخِرْقَةٍ إلى أَنْ مات، فقال قُرْبَ موتِهِ: (مِنَ الكامل)

قَرَّتْ عُيُونُ الشّامِتِينَ وأَسْخَنَتْ ... عَيْني عَلَى مَنْ كانَ قُرَّةَ عَيْني

ولـمّا انـتهى الـشِّعْر إلى هـذا يحيى القاتـل غَـضِبَ لـه، وقـال: جَلَدَني اللهُ جَلْدَةَ المـاربيِّ لأَسْفِكَنَّ دَمَـهُ. فقـال المـاربيّ: (مِنَ البسيط)

نُبِّئْتُ أَنَّكَ قَدْ أَقْسَمْتَ مُجْتَهِداً ... لَتَسْفِكَنَّ على حُرِّ الوَفاءِ دَمي
ولو تَجَلَّدْتَ جَلْدي ما غَدَرْتَ ولا ... أَصْبَحْتَ أَلأَمَ مَنْ يَمْشي على قَدَمِ

تمّت.

وللماربيِّ المذكور: (مِنَ الخفيف)

ما لَقِيْنا مِنَ الظِّباءِ العَواطي ... خافِقاتِ القُرُونِ والأَقْراطِ
هَجَّنَتْ بِالبُدُورِ والدُّرِّ والوَرْ ... دِ وأَزْرَتْ بِالرَّمْلِ والأَحْواطِ

وله يَمْدَحُ أبا السُّعُود بنَ زُرَيعٍ: (مِنَ البسيط)

يا ناظِري قُلْ لِي تَراهُ كما هُوْ ... إِنِّي لأَحْسِبُهُ تَقَمَّصَ لُؤْلُؤَهْ
ما إِنْ بَصُرْتُ بِزاخِرٍ في شامِخٍ ... حتّى رَأَيْتُكَ جالِساً في الدُّمْلُؤَهْ

تمّت».

بسبب هَلاك كثيرٍ مِنْ قالَةِ الشِّعْر وحَمَلَةِ الأَدْبِ المُتَنَسِّكين باليَمَن نحو محمّدِ بن إبراهيم بن السَّمَيدع البَحيريِّ الأَرْحبيِّ، وكان قد عُدَّ في عُبّاد النّاس وزُهّادهم مدّةً، فصار إلى قَوْل الشِّعْر وطَلَبِ نائلِ المُلوك، وخالَطَ حاتمَ بنَ الغُشَيم الياميَّ مَلِكَ صَنْعاء ووَلَدَهُ، وخالَطَ الزَّواحيّين وغيرَهم، وكَشَفَ في شِعْرِهِ ما يَكْفُرُ بِهِ قائلُهُ؛ مِنْ ذلك قولُهُ: ...(١).

ونحو إسماعيلَ بنِ عليّ بن عُبَيد الله الأَبّار، فإنّهُ كان قد صار إلى سَناع وحَدَّة، ولَزِمَ نواحي الزّيديّة، وتَعَبّدَ معهم وتَزَهّدَ مدّةً، وكان له أَدَبٌ وفَصاحةٌ وخَطٌّ جيّدٌ، وشِعْرٌ حَسَنٌ في الأَكْثر مِنْ أَوْقاتِهِ، فصار إلى مَدْح الصُّليحيِّين والزَّواحيّين وابنِ وائلٍ الكَلاعيِّ وسلاطين الجَنَد وغيرهم، وتَظاهَرَ بشُرْبِ الخُمُور ومُباشَرَة المَحْظُور، واعْتَرَفَ به على نفسِهِ، وله أَخْبارٌ ونَوادرُ مُعادَةٌ إلى الآن بصَنْعاء وغيرِها، إِذْ كان سريع النّادرة وحَيَّ البادرة.

لقد أَخْبَرني غيرُ واحدٍ مِنَ الصَّنْعانيِّين قالوا: أَصابَ إسماعيلَ بنَ عليٍّ الأَبّار قُوْلَنْج شديدٌ، كادَ يأتي على نفسِهِ، ثمّ تَخَلَّصَ منه ببعضِ المُسْهِلات، فخَرَجَ مِنْ ذي بَطْنِهِ شيءٌ شديدُ الانْعِقادِ كالحِجارة، لا رائحةَ له، وكان يَوْلَعُ بالمبارك بن عليّ بن سميرٍ المُتَطَبِّب، ويَتَنادَرُ عليه، ويَعْبَثُ به ويَهْجُوهُ بالبيت والبيتين، وكان يَصْبِرُ له ويَعْجَزُ عَنْ مكافأتِهِ لجُرْأَةِ إسماعيل وانْطِلاق لِسانِهِ، وتَجَمُّدِ المُتَطَبِّب وانْعِقاد لِسانِهِ عمّا يَقْتَدِرُ عليه. فلمّا بَرَأَ إسماعيلُ مِنْ عِلّتِهِ هذه أَتَى المُتَطَبِّبَ إلى مجلسِهِ مِنَ السّوق، ومعه قطعةٌ ممّا خَرَجَ مِنْ بَطْنِهِ في قِرْطاسٍ قد عَصَرَهُ عليها، فلمّا مَرَّ بِهِ سَلَّمَ واسْتَخْرَجَ ذلك القِرْطاسَ مِنْ لَبْنَتِهِ، وقال: أيّها الحكيم، إنّهُ ما انتفعتُ في عِلّتي هذه بمِثْلِ هذا المعجون، فتَعَرَّفْهُ وأَجِدِ التَّأَمُّلَ له، وتَثَبَّتْ فيه، فلَعَلّنا ندري ما هو، ونُصِيبُ نسختَهُ فتكون عدّةً عندنا لمِثْلِ هذه العِلّة. ففَتَحَ المُتَطَبِّب[١٢٣] القرطاسَ، ثمّ نَظَرَ إليه فلم يعرفْهُ، ثمّ ذاقَهُ فلم يجدْ له طَعْماً، ثمّ شَمَّهُ، فلم يعرفْ ريحَهُ كما

(١) بعده فراغٌ في المخطوط قَدْر ثلاثة أسطرٍ إلّا قليلاً.

يكون مِنْ مثلِهِ فقال: لا أَعْرِفُ هذا. وقال: لا يَعْرِفُ المَعْجون إلّا مَنْ عَجَنَهُ فأَخَذَهُ، والتَفَتَ إلى النّاس، وقال: أيّها النّاسُ ما تقولون في طَبيبٍ لا يَعرفُ الخِراء؟ فضَحِك مَنْ ضَحِك، وجَعَلَها نادرةً عليه إلى الآن، سارتْ ورُوِيَتْ.

إلّا أنّي لا أعرفُ مِنْ أَخْبارِهِ ما هو عِظَةٌ للمُتَفَكِّر وعِبْرَةٌ للمُعْتَبِر، وداعيةٌ إلى الحَزْم في أَمْرِ الآخر والاحْتِراز فيه مِنَ الاتّكال على الغُرُور، والإِضاعة لأَنْفَسِ الأَعْلاق بحيثُ لا تُدارَك ولا تُلافى.

وذلك أنّه قَدِمَ إلينا إلى شَظَب في أيّام سليمانَ بنِ الحَسَنِ بنِ أبي الحِفاظِ مَلِكِ الجَريب ونواحيها، وكان قدِ اتَّصَلَ به وأَصابَ منه مالاً وانْتَفَعَ بجِوارِهِ في دُنْياهُ أَجْوَدَ الانْتِفاع، وكان يُريدُ ناحيةَ صَنْعاء فنَزَلَ على أبي ﷺ، وكان رَجُلاً بَزّازاً، فكان يُبايِعُهُ في البَزِّ الأَتْحَميّ ويُشارِيْهِ، وكان يُكْرِمُهُ ويُراعِيْهِ مُراعاةً جيّدةً لوُجُوهٍ، منها: خَوفُ أَذِيَّةِ لسانِهِ، ومنها حَقُّ المعرفة، ومنها اخْتِيارُهُ له بالقَصْد دون سائر مَعارِفِهِ في البلد.

ثمّ إنّه في إقامته تلك غابَ عنّا يوماً مِنْ أوّله، فما أَصْبَنا له خَبَراً حتّى كان وقت الظُّهْر فأَتَيْتُهُ إلى موضِعِهِ الّذي كان نازلاً به فعاتَبْتُهُ في غَيْبَتِهِ. فقال: يا هذا، إليك عنّي إنّي صِرْتُ إلى فلانة -امرأة ذَكَرَها مِنَ المُجاهرات بالفِسْق وعَمَلِ الخَمْر وبَيْعِهِ- فقضيتُ غَرَضاً كان لي. وكان لا يَسْتَحي مِنْ أَحَدٍ عَلِمْتُهُ ولا يقدر أَحَدٌ على إجابته خوفاً من بَذَى لسانِهِ وسُرْعة نادِرَتِهِ وخوفاً مِنْ عاقبة هِجائه لِخِفَّة ذلك عليه، وقِلّة مُبالاته بالشُّرُور. ولولا غِرَّةُ الصِّبا منّي وغَباوةُ الحَداثة وقِلَّةُ التَّمْيِيز لَما سألْتُهُ عَنْ شيءٍ خوفاً مِنْ سُوءِ عاقبة الجوابِ منه. فلـمّا سمعتُ ذلك منه حَمَلَني الإِدْلال عليه لِحَقِّ الضِّيافة ومعرفةِ الوالد واعْتِقادي لأَدَبِهِ مع شجاعةِ الغِرَّة والحَداثة على أَنْ قلتُ له: وَيْحَك يا شيخُ، لقد بَلَغَنا أنّك كنتُ على دِيانةٍ عظيمةٍ وعِفَّةٍ ظاهرةٍ وعِبادةٍ كثيرةٍ، وكنتَ وكنتَ، ثمّ أَراكَ صِرْتَ إلى ما أَسْمَعُكَ تَذْكُرُ، أَفَما تَخافُ الموتَ، وأَنْتَ على ما أنت عليه؟ فقال: لا. قلتُ: ولِـمَ[١٢٤]؟ قال: اعْلَمْ

أنّ أبي كان من خَدَم هذه الدّولة الصُّلَيحيّة وذَوي الحالات فيها؛ وكان بصَنْعاء مُنَجِّمُ الدَّولةِ فلانٌ -زَلَّ عنّي أنا اسمُهُ[1]، ولقد أجد في نفسي أنّه كان معروفاً يومئذٍ مُعَظَّماً عندهم مَشْهوراً فيهم[2]- قال: فلمّا وُلِدْتُ دَعاهُ أبي فرَصَدَ ميلادي وحَقَّقَهُ وحَصَّلَهُ، وعَمِلَ ما يحتاجُ إليه فيه مِنْ نحو الفرداويّة والإِثْني عَشريّة، وتعرّف مواضعَ القَواطعِ وسيرَ ما يسير، واسْتِقْصاءَ الأَدلّة؛ فوَجَدني أَعِيشُ على دِيانةٍ ثمّ أَرْفُضُها، ثمّ أَرْجِعُ إليها، ثمّ أَمُوتُ على ذلك وقد حَدَّ عُمْري وسَمَّى كثيراً مِنْ أُمُوري، والميلاد باقٍ إلى الآن في ودائع لي في بيت بَوْس عند السّلاطين السّلميّين، وها أنا ذا قاصدٌ بيت بَوْس، وأنظر فيه وأَحْتَرِزُ لنفسي إن شاء الله. فوَقَعَ عندي أنّه مَغْرورٌ عَنْ نفسِهِ مُصابٌ في عَقْلِهِ ودِيْنِهِ، ثمّ قلتُ فلعلّه قد كان يعمل بذلك علّةً عند سَلاطِيْنِهِ على التّوبة فيَتُوب، فلم يَلْبَثْ أَنْ كَرَّ راجعاً إلى الجَريب.

فأَخْبَرَني بعضُ مَنْ دَخَلَ عليه وهو بالجَريب، وكان ذلك في أيّام الخَريف أنّه دخل عليه، وقد تَجَرَّدَ مِنْ ثيابِهِ في دارٍ نَزَلَهُ، واتَّزَرَ بشَمْلَةٍ غَبْراء، وبين يديَهِ وِعاءٌ عظيم مِنْ خَزَفٍ -أو قال: مِنْ خَشَب- قد جَعَلَ فيه عِنَباً وهو يَعْصِرُهُ بيَدَيْهِ خَمْراً، قد تَوَلّى ذلك بنفسِهِ ولم يكِلْهُ إلى غيرِهِ، وكان لهما في ذلك حديثٌ أُنْسِيْتُهُ. ثمّ لم يَلْبَثْ أَنْ مَرِضَ ومات، وقد شَرِبَ بعضَ خَمْرَهِ تلك أو لم يَشْرَبْ منها بعد شيئاً. وهذه عِبْرَةٌ عظيمةٌ مشاهَدَةٌ في الزّمان

---

(١) ثمّة حاشيةٌ بالمخطوط بخطّ مغاير، فيها اسمُ المنجّم وشيءٌ عنه: «اسمُهُ بُحْرٌ، وهو مشهورٌ معروفٌ، كان متبحِّراً في عِلْم الفَلَك وتَسْيِيرات الكواكب، كثيرَ الإصابة في أحكام المواليد وتحاويل السِّنين والقرانات وغير ذلك؛ حتّى إنّه عَرَضَ عليه رجلٌ مولد الشّريف الفاضل القاسم بن جعفر بن القاسم الرَّسِّيِّ، ولم يخبِرْهُ لمن هو، فلمّا نظر إليه وتأوّله وعرف مضمون دلالاته، فقال بُحْر: لمن هذا المولود يا هذا السّائل؟ فقال: لرجلٍ من آحاد النّاس. فقال له بُحْر: فكيف بك إذا خفقتِ الرّايات على رأس هذا المولود ومَلَكَ النّاس والبلاد. وهذا من الإصابة البديعة والمعرفة التّامّة التي قد عَزَّ وجودها إلّا لأبي معشرٍ وأمثاله، لأنّه كان ذلك الحكم لبُحْر المنجّم في الشّريف أنّه أمدٌ صادق صحيح».

(٢) كُتب الأسطر السالفة من أوّل الصّفحة بالمخطوط بخطٍّ مختلف تقدّم مثله في صفحة من الكتاب.

والمكان، دالّة على قُبْح التَّفريط في النَّفْس والمُخاطَرة بها للنّار، وعلى قُبْحِ الاتِّكال على خُرافات المُنَجِّمِين[١٢٥] والكُهّان، والمُقَزِّحين[١] للجُهّال بالمُحال، وعلى خَديعةِ الأَمَل وبَغْتَةِ الأَجَل؛ فنَعُوذ بالله مِنَ الاغْتِرار به والغَفْلَة المُؤَدِّية إلى غَضَبِهِ.

ولقد أُخْبِرْتُ مِنْ أَخْبار سَلاطين الدّولة الصُّلَيحيِّة بكثيرٍ ممّا كان به خديعةُ هؤلاء الّذين باعوا دِيْنَهم بدُنْيا غيرِهم أو بتافِهٍ يسيرٍ مِنْ دُنْياهم، حتّى إنّي إذا فَكَّرْتُ فيهم علمتُ أنّ أغلى ثَمَنٍ باعَ به أَحَدٌ دِيْنَهُ هو ما باعَ به عمرُو بنُ العاص دِيْنَهُ مِنْ معاويةَ؛ لأنّ في مُلْكِ مِصْرَ ما هو أَعْذَرُ ممّا صار إليه الآخرون، مع ما أنّهم ممّن يَعِيبُ عَمْراً ويَسُبُّهُ؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ بِهِ عَنْ شُيُوخِ الدّولة الصُّلَيحيِّةِ، منهم القاضي عليُّ بنُ أحمدَ[٢] بنِ عبد السّلام بن أبي يحيى ونحن بمجلس أبيه بصَنْعاء أنّ[٣] الملكَ المُكَرَّمَ أحمد بن عليّ الصُّلَيحيَّ وَفَدَ عليه أبو نَصْرٍ سلامةُ بنُ الحسين الأزرني الكاتب، وكان شاعراً مُتَرَسِّلاً غير فائت الطَّبَقة، فأَكْرَمَهُ وأَدْنى مَحَلَّهُ ثمّ لم يلبثْ أَنْ وَلّاهُ عَدَن، فأقام عليها ثمّ بَلَغَهُ تَوَسُّعُ سلامةَ في أَمْوالها، فأَحْضَرَهُ، ثمّ أَمَرَ بمحاسبته، فبقي عليه عشرون ألفِ دينارٍ ملكيّة. فقال: مالي، يا سلامةُ؟ قال: أَصْلَحَ الله مولانا، قدمتُ اليَمَنَ بدَواةٍ وعَصاً، فركبتُ ولَبِسْتُ ونَكَحْتُ وأكلتُ وشَرِبْتُ ووَهَبْتُ -في كلامٍ نحو هذا- وكلّ ذلك مِنْ مال المُكَرَّم، فأمّا سلامتُهُ[٤] فلا مالَ له، فإنْ عَفَوتَ فعَنْ حَقِّك، وإنْ طالبتَ لم يُوجَد له إلّا ما قَدِمَ به. قال: فسَكَنَ غَضِبُ المُكَرَّم، وقال: إذا كان هذا عندك هكذا فقد رضيتُ عنك ثمّ

---

(١) **المُقَزِّحون**: ظاهر المعنى أنّهم من طبقة من قبلهم، ولعلّه مأخوذه من تقزيح الحديث: وهو تزيينه وتتميمه.

(٢) ثمّة حاشيةٌ على المخطوط بخطّ مغاير، بها: «عليٌّ هذا هو صِنْو القاضي جعفر بن أحمد، ولهم أخٌ ثالثٌ وهو يحيى بن أحمد الشّاعر المشهور، قتلَهُ أصحاب عليِّ بن مهديّ بحصن المجمعة».

(٣) كرّر في المخطوط: «أن».

(٤) قوله: «سلامته» كذا بالمخطوط، وهو يريد نفسه، ولعلّه أراد الإضافة إلى المكرّم؛ أي إنّه من صنائعه.

أجازَهُ وصَرَفَه.

وأَخْبَرَني القاضي أحمدُ بنُ عبد السّلام بنِ أبي يحيى بصَنْعاء قال: كان أبو شُجاعٍ الكاتبُ بذي جِبْلة رَجُلاً مِنْ أَهْل بَغْداد مِنْ قومٍ يُقالُ لهم: آل الحصين، مِنْ أَهْلِ البُيُوتات بها، فخَرَجَ مِنْ[١٢٦] بَغْداد إلى عُمان ثمّ قَدِمَ (ذي جِبْلَة[١]) وما معه شيءٌ أَكْثَرُ مِنْ مئة دينارٍ أَصابَها مِنْ صاحبِ عُمان، فاتَّصَل برَجُلٍ سفيرٍ قَدِمَ مِنَ القاهرة مِنْ مِصْر إلى ذي جِبْلَة يُعرفُ بالشّيخ السَّديد، وكان يَخْتَصُّ بمُنادَمَة السُّلْطان أَسْعَدَ بنِ عَرّافٍ القلنديِّ ومُحادَثَتِهِ= فَسَأَلَهُ أبو شُجاعٍ أَنْ يَسْأَلَ لَهُ ابنَ عَرّافٍ الكتابَ لَهُ إلى سَبَأ بنِ أحمدَ الصُّلَيحيِّ وسليمانَ بنِ عامرٍ الزَّواحيِّ، فأَمَرَ بذلك كاتبَهُ، فكَتَبَ الكتابَ بإطْرائِهِ وتَبْجِيْلِهِ فقَرَّظَهُ وقَرَّظ أسلافُهُ بجَهْدِهِ، ثمّ عَرَضَ الكتابين على أَسْعَدَ بنِ عَرّافٍ فقال: إذا كان هذا الرَّجُلُ بهذه الصِّفة فلا بأس أَنْ يكون في صُحْبَتِنا، ويجعل رُجُوعهُ إلينا. ففعل فلم يَلْبَث أَنْ صار أَدْنَى خَواصِّهِ منه وأَقْرَبهم إليه، وأَجْزَلَ لهم العَطاءَ وأَجْرَى له أَرْزاقاً سَنِيَّةً، فكان أبو شُجاعٍ قد أَمَرَ مَنْ يَتَّجِرُ لَهُ في مَتاجِرَ، وأَعانَهُ ابنُ عَرّافٍ عليها بجاهِهِ. ثمّ مات ابنُ عَرّافٍ فصار إلى خِدْمةِ المُفَضّلِ بنِ أبي البَرَكات فوَلّاهُ الكتابةَ واخْتُصَّ به، ونَفَقَ عنده، فعَظُمَ شأنُهُ وكَثُرَتْ أَمْوالُهُ واتَّسَعَت.

وأَخْبَرَني القاضي أحمدُ بنُ عبدِ السّلام بنِ أبي يحيى، قال: مَكَثَ محمّدُ بنُ زيادٍ الماربيُّ زماناً طويلاً لا يَصِلُ إليه مِنْ نائلِ المُفَضَّلِ بنِ أبي البَرَكات طائلٌ، وكان قدِ امْتَدَحَهُ بأَشْعارٍ كثيرة؛ وكان الذُّويبُ بنُ موسى هذا المَأْذُون الوادعيّ[٢] مِنْ أَصْحاب محمّدِ بنِ زِيادٍ، فكان يَحْفَظُ أَكْثَرَ أَشْعارِهِ، فقَدِمَ برسالةِ جعفرِ بنِ محمّدِ بنِ جعفرِ بنِ القاسمِ الحَسَنيِّ الرَّسِّيِّ الأميرِ بشَهارَةَ على المُفَضّل، فدَخَلَ عليه ذات يومٍ وعندَهُ نُدَماؤُهُ وقد انْتَشى فأَنْشَدَهُ

---

(١) **ذي جبلة**: لعلّه صار اسمًا مركّبًا على الحكاية من دون أن يجرى عليه الإعراب.

(٢) ثمّة حاشية بالمخطوط بخطٍّ مغاير، نصّها: «الذّويب المذكور معاصرٌ للشّيخ مُسَلّم، وكان مَأْذوناً له، وهي مرتبةٌ من مراتب أهل الباطن يُسمّى صاحبها مَأْذوناً، والذّويب المذكور...» والكلام بعده بعضُهُ مأكول من أطرافه.

مِنْ أَشْعارِ المـاربيِّ في مَدائِحِهِ ما هَزَّهُ وارْتاح له، فقال: مَنْ يَقُولُ فيَّ هذا؟ قال: محمّدُ بنُ زيادٍ المـاربيُّ. قال: لَئِنْ وَقَعَتْ عَيْني عليه لأُعَيْنَنَّهُ، فَأْمُرْ إليه ليَصِلَ إليَّ مِنْ حيثُ كان. وكان بنَجْرانَ. فبَعَثَ إليه، فقَدِمَ وامْتَدَحَهُ، فأَمَرَ له بألفِ دينارٍ، واتَّصَلَتْ به صِلاتُهُ مِنْ أَلْفٍ بعد أَلفٍ حتّى صار مِنْ أَغْنى النّاس، وكان جَواداً، فلم يكنْ يُبْقي على شيءٍ.

وقد أَخْبَرَني الذُّوَيب بذلك وأنّه كذلك، وذَكَرَ أنّه حَضَرَ عندَهُ مجلساً كان فيه عِدَّةٌ مِنْ مُلُوك اليَمَن نحو: أبي السُّعُود بن زُرَيعٍ اليامِيِّ، وعمران بنِ حزاية اليامِيِّ، والقاسمِ بنِ أحمدَ بنِ دلى ملك ذَخِر مِنْ أرض المَعافِر[١٢٧] وأنّه أَنْشَدَ المُفَضَّلَ مِنْ مَدائح المـاربيّ له شيئاً، ثمّ غَمَزَهُ على أولئك المُلُوك، وكان يحفظُ فيهم مَدائحَ أخرى للماربيِّ أيضاً، فخَلَعُوا عليه ثِيابَهم وأَعْطَوهُ دنانيرَ كثيرةً، وأَجازَهُ المُفَضَّلُ فأَقْبَلَ إلى بلد وادِعة بألفِ دينارٍ وثيابٍ كثيرةٍ تُساوي مالاً، وكَرَّ إليهم راجعاً، فاخْتَلَطَ بهم ودَخَلَ في دِيْنهم فبالَغَ فيه.

وأَخْبَرَني بعضُ آل اليامِيّ بذَخِر قال: كنّا في المُكَتِّب بذي جِبْلَة، ومعنا غلامٌ -قد ذكره- وكان ممّن يَدْخُلُ على المُفضَّل، فدخل عليه يوماً وقد صار إلى خِزانَةِ الكُتُب لتَفَقُّدها، ومعه أبو شُجاعٍ الكاتبُ، فسأَلَهُ كتاباً يَقْرَأُ فيه؟ فقال: اعْرِضْ عليَّ بعضَ ما تَعَلَّمْتَ، أو أَنْشِدْني ممّا تَرْوي، حتّى أَعْلَمَ أنّك تَنْتَفِعُ بالكتاب. فأَنْشَدَهُ بعضَ ما امْتَدَحَهُ به محمّدُ بنُ زيادٍ المـاربيُّ، وكان جَيِّدَ الرِّوايةِ حَسَنَ الأَداءِ. فاسْتَجاد الشِّعْرَ وارْتاحَ له، فالتفتَ إلى أبي شُجاعٍ فقال: مَنْ يَقولُ فيَّ هذا؟ قال: محمّدُ بنُ زيادٍ المـاربيُّ. قال: وَيْحَك، فهَلْ أَجَزْناهُ بشيءٍ؟ قال: نعم. قال: وكم عادَتُهُ؟ قال: ألف دينارٍ وثيابٌ ومَرْكَب. فقال: لا تَخْرُجِ اليومَ حتّى تحملَ معك له ألفَ دينارٍ، فإذا قَدِمَ البلد دفعتَها إليه قبل أَنْ يَصِلَ إليَّ. ثمّ أَعْطى الغُلامَ ما سأَلَ وأَجازَهُ وأَحْسَن إليه.

فلمّا قَدِمَ المـاربيُّ البلدَ بَدَأَ به أبو شُجاعٍ فأَعْطاهُ الأَلْفَ، فقال: ما هذا؟ قال: شيءٌ أَجازَكَ به مولانا. قال: أَفَأَرْجِعُ على أَثَري؟ قال: بل تدخلُ فتُنْشدُهُ. فدَخَلَ فأَنْشَدهُ فأَعْطاهُ

ألفاً أخرى عادَتَهُ المذكورة.

وأَتَى المـاربيُّ عليَّ بنَ سَبَأِ بنِ أحمدَ الصُّلَيحيَّ فأَعْطاهُ ألفاً، وأَتَى محمَّدَ بنَ حاتمِ بنِ الغُشَيم ففَعَلَ به كذلك، وأَعْطاهُ آخرون كذلك ودون ذلك، فلم يَبْقَ أَحَدٌ إلّا أعجبَهُ طلبُ الآدابِ والحِيْلةُ في قَوْلِ الشِّعْر، وتَصَّدَى لمثلِ ذلك وتَعَرَّضَ له وقَنِعَ بدون ما حصل للماربيِّ وأبي شُجاعٍ والأذرني(١) والحسينِ الطّبيب وابنِ سباعٍ وزُرَيعٍ الكاتب، وكذلك آخرون تَعَرَّضُوا لئن يكونوا مُنْشدين لمدائحهم أو ورّاقين لهم ومُؤدِّبين لأولادهم أو كَتَبَةً بين أيديهم أو خُطَباء في جُمُعهم أو غير ذلك ممّا يلتمسون به نائلهم مِنْ صِناعة أَهْلِ الأَقْلام وحَمَلَةِ العِلْم والمتسمّين بالدِّين والأمانة[١٢٨]، وآخرون تعرّضوا لأَنْ يكونوا مَأْذُونِين ومكاسرين على دِيْنهم، وتَحَلّوا مِنْ ذلك بما لا يعرفون فنَفَقُوا وعاشوا في دُنْياهم حتّى قطعوها بذلك ولَقُوا(٢) الله على غيرِ أُهْبَةٍ للقائِهِ والاسْتِعْداد لوَعْدِهِ ووَعِيْدِهِ. وأولئك سَوادٌ عظيمٌ وبشرٌ كثيرٌ لا يعلمهم إلّا الله، وقد بَقِيَ اليومَ في خِدْمة المُلُوك وتحت دُوَلِهم مَنْ يُسْتَدَلُّ به على ما قُلْناهُ.

فلمّا كان مِنْ تَخريجِ الزّيديّة وتَأْدِيبها عِدّةً خَرَجُوا عَنِ العِبادة والزُّهدِ وطَلَبِ الآخرةِ إلى التَّعَيُّشِ والكَسْبِ وطَلَبِ عاجلِ الدُّنْيا، ثمّ مِنْ تَأْديب ابْنَي أبي رَزين خاصّة وتَخْريجهما وتَخْريج مثلِهما منهم، نحو شُرَيحِ بنِ أَسْعَدَ الشِّهابيِّ وأبي السُّعُودِ بنِ زيدٍ وأبي القاسم بنِ أحمدَ الرَّبَعيِّ ونُظَرائهم، ممّن جَمَعَ الأَدَبَ والفَصاحَةَ إلى الفِقْهِ والعِلْم بالعَقْليّات والزُّهْد والعِبادة وإِيْثار الآخرة؛ ومِنْ تَأْديب وتخريج مَنْ خَرَّجَهُ هؤلاء وأَمْثالهم وأَدَّبُوهُ= كانتِ الشّهادةُ قد قامتْ، والقضيّة قد مَضَتْ لابنَي أبي رَزين خاصّة وأبي السُّعُودِ بنِ زيدٍ وشُريحٍ والرَّبَعيِّ ونحوهم مِنْ فُصَحاء الزّيديّة وشُعَرائهم وخُطَبائهم وحَسَبَتِهم وكَتَبَتهم

(١) قوله: «الأذرني» كذا!

(٢) في المخطوط: «لقيوا» وهو رسمٌ تكرّر غيرَ مرّةٍ في الكتاب، نحو قوله فيما سلف: «نسيوا».

وفُقَهائِهم بالفِعْل الفائت الّذي لا يُتَدارَك دَرْكُهُ ولا يرجِعُ فَلَكُهْ، ولا يُشَقُّ غُبارُهُ ولا يُوْطَأُ أثارُهُ[١] ولا يُنالُ مَداهُ ولا يُقارب أَدْناهُ، فغيرُ شَكٍّ أنّ أبا السُّعُودِ بنَ زيدٍ أفْصَحُ لساناً وأَوْضَحُ بَياناً وأَجْوَدُ في الشِّعْر طَبْعاً وأَغْزَرُ قَريحةً وأَسْلَسُ أَلْفاظاً مِنْ محمّدِ بنِ زيادٍ المـاربيِّ، وابنُ أبي رَزين أعلى مِنِ ابنِ حُمَيْدٍ طبقةً، والرَّبَعيُّ أَفْحَلُ مِنِ ابن السَّمَيْدَع، وشُرَيحٌ أَذْكى مِنِ ابن الصَّبَرِيِّ والأَبّارِ وأَجْودُ شِعْراً وأَتَمُّ أَدَباً؛ على أنّا قد تَرَكنا ذِكْرَ آخرين نحو صالحٍ البصير وآلِ الفقيه وعَطّافٍ البَكيليِّ ونحوهم، لا لِتَهاوُنٍ بهم بل اجْتِزاء بهذا المثال المذكور.

ولقد تَعَجَّبَ بعضُ هؤلاء الخارجين عنهم، في نَفْسِهِ وأَصْحابِهِ، في ذاتِهِ، فقال: (مِنَ الكامل)

كَمُحَمَّدٍ ومُحَمَّدٍ ومُحَمَّدٍ خَرَجُوا مِنَ الدِّيْنِ الصَّحِيْحِ إلى الرَّدي

وهذا بيتٌ يُنسبُ إلى المـاربيِّ يَقُولُهُ فيه وفي ابنِ حُمَيدٍ وابنِ الصَّبَرِيِّ وابنِ[١٢٨] السَّمَيْدع[٢]، وكلّهم اسمُهُ محمّدٌ. فإنّ له مع إضاعتِهِ لحظِّهِ فَضْلَ اعترافٍ ورعاية لحُقُوق أُسْتاذيْهِ ومُعَلِّميْهِ مِنَ الزّيديّة، وقد ذَكَرَ ذلك في شيءٍ من شِعْرِهِ، نَذْكُرُهُ في أَخْبار أبي السُّعُود بنِ زيدٍ، إنْ شاء الله.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى، فيما يَذْكُرُهُ مِنْ تَواضُعِ عليِّ بنِ أبي رَزينٍ وفَضْلِهِ وإِنْصافِهِ، قال: كان عمّي الحسينُ بنُ عبد الله يَقْرَأُ على الشّيخ عليِّ بنِ أحمد شيئاً مِنْ كُتُبِ الأَدَب، فيه ما يتعلّق بشيءٍ مِنَ اللُّغة، فَقَرَأَ عليه **(الرُّطب)**، بضمّ الرّاء. فقال الشّيخُ: **(الرَّطب)**، بفتحها. قال: فقال عمّي: يا مولاي، رأيتُ في بعض الكُتُب اللُّغَويّة أنّ الرُّطبَ، بالضّمّ هو: الّذي ينبتُ رطباً كالبُقُول والنّباتات. والرَّطب، بالفتح: كلّ ذي رُطُوبة ماء. فقال: أَحْسَنْت، فجَزاك الله عنّي خيراً، إذا رأيتَ مثلَ هذا فلا تكن تَسْكُتُ عنه. وأَعْجَبَهُ

(١) أثارُهُ: أَثَرُهُ.

(٢) كُتِب فوقه بالمخطوط: «ومحمّد بن السّميدع»، وبه يكون المذكورون أربعةً وليس ثلاثة كما سلف بالبيت.

ذلك منه، وسُرَّ بِهِ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغَرِيب البَصْريُّ قال: قال الشّيْخُ عليُّ بنُ أحمد بن أبي رَزينٍ: لا تَتَكَلَّمُوا مع العَوامّ في الدّقائق، ولا تُناظروا خُصماءكم بين أَيْديهم فيما يدقّ عليهم، فتُنَفِّرُوهم عنِ الحقّ وأَهْلِهِ، وتُقَوُّوا الشُّبَهَ عندهم فتُهْلِكُوهم، ولكن ليَكُنْ كلامُهُم في ذلك مع العُلَماء منكم، وكلامُكُم مع العامّة فيما يُسْرِعُ إليهم فَهْمُهُ، ويَقْرُبُ عليهم مُتَناوَلُهُ؛ ثمّ أَنْشد: (منَ الوافر)

تَجِلُّ عَنِ الدَّقِيْقِ فُهُومُ قَوْمٍ فَيُحْكَمُ للمُجِلِّ على المُدِقِّ

وأَخْبَرَني أخي جعفرُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيُّ قال: كنتُ قدِ ابْتَدَأْتُ في تعليم الحساب، وكنتُ أُحِبُّ أَنْ آتي منه على جُمْلَةٍ تجمع لي أُصُولَهُ، فلقيتُ الشّيخَ عليَّ بنَ أحمد بن أبي رَزينٍ ﵀، فقلتُ له: ما نهايةُ العَدَد؟ فقال: نهايةُ المَعْدود. فلم أَسْتَطِعْ أَنْ أَسْتَزِيدَ في هذا، وعلمتُ أنّه قد جاوَبَني بجوابٍ طَبَّقَ المَفْصِل، وقطع التّطويل، ولم أَكُن أَظُنُّهُ جوابي في ذلك. وهذا الجوابُ فإنّما ينتفع به مَنْ جَمَعَ بين عِلْم التّوحيد وعِلْم الحساب؛ فإنّ العَدَدَ إنّما هو إشارةٌ بالتَّفْرُقة بين الشّيئين والأَشْياء مِنْ لَدُن الثّلاثة فصاعداً، فلا يَزالُ هذا ممكناً ما أَمْكَن وُجُود معدودٍ يُفَرِّقُ بينه وبين غيره بتلك الإشارة لفظاً ومعنًى وحِسًّا أو عَقْلاً. فإذا عُدِمَ المَعْدود عُدِمَتْ تلك[١٣٠] الإشارةُ، ولذلك قال أَهْلُ التّوحيد: إنّ الواحدَ ليس بعَدَدٍ ولا مَعْدود، لأنّ الواحدَ إنّما هو ما تَقَدَّم كُلَّ ثانٍ وذي تَثْنِيةٍ، والعددُ ثانٍ وكذلك العادّ، فما تَقَدَّمَ العددَ والعادَّ لا يكون عدداً ولا معدوداً. وقد جاء عَنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ، عليهما السّلام، في كتاب (المسترشد): «**أنّ العددَ أَصْلُهُ وُجُوبُ الغير**». وهو معنى ما قلنا هٰهنا، لأنّه قد قال: «**ولا يقع الغيرُ إلّا بين اثنينِ فصاعداً**».

أبو السُّعودِ بنُ زيدٍ

هو أبو السُّعُودِ بنُ زيدِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ.

نسبُهُ في بني مطعم، مِنْ أَهْل تَنْعُم مِنْ مَشْرِق خَولان العالية، وهم بَطْنٌ مِنْ خَولانِ قُضاعَةَ، وكُلُّهم مِنْ حِمْيَر؛ أَخْبَرَني بذلك مالكُ بنُ عبدِ الله بنِ الكُباسِ المطعميُّ.

وكان يَنْزِلُ تَفاضُلَ مِنْ جَهْران، مِنْ أَرْضِ جَنْب، وبها قُتِلَ رَحِمَهُ اللهُ.

وكان صَدْراً في الأَدَب، غايةً بل آيةً، إماماً في الكلام والجَدَل، رَفِيْقاً في التّعليم، لطيفَ المَأْخَذ في النَّظْر، ذا خَطٍّ حَسَنٍ، فيما بلغني.

وكان في الشِّعْر أَعْلَى طبقةً مِنْ كثيرٍ مِنْ أُدَباء الدُّوَل باليَمَن، وأَفْصَحَ لساناً، وأَبْرَعَ بَراعةً، وأَسْرَعَ مَثَلاً وبادرةً، وأَوْجَزَ أَلْفاظاً.

ولقد وَقَفْتُ مِنْ شِعْرِهِ على شيءٍ ما أَعْلَمُ فيه كلمةً يُقالُ: لو كان عِوَضُها غيرَها. كما يُقالُ في كثيرٍ من إِنْشاء أَهْلِ اليَمَن، سَلِسَ الأَلْفاظ، جيّدَ الطّبع، حُلْوَ المعاني، بَيِّنَ الدّلالة، عالماً بالنَّحْو والعَروض والقوافي، إماماً في عِلْم الدِّين، قد صَنَّفَ التّصانيف، وأَجاب الأَجْوبة، وأَجاد الاسْتِخْراج على المُخالفين والذَّبَّ عَنِ المُؤالفين، بليغَ الوَعْظ، مُوْقَظَ الزَّجْر، حَسَنَ الاسْتِشْهاد؛ ولقد تَضَمَّنَتْ أُرْجُوزتُهُ الّتي أجابَ بها محمّدَ بنَ حُمَيدٍ ما يكفي شاهداً على تَفَنُّنِهِ في العُلُوم، ووُقُوفِهِ على المَذاهب والمِلَل، وسَنَذْكُرُ مِنْ ذلك، إن شاء الله، ما ينبغي للتَّنْبِيْهِ على ما لم يُذْكَر.

ثمّ جمّلَهُ وأَكْمَلَهُ حتّى بَرَزَ في الفَضْلِ والزُّهد والعِبادة الصّادقانِ الشّاهدانِ[1] له بانْقِطاع

---

(١) قوله: «الصادقان الشاهدان» كذا، ولم يتّجه لي المعنى، ولعلّه أراد وصف (الزّهد والعبادة) قبله.

القَرِين وعُدْم النَّظير[١٣١]، والأَخْلاقِ الحُرَّة البَرَّة الّتي تَلا فيها تِلْوَ الطَّبَرِيِّ ومَنْ أَخَذَ مِنْ آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه، في الرِّفْق والحِيْلة اللَّطِيفة في الدُّعاء إلى الله، ورَدِّ الصّادِّين عنه إليه، ومُلاءمةِ الوليِّ ومُنافاة العَدُوِّ في الله، وغير ذلك مِنْ رُسُوم الإِيْمان وشَمائل الكرام؛ فقد جاء عَنِ الهادي إلى الحقِّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، في تَعْظِيم مَقاديرِ الأَخْلاق= أنّه قال: «**مَنْ أُعْطِيَ نَزاهةَ النَّفْس فقد أُعْطِي عِوَضاً مِن العِبادة**».

فمِنْ كَرَم شِيْمتِهِ ورِفْقِهِ وإِخْلاصه في العَمَل لله سبحانَهُ، ما ذَهَبَ عَنّي كثيرٌ مِنْ عَجائبه إلّا أنّي أَحْفَظُ ممّا يَدُلُّ عليه ما أَخْبَرَني به أحمدُ بنُ الحسينِ البَلْخيُّ الصَّنْعانيُّ قال: كان أبو السُّعُودِ بنُ زيدٍ رَحِمَهُ اللهُ يأتي مَشْرِق خَولان العالية في أيّام الخَريف، فكان قد تاب على يَدِهِ جماعةٌ مِنْ فِتْيانهم، وكان فيهم فتًى ذو فِطْنةٍ وظَرْفٍ، وكان قد تَنَسَّكَ ودَرَسَ أُصُولَ الزَّيديّة ووَثِقَ به النّاس، فغَبَرَ بذلك دَهْراً، ثمّ إنّه طال عليه الأَمَدُ كما قال الله تعالى في كتابه[١]، فانْخَدَعَ للأَمَلِ، وعَمِلَ بالتَّسْويف، فواقَعَ المعصية، وانتهى به الأَمْرُ إلى شُرْبِ الخَمْر ومُنادَمَة الفُسّاق، وقَطْع الصّلاة. ورُكُوب الآثام. فبينا هو ذاتَ يومٍ في نادي قومِهِ جالسٌ مع فِتْيان الحيِّ إذْ أَقْبَلَ أبو السُّعُودِ بنُ زيدٍ، فظَنَّهُ على ما كان يكون، فسَلَّمَ على الجماعة وسَلَّمُوا عليه، فلم يَرَ الفتى بُدًّا مِنَ الدُّخُول في جُمْلةِ المُسَلِّمين عليه، ولم يَرَ بُدًّا - لقَديم اخْتِصاصِهِ به- مِنْ أَنْ يَجْذِبَهُ إلى منزله، على ما جَرَت به عادةُ الصّديق للنُّزُول عليه. أو قال: قصدَهُ إلى منزلِهِ بعد قُدُومِهِ فتَلَقّاهُ فلم يَرَ بُدًّا مِنْ أَنْ يَدْخُلَ إليه، واسْتَحى مِنْ حَبْسِهِ على الباب، وتَرْكِهِ قائماً؛ وذلك مِنْ أبي السُّعُود على عَمْدٍ لِما كان قد بَلَغَهُ مِنْ خَبَرِهِ، فلمّا دَخَلا دَخَلا وليس بأَحَدٍ ما بالفَتَى مِنَ الخِزْي والاسْتِحْياء، فوَجَدَ البيتَ مملوءاً خَمْراً في أَوْعِيَتها، ومنها ما قد صار فارغاً، فلم يَنْطِقْ أبو السُّعُودِ في ذلك بحَرْفٍ، ولم يُرِهِ نكَرَةً، ولا

---

(١) يريد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

أنّه رَفَعَ لذلك رَأْساً، ولا اهْتَمّ له، فكان أبو السُّعُود يأخذُ به طريقةَ الإِيْناس، والفتى مُفَكِّرٌ لقَبِيح ما صَنَع، وما اطَّلَعَ عليه منه أبو السُّعُود[١٣٢]، ...[١] حَزِينٌ مهمومٌ قد نَدِمَ ممّا صَنَعَ، واسْتَبَانَ قُبْحَهُ فقال: واللهِ، ما ينبغي لي أَنْ أعودَ إلى مثلِ هذا الأَمْر، ولا أَنْ أَتْرُك أُخُوَّةَ هذا العبد الصّالح، الذي وَفَى لي بالأُخُوَّةَ مع ما أنا عليه، مِنْ سُوءِ الحال وفساده. ثمّ قام إلى تلك الأَوْعية فأَراقَ ما فيها مِنَ الخَمْر وكَسَرَها، فلمّا رَأَى ذلك أبو السُّعُود أَعانَهُ عليه، ثمّ انْفَتَحَ لأبي السُّعُود بابُ الكلام، فأَمَرَهُ بالصّلاة في ليلتِهِ تلك، وأَعْطاهُ قِناعَهُ فصَلَّى فيه، فلمّا أَصْبَحا خَرَجا إلى ماءِ البلد فغَسَلا له ثِيابَهُ، ولَزِمَ الفتى أبا السُّعُود فكان مِنْ أَفْضل أَهْلِ زَمانِهِ عِبادةً ونُسْكاً في تلك البلدة.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ، قال: كنتُ عند أبي السُّعودِ بنِ زيدٍ في منزله بجَهْران، وكان ﷺ رَجُلاً عالماً بأُصُولِ الدِّين واخْتِلافِ المَذاهب والمِلَل مُتَقَدِّماً في الكلام، قد أَخَذَ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بحَظِّهِ، وكان مِنْ أَكْمَل رَجُلٍ[٢] مِنَ الزّيديّة باليَمَن، ظاهرَ الزّهدِ، شديدَ الإِعْراض عَنِ الدُّنْيا، حَسَنَ الدُّعاء إلى الله سبحانه.

قال: فأَدْخَلَني ذاتَ يومٍ دارَهُ فإذا دَكّتان عليهما كُتُبٌ كثيرةٌ، فقعدتُ على أَحَدِهما وجعلتُ أُقَلِّبُ تلك الكُتُبَ وأَنْظُرُ فيها ولا أَعْرِفُها ولا أدري على أيِّ الآراء والمِلَل هي، فدخل عليَّ وأنا أَنْظُرُ في تلك الكُتُب فقال: يا أبا عبد الله، لا تشتغلْ بالنَّظَر في تلك الكُتُبِ فإنّها مُشْكلةٌ عليك، وفيها ما لا تعرفُهُ ولا تعتقدُهُ، ولا آمَنُ أَنْ يَمُرَّ بك ما يُدْخِلُ عليك شبهةً تحتاج إلى حَلٍّ؛ ولكنِ انْظُرْ في هذه الكُتُب الأخرى. فقمتُ إليها فإذا هي كُتُبُ آلِ محمّدٍ، صلّى الله عليهم أجمعين، فجعلتُ أنظرُ فيها وأَعْرِفها. فناهيك برَجُلٍ كان يخافُ على ابنِ رِفادٍ -وهو مُدَرِّسُ الزّيديّة بوَقَش- الالْتِباسَ في قراءة كُتُبٍ قد أَعَدّها لِيَنْقُضَها ويَحْتَجَّ

---

(١) ثمّة كلمةٌ صغيرةٌ محكوكةٌ على بعض حروفها نقطتان متفرّقتان، لم يتّضح لي رسمها.

(٢) قوله: «من أكمل رجل» كذا بالمخطوط.

على ما فيها مِنْ ضلالةٍ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ ﷺ قال: قال لي أبو السُّعُود بنِ زيدٍ: يا محمّدُ، لئن عشتُ لأَجْمَعَنَّ تفسيرَ القرآن عَنْ أئمّةِ آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه وعليهم، بخَطّي حتّى يكون كتاباً جامعاً لتفسيرِ القاسم ويحيى وأولادهما، عليهم السّلام، ومَنْ ذَهَبَ مذهبَهم[١٣٣] مِنْ آلِهم. قال: فقُتِلَ ﷺ قبل ذلك. قال: وكان سببُ قَتْلِهِ ﷺ أنّه لـمّا أَجابَ محمّدَ بنَ حُمَيْدٍ الشّاعرَ عَنْ أُرْجُوزتِهِ الّتي هَجا فيها الزّيديّةَ وطَعَنَ عليهم، وتَقَرَّبَ بذلك إلى أَهْلِ الدّعوة مِنَ الصُّلَيحيّين= أَجابَهُ بأُرْجُوزةٍ مشهورةٍ شاعرةٍ بليغةٍ، أوّلها: (من مشطور الرَّجَز)

حَمْداً لِرَبّي المَلِكِ الخَلّاقِ

الدّائِمِ الباقي الحَفِيْظِ الواقي

وكان قد ضَرَبَ فيها أَمْثالاً حسنةً، واحْتَجَّ فيها بحُجُجٍ قويّةٍ على السُّوفسْطائيّة مِنَ الباطنيّة والفَلاسفةِ، وعلى المُخْتَرِعة والرّافضة وغيرهم، ووَحّدَ الله تعالى وأَثْنَى عليه، وذَكَرَ رُسَلَهُ وأَئِمّةَ دِيْنِهِ بما يُرْضِيْهِ عنه. وذَكَرَ الزّيديّةَ بما هُمْ أَهْلُهُ، وذَكَرَ كيف كان اتّصالُهُ بهم، وبأَيِّهِمْ ظَفِرَ بالهُدَى على يَدَيْهِ. وذَكَرَ خَدائعَ الشّياطين وانْخِداعَ النُّفُوس، ووَعَظَ ابنَ حُمَيْدٍ وخوّفَهُ مِنْ ذلك، وذَكَّرَهُ بالله تعالى وزَجَرَهُ ثمّ قَرَّعَهُ ووَبَّخَهُ ثمّ هَجَّن به وغَضَّ منه انتصاراً لِمَنْ كان وَقَعَ فيه مِنَ الزّيديّة، نحو: إبراهيمَ الصَّبَريِّ، وإبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم، وعُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ، وإسماعيلَ الغريبِ، ونحوهم. وعابَهُ بالغَدْر واحْتَجَّ في ذلك بما سَعَى به على القوم عند سَبَأ بنِ أحمدَ الصُّلَيحيِّ، وعَمِلَ فيه مِنْ خَرابِ سَناع وتَخْويف أَهْلِها، ثمّ نَقَضَ عليه اعتقاداتِهِ الّتي كان يرى، فكان ممّا آلَمَهُ به قولُهُ: (من مشطور الرَّجَز)

هَلْ أَنْتَ إلّا ابْنُ حُمَيْدٍ لا غَيْرْ

فَاعْرِفْ مَدَى قَدْرِكَ واقْصِدْ في السَّيْرْ

أَوْ لا فَهَمْلِجْ مُمْعِناً فلا ضَيْرْ
فَالطِّرْفُ لا يَبْهَرُهُ جَرْيُ العَيْرْ

قال: ولـمّا وَقَفَ على هذه الأُرْجوزة أَقْلَقَتْهُ وراعَتْهُ، فقامَ لها وقَعَدَ، وكان فيها: (من مشطور الرَّجَز)

ها أَنْتَ ذا تَزْعُمُ أَلّا مَعْبُودْ
لأَنَّ مَعْبُوداً بِوَزْنِ مَوْجُودْ
ووَزْنُ مُوجُودٍ كَوَزْنِ مَعْدُودْ
وكُلُّ مَعْدُودٍ فَجِسْمٌ مَحْدُودْ

❊

واللهُ عَنْ رَأْيِكَ هَذا المُبْتَدَعْ
لَيْسَ يُسَمَّى صانِعاً لِما صَنَعْ
حَيًّا غَنِيًّا عالِماً بِما شَرَعْ
فَرْداً قَدِيْماً نافِعاً بِما نَفَعْ

❊

تَقُولُ ذا ضَرْبٌ مِنَ التَّشْبِيْهِ
والنَّفْيُ أَيْضاً لا يَجُوزُ فِيْهِ
في قَوْلِنا لَيْسَ بِذي تَشْبِيْهِ
هَيْهاتَ هَذا رَأْيُ مَنْ يَنْفِيْهِ
تَحَيُّلاً بلا ولا تَنْفِيْهِ

كما نَفاهُ مَنْ غَلا في بَغْيِهِ[١٣٤]

ورَدَّ ما نَزَّلَهُ في وَحْيِهِ

مِنْ أَمْرِهِ عِبادَهُ ونَهْيِهِ

*

ولا يَرى العَرْضَ وبَعْثَ الأَجْسادْ

مِنَ الثَّرَى يَوْمَ تَقُومُ الأَشْهادْ

في مَوْقِفٍ تَرْجُفُ مِنْهُ الأَكْبادْ

لاسِيَّما أَكْبادُ أَهْلِ الإِلْحادْ

*

عُذْتُ بِوَجْهِ خالِقي ذي الطَّوْلِ

والعِزِّ والمَجْدِ شَدِيدِ الصَّوْلِ

إِنِّي بِرَبِّي قُوَّتي وحَوْلي

مِنْ إِفْكِ مَنْ قالَ بِهذا القَوْلِ

*

أَهَذِهِ فُتْيَا أبي تَمِيْمِ

مِمّا تَلَقّاهُ مِنَ العُلُومِ

مَعاذَ رَبِّي القادِرِ العَلِيْمِ

بَلْ هذِهِ دَعْوَى عُلُوجِ الرُّوْمِ

فدَخَلَ بالأُرْجوزةِ[1] إلى سَبَأِ بنِ أحمدَ الصُّلَيحيِّ وقال: إنّ غُلاماً مِنَ الزّيديّة أنا أَدَّبْتُهُ وعَلَّمْتُهُ قال فيَّ وقال، وأَنْشَدَهُ فُصُولاً مِنَ الأُرْجوزة، أو عَرَضَها عليه ووَقَفَهُ على هذا الفَصْل، وغَيَّرَ قولَهُ: (من مشطور الرَّجَز)

بَلْ هَذِهِ دَعْوَى عُلُوجِ الرُّوْمِ

فجعلَهُ:

وهذِهِ دَعْوَى عُلُوجِ الرُّوْمِ

فاغْتاظَ سبأٌ لذلك، واسْتَطار غَضَبُهُ، فلمّا انتهى في إنْشاده له إلى قولِهِ:

يا لَهْفَ نَفْسي واضْطِرامَ وَجْدي
عَلَى القَنا السُّمْرِ وبِيْضِ الهِنْدِ
ومُقْرَباتٍ كالسَّعالِي جُرْدِ
تَرْدي بِأَبْطالٍ كَمِثْلِ الأُسْدِ

*

في جَحْفَلٍ ذي لَجَبٍ جَرّارِ
بَيْنَ يَدَيْ مُهَذَّبٍ مِغْوارِ
مُحَمَّدِيٍّ ساطِعِ الأَنْوارِ
يَثْأَرُ لِلْحَقِّ بِذي الفِقارِ

وقوله:

يا بِأَبِي كُلَّ صَحِيْحِ المُعْتَقَدْ[2]

---

(١) يعني بذلك محمّد بن حُمَيد.

(٢) قوله: «يا بأبي ...» كذا بدا لي رسمه في المخطوط.

مُنَزَّهٍ عَنْ كُلِّ إِثْمٍ وفَنَدْ
مُسْتَضْعَفٍ في كُلِّ أَوْبٍ مُضْطَهَدْ
يَبِيْتُ يَرْعَى النَّجْمَ مِنْ فَرْطِ الكَمَدْ

❊

رَبِّ فَعَجِّلْ فَرَجاً قَرِيْبا
وانْصُرْ إِلَهي دِيْنَكَ الغَرِيْبا
وادْفَعْ ضَلالاً مُطْبِقاً مُرِيْبا
أَضْحَى الهُدَى مِنْ أَجْلِهِ حَرِيْبا

وسمع[(١)] ذلك قامَ وقعَد، وقال: ينبغي أَنْ تَعْلَمَ أنّه لو كان مع هذا على مِثْلِ رَأْيِهِ[١٣٥] جماعةٌ لخَرَجُوا علينا، وكان منهم إلينا شَرٌّ.

فعَمِلَ في قَتْلِهِ فبَذَلَ فيه لرَجُلَينِ مِنْ جَنْب جُنْدِيِّين شيئاً، فأَتَياهُ إلى تَفاضُل فوَجَداهُ قد خَرَجَ لغَسْلِ ثِيابِهِ على بعضِ المياه، فقَتَلاهُ. قالوا: فقُتِلَ أَحَدُهما بعد أيّامٍ وتَقَطَّعَ الآخرُ جُذاماً.

(١) قوله: «وسمع ذلك...» كذا في المخطوط، على أنّ العبارة تكون أحسن معنًى لو كانت: «فلمّا سمع...».

فَصْلٌ
في ذِكْرِ ما في هذه الأُرْجوزَةِ مِنَ المَحاسن وأَنْواعها

فمِنْها في التّوحيد وأَنَّ الدّليلَ على الوَحْدانيّة الكَثْرَةُ: (من مشطور الرَّجَز)

دَلَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ فَرْدٌ أَحَدْ

مُنَزَّهٌ عَنِ النَّظِيْرِ والوَلَدْ

ودَرَكِ الحِسِّ وتَقْسَيْمِ العَدَدْ

وأَنَّهُ عَزَّ وجَلَّ لا يُحَدْ

❋

صُنْعٌ عَجِيْبٌ مُحْكَمُ التَّرْكِيْبِ

يَبْهَرُ عَقْلَ الفَطِنِ اللَّبِيْبِ

وفي أنّ الكُلِّيّة والجُزْئيّة لا تقعُ على الواحد الحقيقيّ، وأَنّ قليلَ التّشبيهِ ككثيرِهِ، قولُهُ:

لَيْسَ بِمَحْسُوسٍ ولا مَحْوِي

ولا بِكُلِّيٍّ ولا جُزْوي

كَقَوْلِ أَهْلِ مَذْهَبِ الحَشْوي

قَولِ النَّصارَى الفاحِشِ الغَوي

❋

لو كانَ مَحْسُوساً بِسَمْعٍ أَوْ عَيْنْ

مُشَبَّهاً مِنْ جِهَةٍ أَوْ ثِنْتَيْنْ
قَرِيْنَ حالٍ واحِدٍ أَوْ حالَيْنْ
أَوْ حائِراً فِيْهِ عَلامَ أَوْ أَيْنْ؟

*

أَوْ فِيْمَ أَوْ حَتّامَ أَوْ مُذْ كانا
أَوْ شاغِلاً في حَيِّزٍ مَكانا
لَكانَ كَوْناً يُشْبِهُ الأَكْوانا
ويَقْبَلُ التَّغْيِيْرَ والنُّقْصانا

ثمّ قال في الغِنَى بالوَحْدانيّة:

للهُ أَعْلَى وأَعَزُّ مَجْدا
لم يَزَلِ اللهُ غَنِيًّا فَرْدا
لا زائِلَ الذّاتِ ولا مُنْحَدّا
ولا نَظِيْرَ الشُّبَهاتِ نِدّا[١]

ثمّ قال في الجَبْر والإِرْجاء:

كَذاكَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ
منه مَعاصي خَلْقِهِ قَضاها
وشاءَها مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْضاها
فَقَدْ تَرَدَّى طالِحاً وتاها

*

(١) رُسِم في المخطوط: «... السهواه ندا».

وَمَنْ مَشَى فِي مَهْيَعِ الإِرْجاءِ

فَقَدْ مَشَى بِالقَدَمِ العَرْجاءِ

وانْسابَ فِي مَدْرَجَةٍ عَوْجاءِ

جائِرَةٍ مُوْحِشَةِ الأَرْجاءِ[١٣٦]

❋

وجَرَّأَ النّاسَ عَلَى الفَسادِ

والجَوْرِ عَنْ مَحَجَّةِ الرَّشادِ

وقال في قُبْحِ المُساواة بين المُصْلِح والمُفْسِد:

لا يُخْلِفُ اللهُ الكَرِيْمُ ما وَعَدْ

ولا يَكُونُ مَنْ عَصاهُ وعَنَدْ

كَمَنْ تَحَرَّى البِرَّ واخْتارَ الرَّشَدْ

فِي هذِهِ الدُّنْيا ولا فِي يَومِ غَدْ

ثمّ قال في الزَّجْر عَنِ الغَفْلة، وإضاعة النَّظَر في العِبْرة وطَلَب النَّجْوة:

وَيْلٌ لِمَنْ لم يَنْتَفِعْ بِعَقْلِهْ

ويَجْتَنِبْ بابَ الرَّدَى ويَقْلِهْ

ولم يَزَعْهُ عِلْمُهُ عَنْ جَهْلِهْ

ويَعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِهْ

❋

كَمْ مَلِكٍ قَدْ كانَ آدَى وأَعَدْ[1]

واسْتَضْهَدَ البُلْدانَ بالبَطْشِ الأَشَدْ

أَبْلَتْ يَدُ الأَيّامِ ما كانَ أَجَدْ

وافْتَرَسَتْهُ بِشَبا النّابِ الأَحَدْ

❊

أَيْنَ مُلُوكُ حِمْيَرٍ وكَهْلانْ

والفُرْسِ والرُّومِ مَعاً ويُونانْ

والأَوّلُونَ مِنْ مُلُوكِ كَنْعانْ

أَضْحَوا رُفاتاً في رَمِيْمِ الأَكْفانْ

❊

قَدْ ضَيَّعُوا ما جَمَّعُوا مِنْ مالِ

وأَصْبَحُوا رَهائِنَ الأَعْمالِ

لِيَوم بَعْثِ الأَعْظُمِ البَوالي

والعَرْضِ في المَوْقِفِ للسُّؤَالِ

ثمّ قال موفّقاً ومقرّراً على صحّة مُعْتَقدِ آلِ رسول الله، صلّى الله عليه وعليهم، الّذين جمعوا إلى النَّسَبِ العَمَلَ بالمِلَّةِ، واعتقدوا الحَقَّ:

آمَنْتُ باللهِ وبِالشَّرِيْعَهْ

مُقْتَدِياً بِعُلَماءِ الشِّيْعَهْ

---

(١) آدَى: كان ذا أداةٍ وقوّةٍ وسِلاح؛ التّاج: (و د ي).

الفِرْقَةِ السّامِعَةِ المُطِيْعَهْ

أَرْجُو بِذاكِ الدَّرَجَ الرَّفِيْعَهْ

*

بالطَّيِّبِينَ مِنْ بَني الفَواطِمِ

بَني النَّبِيِّ الأَبْطَحيِّ الهاشِمي

كَمِثْلِ يحيى والإِمامِ القاسِمِ

والمُرْتَضى البَرِّ التَّقيِّ العالِمِ

إلى قوله:

ما ضَلَّ دِيْنٌ أَبْرَمُوا إِحْكامَهْ

عَنْ رَبِّهِمْ فَأَحْكَمُوا إِبْرامَهْ

فإلى قوله مُعَرِّضاً بدِين الآخر[١٣٧]:

يَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والتَّجَبُّرِ

والطَّمَعِ الفاضِحِ والتَّكَبُّرِ

واللَّغْوِ والبَغْوِ وقَوْلِ المُنْكَرِ

والعَزْفِ والقَصْفِ وشُرْبِ المُسْكِرِ

*

طابَتْ رُباهُ وزَكَتْ مَعادِنُهْ

وأَشْرَقَتْ لائِحَةً مَحاسِنُهْ

لا يَفْضَحُ الظّاهِرَ فِيْهِ باطِنُهْ

ولا يَخافُ الزَّيْغَ فِيْهِ آمِنُهْ

ثمّ قال يصفُ الزّيديّة في عَصْرِهِ وصَبْرَهم:

لكِنَّهُ إذْ غابَ عَنْهُ ناصِرُهْ
وأَصْبَحَتْ خاوِيَةً مَحاضِرُهْ
فاقِدَةً لأَهْلِهِ مَنابِرُهْ
هَمَّ بِهِ كُلَّ الهُمُومِ واتِرُهْ

❊

النّاسُ أَعْوانٌ عَلَى أَعْوانِهِ
أَلْبٌ مَعَ الشَّيْطانِ في دِيْوانِهِ
تَقَرُّباً مِنْهُ إلى إخْوانِهِ
بِالجِدِّ والتَّشْمِيْرِ في عُدْوانِهِ

❊

فَالحَقُّ فِيْهِمْ لا يُسَمَّى بِاسْمِهِ
مُطَّرَحٌ مُحَوَّلٌ عَنْ رَسْمِهِ
مُصْطَلَحٌ في هَدِّهِ وحَسْمِهِ
قَدْ فَقَدَ الأَبْرارُ عَدْلَ قِسْمِهِ

❊

إلّا بقايا مِنْ رِجالٍ أَكْياسْ
غُرٍّ كِرامٍ صُبُرٍ عِنْدَ الباسْ[1]

---

(١) **الباس**: يريد البأس، وسهّل الهمز.

لم تَشْتَمِلْهُمْ مُعْضِلاتُ الإِلْباسْ
والحَقُّ ما انْفَكَّ قَلِيْلاً في النّاسِ

*

للهِ قَوْمٌ بادَرُوا بِالأَعْمالْ
بَوادِرَ الحَتْفِ وحَثِّ الآجالْ
واسْتَشْعَروا الصَّبْرَ ورَفْضَ الآمالْ
واحْتَرَزوا مِنْ كُلِّ قِيْلٍ أو قالْ

إلى قولِهِ يُعَيِّبُهُم:

مَنْ كَرِجالٍ نُجُبٍ أَطْهارِ
كانُوا حُلُولاً في ذَرَى نَضارِ[١]
هَمُّهُمْ في طاعَةِ الجَبّارِ
وفي الخَلاصِ مِنْ عَذابِ النّارِ

ثمّ قال يحكي سلامتَهُ بعد وُقُوعِهِ في الرِّيْبَة، واغْتِرارِهِ بها في الدُّجْيَة[٢]، وتَخَلُّصَهُ على أَيْديهم، وشَكَرَ ذلك لهم:

لَوْلاهُمُ أَيّامَ لُبِّي مُخْتَلَسْ
أَحْسِبُ نُوْرَ الشَّمْسِ يَعْلُوْهُ القَبَسْ
وأَتَوَخّى العَوْمَ في وادٍ يَبَسْ

---

(١) قوله: «ذَرَى نَضار» كذا ضُبط بالمخطوط.
(٢) **الدُّجْية**: الظُّلْمة، وجمعُها: الدُّجَى.

لاخْتَلَجَتْني عَنْ هُدَى الحَقِّ اللُّبَسْ

*

أَقَمْتُ عَشْرَ حِجَجٍ أَوْ تِسْعا

تَلْسَعُني مِنْ كُلِّ جُحْرٍ أَفْعَى

في كُلِّ يَوْمٍ لي هَوًى ومَسْعَى

تَدْسَعُني الحَيْرَةُ فِيْهِ دَسْعاً

إلى قولِهِ في صفةِ مُطَرِّفٍ وأَخْذِهِ للمَذْهبِ سَماعاً تَلْقِيناً:

مُعْتَمَداً لِلرُّشْدِ والصَّوابِ

عَقْوةَ شَيْخٍ مِنْ بَني شِهابِ[1]

زاكي المَساعي طاهِرِ الأَثْوابِ

لَيْسَ بِفَحّاشٍ ولا سَبّابِ

*

لَقَّنَهُ العِلْمَ شُيُوخُ العِلْمِ

عَنْ كُلِّ هادٍ عَلَوِيٍّ يَنْمي

إلى النَّبيِّ العَرَبيِّ الأُمِّي[١٣٨]

مُسْتَبْطِنٌ ثَوْبَ التُّقَى والحِلْمِ

ثمّ دعا إلى الوَعْظ والتّذكير وصفة النّاجي والنَّجاة، وتَعَرَّضَ بابنِ حُمَيدٍ:

حُقَّ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالقَصاصِ

(١) **العَقْوةُ**: السّاحة وما حوْلَ الدارِ والمَحَلَّة، يُقالُ نَزَل بعَقْوَتِهِ، ويُقالُ: ما بِعَقْوةِ هذه الدَّار مثل فلانٍ؛ التّاج: (ع ق و).

والأَخْذِ يَوْمَ البَعْثِ بِالنَّواصي

أَنْ يَزَعَ النَّفْسَ عَنِ المَعاصي

مُجْتَهِداً في طَلَبِ الخَلاصِ

❋

أَيُّ امْرِئٍ طَبٍّ صَحِيْحِ الدَّعْوَى

يَخْتَصُّ بالفِرْيَةِ أَهْلَ التَّقْوَى

ويُهْمِلُ النَّفْسَ على ما تَهْوَى

كَأَنَّهُ مُحْتَطِبٌ في العَشْوَى

❋

أَمْ أَيُّ ذي دِيْنٍ رَضِيِّ السَّمْتِ

زاكي الحِجَى في قَوْلِهِ والصَّمْتِ

لا يَرْعَوي عَنِ الأَذَى والبَهْتِ

والخَوْضِ في الظُّلْمِ وأَكْلِ السُّحْتِ

❋

تاللهِ ما يَغْبى الحَلالُ الجائِزْ

كَلّا ولا يَخْفَى التَّقِيُّ الفائِزْ

إِنَّ التُّقَى عَنْ كُلِّ إِثْمٍ حاجِزْ

والحَقَّ مَكْشُوفٌ جَلِيٌّ بارِزْ

ثمّ ابتدأ في التّصريح فقال:

أَعْني بِهذا كُلَّ طاغٍ باغي
مُسْتَكْلِبٍ على البَذَى لَدّاغ
مُوْلَعٍ بِالكَلِمِ اللَّواغي
يَسْكَعُ في حَيْرَةٍ كُلِّ غاغي

❊

أَصَمَّهُ الكِبْرُ وأَعْماهُ الحَسَدْ
واسْتَعْذَبَ الدُّنْيا بِتَفْتِيْقِ الجَسَدْ
في جِيْدِهِ لِلْبَغي حَبْلٌ مِنْ مَسَدْ
كَذاكَ مَنْ يَطْغَى إِذا الدِّيْنُ فَسَدْ

❊

لَيْسَ يُبالي أَيَّ قَوْلٍ قالا
ولا إلى أَيِّ اعْتِقادٍ مالا
إذا أَفادَ ثَرْوَةً ومالا
حَجَراً حَراماً كانَ أَوْ حَلالا

❊

فَلَوْ يَحُسُّ لِلْمَجُوسِ ناراً[1]
وعابِداً يَعْبُدُها جَبّارا
أو لو يَثُورُ ثائِرٌ جِهارا

---

(١) قوله: «فلو ...» هذا استنطاق لأحرفٍ مطموسة، لعلّها تحتمل غير ذلك.

مِنَ اليَهُودِ أَوْ مِنَ النَّصارَى

❊

ثُمَّتَ أَصْفَى نَيْلَهُ وأَطْمعَهْ
وكانَ ذا بَطْشٍ شَدِيْدٍ وسَعَهْ
لَقالَ هذا الحَقُّ لا شَكَّ معَهْ
وهذِهِ عُمْدَةُ كُلِّ إِمَّعَهْ

❊

بَيْنا تَراهُ رَجُلاً زَيْدِيّا
مُسْتَمْسِكاً بِالشَّرْعِ إِسْلامِيّا
بَرًّا تَقِيًّا وَرِعاً هادِيّا
حُلْوَ السَّجايا طاهِراً عَدْلِيّا

❊

مُوَحِّداً لَيْسَ بِنَصْرانِي
ولا عَمٍ آخَرَ دِيْصانِي
ولا مَجُوسِيٍّ ولا لِماني
ولا بِطَبْعِيٍّ هَيُولانِي

❊

ولا يَرَى جَحْدانَ إِرْسالِ الرُّسُلْ [1]

(١) قوله: «جحْدان» كذا بالمخطوط، وإنّما يُقال: جَحَدَهُ جَحْدًا وجُحودًا فحسب، ولعلّه حمله على (كُفْران)، إذ يُقال: كَفَر يَكْفُرُ كُفْرًا وكُفورًا وكُفْرانًا؛ التّاج: (ج ح د، ك ف ر).

لأَنَّ في إِرْساِلهِمْ أَمْنَ السُّبُلْ
وقَمْعَ حُسّادٍ وأَوْغادٍ غُفُلْ
وعَلَماً لِلْحَقِّ يَهْدي ويَدُلْ

❊

إِذْ حالَ فاحْتالَ ضَلالاً ونَكَصْ
واسْتَدْرَجَتْهُ لِلأَباطِيْلِ الرُّخَصْ
وانْتَهَزَتْ فِيْهِ الأَبالِيْسُ الفُرَصْ
فَهُوْ رَبِيْقٌ في المَعاصي مُقْتَنَصْ

ثمّ صَرَّحَ فقال:

كابْنِ حُمَيْدٍ شاتِمِ الأَخْيارِ
تَقَرُّباً مِنْهُ إلى الأَشْرارِ
وجُرْأَةً على العَزِيْزِ الباري
بِأَكْلِ سُحْتٍ فاضِحٍ غَرّارِ

❊

يَقُولُ لِلأَشْرافِ في شَهارَهْ
إِنَّ هُناكَ الفَضْلَ والطَّهارَهْ[١٣٩]
والعَدْلَ والرَّحْمَةَ والإِمارَهْ
والمَجْدَ والسُّؤْدُدَ والجَهارَهْ

❊

وإِنَّهُمْ مَفْزَعُ أَهْلِ العَصْرِ
مُؤَيَّدُونَ بِالتُّقَى والنَّصْرِ
أَوْ يَحْسِمُوا دَعْوَةَ داعي مِصْرِ
ويَمْلِكُوا الأَمْرَ بِكُلِّ ثَغْرِ

❊

حَتَّى إِذا وَلَّى عَنِ الأَشْرافِ
سَمِّ المُعادي ومَلاذِ العافي
أَبْدَى جَفاءَ الوَغِرِ المُنافي
بَعْدَ النَّوالِ الجَمِّ والأَلْطافِ

❊

ثُمَّ إِذا ما شامَ لابْنِ عامِرْ
أَوْ لِبَني المُظَفَّرِ المَغاوِرْ
بَرْقَ نَوالٍ مِنْ نَداهُمْ غامِرْ
أَوْ غَيْرِ غَمْرٍ رائِحٍ أَوْ باكِرْ

❊

نادَى أَلَا إِنِّي مِنَ اهْلِ الدَّعْوَهْ
أَعْتَقِدُ النَّصَّ وأَنْحُوْ نَحْوَهْ
لَيْسَ بِزَيْدٍ وبِيَحْيَى قُدْوَهْ

كَلّا ولَيْسَا في نِصابِ الصَّفْوَهْ

❊

يَخْتَصُّ أَوْلادُ الحُسَينِ المُؤْتَمَنْ

بِالأَمْرِ والنَّهْيِ وتَقْيِيْدِ السُّنَنْ

لا حَظَّ في الأَمْرِ لأَوْلادِ الحَسَنْ

يَزْعُمُ أَوْ يَرْجِعَ في الضَّرْعِ اللَّبَنْ

❊

هذا وهاتي كُتْبُهُ حَتَّى الآنْ

تَتْرَى إلى أَشْياعِهِ والخِلّانْ

في أَرْضِ عَنْسٍ ونَواحي كُحْلانْ

إِنَّ هَواهُ وهَواهُمْ سِيّانْ

❊

سَوْءَةُ شَيْخٍ قَدْ تَغَشّاهُ الشَّمَطْ

مِنْ عُجْبِهِ هذا ومِنْ هذا الغَلَطْ

لا تَعْدَمُ الكُثارَ في القَولِ السَّقَطْ[1]

اليُمْنُ في الرِّفْقِ وفي الخُرْقِ الخَلَطْ

❊

مَنْ ذا الَذي يَقْبَلُ مِنْهُ بَعْدَ ذا

---

(١) **الكُثار**: الكثير.

هَيْهاتَ لو صَفَّى عَنِ الدِّيْنِ القَذَى

لَصانَ مِنْ جُوارِهِ عَنِ الأَذَى

وانْحَلَّ مِنْ جَنْبَيْهِ سِرْبالُ البَذَى

ثمّ قال في تَخْلِيطِ ابنِ حُمَيْدٍ وتوباته وسُقُوطِ قَولِهِ:

لم يَجْهَلِ الحَقَّ ولكِنَّ الحَمَقْ

أَعْماهُ واسْتَحْلَى بُنَيّاتِ الطُّرُقْ

طَعْناً على شُمٍّ مَراجِيْحٍ نُطُقْ

وازْدادَ لِلْخِلّانِ مِنْ سُوْءِ الخُلُقْ

❊

قَدْ تابَ أَطْواراً إِلَيْهِمْ واعْتَرَفْ

واحْتَجَّ بِالحَقِّ لَهُمْ كَما وَصَفْ

لو لم تَخُلْهُ عَنْجُهيّاتُ الصَّلَفْ[1]

واليَوْمَ لو تابَ عَفَوا عَمّا سَلَفْ

❊

في كُتْبِهِ تَكْذِيْبُ ما يَرْوِيْهِ

مِنْ مَيْنِهِ صَدًّا لِمَنْ يَغْوَيْهِ[2]

بِالبَهْتِ والإِرْجافِ والتَّمْوِيْهِ

---

(١) قوله: «عَنجهيّات» بفتح العين المهملة كذا ضُبط بالمخطوط، والمعروف الضّم: عُنجهيّات؛ انظر التّاج: (ع ن ج).

(٢) **مَيْنه**: كذبه.

والله يُخْزِيْهِ بِما يَنْوِيْهِ

*

إنَّ الّذي يَرْمي بِهِ أَهْلَ التُّقَى
تُكَذِّبُهْ أَقْوالُهُ وَقْتَ الرِّضا[1]
كَمْ قالَ: قَدْ تابَعْتُ في الظُّلْمِ الهَوَى
فاعْفُوا صِحابي واحْلُمُوا عَمّا مَضَى

*

لا تَأْخُذُوا بِالقَولِ مِنِّي في الغَضَبْ
واسْتَنْقِذُوني مِنْ هَوَى جُرْفِ العَطَبْ

أَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ به مِنَ الزّيديّة، وغيرهم[١٤٠] مِنَ الحُسَينيّة والإسْماعيليّة، نحو: إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم، ومحمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ، ومحمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ حُمَيْدٍ، وأَسْعَدَ بنِ عبد الفاضل مِنَ الزّيديّة؛ والقاضي أحمدَ بنِ عبد السّلام بنِ أبي يحيى مِنَ الإسْماعيليّة، والأميرِ جعفرِ بنِ محمّدِ بنِ جعفرِ بن القاسم الرَّسِّيِّ مِنَ الحُسَينيّة= بكثيرٍ مِنْ أَخْبارِ ابنِ حُمَيْدٍ.

فأمّا القاضي أبو الخيرِ أحمدُ بنُ عبد السّلام **فمَعَ** تَزْكيتِهِ وتَواليه والتَّرَحُّم عليه، **وأمّا** الأميرُ جعفرُ بنُ محمّدٍ **فمَعَ** تَوَسُّطِهِ في القَولِ فيه. **وأمّا** الآخرون **فمَعَ** انْحِرافٍ عَنْ وِلايَتِهِ مِنْ غيرِ سَبٍّ ولا سُوْءٍ.

وتَقَرَّرَ عندي مِنْ هذه الطُّرُقِ ودَلالتها صحّةُ كونِهِ على رَأْيِ الباطنيّة، وخُروجه مِنْ رَأْيِ الزّيديّة مع حِرْصِهِ على التّظاهُرِ بظاهِرِهِ الأوّل مِنْ دَعْوَى الزّيديّة حتّى كان مِنْهُ مع

---

(١) قوله: «تكذبهْ»، بسكون الهاء: للضّرورة الشّعريّة.

كَثْرَة الاختلاف إلى حيثُ يُتَّهَمُ به مِنْ مُخالطة الدُّعاة والمُؤاذين، ومَنْ يرتابُ بكَوْنِهِ على غيرِ رأيِ الزّيديّة بصَنْعاء وشِبام.

ثمّ قَوِيَ الظَّنُّ عند العامّة والخاصّة في مَيْلِهِ إلى أَهْلِ الدّعوة الصُّلَيحيّة، وتَظاهرتِ الأَمارات.

وكان بشِبام مِنْ أَهْلِ صَنْعاء وشِبام سَوادٌ كثيرٌ ممّن يَعْتَقِدُ مَذهبَ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، مِنْ عُلَماءٍ وعَوامَّ، فأنْكروا أَمْرَ الرَّجُلِ ثمّ اسْتَبْصروا في كونه على خِلافِ رَأْيِهم، فوَلِعَ بذِكْره بذلك السَّوادُ الأَعْظمُ مِنَ النّاس حتّى بَلَغَهُ ذلك، وتَنَغَّصَ عليه العيشُ، وتَكَدَّرَ الأمرُ، فكَشَفَ قِناعَهُ، ودَخَلَ على المُلُوك ومَدَحَهم -فيما قِيْلَ- وأَعْطَوهُ، ثمّ أَتَى شَهارَةَ وكَرَّ -فيما أَحْسِبُ- إلى شِبام وإلى أَشْيَح إلى الزَّواحيّين والصُلَيحيّين، فأَكْرَمَهُ سَبَأُ بنُ أحمدَ الصُّلَيحيُّ -فيما أَخْبَرَني به القاضي أحمدُ بنُ عبدِ السّلام بنِ أبي يحيى- ورَفَعَ منزلتَهُ، وكان سَبَأُ بنُ أحمدَ لا يَشْرَبُ الخَمْرَ، فخَفَّ ذلك على ابنِ حُمَيْدٍ وأَكْثَرَ زيارتَهُ، وكان له خَطٌّ جيّدٌ فلم يكن يَعْدَمُ مَنْشأ شيءٍ أو ناسخ كتابٍ، فكان يُوجدُ في كُتُبِهِ تلك غَرائبُ وعَجائبُ مِنْ كلام الفَلاسفة والزَّنادقة وسائر المُلْحِدة مِنْ ذلك نحو ما وجدتُهُ بخَطِّهِ على ما أَخْبَرَني به الأميرُ جعفرُ بنُ محمّدٍ في كتابٍ وَهَبَهُ لي، وكان مجموعاً قد لَقَّبَهُ كتاب (**مُهَج العُلوم**)[١٤١]، رأيتُ عند القاضي أحمدَ بنِ عبد السّلام أخاً لَهُ شبيهاً بِهِ أو نُسَخَةً منه أو بَعْضاً مِنَ النُّسخة، في مجلَّدٍ لم أَقْرَأْ جميعَهُ إلّا أنّي قد رأيتُ منه بَعْضاً، فوجدتُ في ذلك مِنْ جَمْعِ محمّدِ بنِ حُمَيْدٍ واسْتخراجِهِ وبخَطِّهِ أَشْياءَ تُوْحِشُ أَهْلَ التّوحيد مِنْ جانبِهِ، منها قولُهُ: «**الفَرْقُ بين المُريدِ والعالِمِ أنّ العالِمَ مُضْطَرٌّ في حِفْظِ عُلُومِهِ إلى المَحسوسات، والمُريدُ مُسْتَغْنٍ عَنْ ذلك بما يَتَصَوَّرُ في خاطِرِهِ ممّا يَعْجَزُ العالِمُ عَنْ أَنْ يَسْتَخْرِجَهُ مِنْ قِبَلِ الاسْتِدْلالِ بالمَحْسُوس؛ ومِنْ قِبَلِ التَأْييدِ ظَهَرَتِ السّياساتُ الشّرعيّةُ التي ...**[(١)] **العالم**».

(١) ثمّة سقطٌ بالمخطوط قدر كلمةٍ.

وهذا هو صريحُ رأيِ مَنْ يَجْحَدُ الملائكةَ ونُزُولَهم بالوَحْي إلى الأَنْبياء، عليهم جميعاً السّلام، على نحو ما عليه أَهْلُ المِلَّةِ: ويُوجبُ أنّ المَلائكةَ معانٍ لا أَشْخاص، وأنّ الوَحْيَ شيء يَجِدُهُ النَّبيُّ في نفسِهِ مِنْ غيرِ مُسْمِعٍ. ومنها قولُهُ: «**قال بعضُ أَهْلِ الرَّأْي: ما خَفَّ عليك فخُذْ بِهِ فإِنَّ الله هو الّذي أَوْقَعَهُ في وَهْمِك وصَوَّرَهُ في نَفْسِك، فما اسْتَحْسَنَهُ العَقْلُ بلا كُلْفَةٍ فهو الّذي رَضِيَهُ الله؛ لأنّه وَقَعَ بالفِطْرَة، وما كان بالفِطْرَة فهو للخالق؛ والخَلّاق لا يَجوزُ عليه الخَطَأُ والزَّلَل**». وهذه إشارةٌ إلى إِباحة المَحْظورِ لأنّه يَخِفُّ على أَهْلِ الأَهْواء، بل تصريحٌ بذلك.

ومنها قالتِ الدَّهْريّة: «**إذا جازَ أَنْ يكون مُوْجِدُ الأَشْياء أَزَلِيًّا بلا كيف جازَ أَنْ تكون الأَشْياءُ أَزَلِيَّةً بلا كيف**». وهذه سَقْطَةٌ كبيرةٌ، وهَفْوَةٌ عظيمة منه، لأنّ هذا مِنْ كلامِ الدّهريّة غير فاشٍ ولا مشهور عنهم، وهو مع ذلك ظاهرُ الإِحالة؛ لأنّ الأَشْياءَ كيفيّات ومُكَيَّفات بالكَيْفيّات، فمُوْجِدُها بخِلافِها، لأنّه لو كان مثلَ صُنْعِهِ كان لِصُنْعِهِ أَنْ يُقَدِّرَ صانعاً له، إذْ لا فَرْقَ بين المِثْلينِ في حُكِمِ المِثْليّة، إذا حَصَلَتْ، وإنْ لم تَحْصُل فلَيْسا بمِثْلَين. وإذَنْ لوُجِدَ مِنْ ذَواتِ المِثْل مَنْ يُوجَدُ مثلُهُ آلافٌ، وهذا مَعْجوزٌ عنه غيرُ مَقْدُورٍ عليه. فقوله: «**جازَ أَنْ تكونَ الأَشْياءُ أَزَليّة بلا كيف**» مُحالٌ؛ لأنّ كَيْفِيّتَها قد حَصَلَتْ وظَهَرَتْ، والمُوْجِدُ سبحانَهُ لم تظهر له كيفيّةٌ ولم تَتَحصّل.

ومنها قولُهُ -وفيه ما يَدُلُّ على أنّه[١٤٢] مِنْ كلامِه شيءٌ في الباب-: «**فِعْلُ الطّبيعة بالعادة، وفِعْلُ النَّفْس بالجوهرة**»، وهذا تصريحٌ بمذهب الطَّبيعيِّين مِنَ الفلاسفة الّذين يُثْبِتُون للطّبيعة فِعْلاً.

ومنها قولُهُ: «**الإنسانُ بموضوعهِ الحَيَوانيّ وصُورتِهِ النّاطقة لا يحدث منه فِعْلٌ وانْفِعالٌ يكون لحُدُوث أُمُورٍ أُخَر مُلائماً لكلِّ نِظامِ العالم بتَمام صُورتِهِ وكمال غذائه وجوهره، وكمال طبيعته واعتدال شَكْلِهِ ظاهراً أو باطناً**».

وهذا كلامٌ فلسفيّ يُعْرف(١) معناهُ وفسادهُ مِنْ حيثُ يفسد، وصحّة ما يصحّ منه مِنْ كتاب (**فَكّ الرِّبْقة**) للشّيخ أبي نَصْرٍ الصَّعِيْديِّ رحمه الله في بعضِ مقالةِ الباطنيّة، ومِنْ كتاب (**كَشْف الأَسْرار**) للقاضي الباقلّاني، ومثل ذلك.

ومنها قولُهُ: «**المَعادُ مُسْتَقَرُّ النَّفْسانيّات، والأَرْض مُسْتَقَرُّ الجِسْمانيّات**». وهذا فيه كَشْفُ القَولِ بأنّ الأَجْسامَ لا تُبْعَثُ لأنّ مُسْتَقَرَّها الأَرْضُ، وقد صارت إليها بعد الموت.

وكذلك قولُهُ: «**جَنَّةُ عَدْنٍ حيثُ تَعْدِنُ الأَرْواحُ وتَقِرُّ**»(٢).

وحَكَى القاضي أبو الخيرِ أحمدُ بنُ عبدِ السّلام عنه أنّه كان يَرَى العَمَلَ بظاهِرِ الشّريعة وباطنها، فيُصلّي ويَتَنَظَّفُ ويُعَلِّم التّأويلَ ويَعْمَلُ(٣).

وفي هذا كلامٌ قد فُهِمَ مِنْ غيرِ هذا الكتاب، ويُفْهَمُ مِنْ هذين الكتابين المُقَدَّم ذِكْرُهما(٤)، ونحوهما.

وأَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ عبدِ الفاضل العُبَيْديُّ رحمه الله قال: فَتَرَ ابنُ حُمَيْدٍ في آخر عُمُرِهِ عمّا كان عليه مِنَ المُثابرة على الزّيارة للصُّلَيحيِّين، والتَّقَرُّبِ إليهم، فكان عندنا بمَشْرِق حاشِد في آخِرِ عُمُرِهِ يُظْهِرُ أنّه على رَأْيِ أَهْلِ الاخْتِراعِ مِنَ الزّيديّة، ويَتَظاهَرُ بعبادةٍ كان النّاسُ يَتَّهِمُونها؛ فاللهُ أَعْلَمُ ما كان إِخلاصُهُ إلى أَنْ مات.

وفيما أَخْبَرَني به هؤلاءِ الرُّواةُ -أو أكثرُهم- أنّه كان بشِبام مِنْ شُيُوخ الصَّنْعانيِّين مَنْ يَرَى رَأْيَ الزّيديّة، وكان فيهم رَجُلانِ، يُعْرَفُ أَحَدُهما بالمبارك الذّربان، والآخَرُ بالحسين السّرّاج، وكانا مُتَكَلِّمَين جَدَلِيَّين لهما حِذْقٌ بذلك، فكان يَلْتَئِمُ إليهما المُتَعَلِّمُون والمُتَلَقِّنون

---

(١) قوله: «يعرف» أكلت حروف الكلمة من أوّلها، ودلّ عليها ما بقي وسياق الكلام، على أنّه قد لا تكون هي هي.

(٢) **تَعْدِن**: تُقِيم.

(٣) بعدَهُ في المخطوط ولكنّه ضُبِّب عليه: «بما في كتاب»، وكتب أيضا في الهامش: «ابن حميد»، فكأنّ ظاهر الكلامَ «بما في كتاب ابن حميد»، ولكنّ العبارة لا تصحّ لأنّ كلام القاضي أعلاهُ عن ابن حُمَيدٍ نفسه.

(٤) يعني: (فَكّ الرِّبْقة) للشّيخ أبي نَصْرٍ الصَّعِيْديِّ، وكتاب (كَشْف الأسرار) للقاضي الباقلّانيّ.

للأُصُول، وكان مِنْ شُيُوخ الزّيديّة مَنْ يأتي شِبام. فلمّا فَشا بين النّاس نِسْبَةُ[١٤٣] ابنِ حُمَيْدٍ إلى رَأْيِ الأَصْلوح، وأَشاع ذلك أَصْحابُها، قال ابنُ حُمَيْدٍ في أُرْجُوزَتِهِ يَذُمُّ أولئك:

ومُرْجِفٍ يُرْجِفُ في شِبامِ

يَقُولُ للأَوْباشِ والطَّغامِ:

ابْنُ حُمَيْدٍ عِنْدَنا إِمامي

وصَرَّحَ فقال:

بِقَولِ السَّرّاجِ والذّرْبانِ

وضَمَّنَها قولَ المؤيّدِ أبي نَصْرٍ هبةِ الله بنِ موسى الرّازيّ الدّاعي - كان على عهد المستَنْصِر بالله-:

يا قَوْمُ إِنّا مِنْهُمُ بُراءُ

هُمْ واليَهُودُ عِنْدَنا سَواءُ

وكان الشّيخُ إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله ينزلُ مَدَر بعد خُرُوجهم مِنْ سَناع فإِيّاهُ قَصَدَ ابنُ حُمَيْدٍ بقولِهِ:

ومُرْجِفٍ يُرْجِفُ في سُوقِ مَدَرْ

ما بَيْنَ ذَيْبانَ وما بَيْنَ عُذَرْ

حُجَّتُهُ مِخْلاتُهُ إذا افْتَخَرْ

فذلك قولِ أبي السُّعُود بنِ زيدٍ في جوابهِ:

أَتَرَى أَبا الهَيْثَمِ محْمودَ الأَثَرْ

حُجَّتَهُ مِخْلاتَهُ إذا افْتَخَرْ

أَمِ التَّقيَّ الصَّبَرِيَّ المُشْتَهَرْ
يَعْتَقِدُ القُرْآنَ مِنْ فِعْلِ البَشَرْ

*

أَمْ هَلْ رِجالٌ مِنْ سَراةِ كِنْدَهْ
فِيْهِمْ عَفافٌ وتُقًى ونَجْدَهْ
كالأُسْدِ إِنْ خَطْبٌ عَرا في الشِّدَّهْ
يَخْفَى عَلَيْهِمْ مَنْ أَصابَ رُشْدَهْ

*

أَمْ شِيْعَةُ الأَئِمَّةِ الكِرامِ
في أَرْضِ هَمْدانٍ وفي شِبامِ
وغَيْرِها مِنْ خُطَطِ الإِسْلامِ
لَدَيْكَ يُعْزَونَ إِلى الطَّعامِ

*

وهُمْ سَواءٌ واليَهُودُ تَزْعُمُ
أَمْ أَنْتَ لا تَدْري بِما يَجْري الفَمُ
والزُّوْرُ يَسْتَحْلِيْهِ مَنْ لا يَفْهَمُ
حَسْبُكَ فيما قُلْتَهُ جَهَنَّمُ

ثمّ يقولُ بعد ذلك:

وَيْحَكَ، مَهْلاً لا تُطِعْ هَواكا

واشْكُرْ لِقومٍ أكْرَمُوا مَثْواكا

عَساكَ أَنْ تَنْجُوَ مِنْ بَلْواكا

وحَكِّمِ المَعْقُولَ في شَكْواكا

*

صَوَّبْتَ مَنْ خَطَّأَ آلَ المُصْطَفَى

واخْتَرْتَ لِلدُّنْيا على الوَجْهِ القَفا

ما تَأْتَلِي تَلْدَغُ إخْوانَ الصَّفا

مُسْتَهْزِئاً بِالحَقِّ مِنْ فَرْطِ الجَفا

*

حَتَّى إذا أَعْيَتْ وُجُوهُ الحِيْلَهْ

وأَخْلَفَتْ مِنْ رُشْدِكَ المَخِيْلَهْ[1]

وانْحَذَقَتْ حَبائِلُ الوَسِيْلَهْ[2]

وانْتَشَرَتْ مِنْكَ عُرُوقُ الغِيْلَهْ[3]

*

واسْتَوْحَشَتْ مِنْ فِعْلِكَ العُقُولُ

---

(١) **المَخِيلة**، بفتح الميم: السَّحابة، وفي التّهذيب (٧/ ٥٦٢): «فإذا أرادوا أَنّ السّماء تَغَيَّمَتْ قالوا: أَخالَتْ فهي مُخِيْلَةٌ، بضَمّ الميم. فإذا أَرادوا السَّحابةَ نفسَها قالوا: هذه مَخِيْلَة، بالفتح. وفي اللّسان والتّاج (خ ي ل): «**المُخِيلة**: السَّحابة الّتي تَحْسِبُها ماطرةً إذا رَأَيْتَها».

(٢) **انْحَذَقت**: انقطعت.

(٣) **الغِيلة**: واحدة الغِيْل، وهو الشَّجَرُ الكثيرُ المُلْتَفُّ؛ التّاج: (غ ي ل).

واسْتَنْكَرَ الإِسْلامُ ما تَقُولُ
لأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَحْصُولُ
إِلّا العَمَى والصَّدُّ والتَّضْلِيْلُ

❊

دُعِيْتَ بِالدَّعْوَى الّتي ادَّعَيْتا
فارْتَبْتَ واسْتَنْكَفْتَ واسْتَشْرَيْتا
عَضْهاً وتَشْنِيْعاً أَلَا اسْتَحَيْتا![1]
هَلّا تَوَرَّعْتَ أَلا اسْتَبْقَيْتا[١٤٤]

❊

لا لَوْمَ أَنْ تُعْزَى إِلى ما تَعْتَقِدْ
إِنْ كانَ حَقًّا ما عَلَيْهِ تَعْتَمِدْ
فالحَقُّ مَنْ يَعْرِفُهُ لا يَنْأَوِدْ[2]
شَرُّ عِمادِ الخِيَمِ العُوْدُ النَّقِدْ[3]

❊

إِنْ كُنْتَ زَيْدِيًّا رَفِيْعَ الهِمَّهْ
تَكْرَهْ ما تَكْرَهُهُ الأَئِمَّهْ

---

(١) **العَضْهُ**: النَّميمة.
(٢) **يَنْأَوِد**: منَ الأَوَد، وهو الاعْوِجاج.
(٣) **النَّقِد**: الّذي أصابته الأَرَضة فنَقِد، يُقال: نَقِدَ الجِذْعُ نَقَداً: أَرِضَ؛ التّاج: (ن ق د).

مِنْ جَشَعِ النَّفْسِ ونَقْصِ الذِّمَّهْ
والطَّيْشِ عِنْدَ النُّوَبِ المُلِمَّهْ

*

فَانْدُبْ إلى السُّنَّةِ والجَماعَهْ
ما دُمْتَ واسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ الطّاعَهْ
وادَّرِعِ الخَشْيَةَ والقَناعَهْ
وافْزَعْ إلى التَّوْبَةِ قَبْلَ السّاعَهْ

*

وإنْ تَكُنْ لَسْتَ هُناكَ فَاعْتَرِفْ
وارْجِعْ مَتى شِئْتَ وإلّا فَانْصَرِفْ
لا بُدَّ أَنْ تُسْأَلَ عَمّا تَقْتَرِفْ
ثُمَّ تَرى بِأَيِّ دَلْوٍ تَغْتَرِفْ

يُريدُ بقَولِهِ:

دُعِيتَ بِالدَّعْوَى الّتي ادَّعَيْتا

أي: قِيْلَ إنّه إماميّ، على ما قد ذَكَرَ هو في شِعْرِه. وهذا هو مِنْ أَغْلاطِ أَهْلِ اليَمَن لأَنّ العَوامَّ منهم يَدْعُونَ الباطِنِيّة إمامِيَّةً، وبين الإِمامِيّة والباطِنِيّة حربُ البَسُوس وداحِس. وأمّا تَسْمِيَتُهم للباطنيّة إِسْماعيليّةً فهو على وَجْهِ المَدْحِ، وذلك أَنَّهم يَنْسبونهم إلى إِسْماعيل بنِ جعفرٍ؛ لأنّ سائرَ الإِماميّة القَطْعيّة يُنْسبون إلى موسى بنِ جعفرٍ وإلى إِسْحاق بنِ جعفرٍ وعبد الله بنِ جعفرٍ وعليّ بنِ جعفرٍ، إذْ لِكُلِّ واحدٍ منهم شِيْعَةٌ، يَقُولون

بإِمامَتِهِ، وهم لا يُوافقون الباطنيَّةَ إلّا في القَولِ بأَنّ الإمامة بالنَّصِّ وما أَشْبَهَ ذلك. فأَمّا في كلامهم في الإلٰهيّة والعَقْل والنَّفْس والوَحْي والملائكة والبَعْث والقيامة والجنّة والنّار فلا، بل يقولون بتَكْفِيرهم في ذلك، ويَرَون فيهم ما يَرَى فيهم سائرُ فِرَقِ الأُمَّة مِنَ البَراءة والعَداوة.

وقد تَصَرَّفَ أبو السُّعُود بنُ زيدٍ ﷺ في هذه الأُرْجُوزة أَنْواعَ التَّصاريف في وَعْظِ ابنِ حُمَيْدٍ وزَجْرِهِ مَرَّةً باللِّيْنِ والرِّفْق، وأُخْرى بالشِّدَّةِ والغِلْظَة، وثالثةً بالتَّقْرِيع والتَّوبِيْخ إلى غير ذلك، وأَتَى فيها مِنَ الحِكْمة بما يَنْتَفِعُ به العاقلُ، ويبقى رُشْدُهُ إلى آخر الدَّهْر نحو قولِهِ:

لا خَيْرَ لِلْمَرْءِ بِعِلْمٍ يُسْكِرُهْ
ولا بِمالٍ مُضْمَحِلٍّ يُبْطِرُهْ
ولا صَدِيْقٍ مُوْرِدٍ لا يُصْدِرُهْ
إذا شَدا الدَّهْرَ اجْرَهَدَّتْ قِنْطِرُهْ(١)

❋

لِلْمَرْءِ ما قَدَّمَ لا ما خَلَّفا
وهْوَ رَهِيْنُ ما جَنَى وأَسْلَفا
إِنْ قَدَّمَ الخَيْرَ رَآهُ مُزْلَفا
وإِنْ طَغَى واغْتَرَّ لاقى تَلَفا

وقولِهِ:

هَبْكَ تَقَرَّبْتَ إلى الأُصْلُوحِ

---

(١) **اجرهدّت**: اشتدّت؛ التّاج: (ج ر هـ د).

بِالمَدْحِ والتَّعْظِيْمِ والتَّبْجِيْحِ
مُعْتَقِداً ما اعْتَقَدُوا في الرَّوْحِ
والنَّصِّ بالتَّصْرِيْحِ لا التَّلْوِيْحِ[١٤٥]

❋

واغْتَلَتَ بِالتَّلْبِيْسِ والتَّدْلِيْسِ
والكَذِبِ المُخْتَلَقِ المَقْسُوسِ
كُلَّ رَدٍ مُخْتَبَطٍ مَأْلُوسِ[١]
مُخْتَدَعٍ في رَأْيِهِ المَنْكُوسِ

❋

بَلْ هَبْكَ خُوِّلْتَ جَمِيْعَ الأَرْضِ
واحْتَزْتَها في طُوْلِها والعَرْضِ
مُمَكَّناً مِنْ بَسْطِها والقَبْضِ
مُمَتَّعاً في دَعَةٍ وخَفْضٍ[٢]

❋

هَلْ تَدْفَعُ المَوتَ إذا المَوتُ أَتَى
وانْقَشَعَتْ عَنْكَ أَضالِيْلُ المُنَى
أَمْ هَلْ تَرَى يُنْجي مِنَ المَوتِ الرُّشا

---

(١) **المَأْلوس**: المجنون.
(٢) في المخطوط: «ممنعا...» بالنّون الموحّدة من فوق، وسيأتي على الصّواب لاحقاً.

أَمْ هَلْ يُجازَى المَرْءُ إِلّا ما سَعَى

❊

لا تُعْجِزُ اللهَ إِذا ما طَلَبَكْ

واللهُ لا يَخْشَى تَعالَى غَضَبَكْ

إِمّا تَكُنْ بَتَكْتَ مِنه سَبَبَكْ

مَنْ آثَرَ الدُّنْيا على الدِّيْنِ ارْتَبَكْ

ثمّ قال:

مَهْلاً تَوَرَّعْ عَنْ أَذَى الجِيْرانِ

والخَوْضِ فِي أَوْدِيَةِ الخُسْرانِ

واحْسِمْ دَعاوَى خُدَعِ الأَماني

بِمِيْسَمِ الخَشْيَةِ والأَحْزانِ

ثمّ قال:

نَفْسُكَ لَوْ فَكَّرْتَ أَوْلَى بِاللَّومْ

مِنْ قَوْمِ صِدْقٍ نُجُبٍ نِعْمَ القَومْ

قَوْمٌ تَواصَوا بِالصَّلاةِ والصَّومْ

والصَّبْرِ فِي اليَومِ لِما بَعْدَ اليَومْ

❊

وانْتَفَعُوا بِالعَقْلِ والتَّجارِبِ

ومَيَّزُوا الحَقَّ مِنَ المَذاهِبِ

وانْحَرَفُوا عَنْ قُحَمِ المَعاطِبِ

عَنِ الغَوالي وعَنِ النَّواصِبِ

❊

هُمْ نَصَرُوكَ أَوَّلاً وعَلَّمُوا

طَرائِقَ العِلْمِ الّذي تَعَلَّمُوا

وفَهَّمُوا وثَقَّفُوا وقَوَّمُوا

وأَكْرَمُوا وبَجَّلُوا وعَظَّمُوا

❊

لولا كُهُولٌ مِنْهُمُ ومُرْدُ

فِيْهِمْ عَفافٌ وتُقًى وزُهْدُ

هَذَّبَهُمْ مُطَرِّفٌ ونَهْدُ

لم تَدْرِ ما قَبْلُ ولا ما بَعْدُ

وقال:

فارْجِعْ على نَفْسِكَ بِالتَّعْنِيْفِ

قَبْلَ حُضُورِ الأَجَلِ العَنِيْفِ

وطَهِّرِ القَلْبَ مِنْ التَّسْوِيْفِ

واصْرِمْ حِبالَ الأَمَلِ الضَّعِيْفِ

❊

والْهَ عَنِ الدُّنْيا وعَمّا فِيْها

فالنَّفْسُ أَدْنَى بُلْغَةٍ تَكْفِيْها

وامْتَهِنِ النَّفْسَ لِما يُنْجِيْها

تَكُنْ لَدَيْنا فاضِلاً وَجِيْها

ثمّ قال في اسْتِدْنائِهِ واسْتِدْعائِهِ مع زَجْرِهِ:

إنّا وإنْ حُلْتَ عَنِ الأُخُوَّهْ

تَعْطِفُنا عَواطِفُ المُرُوَّهْ

❊

هاجَرْتَ مَنْ لا يُشْتَهَى أَنْ يُهْجَرا

لولا الّذي هَيَّجْتَهُ ممّا جَرَى[١]

إنَّكَ إنْ هَيَّجْتَ لَيْثاً زَمْجَرا[١٤٦]

والعَمَلُ الصّالِحُ أَزْكَى مَتْجَرا

❊

فَاعْطِفْ ولا تَعْنُفْ على الأُلّافِ[٢]

واسْلُكْ طَرِيْقَ القَصْدِ والإِنْصافِ

واقْنَعْ بما قَلَّ مِنَ الكَفافِ

لا بَأْسَ بِالرِّزْقِ الحَلالِ الصّافي

وقال في الاحجاج عليه في اعتقادِهِ في أنّ الله شيءٌ ولا لا شيء:

---

(١) كرّر في المخطوط: «مما».

(٢) في المخطوط: «الألالف» مختلّ الوزن مضطرب المعنى.

سُبْحانَ مُجْري الفَلَكِ الدَّوّارِ

مُكَوِّرِ اللَّيْلِ على النَّهارِ

عَنْ قَولِ أَهْلِ الشِّرْكِ والإِنْكارِ

والقَولِ بِالتَّشْبِيْهِ والإِجبارِ

❊

وَيْكَ تَبَيَّنْ كَمْ تَرُومُ الغَيّا(١)

إِنَّكَ لا تَخْدَعُ إِلّا عِيّا

لو كانَ لا شَيًّا ولا لا شَيّا

أَوْ كانَ لا حَيًّا ولا لا حَيّا

❊

ذو العَرْشِ مُحْصي عَدَدِ السّاعاتِ

مُقَدِّرُ الأَقْواتِ والأَوْقاتِ

باري البَرَايا باعِثُ الأَمْواتِ

مُنْزِلُ الغَيْثِ على النَّباتِ

❊

لَكانَ في تَقْدِيْرِهِ الخَلائِقا

لا خالِقاً شَيْئاً ولا لا خالِقا

---

(١) وَيْك ووَيْلَك بمعنًى.

وكان سُوفسْطا مُصِيْباً صادِقا

في نَفْيِهِ بِزَعْمِهِ الحَقائِقا

«**سوفسطا**» هٰهنا، يُرادُ به زينون صاحبُ التَّجاهُل والمُغالطة ونَفْي الحقائق، وهو مِنْ قُدَماء المُلْحِدَة، وعِدادُهُ في الأَوائِلِ مِنَ الفَلاسِفَة الأُوْلى وأَهْل السَّفْسَطة على أَنْحاءٍ كلِّها ينتهي إلى نَفْي الحقائقِ؛ ومِنْ حُجَجِهم على صحّة دَعْواهم زَعَمُوا أنّ كُلَّ مختلفَين يَخْتَصِمان، وكلّ واحدٍ منهما يُدْلي بحُجّةٍ لا يَقْطَعُها خصمُهُ، وأَنّ كلَّ واحدٍ منهما لا يوجد إلّا مُنْتَصِفاً مِنْ صاحِبِهِ، وهذا باطلٌ إذا ضَعُفَ النّاس، فَضْلاً عمّن له ذِهْنٌ قد وَجَدَ الخصمين أبداً وأَحَدهما مُسْتَعْلٍ على الآخر قاهِرٌ له بالحُجَّة عَقْلاً وسَماعاً.

وأراد أبو السُّعُود رَحِمَهُ الله أنّ قَولَ الباطنيّة: «**أنّ الله تعالى لا شيء ولا شيء**» ونحو ذلك مِنْ كلامهم في هذا الباب مِنْ جُمْلة السَّفْسَطة، لأنّه متى قِيْلَ: لا شيء. كان ذلك نَفْياً للوُجُود، فإذا قِيْلَ: ولا لا شيء. كان إِثْباتاً لـ«**لا شيء**» شيئاً، لأنّ في إشارةِ النّفس إلى ذلك إِيْهامُ النّفي لِما يجوزُ أَنْ يُوجَدَ ويثبت إِذْ قد تَقَدَّم نَفْيُ ما لا يُوجدُ ولا يثبت في قولهم: لا شيء.

وعند بعضِ أَهْلِ هذه الآراء الضّالّة أنّهم يريدون بقولهم[١٤٧]: «**لا شيء**» النّفي، وبـ«**لا لا شيء**» نَفْي النَّفي، وهذا ضربٌ مِنَ الإحالَةِ والسَّفْسَطَة، وليس في قضيةٍ أَوْجَبُ عليهم مِنَ أَنْ يكون المُراد بهذا الصّانع للأَشْياء أم غيرُهُ، فإِنْ قِيْل: المرادُ به غيرُهُ، فالكلام على الصّانع؛ والإجابة على غيرِ سُؤالٍ حُمْقٌ وهَذَيان. وإن قيل: بل المُرادُ الصّانع. فإِثْباتُهم له صانعاً يَقْضي بإثبات ولا ولا لا نفي، ونفى نفي عند بعضهم فكيف يُوَحَّدُ ويُنْعَتْ، ويُمَدَّحُ المُثْبِتُ بنَفْي ونفي ونفي. وإِنْ قيل: على رَأْيِ بعضٍ أنّه تركّبٌ بين نفيٍ وإِثْبات، فالتّركّبُ بين النَّفي والإِثْبات لا يَصِحُّ إلّا مع إِثْبات المُتَرَكّب، فإذا لا نفي فاسْتَحال الكلامُ على أنّه لا إِشْكال أنّ قولهم: «**لا شيء**» نفيٌ، وقولهم: «**ولا لا شيء**» نفيُ نفيٍ؛

ونَفْيُ النّفي إِثْبات. وأيضاً فإنّه لا يخلو أَنْ يكون ذلك معنى أو غير معنى، فإِنْ كان غيرَ معنى فلا تركّب ولا متركّب، ولا نَفْي ولا إِثْبات. لأنّ ما ليس بمعنى لا يعقل ولا كلام على مجهول إلّا مِنْ أَهْل الماناخوليا والوسواس. وإن كان معنى فقد ثَبَتَ فلا نفي، وأيضاً فإنّ قولهم: «لا شيء» نفيُ معنى، وقولهم: «**ولا لا شيء**». نفي نفي ذلك المعنى. وإذا نُفِي النَّفْي صَحَّ الإِثْبات؛ فالنَّفي والإِثْبات مَعْنَيانِ، والمُتَرَّكبُ بينهما ثالثٌ. والعددُ لا يَقعُ إلّا على أشياء، ويقضي قولهم: -إنّ المعنيّ بهذا هو الصّانع سبحانه- أنّه يجوز أَنْ يُقالَ: لا صانع، ولا لا صانع. فيكونوا لا مصنوعين ولا لا مصنوعين، لاسْتَحالة وُجُود صنع لا صانع له. على أَنّ هذا مِنْ عَوراتهم الفاضحة لدعواهم في العَقْل والعِلْم الخارجة عَنْ إجماع أَهْلِ العُقُول مِنَ الأُمُم كلّها فضلاً عَنْ هذه الأُمّة، فلهذا قال أبو السُّعُود ما قال.

وفي بُطلان اعِتْقادِهِ للإمامَةِ بالنَّصِّ دون وُجُود الصِّفات والشُّرُوط، وأنّ الفَضْل يكون بلا عَمَلٍ، ونحو ذلك= يَقولُ أبو السُّعُود: (من مشطور الرَّجَز)

والنَّصُّ وَصْفٌ بِالشُّرُوطِ العالِيَهْ
لَيْسَ كَما قالَ فُرُوعُ الغالِيَهْ

❊

بِالسَّبْقِ حازَ السّابِقُونَ الفَضْلا
وانْتَجَبُوا أَئِمَّةً ورُسْلا
حُكْماً مِنَ اللهِ تَعالى فَضْلا
لِكُلِّ مَنْ كانَ لفَضْلٍ أَهْلا

❊

لا يَظْلِمُ اللهُ ولا يُحابي

والفَخْرُ في رَأْيِ ذَوي الأَلْبابِ

بِالصَّبْرِ والصِّدْقِ وتَرْكِ العابِ

لا بِالمُنَى والكِبْرِ والأَنْسابِ[١٤٨]

❋

كُلُّ بَني حَوّاءَ مِنْ أُمٍّ وأَبْ

لم يُخْلَقُوا مِنْ فِضَّةٍ ولا ذَهَبْ

بل لَهُمُ الفَخارُ أَصْلٌ ونَسَبْ

والفَضْلُ بِالتَّقْوَى على حَسْبِ الرُّتَبْ

❋

مَنْ عَلِمَ اللهُ تعالى صَبْرَهْ

قَلَّدَهُ في المُسْلِمِيْنَ أَمْرَهْ

واخْتارَهُ مِنْهُمْ وأَعْلَى قَدْرَهْ

يَحْكُمُ بِالحَقِّ ويُحْيي ذِكْرَهْ

❋

هُوَ الّذي اخْتارَ النَّبيَّ أَحْمَدا

مُؤَيَّداً بِوَحْيِهِ مُسَدَّدا

مِنْ خَيْرِ حَيٍّ في لُؤَيٍّ مَحْتِدا

وخَيْرِهِمْ خَلائِفاً وسُؤْدِدا

❋

مَنْ لَمْ تَلِدْ أُنْثَى لَهُ نَظِيرا

لا أَوَّلا قِيْلَ ولا أَخِيْرا

حَزْماً وعَزْماً وتُقًى وخَيْرا

وخُلُقاً مُعَظَّماً شَهِيْرا

*

وهْوَ الّذي اخْتارَ لَهُ عَلِيّا

أَخاهُ زَوْجَ ابْنَتِهْ وَصِيّا

مُسْتَخْلَفاً مِنْ بَعْدِهِ مَرْضِيّا

لا ساقِطَ الذِّكْرِ ولا مَنْسِيّا

*

ثُمَّ اجْتَبَى أَئِمَّةً مِنْ عِتْرَتِهْ

زَكُوا وطابُوا واقْتَدُوا بِسِيْرَتِهْ

وأَوْضَحُوا المُشْكِلَ مِنْ أَدِلَّتِهْ

وبَيَّنُوا أَحْكامَهُ في أُمَّتِهْ

*

لِلنّاسِ مِنْ أَفْعالِهِمْ أَسامي

مَعْرُوفَةُ التَّرْتِيْبِ والأَقْسامِ

مِنْ عَهْدِ هابِيْلٍ وعَهْدِ سامِ

في الحُكْمِ والخَصائِصِ الجِسامِ

*

واجِبَةً في العَدْلِ مُسْتَحَقَّهْ

والكُلَّ مِنْ أَشْرافِهِمْ والذِّمَّهْ

لَهُمْ أَسامٍ غَيْرُها مُشْتَقَّهْ

تَلْزَمُهُمْ ضَرُورَةً بالخِلْقَهْ

يريد رحمه الله أنّ وَصْفَ الرَّجُلِ بأنّه مُؤمنٌ مُسْتَحِقٌّ يَفْعَلُ منه فِعْلَهُ هو الإيمان، ووَصَفَهُ بأنّه صادقٌ مُسْتَحِقٌّ بالصِّدق، وجَوادٌ بالجُود، وحَلِيمٌ بالحِلْم، وعابِدٌ بالعِبادة، وكذلك ضِدّهُ يُوصَفُ بأنّه فاسقٌ وكافرٌ لاسْتِحْقاقه ذلك بالكُفْر والفِسْق، والكَذّاب بالكَذِب، والبَخِيل بالبُخْل، ونحو ذلك.

ولهم أَسامٍ غيرُها وأَوْصافٌ مُشْتَقّة مِنْ أَحْوالٍ ضَروريّةٍ مخلوقة، خُلِقوا عليها كوَصْف الطّويلِ مِنْ قِبَلِ الطُّول، والأَسْودِ مِنْ قِبَلِ السَّواد، والحارِّ مِنْ قِبَلِ الحَرارة، ونحو ذلك.

وفي هذا المعنى الّذي ذَكَرَهُ هٰهنا رحمه الله أَدَلُّ الدّلالة على أنّ الاسمَ والوَصْفَ الّذي هو ذَمٌّ ومَدْحٌ، ومِنْ أَجْلِهِ له ثَوابٌ وعِقابٌ عند الله تعالى بخِلافِ الاسْم والوَصْف الّذي ليس بذَمٍّ ولا مَدْحٍ ولا ثوابٍ ولا عِقاب عند الله تعالى للمَوصُوف المُسَمَّى به، وأَنّ أَحَدَهما يَقَعُ باختيارِ العَبْدِ فيُذَمُّ بِهِ ويُمْدَحُ بضِدِّهِ، والثّاني يَقَعُ ضَرُورةً مِنْ صُنْع الله فلا يَقَعُ عليه به لذلك، ثمّ قال[١٤٩]:

فَإِنْ تَكُنْ خَصائِصُ الرَّسُولِ

والطَّيِّبِينَ مِنْ بَني البَتُولِ

واجِبَةً في العَقْلِ والتَّنْزِيلِ
والأَثَرِ المُصَحَّحِ المَنْقُولِ

❋

فَهْيَ إِذَنْ بِالصَّبْرِ واليَقِينِ
والاجْتِهادِ في صَلاحِ الدِّيْنِ
والعِلْمِ بِالمَفْرُوضِ والمَسْنُونِ
كَما حَكَى القاسِمُ في **(المَكْنُونِ)**

❋

وفي الدَّلِيْلَيْنِ دَلِيْلٌ شافي
كالشَّمْسِ تَنْفي حَيْرَةَ الوُقّافِ
شاهِدُهُ في سُوَرِ: الأَحْقافِ
وآلِ عِمْرانٍ وفي الأَعْرافِ

❋

وهكذا في **(جامِعِ الأَحْكامِ)**
مِنْ سَنَدِ يَحْيى الطّاهِرِ الإمامِ
شَواهِدٌ ظاهِرَةُ الأَعْلامِ
تَصْدِيْقُها في سُوْرَةِ الأَنْعامِ

❋

وإِنْ تَكُنْ واجِبَةً لا بِسَبَبْ

أَوْ لم تَكُنْ حُكْماً مِنَ اللهِ وَجَبْ

لِمَنْ تَنَبّاهُ تَعالى وانْتَجَبْ

جازَتْ إِذِنْ في كُلِّ عُجْمٍ وعَرَبْ

❊

عَصَى ابْنُ نُوْحٍ فانْتَفَى مِنْ أَهْلِهِ

ولَوْ أَتَى سامٌ بِمِثْلِ جَهْلِهِ

لم يَكُ سامٌ سامِياً في فَضْلِهِ

مُنْتَجَباً في عَصْرِهِ بِفِعْلِهِ

❊

والطَّيِّبُونَ مِنْ بَني إِسْحاقِ

لمّا وَفوا بِالعَهْدِ والمِيْثاقِ

كانُوا هُمُ أَئِمَّةَ الآفاقِ

لَيْسَ كما قُلْتَ بِلا اسْتِحْقاقِ

❊

لكنَّ قَوْماً نَبَذُوا الحُدُودا

مِنْ صُلْبِ إِسْحاقٍ وكانُوا هُوْدا

فَمُسِخُوا لَمّا بَغَوا قُرُودا

والبَغْيُ أَرْدَى قَبْلَهُمْ ثَمُودا

❊

ما في وُجُوبِ الاجْتِباءِ لَبْسُ
هَلْ مُبْصِرٌ تَخْفَى عَلَيْهِ الشَّمْسُ
بِئْسَ الطِّباعُ في الرِّجالِ المأسُ(١)
لا يَقْبَلُ التَّمْوِيْهَ إلّا جِبْسُ(٢)

ثمّ قال في الاحْتِجاج عليه مِنْ طريقٍ أخرى في باطن اعْتِقاده:

لِلْفَضْلِ بِالتَّقْوَى شُرُوطٌ لازِمَهْ
وحُجَجُ اللهِ تَعالى قائِمَهْ
بِالعَدْلِ في كُلِّ زَمانٍ حاكِمَهْ
لَيْسَ على ما قالَتِ البَراهِمَهْ

*

إنْ لم يَكُنْ في فَتْرَةٍ نَبيُّ
أَوْ طاهِرٌ مِنْ أَهْلِهِ زَكيُّ
يُمْضي حُقُوقَ الشَّرْعِ رَبّانِيُّ
فَعالِمٌ مُسْتَبْصِرٌ تَقيُّ

*

مُواظِبٌ على الفُرُوضِ الواجِبَهْ
مُجانِبٌ أَهْلَ البُرُوقِ الخالِبَهْ

(١) المَأْس: النَّمِيمة، وأجرى عليه التّسهيل.
(٢) الجِبْس: الجَبان ثقيل الرّوح.

يَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ خَوْفَ العاقِبَهْ

مَعَ الكِتابِ والعُقُولِ الثّاقِبَهْ

❊

لولا نُزُولُ الوَحْيِ والإِرْسالُ

مَعَ العُقُولِ وَقَعَ الإِهْمالُ

والنَّقْصُ في الحِكْمَةِ، والإِدْغالُ

واخْتَلَّتِ الأَمْلاكُ والأَنْسالُ

❊

وكانَ خَلْقُ الخَلْقِ لا لِمَعْنَى

تَقَدَّسَ الباقي الّذي لا يَفْنَى

ذُو الجَبَرُوتِ والأَيادي الحُسْنَى

عَنْ مَثَلِ السُّوْءِ اليَسِيْرِ الأَدْنَى

❊

لِلْحَقِّ ما أَوْجَدَ لا لِلْباطِلِ

ولا لِأَهْلِ الباطِلِ الأَراذِلِ[١٥٠]

في مَذْهَبِ الأَئِمَّةِ الأَفاضِلِ

ذَوي السَّنا النَّبَويِّ الكامِلِ

❊

لو وَجَبَتْ نُبُوَّةٌ بالفِطْرَهْ

جَبْراً مِنَ اللهِ عَظِيْمِ القُدْرَهْ

ما انْقَطَعَتْ نُبُوَّةٌ في العِتْرَهْ

ولا اسْتَمَرَّتْ فِتْنَةٌ في فَتْرَهْ

❊

يَأْبَى الهُدَى تَقْدِيْمَ غَيْرِ المُسْتَحِقْ

لو فَتَرَ السّابِقُ في السَّعْيِ سُبِقْ

أو بَلَغَ المُقْتَصِدُ الوُسْعَ لَحِقْ

يا أَيُّها الزّاري على الحَقِّ أَفِقْ

اسْتَدَلَّ ﵀ هٰهنا على وُجُوب النُّبُوَّة في الحكمة مِنْ حيثُ إِنَّ الإِهْمال مع التَّمْكين والتَّخْيير قَبِيحٌ، وإِيْجاد الخَلْق لا للإِحْسان إمّا عَبَثٌ أو لفاقَةٌ إليهم، والحكيمُ الغنيُّ القديم سبحانَهُ قبل وُجُود شيءٍ مُسْتَغْنٍ عَنْ كُلِّ شيءٍ فلا يَعْبَث ولا يَفْتاقُ، والإحسان إليهم لا مع تَمْلِيْكهم لأَنْفُسِهم، ولِما يَنْتَفِعُون به من التَّمْكين مِنْ تَصْرِيْفِهم لذلك، لا يصحّ لأنّ مَنْ لا يَمْلِك ما أُحْسِن به إليه مُحالٌ أَنْ يكون محسناً إليه أو واجداً للإحسان. لأنّ إِيْجادَهُ إذا كان مُسَخَّراً مجبوراً ينبغي أَنْ يكون لغيرِهِ كإيجاد البَهائم للنّاس. ولا يوجد بعد الملائكة والجنِّ والإِنْس حَيَوانٌ أُوْجِدوا مُسَخَّرين له، ولا يصحّ أَنْ يكونوا مُسَخَّرين للجَماد. وبعد ذلك كلِّهِ لا مُوجِدَ إلّا الله، وقد بَطَلَ أَنْ يكون خَلْقُهم له لغِناهُ فيما لم يَزَلْ عَنْ كلِّ شيءٍ قبلهم، وغِناهُ بعدهم. فثَبَتَ أَنّ الحَيَوان المُمَلّك لنفسِهِ ومَنافِعِهِ يكون مقدَّراً على أَنْ يتصرّف مُمَكَّناً مِنْ أَنْ يَعْلَمَ كيف يتصرّفُ ويُعَلِّمَ نفسَهُ، ومع التّمكين يُمْكِنُ أَنْ يَتْرُكَ ما مُكِّن منه ويَعْدِلَ عَنِ الصّواب فيه، فيكون عاملاً بالهَوَى والعَبَث. والحكمة مِنَ الصّانع سبحانه

والعَدْل يُوجِبان زَجْرَهُ عَنْ ذلك وتَذْكيره ونُصْرة عَقْلِهِ على هَواهُ، وإذا عقل أنّه مُنْعَم عليه يعلم أنّ ذلك يوجب عليه شكراً، أوجب ذلك على المشكور دلالته على ما يكون شكراً له، فوَجَبَتْ بِعْثَةُ الرُّسُل وقُبْح الإِهْمال لهذه العِلَل والأَسْباب. ولوُجُوهٍ أخرى منها أنّه لـمّا كانتِ الحكمةُ تقتضي تَناسُلَ هذه الخليقة البشريّة -لأنّه تعالى رَكَّبَها ممّا لم يجعل له أَنْ يَطولَ بقاؤُهُ في هذه الدّار- وجب[1] أَنْ يحرس الجِنْس بنَسْلٍ يُخْلَقُ بعد فَناءِ أَوائِلِهِ لهذا، ووجب[2] أَنْ يكون هذا الجِنْسُ مِنَ الحيوان الأرضيِّ مُتَناسِلاً لذلك، ولينتفع بعضُهُ ببعضٍ إِذْ لو لم يكن والدٌ يَعْطِفُ على وَلَدٍ، ولا أَخٌ يَرَعَى حُرْمَةَ أَخٍ ولا ابنٌ حَقَّ أَبٍ، ولا ذو رَحِمٍ يَحِنُّ لرَحِمِهِ ويُراعيها= كان المريضُ لا يُمَرَّضُ والجائع لا يُطْعَم والميتُ لا يُقْبَر والبِرّ لا يُعْرف، وهذا خارجٌ عَنِ الحكمة والرَّحْمة والنِّعْمة فيمن يَفْتَقِرُ إلى ذلك[١٥١] وفَقْرُ حَيَوانِ الأَرْض إلى ذلك مُشاهَدٌ معلومٌ؛ فلهذا ومثلِهِ قال أبو السُّعُود رحمه الله:

واخْتَلَّتِ الأَمْلاكُ والأَنْسالُ

❊

وكانَ خَلْقُ الخَلْقِ لا لِمَعْنَى

وقال:

لِلْحَقِّ ما أَوْجَدَ لا لِلْباطِلِ

أي: حِكْمةً لا لَعِباً.

ويكون مَنْ لا يملِك نفسَهُ ولا مَنافِعَهُ ولا يُمْكِنُهُ التَّصَرُّف غير محسنٍ إليه ولا مخلوق لنفسه بَطَلَ الخير في أَهْل العُقُول، ولو جاز لَـها جاز أَنْ يترك الله قريةً ولا بلداً ولا إِقْلِيماً ولا زماناً مِنَ الأَزْمِنَة خالياً مِنْ نَبيٍّ، فكانَتِ الأُمَّةُ لا تُعْرَفُ لاستغناء العالمين بالنُّبُوَّة عنها،

(١) في المخطوط: «فوجب»، وإنّما هو جواب (لـمّا).

(٢) على أنّ الكلام يستقيم أيضاً لو كان العبارة على النّحو الآتي: «لهذا وجب» باطّراح واوٍ، وجعل الكلام متّصلاً.

لأنّها إذا كانت نافعةً في إصلاح العالم وتعرّي فعل الله، كان تَرْكُهُ للإصلاح، وما به يكون الإصلاح، فَساداً والله لا يُحِبُّ الفَساد، فذلك قولُهُ:

لو وَجَبَتْ نُبُوَّةٌ في الفِطْرَهْ
جَبْراً مِنَ الله عَظِيْمِ القُدْرَهْ
ما انْقَطَعَتْ نُبُوَّةٌ في العِتْرَهْ

أي: إِذَنْ لكان مِنْ بعد محمّدٍ، صلّى الله عليه، أنبياءُ لا أَئِمَّة، إذِ الجائز على النُّبُوَّة لا يخلو مِنْ أَنْ يكون فَعَلَ ذلك لِمَعْنًى في الحِكْمة أم عَبَثاً؛ والحكيم لا يَعْبَثُ، والمعنى قد ذكرناهُ، فإنْ كان الإصلاحُ والإرشادُ فالحاجة إليه باقيةٌ بعد كلِّ نَبيٍّ ممّن بعدَهُ.

وقال في الحُجَّة عليه فيما ذَهَبَ إليه مِنَ الرّأي الّذي وافقتْ فيه المُخْتَرِعَةُ الدَّهْريّةَ مِنَ الفَلاسِفة وأَهْل المَشْرِق:

ما نَحْنُ قُلْنا النّارُ نِدُّ الماءِ
والقارُ مِثْلُ الفِضَّةِ البَيْضاءِ
ولا نَسَبْنا عِلَلَ الأَدْواءِ
إلى سِوَى مُرَكِّبِ الأَشْياءِ

❋

قالَ بِهذا كُلِّهِ وأَقْطَعا
مَنْ أَثْبَتَ الأَجْسامَ أَنْداداً مَعا
واعْتَقَدَ الصَّوْتَ النَّكِيْرَ الأَشْنَعا
كالزَّمْرِ والنَّوْحِ وتَنْعاقِ الدُّعا

❋

مُخْتَرَعاً مِنْ فِعْلِ مَنْ عَنْهُ نَهى
أَعْصَمْتَ واللهِ بِحَبْلٍ قَدْ وَهَى
لا يَغْمُضُ الحَقُّ على أَهْلِ النُّهَى
أَنَّى يُغَطِّي طَلْعَةَ الشَّمْسِ السُّها

يريد عليه السلام أنّ المُخْتَرِعَة متى قالت لا فَرْقَ بين الأَجْسام إلّا بالصّفات وأنّها في جسمانيّتها واحدةٌ، كانت قد أَثْبَتَتِ النّارَ ماءً والأرضَ هواءً والحيوانَ جماداً والإنسانَ كَلْباً والذَّرَّةَ فِيْلاً، لاسِيَّما إذا قالوا: إنّه لا تَضادَّ ولا تَنافي إلّا بين الصِّفات دون الموصوفات والأَعْراض دون الأَجْسام. وهذا هو مذهبُ المُلْحِد الّذي أنكرَهُ عليه القاسمُ، عليه السّلام، مِنْ قوله: **إنّ النّواةَ نَخْلَةٌ بالقوّة**. وكذلك تقول الفلاسفة: **إنّ النُّطْفَةَ إِنْسانٌ بالقوّة الهيولانيّة**. وهذا هو غايةُ المُحالِ ودَفْع الضَّرورات ومُكابَرة العِيان، ومَنْ يَقولُ بهذا مِنَ المسلمين يكون هالكاً لا شَكَّ فيه لأنّه يُثْبِتُ قِدَمَ الجوهرة وحُدُوثَ أَحْوالها على ما قال المُلْحِد للقاسم، عليه السّلام، ونقضُ هذا[1][١٥٢] قد تَولّاهُ القاسمُ، عليه السّلام، فلا حاجةَ بنا إلى ذِكْرِهِ. وكذلك قولُ ابنِ المُقَفَّع وشيعتِهِ: «**الكُلُّ مُخْتَلِطٌ بالكُلِّ، والكُلُّ مِنَ الكُلِّ يَكونُ**» فقد ذَكَرَهُ القاسمُ، عليه السّلام، ونَقَضَهُ. وناهيك بمَنْ يكون مِنْ شِيْعَةِ القاسمِ، عليه السّلام، فَضْلاً، وبمَنْ يكون مِنْ خُصَمائه نَقْضاً وجَهْلاً.

---

(١) في المخطوط: «المُخْتَرِعَة تقول: إنّ الأَجْسام مستويةٌ في خاصّة الجِسْم وهو أنّ فيها طُولاً وعَرْضاً وتَشْغَلُ المكان، فكلّما كان له طُولٌ وعَرْضٌ ويحتاج إلى مكان فهو جِسْمٌ، ولا يَقُولون بأنّ الأَجْسام مستويةٌ في الطُّول والعَرْض وشَغْل المكان، ولا في الأَلْوان والهيئات، وهذه الّتي وقع الاختلاف بها هي الأَعْراض الّتي لا تَنْفَكُّ عَنِ الأَجْسام ولا تعقل الأَجْسام إلّا عليها فمن أين يلزمهم أَنْ تكون الذَّرَّةُ فِيْلاً لأنّ الذَّرّة والفَيْل مستويان في أنّ كلَّ واحدٍ منهما جِسْمٌ له طُولٌ وعَرْضٌ شاغلٌ للتَّحيُّز ومختلفان في صِفَة الجِسْم، وهو أنّ طُولَ الذَّرَّة وعَرْضها وشَغْلها للحَيِّز مُخالفٌ لطُولِ الفِيْل وعَرْضِه وشَغْله للحَيِّز ومختلفان أيضاً في الأَلْوان والهيئات وكلّ ما وقع به الاخْتِلاف فإنّه عَرْضٌ لا يعقل الجسم».

والّذي يلزم ابن حُمَيْدٍ متى قال بهذا على رأي الفَلاسفة أو المُخْتَرِعَة أنْ يكون الإنسان خِنْزِيراً حماراً فِيْلاً في الباطن، كما قال القاسم، عليه السّلام؛ إذ لا تأثيرَ للصُّورة والأَحْوال مع الأَجْسام ولا للأَجْسام مع الصُّوَر والأَحْوال، وإنّما الجِسْمُ واحدٌ والاخْتِلاف بين الأَحْوال وما يَعْتَقِبُ عليه من صفاته.

وفي بُطْلان كون الصّوت مِنْ فِعْل الله تعالى مِنَ الحُجّة قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية [الحجرات:٢].

وقد تقرّر بين أَهْل العَدْل أنّ الله[1] تعالى لا يَنْهى غيرَهُ عَنْ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ هو، ولا ذلك في الحِكْمَة، ولا نذمُّ ما صُنْعَ، وقد قال: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[لقمان:١٩] ثمّ قال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[لقمان:١٩] فشَبَّهَ الصّوتَ الّذي نَهَى عنه بكَوْنِهِ مَكْرُوهاً عنده مَذْمُوماً بما يُوجِبُ لصاحِبِهِ الحِماريّة، وناهيك بهذا ذَمًّا، وفيه دلالةٌ على أَنّ قُبْحَ رَفْعِ صوت المُتَعَبِّدِ رَفْعاً فاحشاً عند الله بمنزلة قُبْحِ صوتِ الحمار عند المُتَعَبِّد. مع ما لا خلاف فيه مِنْ تحريمه للغِنَاء والزَّمْر والصَّوْتين الأَحْمَقين الفاجِرَين عند الفَرَح والمصيبة مِنَ الصُّراخِ ونحوه، وهذا في حديثٍ قد رَواهُ الأئمّةُ وعلماءُ المذهب عَنِ النّبيِّ، صلّى الله عليه.

وقال في الدّلالة على فَسادِ قولِهِ بما يوجب وَصْف الصّفات واسْتِحالة الاسْتِحالات:

أَيّامَ لا تَنْقادُ لِلضَّلالِ
ولا تَرَى إِثْباتَ حالِ الحالِ
في حَيِّزٍ مُنْشَغِلٍ أو خالي
حتّى تَجَلْبَبْتَ بِثَوبِ الخالِ

❊

(١) في المخطوط: «إلى لله».

ثُمَّ أَجَزْتَ نُقْلَةَ الأَعْراضِ
ووَصْفَها بِالكُلِّ والأَبْعاضِ
وقُلْتَ في العاهاتِ والأَمْراضِ
بِقَولِ جَهْمٍ في الزَّمانِ الماضي

*

مُغالِطاً نَفْسَكَ غَيْرَ آبي
في وَصْفِكَ الأَحْوالَ بِالأَحْوالِ
والوَحْي وَحْي اللهِ بالزَّوالِ
عَنْ مَقْعَدِ العِزِّ الرَّفِيْعِ العالي

*

حَيْثُ أَحَلَّ اللهُ إِسْرافِيْلا
والرُّوْحَ جِبْرِيلَ ومِيْكائِيلا
واخْتَصَّهُمْ بعِلْمِهِ تَفْضِيلا
إِذْ أَخْلَصُوا التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيلا[١]

وإنّما كان مُغالِطاً لنفسِهِ بوَصْفِهِ الأَحْوال بالأَحْوال لأنّه اتّكلَ على صحّة المحال، فالنَّفْس تَنْفِرُ عَنْ ذلك لإِنْكار العَقْل له وتَقَبُّلِهِ للحَمِيَّة على ما سبق إليها، وللأَنَفَة عن الرُّجُوع إلى الاعْتِراف بالجَهْل والانْقِياد للغير.

(١) في المخطوط: «إذا أخلصوا» مختلّ الوزن.

وإنّما كان ذلك مُحالاً[١٥٣] مِنْ وُجُوهٍ كثيرة، منها أنّ من حدّ[1] الجسم أنّه ما كان مُتلاحق الوجود قائماً بعينه مُتبَعِّضاً محدوداً، ومتى كان للعَرَض مِنْ هذا الحدّ شيءٌ اسْتَحال جِسْماً، فجِسْمٌ عَرَضٌ مُحالٌ. وكذلك حدّ العَرَض هو ما كان مُتَفاوتَ الوجود لا قَوامَ لَهُ إلّا بغيره، فمتى قِيْلَ: إنّه يَنْتَقِلُ فقد قام بنفسه واسْتَحال جِسْماً، وعَرَضٌ جِسْمٌ مُحالٌ. وكذلك إذا قام به غيرُهُ فقد تَلاحَقَ وُجُوده وصار جِسْماً وهذا يُوجِب أَنْ يكون عَرَضاً جِسْماً وهو المُحالُ كَونُهُ. ووَجْهٌ آخَرُ فإنّه متى قِيْلَ بأنّ للحال حالاً ولصفته صفةً تَسَلْسَلَ إلى ما لا يَتَناهى وهو تَناهٍ في ذاته، فتَناهٍ غير تَناهٍ مُحالٌ، ومُتَناهٍ غَيرُ مُتَناهٍ مُحالٌ. فلهذا اقتصر في النَّقْض عليه بهذه الإشارات لظُهُور فَسادها. ولذلك اقتصر القاسم، عليه السّلام، في جوابِهِ للمُلْحِد على الظّاهر مِنَ الأَمْرِ فقال: لأنّ الأَعْراض لا تَنْتَقِل. فسَلَّمَ له المُلْحِد ولم يُناكِرْهُ إذْ كانتِ العُقُول مجمعةً على اخْتِلاف[2] ذلك ودَفْعه. والقرآنَ إذا كان عَرَضاً بالإِجْماع لأنّه كلامٌ بالنَّصِّ منه والإجماع لم يصحَّ وُجُودُهُ بانِفْرادِهِ قائماً بعَيْنِهِ، لأنّ هذا حَدّ الجِسْم وجِسْمٌ عَرَضٌ مُحالٌ. فوَجَبَ ألّا يوجد إلّا قائماً بغيرِهِ كما تكون الأَعْراض. وإذا كان في قَلْبِ المَلِك الأعلى ضروريًّا لأنّه فِعْل الله ولأنّه لو كان اختياريًّا كان فِعْل المَلِك فلم يكن كتاباً لله ولا كلاماً له؛ لأنّ كلامَ عمرٍو غيرُ كلامِ زيدٍ وإنْ أَشْبَهَهُ. وَجَبَ أنّه متى فارقتِ الصِّفةُ موصوفها وهي باقيةٌ أَنْ تكون قائمةً بعينها، فيستحيل جِسْماً، وعَرَضٌ جِسْمٌ مُحالٌ. وأَنْ تكون منتقلةً فصِفَتها الانتقالُ، وصفةُ الصِّفةِ تَسَلْسَلُ إلى ما لا يَتَناهَى وقد دَلّلنا على أنّه محالٌ كون ذلك. فثَبَتَ أنّها ضروريّةٌ لقَلْبِ المَلِك كسائر صفاتِهِ مِنْ لونٍ ومَجَسَّةٍ وطُولٍ وعَرْضٍ وغير ذلك. لكنّها لـمّا كانت عَرَضاً مِنْ جِنْسٍ آخَر وهو العِلْم جازَ أَنْ يُعَلِّمَها غيرَهُ كما عَلَّمَها هو وتَعَلَّمَها ثالثٌ ورابعٌ وأَكْثَر، ولا يُقالُ: إنّها

---

(١) رسم في المخطوط بعده حرفان، أحدهما ألف، والثّاني ضُبّب عليه.

(٢) قوله: «اختلاف» يحتمل أن يُقرأ: «اختلاق» إذا لم تُصرف إحدى النّقطتين على القاف إلى الذّال المعجمة بعده.

انتقلتْ ولا استحالت لِما تَقَدَّمَ مِنَ الدّليل على فَسادِ ذلك بالإِجْماع مِنَ الأُمَم كلِّها مُلْحِدِها ومُوَحِّدها. ولأنّ العِلْمَ بالشّيء لا يُحِيْلُهُ عمّا هو به والنّقْلةُ استحالةٌ تَقَعُ على المُنْتَقل مِنْ حالٍ إلى حال، والاستحالة لا تدخلُ على الاسْتَحالة لفَسادِ ذلك على ما قَدَّمنا. وكذلك اشْتِراك علّامِين كثيرٍ في العِلْم بمعلومٍ واحدٍ لا ينقصُهُ ولا يُحِيْلُهُ عمّا هو به[١٥٤] دليله الصّانع سبحانه، فليس كونُهُ معلوماً للمُوَحِّدين مِنَ الملائكة والجِنِّ والإِنْس يُحِيْلُهُ ولا يُنْقِصُهُ ولا يَنْقُلُهُ، وكذلك العِلْم بالجَبَل والشّمس وسائر الأَجْسام لا يُنْقِصُها ولا يُحِيْلُها ولا يَنْقُلُها، والنَّقْص يَجُوز عليها والاسْتِحالة والنّقْلة، فكيف بما يستحيل عليه ذلك.

فَصْلٌ

فيما جاءَ بِهِ أبو السُّعود بنُ زيدٍ رحمه الله في هذه الأُرْجوزة وغيرِها مِنَ المحاسن الأدبيّة الّتي تُعْرَفُ بها بلاغتُهُ وبَراعتُهُ وجَوْدَةُ طَبْعه في الشِّعْر والإِنْشاء وفَصاحته

نحو جَوْدة الاسْتِعارة، وذلك مثلُ قولِهِ:

ومَنْ مَشَى في مَهْيَعِ الإِرْجاءِ
فَقَدْ مَشَى بِالقَدَمِ العَرْجاءِ
وانْسابَ في مَدْرَجَةٍ عَوْجاءِ
جائِرَةٍ مُوْحِشَةِ الأَرْجاءِ

وقولِهِ:

أَبْلَتْ يَدُ الأَيّامِ ما كانَ أَجَدْ
وافْتَرَسَتْهُ بِشَبا النّابِ الأَحَدْ

وقولِهِ:

وجَعْفَرٌ ومَنْ حَذا بِحَذْوِهْ
مُغْتَرِفاً مِنْ بَحْرِهِ بِدَلْوِهْ

وقولِهِ:

وأَتَوَخَّى العَومَ في وادٍ يَبَسْ

وقولِهِ:

تَلْسَعُني مِنْ كُلِّ جُحْرٍ أَفْعَى

وقوله:

فاخْضَرَّ غَرْسي بَعْدَ يَأْسٍ وسَما

واهْتَزَّ رَوْضي مُزْهِراً وابْتَسَما

وقولِهِ:

لا أَمْتَ في مِنْهاجِهِ ولا عِوَجْ

وقولِهِ:

وانْحَلَّ مِنْ جَنْبَيْهِ سِرْبالُ البَذَى

وقولِهِ:

كَمْ مِنْ أَذاةٍ حاكَها لِسانُهْ

مَشْبُوبَةٍ وَسْوَسَها شَيْطانُهْ

يَقْتادُها جامِحَةً أَرْسانُهْ[١]

وقولِهِ:

أَبْدَى لأَنْصارِ الهُدَى ظَهْرَ المِجَنْ

وقولِهِ:

بمِيْسَمِ الخَشْيَةِ والأَحْزانِ

ونحو هذا كثيرٌ.

والأَمْثال السّائرة بلاغةً وإيجازاً وحِكْمةً وإرشاداً، مثل قولِهِ:

---

(١) في المخطوط: «يقتارها» بالرّاء المهملة، ولم يتّجه لي معناها، ولم أجد لها نصيراً من العربيّة.

والحَقُّ ما انْفَكَّ قَلِيْلاً في النّاسْ

وقولِهِ:

لا أَمْتَ في مِنْهاجِهِ ولا عِوَجْ

وقولِهِ:

مَنْ خاصَمَ الغَيَّ عَنِ الرُّشْدِ فَلَجْ

وقولِهِ:

لَيْسَ بِنَدٍّ كُلَّما عُوْدٌ كانْ

ولا لَعَمْري كُلُّ مَرْعًى سَعْدانْ

وقولِهِ:

لا خَيْرَ لِلْمَرْءِ بِعِلْمٍ يُسْكِرُهْ

وقولِهِ:

في جِيْدِهِ لِلْبَغْي حَبْلٌ مِنْ مَسَدْ

وقولِهِ:

وهذِهِ عُمْدَةُ كُلِّ إِمَّعَهْ

وقولِهِ:

والرَّفْءُ لا يَنْفَعُ في الثَّوبِ الخَلَقْ

مَنْ لم يُحاذِرْ مِنْ هَوَى الدَّحْضِ زَلَقْ

وقولِهِ:

إِنَّ الحَيا الهَطّالَ لا يُحْيي السَّبَخْ[١٥٥]

وقولِهِ:

يُفِيدُ مِنْ عِلْمِ الكِتابِ والأَثَرْ
ما تَسْتَفِيْدُ الأَرْضُ مِنْ سَحِّ المَطَرْ

وقولِهِ:

فَالطِّرْفُ لا يَبْهَرْهُ جَرْيُ العَيْرْ

وقوله:

إِنَّكَ لا تَخْدَعُ إِلّا عَيّا

وقولِهِ:

شَرُّ عِمادِ الخَيَمِ العُوْدِ النَّقِدْ(١)

وقوله:

بِالسَّبْقِ حازَ السّابِقُونَ الفَضْلا

وقولِهِ:

والفَضْلُ بِالتَّقْوَى على حَسْبِ الرُّتَبْ

وقولِهِ:

عَصَى ابْنُ نُوْحٍ فانْتَفَى مِنْ أَهْلِهِ
ولو أَتَى سامٌ بِمِثْلِ جَهْلِهِ
لم يَكُنْ سامٌ سامِياً في فَضْلِهِ

وقولِهِ:

هَلْ مُبْصِرٌ تَخْفَى عَلَيْهِ الشَّمْسُ

---

(١) في المخطوط: «... الجيم...» بجيم معجمة، على أنّه تقدّم على الصّواب بخاء معجمة من أعلى.

وقولِهِ:

أَنَّى يُغَطِّي طَلْعَةَ الشَّمْسِ السُّها

وقولِهِ:

فَالنَّفْسُ أَدْنَى بُلْغَةٍ تَكْفِيْها

وقولِهِ:

إِنَّكَ إِنْ هَيَّجْتَ لَيْثاً زَجْرا[(١)]

والمُطابَقة نحو قولِهِ:

واسْتَشْعَروا الصَّبْرَ ورَفْضَ الآمالْ

واحْتَرِزُوا مِنْ كُلِّ قِيْلٍ أو قالْ

فجاء بالاحْتِراز الحَسَن في مُقابلة الرَّفْض المحمود.

وقولِهِ:

عالِيَةٌ دانِيَةُ الثِّمارِ

وقولِهِ:

واهْتَزَّ رَوْضِي مُزْهِراً وابْتَسَما

وانْقَشَعَتْ عَنِّي سَمادِيْرُ العَمَى[(٢)]

وقولِهِ:

مُمَكَّناً مِنْ بَسْطِها والقَبْضِ

---

(١) كتب فوق «إِنْ» بالمخطوط: «لما» وبها يختلّ الوزن، وقد سلف المشطور في موضعين على نحو ما أُثبت هٰهنا.

(٢) بعده بخطٍّ مغاير للأصل لناسخٍ متأخِّر شارحاً كلمة (السَّمادير) عن الفيروز أبادي: «**السَّمادِيْر**: ضَعْف البَصَرِ أو شيءٌ يَتَراءى للإنسان مِنْ ضَعْف بَصَرِهِ؛ قاله في القاموس. تمّت».

مُمَتَّعاً في دَعَةٍ وخَفْضِ

وقولِهِ:

وانْحَذَقَتْ حَبائِلُ الوَسِيْلَهْ
وانْتَشَرَتْ مِنْكَ عُرُوقُ الغِيْلَهْ

وقولِهِ:

أَبْلَتْ يَدُ الأَيّامِ ما كانَ أَجَدْ

وقولِهِ:

في رَغْبَةٍ صادِقَةٍ وفي وَجَلْ

والمُجانَسَة نحو قولِهِ في مَرْثِيَتِهِ لإبراهيمَ بنِ أبي العَشِيرة وأَصْحابِهِ، وكانوا مّمن قَتَلَتْ جَنْب بوَقعة تمر[١]: (من الكامل)

نَهْنِهْ فُؤَادَكَ أَنْ يَذُوبَ مِنَ الأَسْى ... واصْبِرْ فَكَمْ ساءَ الزَّمانُ وكَمْ أَسا[٢]
كَمْ غُمَّةٍ عَظُمَتْ وجَلَّتْ فانْجَلَتْ ... ومَضَتْ وكَمْ خَطْبٍ عَسَا فتَنَفَّسا[٣]

وقولِهِ فيها: (منَ الكامل)

أَتُراكَ غِبْتَ فما تَهُمُّ بِأَوْبَةٍ ... أَرَضِيْتَ عِرِّيْسَ العَدُوِّ مُعَرَّسا؟[٤]

ومنها: (منَ الكامل)

حَنِقَتْ بَنُو جَنْبٍ فَلَمْ يَتَجَنَّبُوا ... وحَمَوا حِماهُمْ بِالقَنا فاقْعَنْسَسا[٥][١٥٦]

---

(١) قوله: «تمر» يحتمل أن يُقرأ: «ثمر» لانتشار النّقاط فوقه وكثرتها.

(٢) **أسا**: أساء، وسهّل للضّرورة الشّعريّة.

(٣) بعده بخطٍّ مغاير،وكأنّه حاشية شارحة: « **عَسَا** الخطب: اشْتَدّ، يُكْتب بالأَلِف».

(٤) في المخطوط: «مغرسا» بالغين المعجمة. و**عِرِّيس** العدّو: مَأْواهُ؛ على التّشبيه بمَأْوى الأَسَد في خِيْسه. و**المعَرَّس**: من التّعريس، وهو الارتحال فجراً؛ التّاج: (ع ر س).

(٥) بعده بخطٍّ مغاير،وكأنّه حاشية شارحة: «أي: تَأَخَّرَ ورَجَع على ما هو عليه».

ونوع منها بينه[1] وبين التَّرْصِيع وأَشْباهِهِ مثل قولِهِ: (منَ الكامل)

آهٍ على عَمْرٍو وإِبْراهِيْمَ ما أَحْمَى أَسَى ما أَوْرَياهُ وأَحْمَسا

وقولِهِ: (منَ الكامل)

صَلْتَ الحَصاةِ مُنَاضِلاً عَنْ دِيْنِهِ مَرْدَى لأَشْياخِ الجَهالَةِ مِرْدَسا[2]

«**فأَحْمَى**» و«**أَحْمَس**» و«**مَرْدَى**» و«**مِرْدَس**»: نوعٌ حَسَنٌ قريبٌ مِنَ التَّجْنِيس.

وسُهُولَةَ المَقاطع والقوافي نحو قولِهِ:

أَصَمَّهُ الكِبْرُ وأَعْماهُ الحَسَدْ

واسْتَعْذَبَ الدُّنْيا بِتَفْتِيْقِ الجَسَدِ

في جِيْدِهِ لِلْبَغْيِ حَبْلٌ مِنْ مَسَدْ

كَذاكَ مَنْ يَطْغَى إذا الدِّيْنُ فَسَدْ

فإنّه أَتَى فيه بما لا يلزم مِنْ غير قَصْدٍ لذلك، فحَسُنَ وُقُوعُهُ ما لم يحسن وُقُوع ما التزم مِنْ مثلِهِ عَنْ عَمْدٍ فأُتي فيه بالتَّكَلُّف والتَّعَقُّد والصُّعُوبة، وكذلك قولُهُ:

لِلْمَرْءِ ما قَدَّمَ لا ما خَلَّفا

وَهْوَ رَهِيْنُ ما جَنَى وأَسْلَفا

إِنْ قَدَّمَ الخَيْرَ راَهُ مُزْلَفا

وإِنْ طَغَى واغْتَرَّ لاقَى تَلَفا

وقولُهُ:

كَمْ مَلِكٍ قَدْ كانَ آدَى وأَعَدْ

---

(١) في المخطوط: «بينها» وكأنّ الألف آخره متقلقلة منفصلة.

(٢) في المخطوط: «مرد لأشياخ...»من دون الألف المقصورة، وهو وَهْم، وستُشرح تحت البيت.

واسْتَضْهَدَ البُلْدانَ بِالبَطْشِ الأَشَدْ
أَبْلَتْ يَدُ الأَيّامِ ما كانَ أَجَدْ
وافْتَرَسَتْهُ بِشَبا النّابِ الأَحَدْ

وقولُهُ:

يَزْعُمُ لِلْأَشْرافِ في شَهارَهْ
أَنَّ هُناكَ الفَضْلَ والطَّهارَهْ
والمَجْدَ والسُّؤْدُدَ والجَهارَهْ

وقولُهُ:

وأَنَّهُمْ مَفْزَعُ أَهْلِ العَصْرِ
مُؤَيَّدُونَ بِالتُّقَى والنَّصْرِ
أو يَحْسِمُوا دَعْوَةَ داعي مِصْرِ

وقولُهُ:

هاجَرْتَ مَنْ لا يُشْتَهى أَنْ يُهْجَرا
لولا الّذي هَيَّجْتَهُ مِمّا جَرَى
إِنَّكَ إِنْ هَيَّجْتَ لَيْثاً زَمْجَرا
والعَمَلُ الصّالِحُ أَزْكى مَتْجَرا

وقولُهُ:

في رَغْبَةٍ صادِقَةٍ وفي وَجَلْ
وخَشْيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ عَزَّ وجَلْ

وإذا تُتُبِّعَتْ أَشْعارُهُ وُجِدَتْ قد تَضَمَّنَتْ محاسنَ -مِنْ محاسنِ الشِّعْرِ الّتي بها تَعْرِفُ فَضْلَ الشّاعرِ- كثيرةً مِنْ حُسْنِ تَضْمينٍ وتَشْبيهٍ وتَقْسِيمٍ وتَنْمِيمٍ وتَرْديدٍ، ونحو ذلك.

ولولا أَنْ يستولي الكلامُ على الشِّعْرِ على أَكْثَرِ الكتابِ حتّى يكونَ كأنّه وُضِعَ له لا للدِّيانة، وما يتعلَّق بها، لاسْتَقْصَيْتُ في تَتَبُّعِ ذلك مِنْ إِنْشائِهِ نَظْماً ونَثْراً، ولكن فيما قد أوردتُ[١٥٧] هٰهنا ودُونَهُ كفايةٌ كافيةٌ، لِمَنْ فَهِمَ الغَرَض في ذِكْرِهِ، وأنّه إنّما أردتُ به إقامةَ الشّهادة على أنّ الزّيديّة، رحمهم الله، كان فيهم مَنْ يَصْلُحُ في خِدْمَةِ المُلُوك فَصاحةً ورَجاحةً وكتابةً وخَطابةً وخَطًّا وحِساباً وهندسةً وقِراءةً وتَرَسُّلاً، ونحو ذلك ممّا يُنْتَفَعُ به في أَمْرِ الدُّنْيا، ويُعاشُ به عند المُلُوك؛ فاتّخذُوهُ، رحمهم الله، عُدَّةً للآخرة، وبَخِلُوا به وبأَنْفُسِهم عَنِ الدُّنْيا وأهلها.

وازْدادَ أبو السُّعُودِ بنُ زيدٍ رحمه الله عليه على البُخْل بنفسِهِ على الدُّنْيا وأَهْلِها وإِكْرامها عَنْ صُحْبَةِ المُفْسدين في الأَرْض= أَنْ بَذَلها في نُصْرةِ الدِّين وأَهْلِهِ ووَهَبَها لله والإسلام، وجاهَدَ بلسانِهِ حتّى سُفِكَ دَمُهُ، وهُرِيْقَتْ مُهْجَتُهُ في الله، وناهيك بها فضيلةً في هذه الأَعْصار القريبة، ذَهَبَ بها وتَفَرَّدَ عَنْ سائر مَنْ فيها، ولَحِقَ بالطّبقة الأولى مِنَ الزّيديّة الّذين سَفكوا دماءَهم في الله سبحانَهُ، وحُبِسُوا وعُذِّبُوا وأُهِيْنوا في حِياطةِ دِينِ الله ونُصْرةِ آل رَسولُ، صلّى الله عليه، نحو: حاضر[١]، وأبي الجَوزاء، ومطرٍ الورّاق، ومُحوّلِ بنِ إبراهيم، وأبي السَّرايا. ونحوهم قُدْوةٌ منهم بأَصْحاب أَميرِ المؤمنين عليٍّ، عليه السّلام، مِنْ صِحابة الرّسول، صلّى الله عليه، والتّابعين بإحسانٍ، الّذين قُتِلُوا بين يَدَيْهِ وبعد مَوْتِهِ، بسَيْفِ مُعاوِيَةَ -عَدُوّ الله- وأَمْثالِهِ؛ نحو: عَمّار بن ياسر، وأبي الهَيْثم بن التَّيْهان، وذي الشَّهادتين، وهاشمٍ المِرْقال، وابْنَي بُدَيْل، وعَمْرو بن الحَمِق، وأُوَيْسٍ القَرَنيّ مِنَ التّابعين،

---

(١) كُتِب بخطّ مغاير للأصل فوق قوله: «حاضر» ما نصّه: «مولى عبد الله بن الحسن»، وكتب في الهامش أيضاً: «هو مولى أحمد بن عيسى، عليه السّلام، والله أعلم».

وجُنْدُب بن زُهَير، وحُجْر بن عَديٍّ وأَصْحابه، رحمهم الله.

ومِنَ الدّلالة على تَقَدُّم أبي السُّعُود بنِ زيدٍ ﵀ في الشِّعْر والتَّرَسُّل على محمّدِ بنِ زيادٍ المـاربيِّ المُجازِ بـالأُلُوفِ في الدّولـة= جوابُهُ لَـهُ، فقد كـان مِـنَ المـاربيِّ أَنْ كَتَـبَ إلى الزّيديّة مُحْدِثاً بهم عَهْداً، ومُرْتَبِطاً بحَبْلِ وَلائِهم، زَعَمَ وهو في ذلك في كُلِّ وادٍ يَهِيْمُ، وعَنِ القَولِ لِـما لا يَفْعَـلُ ولا يَعْلَـمُ لا يَـبْرَحُ ولا يَـرِيْم= أبياتـاً يَعْتَـذِرُ فيهـا إلـيهم مِـنَ القطيعـةِ لهـم، والانْقِطاع عنهم، ويُثْني عليهم، ويَعْتَرِفُ لهم بفضلِهم؛ منها قوله: (من السّريع)

يا سادَةً حُبُّهُمُ قُرْبَةٌ وزُلْفَةٌ عُظْمَى لِدارِ النَّعِيْمْ
ومَنْ هُمُ في دَرَجاتِ العُلى أَعْلَى مَحَلًّا مِنْ أَعالي النُّجُومْ
ساداتُ قَحْطانٍ ولكِنَّهُمْ أَئِمَّةٌ لِلْمَنْهَجِ المُسْتَقِيْمْ
لا تَحْسَبُوا أَنِّي على بُعْدِكُمْ مُضَيِّعٌ ذاكَ الوِدادَ القَدِيْمْ[١٥٧][1]
أَكْفُرُ باللهِ إذا خَلْقُهُ أَبَرُّها غَيْرُ كَفُورٍ أَثِيْمْ
فلا تُطِيْعوا أَنْ سَعَى بَيْنَنا شَيْطانُ إِفْكٍ ذو فُجُورٍ رَجِيْمْ[2]

فأَجابَهُ أبو السُّعُود بنُ زيدٍ فقال: (من السّريع)

لا دَرَّ دَرُّ البَيْنِ كَمْ حُرْقَةٍ لِلْبَيْنِ تَغْلي مِثْلَ غَلْيِ الحَمِيْمْ
يا ذا الّذي طالَ مَدَى نَأْيِهِ عَنْ صَحْبِهِ وَهْوَ الوَلِيُّ الحَمِيْمْ
إِنَّ الّذي تَعْرِفُ مِنْ وُدِّنا، لِكُلِّ ذي وُدٍّ طِباعٌ وخِيْمْ[3]

(١) بعده في المخطوط حاشيةٌ بها: «انْتَقِلْ إلى جواب أبي السُّعُود بن زيد». ثمّ تَعْقُبُ هذه الصّفحة صفحةٌ مقحمةٌ معترضةٌ بين الشّعر وجوابه لأبي السُّعُود، وقد حشّى النّاسخُ آخرَ الورقة المُقْحَمَة بقوله: «هذه الورقة مقلوبةٌ مِنَ المجلد».

(٢) في المخطوط: «ذا فجور».

(٣) **الخِيْم**: السَّجِيّة والطّبيعة.

والمَكْرُ لا نَأْلَفُ فِرْيانَهُ إِذْ كانَ مَرْعَى المَكْرِ مَرْعًى وَخِيْمْ[١]
فافْهَمْ عُرَى البَيْنِ فَكَمْ للنَّوَى مِنْ مَدْمَعٍ جارٍ وقَلْبٍ كَلِيْمْ
واعْمُرْ رُبُوعاً لِلتُّقَى أَهْلُها كُلُّ تَقيٍّ أَرْيَحِيٍّ كَلِيْمْ
لا تُوْحِشَنّا واعْلَمَنْ أَنَّهُ لا يُتَوَصَّى في صَلاحٍ حَلِيْمْ
مَنْ تاجَرَ اللهَ زَكا رِبْحُهُ ومَنْ تَخَطَّى ذلِكَ الرِّبْحَ لِيْمْ

ومِنْ أُنْمُوذج رسائلِهِ قولُهُ في رسالةٍ كَتَبَها إلى المسلم بنِ محمّدِ بنِ أَسْعَدَ الجَنْبيِّ، وكان قد تابَ ورَغِبَ في طاعةِ الله سبحانَهُ، وفارَقَ ما عليه جَنْب مِنَ التَّقَلُّبِ على جَهْران وذَمار، والغَصْب والظُّلْم لأَهْلها، وغيرهم مِنَ النّاس، وكان جَيِّدَ الهِمَّةِ حَسَنَ الإِنابة إلى الله تبارك وتعالى، قد رَفَضَ ما كان في يَدِهِ مِنَ المَقْسَم الّذي كان للجِبا[٢]، كما عليه سائر الجُنْد في هذه الدَّولة=[٣] فممّا كَتَبَ به إليه أبو السُّعُود مِنْ رسالةٍ قولُهُ:

شَكَرَ اللهُ لَهُ إِحْسانَهُ، وثَبَّتَ بالقَولِ الثّابتِ قَلْبَهُ ولِسانَهُ، وجَعَلَ حِبالَ أُخُوَّتِهِ قويّةً، وأَدامَ سِجال مُرُوءته رَوِيَّةً، وحَذَفَ عَنْ دِيْنِهِ ودُنْياهُ غَوائلَ الظَّلَمَة والأَغْنِياء حَذْفَ الواو في الفعل المُعْتَلّ بين الكَسْرة والياء، وأَبْدَلَهُ مِنْ إِخْوانِ العَصَبيّةِ الدُّنْيَويّةِ إِخْوانَ الشَّريعةِ الدِّينيَّةِ النَّبويَّةِ كما تُبْدَلُ الطّاءُ مِنَ التّاء إذا تَقَدَّمَتْها في الأَفْعال حَرْفُ الضّاد والظّاء، وأَنْزَلَهُ مِنْ مَنازِلِ العُلُوِّ والإِشْراق مَنْزِلَةَ حُرُوف الاسْتِعلاء والإِطْباق.

فما ظَنُّ الظّانِّ بمَنْ يكون مِنْ تَرَسُّلِهِ مثلُ هذا، هل كان يَنفُقُ عند المُلُوك أم لا؟ على أنّه يُسْمَعُ بأنّه قد نَفَقَ مَنْ هو دُوْنَهُ، وغُولِيَ في اكْتِساب مَودَّته، واسْتَدْعاء خِدْمَته، ثمّ مع هذا لم يَمُدَّ عَيْنَيْهِ إلى ما مُتِّعُوا به مِنْ زَهْرة الدُّنْيا، ورَبَأَ بنفسِهِ إلى الرُّتْبة مِنْ إِيْثار طاعةِ الله

(١) قوله: «فريانه» كذا بالمخطوط!
(٢) **الجبا** والجَبَى: الجِباية.
(٣) بعده محشوراً بين سطرين وبخطٍّ مغاير: «من أعمل قلبه عنِ التّمييز أوهمته الشّبه، إنّ الشّبه كالذّهب الإبريز».

العُلْيا حتّى جعَلَ بَراعَتَهُ وبَلاغَتَهُ ورَأْيَهُ ورُوايَتَهُ في الذَّبِّ عَنِ الإسلام ونُصْرَتِهِ، وسَمَحَ في ذلك بمُهْجَتِهِ. وأَيْنَ يكونُ مِنَ المـاربيِّ وابنِ الصَّبَرِيِّ وابنِ حُمَيْدٍ والأَبّارِ وابنِ السَّمَيْدَعِ البَحيريِّ.

على أنّه ﷺ لم يَأْلُ في الرِّفْقِ[١٥٩](١) منهم بمن كان يرجو أنّ علاجَهُ يَنْجَعُ في دائِهِ، وأنّه يُحْسِنُ تَرْكيبَ دَوائِهِ كما لم يَأْلُ في قَمْعِ مَنْ يَيْئَسُ مِنْ جَنابِهِ، وخَشِيَ أَنْ يُفَرِّطَ ويَطْغَى على أَصْحابِه.

فمِنَ الرِّفْقِ والتَّلَطُّف، وبَذْلِ الجَهْدِ في الحِيْلَةِ في اسْتِدْراك مَنْ رَجا رُجُوعَهُ إلى الحقّ منهم، **ما** كان منه إلى ابنِ الصَّبَرِيِّ مِنْ كتابٍ وعِتاب، وخَطْبٍ وخِطاب؛ وما قَصَّرَ في التَّلَطُّف مَنْ يَقولُ: (من الوافر)

وممّا هاجَ تَذْكاري ووَجْدي ... كما هاجَتْ حَسا السَّمِّ العِدادا(٢)
بُكاءُ حَمامَتَيْنِ بَلَحْنِ شَجْوٍ ... إذا ما رَجَّعا صَوْتاً أَعادا
أَقاما جاثِمَيْنِ على فُرَيْخٍ ... وذَبّا عَنْهُ كُلَّ أَذًى وذادا
فَلَمّا هَزَّ قادَمَتَيْهِ خَلَّى ... وُكُوْرَتَهُ وعِزَّهُما حِيادا
وذَكَّرَني بُكاؤُهُما عَلَيْهِ ... مَخافَةَ أَنْ يُهانَ وأَنْ يُصادا
نُفورَ مُحَمَّدٍ عَنْ والِدَيْهِ ... .(٣)
وكُنْتُ عَهِدْتُهُ بِهِما حَفِيًّا ... يَقُولُ القائِلُونَ لَقَدْ أَسادا
تَقَرُّ بِهِ عُيُونُهُما سُرُوراً ... ولا يَعْصِيْهِما فِيْما أَرادا

---

(١) سيختلّ هٰهنا التّرقيم للورقة المقلوبة من المجلد.
(٢) **العِداد**: اهتياج وجع اللّديغ؛ القاموس: (ع د د).
(٣) مكان العَجُز فراغ في المخطوط.

أَصَحُّ لِداتِهِ دِيْناً قَوِيماً وأَوْرَعُهُمْ وأَوْراهُمْ زِنادا
وأَكْمَلُهُمْ حِمًى وتُقًى وصَبْراً على التَّقْوَى وأَعْلاهُمْ مَصادا
ولم أَعْهَدْهُ إِمَّعَةً غَوِيًّا يَظُنُّ الحَجَّ يَلْزَمُ في جُمادَى
ويَحْسِبُ أَنَّهُ يَحْسُو سَوِيْقاً إذا ما ماثَ بالماءِ الرَّمادا
ويَجْني كَفُّهُ عِنَباً وتَمْراً إذا غَرَسَ الشُّكاعَى والعَرادا

ثمّ قال في حُسْنِ الظَّنِّ به والإِيْناس له:

أَظُنُّ الكاشِحِيْنَ رَوَوا مُحالاً لِمُحْتالٍ فَنَمَّقَهُ وزادا
فما صَدَّقْتُ أَكْثَرَ ما رَوَوْهُ وما عَنْهُ بِهِ الواشي أَشادا
كَأَنَّ مُحَمَّداً يَعْصي أَباهُ ويَهْدِمُ ما بَناهُ لَهُ وشادا
مَعاذَ اللهِ، ما رَجُلٌ لَبِيْبٌ شَأَى النُّظَراءَ في التَّقْوى اجْتِهادا
ورَبّاهُ على التَّقْوَى أَبُوهُ أَبُو إِسْحاقَ، **يَسْتَحْلي** الفَسادا

فبالغ ؒ في الرِّفْق به لو نَفَع، ولُطْفِ التّدبير في علاجه لو نَجَع، وهو -واللهِ- أَعْلَمُ، فغير بعيدٍ أَنْ يكون تَغْطِيَةً بما أَظْهَرَ مِنَ المَيْل إلى الحُسينيّة رَفْو الوَهْي[1] ما اتُّهِمَ به مِنْ رَأْيِ الباطنيّة مِنْ أَهْلِ الدَّعْوة الصُّليحيّة، ويكون مُسِرًّا للتّوبة بينه وبين الله، والرُّجُوع إلى مذهب الزّيديّة اليَحْيَويّة[2][١٦٠].

وهذا منّا ومِنْ شيخِنا أبي السُّعُود ؒ حُسْن ظَنٍّ، كما ينبغي أَنْ يكون مِنْ شَأْن المُؤمن فيما لم يتيقّنْهُ قَطْعاً، كما تَيَقَّنَ في ابنِ حُمَيْدٍ. فأمّا غيرُنا فقد قَطَعَ عليه بالمُضيِّ على ذلك

(١) **رَفْو** الوَهْي: إصلاحُهُ؛ يُقال: رَفَى الثّوب يَرْفوه؛ على أنّه سيرد بنا في الكتاب نفسه: «رَفْي وَهْيها»، وهي بحسب ما ذكر الزَّبيديّ لُغةٌ في كَلْب؛ التّاج: (ر ف و).

(٢) بعده بخطٍّ مغاير بالحاشية: «هذه الورقة مقلوبة من المجلد».

وصَرَّحَ ونَظَمَهُ في الشِّعْرِ؛ وذلك قولُ محمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ السَّمَيْدَع البَحيريِّ يُعاتِبُهُ: (من الخفيف)

أَيُّها الوالِدُ الشَّفِيْقُ أَبِنْ لي ... بِمَ صَيَّرْتَ جانِبي مَهْجُورا؟

أَبِقَوْلِ الوُشاةِ ذاكَ فما كُنْـ ... ـتَ جَدِيْراً أَنْ تَرْكَبَ المَحْظُورا

أَمْ بِذَنْبٍ فَكَيْفَ لم يَكُنِ الذَّنْـ ... ـبُ بِماضي أَيّامِنا مَغْفُورا

رُبَّ يَوْمٍ أَضْحَكْتَ سِنِّي بِنادٍ ... لم يَزَلْ مِنْكَ ضاحِكاً مَسْرُوراً

ما كَفَرْتُ الإِحْسانَ مِنْكَ ولا أُنْـ ... ـسِيْتُ -تاللهِ- وَقْتَكَ المَبْرورا

يَوْمَ رَوَّيْتَ مِنْ صَدَى الجَهْلِ قَلْباً ... طالَما عاشَ صادِياً مَحْرُورا

فَبَدَتْ لي مَعالِمٌ كُنْتُ لِلْجَهْـ ... ـلِ قَدِيْماً بِغَيْرِها مَغرورا

لو رآها أَعْمًى لَأَبْصَرَ أو أَخْـ ... ـرَسُ أَضْحَى مُفَوَّهاً مَشْهُورا

هيَ ما قَدْ عَلِمْتَ فاسْلُ ودَعْ عَنْـ ... ـكَ خُرافاتِ قَلْبِكَ التّامُورا

فَمَنْ يَعِشْ سالِماً على الأَرْضِ مَحْبُوراً ... كَمَنْ صارَ تَحْتَها مَقْبُورا

وقُصارَى الحَياةِ لِلْمَوتِ والدُّنْـ ... ـيا تَناسِيْكَ وَقْتَهُ المَقْدُورا

هذِهِ غايَةُ النُّفُوسِ فَلا تَخْـ ... ـشَ سِوَى ذاكَ مَوْعِداً مَحْذُوراً

فاخْلَعِ الآنَ، يا مُحَمَّدُ، لِلنّا ... سِ جَمِيْعاً قَمِيْصَكَ المَزْرُورا

وادَّرِعْ ثَوْبَكَ الخَفِيَّ وبَيِّنْ ... لَهُمُ ثَوْبَ دِيْنِكَ المَذْخُورا

واحْتَمِلْ ما يُقالُ فِيْكَ وإِنْ قِيْـ ... ـلَ: تَزَنْدَقْتَ أو عَبَدْتَ النُّورا

فالصَّحِيْحُ الصَّرِيْحُ أَحْجَى بذي العَقْـ ... ـلِ سَبِيْلاً ومَنْهَجاً مَشْكُورا

إِنْ تَغَطَّيْتَ بِالحُسَيْنِ اعْتِذاراً ... لِلْوَرَى لم تَكُنْ بِهِ مَعْذُورا

ففي هذه الأبياتِ ما يَدُلُّ على أنّه كان قد عُرِفَ عند ابنِ السَّمَيْدَع وأَقْرانِهِ باعْتِقاد مَذْهب أَهْلِ الدَّعْوة الصُّلَيحيّة؛ فلذلك خاطَبَهُ بـ«**الوالد**» يريد: وُلادة الدِّين عندهم. وقال له: «**فَبَدَتْ لي معالِم**». ثمّ قال: «**هي ما قد عرفت**»[١]، فدَلَّ على أنّها هي الباطن. وعلى أنّ قولَهُ: «**كُنْتُ للجَهْلِ قَدِيماً بِغَيرِها مَغْرُورا**» أي: بِرَأْيِ الزّيديّة. ثمّ صَرَّحَ بباطن دِيْنِهِ، فقال: «**هذِهِ غايَةُ النُّفُوسِ**» يعني: الموت. ثمّ قال: «**فلا تَخْشَ سِوَى ذاك مَوْعِداً مَحْذُورا**». ثمّ كاشَفَهُ فقال:

فاخْلَعِ الآنَ، يا مُحَمَّدُ، لِلنّا سِ جَمِيْعاً قَمِيْصَكَ المَزْرُورا

«**وادَّرِعْ ثَوْبَكَ**» الّذي تُخْفِيْهِ تَحْتَهُ «**وإِنْ قِيْلَ تَزَنْدَقْتَ**». ثمّ زاد في المبالغة في ذلك فقال: «**إِنْ تَغَطَّيْتَ بِالحُسِيْنِ اعْتِذاراً**» فأَشاعَ عنه أنّه يَتَظاهرُ بِرَأْيِ الحُسَينيّة، وأنّه ليس بمَعْذُورٍ بِهِ ولا هو رأيه.

فكان هذا خِلافَ قولِ أبي السُّعُود فيه إذا أَحْسَن[٢][١٦١] أبو السُّعُود ﵀ الظَّنَّ به وكاشَفَهُ هذا بما يَكْرَهُ وبما يَعُورُهُ عند إِخْوانِهِ والعامّة مِنَ النّاس، وكان خِلافَ قولِ أبي السُّعُود ﵀ في ابنِ حُمَيْدٍ؛ فإنّه كان ظَهَرَ منه ما لا سبيلَ معه إلى حُسْنِ الظَّنِّ به، مِنْ زِيارةِ المُلُوك وطَلَبِ نائلهم، وأَكْلِ غُصُوبِ النّاس وكثيرٍ ممّا لا يَحِلُّ له. مع ما قد ذَكَرْتُ ممّا رأيتُ ووَقَفْتُ عليه مِنْ كلامِهِ في كُتُبِهِ بخَطِّهِ ممّا هو، كما قال أبو السُّعُود بنُ زيدٍ ﵀: (من مشطور الرَّجَز)

يا بْنَ حُمَيْدٍ راقِبِ اللهَ وتُبْ

واحْذَرْ على نَفْسِكَ مِنْ هذا العَجَبْ

---

(١) في الشّعر: «... علمت».

(٢) قوله: «إذا أحسن» كذا!

واهْجُرْ لَغًى أَوْدَعْتَهُ ضِمْنَ الكُتُبْ[١]

تَدْعُو إلى تَصْدِيْقِ عُبّادِ النُّصُبْ

وقد تَقَدَّم أُنْمُوذجُ ذلك وشَرْواهُ فيما قبل، ولقد كان كافياً شاهداً في هذا حُسْنُ أَخْلاق ابنِ زيدٍ وتَحَنُّنِهِ على المؤمنين ودِفاعِهِ عَنِ الدِّيْن، وتَأَتِّيْهِ واحْتِياله على تَصْحِيح نيّات التّائبين، وتَقْوِية عَزائم الرّاغبين، ورِفْقِهِ بهم، وحُسْن تبصرته لهم؛ أَوَلَيسَ القائلَ في تَنْشِيْط الجَنْبيِّ وتآلُفِهِ للتّوبة[٢]: (مِنَ البسيط)

بَلِّغْ سَلامي فَتًى طابَتْ أَرُوْمَتُهُ ... مِنْ حَيِّ جَنْبٍ كَمِيًّا باسِلاً بَطَلا

ضَخْمَ الدَّسِيْعَةِ فَيّاضَ الشَّرِيْعَةِ لا ... كَزًّا ولا وَرَعاً زُمَّيْلَةً وَكَلا

عَفًّا تَقِيًّا زَكِيًّا طاهِراً وَرِعاً ... غَمْرَ الرِّداءِ أَرِيْباً جَدَّ أو هَزَلا

عافَ الخَطايا وخافَ اللهَ خالِقَهُ ... واسْتَشْعَرَ الحُزْنَ خَوْفَ النّارِ والوَجَلا

وازْوَرَّ عَنْ زُخْرُفِ الدُّنْيا وزِيْنَتِها ... واعْتاضَ مِنْ أَهْلِها أَهْلَ التُّقَى بَدَلا

للهِ دَرُّ فَتًى لم تَرْضَ هِمَّتُهُ ... عَوائِقَ اللَّهْوِ واللَّذاتِ مُشْتَغَلا[٣]

ما ضَرَّ جَنْباً مَعاً لو أَنَّهُمْ دَخَلُوا ... في طاعَةِ اللهِ مَولاهُمْ كما دَخَلا

وإذا كانت هذه أَخْلاقُهُ مع المُبْتَدئين في أَمْرِ الدِّين، ومع المُتَوَلِّين عنه المُعْرِضين، فقد ظهرتِ الدّلالةُ بأنّ ما كان منه، فيما أَجابَ به ابنَ حُمَيْدٍ، كان عَنْ كُرْهٍ مِنْهُ، وبَعْدَ أَنِ اضْطَرَّهُ بَغْيُهُ على المسلمين وعُدْوانه على الله ربّ العالمين، إلى أَنْ دافع عَنْ دِيْنِهِ وإِخْوانِهِ دِفاعاً وجاهَدَ جهاداً. وكان رحمه الله في طبقةٍ رفيعةٍ مِنَ الإِيْمان فغَلَبَ على اعْتِقادِهِ، ولم يكن له سبيلٌ

---

(١) اللَّغَى كالفَتى: السَّقْط وما لا يُعْتَدّ به مِنْ كلامٍ وغيره؛ التّاج: (ل غ و).

(٢) في المخطوط: «للتوابة» بزيادة الألف.

(٣) في المخطوط: «عواتق» ولا معنى له.

في الوقت إلى غيرِ ما قال إلّا ما كان في قَلْبِهِ، وحَسْبُك من الشّهادة له بها قلتُ قول النَّبيِّ، صلّى الله عليه وآله: «**أَوْثَقُ عُرَى الإِيْمان الحُبُّ في الله والبُغْضُ في الله**»(١).

وهذا الخَبَرُ لا يَتَهَيَّأُ دَفْعُهُ لوَجْهين، **أَحَدُهما**: تَصْدِيقُ كتابِ الله لَهُ، وذلك قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١] وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾الآية[المجادلة:٢٢]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾الآية[التّوبة:٧١].

والثّاني: أنّ هذا الخبرَ كالمُتَواتر لشدّة شُهْرَتِهِ بين أَهْلِ الحديث وكَثْرَة رُواتِهِ وفَضْلِهم؛ إِذْ قد جاءَ مِنْ طريقِ أبي إسحاق الهَمْدانيِّ عَنْ سُوَيد بن[١٦٢] غَفْلَةَ عَنْ عبد الله بنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبيِّ، صلّى الله عليه. ومِنْ طريقِ ابنِ فُضَيْلٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ عَمْرو بنِ مرّةَ عَنِ البراء بنِ عازبٍ عَنِ النَّبيِّ، صلّى الله عليه. ومِنْ طريقِ عبد الله بنِ خِراشٍ عَنِ العَوّامِ عَنْ بعض أَشْياخه عَنِ النَّبيِّ، صلّى الله عليه وآله. ومِنْ طريقِ داودَ بنِ أبي عوفٍ عَنِ البَخْتَريّ(٢). ومِنْ طريقِ أبي اليَسَعِ المكفوفِ عَنْ عمرِو بنِ مُرَّةَ عَنِ النَّبيِّ، صلّى الله عليه وآله.

ومِنْ مَراثي أبي السُّعُود رحمه الله لإِخْوانِهِ قولُهُ: (مِنَ الكامل)

آهٍ على عَمْرٍو وإِبْراهِيمَ ما ... أَحْمَى أَسَى ما أَوْرياهُ وأَحْمَسا
آهٍ على مَطَرَيْ نَدًى قَمَرَيْ هُدًى ... كانا إذا غَلَسُ الظَّلامِ اعْلَنْكَسا

ثمّ يقول: (مِنَ الكامل)

مِحْياءَ لَيْلٍ حِيْنَ يَعْتَكِرُ الدُّجى ... يَدْعُو عَظِيْماً لا يَزالُ مُقَدَّسا

---

(١) مسند أبي داود الطَّيالسيّ: ١١١/٢.

(٢) في المخطوط: «البحتري» بالحاء المهملة، برسم علامة الإهمال تحت الحاء المهملة، وهو خطأ.

صَلْتَ الحَصاةِ مُناضِلاً عَنْ دِينِه ... مُرْدٍ لأَشْياخِ الجَهالَةِ مِرْدَسا[1]
أَخَوَيَّ لَنْ أَلْتَذَّ بَعْدَكُما الكَرَى ... حَتَّى أَرَى عَلَمَ الضَّلالِ مُنَكَّسا
وأَرَى سَحائِبَ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ... بالمَشْرَفِيَّةِ والأَسِنَّةِ رُجَّسا[2]
مَعَ ثائِرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ... يَطَأُ العِدَى بِالعَدْلِ وَطْأً مِلْطَسا[3]

ثمّ قال: (مِنَ الكامل)

رَبِّ انْتَصِرْ لِلْمُسْلِمِيْنَ فَطالَما ... قالُوا: لَعَلَّ، وطالَما قالُوا: عَسَى
وأَقِمْ مَعالِمَ دِيْنِكِ العَدْلِ الّذي ... أَضْحَتْ مَعالِمُهُ دَواثِرَ دُرَّسا
وارْحَمْ أَحِبَّتِيَ الّذِيْنَ رُزِئْتُهُمْ ... واغْفِرْ لَهُمْ، وقِهِمْ جَهَنَّمَ مَحْبَسا

وهذه طريقةٌ طالما رَكِبَها في أَشْعارِهِ، مِنْ ذلك قولُهُ: (مِنَ البسيط)

والحَمْدُ للهِ مَرْجُوًّا وأَسْأَلُهُ ... لِلْخَلْقِ دَوْلَةَ حَقٍّ تَبْهَرُ الدُّوَلا
حَتَّى أَرَى في نَواحي الأَرْضِ قاطِبَةً ... لِلْعَدْلِ طَلْعَةَ نُوْرٍ طالَما أَفَلا

وقوله في الأُرْجُوزة: (من مشطور الرَّجَز)

يا لَهْفَ نَفْسي واضْطِرامَ وَجْدي
على القَنا السُّمْرِ وبِيْضِ الهِنْدِ
ومُقْرَباتٍ كالسَّعالي جُرْدِ
يَحْمِلْنَ أَبْطالاً كَمِثْلِ الأُسْدِ

❊

(١) في المخطوط: «مُرْدِي لأشياخ ...» بإثبات الألف المقصورة.
(٢) **الرُّجَّس**: مِنْ قولهم: رَجَسَتِ السَّماءُ تَرْجُسُ رَجْساً، إذا رَعَدَتْ شَديداً وتَمَخَّضَت؛ التّاج: (ر ج س).
(٣) **المِلْطَس** والمِلْطاس: الخُفُّ أَو الحافِرِ الشّديد الوَطْء، والحَجَر الضّخم يُدَقّ به النّوى؛ اللّسان والتّاج: (ل ط س).

فِي جَحْفَلٍ ذي لَجَبٍ جَرّارِ
بَيْنَ يَدَيْ مُهَذَّبٍ مِغْوارِ
مُحَمَّديٍّ ساطِعِ الأَنْوارِ
يَثْأَرُ لِلْحَقِّ بِذي الفِقارِ

وهي طريقةُ كثيرٍ مِنَ الصّالحين، ومن يَتَوالى آلَ رسول الله، صلّى الله عليه وعليهم؛ قال دِعْبِلٌ[١٦٣][١]: (من الطّويل)

فَلَوْلا الّذي أَرْجُوْهُ في اليَوْمِ أو غَدِ ... تَقَطَّعَ قَلْبي إِثْرَهُمْ قِطَعاتِ
خُرُوجُ إمامٍ لا مَحالَةَ ثائِرٍ ... يَقُومُ على اسْمِ اللهِ والبَرَكاتِ

وقال سليمانُ بنُ يزيدَ العَدَويُّ: (منَ البسيط)

حَتَّى مَتَى لا نَرَى عَدْلاً نُسَرُّ بِهِ ... ولا نَرَى لِدُعاةِ الحَقِّ أَعْوانا

ومِنْ مَحاسنِ تَعاليمِهِ وحِكَمِهِ قولُهُ: (منَ البسيط)

ابْدَأْ مِنَ العِلْمِ بِالتَّوحِيْدِ مُجْتَهِداً ... في عِلْمِهِ تَعْرِفِ الأَقْوالَ والمِلَلا
حَتَّى إذا اطَّرَدَ التَّوحِيْدُ مُنْبَسِطاً ... في القَلْبِ مِنْكَ وأَجْنَى غَرْسُهُ وحَلا
فاعْرِفْ مِنَ الفِقْهِ حَظًّا تَسْتَضِيءُ بِهِ ... وحاذِرِ العَجْزَ والتَّفْرِيْطَ والكَسَلا
مَنْ لَمْ يُعاوِدْ نِضالاً ثُمَّ ناضَلَهُ ... مُعاوِداً ذاتَ يَوْمٍ جَهْرَةً نُضِلا[٢]

ومِنْ حِكَمِهِ ومَواعظه قولُهُ: (منَ البسيط)

لا تَرْكَنَنَّ إلى الدُّنْيا فَكَمْ خَدَعَتْ ... مِنْ مُتْرَفٍ آثَرَ التَّسْوِيفَ والأَمَلا
كَمْ مَعْشَرٍ لَبِسُوا الدِّيْباجَ واتَّخَذُوا ... مِنْ فاخِرِ الوَشْيِ في الدُّنْيا لَهُمْ حُلَلا

---

(١) شعر دعبل: ٨٦–٨٧، البيتان: ٤٤–٤٥، من تائيّته الكُبرى.

(٢) في المخطوط: «معاودِ ذات...» مع ظهور الف صغيرة بعد الدّال المهملة.

بَيْنا تُغَنِّيهِمُ القَيْناتُ إِذْ طَرَقَتْ أُمُّ اللُّهَيْمِ فَصاحَتْ آهِ أو أَلَلا[١]

وقوله: (منَ الكامل)

للهِ دَرُّ الصَّبْرِ في الكُرُباتِ ما أَحْلى عَواقِبَ مُجْتَناهُ وأَنْفَسا

وقد كان أبو السُّعُود بنُ زيدٍ رَحِمَهُ اللهُ لَحِقَ بالزّيديّة، وأقام بسَناع يُدارِسُ ويُدَرِّسُ العُلُومَ حتّى كان لرُجُوعِهِ إلى جَهْران وقَتْلِهِ بها سببٌ أنا ذاكِرُهُ على ما بَلَغَني؛ أَخْبَرَني يحيى بنُ يوسفَ العَنْسيُّ، وكان مِنْ أَزْكى مَنْ رأيتُهُ في زماننا اعْتِقاداً ونَظَراً وتَمْييزاً وقَصْداً لله تعالى والدّار الآخرة في عِلْمِهِ وعَمَلِهِ في فِتْيان الزّيديّة وأَحْداثهم، بَحّاثاً عنِ العُلُوم، مُسْتَقْصِياً في نَقْد الأَخْبار والمُخْبرين ونحو ذلك، وَرِعاً عَفِيْفاً= فأَخْبَرَني عَنْ ثِقاتِهِ مِنْ مَشائخ الزّيديّة ببلادِهِ قال: كان أبو السُّعُود بنُ زيدٍ رَحِمَهُ اللهُ مُتَهاوناً بالعَمَلِ للقُوتِ، والاحْتِراف للعَيْش حتّى أَتَى على النّاسِ زمانٌ شديدُ القَحْط والحاجة، وكانت له أُخْتٌ مِنْ غيرِ أُمِّهِ بجَهْران، وهي يومئذٍ جاريةٌ صغيرة عند أُمِّها، فخرجتْ في أوّل اللّيل إلى بعض أَهْلِها -أو جيرانها- لحاجةٍ قدِ اضْطَرّتها، فلم ترجِع إلى أُمِّها، فلمّا استنكرتْ لَبْثها بَحَثَتْ عَنْ خبرها مِنْ حيثُ يُمْكِنُها فلم تُخْبَرْ بشيءٍ، وخَفيَ أَمْرُها، فبعثتِ المَرأةُ إلى أبي السُّعُود تَسْتَنْهِضُهُ لذلك، فأقبل حتّى بَحَثَ وأَجادَ الفَحْصَ عَنْ خَبَرِ هذه الأُخْت، فأُخْبِرَ أَنّها بِيْعَتْ إلى نواحي أَرْضِ حاشِد ووُصاب[٢] وتلك الأَعْمال، فسار حتّى أَخَذَها، وأَحْسِبُهُ افْتَداها بشيءٍ.

قال: وكان في النّاس رَجُلٌ ذو نِعْمَةٍ وسَعَة مالٍ، يُريدُ محبّةً وأُخُوَّة، ويَسْأَلُهُ أَلّا يَعْدِلَ بحَوائِجِهِ عنه، ولا يَكادُ يترك ذلك[١٦٤] وإعادَتَهُ لسُؤالِهِ طلبَ الحاجةِ منه، فلمّا مَرَّتْ بأبي السُّعُود هذه الضِّيْقة، واحتاج إلى شيءٍ يُنْفِقُهُ ويقضي به دَيْنَهُ وما تَكَلَّفَ في سَفَرِهِ ذلك مِنَ

(١) **أمّ اللُّهَيم**: الدّاهية والمَنيّة. **والأَلَل**: الصّوت.

(٢) قوله: «حاشد ووصاب» كذا!

المَغارم أَتَى إلى هذا الرَّجُلِ فذكر له حاجته، وسأَلَهُ ما كان يُكْرِمُ نفسَهُ عَنْ طَلَبِهِ إليه وتَعَذُّرِهُ فيه مِنْ قبلُ ويَتَعَفَّف عنه، فأَحْسِبُهُ قال: أَتاهُ بمِكْيالِ طعامٍ أو نحو ذلك، فلم يَرَ بُدًّا مِنْ أَنْ يقبلَهُ حَياءً وتَواضُعاً ورَفْضاً للكِبْر، وأنّه لـمّا صار إلى هذه الحال لم يَرَ بُدًّا مِنَ القيام بعَمَلِ أَرْضٍ كانت له بجَهْران، فأَقْبَلَ على حَرْثِها وعِمارَتها فإذا فَرَغَ لَحِقَ بإِخْوانِهِ، إلى أَنْ صادَفَهُ عَدُوَّا الله الجَنْبِيّان اللَّذان قَتَلاهُ بجَهْران.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ أَحَدُ شيوخ الزّيديّة في العَصْر بوَقَش، قال: حدّثنا محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ رَحِمَهُ اللهُ، وأَخْبَرَني محمّد بن سلمان المعروف عندنا بالبَكِيلِيّ، وهو مِنْ أَهْل خِدار مِنْ أَرْض سَنْحان، وهو مِنْ فِتْيان الزّيديّة الصّالحين، وطُلّابِ العِلْم الصّابرين، أَحْسِبُهُ قال عَنِ الشّيخ منصورِ بنِ موسى المعلّم بسَحقان مِنْ مَسْوَر بني عبد الحميد، وهو أَحَدُ شُيُوخ الدِّيْن والعِلْم رَحِمَهُ اللهُ قالا: قَدِمَ أبو السُّعُود بنُ زيدٍ رَحِمَهُ اللهُ شِبام في أيّام سليمانَ بنِ عامرٍ الزَّواحيِّ أيّامَ عِمارتها وبها مِنْ أَهْل الدّعوة الصُّلَيحيّة مَنْ لَهُ عِلْمٌ بكُتُبُهم ودَعْوى في المعرفة بكثيرٍ مِنَ العُلُوم، ممّن له قَدْرٌ وشَرَفٌ في الدّولة وعند أَهْلِ صَنْعاء، وهم يومئذٍ بها، نحو: عليِّ بنِ الحسين بن أبي الأمان بن سُمير المُتَطَبِّب، وإبراهيم بن أبي سلمة بن الوليد، [و][1] عبد الله بن سُمير المُتَطَبِّب، والحسين بن أحمد بن إبراهيم بن أيّوب المعروف بالقِدَيدة المُنَجِّم، الصّنعانيّين وغيرهم. وكذلك كان بها مِنَ الزّيديّة نَفَرٌ كثير.

فأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمدَ في حديثِهِ قال: اجتمع أبو السُّعُود بن زيدٍ وعليُّ بنُ الحسنِ بنِ سُمير المُتَطَبِّب، فجَرَى بينهما كلامٌ ومُناظرةٌ وسُؤالاتٌ وأَجْوبةٌ في عُلُومٍ كثيرةٍ، فكان مِنْ ذلك عِلْم اللُّغَة قال: فأَجابَ أبو السُّعُود بنُ زيدٍ ابنَ سُمير عَنْ مسائلِهِ، وسَأَلَهُ عَنْ مسائلَ فلم يجبْ منها بشيءٍ في نَحْوٍ ولا غَرِيبٍ ولا ما يتعلَّقُ بذلك، فكَلَّمَهُ في العَرُوضِ وعِلْم

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين زيادةٌ يتحوّجها سياق الخبر.

أَوْزان الشِّعْر وقَوافِيْهِ فوَجَدَهُ عالماً بذلك. وكان المُتَطَبِّب يرى رأيَ الباطنيّة، ويُعْجَبُ بما جاء عَنِ الزَّنادقة والفَلاسفة، فربمّا يَحْتَقِرُ الزّيديّة، فلمّا رَأى أبا السُّعُود مُتَبَحِّراً كَلَّمَهُ في الحسابِ وعِلْمِ النُّجُومِ والأَفْلاك، وقال: أمّا هذا فليس مِنْ فَنّكم يا معشر الزّيديّة! فلمّا كَلَّمَهُ كان أبو السُّعُود يُجِيبُهُ في الحساب عمّا يَسألُ، ويسأَلُهُ فلا يجيب. فكَلَّمَهُ في الطِّبِّ فأَجابَ أبو السُّعُود فأصاب. فقال: أمّا القراءة[1] والفِقْهُ فلا أُكَلِّمُكَ في ذلك لأنّه فَنُّكُم الّذي تَدْرُسُون[١٦٥].

ثمّ كَلَّمَهُ في الأُصُولِ مِنْ الدِّين فقال: أنتم تقولون الأَشْياء على ثلاثةٍ، والأَشْياءُ أربعةٌ: اللهُ والجَوْهرُ والجِسْمُ والعَرَض. قال أبو السُّعُود: فهل لهذه الأشياء حقائقُ تُعْرَفُ بها؟ قال: نعم. قال: فأَخْبِرْني بحقيقةِ كُلِّ واحدٍ منها؟ قال: اللهُ واحدٌ لا يَتَجَزّأُ ولا يَتَبَعَّض في حِسٍّ ولا وَهْم، موجودٌ وإِنْ عُدِمَ ما سِواهُ مِنَ النَّظيرِ والقَرينِ والمَثِيل. قال: فما حقيقةُ الجِسْم؟ قال: يكون طويلاً عريضاً عميقاً مُتَّجِهاً؛ أي: مُتَناهياً مِنْ جِهاتٍ سِتٍّ. قال: فما حقيقةُ العَرَض؟ قال: أَنْ يكون قائماً بغيرِهِ مَعْلُوماً. قال: فما حقيقةُ الجَوْهَر؟ قال: مُتَحَيِّزٌ. ولم يُجِرْ جَواباً. وقال: أَبَيْتَ إِلّا مِنْ كُلِّ جانبٍ. أيّ: تَغْلِبني مِنْ كُلِّ جانب. قال: إنْ قلتَ إنّه واحدٌ فهو الله. وإن قلتَ: طويلٌ عريضٌ عميقٌ مُتَناهٍ، فهو جسمٌ. وإِنْ قلتَ: قائمٌ بغيرِهِ بخلاف الجِسْمِ فهو عَرَضٌ. فلمّا لم يجد له حقيقةً رابعةً انْقَطع، وأَلْحَقَهُ بقَبِيل الجِسْم.

وقد كنتُ أنا سمعتُ هذا الخَبَرَ مِنْ محمّد بن إبراهيم إلّا أنّي كتبتُهُ عَنْ زيدٍ لبُعْدِ عَهْدي بسَماعِهِ، وشَكّي في بعضِ أَلْفاظه.

وذَكَرَ محمّدُ بنُ سلمان في حديثِهِ أنّ هذا كان بين يَدَيْ سليمانَ بنِ عامرٍ الزَّواحيِّ، وأنّ هذا المُتَكَلِّمَ مع أبي السُّعُود بنِ زيدٍ والمُجادِلَ لَهُ كان قد أَكْثَرَ الافْتِخارَ بعِلْمِهِ، فقال سليمانُ: إنّ في مُتَكَلِّمي الزّيديّة مَنْ يَقْطَعُك، وسأُرِيكَ ذلك. ثمّ أَمَرَ خَدَمَهُ بطَلَبِ مَنْ في

(١) رسم في المخطوط: «القراه» ويحتمل أن يُقرأ: «القرآن» لملاءمة ما بعده.

المدينة مِنَ الزّيديّة فأتَوهُ بأبِي السُّعُود بنِ زيدٍ، فلمّا سألَهُ مُناظرَةَ ذلك المُفْتَخِرَ، قال: أنا مِنْ بعضِ مُتَعَلِّمي الزّيديّة، فإنْ طَلَبْتَ الكلامَ مع العُلَماءِ تَقَدَّمَ إلى وَقَش. قالوا: ناظِرْهُ بما عندك. ففَعَلَ فكان ما كان.

ومِنْ شِعْرِ أبي السُّعُود بنِ زيدٍ الّذي خاطَبَ به إخْوانَهُ، ما كَتَبَ به[1] إلى شُرَيح بنِ أَسْعَدَ الشِّهابِيِّ رَحَمَهُ اللهُ يَذْكُرُ مَرَضاً أصابَهُ وشَغَلَ قَلْبَهُ بذلك، وكان لشُرَيحٍ مَحَلٌّ عند الزّيديّة عظيمٌ لفَضْلِهِ؛ وهو قولُهُ: (مِنَ الوافر)

أَبا قَطَنٍ، حُمِمْتَ فَحُمَّ قَلْبي ... وكِدْتُ أَذُوبُ وَجْداً واكْتِئابا
فَلَمّا أَنْ عَدَتْ عَنْكَ العَوادي ... جَفا طَعْمُ الكَرَى جَفْني وغابا[١٦٦][2]
وُصُولي لِلسَّلامِ عَلَيْكَ فَرْضٌ ... يُبَوِّئُني مِنَ اللهِ الثَّوابا
وحَقِّكَ لا يَقُومُ بِهِ كِتابٌ ... ولو حَبَّرْتُ كُلَّ غَدٍ كِتابا
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تَضْنَى سِقاماً ... وتَفْتَقِدَ الأَحِبَّةَ والصِّحابا
وأَنَّ المُسْلِمِينَ بِكُلِّ فَجٍّ ... وأَرْبابَ الهُدَى غَرْثَى سِغابا
يُسامُونَ الدَّنِيَّةَ والعَذابا ... ويُعْتَمَدُونَ عَضْهاً واغْتِيابا[3]
كَفَى بِفِراقِ يَوْمٍ بَلْهَ شَهْرٍ ... فَكَيْفَ الدَّهْرَ نَأْياً واغْتِرابا
ولكِنَّ الوِدادَ، وإِنْ أَلَمَّتْ ... بِنا حُرَقُ البِعادِ، صَفا وطابا[4]

---

(١) كرّر في المخطوط: «به».

(٢) قوله: «عدت» كذا بالمخطوط.

(٣) **العَضْهُ**: النَّمِيمة.

(٤) قوله: «ألمت» يحتمل أن يُقرأ «ألفت» لوجود نقطة فوق الحرف الّذي يحتمل أن يكون ميما، غير أنّ سياق الكلام لا يقبله. وفي المخطوط أيضا: «البَعاد» بفتح الباء؛ وفي التّاج (ب ع د): يُقال: «البُعْد، بضمٍّ فسكون، والبِعاد، بالكسر».

وُدادُكَ قُرْبَةٌ لي عِنْدَ رَبِّي ... فَلا غِشًّا يُخافُ ولا انْقِلابا
وحُقَّ لِمَنْ زَكا عَقْلاً ودِيْناً ... كَمِثْلِكَ واحْتَوَى الحَسَبَ اللُّبابا
وبَذَّ الأَكْرَمِيْنَ نَدًى وجُوْداً ... وأَعْرافاً وأَخْلاقاً عِذابا
وحامَى عَنْ هُدَى الهادي وناوا ... مُناوِئِهِ ولم يَعْدُ الصَّوابا[1]
وعَدَّ الأَكْرَمِيْنَ بَني شِهابٍ ... لَهُ حِبًّا وعَدَّ أَبا شِهابا
ووَسَّطَ في ذُرَى كَهْلانَ بَيْتاً ... يُوازِذي النَّجْمَ عِزًّا وانْتِصابا
حَرٍ مَنْ كانَ مِثْلَكَ في عُلاهُ ... وحِيْداً أَنْ يُحاطَ وأَنْ يُهابا
وتُبْتَذَلَ النُّفُوسُ لَهُ فِدًى ... وتُجْعَلَ دُوْنَ مُهْجَتِهِ حِجابا
حَمِدْتُ اللهَ إِذْ عافاكَ مِمّا ... عَراكَ مِنَ السِّقامِ وما أَصابا
وإِذْ أَبْقاكَ لِلإِسْلامِ حِصْناً ... أَشَمَّ لأَهْلِهِ ولِمَنْ أَنابا
ولو أَنِّي تَقِيْكَ السُّقْمَ نَفْسِي ... إِذَنْ لَبَذَلْتُها عَنْكَ احْتِسابا
وخِلْتُ وأَنْتَ مَوْعُوْكٌ بِأَنِّي ... أُواري أَهْلَ مَنْزِلِيَ التُّرابا
لِذلِكَ لم أَعِدْكَ ولا يَمِيْناً ... ولا اسْطَعْتُ المَجيءَ ولا الذَّهابا
فَأَحْسِنْ فِيَّ ظَنَّكَ كُلَّ حِيْنٍ ... ولا يُشْعِرْكَ خاطِرُكَ ارْتِيابا
بِنَفْسِي أَنْتَ مَنْ نَدْسٍ دَعَتْهُ ... إِلى التَّقْوَى الشَّرِيْعَةُ فاسْتَجابا[2]
ونافَسَ في عُلُومِ بَني عَلِيٍّ ... وشِيْعَةِ جَدِّهِمْ باباً فَبابا
عَلِمْتَ كَرُمْتَ دِنْتَ بِدِيْنِ يَحْيَى ... وشايَعْتَ الشَّرِيْعَةَ والكِتابا

---

(١) **ناوا**: أي ناوَأَ، وسهّل للضّرورة الشّعريّة.
(٢) **النَّدْس**: الفَطِن.

عَلَوْتَ وما أَلَوْتَ النُّصْحَ قَوْماً أَبَوا إلّا الوَقِيْعَةَ والسِّبابا
فلا عَدِمَتْكَ كِنْدَةُ لَيْثَ حَرْبٍ وظُفْراً دُوْنَ حَوْزَتِها ونابا
تَحُوطُ ذِمارَها وتَذُبُّ عَنْها وتَنْصِبُ للعُلى فِيْها قِبابا[١٦٧]
ولا عَدِمَتْكَ شِيْعَةُ آلِ طَهَ تَكَلَّفُ دُوْنَها الكُلَفَ الصِّعابا
ومُضْطَغِنٍ عَلَيْكَ دَوٍّ، حَشاهُ مِنَ البَغْضاءِ يَلْتَهِبُ الْتِهابا(١)
رَجاءً أَنْ أَكُونَ لَهُ ظَهِيْراً فَضَلَّ رَجاؤُهُ عَنْهُ وخابا
فَقُلْتُ لَهُ: رُوَيْدَكَ لا شُرَيْحاً، بِفِيْكَ الصَّخْرُ، ذُقْ شَرْياً وصابا(٢)
أَأَمْذُقُ وُدَّ ذي التَّقْوَى شُرَيْحٍ وأُصْفِي الوُدَّ خِبًّا مُسْتَرَابا(٣)
تَنَكَّبَ عَنْ طَرِيْقِ الحَقِّ لَمّا رَأَى أَعْلامَهُ أَضْحَتْ خَرابا
وراقَبَ قَلْبُهُ دُنْيا أُناسٍ فَآثَرَها ولم يَخْشَ العِقابا
مَعاذَ اللهِ لا أَنْسَى شُرَيْحاً ولا أَنْسَى لَهُ المِنَنَ الرِّغابا
ولا أُصْفِي مُعادِيَهِ وُداداً وإِنْ بَذَلَ الرَّغائِبَ لِي ثَوابا
شُرَيْحٌ ناصِرِي وضِياءُ قَلْبِي ومُعْتَمَدِي إذا ما الخَطْبُ نابا
فَمَنْ يُغْضِبْ أَبا قَطَنٍ يَجِدْنِي وأَهْلَ الحَقِّ كُلَّهُمُ غِضابا
ومَنْ يُحْبِبْهُ أَصْطَفِهِ مُحِبًّا وإِنْ بَعُدَتْ قَرابَتُهُ انْتِسابا

---

(١) **الدَّوِيّ**: من قولهم: دَوِيَ صدرُهُ، أي: ضَغِن؛ التّاج: (د و ي).

(٢) قوله: «**بفيك الصّخر**»: يُقال لمن يتكلّم بغير الحقّ، دعاءٌ على طريق التّكذيب **والشَّرْي**: الحَنْظَل. **والصّاب**: عُصارة شَجَرٍ مُرٍّ.

(٣) في المخطوط: «حبا» بالحاء المهملة، وتحت الحاء علامة الإهمال، ولكن المعنى لا يتّجه بها. **وأَمْذُق الوُدّ**: أي لا أُخلصُهُ. **والخِب**: المخادع

فَثِقْ مِنِّي أَبا قَطَنٍ بِهذا ... ولا تُوْحِشْكَ رِيْبَةُ مَنْ أَرابا

فَإِنَّ البِرَّ لِي خُلُقٌ قَوِيٌّ ... صَحِبْتُ بِهِ الكُهُولَةَ والشَّبابا

وأَفْضَلُ مَنْ يُجِيْبُ فَتًى إذا ما ... دَعَوْتَ إِلَيْهِ في البَلْوَى أَجابا

وإِنْ أَوْلَيْتَهُ حُسْناً رَعاهُ ... وإِنْ يَوْماً أَسَأْتَ بِهِ تَغابَى

وإِنْ أَوْلاكَ مَعْرُوفاً كَماهُ ... وإِنْ زَلَّ اسْتَقالَ رِضًا وتابا[١]

ويَهْوَى ما هَوِيْتَ لَهُ ويَأْبَى ... ويَشْنَا ما تُساءُ بِهِ ويأْبى[٢]

فَذلِكَ فاتَّخِذْهُ خَلِيْلَ صِدْقٍ ... وأَلْطِفْهُ إذا عَثَرَ العِتابا

وخُذْ بِالنُّصْحِ أَحْمَدَ واسْتَغِيْهِ ... وخَوِّفْهُ مِنَ اللهِ العِقابا[٣]

وذَكِّرْهُ أَيادِيَهِ اللَّواتي ... تَعَوَّدَها وقَلَّدَها الرِّقابا

فَإِنَّ الجَرْحَ يَبْرَأُ بَعْدَ يَأْسٍ ... وعَلَّ لَهُ، ولا يَدْري، إِيابا

أَتَحْسِبُ عاقِلاً يَخْفَى عَلَيْهِ ... طَرِيْقَةُ مَنْ أَقالَ ومَنْ أَصابا[٤]

عَمٍ مَنْ ظَنَّ أَنَّ اللهَ يُوتي ... ويَسْتَرْعِي رَعاياهُ الذِّئابا

فَدُمْ في هذِهِ الدُّنْيا عَزِيْزاً ... ويوم الفَوْزِ مَحْبُوراً مُثابا

تمّت[١٦٨].

---

(١) كَماهُ: من الكَمَهِ، وهو: العَمَى؛ أي أنّه يَتَعامى عمّا أسدى من معروفٍ فلا يراهُ ولا يذكره.

(٢) يشنا: أي يشنأُ، وسهّل للضّرورة الشّعريّة.

(٣) استغيه: من قولهم: سَغَى الشّراب في الحَلْق، مقلوب ساغ إذا سُهِّل؛ التّاج: (س غ ي).

(٤) في المخطوط: «أفال» بالفاء، والمعنى غير متّجه.

شُرَيحُ بنُ أَسْعَد

هو شُرَيحُ بنُ أَسْعَدَ الشِّهابيُّ.

أُخْبِرْتُ أنّه مِنَ العباديّين منهم أَهْلُ بيت سبطان، وصَحَّ ذلك لي.

وأَخْبَرَني يحيى بنُ يوسفَ العَنْسيُّ[1] أنّه كان يَحلُّ[2] خَشْرات[3] أو ناحية قريبة مِنْ خَشْرات، ذَهَبَ عَنِّي أنا تحقيقُ ذلك.

وشُرَيْحٌ أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة السَّناعيّة الموقّرين، وعلمائها المُقَدَّمين، وله أَدَبٌ وفَصاحَةٌ وشِعْرٌ وفِقْهٌ ووَرَعٌ وزُهْدٌ معروفٌ بين إِخْوانِهِ.

أَخْبَرَني أَسْعدُ بنُ أحمدَ التَّنْعُميُّ، رَجُلٌ كان مِنَ أَهْلِ تَنْعُمَة من مشارق خَوْلان العالية، له خِبْرَةٌ ومعرفةٌ بالشِّيْعة وأَخْبارِهم، وكان له أهلٌ لهم بهم خُلْطَة= قال: كان شُرَيحُ بنُ أَسْعد لا يزال يُنشد: (من مشطور الرَّجَز)

الدَّيْنُ صَعْبٌ عَسِرٌ لَحُوقُهْ
يُهِمُّهُ النَّذْلُ ولا يُطِيْقُهْ

وكان رحمه الله -فيما بَلَغَني- حَسَنَ النَّظَر لنَفْسِهِ وإِخْوانِهِ ودِيْنِهِ، يَضَعُ الأَشْياءَ في مواضِعِها، لا يَتَكَلَّفُ ما أَسْقَطَهُ اللهُ عنه، ولا يُفَرِّطُ فيما أَلْزَمَهُ إِيّاهُ، مُسْتقيمَ الطّريقة مُجْتَهِداً فيما يجبُ فيه الاجْتِهاد.

---

(١) في المخطوط: «العبسي» بباءٍ موحّدةٍ من تحت، والصّواب ما أُثبت لتكراره على الصّواب مرّات عدّة.

(٢) قوله: «يحل» يحتمل أن يُقرأ: «بحد»..

(٣) قوله: «خشرات» آخره تاء مثنّاة من أعلى.

أَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ عبد الفاضلِ بنِ يحيى العُبَيْديُّ المَدَريُّ رَحِمَهُ الله، وقد ذَكَرْتُ مَعْرفتي بفَضْلِهِ في غيرِ موضعٍ، قال: خَرَجَ شُرَيحُ بنُ أَسْعَد مُسافراً في شهر رمضان إلى ناحيةٍ مِنْ أَرْضِ عَنْس، فصَحِبَهُ غُلامٌ مِنْ فِتْيان الزّيديّة المجتهدين في عِبادة الله، فلمّا صارا بحيثُ يَجُوزُ لهما الإِفْطارُ مَرَّا بماءٍ، فأَخَذَ منه شُرَيحٌ شيئاً وعَدَلَ عَنِ الطّريق إلى حيث يَتَوارَى، والغُلامُ معه، ثمّ وَضَعَ سُفْرَةَ زادِهِ وقال للغُلام: كُلْ. فكأَنَّهُ ارْتاعَ، وقال: آكُلُ في رمضان مِنْ غيرِ تَعَبٍ ولا مَشَقّة، وأنا أَقْوَى على الصِّيام؟ قال: يا بُنيَّ، إنّ الله سبحانه لم يُتَعَبَّدْ بالشّيءِ يَزْدادُ به مُلْكاً، ولا يخاف بتَرْكِهِ في مُلْكِهِ نَقْصاً، وإنّما طَلَبَ لنا النَّفْعَ[١٦٩] بذلك لا لَهُ، ولم يُكَلِّفْناهُ إلّا على ما يَسْهُل بنا ويَخِفُّ علينا لتَسْلَمَ أَنْفُسُنا مِنْ سُرْعَة الهَلَكَة، ويَتَطاولُ لنا البَقاءُ في الطّاعة كي نُصِيبَ بذلك سَعَةَ الآخرة وعظيمَ الفَضْل عنده؛ وهو يَقولُ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:١٨٥] في كلامٍ نحو هذا. فأَبَى الغُلامُ أَنْ يأكلَ، وأَكَلَ شُرَيحٌ وشَرِبَ في يومه ذلك، وفَعَلَ مثلَ ذلك في اليوم الثّاني، والغُلامُ صائمٌ، فلمّا وَصَلا بلادَهما مَرِضَ الغُلامُ الشَّهْرَ كُلَّهُ فأَفْطَرَهُ مريضاً، ومَرِضَ بَعْدَهُ زَماناً، وقضى شُرَيحٌ حَوائِجَهُ ورَجَعَ إلى سَناع، فلمّا دَخَلَ شَوّالٌ وانْقَضَتْ أيّامُ العيد فيه صامَ عِدّةَ ما كان أَفْطَرَ؛ فكانتْ هذه عِظَةً يَتَزاجَرُون بها عَنْ كَراهيةِ التَّوَسُّع فيما وَسَّع الله على عِبادِهِ، ويَرُون أنّه ربّما أُتيحَ لمن أَبَى رُخَصَ الله الّتي رَحِمَ بها خَلْقَهُ ما يَنْدَمُ منه.

وكذلك سمعتُ مِنْ بعضِ إِخْواني في العَصْرِ، وهو الحسين بن محمّد القَهْميُّ ببلادنا، قال: لو عَلِمَ اللهُ تَكْلِيْفاً يَصْلُحُ لهذه الأُمَّة، ويكون أَقْرَبَ إلى سَلامَتها مِنَ الهَلَكَة في دِيْنها ودُنْياها غيرَ ما تَقَرّرتْ به هذه المِلَّةُ، وجاءَ في كتابِ الله وسُنّةِ رسولِ الله، صلّى الله عليه، مِنْ ذلك= لأَخَذَهم به وكَلَّفَهُم إِيّاهُ. وما رأيتُ أَحَداً تَكَلَّفَ فوق ما كَلَّفَهُ الله تعالى مِنْ عِبادته في طُهُورٍ أو صَلاةٍ أو صَومٍ أو عَمَلٍ مِنْ أَعْمالِ الدِّيْن، وكَرِهَ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْ نفسِهِ ما

خَفَّفَ اللهُ عنه إلّا نَدِمَ، وصارَ يَتَمَنَّى أَنْ يَعودَ له ما لم يَكُنْ رَضيَ به مِنْ قَبْل مِنْ عَمَلِهِ.

قلت أنا: وهذا ممّا قد جُرِّبَ غيرَ مَرَّةٍ وعُرِفَتْ البَرَكَةُ فيما أَمَرَ الله بِهِ ورسولُهُ، صلّى الله عليه، مِنْهُ، وعُرِفَ الخَطَأُ فيما طُلِبَ به الاسْتِقْصاء في ذلك والزِّيادة على الحَدِّ المَحْدود والرَّسْم المَرْسُوم شَرْعاً وعَقْلاً.

مثالُ ذلك: أَنَّهُ رُبّما خَرَجَ الدَّمُ اليسيرُ مِنْ جَسَدِ الإنْسان في رِيْقِهِ أو غيره فلا يَتَيَقَّنُ فيه ما هو، مسفوحٌ يَقْطُرُ أو يَسِيْلُ مثله[١٧٠]، فيقول: ما لي لا أَحْتاطُ في غَسْلِ هذا ثلاثاً، ويَتْرُكُ أَنْ يَتَوَسَّع فيما وَسَّعَ الله عليه، ويُضَيِّقُ فيما فَسَّحَ الله سبحانه، فيُضِيع الماء، وهو مالٌ يُسألُ عنه فِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ ويُضِيع تلك السّاعة، وهي عُمْرٌ يُسألُ فِيْمَ أَفْناهُ؟ ويَتَعَدَّى غَسْلَ ما له عَيْنٌ مرئيّة[١]، فيَشْرَعُ لنفسِهِ ما لم يأذنْ به اللهُ مِنَ الدِّين. وكثيراً ما يُتاحُ لبعض هؤلاء انْبِعاثُ دَمٍ أَقْوَى وأَغْزَرَ مِنَ الأوّل، ويَهِيْج بذلك قَرْحٌ ووَرَم أو يُصِيبُهُ منه رَشاشٌ يَحْتاجُ معه إلى غَسْلِ بَدَنِهِ كُلِّهِ أو بَدَنِهِ وثِيابِهِ أو ثِيابِهِ وبَعْضِ بَدَنِهِ؛ ونحو ذلك ممّا قد عُوْيِنَ وجُرِّب.

والأَمْثلةُ في هذا كثيرةٌ منها صَومُ الغُلامِ صاحبِ شُرَيحٍ في السَّفَر والشَّمْس، وهو مِنْ أَهْل الإقامة في المساجد والظِّلّ والدِّفْءِ في وقت البَرْد، إلى غير ذلك ممّا خَزَّنَ فيه عاداته حتّى جَلَبَ على نفسِهِ ما ضَيَّعَ معه مِنَ الصَّومِ أكثرَ مِنْ يومين إلى أشياءَ ذِكْرُها يَكْثُرُ ويَطُول.

ولشُرَيحٍ ﵀ حَظٌّ صالحٌ مِنَ الأَدَبِ وشِعْرٌ جَيِّدٌ، فمِنْ ذلك قولُهُ مِنْ قصيدةٍ أَوّلها:
(من الوافر)

أَلِمّا نَبْكِ لِلدّارِ الخَلِيَّهْ[٢]

---

(١) في المخطوط: «مرايه» ويحتمل الرسّم أيضًا: «غير مرايه»، ولم يتّجه لي توجيهه وَفق ما ظهر من رسمه.

(٢) في المخطوط: «تبك».

يَذْكُرُ أَهْلَ سَناع ويَحُضُّ بني شِهابٍ على رِعايتهم: (منَ الوافر)

وضُمُّوا في ظِلالِكُمُ أُناساً يَرَوْنَكُمُ لَهُمْ أَسْنَى خَبِيَّهْ
أُناساً خَيْرَ مَنْ ضَمَّتْ يَمانٌ وأَطْهَرَهُ وأَطْهَرَهُ نَقِيَّهْ
وأَفْضَلَ بَعْدَ أَهْلِ البَيْتِ حالاً وأَنْزَهَهُ عَنِ الدُّنْيا الدَّنِيَّهْ
فَحُوْطُوْهُمُ بِجَهْدِكُمُ تُحاطُوا فَإِنَّهُمُ الخِيارُ مِنَ البَرِيَّهْ
شَهِدْتُ بِأَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ آلِ النـْ ـنَبيِّ أَصَحُّ أَهْلِ العَصْرِ نِيَّهْ
بِهِمْ تُسْقَى بِلادُكُمُ وتُحْمَى مِنَ النَّقِماتِ والدَّهْيا الدَّهِيَّهْ
وهُمْ لَكُمُ إلى الرَّحْمنِ مَرْقًى وطُرْقٌ واضِحاتٌ لا عَمِيَّهْ
أَلا فَتَحَمَّلُوا للهِ شُكْراً جَزِيْلاً تَحْتَ مِنَّتِهِ السَّنِيَّهْ
بِما أَوْلاكُمُ مِنْ ذاكَ عَمْداً وأَلْهَمَكُمْ مِنَ السُّنَنِ السَّوِيَّهْ[١٧١]

ولَهُ مِنْها في مِثْلِ ذلك، ويَذْكُرُ مُطَرِّفَ بنَ شهابٍ شيخَ الزّيديّة في العَصْر، ودارَهم بسَناع: (منَ الوافر)

دِيارٌ كُنَّ مِنْ وَرَعٍ وعِلْمٍ وبَذْلِ نَدًى نَوادِيْها نَدِيَّهْ
ومِنْ تَنْفِيْسِ مَكْظُومٍ ونَهْضٍ لِمَهْضُومٍ وصَقْلِ نُهًى عَمِيَّهْ
غَداةَ أَقامَ صَدْرُ بَني شِهابٍ مُطَرِّفُ صَدْرَ دِيْنِ الفاطِمِيَّهْ
وشادَ بِها ذُرَى مَجْدٍ يَفاعٍ أَنافَ على قَدِيْمِ اليَعْرُبِيَّهْ
وكانَفَهُ حُماةُ بَني شِهابٍ وُلاةُ العِزِّ والهِمَمِ الأَبِيَّهْ
وأَشْياخٌ أَفاضِلُ قَدْ تَوَلَّوا وكانُوا كالكَواكِبِ في الدَّجِيَّهْ
فَلاحَ بِهِمْ مَنارُ الحَقِّ عَمْداً وباخَ بِهِمْ حِمَى الفِرَقِ الغَوِيَّهْ(١)

---

(١) باخ: سَكَن وفَتَر؛ ومنه قولهم: باخَتِ النّارُ تَبُوخ بَوْخاً وبُؤُوخاً وبَوَخاناً: أي سَكَنَتْ وفَتَرتْ؛ التّاج: (ب و خ).

وباخَ بِهِمْ أَجِيجَ الشّافِعِيَّهْ ... وساخَ بِهِمْ خَلِيجَ النّاصِبِيَّهْ[١]

وسالَتْ في بِلادِ اللهِ مِنْهُمْ ... عُيُونُ السَّلْسَبِيْلاتِ الحَبِيَّهْ

عُيُونُ العِلْمِ باهِرَةَ المَعاني ... شَدِيْداتَ القَواعِدِ والبِنِيَّهْ

فَكَمْ أَرْضٍ بِرَوْضِهِمُ أَراضَتْ ... فَأَهْدَتْ أَطْيَبَ الرِّيْحِ الذَّكِيَّهْ[٢]

وكَمْ مُتَكَمِّهٍ وافَى إِلَيْهِمْ ... فَأَضْحَتْ عَيْنُ فِكْرَتِهِ جَلِيَّهْ[٣]

وكَمْ ذي غُلَّةٍ نَقَعَتْ صَداهُ ... فَوائِدُهُمْ لَهُ تِلْكَ الهَنِيَّهْ

إلى أَنْ جَلَّحَتْ رُسْمُ الرَّزايا ... على الرُّسُمِ البَلِيَّةِ بِالبَلِيَّهْ[٤]

وصَدَّعَتِ الحَوادِثُ ذاتَ شَعْبٍ ... لَهُمْ وطَوتْهُمْ كُلًّا لِطَيَّهْ

فَأَنْأَى الكُلَّ مِنْهُمْ عَنْ أَخِيْهِ ... وزَمَّ لِشَحْطِهِ كُلٌّ مَطِيَّهْ

فَلَوْ أَبْصَرْتَ نادِي عِلْمِهِمْ في ... زَمانِهِمُ ودارَهُمُ الجَلِيَّهْ

ومَسْجِدَهُمْ ومَعْهَدَهُمْ وحَوْضاً ... تَهَدَّمَ بَعْدَ أَعْضادٍ قَوِيَّهْ

ودُوراً ظاهِراتٍ كُنَّ أَبْهَى ... وأَبْهَجَ مِنْ بَها الدُّرَرِ المُضِيَّهْ[٥]

تَحُفُّ بِها حَدائِقُ مُغْدَقاتٌ ... بِأَنْهارٍ وأَشْجارٍ جَنِيَّهْ

نَواهِجُ بَعْدَ جِدَّتِها يَباباً ... مَدارِجُ لِلصَّبا والشَّمْأَلِيَّهْ

إِذَنْ لَبَكَيْتَهُمْ وعَذَرْتَني في ... تَسابُقِ أَدْمُعِي دُرَراً رَوِيَّهْ

---

(١) **ساخ**: ذَهَبَ في الأَرض سُفْلاً، ومنه قولهم: سَاخَتْ قَوَائِمُه في الأَرض، وسَاخت الرِّجْل تَسِيخ، والأَقْدام: تَسوخُ وتَسِيخ: تَدخُل فيها وتَغِيب. وفي حديثِ سُراقةَ: «فساخَتْ يَدُ فَرَسِي»، أَي غَاصَتْ في الأَرض؛ التّاج: (س و خ).

(٢) قوله: «الذكية» كذا بالذال المهملة، ويحتمل أن يُقرأ: «الزكية».

(٣) **المُكَمَّهُ**: مَن لم تنفتح عَيْناهُ، من قولهم: كَمِهَ بَصَرُهُ: أي اعْتَرَتْهُ ظُلْمةٌ تَطْمِسُ عليه؛ التّاج: (س و خ).

(٤) **جَلَّح عليه**: أَتَى عليه؛ التّاج: (س و خ).

(٥) **بَها** الدُّرر: أي بَهاء الدُّرَر، وسهّل للضّرورة الشّعريّة.

وفي هذه القصيدة أبياتٌ[١] نَظَرَ فيها للشِّهابيِّين بنُورِ الله تعالى، فلم يَعْمَلُوا بها، فأصابهم ما حَذَّرَهُم مِنْ غَدْر الصُّلَيْحيِّين، فقتَلُوا كِبارَهُم ببَيْت بَوْسٍ، وذلك قولُهُ: (منَ الوافر)

وليْسَ بِقادِرٍ أَبَداً عَلَيْكُمْ ... سِوَى خُدَعٍ يُحاوِلُها خَفِيَّهْ[١٧٢]

فإِنْ مَكَنَتْ خَدائِعُهُ طُلاكُمْ ... يُمَكِّنُها حِدادَ المَشْرَفِيَّهْ

وصارَتْ أَرْضُكُمْ نَهْباً وسِيقَتْ ... عَقائِلُكُمْ مُذَلَّلَةً سَبِيَّهْ

أَباحَتْ دَوْلَةُ الأَصْلوحِ قَهْراً ... حِمَى ما بَيْنَ صَعْدَةَ والطَّرِيَّهْ

وها أَنْتُمْ أُولاءِ مَحَلُّكُمْ مِنْ ... بَني الدُّنْيا مَحَلُّ الكَوْكَبِيَّهْ

لَبِسْتُمْ لِلْجِلادِ دُرُوعَ صَبْرٍ ... عَلَيْهِنَّ الدُّرُوعُ التُّبَّعِيَّهْ

وحَصَّنْتُمْ بِلادَكُمُ بِبِيْضٍ ... قَواطِعَ فَوْقَ جُرْدٍ سَلْهَبِيَّهْ

فَأَنْتُمْ جَيْشُ أَرْضِكُمُ وحِصْنُ الـ ... ـحُصُونِ وأَنْتُمُ القُرُنُ النَّجِيَّهْ

وقال شُرَيحٌ ﷺ يذكرُ مَصيرَ الزّيديّة إلى وَقَش، حَرَسَها الله، ويَتَشَوَّقُهُم، ويُثْني عليهم: (من الطّويل)

أَلا لَيْتَ شِعْري هَلْ أُرى بَيْنَ أَحْبابي ... أُولي المَجْدِ والإِحْسانِ والحَسَبِ الرّابي

أَلا لَيْتَ شِعْري هَلْ أُرى بَيْنَ عُصْبَةٍ ... يُجَلُّونَ هَمَّ المُرْهَقِ الأَرِقِ الكابي

بَقِيَّةِ أَشْياخٍ تَوَلَّوا أَكارِمٍ ... مَسامِيحَ ساداتٍ مَراجِيحَ أَنْجابِ

ومَنْ أَرْشَدُوهُ مِنْ سَراةٍ سَماذِعٍ ... على نَهْجِ أَهْلِ البَيْتِ لِلْخَيْرِ طُلّابِ

أُولئكَ قَوْمٌ جَنْبَ قَيْفانَ دارُهُمْ ... مُطَهَّرَةٌ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ وتَعْيابِ

---

(١) قوله: «أبيات» كأنّه ضبّب عليه بخطٍّ دقيق.

أُناسٌ لَهُمْ عِلْمٌ وحِلْمٌ وعِفَّةٌ ... وجِدٌّ وزَنْدٌ في التُّقَى لَيْسَ بِالكابي[١]

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَراهُمْ ودارَهُمْ ... عَسَى ولَعَلَّ اللهَ تَنْحَلَّ أَوْصابي

عَسى أَطْعَمُ الغُمْضَ اللَّذِيذَ وأَرْتَوِي ... نَمِيراً وأَسْلُو مِنْ سُهادي وتَلْهابي

عَسَى أَتَلافى مِنْ بَقِيَّةِ مُدَّتي ... نَجاةً لِيَوْمٍ بِالزَّلازِلِ عَبّابِ

ومنها: (منَ الطّويل)

ولِمْ لا وهُمْ أَقْمارُ كُلِّ دَجِيَّةٍ ... يُسَرُّونَ لَيْلَ الغَيِّ عَنْ كُلِّ مُرْتابِ

وهُمْ لِلْغَرِيْبِ النّازِحِ الدّارِ غايَةٌ ... وإِنْ لم تَصِلْهُمْ مِنْهُ عُقْدَةُ أَسْبابِ

وهُمْ عَلَمٌ مِنْ بَعْدِ آلِ مُحَمَّدٍ ... إِلى الهَدْيِ جاؤوا لِلصَّلاحِ مِنَ البابِ

نَبارِيْسُ وَضّاحُونَ، آلُ شَمائِلٍ ... مُهَذَّبَةٍ زُهْرٍ نِزاحٍ عَنِ العابِ[٢]

صَفَتْ وحَلَتْ أَخْلاقُهُمْ فَإِذا دُعُوا ... إِلى الرَّوْعِ كانوا كاللُّيُوثِ لَدَى الغابِ

ونادِيْهُمُ نَزْهٌ عَنِ اللَّهْوِ والخَنا ... وعَنْ رَمْزِ هَمّازٍ وعَنْ عَضْهِ مُغْتابِ

بَلَوْناهُمُ أَمّا هُمُ فَمَسامِحٌ ... إذا كَشَّرَتْ حَصَى السِّنِيْنِ عَنِ النّابِ[٣]

وآلُ مُواساةٍ بِوَفْرِ أَكُفِّهِمْ ... إذا ضَنَّ كَزُّ الكَفِّ عَنْ فِيْقَةِ النّابِ[٤]

هُمُ أَهْلُ عِلْمٍ باهِرٍ ورَجاحَةٍ فما ... ثَمَّ مِنْ مَيْنٍ ولا نَبْزِ أَلْقابِ

قَلِيْلٌ هُمُ في النّاسِ، والفَضْلُ ضَيِّقٌ ... طَرِيْقَتُهُ عَنْ كُلِّ وَبْشٍ ولَعّابِ

---

(١) **الكابي**: الفحم الّذي قد خمدت ناره، فكبا، أي: خلا من النّار؛ التّاج: (ك ب و).

(٢) **النِّزاخ**: جمع النَّزْخ، وهو العفيف المُتَكَرِّم.

(٣) **النّاب**: من الأسنان، يريد بذلك السّنين العِجاف. وقد جاءت التّفعيلتان الأُوْلَيان من الطّويل: «فعولن مفاعلن».

(٤) **الفِيْقة**: اسمٌ للضّرع يجتمع بين الحَلْبَتين. و**النّاب**: النّاقة المسنّة.

فيا رَبِّ لُطْفاً مِنْكَ بي وتَحَنُّناً ورُوْحاً مُزِيلاً ما أَراهُ قَدَ اوْدَى بي[١]

وسِتْراً جَمِيْلاً يَوْمَ أَلْقاكَ إِنَّني إِلَيْكَ مُنِيْبٌ تائِبٌ غَيْرُ مُرْتابِ[١٧٣]

وقد كنتُ أسمعُ بعضَ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الزّيديّة يحكي عَنْ شُرَيحٍ رحمه الله كثيراً أنّه كان يَقولُ: **دَخَلَتِ المُجْبِرَةُ الجَبْرَ مِنَ الباب، ودَخَلَتِ المُخْتَرِعَةُ مِنَ الكُوَّة.**

---

(١) قوله: «اودى بي» أي: أودى بي، وسهّل للضّرورة، والمعنى:... مُزيلاً الّذي أراهُ قد أهلكني.

الشَّيخُ إبراهيمُ بنُ عليٍّ الضّاميُّ، رحمةُ اللهِ عليه

هو أبو إِسْحاق، إبراهيم بن عليّ بن عيسى بن عليّ بن العوالي بن محمّد بن حمّاد بن عُبَيد بن دافع بن مالك بن ضام بن يَرِيم بن أحمد بن يَرِيم بن مُرَّة بن عمرو بن مَرْثَد بن الحارث بن أَصْبَى بن جُشَم بن حاشد.

أَدْرَكْتُهُ شَيْخاً كبيراً سليمَ العَقْل والحَواسّ، وصَحِبْتُهُ نحواً مِنْ ثماني سنين، وتُوفِّي رحمةُ الله عليه عامَ ستّةَ عشرَ وخمسِ مئة[١]، وقد كُفَّ بَصَرُهُ. وأَخْبَرَني رحمه الله أنّ مولدَهُ كان عام ثلاثةٍ[٢] وعشرين وأربع مئة؛ وذلك بعد المَجاعَة الّتي يَعْرِفُها أهلُ اليمن بالفَروس، فيما أَخْبَرَني به؛ قال: وكانت هذه المَجاعَةُ سنةَ إحدى وعشرين وأَرْبع مئة. وعلى هذا يكون عُمُرُهُ نحو اثنتين وتسعين سنةً أو ما يُقارب ذلك.

وكان ما نَشَأَ عليه مِنَ الخَيْر والفَضْل مُكْتَسَباً مِنْ قِبَلِ أُمٍّ لَهُ كانت مِنَ الصّالحات ومِنْ بَنات نساءٍ صَوالحَ ورجالٍ محمودين. وهي فيما أَخْبَرَني تُسمَّى مريم ابنة توبة بنِ حبشي مِنْ أَهْل ساك مِنْ مَشْرِق بلد حاشِد مِنْ هَمْدان، وكانت أُمُّها عُبَيْدةُ بنت أبي الجيش بن منبّه الحَجُوريِّ، مِنْ حَجُور الفاقعة[٣]. وأُمُّها امرأةٌ مِنَ آل الموثَر، وهم قومٌ مِنْ وادِعة، منهم إبراهيمُ بنُ الموثَر، وكان مِنَ الفَضْل والصَّلاح بمنزلةٍ رفيعةٍ، وكان ينزل رَيْدَةَ مِنَ البَوْن، وكانتْ تحتَهُ امرأةٌ مِنْ آل جهيس، وهم قومٌ مِنْ أَهْل رَيْدة مشهورون بالصَّلاح والصَّوالح مِنْ النّساء، وقد ذَكَرْنا مِنْ خَبَرِهم ما بلغنا.

---

(١) في المخطوط: «عام ست عشرة وخمسمائة مائة» خطأً وتكراراً.

(٢) في المخطوط: «عام ثلاث» وهو خطأ.

(٣) في المخطوط: «القاقعة»، والصّواب ما أثبت؛ انظر صفة جزيرة العرب: ١١٣.

وكان إبراهيمُ بنُ الموتَر جَيِّدَ الوَلايةِ لآلِ الرّسولِ، صلّى الله عليه وعليهم، فكان قدِ امْتُحِنَ بأَمْرِ المُخْتارِ القاسمِ بنِ النّاصر لدِيْن الله أحمدَ بنِ الهادي إلى الحقّ يحيى بنِ الحسين، عليهم السّلام، إذْ كان يَرَى ما هو فيه مِنَ المَكْرُوهِ، وهو أَسِيرٌ بتلثم قصرِ رَيْدَة، في أَيْديْ ظَلَمَةِ المُلُوك، ويَتَأَلَّمُ لذلك ولا يستطيع حِيْلَةً إلى نُصْرةٍ إلّا بما لا يَقْدِرُ عليه إلّا الغِلْمان مِنَ الخَدَم والعَبِيْد.

قال إبراهيمُ بنُ عليٍّ رحمه الله: فأَخْبَرَتْني والدتي، رحمها الله، عَنْ والدتها عُبَيْدةَ بنتِ أبي الجيش عَنْ خالها إبراهيمَ بنِ الموتَر أنّه كان يأتي المختارَ رحمه الله وهو مُقَيَّدٌ بتلثم، وفي كلِّ جُمُعَةٍ يدخل عليه فُسّاقُ هَمْدان مِنْ أَعْداء آلِ رسول الله، صلّى الله عليه، والمائلين إلى بني العَبّاس، فيَصَبُّون في مسجدِهِ الّذي يُصلّي فيه هناك الخَمْرَ، ويُنَجِّسُونَهُ، ويَقُولُون: شُمَّ، يا مولانا، هذه الرّوائح. فلا يأتيْه إلّا وهو يبكي، فيَقْلَعُ طِيْنَ المسجد ويُطَيِّنُهُ بطِيْنٍ طاهرٍ، ثمّ يَغْسِلُ له ثيابَ صَلاتِهِ وما نَجَّسَهُ القوم ممّا يتعلّق به من ذلك.

قال: فكان هذا دَأْبَهم ودَأْبَ إبراهيمَ رحمه الله قال: وكان القومُ قد أَلْزَمُوا المختارَ رحمه الله تَأْدِيبَ أولادِهم وتعليمَهم القرآن، فكان ذلك ممّا نَفَعَ الله به الدِّينَ وضَرَّهُم، فلمّا فَرَغَ مِنْ تَعْليم[١٧٤] قَيْسِ بنِ الضَّحّاك القرآنَ قَتَلَ القومُ المختارَ رحمه الله.

ونَشَأَ قيسٌ على وَلايةٍ ودِيانةٍ حسنةٍ، فكان أَهْلُ بيتِهِ يَزْدَرُونَهُ لذلك، فربمّا يَمُرُّ بهم ومعه مِشْعَلَهُ للطُّهُور فيَسْخَرُون منه.

«والمِشْعَلُ»: هو الرَّكْوةُ[١] الّتي تُجْعَلُ للوُضُوء وطَهارة الصَّلاة عند أَهْل اليَمَن[٢].

قال: فلم يَلْبَث قَيْسٌ أَنْ نَهَضَ بالرّياسة، وجَمَعَ عساكرَ وجُيُوشاً مِنْ نواحي نَجْران وما

---

(١) الرَّكْوة، مثلّثة، والفَتْح أَفْصَح: دَلْوٌ صغير؛ التّاج: (ر ك و).

(٢) وفي التّاج: (ش ع ل): «والمِشْعَلُ أيضاً: شَيْءٌ يَتَّخِذُهُ أَهْلُ البَادِيَةِ مِنْ جُلُودٍ، يُخْرَزُ بَعْضُها إلى بعضٍ، كالنِّطْعِ، لَهُ أَرْبَعُ قَوائِمَ، مِنْ خَشَبٍ تُشَدُّ تِلْكَ الجُلُودُ إِلَيْها فَيَصِيرُ كالحَوْضِ، يُنْبَذُ فِيهِ، لأَنَّهُ ليسَ لهم حِبابٌ، كالمِشْعَالِ، والجَمْعُ المَشاعِلُ»، على أنّ المصنّف سيشرح هذه المفردة فيما سيأتي.

يُوالِيْها مِنْ نَجْد والسَّراة، فأَقْبَلَ بتلك العَساكر حتّى أَوْقَعَ بقَوْمِهِ بخَيْوان، وكان فيمن قُتِلُ أَبُوهُ، ووَطِئ بلادَ هَمْدان واستولى على الأَمْر. وأَحْسِبُ أنّ هذا أَحَدُ الأَسْباب في ظُهُور مذهب الزّيديّة بعد الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام وأَوْلادِهِ رضي الله عنهم باليمن، لتَعَصُّبِهِ لَهُ.

وأَخْبَرَني ﷺ فيما ذَكَرَ مِنْ أَخْبار والدتِهِ، رحمها الله، أنّها كانت تحفظُ كتابَ الله، وكان لها عِلْمٌ بالتّوحيد وأُصُول الدِّيْن، وكانت تُعْرَفُ بذلك، فكان يجتمع إليها النّساء فتُعَلِّمُهُنّ وتُرْشِدُهُنّ فيما يَصْلُحُ به دِيْنُهُنّ. وكانت تَقُولُ للنِّساء: عليكنّ بإِصْلاح ذات البَيْن. فرُبَّما يَقْلُنْ: وما ذلك؟ فتقول: الامرأةُ تخدمُ زوجَها، وتُصْلِحُ بيتَهُ ومَصالحَهُ كالمُجاهِدِ في سبيل الله. وكُنَّ إذا اجْتَمَعْنَ إليها فاشْتَغَلْنَ بذِكْرِ النّاس تَغْضَبُ، وتقول: كنتُ أَظُنُّكُنَّ تَأْتِيْنَني تَتَعَلَّمْنَ وتَرْشُدْنَ، وإنّما تأتين لتَأْكُلْنَ النّاسَ عندي؛ اخْرُجْنَ مِنْ منزلي. فكان لا يَأْتِيْها أَحَدٌ يَشْتَغِلُ بذلك.

قال ﷺ: وكانت تَأْمُرُني بصُحْبَةِ رجالِ الدِّين وأَهْلِ الوَرَع والفَضْل. وأَحْسِبُهُ قال: كانت تَنْهاهُ عَنْ أَقارِبِهِ لأنّهم كانوا مِنْ جَبّاري القبائل وظَلَمَةِ النّاس.

قال: وكانت تَقُولُ: يا بُنَيَّ، عليك بابنِ الصِّيْنيّ. وكان في بني ضامٍ رجالٌ يُعْرَفون ببَني الصِّيْنيّ، ونَسَبُهُم في قومٍ يُقالُ لهم: بنو عباد، مِنْ حِمْيَر. وأَقاربُهُم القُضاةُ بجَوْب مِنْ أَرْضِ البَوْن، منهم القاضي تُبَّعُ بنُ المسلم وأهلُ بيتِهِ. وكان مَنْ بجَوْب منهم وبني ضامٍ أهل عِلْمٍ ودِيْنٍ وسِتْرٍ وصَلاح، وقد ذَكَرْتُ ما بَلَغَني مِنْ أَخْبار تُبَّع بنِ المسلم ونحوه.

وكان في بني الصِّيْنيّ ببلد بني ضامٍ رَجُلانِ صالحانِ، لهما عِلْمٌ وعِبادة، يُقالُ لأحدهما: عليٌّ، والآخر: إسحاق، ابنا الحسن -وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهما في موضعٍ- فلَزِمَهما ﷺ على ما أَمَرَتْهُ أُمُّهُ، فنَشَأَ مَنْشَأً مُبارَكاً، واتّصلتْ صُحْبَتُهُ لهما ولأَهْلِ بيتهما حتّى تَزَوَّجَ بابنةِ أَحَدهما، فأَوْلَدَها بنينَ وبِنْتاً، وماتتْ عنده. فأَخْبَرَني ﷺ أنّه بعد ذلك -أو في خلاله- خَرَجَ إلى التّوّ[١٧٥] مِنْ أَرْض عُذَر الصّفا مِنْ مَشْرِق حاشِد، وكان بها شيخُ الزّيديّة في

عَصْرِهِ وناحيتِهِ عامرُ بنُ صَعْتَرَ بنِ عامر بنِ تميم العُذَريُّ، وكان مقصوداً لأنّه مع فَضْلِهِ كان رَجُلاً مِنَ الأَغْنياء وأَهْلِ السَّعَة، وكانت قد أَصابَتِ النّاسَ سنةٌ شديدةٌ أَضَرَّتْ بهم أو أَتَتْ منهم على جانب، وأَحِسْبُها إحدى سِنِي المَجاعة الّتي يَعْرِفُها كثيرٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَن بمَجاعة بني الصُّلَيحيِّ، وتُعْرَف هي وسَنَتان معها بسِنِيْ دَحْنان، وفيها هَلَكَ كثيرٌ مِنْ قبائل اليَمَن وبُيُوتاتها، وفُقِدَ بَشْرٌ كثيرٌ إلى الآن. ومنها سنة خمسين -أو إحدى وخمسين- وأَرْبع مئة.

قال: فلَجَأْتُ إلى هذا الشّيخِ رحمه الله فآواني وأَكْرَمَني وأَدْخَلَني في جملةِ عِيالِهِ، فكان مِنْ إِحْسان الله تعالى إليَّ أَنْ أَصَبْتُه، مع إحسانِهِ إلى النّاس ودِيانتِهِ وجاهِهِ وحِياطةِ مَنْ يَنْضَمُّ إليه، عالماً بغَوامِضِ المَذْهب ودَقائِقِهِ، قد أَخَذَ ذلك سَماعاً تَلْقِيْناً مِنْ أَبِيْهِ عَنْ آبائِهِ عَنِ الهادي إلى الحَقِّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، فَقاتَني في تلك المَجاعةِ حتّى انْجَلَتْ كُلُّها، وعَلَّمَني ما استغنيتُ بِهِ عَنْ طَلَبِ العِلْمِ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ شُيُوخ الزّيديّة في عَصْرِهِ. وصار لي مَأْلَفا آوي إليه. واشْتَدَّتْ مَحَبَّتُهُ لي لِما خَبرَ مِنِّي مِنَ الرَّغْبة في طَلَبِ العِلْمِ وصُحْبَةِ أَهْلِ الدِّيْن لاسِيَّما في ذلك الزَّمان، حيثُ قَهَرَ عليُّ بنُ محمّدٍ الصُّلَيحيُّ المُلُوكَ، واستولى على اليَمَن، وقَوِيَ تَمَكُّنُهُ مِنْ أَزِمَّةِ التَّصْريف، فأَكْرَمَ أَهْلَ دِيْنِهِ وأَحْسَنَ إليهم ووَفَّى لهم بالوَلاية والعَهْد، وأَبْعَدَ مَنْ خالَفَهُ وأَسْحَقَ مَنْزِلَتَهُ(١)، واسْتَخَفَّ بأَهْلِ المَذاهب والمَقالات المُخالفة له، وتَعَمَّلَ في بَوارِهِم الأَعامِيل سِرًّا وجَهْراً. وأَلْقَتْ إليه الدُّنْيا أَقالِيْدها، وظَفِرَ بكُلِّ مُناولةٍ، ووَفَدَتْ عليه الوُفُود مِنَ الآفاق، وعَلا صِيْتُهُ، واتَّسَعَ مُلْكُهُ، فلم يكن يَصْبِرُ على الدِّيْن في ذلك الزَّمان إلّا أَفْرادُ الرِّجال، والواحدُ مِنَ الجُمُوع الكثيرةِ، بل يَمِيلُون إليه، ويَتَوَصَّلُون بكُلِّ سَبَبٍ وحِيْلَةٍ إلى خِدْمَتِهِ وتَناوُلِ نائِلِهِ، وتَلَقُّفِ ما يَقَعُ إلى أَيْديهم[١٧٦]

---

(١) أَسْحَق منزلته: أبعدها، على أن الرّسم يحتمل أن يُقرأ بتكلّف: «استحق منزلته».

وأَفْواههم مِنْ لُفاظاتٍ[١] مملكته، ويَشْتَدُّ فَرَحُ أَكْثَرِهم بالتَّقَرُّبِ إلى خَدَمِهِ وعَبِيْدِهِ.

قال مُسَلَّم[٢] وقد ذكرتُ في أَثْناء هذا الكتاب ممّا يَدُلُّ على عظيم ما ابْتُلَيَتْ به الزّيديّة باليَمَن بعد أئمّتهم، عليهم السّلام، مِنْ تَداوُلِ الدُّوَل، وخَلْفِ الأَخْلاف في المَذاهب والمِلَل، وعِشْرَةِ مَنْ يُدْنِيهم شيئاً ومَنْ يُقْصِيهم جَهْدَهُ مِنَ الظَّلَمَة ما يكفي شاهداً، ويَقومُ مُنادياً بأَعْلى الصَّوت على فَضْلهم وإخلاصهم لله وفي الله، وصَبْرِهم على بلائه. كنحو ما عاشَرُوهُ مِنْ مُداراةِ الحواليِّين وآلِ الضَّحّاك وبني حمّادٍ مِنْ هَمْدان، وبَلْوَتُهم عليهم في التَّشَيُّع مَرَّةً، وفي دعوى التَّسَنُّنِ والمَيْلِ إلى المُسَوِّدة مَرَّةً أخرى. ثمّ مِنْ خوف الصُّلَيحيِّين ومَنْ في دَوْلَتهم مِنْ أَنْصارها مِنَ الجُنْد والسَّلاطين العُتاة ممّن قد سَفَكَ منهم الدِّماء، وخَرَّبَ الدِّيار والقُرَى، ثمّ من قِلَّةِ رِفْق أَهْلِهِ مَقالَتهم بهم، كنَحْو ما كان مِنْ تَشَيُّع بعضِ الشِّيْعةِ والأَشْراف وجَفائِهم لهم. ومَنْ يَنْظُرُ في هذا الكتاب ويَتَأَمَّلُ ما فيه يَقِفُ على ذلك، ويَعْلَمُ منه قَدْرَ ذلك.

قال مُسَلَّمٌ[٣]: سألتُ شيخي هذا إبراهيمَ بنَ عليٍّ، رحمةُ الله عليه، عمّا وَجَدْتُهُ يَعْتَقِدُهُ ويَعْرِفُهُ مِنْ أُصُول مذهب الهادي إلى الحَقِّ، عليه السّلام، في التّوحيد والعَدْل ونحو ذلك، وفُرُوعه في ذلك ممّا يستمرّ معقولُهُ ويَتّسقُ ويُطابِقُهُ مَسْمُوعُهُ مِنْ كُتُبِهِ، عليه السّلام، فيَتَّفِقُ، فقلتُ: أَخَذْتَ هذا العِلْمَ عَنْ مُطَرِّف؟ قال: ما رأيتُهُ قَطُّ، وإنّما بَلَغَتْني أَخْبارُهُ. فقلتُ: فعَنْ نَهْدٍ؟ قال: ولا عنه. قلت: فعَنْ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم أو أبي السُّعُود بنِ زيدٍ أو بعضِ أَصْحابهم؟ قال: لا. قلتُ: فرأيتَ منهم أَحَداً؟ فكأنّه قال: رأيتُ إبراهيمَ الصَّبَرِيَّ رَحِمَهُ الله في نواحي المَشْرِق أو الرَّحبَة -أو موضعٍ قد ذَكَرَهُ- وعُلَيّانَ بنَ سعدٍ، ولم

(١) **اللُّفاظات**: جمع اللُّفاظة، وهي ما يُرْمَى مِنَ الفَم؛ يريد بذلك الشّيء اليسير.

(٢) كُتِب في المخطوط بخطٍّ مُغاير فوق قوله (مسلم): «الشيخ أيده الله». وكتب بالهامش أيضاً بخطٍّ مغاير: «قال الشيخ مسلم رحمه الله».

(٣) كُتِب في المخطوط بخطٍّ مُغاير فوق قوله (مسلم): «الشيخ رحمه الله».

يقعد أَحَدٌ منّا مع صاحِبِهِ لمُذاكَرَةِ تَعْلِيمٍ. قلتُ: فمِنْ أين لك هذا الأَصْلُ الحَسَنُ وهو رأيُ القوم؟ قال: أَخَذْتُهُ مِنْ شيخي عامرِ بنِ صَعْترِ بنِ عامرِ بنِ تميمٍ عَنْ أبيه عَنْ جَدِّهِ عَنِ الهادي إلى الحَقِّ يحيى بن الحسين، عليه السّلام، أقمتُ عنده مُدَّةً[١٧٧] مِنْ عُمْري بالتّوّ يُطْعِمُني ويَكْسُوني ويُعَلِّمُني، فرحمةُ الله عليه. في كلامٍ نحو هذا.

قال مُسَلَّمٌ(١): وكان إبراهيمُ رحمه الله يُخْبِرُني أنّه كان سَمِعَ مِنَ العَبّاسِ الخَيْوانيِّ، وكان مِنْ شُيُوخ الزّيديّة في عَصْرِهِ أَدْرَكَ عليَّ بنَ محفوظٍ شيخَ الزّيديّة برَيْدَة، وأَدْرَكَ عليَّ بنَ المَلّاح بصَعْدَةَ وكان أَحَدَ الشُّيُوخ مِنَ الزّيديّة رحمه الله وسَمِعَ منهما. وكلّ هؤلاء قد ذُكِرَ خَبَرُهُ في موضِعِهِ بمَشِيْئَةِ الله.

وأَخْبَرَني ابنُ أخيه أحمدُ بنُ زُبيدِ بنِ عليِّ بنِ عيسى الضّاميُّ، وهو مِنْ إخواني ببَلَدِنا مِنْ جبل شَظَب ونواحيه، وممّن نَخْتارُهُ للصّلاة بالجَماعة، ونُحَكِّمُ شَهادَتَهُ ونَثِقُ بخَبَرِهُ، عَنْ عَمِّهِ إبراهيمَ بنِ عليٍّ رحمه الله في شيءٍ مِنْ أَخْبارِهِ أيّامَ كونِهِ في عِيالِ عامرِ بنِ صَعْتَرٍ، رحمهما الله، أنّ بعضَ بني عَمِّهِ ببني ضامٍ كان يلي شيئاً مِنْ أَمْرِ البلدِ مِنْ قِبَلِ الصُّلَيحيِّ، وأنّه لـمّا أَمَرَ بحَشْرِ النّاسِ إليه وخُرُوجِهم معه لحِصارِ الكِرَنديِّين بالسَّواء في حِصارِ عُرّد المشهور. قالَ أحمدُ: قال عَمّي: لـمّا كان ذلك أَمَرَ بي ابنُ عَمّي هذا الظّالـمُ بالخُرُوج إلى صَنْعاء للخُرُوجِ مع الصُّلَيحيِّ فعَظُمَ عليَّ الأَمْرُ، ثمّ إنّي أَظْهَرْتُ له السَّمْعَ والطّاعة في ذلك، وخرجتُ كالمُتَأَهِّبِ لذلك، فأَتَيْتُ شيخي عامرَ بنَ صَعْترٍ رحمه الله، وأَخْبَرْتُهُ خَبَري وعَظِيمَ ما نَزَلَ بي، وأَنّي إنْ أَطَعْتُهُ هَلَكْتُ عند الله، وإنْ عصيتُهُ أَهْلَكَني في العاجل. فقال: لا تَحْزَنْ لذلك. وسَكَّنَني وأَمَرني بالمقام عندَهُ. ولَطَّفْتُ خَبَري فلم يَعْلَمْ بي ذلك الظّالـمُ مِنْ قومي. فلمّا انْقَضى الحِصارُ ورَجَعَ مِنَ النّاسِ مَنْ سَلِمَ مِنَ الموتِ في ذلك السَّفَرَ دعاني عامرٌ رحمه الله، وقال: إذا سألَكَ ابنُ عَمِّكَ: أين نَزَلَ الصُّلَيحيُّ وجُيُوشُهُ ليلةَ كذا؟ فقل: في

(١) كُتِب في المخطوط بخطٍّ مُغاير فوق قوله (مسلم) وبالهامش: «الشيخ رحمه الله».

موضع كذا، وليلة كذا في موضع كذا، وكانتِ الحرب كذا، وقُتِلَ مِنَ النّاس كذا، ومات كذا، وكان مِنْ نَوادرِ الأَخْبار كذا. وإذا هو قد فَرَّغَ قلبَهُ للنَّظر في سَلامتي، وإِعْمال الحِيْلة في خَلاصي مِنْ عَدُوِّ الله هذا، فاسْتَقْصى أَخْبارَ ذلك المَخْرجِ وتلك الغَزْوَة، وأَمارات ذلك. فأَتَيْتُهُ فأَخْبَرْتُهُ بالأَمارات كُلِّها وبَيَّنْتُ له مِنْ ذلك ما وَثِقَ بِهِ منّي[١٧٨]، فرَضي عَنِّي، وسَلِمْتُ مِنْ شَرِّهِ في تلك المَرَّة.

وأَخْبَرَني مالكُ بنُ عبد الله بنِ الكُباس المطعميُّ شيخٌ مِنَ المسلمين، كان لَهُ عِلْمٌ بأَخْبار الصُّلَيحيِّين وغيرهم باليَمَن، وخِبْرةٌ ببلاد اليَمَن وأَهْلِها، وكان يَأْوي إلى والدي ﷺ كثيراً مِنَ الزّمان فيَقُوتُهُ ويُؤَدّي حقوقَهُ للوَلاية في الله وطَلَبِ ثَوابِهِ، وكان ممّن أَثِق بخَبَرِهِ، وهو مِنْ أَهْلِ تَنْعُم -قرية بمَشْرِق خَوْلان العالية- وبها ولدُهُ إلى الآن، في قصّة حصارِ عُرّد، قال: كان الصُّلَيحيُّ قد أَسَرَ مُلُوك اليَمَن، فكانوا حول رِكابِهِ لا يُفارقُونَهُ خوفاً مِنَ الخِلافِ منهم عليه، واسْتَصَحَبَ مِنْ رُؤساءِ النّاسِ وأَجلّائهم[١] مَنْ لا بالَ بِمَنْ وراءَهُ مِنْ قَومِهِ. **وكان** أَمْرُ عَدَدِ هَمْدان وعَنْس والأَبْناء وبَلْحارث وبني شِهاب وفَراستهم ورَجْلتهم، **يُهِمُّهُ** ويُشْجِيْهِ، فلم يُبْقِ أَحَداً يُهِمُّهُ مِنْ أَعْيان النّاس ورِجالهم إلّا حمَلَهُ على الخُرُوج معه في سَفَره ذلك، وكان ذلك مِنْ مكائدِهِ لرجالِ اليَمَن وتَعَمُّلِهِ في اسْتِئْصالِ شأْفَةِ الأَماثِل منهم، وذلك أنّ السَّواء، وهي القلعة الّتي لَجَأَ إليها الكِرَنْدِيّون، وكذلك السَّمَدان مِنْ حصونهم أيضاً وقِلاعِهم، بين أَوْدِية مَحَمَّة[٢] المياه والأَهْوِيَة عَفِنَةٍ، لا يُشَكُّ في أنّها تأتي على أَهْل البلاد النَّجْديّة مِنَ اليَمَن كصَنْعاء وصَعْدة وذَمار وما يُواليها منها، وتُهْلِكُهُم، وكذلك على أَهْل الجبال العالية.

قال: فخَرَجَ ومَعَهُ نُقاوَةُ النّاس وخِيارُهم، فلم يَنْقَلِب مِنْ سَفَره ذلك بأَحَدٍ يَكْبُرُ عليه

---

(١) قوله: «أجلائهم» يتحمل رسمه أن يُقرأ: «أجلابهم»، ومعناه دون الأول لحاجته إلى الأجلاء لا إلى الأجلاب.

(٢) **المَحَمَّة** وبلدٌ مَحَمّة، أي موضع الحُمَّى.

أَمْرُهُ، بل مَرِضُوا وماتوا، وأَحْسِبُهُ ذَكَرَ أنّ منهم مَنْ مات هناك ومنهم مَنْ مات في بَلَدِهِ[١].

وكان الصُّلَيحيُّ لا يَكْتَرِثُ للبلاد الوَبِيْئة والمياهِ والمَحَمّة لأنّه نَشَأَ في بلدٍ مِنْ ناحية الأَخْرُوج مِنْ أَعْمال حَراز كأَخْبَثِ ما يكون في ذلك.

وأَخْبَرَني مالكٌ وغيرُهُ أَنَّ الصُّلَيحيَّ خَرَجَ يومئذٍ فيمن خَرَجَ بِهِ مَعَهُ مِنَ المُلُوك الأميرُ الشّريفُ جعفرُ بنُ القاسم بنِ عليِّ بنِ عبد الله بنِ محمّدِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ الحَسَنيُّ الرَّسِّيُّ، فغَدَرَ بِهِ في الأَمان الّذي عَقَدَهُ للكِرَنْدِيِّين على يَدِهِ وبوُساطَتِهِ، فعَظُمَ عليه ما رَكِبَهُ مِنْ ذلك، وأَخَذَتْهُ الحَسْرَةُ، فيُقالُ: إنّه مات في مُنْصَرَفِهِ[١٧٩] أَسَفاً بصَنْعاء. وأَحْسِبُ هذا ممّا ذَكَرَهُ مُفَرِّحُ بنُ أحمدَ الرَّبَعيُّ في (**سِيْرة آل القاسم**) بشَهارة أيّامَ دَوْلتهم بعد ذلك، وذَكَرَ أنّه كان ذلك سنةَ خمسين وأَرْبع مئة، وهي الوسطى -فيما أَرَى- مِنْ سِنِي المَجاعة المعروفة بسِنِيْ دَحْنان، وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُها. وهذا مع ما ذُكِرَ في الأَخْبار مِنْ إعْظام الصُّلَيحيِّ لجعفرِ بنِ القاسم وأنّه في مَقامِهِ عنده ما سَبَقَهُ إلى صباحٍ قَطّ، بل يَسْبِقُهُ الصُّلَيحيُّ فيُصَبِّحُهُ قبلُ.

قال مالكٌ: وكان في أُسار وجُوار الصُّلَيحيِّ[٢] مِنَ المُلُوك نَحْو بني السُّخْطيِّ والأَتْبوع وبني عُتُميّ مُلُوك مخلاف عُتُمة والحواليِّين والهَيَاثِم وبني مَرْوان أَهْل أَشْيَح ومخاليف أَلْهان، فضلاً عن بني قدعر[٣] أَهْل تَعِزّ، والخياسع أَهْل ذَخِر، وآل أبي الفُتُوح سلاطين خَولان العالية، وآل الرَّوِيَّة سَلاطين مَذْحِج.

وقد كان مِنْ هؤلاء مَنْ ظَفِرَ به أَقْبَحَ الظَّفَر، ومنهم مَنْ سَلَّمَ له الأَمْرَ على تَقِيَّةٍ، وكذلك غيرهم مِنْ مُلُوك بني مَعْن وأَهْل حَضْرموت والشِّحْر وعَدَن ومكّة وتِهامة وصَعْدَة ونَجْران وسَائر بلاد اليَمَن.

---

(١) كُتِب فوقه بخطٍّ مغاير للأصل موضِّحاً: «أي راجعا».

(٢) قوله: «قدعر» كذا بالمخطوط، لم أقف على ذكر له، وفيه شكٌّ.

(٣) قوله: «في أسار وجوار الصُّلَيحيّ» كذا، وشرط العربيّة العالية يقتضي أَنْ يَقولَ: في أُسار الصُّلَيحيِّ وجُواره.

وكان مع ذلك كُلِّهِ لا يُهِمُّهُ مِنَ العَرَب أَحَدٌ ما تُهِمُّهُ هَمْدان وعَنْس ونحوهم، ولا يَعْتَدُّ الفَتْحَ عليه ممّا قَبْلَ فَتْحِهِ بلادَهم وقَهْرِهِ لهم، وقد ذكرنا من كلامِهِ في ذلك في موضعٍ ما يَدُلُّ على ذلك.

قال الشّيخُ مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيّ، رضوان الله عليه، وسأَحْكي مِنْ عظيم ما مَنَّ اللهُ به على أَهْل بلادنا مِنْ جبل شَظَب، وما يليه مِنْ مَغْرب بلاد هَمْدان خاصّة، ما يُسْتَدَلُّ بِهِ على فضلِ مَنْ أَدْرَكنا مِنَ الشِّيْعة الزِّيديّة، وعلى أنّهم يَكادون يكونون في مَقامات أئمّتهم، عليهم السّلام، في الحُجَّة والتَّأْدِيَةِ عنه[1]، والبَلاغ عَنْ رسولِهِ وخِلافَةِ أئمّتهم، عليهم السّلام، وأنَّا قد أَدْرَكْنا منهم مشاهدةً عِياناً عندنا مَنْ هو كما قال الإمامُ القاسمُ بنُ إبراهيمَ، عليهم السّلام: «**وإنّهُ ليَجِبُ على المؤمنِ في أَزْمِنَةِ[2] الجبّارين أَنْ يكون حُجّةً لله قويّةً، وأَنْ تكون ساحتُهُ، مِنْ معاوَنَتِهم على ظُلْمِهم، بريئةً**» الفَصْل إلى آخره.إذْ قد ذكرتُ مِنْ إسعارِهِ[3] مواضعَ أخرى مِنَ اليَمَن بمَنْ نَزَلها مِنْ أولئك، رحمهم الله، ما يَعْرِفُهُ غيري كما أَعْرِفُهُ أنا.

قال الشّيخُ مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ، رحمةُ الله عليه: كنتُ حين خَرجتُ[١٨٠] مِنَ المُكَتِّب، وفَرَغْتُ مِنْ تَعَلُّمِ القرآن قد رُمْتُ المُضيَّ على طاعة الله، فتَعَلَّمْتُ الصّلاة، وأنا لم أدرك حينئذٍ، فكان مِنْ توفيق الله تعالى لي في وَلاية آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه، وحُبِّ الحَقِّ وأَهْلِهِ أَشْياءُ:

أحدها: أَنَّ أبي لم أَعْرِفْهُ إلّا رَجُلاً كَهْلاً يَتَوالى آلَ رَسولِ الله، صلّى الله عليه، ويَتَعَلَّقُ بمذهب الزّيديّة.

---

(١) قوله: «عنه» كذا، ولعلّ الضّمير يعود على لفظ الجلالة المتقدّم في قوله: «منّ الله به على أهل...».

(٢) كُتِب فوقه بالمخطوط: «دُول» يريد: «دُول الجبّارين».

(٣) **إسعاره**: إيقاده؛ والهاء فيه لعلّه عائدٌ على الصّليحيّ، على أنّ الرّسم قد يُقرأ قراءةً أخرى فهو مهملٌ كلّه

والثّاني: أَنَّهُ اتَّفَقَ لي مُكَتِّب يَرَى مثل ذلك.

والثّالث: أنّ أبي اكْتَسَبَ كُتُباً لم يكن فيها كتابٌ أَقْرَبَ إلى الاسْتِخْراج مِنَ المُتَعَلِّم، وأَسْلَسَ للقَراءة لسُهُولة خَطِّهِ مِنَ الجزءِ الأوّل مِنَ **(الأحكام)** مِنْ كُتُبِ الهادي إلى الحقِّ، عليه السّلام.

والرّابع: هِبَةُ الصِّحَّة مِنَ الله سبحانه فإنّي لَأَعْرِفُ مِنّي –وأنا فيما بين السَّبْعِ مِنَ السِّنين والعَشْرِ أو نحو ذلك– التَّفَكُّرَ فيما يَزِلُّ عَنِ الكُهُولِ التَّفَكُّرُ فيه، وذلك أَوانَ فَراغي مِنْ تَعَلُّمِ القرآن كما ذكرتُ أوّلاً. فكنتُ أُحاولُ إِيْجادَ شيءٍ مَحْسُوس يلبثُ بالقُدرة مِنّي فلا أَجِدُهُ، وإنّي أَتِيْتُ مَرَّةً إلى بِرْكَةٍ كان فيها ماءٌ، ثمّ فَنِيَ وبَقِيَ بها طِيْنٌ رَطْبٌ، فأَخَذْتُ منه قطعةً ثمّ صوّرتُها بصورةٍ مختلفة، وقلتُ لنفسي: قد أوجدتُ هذه. فأجدُ شيئاً في نفسي يَقولُ لا إنّما وُجُود الطِّينِ مِنْ قَبْلك، وجمعُهُ ههنا بالسَّيْل ليس مِنْ صُنْعك. فأَعْمَدُ إلى الهواء لَعَلِّي أَقْبِضُ منه على شيءٍ، فلا يُمْكِنُني ذلك، ثمّ يَقولُ القائل مِنْ نفسي: ولو قَبَضْتَ على شيءٍ منه لم يكن قد أوجدتُهُ لأنّ الإِيْجاد لا مِنْ شيء. ثمّ أَثِبُ في الهواء إلى فوق لَعَلِّي أَسْتَقِرُّ فيه فلا يُمْكِنُني ذلك، فأَرْجِعُ إلى نفسي وقدِ اعترفتُ بأَلّا قُدْرَةَ لها على إيْجاد الأَجْسام ولا على الخُرُوج عَنْ عادة البَشَر، فأَتَيَقَّنُ أنّي مَصْنُوعٌ وأَنّ لي صانعاً يَقْدِرُ على ما لم أَقْدِرْ عليه فهو بخِلافي، وأَجِدُ في نفسي معرفةَ ما قَدَرْتُ عليه وأنّه تَغْيِيرُ الطِّيْنَة مِنْ صورةٍ إلى صورة، وأنّ الطِّيْنَةَ غير ذلك، وأنّي أَقْدِرُ على شيءٍ، وإنّما هو الحَرَكة، ولا أدري باسمِ شيءٍ مِنْ ذلك بل أَتَوَهَّمُهُ شيئاً بخِلاف التُّراب والهَواء وخِلافي، ولا أدري أنّه يُسمّى عَرَضاً، فكانت هذه الأَشْياءُ وأَمْثالُها تَغْوصُ في فِكْري.

وكنتُ فَرُوقَةً مِنَ الموت والنّار، فلا أَسْلُو مِنْ هَمِّهِما إلّا بالتَّشاغُلِ بالحديثِ واللَّعِبِ مع لِداتي والتَّغافُلِ عَنْ ذِكْرِ ذلك. ثمّ انتقلتُ إلى قراءةِ دَواوينِ الشُّعَراءِ وأَخْبارِ النّاس وأيّام العَرَب وحُرُوبها، نحو حَرْب البَسُوس وحَرْب هَوازن[١٨١] وغَطَفان والأَوْس

والخَزْرَج، وطَلَبِ الأَنْساب والتّواريخ، فلَهَوتُ بذلك حتّى أَنْساني ما نَشَأْتُ عليه مِنْ طَلَبِ أُمُورِ الآخرة وعُلُومِ الدِّين إلّا أنّي إذا أَفَقْتُ عاوَدْتُ التَّوبة، ولَزِمْتُ الصّلاةَ، وكنتُ كثيرَ الشَّوقِ إلى قراءة الكُتُبِ مِنْ كُلِّ فَنٍّ، وكان والدي ﵀ لي مُسْتَعِدًّا فيما طلبتُ مِنَ المَعُونة على ذلك، وإيْواءِ مَنْ يَقْرَأُ ويَكْتُبُ إلى مسجدِهِ، والصّدقة عليَّ بطَلَبِ ذلك منهم وقَرْي المُسْتَضِيف، وصُحْبَة أَهْلِ العِلْم مِنْ أيِّ فِرْقةٍ وعلى أيِّ مذهب كانوا. وكنت بَحّاثاً سَؤُولاً عَبِثاً في الكلام مع كُلِّ مُدَّعي مَقالةٍ ممّا أَقْبَلُ وما لا أقبل.

وكان مَنزلُ هذا الشّيخِ إبراهيمَ بنِ عليٍّ ﵀ مُتَنَحِّيًا عَنْ منزلي بقَدْر ما يَمْنَعُني بُعْدُهُ عَنِ القَصْد له، مع ما أنّي لم أَكُنْ أَعْرِفُهُ بما يَسْتَحِقُّهُ مِنَ القَدْرِ، وإنّما أَسْمَعُ مَنْ يَدْعُوهُ الشِّيْعيَّ فقط. فإذا غَلَبَ عليَّ الهَوَى، وما يَغْلِبُ على الأَحْداث والمَغْرُورين، تَشاغَلْتُ بالشِّعْرِ والشُّعَراء وأَخْبار المُضْحِكين منهم، وأَهْلِ الفَخْر والاعْتِداد لاسِيَّما بالقَحْطانيّة لغَلَبَةِ العَصَبيّة على العادة. وإذا انْتَبَهْتُ تَنَبَّهْتُ إلى التّوبة وتَشَوَّقْتُ[1] إلى عُلُومِ الدِّينِ فأَذْكُرُ هذا الشّيخَ ﵀ وأَذْكُرُ هذه الهِجْرَةَ بوَقَش، حماها الله، ومَنْ بها على السَّماعِ الحَسَن عنهم، والذّائعة الجميلة مع الخاصّ والعامّ، وأَهُمُّ بزيارتِهِ أو قَصْدِ هذه الهِجْرَة فيَغْلِبُني كَسَلُ الصِّبْيان والأَحْداث وعَجْزهم.

وكنتُ أَرَى هذا الشّيخَ ﵀ في سوق البلد، ورُبَّما يَمُرُّ بوالدي ﵀ في تَطَرُّقاتِهِ إلى المواضع أو يطلبُ منه الحاجة، ويَمْنَعُني مِنَ الصُّحْبَةُ له هيبتُهُ للسِّنِّ والدِّيْن، مع ما كنتُ فيه مِنَ البلدة الّتي لا آتي على صِفَتِها مِنَ البُعْد عَنِ الله تعالى وعَنِ الخير وأَهْلِهِ، ولا أَحْسِبُ أَكْثَرَ أَهْلِ اليمن تَجْهَلُها، إنّما هي بخِلافِ سائر بلادِ اليَمَن لأنّها تجمعُ مَنِ افْتَرَقَ في غيرها مِنَ النّقائض؛ وذلك أنّ أَهْلَها أَبْصَرُ خَلْقِ الله بكَسْبِ دُنْيا وخُصومةٍ فيها ومُكايدةِ

---

(١) قوله: «وإذا انتبهت تنبهت إلى التّوبة وتشوقت» يحتمل أن يكون: «تنبهت إلى التّوبة تشوقت» وما وراء ذلك زيادة للعوض، والواو لاستقامة العبارة.

عَدُوٌّ عليها ولُطْفِ حِيْلَةٍ في اسْتِخْراج شيءٍ منها، وشِدّةِ حِرْصٍ، وقُوَّةِ مَنْعٍ لما يُصِيْبون منها وإِفْراطِ إِيْثارٍ لها على الدِّيْن، ثمّ صاروا الآن يُؤْثِرُونها على الحَسَب مع الدِّيْن، وكانوا بخِلافِ ذلك؛ إِذْ كان إنّما سكنت معهم على خَصْلَتين: أَداءِ الأَمانة، والتَّعَفُّفِ عَنْ أَمْوال النّاس فقط. فهم لها يعملون وإِيّاها يَعْبُدُون[١٨٢] وعليها يَتَهارَشُون، وفيها ومِنْ أَجْلِها يَتَوالون ويَتَعادَون، فهي غَرَضُهُم المَقصودُ وإلهُهم المَعْبودُ إلّا مَنْ عَصَمَ اللهُ مِنَ الواحدِ بعد الواحد، وقليلاً ما يُوجَدُون لاسِيّما في زمان نَشْوِي وحَداثتي. فهُمْ مع فِطْنَتِهم، الّتي هي في أَبْعَدِ غايةٍ لِما ذكرتُ، أَجْهَلُ خَلْقِ الله تعالى بما يُقْرَأُ ويُكْتَبُ؛ يَقْرَأُ منهم القُرآنَ مَنْ يَقْرَؤُهُ بلا شَكْلٍ ولا إِعْجام، ولا يُعْرَفُ قارئٌ ولا قِراءة.

ولقد بَلَغَني في الوقتِ القريب عَنْ بعضِهم -على أَنَّ الأَمْرَ قد جمل كثيراً منذُ أَمِنَتْ بها الزّيديّةُ وظَهَرَ التَّشَيُّعُ- أنّه سَمِعَ أَباهُ يَقْرَأُ القرآنَ وبجَنْبِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بلدٍ أُخْرى، فتَعَجَّبَ ممّا سَمِعَ منه، ولا يدري القارئ، ثمّ لم يَصْبِر أَنْ سَأَلَ ابنَهُ هذا عمّا يَقولُ؟ فقال: يَقْرَأُ القُرآن، فقال: يا بُنَيّ، إنَّ أَباكَ يَقْرَأُ ابْنَ عَمِّ القُرْآنِ لا القرآنَ!

وبَلَغَني عَنْ آخَرَ مِنْ أَهْلِها ممّن يَدّعي -بزَعْمِهِ- اعْتِقاد الفَلْسفة، على ما سَمِعَ به مِنْ ذِكْر ذلك لا على التَّعَقُّل له، أنّه سَمِعَ ابناً له قد كان رُزِقَ مُعَلِّماً قارئاً اضْطَرَّتْهُ الحاجةُ أو الخوفُ إلى سُلُوك هذه البلاد حتّى عَلَّمَ بها صِبْياناً القرآنَ؛ هذا أحدهم، فسمعتُهُ يقرأُ: ﴿يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾[آل عمران:٤٢] بفَتْح الميم الأولى من ﴿مَرْيَم﴾، فأَنْكَر ذلك وصاحَ بِهِ. فسَكَتَ. ثمّ قال: أَفَلَيْسَ (مَرْيَم) اسم امرأةٍ؟ قال: بلى. قال: أَفَلَيْسَتْ أُمُّكَ امرأةً؟ قال: بلى. قال: أَفَمَ اسْمُها: مِرْيَم؟ وهم يقولون: (مِرْيم) بكَسْر الميم الأولى. قال: الغُلامُ: بلى. قال: فهي امرأةٌ مثلُها، فاقرأْ كذلك، ولا تُفْسِدِ القرآن.

ولقد سَمِعْتُ بعضَ مُتَكَلِّمي الإِباضِيّة بها مَرَّةً يَحْتَجُّ على خَصْمٍ له بآيةٍ مِنْ كتاب الله قد أَلَّفَها على غيرِ ما نزلتْ، مِنْ نَحْو ما في معناها عندَهُ وتَمَّمَها بأَلْفاظٍ بلديّةٍ مِن كَلامِهم

المُوَلَّد المُسْتَعْمَل بينهم، حتَى أَتَى بها على الوَجْهِ الّذي يُبْكي العاقِلَ ويُضْحِكُ الغافل. وذلك أنّه قال: قال الله تبارك: وليفتنكم بعضكم ببعض. وأَضافَ إلى هذا كلاماً آخَرَ مِنْ عندِهِ، وزَعَمَ أنّه آيةٌ. فقلتُ: وَيْحَكَ، ليس هذا في كتابِ الله، فلو تَعَلَّمْتَ قِراءةَ القرآن لكانَ أولى بكَ مِنَ الكلامِ على مَعانِيْهِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾[الفرقان:٢٠]. قال: نعم، هذا أردتُ.

ولَقِيَني بعضُ شُيُوخِ البلاد على أنّه ممّن قد كان خَرَجَ عنها مُسافِراً إلى مواضعَ، ورَأى ممّن عليه اسم النّاسِ أَشْخاصاً فقال لي: ما ظننتُ أَنَّ للقرآن تَفْسِيراً[١٨٣] حتّى بات عندنا رَجُلٌ غريبٌ، وذَكَرَ لي منه شيئاً. قلتُ: فما تَحْفَظُ ممّا أَخْبَرَكَ به؟ قال: في قول الله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾[الفلق]، قال: ﴿الفَلَق﴾: نَبيٌّ مِنْ أَنْبياء الله، كان عظيمَ الشَّخْص كأنّه فَلْقَةُ جَبَلٍ. قال: و﴿الغاسِق﴾: الحَشَن(١). و﴿إذا وَقَبَ﴾: إذا ضَرَبَ(٢) ببابِهِ. و﴿النَّفّاثات﴾: العَكابِر؛ يعني الفِئْران. ﴿في العُقَد﴾: في الجِرَب المُسْتَديرة.

وهذا في زَماننا هذا الأَدْنى، وبعد أَنْ وُجِدَ فيها مَنْ يَتَشَبَّهُ بالنّاس، فكيف بالزّمان الّذي نشأتُ فيه بها. لقد كنتُ أَراهُمْ يَمْقُتُون مَنْ طَلَبَ العِلْمَ، ويَسْخَرُون ممّن رَغِبَ في الدِّيْن، ويَشْتَدُّ عَجَبُهُم منه وتَعْجِيبهم، ويَطُولُ هُزْؤُهم بِهِ وعَيْبُهم له. وربّما دَخَلَ بلدَهم الغريبُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والدِّيْن، فلا يكون شيءٌ أَحَبَّ إليه مِنَ المُبادَرَةِ بالخُرُوج عنها والهَرَب منها. وكانَتْ فيها قُرًى وأَسْواقٌ الغالبُ على أَهْلِها التَّظاهُرُ بالفُسْق والفُجُور، وشُرْبِ الخُمُور، والزَّمْر والغِناء مِنْ فوق سُطُوح الدُّور ورُؤُوس الجبال بأَغانٍ لهم، هي أَبْعدُ شيءٍ ممّا يَسْتَحْسِنُهُ اللاّهُون والمُلْهون في الآفاق، قدِ اخْتُصُّوا بها لتكون كالشّهادة على مُنافرة طِباعهم لطِباع النّاس، وباقي ذلك فيها ظاهرٌ إلى الآن. ومَنازلها المُنْتَحية عَنِ

---

(١) كُتِب فوقه بالمخطوط: «ضرب»، وكأنّه أراد الإيضاح، أو لعلّه أراد التّكرار لتمام المعنى: «إذا ضرب ضرب ببابه».

(٢) كُتِب فوقه بالمخطوط: «دُول» يريد: «دُول الجبّارين».

الأَسْواق الغالبُ على أَهْلِها الجَفاءُ والعامِيَّةُ الظّاهرة والجَهْل المُظْلِم ومُضادّة القراءة والقُرّاء، والدِّيانة والتَّدَيُّن حسبَ ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ قبل هذا مِنَ الكلام. حتّى كانتِ الأَحْكامُ بها مِنْ حُكّامها لا بتَعَلُّمٍ ولا تَحَوُّجٍ إلى دَرْسٍ وإطالةِ تَفَقُّهٍ وبَحْثٍ بل يَأْتُون إلى أَنْفارٍ قد قَدَّمُوهم لذلك ورَضُوا[1] بأَحْكامِهم، فيقضون فيهم بما لا عِلْمَ لهم بِهِ ولا عِلْمَ للمَقْضي عليه. وإذا اجتمع منهم رَجُلانِ أو ثلاثةٌ فابْتَدَعُوا رَأْياً يَقْضُون به لم يَتَعَرَّضْ سائرُهم لنَقْضِهِ، ثمّ لو نَقَضَ ناقِضٌ حُكْماً لم يَنْقُضْهُ بآيةٍ ولا روايةٍ، إنّما ينقضُهُ برَأْيٍ آخَرَ يُبْتَدَع كابْتِداعه. والحُكْم والإِبْرام والنَّقْض بها فإنّما هو بأَيْدي الإِباضِيّة، ومَنْ يُصلِّي في مساجدها مِمّن يُصلّي بالجماعة هم وشُهُود حُكّامها منهم.

فالتَّشَيُّعُ بها مُنْكَرٌ غريبٌ، وسَبُّ آلِ رسولِ، صلّى الله عليه، ولَعْنُهم مِنْ عليٍّ وحَسَنٍ وحُسينٍ وفاطمةَ ووَلَدِهم رضي الله عنهم ظاهرٌ لا يُسْتَسَرّ به[2]؛ لقد كنتُ أَسْمَعُ، وأنا غُلامٌ، مَنْ يَسُبُّهم بالقاف والزّاي[3]، وما يَجِبُ بِهِ الحَدُّ عند الله، لا يُكَنِّي ولا يَتَحاشَى عَنْ ذلك ولا يَسْتَحي[١٨٤].

ولا أَقُولُ: إنّي سمعتُ ذلك مِنْ أحدٍ مِنْ رَعِيَّتِهم ومَنْ يَعْتَدُّونَهُ مِنْ جُهّالهم وعَوامِّهم، بل مِن مُدَّعي[4] العِلْم والفِقْهِ والدِّيانة والفَضْل فيهم، ومَنْ صارَ إليه في حياتي وِلايةُ القَضاءِ في بعضِ نواحيهم.

فأمّا نُطْقُ رِجالهم ومُقَدَّمي عُلَمائهم عندهم بتَكْفيرِ عليٍّ، عليه السّلام، وتَفْسِيْقِهِ فغيرُ مُتَوَقَّفٍ فيه ولا مُغالطٍ عنه. ولقد قرأتُ مَرَّةً في مَحْفَلٍ كان مِنَ النّاس فيه مِنْهم مَنْ يَسْمَعُني، وذلك بعد ظُهُور التَّشَيُّعِ وتَوَسُّطي في سِنِّ الشّباب= **فَصْلاً** مِنْ كتابٍ فيه: «**قال:**

---

(١) في المخطوط: «رضيوا» وهو رسمٌ تكرّر غيرَ مرّةٍ في الكتاب، نحو قوله فيما سلف: «نسيوا»، ونحو قوله: «لقيوا».

(٢) في المخطوط: «يستسير به» بزيادة سنّة قبل الرّاء.

(٣) قوله: «بالقاف والزّاي» يعني: بالقذف والزّنا.

(٤) في المخطوط: «ممن يدعي» وصُوّبت في الهامش على النّحو المُثبت أعلاه.

جعفرُ بنُ محمّدٍ الصّادق، عليهما السّلام»، فإذا أَحَدُهم قد وَثَبَ يَصِيحُ رافعاً صوتَهُ يقول: جعفرٌ الكاذبُ جعفرٌ الكاذبُ. يُرَدِّدُها.

وشهدتُ جماعةَ ذِكْرٍ واسْتِسْقاء(١) في موضعٍ، فيهم مِنَ المُتَشَيِّعَة أَنْفارٌ(٢) منهم كذلك، وفيهم شيخٌ كبيرُ السِّنِّ والمِقْدار فيهم، ومِنْ أَبْناء مَنْ يَتَبَرَّكون بِهِ، ويَرَون له حُرْمةً مِنْ سَلَفِهم، فلمّا صلّى المُصَلُّون، مِنْ هؤلاء وهؤلاء، قال بعضُ المُتَشَيِّعِين لبعضٍ: مَنْ يَقْرَأُ لنا خُطْبَةً أو ما يُنْتَفَعُ به؟ فانْبَعَثَ غُلامٌ فيهم يَقْرَأُ: روى زِرُّ بنُ حُبَيْشٍ أنّه قال سمعتُ أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب، عليه السّلام، يَخْطُبُ النّاس. فلمّا وَعَى ذلك الشّيخُ ذِكْرَ عليٍّ، عليه السّلام، وكان بجَنْبي، الْتَفَتَ إليَّ وبِيَدَيْ دفترٌ فيه شيءٌ مِنَ الفِقْهِ، قد كان قَبْلَ ذلك لا يَلْتَفِتُ إليه، ولا يُصْغي لِما أَقْرَؤُهُ منه، على أنّه كان يشتملُ على مسائلَ الخلافِ بين العلماءِ، فكان فيه ما لعلّه يُوافقُ شيئاً مِنْ رَأْيِهم في فِقْهِهم. فقال بدَهَشٍ وعَجَلةٍ وتَغَيُّرٍ عظيم وقَلَقٍ: وَيْحَك، اقرأْ لنا في هذا الدَّفْترِ. ثمّ طَفِقَ يَقولُ: اقْرأ اقرأ. فعرفتُ ما نَزَلَ به مِنَ الأَمْرِ لسَماعِهِ ذِكْرَ أميرِ المؤمنين، عليه السّلام، وكنتُ لا اسْتَحِلُّ التَّشاغُلَ عَنْ سَماعِ الخُطْبَةِ، فلم أَلْتَفِتْ إليه، وقلتُ: تَسَمَّعِ الخُطْبَةَ أولى مِنّي. فلم يَنْتَبِهْ لشيءٍ وأَعْمى بَصَرَهُ الأَمْرُ عن التَّجَمُّل عندي والحَياء منّي، واستولى عليه سُكْرُ العَداوةِ والبَغْضاء له، عليه السّلام، إلى أَنْ قال: إنّه لا يَحِلُّ لنا أَنْ نَسْمَعَ هذا الكلام. وأنا أَشُكُّ فيه هل جَعَلَ إصْبعَهُ في أُذُنَيْهِ أم لا.

واجتمعَ جماعةٌ مَرَّةً على طعامٍ، فيهم مَنْ يَدَّعي التَّشَيُّعَ مِنَ العامّة، فوَضَعَ يَدَهُ فيه، وقال: بسم النَّبيِّ وعليٍّ. وكان معه رَجُلٌ[١٨٥] إباضيٌّ عابِدٌ، فرَفَعَ يَدَهُ وقال: حَرُمَ هذا الطّعام. ثمّ قال: فما زادَ بعَليٍّ، فما زادَ بعَليٍّ؟ والباء هٰهنا معجمة؛ أي: فلِمَ زِيْدَ عليٌّ مع محمّد، صلّى الله عليه؟(٣).

---

(١) في المخطوط: «جماعةً» بالتّنوين، والرّسم يُقرأ أيضاً: جماعةً ذكروا [ا]ستسقاء؛ والعبارة برمّتها قلقةٌ وكذا ما بعدها.

(٢) ثمّة فراغ بالمخطوط قدر كُليمة، فإمّا أن تكون امّحت وإمّا يكون الفراغ تُرك لصغر جِرْمه عن استيعاب كلمة.

(٣) في المخطوط: «صلى الله عليهما السلام»، وكأنّه أراد القول: «صلى الله عليه، وعليه السلام» يريد النّبيّ ثمّ عليًّا.

وكان في البلد منهم رَجُلٌ يُعرف بعليِّ بنِ عُمَر، نسبُهُ في بَطْنٍ مِنْ خَوْلان يُقالُ لهم: بنو سفيان، يسكنون جانباً مِنْ هذه البلاد، أهل ماشيةٍ لا خُلْطَةَ لهم بعُلمائهم= فكان ذا سَعَةٍ مِنَ المال فسَمَتْ به نفسُهُ إلى طَلَبِ عِلْمِهم وخُلْطَةِ قُضاتِهم وجَمْع دَفاترهم، فبَلَغَ عندهم درجةً عَظَّمُوهُ بها. ثمّ انتقل مِنْ وطنِهِ إلى جبلنا وناحيتنا، فكنتُ في حَداثتي أتَكَلَّمُ معه في شأنِ الحَكَمين وأَهْلِ النَّهْروان، فيُصَرِّحُ في عليٍّ، عليه السّلام، بالتَّفْسيقِ والتَّضْليل. ثمّ بَلَغَني عنه مِنْ طُرُقٍ أنّه سُمِعَ يَتَأَسَّفُ ويَتَأَوَّهُ مِنْ تَسْمِيَتِهِ عَلِيًّا، ويَقولُ: وَدِدْتُ لو أَقْلِبُ(١) أو لو كانتْ لي حِيْلَةٌ في تَبْدِيل هذا الاسم. ثمّ وَقَفْتُ بعد ذلك على كثيرٍ مِنْ كُتُبِهم في الإمامة، نحو كتاب عبدِ الله بنِ يزيد البَغْداديِّ في التَّحْكِيم وغيره، فعلمتُ أَنَّ هذا من ذلك. وأَدْرَكْتُهم يَجْلِدون مَنْ صامَ يومَ الشَّكّ، وإن لم يُفْطِر إلّا بعد رُؤيَةِ الهلال مِنْ شَوّال. وأَعْرِفُ الأذان بـ«**حَيَّ على خَيْرِ العَمَل**» يحدث فيه النَّكَرَة بحَسَبِ القُدْرة ومَبْلَغ الطّاقة مِنَ المُنْكِرِ وضَعْف المُنْكَر عليه، فمِنْ بالغٍ قدرتُهُ في ذلك إلى ضَرْبِ المُؤَذِّن، ومِنْ عاجزٍ عَنْ ذلك قادرٍ على الشَّتْم والكلام القَبِيْح، ومِنْ عائبٍ لذلك قائلٍ بأنّه بِدْعَةٌ وباطلٌ محدثٌ، ونحو ذلك. وإنّما كان يُؤَذَّنُ بذلك عندنا وعند الشّيخ إبراهيمَ(٢)، وفي مَوضِعين آخَرَيْن مِنَ البَلَد وعند السّلطان حَبَشيّ بنِ عبد الباعث بنِ جعفر بنِ حبشي ﵀، وذلك كلُّهُ بسبب إبراهيمَ ﵀ لأنّ هذه مواضعُ مَنْ كان قدِ اتَّبَعَهُ على التَّشَيُّع، وسنذكرُ خبرَهُ مع السُّلْطان حَبَشي ﵀، وقصّة توبتِهِ على يَدِهِ، إنْ شاء الله. فأمّا عندنا فلأنَّ والدي ﵀ كان مُحْتَشِماً عندهم، وكان ذا سَعَةٍ ومال لا تَزالُ يَدُهُ مبسوطةً بقَضاء[١٨٦](٣) حَوائجِ الخاصّة والعامّة، وبابُهُ مفتوحاً لهم، يُعْطي سائلَهم ويُقْري وافدَهم ويَدّانون منه الدُّيُون فيَتَغاضى

---

(١) قوله: «أقلب» كذا! ولعلّه أراد: أقلب الاسم.

(٢) بعده في المخطوط كلمتان محكوكتان، ولعلّ ذلك استغناء لذكره شيخه إبراهيم، مع أنّ ما حُكّ هو: «بن جعفر».

(٣) كرّر في المخطوط قوله: «بقضاء» مرّة في آخر الصّفحة ومرّة في بداية تِلْوها.

عَنِ اسْتِيْفاء كثيرٍ منها، وتُعْرِضُ عليه الأَطْيان الجيّدة، والعُلُوق مِنَ الأَمْوال الضَّنِينة، فإذا فَهِمَ مِنْ عَرْضِ أَحَدِهم الرَّغبةَ فيها شَراها له أو لم يَعْرِضْ لها إِنْ فَهِمَ منه اختيار ذلك. ويَرَى ما يَسُوؤُهُ في دُنْياهُ منهم، فلا يَتَأَلَّمُ ولا يشكو ولا يُعاتِبُ فيه، يَبْتَدِيْهم بالإِحْسان، ويَحتملُ منهم الإساءة.

وكان يَقُومُ بمَصالِحِ مسجدِ القرية الّتي نَشَأْتُ بها وإِطْعام مَنْ يَقْصِدُهُ. فربّما يأتي بعض مُؤَذِّني الشِّيْعة فيُؤَذِّنُ بـ«**حَيَّ على خَيْرِ العَمَل**» بباب ذلك المسجد، وهُمْ به فيَنْزِل بهم وعد الله مِنَ الغَيْظ والشَّرّ، ثمّ يقولون: نحنُ نستحي مِنْ فلانٍ -يَعْنُونَهُ ﷺ- وهو عندنا كبيرٌ.

وفيهم مَنْ أَعْرِفُهُ ببُغْضِ الحَقِّ وأَهْلِهِ، والعَداوَةِ المُفْرِطَة لآلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه، ومَنْ يَمِيلُ إليهم ويَتَسَمَّى بوَلايَتِهِم، عالماً كان أو جاهلاً؛ كلّ ذلك يَمُرُّ بي في صِغَري ومع ذلك لا أَصْبِرُ عَنْ خُصُومتهم في ذلك، وهم أَهْل الطِّيْنَة وأَهْل المسجد، ثمّ لا يَكُفُّهم عَنِ الإساءة إليَّ إلّا إِحْسانُ اللهِ تعالى وإِحْسانُ والدي، رحمةُ الله عليه، واحتقارُ أَمْري وصِغَرُ سِنّيّ، فلم يَزَلْ ذلك حتّى ذَهَبَ ذلك القَرْنُ مِنْ شُيُوخهم ورِجالِهم.

فلمّا أَدْرَكْتُ كنتُ مُعَذَّباً بأَنواعِ العَذابِ مِنْ نفسي ومِنْ خارج، فأمّا مِنْ نفسي فلِتَجاذُبِ الخَواطِرِ والآراء ومُغالَبِةِ الهَوَى والتَّرَدُّدِ بين الجَنّة والنّار. وأمّا مِنْ خارج فلِقِلَّةِ النّاصر على ما داخل النَّفْس، وكَثْرَة أَنْصارها على العَقْل مِنْ جُنْد الشّيطان، **مِنْ شابٍّ** في سِنِّيّ يَدْعوني إلى سُنّة البلد في الضّلالة عَنِ الله، ورُكُوب ما حَرَّمَ مِنْ شُرْبِ خَمْرٍ، ورُكُوبِ فَرْجٍ مُحَرَّم، لا يمنعني مِنْ مُساعَدَتِهِ إلّا التَّنَغُّصُ بذِكْرِ الوَعِيد والحَياء مِنَ الوالِدَين، رحمهما الله، والتَّجَمُّلُ قُبالَةَ العَدُوِّ والحاسد خَوفَ الشَّماتَةِ بالوالد ﷺ. **ومِنْ كَهْلٍ وذي سِنٍّ** يدعوني إلى اعْتِقاد ضَلالةٍ وتَقَلُّدِ مَقالةٍ اسْتَنْكِرُها على الجُمْلَةِ، ولا أَعْرِفُ فَسادَها على التَّفْصيل ولا بالحُجَّةِ؛ منهم: **داعٍ** إلى رَأْيِ الحَشَوِيَّة **وآخَرُ** إلى دِيْنِ الإباضِيَّة، **وثالث** إلى مقالة الباطِنِيَّة، **ورابع** إلى شَواذِّ أَغْلاط طَوائِفَ مِنَ الزّيديّة؛ فأُقْدِمُ ثمّ أُحْجِم[١٨٧]، وأَنْطِقُ

ثُمَّ أُجَمْجِم، وأَثْبُتُ ثمّ أَنْكُص.

ولقد كان مِنْ عجيبِ ما عَرَضَ لي يومئذٍ، على انْقِطاع البلدِ عَنْ كَثْرَةِ السّالكين، وصُعُوبتها على المُتَطَرِّفين، ومَيْلِها عَن قُرَى اليمن الكِبار، وجَوادِّها المَحْجُوجة للأَسْفار= أنّ رَجُلاً مِنَ الباطنيّة الصُّوفيّة مَرَّ بها -وكان يَرَى رَأْيَ الشَّلبيِّ[١] وأَصْحابِهِ- فنَزَلَ مِنْ بينهما بمسجدِ مَحَلِّنا خاصّةً، وذلك بعد أَنْ عَرَضت لي عِبْرَةٌ بأَقْوام مِنْ لِداتي صَدَرُوا إلى الله ونَزَلَ بهم قَضاؤُهُ فقَدِمُوا عليه بلا أُهْبَةٍ ولَقُوهُ[٢] بلا عُذْرٍ ولا حُجَّة، وقد فارقوا الدُّنْيا بلا زادٍ ولا عُدّةٍ، فكنتُ عظيمَ الزُّهْد في الدُّنْيا شديدَ الرَّغْبة في العِلْم والعَمَلِ للآخرة، فدخلتُ المسجدَ للصّلاة والحديثِ مع مَنْ أَجِدُ فيه، وكنتُ لا أَتْرُكَ ذلك، فلمّا اطْمَأْنَنْتُ بالمسجد كلَّمتُهُ فوَجَدْتُهُ يَدَّعي العِلْمَ بأُمُورٍ عجيبةٍ وأشياءَ غريبةٍ مِنْ فلسفةٍ وطِبٍّ وعِلْم دِيانةٍ وصَنْعة كِيْمِياء، ويحكي أَخْباراً في ذلك يَنْخَدِعُ لها الجاهلُ مع رِوايَتِهِ مِنْ أَخْبار الزُّهّاد والعُبّاد، نحو رابِعَةَ وإبراهيمَ بنِ أَدْهَم وغيرِهما، لِما يُقَيِّدُ به سَمْعَ الجليسِ إلى أَنْ يَفْتِنَهُ بذِكْرِ ما يَدَّعي مِنْ كَرامات الصُّوفيّة ومَسِيْرِهم على الماء ووُثُوبِهم في الهواء، وأَنَّ الشَّلبيَّ سُجِنَ خَلْفَ بابٍ في بعض السُّجُون، فلمّا اسْتَوْثَقَ السَّجّانُ مِنَ الباب وأَحْكَمَ إغْلاقَهُ، قال: الله. فإذا هو بين أَصْحابِهِ؛ ونحو ذلك مِنَ الدَّعاوى الّتي هي الآنَ بين الحَشَويَّة ظاهرةٌ.

فتَحَيَّرْتُ -عَلِمَ اللهُ- وشَكَكْتُ وخامَرَني أَمْرٌ عظيمٌ، لكَثْرَةِ ما سمعتُ فيه مِنَ التَّمْويهِ والتَّلْبِيس وغَريبِ ما سمعتُ منه مِنَ الكلام في الواحِدانيّة والبساطة والبسائط والعَقْل والنَّفْس والصّانع؛ تعالى اللهُ عمّا يَقولُ الظّالمون، ويُقدم به عليه العادلون. فطالبتُهُ بالكَشْف عَنْ سِرِّ كلامِهِ ومَحْضِ صَفْوِ مذهبِهِ، وقد زَعَمَ لي أَنَّ العُلُومَ ثلاثةٌ: عِلْمُ يَقِينٍ وعَيْنُ يَقِينٍ وحَقُّ يَقِين. وذَكَرَ أَنَّ عِلْمَ اليَقِينِ عِلْمُ الأَسْماء الّتي عَلَّمَها اللهُ آدَمَ، عليه

---

(١) في المخطوط: «الشّبلي» ولعلّه سبق نظر، وسيأتي بُعيد أسطر على الصّواب.

(٢) في المخطوط: «لقيوه» كذا، وهو استخدامٌ تكرّر غيرَ مرّةٍ في الكتاب، نحو قوله فيما سلف: «نسيوا» و«رضيوا».

السّلام، وذلك عِلْمُ المَنْطِق فيما يَقُولون. وأَنَّ عَيْنَ اليَقِينِ عِلْمُ الفَلَكِيّاتِ والأَرْكان، وما أَشْبَهَ ذلك[١٨٨]، وذَكَرَ أَنَّهُ عِلْمُ إِدْرِيس، عليه السّلام، الّذي عَلَّمَهُ اللهُ إِيّاهُ وأَنَّهُ المثلّث، أي بالحكمة والنِّعْمة في عِلْمِ الطِّبِّ والنَّجامَة والهَنْدَسَة ونحو ذلك مِمّا هو معروفٌ في كلامهم، وحَقُّ اليَقِينِ عِلْمُ مَعاني ذلك كُلِّهِ وسِرُّهُ الّذي فيه، وتَأْوِيلُهُ، وأَنَّهُ زَعَم أنّه عِلْم محمّدٍ، صلّى الله عليه، الّذي علّمَهُ اللهُ إيّاه.

فتَداخَلَني شوقٌ إلى العِلْم بصحّة ما قال أو فَساده، ولم أَجِدْ في نفسي نَظَراً يَفُكُّ رِبْقَةَ ما عَقَدَ في عُنُقي مِن تَوَهُّمِهِ والظُّنُون فيه، فزِدْتُ في كرامَتِهِ ومَدَحْتُهُ عند والدي فأَحْسَنَ إليه، ثمّ إنّي لَجِجْتُ عليه في طَلَبِ الفائدة منه، والتَّبَدّيّ في تَعْلِيمِ وَجْهٍ مِنْ بعضِ ما ادَّعى من هذا وسِواهُ، فأَخَذَني باسْتِخْراجِ خَبيءٍ[١] قولِ الفلاسفة: أوّل الفِكْرة آخر العمل. فلم أَكُنْ أُعاوِدُهُ في سُؤالٍ إلّا أَخَذَني بذلك ولا أَجِدُ إلى غَرَضِهِ فيه سَبيلاً، فإذا غَفَلْتُ عَنِ النَّظَرِ أَخَذَني بالتَّحْرِيض والتَّبْكِيت[٢] حتّى أَبْكي أَسَفاً، ثمّ أَصْبَحَ على الرَّحِيلِ بعدَ أيّامٍ، ووَعَدَني الرُّجُوعَ والفائدةَ عند رُجُوعِهِ فلم أَرَهُ بعد ذلك، ولم يُحْوِجْني الله سبحانَهُ إليه.

بَعْدَهُ صِرْتَ إلى منزلِ هذا الشّيخِ إبراهيمَ بنِ عليٍّ، رحمةُ الله عليه، بعد تَوَقُّفٍ وتَمَكُّثٍ خامَرَني فيه حَياءٌ وهَيْبَةٌ واحِتِراسٌ مِنْ قَصْدِ المَنْزِل على مَجْرَى عادَةِ أَهْل البلد في ذلك. إِذْ كان ذلك مِنْ طِباعهم ومَعْدُوداً في مَكارِمِ الأَخْلاق عندهم، لقد كنتُ أَسْمَعُهم يَعِيْبُون اجتماعَ الإباضِيَّة في المساجد وتَزاوُرَهم في الجماعاتِ للذِّكْرِ، ويَعُدُّون ذلك منهم نَهَماً وجَشَعاً ورَغْبَةً في الأَكْلِ والشُّرْب لا غير.

فلمّا عَظُمَ عليَّ أَمْرُ رِيبَتي صِرْتُ[٣] زائراً له، عَمَلاً بفَرْضِ التَّزاوُرِ في الله، وطلباً لحَلِّ ما أَوْدَعَني هذا الطّارئُ مِن الشُّبَهِ في الدِّيْن والرَّأْي، فوَفَّقَني الله بزيارتِهِ للخَيْرِ، فوَرَدْتُ

---

(١) في المخطوط: «خبّى» بتشديد الباء.

(٢) التَّبْكِيت: التّقريع والغَلَبة بالحُجّة.

(٣) قوله: «أمر ريبتي صرت» يحتمل أن يُقرأ رسمُهُ لكثرة ما أصابه من الأذى: «أمر ديني صممت».

إليه بأَيْمَنِ طَيْرٍ، وصَدَرْتُ بأَنْفس مَيْر[١]. ولم أَرْجِعْ حتّى قَدَّمَ عندي مُقَدِّماتٍ، كَثُرَتْ بَرَكَتُها، وزَكَتْ ثَمَرَتُها، لم يكن له مَعْدِلٌ دون إصابَةِ الحَقِّ عَقْلاً وشَرْعاً. وكان أَقَلُّ ما أَصَبْتُ ببركَتِهِ الجُرْأَةَ على زيارة الإِخْوان والخُرُوج مِنْ عادةِ[١٨٩][٢] البُخَلاءِ والأَوْباش مِنَ التَّوَحُّش والخُذْلان.

ثمّ صادَفتْ بعضُ زَواراتي[٣] له رحمه الله، وعندَهُ هبةُ الله تعالى لي، ومَأْدبة في ديني، وتمام خُلْطَتي بالصّالحين وفائدتي، العبدَ الصّالحَ أَسْعَدَ بنَ عبد الفاضل بنِ يحيى العُبَيديَّ اليامِيَّ، وهو رَجُلٌ مِنْ آلِ أبي عُبَيْدة الهبريّين، الّذين يَنْزِلُون مَدَر مِنْ مَشْرِق حاشِد؛ كانت له عِبادةٌ وعِفّةٌ وزُهْدٌ ووَرَعٌ وخُلْطَةٌ بالزّيديّة وصُحْبَةٌ -لاسيّما بعُلَيّانَ بن سَعدٍ البَحيريِّ، رحمهم الله جميعاً، وبالحسين وعليّ ابْنَي عبد الحميد الخَلْطيِّ المَسْوَريِّ- ومعقولٌ فائقٌ ورِفْقٌ بَلِيغٌ وتَأْديةٌ في التّعليم إلى الغاية، ولُطْفٌ في السُّؤالِ والجَواب، وتَأَنٍّ لتَمْكين المعاني في المسائل والأَجْوِبة مِنَ العُقُول وتَقْريرها في النُّفُوس= ما لم أَرَ عليه مثلَه ممّن رأيتُ مِنَ الزّيديّة في عَصْري، مع إيْجازٍ في القولِ وحَذْفٍ للفَضُول، وإقْبالٍ على القَصْد، وإعْراضٍ عمّا لا يَليقُ بالوَقْت، ورِعايةٍ لحُقُوق النّاس، وإعْظامٍ لِما عَظَّمَ الله، وتَحْقيرٍ لِما حَقَّرَ الله، وتَوَقُّرٍ على الهداية والإرْشاد والإصْلاح في الأَرْض، وإيْثارٍ على نفسه بما لا ينبغي، واسْتِيفاءٍ مِنَ الحُقُوق لِما يكون إضاعَتُهُ داخلةً على الدّين مُخِلّةً بالفَرْض المُبين، وسُوءِ ظَنٍّ بمَنْ لا يُوثَقُ به مِنَ النّاس، واحْتِراسٍ مِنْ كثيرٍ ممّن لا يُؤمن بثُبُوتِه، ويَخافُ جَفْوَتَهُ، وحُسْنِ تَلَقُّفٍ للمُقْبل وتَدارُكٍ للمُدْبر، وسنذكر مِنْ أَخْبارِهِ ما يَخْطُرُ بالبال في موضعٍ يصلح اللهُ، إنْ شاء الله.

---

(١) **المَيْر** كالمِيْرة: القُوت.

(٢) كُرّر في المخطوط قوله «من عادة» مرّة في نهاية الورقة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

(٣) **زَواراتي** وزِياراتي بمعنًى، والواحدة من ذلك: زَوارَة وزِيارة.

وكان هذا الشّيخُ السّعيدُ الوَطْأَةِ على أَرْضنا الميمونُ النَّقِيْبَة عندنا، إبراهيمُ بنُ عليٍّ ﷺ قد اسْتَدْعاهُ لتَأْدِيْب وَلدِهِ وولدِ أخيه معهُ، وجَمَعَ له فِتْياناً مِنْ أَهْل البلد أَسْعَدَ الله جُدُودَهم بمعرفته، إذْ كان لم يَقْتَصِر بهم على تَعْلِيم القرآن فقط، بل كان يُلَقِّنُهم مسائلَ جَمَّةَ النَّفْع عظيمةَ القَدْر في الأُصُول الدّينيّة والفُرُوع، كثيرةً غزيرةً تشتمل على جُمَلٍ وجَوامِعَ[١٩٠] كافيةٍ في معرفةِ الحَقِّ؛ وأَخَذَهم بتَعَلُّمِ الصّلوات والطَّهارات والوَرَع حتّى نَشَّأَ أَحْسَنَ مَنْشَأٍ، وكَثَّرَ فيهم الخير.

وكان ﷺ جَيِّدَ القراءةِ، مُتَوَسِّطَ الخَطِّ، يكتبُ المَصاحفَ ويَنْتَفِعُ بأَثْمانها؛ لِشِدَّةِ احْتِرازِهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لسُؤالِ المَخْلوقين، وكان لَهُ شيءٌ مِنْ مالٍ في مَدَر ونواحيها يَنْفَعُهُ الله بِهِ في الوقت بعد الوقت. فناطَ اللهُ سبحانَهُ بِهِ رِباطي حتّى زُرْتُ في صُحْبَتِهِ وَقَش، وعَرَفْتُ طائفةً مِنَ الصّالحين بالبَوْنَيْنِ والصَّيَد ومواضعَ أُخْرى، وعرفتُ كثيراً مِنْ بَقايا شُيُوخِ الزّيديّة الأَفْضَلين الّذين لا أَعْرِفُ صفاتِهم إلّا في الحَوارِيِّين أوِ المهاجرين والأَنْصار[1] وأَعلامِ التّابعين، رحمةُ الله عليهم ورضوانُهُ. وانطلقتْ رِجْلي في زيارة الصّالحين، وأَنِسْتُ إلى ذلك، فكانتْ هذه سُنَّةً حَسُنةً، أَجْرُها لِمَنْ سَنَّها وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يوم القيامة.

وكان أَسْعَدُ ﷺ على ما لم أُحْصِ مِنْ صِفته، ولم أُوْفِ مِنْ ذِكْرِ فَضْلِهِ، حسنةً مِنْ حَسَناتِ إبراهيمَ، رحمهما الله، وكلُّ شيءٍ كان مِنْ تَشَيُّعٍ في هذه الدِّيار عندنا يُحْمَدُ عند الله وعند النّاس، ويَجْمُلُ ذِكْرُهُ أو تُرَجّى بَرَكَتُهُ= فإنّما هو بسبَبِهِ ومِنْ أَجْلِهِ وتيمّنِهِ وسَعادَتِهِ؛ فأَحْسَنَ اللهُ عنّا جَزاءَهُ وأَكْرَمَ لديه مَثْواهُ.

فهذه الحكايةُ الّتي أَوْرَدْتُ ههنا وإِنْ ظَنَّ الظّانُّ -ممّن يجهلُ ما ذكرتُ ممّا قاسيتُ فيها، وقاسى غيري مِنْ مُتَشَيِّعَةِ البِلاد، وقاسى هذا الشّيخُ إبراهيمُ ﷺ- أنّي قد أَكْثَرْتُ

---

(١) في المخطوط: «الأنصارين»، وآخره بقلمٍ حديثٍ، والعبارة غير متّجهة.

فيها فإنّها، وإنْ طالَتْ منّي، دون ما كان ينبغي مِنْ حَقِّ الكلام فيها، بل قدِ اجتهدتُ في الاخْتِصار لها وحَذْف التَّطْويل حَسْب ما أَمْكَنَني، ليَعْرِفَ مَنْ يسكن غيرَ بلادِنا، ومَنْ يَأْتي بَعْدَنا مِنْ إخْواننا وأَوْلادنا، فَضْلَ هذا الشّيخ ﷺ وعظيمَ قَدْرِهِ عند الله، وتَأْثيْرَهُ في المِلَّة، وعنايَتَهُ بالدِّيْن في نواحينا، وما أَسْعَدَنا اللهُ بِهِ مِنَ الضَّرُورة المُلْجِئة له حتّى قَصَدها ونَزَلَ بها، وعظيمِ المِنّة لله وله علينا في ذلك[١٩١]، وما خَصَّني به أنا وأَهْل بيتي في أيّامنا مِنْ بَرَكاته؛ إذْ كان والدي ﷺ لم[1] يَمِلْ إلى التَّشَيُّع وقَبولِهِ حتّى عُنيَ به السّلطانُ حَبَشيُّ بنُ عبد الباعث ﷺ؛ وحَبَشيُّ إنّما معلّمُهُ لمذهب الزّيديّة إبراهيم ﷺ. وإنّما كان آباؤُنا مِنْ قَبْلُ يَرَونَ مَذاهِبَ رَدِيئةً، ويَعْتَقِدون آراءً ضالَّةً بحَسَبِ ما كان في أَعْصارهم مِنْ اعْتِقادِ أَهْلِ دِيارهم إلّا الأقلّ منهم، وما أَدْري مَنْ هو.

قال الشّيخُ السَّعيدُ مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيُّ، رحمةُ الله عليه، والآنَ أُتْبِعُ بمشيئةِ الله هذا الفَصْلَ ما حفظتُ مِنْ أَخْبارِ إبراهيمَ، رحمةُ الله عليه، وذِكْر ما قاسى بعد مَصِيرِهِ إلى هذه البَلْدة، والسَّبَب الجاذب[2] له إليها.

أَخْبَرَني الشّيخُ إبراهيمُ بنُ عليٍّ ﷺ قال: كان قُدُومي شَظَب وقد أَصابتِ النّاسَ سَنَةٌ شديدةٌ أَتَتْ على أَكْثَرهم، وأَخْبَرَني ابنُ أَخِيْهِ أحمدُ بنُ زُبَيد بنِ عليٍّ عَنْهُ أَنَّها كانتِ المَجاعَةَ المعروفةَ بسَنَة قَرْنِ عَنْتَر؛ وأَخْبَرَني القاضي أبو الخير أحمدُ بنُ عبد السّلام بنِ أبي يحيى بصَنْعاء أنّها كانت سنةً مُهْلِكَةً مُتَناهيةً في الغَلاء والقَحْط لاسِيَّما بصَنْعاء وبلاد حِمْيَر هَمْدان ونَواحِيْها= قال: وكان الأَشْرافُ مِنَ آلِ القاسم قد حَصَرُوا بني الصُّلَيحيِّ والزَّواحيِّ وأَعْوانَهم بصَنْعاء وشِبام.

فأَخْبَرَني غيرُ واحدٍ، منهم مالكُ بنُ عبدِ الله المطعميُّ ويوسفُ بنُ الذُّويب المعروف

---

(١) كرّر في المخطوط: «لم».

(٢) في المخطوط: «الحاذب» برسم علامة الإهمال تحت الحاء، ولا معنى له، إلّا أن يكون ممّا أغفلته معجمات العربيّة.

بمسعود، وكان مِنْ عُبّادِ أَهْلِ الظّاهر وأَعِفّاءِ الحُسَينيّة وأَهْلِ الوَرَع ومَنْ يُمالُ إلى تَصْديق خَبَرِهِ في هذا ومثلِهِ= أَنّ الأَشْراف أَخَذُوا على أَهْلِ الدَّعْوةِ الصُّلَيحيّة أَقْطارَ البلاد يومئذٍ، فكان بعضُهم في قَلْعَة ثُلا يَحْصِرُ مَنْ بكَوْكبان وشِبام، وبعضهم بيَناع وحَضُور، وبعضُهم بالمَعْلَل ثمّ بقَرْنِ عَنْتَر يَحْصِرُ بيتَ بَوْس وصَنْعاء ومَنْ بها، وبعضُهم بمشارق صَنْعاء يَحْصِرُونها، فكان منهم مَنْ هو بالمَقْطُوع مِنْ جبل كَنِن، ومنهم مَنْ هو ببقيح[1] مِن جبال التَّناعُم ونواحي السِّرِّ والمَشْرِق؛ وأَنَّ الأَشْراف طَمِعُوا بالفَتْح فضايَقُوهم في الحِصار حتّى لم يكن يُوجدُ إلى الطّعامِ سبيلٌ ولا وَجْهٌ، واعتقدوا أَنَّ هَلاكَهم يُسْتَباحُ معه كُلُّ مَحْظُور فضايَقُوا أيضاً مَنْ تحت أَيْدِيْهم وفي مملكتهم مِنَ القَبائل في الجبا حتّى أَمَرُوا بأَخْذِ تسعةِ أَعْشارِ أَمْوالهم[١٩٢]. وقد ذَكَرَ العِلَّة في ذلك وإباحته مفرّحُ بنُ أحمدَ الرَّبَعيُّ في كتاب (**سِيْرة آل القاسم**) وأَخْبار دَوْلتهم بشَهارَة مُفَصَّلاً.

فأَخْبَرَني القاضي أحمدُ بنُ عبد السّلام بنِ أبي يحيى قال: لم يَزَلْ ذلك كذلك حتّى نَظَرَ الشّريفانِ القاسمُ ومحمّدُ ابنا جعفرِ بنِ القاسم بنِ عليٍّ في دِيْوان دَخْلِهما وخَرْجِهما فوَجَدا ما يَدْخُلُ نَحْواً مِنْ[2] سبعينَ أَلْفاً وما يخرج نَحْواً مِنْ مئة ألفٍ وأربعين أَلْفاً أو أَكْثَر، فأَيْقَنا بتَعَذُّرِ الأَمْرِ واخْتِلالِ الحال، فانْصَرَفَ مَنْ كان منهما بمَسْوَر إلى شَهارَة، وكَتَبَا إلى أَهْلِ الحُصُون والقِلاع والعُمّال في البلاد، فانصرفوا[3] معاً في ليلةٍ واحدة.

ذَكَرَ مفرّحُ بنُ أحمدَ الرَّبَعيُّ في (**السِّيْرة**) أنّهم انَصرَفُوا مِنْ ثلاثين حِصْناً، فلهذا عُرِفَتْ هذه المجاعة بسَنَة قَرْن عَنْتَر. و(**قرن عَنْتَر**): أَكَمَةٌ معروفةٌ بأَرْضِ بني شِهاب في شَرْقيّ المَعْلَل وشَماليّه، مُطِلَّةٌ على قلعة[4] بيت بَوْس وقاع صَنْعاء.

---

(١) قوله: «ببقيح» كذا ولم أقف على ذكر له فيما وقفت عليه من مصادر.

(٢) في المخطوط: «نحو من» من دون تنوين النّصب، وستكرّر فيما سيأتي بُعيده.

(٣) في المخطوط: «بالانصراف» ثمّ كتب بالهامش: «فانصرفوا» ولم يُشر إلى موضعها من المتن على غير المعتاد منه، وكأنّه أراد البدل، أو لعلّه أراد الإيضاح والزيادة، فتكون العبارة حينئذٍ: «بالانصراف فانصرفوا».

(٤) في المخطوط: «قعلة».

قال القاضي أحمدُ بنُ عبد السّلام: فأَخْبَرَتْني الحُرَّةُ الملكةُ السَّيِّدَةُ بنتُ أَحْمَدَ الصُّلَيحيّةُ أنّهم حين اسْتَرْخى الخِناقُ بهم وانْقَضَى الحصارُ(١) وقَسَمَ المُكَرَّمُ الملكُ الصُّلَيحيُّ -وهو بَعْلُها- البلادَ بين الحِجاز مِنْ جُنْدِهِ عِوَضاً مِنْ جَراياهم ووظائفهم، فَرِحُوا بالانْفِكاك عَنْ صَنْعاء إلى دَواخِلِ اليَمَن، فَقَصَدوا مخلافَ جعفرٍ، ونَزَلُوا مدينةَ ذي جِبْلة. قال: فقالتْ: يا قاضي، ما خَرَجَتْ يومئذٍ صُلَيْحِيَّةٌ وفي أُذُنِها خُرْصٌ إلّا الصُّفْر؛ لشِدَّةِ ما احْتاجُوا إليه مِنَ النَّفَقة، وعظيمِ ما نَزَلَ بهم مِنَ الفاقة في تلك المُدّة.

قال الشّيخُ(٢) مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ رحمه الله: وأَظُنُّ أنا أَنَّ إبراهيمَ رحمه الله أَخْبَرَني بما يَدُلُّ على أَنَّ قُدُومَهُ البلدَ عندنا أوّلَ مَرَّةٍ كان قبل ذلك، لأنّ في أَخْبارِهِ ما يَدُلُّ على أَنَّ طُلُوعَ الأَشْراف مع الأَمِيرِ محمّدِ بنِ جعفر بنِ القاسم جَبَلَ شَظَب المَرَّةَ الأولى، وقَتْلَهم لأَهْلِ رَأْسِ الجَبَل كان وقد صار في البَلَد مَنْ يَتَشَيَّعُ؛ لأنّهم إنّما جَذَبُوهم إلى جَبَلِهم هذا طَلَباً لطَرْدِ عُمّالِ الصُّلَيحيِّين عَنهُ. وذلك أَنَّ في خَبَرِ إبراهيمَ رحمه الله -وفيما سَنُورد منه- أَنَّ أَوَّلَ معرفتِهِ مِنْ أَهْلِ جَبَلِ شَظَب كان بالدِّرْهميِّ بنِ جعفرٍ رحمه الله، وأَنَّهُ وَرَدَ عليه وهو إباضيُّ الاعْتِقاد فتابَ على يَدَيْهِ[١٩٣].

وأَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنَّ الدِّرْهميَّ حين سَمِعَ بقُدُومِ الأَمِيرِ محمّدِ بنِ جعفرٍ، وكان جيشُهُ أَتَى البلدَ مِنْ طريقِ وادي الثّاجة، أَقْبَلَ حتّى أَشْرَفَ مِنْ حِذاء الماجِل، المعروف بالجاهليّ، غربيّ قُرَى الظَّهْراوَيْن مِنْ رَأْسِ الجَبَل، فلمّا رَأَى الرّايةَ فَرِحَ ومَدَّ يَدَيْهِ يَقُولُ: مَرْحَباً وأَهْلاً بك، يا بنَ رسولِ الله. فلمّا صار الجيشُ إلى أعلى الجَبَل وَضَعُوا في النّاس السَّيْف، فقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا منهم، وأُصِيبَ يومئذٍ رِزامُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ عبد الصّمد بجِراحاتٍ كثيرةٍ شَلَّتْ منها يَداهُ ولم يَمُتْ، وهو يومئذٍ لا يَعْتِقد شيئاً مِنَ الدِّين الّذي صارَ إليه.

---

(١) قوله: «حين استرخى الخناق بهم وانقضى الحصار» يحتمل أن يُقرأ: «حين استرخاء الخناق وانقضاء الحصار».

(٢) كُتِبَ فوقه بالمخطوط بخطٍّ مغاير: «السّيّد».

وأَخْبَرَني إبراهيمُ ﷺ أَنَّ تَوبَتَهُ كانت مُتَأَخِّرةً جَدًّا عَنْ تَوبة الدِّرْهميِّ ﷺ، فدَلَّ هذا كُلُّهُ على أَنَّ إبراهيمَ قد كان قَدِمَ البلدَ، وتَشَيُّع الدِّرْهميُّ قَبْلَ هذا ونَحْوِهِ ممّن كان يَكْتُمُ أَمْرَهُ في ذلك الزَّمان. ولعلَّهُ تَحَوَّلَ للإقامة والمُكْثِ بالبلد مَرَّةً أُخْرى في سنة قَرْنِ عَنْتَر، والله أَعْلَم.

قال الشّيخُ[1] مُسَلَّمُ بن[2] محمّدٍ، رحمةُ الله عليه: قال إبراهيم بن عليّ ﷺ في سِياق حديثِهِ في قُدُومِهِ شَظَب: لـمّا أَصابَتِ النّاسَ السّنةُ اشْتَدَّتْ رَغْبَتي إلى صديقٍ لي كان بناحية بلد الأَقْهُوم، كان يَنْزِلُ وادي بيت أَكْلُب للاسْتِعانة برَأْيِهِ. قال الشّيخُ السّعيدُ مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيُّ، رحمةُ الله عليه: وأَحْسِبُه قاضياً كان هناك مِنَ الزّيديّة يُعرف بعُمَر، وذَهَبَ[3] عَنّي اسْمُ أبيهِ، فقد كان إبراهيمُ ﷺ يَذكرُ محبَّةَ ما بينهما في الله ويَرْوي عنه أَخْباراً ويُعِيْدُ ذِكْرَهُ غيرَ مَرَّةٍ.

قال الشّيخُ مُسَلَّمُ ﷺ: قال إبراهيمُ ﷺ: فأَتَيْتُ بيتَ أَكْلُب ونَزَلْتُ بصديقي ذلك وشكوت عليه أَمْري وقَلَّ ما بيدي مِنَ النَّفَقة وشِدَّة القَحْط في البلاد، فقال: لي صديقٌ بالظَّهْراوَيْن مِنْ رَأْس شَظَب ذو مالٍ وسَعَة، وله عِنَبٌ فيه ثَمَرٌ صالح، وقد سَأَلَني طَلَبَ رَجُلٍ ثِقَةٍ يكونُ لهُ فيه حامِياً، مِنْ غيرِ أَنْ أَكُونَ أَطْمَع منه بفَضْل سَماحٍ فإنَّهُ رَجُلٌ مُقَدِّرٌ للأُمُور، وهذه سَنَةٌ كما ترى، ونَجاتُكَ منها برَأْسِكِ رَأْسُ مالٍ، فهل لك أَنْ تَأْتِيَهُ مِنّي بأَمارةٍ وتَتَمَتَّعُ معه أَنْتَ وأَهْلُكُ بشيءٍ مِنَ الحلالِ تأكلُهُ في فِيْك فقط أنت[١٩٤] وأَهْلُك، فإِنْ عِشْتَ بعد ذلك ففَضْلُ الله عليك كثيرٌ، ورَجاؤُك فيه حَسَن. فقبلتُ مَشُورتَهُ وسأَلتُهُ عَنِ اسمِهِ؟ فقال: الدِّرْهميّ. فأَتَيْتُ شَظَب وقَصَدْتُ الموضعَ بالأَمارَة فلم أَعْدُ أَنْ أَقْبَلْتُ وهو بباب دارِهِ يُنْجِزُ شيئاً مِنَ الآلة للحَرْثِ أو غيرِهِ، فسَلَّمْتُ عليه، فواللهِ ما أَجابني إلّا بكلمةٍ واحدة، وهي أَنْ قال: مرحباً. لا غير، وتَهاون بي. ففَكَّرْتُ في الأَنَفَةِ والتَّواضُع

---

(١) كُتِبَ فوقه بالمخطوط بخطٍّ مغاير: «السّيّد».

(٢) كُتِبَ فوقه بالمخطوط: «بن بن» بتكرار «بن».

(٣) قوله: «بعُمَر وذهب عنّي» يحتمل الرّسم لعدم معرفة المذكور أن يُقرأ: «بعَمْرٍو ذهب عني».

وضَرُورةِ ممْسَى تلك اللّيلة، فاسْتَقْبَحْتُ الأَنَفَةَ وعُدْتُ إلى التَّواضُعِ، فقلتُ لَهُ: أنت فلان؟ قال: نعم. قلتُ: بَعَثَني إليك فلانٌ، وقال: إنّك عَهِدْتَ إليه أَنْ يطلبَ لك حامياً لعِنَبٍ لك وها أنا ذا إِنْ رَغِبت. فلم يُبْعدني، وعملتُ على وُقُوف تلك اللّيلة ضَرورةً. فلمّا فَرَغَ مِنْ عملِهِ دَعاني حتّى انتهينا إلى العِنَب الّذي أَرادَ حِياطَتَهُ لهُ، فأَتَيْنا وهو حين تَبَدَّى في الطِّيْب، وفيه ثَمَرَةٌ صالحة، فراسَمَني على شيءٍ عامَلَني به في وُقُوفي فيه، فلمّا تعاقَدْنا على ذلك أَخْبَرْتُهُ أَنَّ معي امرأةً، فكأَنَّهُ ثَقُلَ عليه ذلك. وقال: كنتُ أُريدُ إنساناً خَليًّا مِنْ هذا. وأَخذَ يَبْتَلِيْني بما يُمْكِنُهُ ممّا يَظُنُّ أَنَّهُ يَخْفَى عليَّ، ويَظْهَرُ صَبْري لِما يُريدُهُ. فلقد خَرَجْنا مِنْ ذلك العِنْبِ ما ذُقْنا منه حَبَّةً فما فوقها، فرآني لا أَهْتَمُّ لذلك. وانصرفتُ لأَهْلي فأَتَيتُ بهم ورَأَيْتُ ذلك أَهْوَنَ مِنَ الموت بالمَشْرِق هُزْلاً ومَجاعَةً.

فنَزَلْنا في دُوَيرةٍ ساتِرَةٍ مُنْتَحِيةٍ عَنِ النّاس قليلاً، وصِرْتُ إلى العِنَب فوَقَفْتُ به وحَصَلَ لنا شيءٌ نَتَبَلَّغُ به، فكنتُ ربمّا أَخافُ على ذلك العِنَب طَيْراً أو حَيَواناً آخَرَ، فلا أَتَمَكَّنُ مِنْ أَتْيِ مَنْزِلي، فتُشْرِفُ به إِليَّ المرأةُ في أوائل اللّيلِ وساعة تَتَيَقَّنُ أَنَّهُ لا يُصادِفُها فيها أَحَدٌ، وقد تَسَتَّرَتْ بما تَقْدِرُ عليه، فتَقِفُ على حَيْدٍ مِنَ الجبل مُشْرِفٍ على ذلك العِنَب، فأَتَلَقّاها فآخُذُ الطّعامَ وتَنْصَرِفُ لا أَذُوقُ ولا تَذُوق مِنْ ذلك العِنَب حَبَّةً. وكأَنَّهُ كان كالمُتَهاونِ بما نأخذ منهُ لو أَخَذْنا شيئاً، أو واثقاً بأنّه لا بُدَّ لنا مِنْ ذلك. فأَخَّرَ القَسْمَ[1] لشيءٍ[١٩٥] مِنْه يُعْطِيْناهُ أُجْرَةً، ثمّ أَتَى فقَسَم زكاتَهُ وقَسَمَ لي منه جانباً، ونظر فيه وتَأَمَّله فلم يَرَ فيه شيئاً يَفْقِدُهُ ولا أَثَراً يُنْكِرُهُ، فاسْتَعْظَمَ ذلك، وقال: يا إبراهيمُ، تَأْتِيكَ امرأةٌ حُبْلى وأنت[2] في عِنَبٍ يُشْتَهى، فلا تَكْسِر شَهْوَتَها منه بشيءٍ. قال: فقلتُ: أيّها الشّيخُ، أمّا الامرأةُ فشَهْوَتُها مُنْكَسِرةٌ عنه لأنّها لم تَرْغَب فيه بعادَةٍ، وأمّا أنا فما أَحْمِيْهِ إذا عَدَوْتُ عليه. قال: فقال لي: يا إبراهيمُ، أَمانةُ الله عليك لا كَفَفْتَ لك يَداً عَنْ شيءٍ مِنْ مالي تحتاجُ إليه بعد اليوم. قلتُ: فما أَصْنَعُ بالمِسْكينِ

---

(١) القَسْم والقِسْمة بمعنًى، على أنّ الرّسم يحتمل أن يُقرأ: «القسمة».

(٢) كرّر في المخطوط قوله: «وأنت».

والسّائلِ يَمُرُّ بي؟ قال: تُعْطِيْهم ما شِئْت. قال: فأَمْسَيْتُ مُسْتَرِيحاً قَرِيرَ عَينٍ في دِيْني ودُنْياي، مِنْ حِرْمان سائلٍ أو مَنْعِ مُحْتاج. قال: وأَحسَنْتُ عِشْرَتَهُ(١) وخَفَّفْتُ عنه مَؤُونَتي بجَهْدي، وتَباعَدْتُ عَنِ التَّعَرُّضِ لمالِهِ، وتَكْلِيْفِهِ الحُقُوق في خاصّتي، فقَوِيَتْ محبّتي في قلبِهِ وتَمَكَّنْتُ منه. وكان ربمّا يَأْتِيني فيَجِدُني(٢) أَقْرَأُ القرآنَ فأَعْظُمُ في نفسِهِ، وكان لا يعلمُ بِقراءتي له ولا يَظُنُّ عندي شيئاً يُنْتَفَعُ به في وَجْهٍ غيرِ ما وَجَّهَني له ممّا أنا بصَدَدِهِ مِنْ حِفْظ ما اسْتَحْفَظَني. فاستأْنَسَ إليَّ فرَفِقْتُ به حتّى قَبِلَ عَنّي اعْتِقادي مِنْ مذهبِ الهادي إلى الحقِّ يحيى بن الحسين، صلوات الله عليه، وأَوْقَفْتُهُ على شيءٍ مِنْ كُتُبي، فكَبُرَ عندَهُ شأني وأَجَلَّني فوق ما كان. ثمّ قَوِيَتْ(٣) بَصِيرتُهُ بالحُجَجِ، وأَيَّدْتُ اعْتِقادَهُ حتّى وَثِقْتُ بِهِ. فقال لي: يا إبراهيمُ، كنتُ رَجُلاً إباضِيًّا أُعْطي زكاتي أَهْلَ رَأْيي مِنَ الإباضِيَّة، وقد رَأَيْتُ أَنْ أَغْرَمَها. فصَوَّبْتُ رَأْيَهُ في ذلك، فأَخْرَجَ شيئاً مِنْ مالِهِ ووَقَفَهُ في ذلك مُؤَبَّداً. **قال الشّيخُ مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ**، رحمةُ الله عليه: فهو إلى الآن يَجْري على ما أَوْصَى به، رحمه الله.

قال الشّيخُ(٤) مُسَلَّمُ رحمه الله: قال إبراهيمُ: وكنّا نَكْتُمُ التَّشَيُّعَ[١٩٦]، فكَتَمَ أَمْرَهُ وكان أَمْرُ البلدِ يومئذٍ إلى الصُّلَيحيِّين، فكان عامِلُهم عليه عبدَ الله بنَ موسى بنِ عيسى بنِ هارون العوفيّ، وكان رئيسَ أَهْلِ مخلافِ البَياض مِنَ القُدَميِّين والجابريِّين مِنْ قِبَلِ الدّولة الصُّلَيحيّة ومِنْ بَعْدِها وقاضيَهم جميعاً. فكان يَتَعَصَّبُ للإباضِيّة ولأَهْلِ الدّعوة الصُّلَيحيّة، فكان يُخافُ مِنْ جِهَتَين.

قال: فلَبِثْتُ أنا وهو لا يعلمُ كثيرٌ(٥) مِنَ النّاس بما نحن عليه.

---

(١) قوله: «وأحسنت عشرته» يحتمل رسمه أن يُقرأ: «وأحسست عسرته».

(٢) قوله: «فيجدني» رُسم في المخطوط: «يحدثني»، ولعلّ النّاسخ توهّم أن الكلمة: «يحدثني» فأتمّ الرسم من وَهْمه.

(٣) قوله: «قوِيت» بكسر الواو، كذا ضُبط في المخطوط، على أنّ المعنى يستقيم ويقوى بها بعده لو كان قال: «قوّيتُ».

(٤) كُتِبَ فوقه بالمخطوط بخطٍّ مغاير: «السّيّد».

(٥) في المخطوط: «كثيراً» بالنّصب، مع أنّ الألف كأنّها مضّببة.

قال الشّيخُ مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيّ رحمه الله: وكان إبراهيمُ رحمه الله رَجُلاً جَلْداً، قَويَّ القَلْبِ والجَسَدِ، ضَخْمَ الكَرادِيْس، عَرِيض ما بين المَنْكِبَين، واسِعَ الصَّدْر، يَصْلُحُ لعملِ الدُّنْيا والدِّيْن، فكان يُعاونُهُ في حَرْثِ أَرْضِهِ وعَمَلِ مالِهِ، ويُعِينُ غيرَهُ، ويُعَلِّمُ إذا فَرَغَ القرآنَ بمسجد بني عبد الصَّمد بالظَّهْراوَيْن مَنْ تَعَلَّم عندَهُ. فانْجَلَتِ المَجاعَةُ وقد اسْتَأْنَسَ وأَنِسَ إليه في البلدِ بعضُ أَهْلِهِ مِنْ غيرِ ظُهُورِ شيءٍ مِنْ أَمْرِهِ يُخافُ مِنْهُ ضَرَرُ الإباضِيّة ولا والي البلد.

فلمّا رأى أنّ ما يُنالُ في شَظَب مِنْ قليلِ الحال -وتَلَطّفُ الحال أَيْسَرُ عليه مِنْ قَحْط بلادِهِ مِنْ مَشْرق حاشِد، وأَذَى بني عَمِّهِ وجَرِّهم الجرائرَ عليه وعليهم- أقامَ به كالمُسْتَتِرِ به المُتواري، وتَلَطَّفَ لنَفَرٍ مِنْ جِيرانِهِ وغيرهم حتّى دَخَلُوا في مذهبه وقَبِلُوا الحَقَّ عنه في سِتْرٍ وكِتْمان. وكان قَبُولُهم كُلٌّ بحَسَبِ فَهْمِهِ ومَبْلَغِ عملِهِ، فلمّا أَطالَ المُكْثَ هناك، وطال اخْتِبارُهم له في عَقْلِهِ وعِلْمِهِ ووَرَعِهِ وطَلَبِهِ لوَجْهِ الله تَمَكّنتْ محبّتُهُ مِنْ قُلُوبِهم فأَحَبَّهُم، وعَمِلَ على الإقامة في البَلَد واسْتَوْطَنَها داراً، فلم يَزَلْ آمناً حتّى فَشا أَمْرُهُ واجْتَرَأَ أَصْحابُهُ على إِظْهار رَأْيِهم، ثمّ عُمِلَتْ فيه حينئذٍ الأَعامِيل، فكان ما سنذكرُهُ ههنا إن شاء الله.

قال الشّيخُ[١] مُسَلَّمُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيّ، رحمةُ الله عليه: فحدّثني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رحمه الله قال: كان[٢] رِزامُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ عبد الصّمد رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الظَّهْراوَيْن مِنْ رأس جَبَل شَظَب[١٩٧]، وكان في شَبابِهِ وحَداثَةِ سِنِّهِ قد أَكْثَرَ مِنَ الجَنايا والمَظالم جَهْدَ طاقتِهِ، وكانتِ الحُسَينيّةُ قد قطّعته أيّامَ دُخُول الأميرِ محمّد بنِ جعفرٍ شَظَب المَرَّةَ الأولى، فصار كالجِرْبة المَحْرُوثة، وعاشَ بعد ذلك وصار أَشَلَّ ضعيفَ الأَعْضاء، فكان ذلك مِنْ سَبَبِ تَوبتِهِ، فعَزَمَ على تَلافي ما بَقِيَ مِنْ حياتِهِ، وكان ذا عزيمةٍ فتابَ على يدي، وعلّمتُهُ ما

---

(١) كُتِبَ فوقه بالمخطوط بخطٍّ مغاير: «السّيّد».

(٢) بعده في المخطوط كلمة ممحوّة، ولعلّها: «رئيسهم» أو كلمة أخرى ضُبّب عليها لاستغناء الكلام عنها.

يحتاجُ إليه مِنْ صَلاتِهِ وطَهارَتِهِ، وكان يَقْعدُ معي في المسجد المَذْكور، ويَقْرَأُ في كُتُبِ الأئمّة، عليهم السّلام، فعلّمتُهُ ما يكتفي به مِنْ أُصُولِ الدِّين في التّوحيد وغيره. ثمّ إنّه عَمِلَ في رَدِّ ما عليه مِنَ المظالم والقَوَد في القَتْل والاعْتِذار إلى مَنْ أساءَ إليه مِنَ النّاس، فبالغ في ذلك وأَتَى بالعَجَب. وأَصْفاني المَوَدَّةَ وظَهَرَ لي منه الإخلاصُ، فازددتُ به أُنْساً وبجُوارِهِ حُبًّا. وكان يَقولُ: ما أُعِدُّ عليَّ مِنَ النِّعَم نعمةً أَفْضَلَ مِنْ قَطْعِ يَدَي وما أُصِبْتُ به مِنَ الحُسَينيّة، ولولا ذلك لكنتُ في أَهْلِ الذُّنُوب أَتَقَلّبُ.

قال الشّيخُ[(١)] مُسَلَّم، رحمةُ الله عليه: وبَلَغَني أَنّ رِزاماً كان يدعو لِمَنْ أَصابَهُ بتلك الجِراحاتِ ويَسْتَغْفِرُ له؛ إذْ كانت أَحَدَ الأسباب في تَوبتِهِ وطَلَبِهِ للنَّجْوَة.

قال الشّيخُ[(٢)] مُسَلَّم: قال إبراهيمُ رحمه الله: ولـمّا استمرَّ رِزامُ بنُ أحمدَ على التّوبة وحقّقَ في الدِّين، كان جَدُّهُ لأبيه محمّدُ بنُ عبد الصّمد في الحياة، وكان جليلاً مِنَ الرِّجالِ عند أَهْلِ بلدِهِ لوجُوهٍ، **أحدُها**: أنّه كان مِنْ شُيُوخ الإباضِيّة وأئمّة الصّلاة فيهم وعُلَماء دِيْنهم والمُقَدَّم في كثيرٍ مِنْ أُمُورهم. **والثّاني**: أنّه كان مِنْ أبناء شُيُوخهم ورُؤسائهم. **والثّالث**: أنّه كان مِنْ ذَوِي الأَمْوال والسَّعَة فيهم؛ إلى غير ذلك مِنَ الفاقة منهم إلى رَأْيِهِ ومَشُورتِهِ، ونحو ذلك.

فكانَ رِزامٌ قد أَهَمَّهُ أَمْرُهُ وبَعُدَتْ عليه الحِيْلَةُ في إخْراجِهِ مِنْ مذهبِ الإباضيّة إلى مذهب الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، وتَوْجِيْهه إلى جهة السّلامة وطريق النّجوة.

قال إبراهيمُ: فشَكا رِزامٌ إليَّ ذلك وقال: ما بَقِيَ عليَّ إلّا أَنْ أَهْجُرَهُ[١٩٨] لأنّه لم يُجِبْني إلى شيءٍ ولا قبل عَنِّي ما أَدُلُّهُ عليه مِنْ طريق النَّجْوَةِ. فقلتُ: ليس هذا وَجْهَ الحِيْلَةِ ولا هذا هو الأَوْلى لك فيه، لكنّك تأتي إليه مُعْتَذِراً فيما كنتَ جَنَيْتَ عليه في ماله -وكان رِزامٌ

(١) كُتِبَ فوقه بالمخطوط بخطٍّ مغاير: «السّيّد».

(٢) كُتِبَ فوقه بالمخطوط بخطٍّ مغاير: «السّيّد».

قد أَوْسَعَ في الإساءة إلى جَدِّهِ وأَخَذَ جزيلاً مِنْ مالِهِ غَصْباً أو على وَجْهِ السَّلَّة[١] وفي أوقات الغَفْلة- وتسألُهُ هِبَةَ ذلك وأَنْ يَحْلُلْك منه فيما بينك وبينه، فإِنَّهُ يَرْحَمُكَ ويَرِقُّ لك، فإذا حَلّلك وصَفَحَ عنك أَمْهَلْتَهُ حتّى يُقْبِلَ عليك بخاطِرِهِ، ثمّ سألْتَهُ المسيرَ معك[٢] إليَّ فأنا أَكْفِيْكَهُ، إنْ شاء الله. قال: ففَعَلَ ذلك فرَقَّ الشّيخُ وبَكَى -أو كاد يبكي- ثمّ سألَهُ المسيرَ معه إليَّ ففعَلَ فأتَياني إلى المسجد الّذي كنتُ أَقْعُدُ فيه لتَعْليم القرآن، فرَفَقْتُ بالشّيخ وقَرَأْتُ عليه أوَّلَ كتابِ (**الأحكام**) للهادي، عليه السّلام، فأَعْجَبَهُ وقَبِل ما فيه وتاب مِنْ ساعتِهِ، واتَّخَذني صديقاً، وصَفَتْ ولايتُهُ وحَسُنَتْ عِشْرتُهُ.

قال إبراهيمُ: فكان يُحدِّثني قال: كنتُ أنا ونَهارُ بنُ أبي عدانة[٣] -وهو رَجُلٌ كان مِنْ قُضاة الإباضيّة في ناحية بني جيش مِنْ شَظَب- وعبدُ الله بنُ موسى بن عيسى بنِ هارون قاضي البَلَد المذكور فيما تَقدَّم= نَتَبارَى ونَسْتَبِق في دَرْسِ كُتُبِ الإباضيّة وحِفْظِها ومعرفة فِقْهِها، حتّى اشْتُهِرْنا بذلك وعُرِف لنا فيه الفَضْلُ على غيرنا.

قال: فكان نَهارٌ يَقُولُ لي: قدِ اطّلعتُ على المقالات والمَذاهب وأَقْوال فِرَقِ الأُمَّةِ، وعرفتُ ذلك فوجدتُ الزّيديّةَ أهلَ الحقِّ منهم. وكان يَقُولُ: أنا على رَأْيِ الزّيديّة، فاشهدْ عليَّ أنّي أَلْقى [الله][٤] تعالى به.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رحمه الله قال: قال لي إبراهيمُ بنُ شَهْرٍ، وهو شيخٌ مِنْ أَهْلِ شَظَب كان يَنْزِلُ قريةً منه يُقالُ لها: المحول، في غَرْبِيِّهِ، وكان مِنْ شُيُوخ الإباضيّة وفي أَوْسَطِهم داراً وبين أَعْظَمِهم تَشَدُّداً في رَأْيِهم=: يا إبراهيم، وَقَفْتُ على كتابٍ وَجَدْتُ

---

(١) **السَّلَّة**: السَّرقة.

(٢) كُتبت ثلاثة أسطر سابقة بخطّ مختلف سلف الكتابة به في الكتاب أسطراً وبعض صفحات.

(٣) وقوله: «عدانة» من دون إعجام ما عدا التّاء المربوطة آخره، وسيأتي رسمه بُعيد أسطر على نحو يوهم: «عبد الله» ثمّ ضبّب على آخره، ورسم ما يشبه التّاء المربوطة، وقبلها سنّة: «ـة».

(٤) ما حُفّ بمعقوفين سقطٌ في المخطوط.

فيه[١٩٩] عِلْماً حَسَناً وكلاماً جَيِّداً في الدِّيْن ورَأَيْتُهُ يَقُولُ فيه: قال يحيى بنُ الحسين؛ فمَنْ يحيى بنُ الحسين؟ فقلتُ: هو الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام. قال: أَحْسَنْتَ وأَحْسَن فيما جاء به.

ثمّ أَنْشَأَ يُحدِّثني فقال: سمعتُ القاضي نهارَ بنَ أبي عدانة يَقُولُ: دَرَسْتُ الكُتُبَ، ونَظَرْتُ في المِلَلِ والمذاهبِ، ومَضَتْ لي في ذلك سُنُونٌ كثيرة، فما رَأَيْتُ مثلَ مذهبِ الزّيديّة، ولولا أَنِّي ما آمَنُ عَداوة الإِباضيّة وضَرَرَ انْحِرافِهم عَنِّي، ولا أَكْتَفي مِنْ مُجامَلَتِهم ومُسالَمَتِهم، لكنتُ أُظْهِرُ ذلك وأَكْشِفُهُ للنّاس.

قال إبراهيمُ: ثمّ سَأَلَني إبراهيمُ بنُ شَهْرٍ عَنْ مذهبي، وسَأَلَني تَعْلِيْمَهُ فعلَّمتُهُ وبَيَّنْتُهُ له. قال: فقال لي: قد رَأَيْتُ أَنْ أُصَلِّي مع الإِباضيّة، وأَنْوي صَلاتي معهم نافِلَةً وأُصَلِّي فَريضتي حيثُ يُمْكِنُني.

وأَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ عليٍّ رَحِمَهُ الله قال: لمّا وَقَعْتُ إلى شَظَب، واسْتَجاب لي مَنِ اسْتَجاب مِنْ أَهْلِهِ، وخَرَجُوا عَنْ رَأْيِ الخَوارجِ إلى مذهب الهادي إلى الحقِّ يحيى بنِ الحسين، عليه السّلام، تَعَلَّمَ بعضُهم ما يحتاج إليه في أَمْر طُهُورِهِ وصَلاتِهِ، وبعضٌ زادَ على ذلك فترشّد في أُصُول دِيْنِهِ مِنْ معرفة الله ورُسُلِهِ ووَلاية أَهْل البيت، عليهم السّلام، بحَسَبِ فراغِهِ وبحَسَبِ رَغْبتِهِ وفِطْنتِهِ، وبعضٌ قَبِلْتُ مِنْهُ المُسالَمَةَ ورَضِيتُ منه بالمُباركة.

لقد أَتاني آتٍ مِنْ رِجالِ أَهْلِ شَظَب وذَوي الأَسْنان منهم، فلمّا دَنا مِنِّي قَرُبَ حتّى كَلَّمَني في أُذُني ثمّ قال: يا إبراهيمُ، أنا على دِيْنك، ولكن لا يَعْلَمُ بهذا أَحَدٌ[١]. فدعوتُ له وانصرفت. فكنتُ أَتَّخِذُهُ صديقاً على ما هو بِهِ مِنَ الجَهْلِ بدِيْني ودِيْنِهِ. وكنتُ أَفْرَحُ منهم بالاسم ولا أُضايِقُهُم في التّحقيق، وأَعْتَدُّ إِمْساكَهم عَنْ سَبِّ آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه، وعَداوتِهم وعَداوةِ شِيْعَتِهم فَتْحاً ونَصْراً، وخَفَّ على كثيرٍ منهم ما رَأَوا مِنِّي فسارَعَ

(١) في المخطوط: «بهذا حد».

إلى التَّسَمِّي بالتَّشَيُّع أُناسٌ، وكثيرٌ منهم لا يَدْري ما هو، فلقد عَدَدْتُ ذلك فَضْلاً مِنَ الله تعالى عظيماً، ومِنَّةً عليَّ وعلى المسلمين[٢٠٠] جسيمةً، على أَنَّ مَنْ يستجيبُ لي كان كثيرٌ[١] منهم لا يَقْدِرُ أَنْ يَكْشِفَ ذلك، ويُحِبُّ أَنْ يَبْقَى على ما كان عليه مِنَ الظّاهر عند الإباضيّة لِيَسْلَمَ مِنْ شَرِّهم جَهْراً وسِرًّا لأنّهم ربّما كانوا يَسْتَحِلُّون الغِيْلَةَ للعَدُوِّ والمُضارَّةَ في الأَحْكام والشّهادات. وقد عُرِفَ مذهبُ الخوارجِ والرَّوافِض مِنْ غُلاة الشِّيْعة في ذلك، وما يَسْتَحِلُّون في عَداوة العَدُوِّ ونُصْرة الوليِّ وتَزْكيتِهِ ونحو ذلك. وكانوا أيضاً يَهْجُرُون مَنْ أَظْهَرَ ذلك ويَرُدُّون شَهادَتَهُ، ويَحْرِمُونَهُ نَصيبَهُ مِنْ حُقُوق الإسلام، ويَسْتَظْهِرون على ذلك بقُضاتهم.

قال: ثمّ اتَّفَقَ في هذا الزّمان أَنْ كان قاضي البلادِ ورئيسُ أَهْلِها عامِلاً للصُّلَيحيِّين عليها، فكان مَنْ يَطْلُبُ مذهبَ الزّيديّة يكون بَغِيْضاً إليه مِنْ جهاتٍ:

إحداها: الجَهارَةُ للإباضيّة أَنَّهُ على رَأْيِهِ الأوّلِ مِنِ اعْتِقاد دِيْنهم، فهو يتوالى لهم بالوَلاية، ويَلْتَزِم لهم بحقّ النُّصْرة.

والثّانية: كونُهُ رئيسَ القبائل مِنْ جهة النَّسَب، فهو يَخافُ خِلافاً منهم في أَمْر رياستِهِ إذا خالفوا رأيَهُ ومذهبَهُ.

والثّالثة: كونُهُ عامِلَ البلاد مِنْ قِبَلِ سُلطان الصُّلَيحيِّين، فهو يُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عنه إليهم عَداوةُ عَدُوِّهم ووَلاية وَلِيِّهم، والانْتِباه في دَفْعِ ما يُتَّهَمُ بعاقبةٍ مكروهةٍ على[٢] دِيْنهم أو دُنْياهم.

وكان هذا القاضي يومئذٍ والعاملُ على البلاد عبدَ الله بنَ موسى بنِ عيسى بنِ عبد الرّحيم بنِ موسى بن هارون العَوفيّ[٣]، وكان حين وَلّاهُ الصُّلَيحيُّ البلادَ قد دَفَعَ

(١) في المخطوط: «كثيراً» بالنّصب!

(٢) بعده في المخطوط كلمةٌ محوّه.

(٣) في المخطوط: «العوقي»، وما أثبت تقدّم مراراً وسيأتي.

إليه كُرّاسةَ العَهْد، وقال له: خُذْ هذا العَهْدَ على مَنْ أَحَبَّ الدُّخولَ معنا، واحْكُمْ بمَذاهبنا، وصلِّ بالجماعة.

أَخْبَرَني بذلك أخي جعفرُ بنُ محمّدٍ اللَّحْجيُّ عَنِ القاضي أحمدَ بنِ عبد الله بنِ موسى بنِ عيسى، وهو ابنُهُ(١)، قال: كان أبي قد أَمَرَهُ الصُّلَيحيُّ بذلك، فلمّا أَمَرَهُ بذلك لم يَتَظاهَرْ به تَظاهُراً عامًّا ولم يَرْفُضْهُ، فكان جميع النّصر مِنْ هؤلاء وهؤلاء، مع أنّه أوسط الجابريِّين نَسَباً.

فبقيتِ الإِباضِيّة على طاعتِهِ، وكانت قد عَوَّدَتْهُ في وقتِ حَصادِ الزُّرُوعِ رِفْداً تَأْتِيْهِ به إلى منزلِهِ مِنْ ذُرَةٍ وبُرٍّ وغير ذلك مِنَ الحَولِ إلى الحَول، فكانتْ على ذلك، وهي على هذه السُّنَّة لعَقْبِهِ إلى(٢) اليوم، ولغيرِهم مِنْ رُؤَساء البلاد. وبقيتِ الإِباضيّةُ على القُدْوَة[٢٠١] بِهِ تَرْوي حكوماتِهِ وتكتبُ أَماليَهُ وتَتَبَّعُ أَثَرَهُ.

قال إبراهيمُ بنُ عليٍّ: فكنتُ أنا وأصحابي مُدَّةً مِنَ الزّمان وادعينَ لا يَعترضُ علينا أَحَدٌ في شيءٍ. وكان هذا القاضي مُجْمِلاً(٣) في عِشْرتي يَرَى لي حَقًّا، وربـّما نَتَّفِقُ في طريقٍ فأَسْمَعُ مِنْ كلامِهِ ما يُؤْنِسُ ويَسُرّ. وكانت باري مدينةَ البلاد، وكان بها تُجّارُ النّاس وأَغْنياؤهم، وتُحْمَلُ إليها التِّجارات العظيمة والبَضائع الجَمَّة، فكان يَأْتِيها في كلِّ خميسٍ، وكانت سُوقُها العامّة تقومُ يومَ الخميس، فيُنْظَرُ فيها يَدخلُ على خِزانَةِ صاحبِ البلد مِنَ الصُّلَيحيِّين مِنْ جِباياتها، ويَحْصُلُ مِنَ الرُّسُوم والوَظائف على أَهْلها ومَنْ يَفِدُ إليها مِنْ أَهْلِ الأَمْوال لهم فيَقْبِضُهُ ويَرُوحُ به إلى موضِعِهِ، فاتَّفَقَ أنّي أَرَدْتُ سوقَ باري يومَ خميسٍ فأَدْرَكْتُهُ في بعض الطّريق فسَلَّمْتُ عليه فرَدَّ عليَّ السّلامَ بإِنْصافٍ، وحادَثَني ثمّ استدعى

---

(١) أي ابن العاملِ على البلاد عبدِ الله بنِ موسى بنِ عيسى بنِ عبد الرّحيم بنِ موسى بن هارون العَوفيّ.

(٢) بعده في المخطوط كلمةٌ ممحوّه.

(٣) **مُجْمِلًا**: لعلّه كـ(مُجامل)، من قولهم: جامَلَهُ: إذا أحسن عشرته وعامله بالجميل؛ التّاج (ج م).

مِنِّي سماعَ شيءٍ، فقَرَأْتُ عليه خُطْبَةً كنتُ أَحْفَظُها للنّاصر لدين [الله][1] أحمدَ بنِ يحيى، عليهما السّلام، فيها طُولٌ، فسَمِعَها حتّى انْقَضَتْ، وتَعَجَّبْ مِنْ حِفْظي لها، ثمّ قال هذه دَفْترٌ يا إبراهيم. ثمّ مَدَّ يَدَهُ إلى عِمامَتِهِ فاستخرجَ منها دراهمَ فأَعْطانِيْها، وأَقْسَم قَسَماً بالله العظيم: ما هذه إلّا مِنْ مالي أنا الّذي وَرِثْتُهُ مِنْ آبائي، وما هو مِنْ مال السَّلْطَنَة. فأَخَذْتها. وكان لي على المُجامَلَةِ ولأَصْحابي، فلم يَزَلْ ذلك إلى أَنْ صَعِدَ إلى رَأْسِ جَبَل شَظَب جماعةٌ مِنْ عُبّاد الإِباضيّة وفُقَهائهم يُريدون الاسْتِسْقاء، فاجتمعوا بموضعٍ مِنْ أَعْلاهُ يُعرفُ بالقُمْرة، فخرج جماعة مِنْ أصحابي إليهم كراهيةً للوُقُوف عَنْ ذِكْرِ الله والدُّعاء إليه، والاسْتِسْقاء لبلدهم بإِزاء المُسْتَسقين مِنَ النّاس، وخوفاً مِنَ اسْتِنْكار عَوامِّهم لذلك، فلمّا أَتَوهم قام الإِباضيّةُ للصّلاة، فنَظَرَ أَصْحابي في أَمْرِهم فرأوا أنّهم لا يعتقدون الصّلاةَ خَلْفَهم، وأنّهم لا يخافون منهم على أَنْفُسِهم شيئاً يَلْزَمُهم مِنْ أَجْلِهِ المُداراة في الصّلاة، فصَلُّوا ناحيةً منهم، وقَدَّمُوا رَجُلاً منهم فصلّى بهم، وهي أوّل صَلاةٍ صَلَّتْها الزّيديةُ جماعة بشَظَب. فلمّا انصرفوا مِنَ الصّلاة أَقْبَلَتِ الإِباضيّة عليهم للعِتاب.

قال إبراهيمُ: وكان في أَصْحابي[٢٠٢] رِزامُ بنُ أحمدَ، وكان مُقَدَّمَهم، وفي أولئك جماعةٌ مِنْ عُبّادهم وذَوي التَّقْدِمَةِ فيهم وأئمّةُ الجماعات منهم، منهم رَجُلٌ يُقالُ له: أحمدُ بنُ السَّعْديِّ، وآخَر يُقالُ له: غدر، وثالثٌ يُقالُ له: العُمَريّ؛ فأَقْبَلَ أحدُهما على رِزامٍ وقال: أَخْبِرْني أَقَدْ نحن شيئان[2]؟ فقال: ولِمَ؟ قال: لأنّكم صلّيتم في جماعةٍ غيرِ جماعتنا. قال: نعم، نحنُ قومٌ زيديّة. قال: فدارَ بينهما كلامٌ كالعِتاب وكالجدال. وأَحْسِبُهُ قال: فقال له شيئاً. فقال له رِزامٌ: إنّما يَصُدُّنا عنكم ما نُعاينُ مِنْ كَشْفِكُم لحَرِيْمِكم وإِباحَتِكم لَهُنَّ دُخُولَ الأَسْواق ومُزاحَمَة الرِّجال، وهذا عند أئمّتنا، عليهم السّلام، نُكْرٌ عظيمٌ وأمرٌ

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين زيادة يحتاجها سياق الكلام.

(٢) قوله: «**أقد** ...» كذا بالمخطوط، وهو أسلوبٌ لبعض أهل اليمن ما يزالُ حيًّا مستعملًا.

فاحشٌ ذميم، لا يَحِلُّ ولا يَجُوز. فتحيّروا ثمّ دار بينهم كلامٌ. فسألَ رِزامٌ مُتَكَلِّمَهُمْ عَنْ أوّل ما خَلَقَ الله؟ فقال له الإباضيُّ: السّمواتُ والأرضُ. قال: فضَحِكَ وقال: وفِيْمَ خُلِقَتا أفي مكانٍ أم لا؟ فلم يُحِرْ جَواباً. وأَحْسِبُهُ رَحِمَهُ اللهُ قال: قال لهُ رِزامٌ: ما الدّليلُ على أنّكم على الحقّ ومَنْ خالفَكم على[1] الباطل؟ فازدادتْ حَيْرَتُهُ، وعَظُمَ على القومِ الأَمْرُ، وأَهَمَّهُم جِدًّا، وعَلِمُوا أنّ الزّيديّة إنْ تَمَكَّنَتْ من الكلامِ والمُناظَرات في البلاد قَوِيَتْ كلمتُهُم، وكَثُرَ عددُهُم، ولم يَأْمَنُوا أَنْ يكون لهم معهم أو عليهم يَدٌ.

فلمّا أصبحوا مِنَ الغَدِ بَكَّرَ منهم رَجُلانِ -أو هؤلاء الثّلاثة الّذين تَقَدَّمَ ذِكْرُهم- إلى القاضي عبدِ الله بنِ موسى بنِ هارون، فشَكَوا إليه ما جَرَى بينهم وبين رِزامٍ وأَصْحابِهِ، وعَظَّمُوا الأمرَ، وأَرْجَفُوا بما أَمْكَنَهم، وقالوا: هذا شيءٌ قد حَدَثَ في رَأْس شَظَب والدِّماغُ إذا فَسَدَ فَسَدَ سائرُ البَدَن. في كلامٍ نحو هذا. وكانوا فيما قالوا: إنَّ إبراهيمَ بنَ عليٍّ أَمَرَ أَصْحابَهُ فشَتَمُونا، وقالُوا وقالوا. فعَظُمَ ذلك على عبدِ الله بنِ موسى، وضاقَ صدرُهُ وكَبُرَ عليه الأَمْرُ وكَرِهَهُ؛ فكأنّهم أَيْقَظُوهُ لِما كان غافلاً عنه، فقام لذلك على قَدَمَيْهِ، وعَمِلَ في اسْتِئْصالِ شَأْفَةِ الأَمْرِ وإماتَةِ المذهب وحَسْم أَهْلِهِ.

قال إبراهيمُ: وكان فيمن اسْتَجاب لي رِجالٌ مِنْ أَكابِرِ العشيرة وذَوي الإِبْرام والنَّقْض فيهم، وفيهم رَجُلٌ يُقالُ له: أحمدُ بنُ[٢٠٣] الصّائغ، كان له قَدْرٌ ومَحَلٌّ في الوِلاية والرّياسة، وكان في أَهْلِ التَّعَصُّبِ لنا والوِلاية مِنَ المشائخ وذَوي أَمْرِ العشيرة آخرون، منهم رَجُلٌ مِنْ أَجِلّائهم يُقالُ له: أحمدُ بنُ الحميديّ، وكان بشَظَب موضعُ سوقٍ قد أَسّوْهُ يجتمعون إليه يومَ الأَرْبعاء، وهو مكانُ سُوقهم المعروف بزَوْقر، فاحتجتُ فيه إلى حاجةٍ في يومِ قيامِ سُوقِهِ، فدَخَلْتُهُ فلم أَشْعُرْ حتّى أَتاني رسولُ القاضي عبدِ الله بنِ موسى بنِ هارون، فأَتَيْتُهُ إلى صَحْنِ مسجدٍ هناك، فاسْتَقْبَلَني بكلامٍ غليظٍ، وقال: أَخْبِرْني يا إبراهيم

---

[1] كُتِبَ في المخطوط: «على على» بتكرار «على».

أألدِّيْنُ زنا؟ أي: شَتَمٌ بالزِّنا. فقلتُ له: وكيف ذلك؟ قال: أَتاني غدر وأحمدُ بنُ السّعديّ وعُمْريّ[1]، وأولئك لو شَهِدوا على رَجُلٍ إِنَّهُ حمارٌ، أَوْقَيْناه. «أَوْقَيْناهُ» أي: جَعَلْنا عليه الوِقاء؛ وهو البَرْذَعَة. فقالوا: قال أَصْحابُك وقالوا وشَتَمُوا أَهْلَ الدِّيْن. قال: فقلتُ: أيّها القاضي إنّ عليك أَنْ تُنْزِلَني بحيثُ قال مؤمنُ آل فِرْعَون: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ به[غافر:٢٨][2]، ومع هذا فالشّاهدُ هنا مُدَّعٍ لأنّه الخَصْمُ لنا. قال: وقد كان مِنْ لُطْف اللهِ تعالى لظُهُور هذه الكلمة في هذه الطِّبْنة[3] أَنِ اتَّفَقَ في الحال معي حُضُور أحمدَ بنِ الحميديِّ أَحَدِ أَجِلّاء المشائخ، وكان يَتَعَصَّبُ لنا في الدِّين، فكان جالساً بقُرْبِهِ، فقال: مُخاطباً للقاضي: يا أبا محمّدٍ، ليس مثلُ أولئك المُصَرَّرة يكون شاهداً! يعني بـ«المصَرّرة»: لِباس الإِباضيّة، لِما يَتَّقون به على ثيابهم مِنْ رُطُوبةٍ تحدث مِنْ مَجْرَى البَول؛ وكانتِ العامّة تَعِيْبُهُم بذلك. فقال القاضي: أنت شِيْعيٌّ، يا حمدُ؟ قال: نعم، أمّا رجالُ الزّيديّة فإنّي أَشْهَدُ إنّهم على الحقّ. قال: فلمّا رَأَى ذلك مِنْ أحمدَ بنِ الحميديِّ سَكَتَ ورَجَعَ عمّا كان يَهمّ به جِهاراً، وعَدَلَ إلى جهةِ الغِيْلة فعَمِل فيها.

قال: وكانتْ قد كتبتِ الإِباضيّةُ إلى أَخَواتها بالمَغْرب مِنَ الشَّرَف وغيرِهِ أَنَّهُ قد ظَهَرَ في بلادِنا رَجُلٌ شِيْعيٌّ وأنّه قد أَفْسَدَ البلدَ، وقد لَزِمَ رَأْسَ جَبَلِنا، وإذا فَسَدَ الدِّماغُ فَسَدَ البَدَن. قال: فبَعَثُوا إليهم بدَنانير صالحةٍ، وفَرَّقُوا ذلك في عَوامِّهم جُعْلاً على قَتْلي، وكان قدِ انْتُدِبَ لذلك أربعةٌ منهم، صار أحدُهم بعد ذلك مِنْ أَهْل الدِّين وأماثل[٢٠٤] أصحابي. قال: فأقبلتُ أُريدُ موضعاً مِنَ السُّوقِ وإذا أحدُ هؤلاء الأربعة قد أَقْبَلَ وبيَدِهِ فَأْسٌ له ذو حَدٍّ يُسَمُّونَهُ: المِعْول. وأَهْل شَظَب وما يُواليه مِنَ البلاد يَتَسَلَّحُون بمِثْلِ ذلك، وهذه

---

(١) سلف ذكرهما، على أنّه رسم لقب الأوّل منهما ههنا: « السّعيديّ» ثمّ كأنّه ضبّب على نبرة الياء، وكذا سلف ضبط الثّاني منهما:«العُمَري» وغيّره ههنا، ولم أقف لهما على خبرٍ في غير هذا الكتاب فيما وقفت عليه من مصادر.

(٢) الواو في أوّل الآية ليس ممّا استشهد به في المخطوط.

(٣) **الطِّبْنة**: الفِطْنة؛ التّاج: (ط ب ن).

المَعاوِلُ حدائدُ كهيئة السَّواطِير تُحْمَلُ في هَراوٍ مِنْ خَشَبٍ، يَقْتُلُون بها ويَقْطَعُون الشَّجَر ويَفْصِلُون بها الجَزائر والذَّبائح، وغير ذلك. فجَعَلَ الرَّجُلُ يُقَلِّبُ مِعْوَلَهُ ذلك في يَدِهِ، ويَقُولُ: اليومَ تَلْعَبُ المَعاوِلُ في رَأْسِ بعضِ النّاس. فسَمِعَهُ أحمدُ بنُ الصّائغ، وكان مِنْ أَهْلِ ناحيتِهِ، فقال: كلٌّ يلزم يَدَهُ لئن لا يُنْفى مِنَ البلدِ وتُخرب دارُهُ. وكان ذلك الرَّجُلُ مِنْ بَطْنٍ مِنْ العشيرة يسكنون جبال الشَّرَف، فاسْتَعْلَى عليه أحمدُ بنُ الصّائغ بالكلام. وقال: في البلد شَرايفةٌ وناسٌ هنا يطلبون أَنْ يعملوا لهم خَبَرًا! فانْقَمَعَ ذلك الرَّجُلُ ودَخَلَ في غِمارِ النّاس ولم يَعُدْ إلى شيءٍ ممّا كان منه. وتَقَدَّمَ أحمدُ بنُ الحميديِّ إلى سُفَهاء بني عَمِّهِ وأَقاربِهِ ومَنْ له عليه رياسةٌ بألّا يَعْرِضوا لي بسُوءٍ ولا يُسْمِعُونِيْه. فهانَتِ الأُمُور شيئاً في الجَهْر، واشْتَدَّ خوفي في السِّرّ، فلم أَكُنْ أَنامُ لي في منزلٍ ألبتّة خوفَ البَيات[1] فيه أو مَكِيدة يُقْصَد بها[2]، إنّما كنتُ أَبِيْتُ في الجبالِ والغِيْران وحيثُ يَخْفَى مكاني، وكنت لا أَتْرُكُ حماية عِنَبِ الدِّرْهميِّ على العادة الأولى، وإذا هَمَمْتُ بحِراسَتِهِ أو حراسة غيرِهِ مِنْ أَمْوالِ أَصْحابي مِنَ السُّرّاق أَخْفَيْتُ مكاني فلا أَزالُ أُحِسُّ الرِّجالَ حولَ تلك المواضعِ وصَفِيرَهم ونحو ذلك، وربمّا أَقْرَأُ مِنْ أَسْماءِ الله والمُتَخايَر[3] مِنْ كتابِهِ ما اسْتَأْنِسُ به.

فكنتُ على ذلك مُدَّةً مِنْ زماني إلى أَنْ قَدِمَ البلدَ السُّلْطانُ عبدُ الله بنُ محمّدٍ المعروف ببنان أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيحيّ[4]، وكان النّاظرَ في أُمُورِ البلاد والمُشْرِف عليها مِنْ قِبَلِهِم، فقَصَدَ قريةَ الظَّهْراوَيْن مِنْ رَأْسِ شَظَب، ونَزَلَ بدارِ الدِّرْهميِّ وأَتَاهُ القاضي عبدُ الله بنُ موسى بنِ هارون. قال إبراهيمُ: وكنتُ أَخافُ ولا أَكادُ أعتقد منهم المُبالَغة في شَأْني، فبَيْنا

---

(١) **البَيات**: من قولهم: أُصِيب بَياتاً، أي أُخِذَ بَغْتَةً في جوف اللّيل؛ التّاج: (ب ي ت).

(٢) بعض الحروف في قوله: «يقصد بها» ممحوّه، ولعلّ الضّمير –إن استقام ما أثبت– يعود على البيت، والمراد صاحبه.

(٣) في المخطوط: «التحاير» بحاء مهملة مرسومٌ تحتها علامة إهمالها، ولم يتّجه لي قراءتها الكلمة وَفق ظاهر رسمها، وقد جنحت إلى رسمٍ يتّجه به سياق الكلام مع تصرّف فيه مقاربة للرّسم إلّا قليلا.

(٤) كُتب في هامش المخطوط بخطّ مغاير: «نائباً عن أحمد، أو لعلّه المعرف ببنان أحمد بن المظفر، أي ابن زوجته».

أنا ذاتَ يومٍ بمسجدِ بِرْكة الظَّهْراوَيْن إذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بني شهابٍ كان ممّن يَصْحَبُ السُّلْطان إلى المسجدِ، وكان[٢٠٥] معي جزءٌ مِنَ **(الأحكام)** فنَظَرَ فيه فكأنَّهُ فَرِحَ لذلك وأَعْجَبَهُ وُجُودُ مَنْ يَقولُ بِهِ في البلد، فلمّا اطمَأَنَّ قال لي: مَنِ الرّجُلُ هٰهنا يُقالُ له: إبراهيم، سمعتُ هؤلاء يذكرونَهُ بِشَرٍّ؟ فأَحْسَنْتُ له الحِيْلَةَ في الكلامِ معه حتّى انْسَلَلْتُ وأَوَيْتُ إلى موضعٍ مِنَ الجبالِ لا يَأْتُونَهُ. وكان قد أَمَرَ القومَ بحَفْرِ مِدْفَنٍ في مَدافِنِ الظَّهْراوَيْن قد دُلُّوا عليه، وكانتْ لي فيه ذُرَةٌ يَسيرةٌ أَتَبَلَّغُ منها في الوقت بعد الوقت.

فأَخْبَرَني إبراهيمُ وغيرُهُ مِنْ أَهْلِ شَظَب لـمّا حَفَرُوا المِدْفَن لم يَفْرُغُوا منه حتّى أَقْبَلَتِ العشيرةُ بأَخْبازٍ كثيرةٍ يُريدُون قَرْيَ السّلطانِ ومَنْ في صُحْبَتِهِ، وأَقْبَلَ فيهم أحمدُ بنُ الحميديِّ ورَجُلٌ يُقالُ له منيع بن ...[1] ممّن يَتَشَيَّعُ ويعتقدُ رَأْيَ الزّيديّة، فلمّا رَأَيَا حَفْرَ المِدْفَنِ سَأَلا: ما الشّأنُ في ذلك؟ فأُخْبِرا. فرَمَيَا بالخُبْزِ الّذي أَقْبَلا بِهِ مِنْ جِفانِهِما على شَجَرٍ في جانب الطّريق، وانْقَلَبَا راجعَين إلى مواضعِهِما ومحالِّهِما، فرآهما السّلطانُ -أو أُخْبِرَ بذلك- فأَمَرَ بِرَدِّهِما، فلمّا دَخَلا عليه وسَلَّما، سَأَلَهما عمّا أَنْكَرَا: قال أحمد بنُ الحميديِّ: نعم، هٰهنا رَجُلٌ مِسْكين مِنْ أَهْلِ الزّكاة وَثَبْتُم على كَفٍّ مِنْ حَبٍّ قد جَمَعَهُ مِنْ أَعْشارِ المسلمين تَأْخُذُونَهُ، فعَلِمْنا أنّكم قد عَزَمْتُم على أَقْبَحَ مِنْ هذا، وأنّكم إذا نَهَبْتُم الفُقَراء فالنَّهْبُ للأَغْنياء أَكْثَرُ مَحْصُولاً لكم؟ وكأَنَّ السّلطانَ غَضِبَ في ذلك على القاضي، وخَزِيَ إلى نفسِهِ واسْتَحى، واعْتَذَر وأَمَرَ بدَفْنِ المِدْفن ورَدِّه على ما كان. وجَعَلَ القاضي يَقولُ للصُّلَيحيِّين ومَنْ حَضَرَ المجلسَ: إنّه رَجُلٌ حُسَينيّ. وكانتِ العَداوةُ يومئذٍ بين الحُسَينيّة والصُّلَيحيِّين ظاهرةً، وذلك بعد أَنْ هَزَمَتِ الأَشْرافُ والحُسَينيّةُ الصُّلَيحيِّين عَنْ شَهارَة ونواحيها مَرّات. فاغْتاظَ أحمدُ بنُ الحميديِّ مِنْ قولِ القاضي لذلك[٢٠٦]، وأقبل عليه بغضبٍ ظاهرٍ؛ وقال: الحُسَينيُّ نَشْوانُ بنُ نَشوان وعبدُ الباعث بن أنس، وهما قُدّامك

---

(١) ثمّة فراغٌ بالمخطوط قدر كلمة.

تَراهما في أَقَر، فإنْ كان في قَرْنَيْك لِيْنٌ فتَقَدَّم.

و«**أَقَر**»: موضعُ سوقٍ كان للأَشْراف تحت شَهارَة، كان يَأْوي أَكْثَرُ خَدَمِهم وجُيُوشِهم ومَنْ يَتَّصِلُ بهم وبعض قُوّادهم إليه في الأَوْقات. و«**نَشْوانُ وعبدُ الباعث**»: رَجُلان مِنْ سَلاطين الحُسَينيّة يومئذٍ ووُلاةِ الأَعْمال والأَمْر فيهم مِنْ قِبَلِ الأَميرِ محمّدِ بنِ جعفر بنِ القاسم الرَّسِّيِّ. وقوله: «**إنْ كان في قَرْنَيْك لِيْن**»[1]: كلمةٌ يَقولها أَهْلُ شَظَب والمَغْرب عند التَّعْجيز للأَضْداد وعمّا يَتأَهّبون له مِنَ الشَّرّ.

قال: فلمّا سَمِعَ القاضي ذلك عَلِمَ أَنَّ الأَمْرَ بعد هذا لا يَتِمُّ له عَنْ يسيرٍ مِنَ الأَمْرِ فتَغافَلَ في تلك السّاعة.

قال إبراهيمُ: وازْدادَ حِرْصُهُ في قَتْلي، وحَثَّ فيه، فحينئذٍ خرجتُ إلى الجبال وأَخَفَيْتُ نفسي، فلمّا جَنَّ اللّيلُ قُمْتُ إلى الصّلاةِ فبِتُّ ليلتَي قائماً أُصَلِّي وأدعو اللهَ فمات قَبْلَ انْقِضاءِ الأُسْبُوع. وذلك أنّه أصابَهُ وَجَعٌ في أَضْراسِهِ ثمّ تزيّد ذلك الوَجَعُ إلى أَنْ مات بِهِ، ولم يَهْبِط مِنَ الظَّهْراوَيْن إلّا عَليلاً.

فسأَلتُ إبراهيمَ عَنْ صَلاتِهِ ما كانت؟ قال: كانت ركعتين بفاتحة الكتاب و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمساً وعشرين مرّة.

وكان إبراهيمُ رَحِمَهُ اللهُ ممّن يُحْيِي اللّيلَ بالصّلاة، وكان يَأْمُرُنا في الأَسْحار بالرَّكَعات الّتي نَدَبَ إليها الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، في (**الأَحْكام**) في باب التَّطَوُّع وتَعْلِيم صلاةِ التَّسْبيح مَنْ رَغِبَ منّا، ويُرَغِّبُ في ذلك ويدعو إليه.

ولقد أَخْبَرَني بعضُ وَلَدِهِ أنّه كان يَنْسَلُّ في اللّيلِ إلى مُصَلّاهُ، وأَهْلُهُ نيامٌ فما يُوقِظُهم إلّا جُؤارُهُ[2] بالبكاء في أَجْواف اللّيالي حين يَغْلِبُهُ الخوفُ والحُزْن على الصَّبْر.

---

(١) لولا أنّ رسم المقولة واضحٌ لاحتمل تغيير التّنقيط أن تُقرأ: «إن كان في قربتك لبن».

(٢) **الجُؤار**: رفع الصّوت بالدُّعاء.

وأَخْبَرَني أحمدُ بنُ أبي العريض، وهو مِنْ ثِقاتنا وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، قال: أَتَيْناهُ مَرَّةً في جَوْف اللّيل لأَمْرٍ كان، فانْتَهَينا إلى بابِ منزلِهِ، وكان مُصَلّاهُ قريباً منه، فسمعناهُ يَجْأَرُ ويُرَدِّدُ في لسانه: يا نَجائي يا مَلْجَئي. حتّى طال ذلك وكَرَبَنا الأَمْرُ وراعَنا فلم نَتَقَدَّمْ على خِطابه رَحِمَهُ اللهُ.

ولـمّا انْفَسَحَ خِناقُهُ رَحِمَهُ اللهُ، وزالَتْ دُوَلُ الظّالمين وانْقَضَى سُلْطانُ الصُّلَيحيِّين والشُّهارَتين عَنْ شَظَب وأَمِنَ رَحِمَهُ اللهُ= انْفَسَحَ في البلدِ وهَبَطَ باري، وبها بَقِيّةٌ مِنْ أَهْلِها، وقد كانتْ خَرِبَتْ مَرّاتٍ بأَيْدي أَهْلِ شَظَب وغيرِهم، وتَمَزَّقَ[٢٠٧] أَهْلُها عنها؛ وكانت الأولى مِنْ تلك المَرّات لإحْدَ[ى] عَشْرَة ليلةً باقيةً مِنْ جُمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وأربع مئةٍ، وفيها قَتَلَ أهلُ شَظَب عبدَ الله بنَ محمّد بن بزيع، وكان مِنْ شُيُوخ أَهْل باري؛ هكذا وجدتُهُ بخَطِّ أبي السّعود بن إبراهيم بن عليٍّ، رحمهما الله.

فعَلَّمَ رَحِمَهُ اللهُ أماثِلَ مَنْ بَقيَ بباري المذهبَ منهم، ومنهم: أبو السُّعُود بنُ إبراهيم الشُّريفيُّ، وأبو الفرج بن جبران، ويعقوب بن هناف[1]، وسِواهم. وكَثُرَ سَوادُ الزّيديّة في شَظَب وبلد الجَبْر.

ثمّ إنَّ السّلطانَ حَبَشيَّ بنَ عبد الباعث بن جعفر بن حَبَشيّ بن عبد الخالق، وكان مِنْ سَلاطين الجابريّين= رَغِبَ في البحث عَنْ مذهب الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، ورَأْيِ الزّيديّة، وكان آباؤُهُ وأَهْلُ بلاده إباضيّةً لا يرون غير ذلك. فاسْتَدْعَى إبراهيمَ بنَ عليٍّ رَحِمَهُ اللهُ فأقبل حتّى أَتاهُ، وكان حَبَشيُّ بنُ عبد الباعث يَنْزِلُ المَصْنَعة -قرية في جنوبيّ باري كانت تتّصل بها عِماراتها- وكانت منزل سَلَفِهِ.

قال إبراهيمُ: فلَقِيَنِي إلى كَهْفٍ خارجَ عِمْران القرية كالمُتَواري عَنِ النّاس، وقد أَخَذْتُ صُحْبَتي نصفَ **(الأحكام)** الأوّل لِما كنتُ قد رأيتُ مِنْ خِفَّتِهِ على قُلُوب أَهْل هذه

---

(١) يحتمل وُجَيهاً آخر: «هفاف».

النّواحي، وسُرْعة فَهْمِهم لِما فيه، وكنتُ قد أتيتُه في أوّلَ النّهار فما صلّينا إلّا في آخر وقت. وكان قد تَرَدَّدَ في مواضع الأَسْوِلَةِ، وتَحَيَّرَ في أَشْياء مِنَ الشُّبَهِ فبالغتْ في التَّبْيِين له والتَّقْريب في الحُجَج والأَدِلة، فما قام حتّى قد بَرِئ مِنْ كُلِّ مخالفٍ لعليٍّ بنِ أبي طالبٍ وأَهْل بيتِهِ الطّاهرين، عليهم السّلام، وفَكَّرَ ثمّ قال: ما لهم، عليهم لعنةُ الله؟ وتابَ مِنْ رَأْيِ الإِباضيّة واعْتِقاد إمامة مَنْ سِوَى عليٍّ وولدِهِ، عليهم السّلام، وقَوِيَتْ بَصِيرتُهُ، وكان رُكْناً مِنْ أَرْكان الإسلام في هذه البلاد.

أَخْبَرَني أبي محمّدُ بنُ جعفرٍ اللَّحْجيُّ ﷺ قال: كان حَبَشيُّ بنُ عبد الباعث لي محبًّا، وكان عمُّهُ عبدُ الواحد بنُ جعفرِ بنِ حَبَشيٍّ كذلك، وكنتُ أَهمُّ بالتّوبة فيَلْقاني عبد الواحدُ فيَقُولُ: عليك بمذهب البَياض. والعامّة تدعو الإباضيّة باسمِ القبائل الّتي بهذه المَخاليف؛ لأنّ اسم البَياض واقعٌ على إباضيِّهم وسُنِّيِنهم.

والسَّبَبُ في تَسْمِيتهم، فيما أَرَى، وعلى ما في وَهْمي مِنْ كلام **الحَسَنِ [بن أحمد]**[1] **بنِ يَعْقوب الهَمْدانيّ النَّسّابة في (الإكليل)**، أنّهم ممّن نجا من أَيْدي[٢٠٨] الحَبَشة ووَطْءِ دَوْلَتَهم في الجاهليّة، وهؤلاء مِنَ الحبشة هم الّذين قَتَلَهُم سيفُ بنُ ذي يزن، ومَنْ نَصَرَهُ عليهم مِنَ العَرَب والعَجَم، وأَصابَهَم الله بالطَّيرِ الأَبابيلِ عامَ الفِيْل.

قال والدي ﷺ ويَلْقاني حَبَشيٌّ فيَقُولُ لي: عليك بمذهب الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، ويُرَغِّبُني فيه ويُريني ويُبَصِّرني حتّى قَبِلْتُ عنه، وتَعَلَّقْتُ بمذهب الهادي إلى الحقّ يحيى، عليه السّلام، وزادتْ محبّةُ ما بيني وبين حَبَشيٍّ، واتّصلت أُخُوَّتُنا في الله، وزَهِدَ حَبَشيٌّ ﷺ في الدُّنْيا وتَجَرَّدَ للعبادة. واتّفقتِ المجاعةُ عقبَ ذلك، هَلَكَ بها خَلْقٌ مِنَ النّاس، وكان ﷺ جواداً رحيماً، فكان لا يَتَهَنَّى بالعَيْش لِما يَرَى بالنّاس مِنَ الشَّرّ، ونَزَلَ بهم مَواتٌ عظيمٌ، فأَنْفَقَ ما بِيَدِهِ حتّى فَنيَ؛ يُطْعِم ويَكْسُو ويُكَفِّنُ ويَقْبِرُ، ثمّ باع الأَطْيانَ

(١) ما حُفّ بمعقوفين سقط في المخطوط، ولعلّه من قبيل الاختصار ليس غير.

الكثيرة فأَنْفَقَها، وكان يملِك منها أراضيَ جَمَّةً مِنْ غَيْلٍ ويَبْس، حتّى لحق، رحمةُ الله عليه، بالفُقَراء وذَوي الإِقْلال فكان في آخر أيّامه يَتَبَلَّغُ بالقليل، ويقطع الدّنيا مُياوَمَةً[(١)] ويَتَجَلَّدُ ولا يَتَضَعْضَع حتّى مات رَحِمَهُ اللهُ مَسْتُوراً خَفيف الظّهر مِنَ الدَّيْن، ورَفَضَ أَمْرَ العامّة وكثيراً ممّا يتعلّق به رُؤَساء القبائل من فُضولات الأُمُور، فكانت له بذلك راحةٌ، واطَّرَحَ الكِبْرَ في ذلك والأَنَفَةَ فلم تَأْخُذْهُ في الله لَومَةَ لائم.

وكان إبراهيمُ رَحِمَهُ اللهُ يحفظُ جَزِيلاً مِنْ كُتُبِ الأئمّة، عليهم السّلام، وخُطَبِهم وأَكالِيْمِهم وما يحتاج إليه مِنَ الحُجَج والأحاديث، وكان ذا جِدٍّ وقُوَّةٍ في ذات الله، فإذا كَلَّمَ إِنْساناً في شيءٍ مِنَ الدِّيْنِ هَدَرَ كما يَهْدِرُ الفَحْلُ، وحَدَّرَ كلامَهُ حِدّاراً[(٢)] لا يَتَعَثَّرُ بشيءٍ، فيُرْغي شِدْقاهُ، ويُصْغي إليه النّاسُ، وإِنْ كان فيهم مُتَحَدِّثٌ لاحِدٌ صَوَّبَهُ[(٣)] بالاستماع مِنْ غيرِ جَهْرٍ[(٤)] فاحشٍ ولا رَفْعٍ للصّوت مُنْكر. ويكثرُ صيامُهُ، فربّما يَصُومُ (رَجَب وشَعْبان ورَمَضان) و(يومَ عَرَفة ويوم عاشُوراء والأَيّام البِيْض) ونحو ذلك. ويَتَجَمَّلُ مِنَ الضَّيْف والوافِدِ بأَجْمَلِ ما عندَهُ، مِنْ برٍّ وقِرًى، وأَكْرَمِه.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: المَهْرُ كالكَفيلِ على صِهْرِ السُّوءِ، فلا تُنْكِحْ مَنْ تَخافُ غَدْرَهُ لحُرْمتك بمَهْرٍ يَحُقُّ عليه تَسْليمَهُ ورَفْضَها، وربّما يَرْفُضُها في وقتٍ يَضُرُّ بكَ وبها، إمّا لوَلَدٍ يحدثُ بينهما أو غير ذلك. في كلامٍ نحو هذا، فجَرَّبْتُ ذلك فرَأَيْتُهُ صحيحاً[٢٠٩].

---

(١) **مُياوَمَة** من اليوم، كما يُقال: مُساوعَة من السّاعة؛ والمراد أنّه يعيشه يومَهُ من دون الاكتراث بغَدِهِ؛ التّاج: (ي و م).

(٢) **حَدَرَهُ** يَحْدِرُهُ ويَحْدُرُهُ حَدْراً وحُدُوراً فانْحَدَر: حَطَّهُ مِن عُلْوٍ إلى سُفْلٍ؛ التّاج: (ح د ر).

(٣) قوله: «لاحد صوبه» كذا ظاهر رسمه، على أنّه يحتمل وجوهًا كثيرة، نحو: «لأحد صوته» وفي النّفس من توجيهه وَفق ظاهر رسمه سحائب من الشّكّ. **واللاّحد**: الجائر المائل.

(٤) يحتمل الرّسم: «جهد».

الشَّريفانِ: القاسمُ بنُ جعفرٍ، وحَمْزةُ بنُ أبي هاشمٍ

هما: القاسمُ بنُ جعفرِ بنِ القاسمِ بنِ عليِّ بنِ عبد الله بنِ محمّدِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيم، وحمزةُ بنُ أبي هاشمٍ الحسنِ بنِ عبد الرّحمن بنِ يحيى بنِ عبد الله بنِ الحسين بنِ القاسم بنِ إبراهيم؛ لم يكن في زمانهما مِنْ آلِ رَسولِ الله، صلّى الله عليه، أَحَدٌ أَقْوَمُ منهما بعِبادةِ الله تعالى -فيما بَلَغَني- ولا أَشَدُّ غَضَباً لله على أَهْلِ المعاصي.

وكان القاسمُ أَعْلاهما عند النّاس درجةً في ذلك، ولولا ما كان يُنَفِّرُ عنه العامّةَ مِنْ أَشْياءَ كانتْ منه نحوِ اعْتِقادِهِ حياةَ الحسينِ بنِ القاسم بعد اعْتِقادِهِ لقَتْلِهِ، وزَعارَّةِ[1] خُلُقٍ في مواضعَ قد ربّما يَقْصِدُ فيها طاعةَ الله ويَأْتي الأَمْرُ بخِلافِ ذلك، ومُساعدتِهِ في أَخْذِ الأَمْوالِ أيّامَ حَرْبِهِ الصُّلَيحيِّين والقِيام عليهم حتّى ضَجَّ منه النّاسُ ونَدِمُوا على ولاية الأَصْلوح، وعُدْمِ الأَعْوان الصّالحين= هذا ونَحْوُهُ لَـما عُدِلَ بِهِ ولا عُدِل عنه، وإنْ كان وَحِيداً في قَرْنِهِ وأَقْرانِهِ ورجالِهِ وزمانِهِ معدومَ المَثَلِ على كلِّ حال.

فأمّا ما نَفَّرَ عنه مِنْ خُلُقِهِ فنَحْوُ ما أَخْبَرَني به بعضُ شُيُوخِ الزَّيديِّين عَنْ عبد الأَعْلى بنِ عُبَيد الله قال: قال: أَقْبَلَ الشّريفُ القاسمُ بنُ جعفرٍ في سنة قَرْن عَنْترٍ يُريدُ حَصْرَ بني الصُّلَيحيِّ بصَنْعاء، فتَلَقّاهُ النّاسُ إلى عجيب، وكنتُ مِنْ أَشَدِّ مَنْ عَلِمْتُ فَرَحاً به وسُرُوراً بمَقْدَمِهِ ورجاءً لدولته، وإِخْلاصاً في حُبِّهِ وحُبِّ آبائه وأَهْل بيته، فحَمَلَني ذلك على كلامٍ قُلْتُهُ حين رَأَيْتُهُ لا لطَمَعٍ ولا رِياءٍ؛ فقلتُ: فعلَ الله لك وصَنَع، ودَعَوتُ

---

(١) **الزَّعَارَّة**، بتَشْدِيد الرَّاءِ، مثْل حَمَارَّةِ الصَّيفِ، وتُخَفَّف الرَّاءُ، عَنِ اللِّحْيَانِيّ: الشَّرَاسَةُ وسُوءُ الخُلُق، يقال: في خُلُقه زَعَرٌ وزَعَارَّة. لا يتصرَّف منه فِعلٌ، ورُبَّمَا قالوا: زَعِرَ الخُلُقُ زَعَراً، إذا ساءَ. وخُلُقٌ زَعِرٌ مَعِرٌ، وهو مَجاز؛ التّاج: (ز ع ر).

مِنَ الخير بما عَرَفْتُ، ثمّ قُلْتُ: أَحْيَيْتَ الإيمان، وأَطَعْتَ الرّحمن، ودَحَرْتَ الشّيطان، وأَقَمْتَ القرآن. فقَبَضَ قَبْضَةً[1] مِنْ تُرابٍ وحَصًى فضَرَبَ بها وَجْهي فوقَعَتْ في عَيْني، فما عَلِمْتُ أين أنا، ولا أَحْسَنْتُ إلى الرُّجُوع مِنْ مكاني سبيلاً. وقال: قال النَّبيُّ، صلّى الله عليه: «**احْثوا في وُجوهِ المَدّاحين[٢١٠] التُّراب**»[2]. فانصرفتُ سَيِّءَ الظَّنِّ مُتَغَيِّرَ القَلْب.

وأمّا اعْتِقادُهُ حياةَ الحسينِ بعد الاعْتِقاد لقَتْلِهِ، فهو ما أَخْبَرَني به بعضُ أَصْحابِهِ المُخْلصين في محبَّتِهِ، على وَجْه الدّعاء لي إلى القَولِ بذلك والحُجّة على صحّتِهِ، وهو يوسفُ بنُ الذُّويب المعروف بمسعود، وقد ذكرتُ صِفَتَهُ وهذا الحديث فيما تَقَدَّم، قال: كنتُ أَرَى أنّ الحسينَ بنَ القاسم قد قُتِلَ حتّى صَحِبْتُ الشّريفَ القاسمَ بنَ جعفرٍ، وكان مُسْتَحِقًّا للإمامة إلّا أنّه لم يَدْعُ إلى بَيْعَةٍ، فذكرتُ ذلك له، فقال: يا جُعِلْتُ فِداك، قد كنتُ أَرَى ذلك وأعتقدُهُ حتّى جاءتِ الشّهادةُ العادلةُ فأَزاحَتِ الشّهادةَ الباطلةَ -أو قال: فَنَفَتِ الشّهادةَ الباطلةَ- حَلَفَ مدركُ بنُ إسماعيلَ سبعين يميناً وذَبَحَ[3] سبعين كبشاً أنَّهُ مَرَّ به مُنْصَرِفاً مِنْ وقعةِ ذي عُرارٍ حيًّا سويًّا. فذَكَرَ الخَبَرَ الّذي تَتَداوَلُهُ الحُسَينيَّةُ إلى الآن في حياته.

وأمّا المُساعدةُ في أَخْذِ الأَمْوال فهو ما قد اشْتُهِرَ في هذا الحِصارِ في سنة قَرْنِ عَنْتَرٍ، وما قدِ احْتَجَّ على إباحتِهِ مُفَرِّحُ بنُ أحمدَ الرَّبَعيُّ في (**سيرة آل القاسم**) أيّامَ دولتهم بشَهارَة، وأَنَّهُ تَجَوَّزَ أَخْذَ تِسْعَةِ أَعْشارِ أَمْوالِ النّاسِ عند خُرُوجِ القَرامِطَة، وهذا قد سَطَّرَهُ في هذه (**السّيرة**) فلا وَجْهَ للإطالة بنَسْخِيْهِ هٰهنا.

وأمّا عُدْمِ الأَعْوان فأَقَلُّ ما في ذلك مع ما أَدْرَكنا في باقي دولتهم ما أَخْبَرَني به العَطّافيُّ بنُ الموحم شيخٌ من أَهْل محلي بشَظَب، وكان ممّن يُوثَقُ بصِدْقِهِ قال: بُعِثْنا في

---

(١) مسند أحمد: ٣٩/٢٤٦.

(٢) يتحمل الرّسم وتوجيه الكلام: «حَلْف مدرك... وذَبْح».

(٣) يتحمل الرّسم وتوجيه الكلام: «حَلْف مدرك... وذَبْح».

أَصْحابِ الشَّريفين القاسم ومحمّد ابْنَي جعفرٍ أيّامَ سلطانهما علينا إلى عزير أود[١]، مِنْ بلد حِمْيَر، فكنت[٢] في رُفْقَةِ قومٍ يَرُوعني صَبْرُهم على الصّلاةِ والوُضُوء لها في تِلْك الأَرْض، وذلك الوقت مِنْ شِدَّةِ البَرْد، لقد كنتُ أَراهم يُصْبِحون يَتَوضَّؤون بما يُحْرِقُ إحراق النّار، ثمّ تَتَشَقَّقُ أَطْرافُهم وهم يُبْصرون، وهي جامدةٌ فإذا طلعتْ عليهم الشّمسُ سالتْ بالدَّمِ. قال: فانتهينا إلى موضعٍ مِنْ تِلْك المواضعِ فوضَعُوا أَيْدِيَهم في النَّهْبِ والسَّلْب، فأَشْهَدُ لقد رَأَيْتُ منهم مَنْ يأتي إلى المرأةِ فيُدْخِلُ يَدَهُ تحت ثيابها فيُجِيْلُها في صَدْرِها ورَقَبَتِها وبَطْنِها وحيثُ أَحَبَّ، يلتمس الحَلي وما يكون على بَدَنِها وما تَخْبَؤُهُ تحت ثِيابها مِن نحو ذلك، وهو غاضٌّ بَصَرَهُ[٣][٢١١] عنها أو مُلْتَفِتٌ إلى خَلْفِهِ لا يَسْتَحِلُّ النَّظَرَ إليها.

فهذا ممّا جاء في أَهْلِ الدِّيانة منهم فَضْلاً ممّن كان فيهم مِنَ المُؤَلَّفَة والفَسَقَة والمُجاهرين بالمَعْصية، إلّا أنّ أَهْلَ اليَمَن لـمّا أَوْقَعَ الصُّلَيحيُّ بهَمْدان بصوف، وقَتَلَ أبا حاشدٍ يحيى بنَ أبي حاشدِ بنِ الضَّحّاك وأَصْحابَهُ، فَزِعُوا إلى آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه، فلم يُصِيبوا أَفْضَلَ مِنَ القاسمِ بنِ جعفرٍ وحمزةَ بنِ أبي هاشمٍ؛ ذَكَرَ ذلك مُفَرّحُ بنُ أحمدَ الرَّبَعيُّ في (السِّيرة).

---

(١) قوله: «عزير أود» من دون إعجام في المخطوط، ويحتمل وجوهًا، ولم أقف له على ذكر فيما وقفت عليه.

(٢) في المخطوط: «فكتب».

(٣) ثمّة حاشية بالمخطوط بخطٍّ مغاير، نصّها: «العجبُ مِن اعْتِقادهم حياةَ الحسينِ بنِ القاسم، عليه السّلام، والمشهور أَنَّهُ قُتِلَ غَدْر[اً] برَيْدَة قَتَلَهُ هَمْدان في ذي عُرار سنة أربع وأربع مئة مِنَ الهجرة وفي ذلك يقول الشّاعر: (من الكامل)

أمّا الحُسَينُ فَقَدْ حَواهُ المَلْحَدُ ... في ذي عُرارٍ والقَبائِلُ تَشْهَدُ

وقد انقرض بحمد الله الحُسَينيّة والمُطَرَّفيّة ولم يبق منهم بقية». والبيت السّابق ملفّقٌ من بيتين للجُعيد بن الحجّاج الوادعيِّ زوج ابنةِ نشوان بنِ سعيدٍ الحِميريِّ، والبيتان هما:

أَمّا الحُسَينُ فَقَدْ حَواهُ المَلْحَدُ ... واغْتالَهُ الزَّمَنُ الخَؤُونُ الأَنْكَدُ

فتَبَصَّرُوا يا غافلينَ فإِنَّهُ ... في ذي عُرارٍ وَيْحَكُمْ مُسْتَشْهَدُ

انظر الدّوامغ الشّعريّة بين القحطانيّة والعدنانيّة: ١٠٣٨.

ومِمّا يُعرفُ به القاسمُ بنُ جعفرٍ مِنَ الغَضَبِ لله مع قيامِهِ على الصُّلَيحيِّين مَرَّةً بعد أخرى أَنَّهم لـمّا صاروا إلى شَهارَةَ في شهر رمضان سنةَ ستّينَ وأربع مئة، وذلك بعد قَتْلِ عليِّ بنِ محمّدٍ الصُّلَيحيِّ، وعَجْزِ المُكَرَّمِ ابنِهِ وسائر مُلُوك الدّعوة الصُّلَيحيّة عَنِ الظَّفَرِ بهم، وقَتْلِهم حاشدَ بنَ كُدَيْسٍ وجَوْلَةَ بنَ جعفرِ بنِ محمّدٍ، وهما مِنْ سلاطينهم بالرّحبَة مِنْ نَجْد الحَبْلَة تحت شَهارَةَ، وهَزْمِهم هزيمةً بعد أخرى= لَبِثُوا إلى سنة ثلاثٍ وستّين ودعا جعفرُ بنُ الحسن الشَّمريُّ وخَطَبَ للصُّلَيحيِّين على مِنْبَرِ الهادي إلى الحقّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، بصَعْدَة، فنَهَضَ القاسمُ بنُ جعفرٍ بنفسِهِ، ولم يَرْضَ بنائبٍ عنه حتّى دَخَلَ صَعْدَةَ فقَبَضَ على الشّمريِّ ورَجَعَ بِهِ إلى شَهارَةَ، فلَبِثَ في سِجْنِها إلى سنة سبعين وأربع مئة، وأَظْهَرَ النَّكَرَة والغَضَبَ فيما صَنَعَ حتّى مُدِحَ بذلك، وقد قِيْلَ فيه الشِّعْرُ؛ قال مفرّحُ بنُ أحمدَ الرَّبَعيُّ: (مِنَ الكامل)

قُدْنا مِنَ الجَبَلِ المَنِيعِ جِيادَنا	أُرُنَ الأَعِنَّةِ كالصُّخُورِ صَلادِما[1]
فَمَضَيْنَ شُعْثاً كالعِشارِ بَوادِناً	وسَلَكْنَ شَرْقاً كالظِّباءِ سَواهِما
يَتْبَعْنَ أَشْمَطَ هاشِمٍ وهُمامَها	نَجْلَ الأَئِمَّةِ ذا المَهابَةِ قاسِما
الماجِدَ الوَرِعَ التَّقِيَّ الزّاهِدَ	البَرَّ الكَمِيَّ البَرْهَمِيَّ العالِما
يَقْصِدْنَ هِجْرَةَ جَدِّنا الهادي بِهِ	أَكْرِمْ بِها وبِهِ إِلَيْها قادِما
[وتَحُوطُ ساكِنَها فَلَمّا] اسْتَعْمَلَتْ	سُكّانُ صَعْدَةَ رَأْيَها المُتَفاقِما[2]
ودَعا المغلّغُ فَوْقَ مِنْبَرِ جَدِّنا	قُدْنا إِلَيْهِ المَأْقِطَ المُتَلاحِما[3]

(١) **الأُرُن**: واحدها الإران، وهو النّشاط.

(٢) ما حُفّ بمعقوفين عن سيرة الأميرين ...: ٣٢٤.

(٣) **المأْقِط**: موضع القِتال والحرب.

فَرَجْعَنْ بِالأَسْرَى وكُنَّ مُرادَنا دُوْنَ الغَنائِمِ والإِيابِ غَنائِما

وهذا كُلُّهُ ممّا ذكرَهُ مُفَرِّحٌ في (السّيرة).

وأَخْبَرَني القاضي أبو الخيرِ أحمدُ بنُ عبدِ[٢١٢] السّلامِ بن أبي يحيى بصَنْعاء، قال: كان سَبَبُ جُرْأَةِ الأَشْراف بشَهارَة على الصُّلَيحيِّين أنّهم بعد [أن][1] صاروا بشَهارَة بعد قَتْل عليِّ بنِ محمّدٍ الصُّلَيحيِّ بالمَهْجَم، وظَفَرِ ابنِهِ المكرّم أحمد بن عليّ بالحَبَشَة، قَصَدُوا إلى شَهارَة مع المُكَرَّم في مُلُوك الدّعوة الصُّلَيحيّة وجُيُوشِها، فأَقْبَلَ حتّى نَزَلَ بموضعٍ تحت شَهارَة يُقالُ له: أوّى[2]، ونَزَلَ أحمدُ بنُ المُظَفَّرِ بجبلٍ يُقالُ له: أبو الحَنْجف، ونزل عامرُ بنُ سليمان الزَّواحيُّ ناحيةً أخرى، ونَزَلَ حاشِدُ بنُ الكُدَيس وجَولةُ [بن جعفر][3] بنُ محمّدٍ الصُّلحيّان بنَجْدِ الحَبْلَة، بموضع يُقالُ له: الرَّحبَة؛ فحاطوا بجَبَلَي شَهارَة مِنْ كُلِّ جهةٍ. فقَسَمَ الأميرُ [محمّد بن][4] جعفرُ بنُ القاسم الرَّسِّيُّ الأَشْرافَ والشّيعةَ ثلاثةَ أقسامٍ مئةً مئةً، وأَصْحَبَ كُلَّ فرقةٍ رِيحاً[5] مِنْ بُوقٍ وطَبْلٍ وغيره، فصَبّحتْ كُلّ طائفةٍ منهم طائفةً مِنَ الصُّلَيحيِّين وجُيُوشهم. فقُتِلَ حاشدٌ وجولةُ وكثيرٌ مِنْ جَيْشهما، وانهزمَ باقيهم، فانْهَزَم سائرُ المُلُوك والعساكر أَقْبَحَ الهزيمة، وقُتِلَ مِنْ لُحِقَ منهم.

فلمّا كانتْ لذلك سنة أو نحوها جَهَّزَ المُكَرَّمُ جيشاً آخَرَ، وقَصَدَ شَهارَة، فانتهى إلى موضعٍ تحتها يُقال: أَقَر، ثمّ لم يلبثْ أنِ انصرف.

وفي السّنة الثّالثة أَقْبَلَ كذلك فانْتَهى إلى جهة ظاهر بني صُرَيم مِنْ وادعة، ثمّ حادَّ الأَشْرافَ، فكان حَدُّهُ وحَدُّ أَهْلِ دعوتِهِ مِنْ أَسْفلِ عَجِيب مِنْ ناحيةِ رَيْدَةَ مِنَ البَوْنِ

(١) ما حُفّ بمعقوفين زيادة يتّجه بها سياق الكلام.

(٢) قوله: «أوّى» بتشديد الواو، كذا بالمخطوط.

(٣) ما حُفّ بمعقوفين تقدّم في اسم الرّجل.

(٤) ما حُفّ بمعقوفين زيادة يقتضيها صواب اسم الرّجل، وقد تكرّر على الصّواب مرارًا.

(٥) قوله: «ريحا» أوّله راء مهملة ثمّ ياء مثنّاة فحاء مهملة، كذا بالمخطوط، ولم يتّجه لي معناه.

الأَسْفل فيَمَناً، وحَدُّ الأَشْراف وشِيْعَتِهم مِنْ أَعْلى عَجِيب فشاماً.

وأَخْبَرَني القاضي أحمدُ بنُ عبد السّلام بنِ أبي يحيى قال: قال الشّريفُ القاسمُ بنُ جعفر بنِ القاسم: أَمَا إنّي سأُفْقِرُ بني الصُّلَيحيِّ، فأمّا القَتْلُ لهم فلا أَصِلُ إليه. فتَحَرَّكَ لذلك بعد أَنِ اسْتَقَرَّ الأَشْرافُ وشيعتُهم بشَهارَة فصادَفَتْ حركتُهُ مجاعةً شديدةً أَتَتْ على صَنْعاءَ وأَعْمالها خاصّةً، وعلى اليَمَن عامّةً، فسَلَّمَتْ إليه قبائلُ صَنْعاء ما في أَيْديْها مِنَ الجِبالِ والحُصُون، وبَقيَ بيتُ بَوْس بأَيْدي الصُّلَيحيِّين، فلَزِمَ أَصْحابُ القاسمِ بنِ جعفرٍ جَبَلاً فوقه، يُعرفُ بقَرْنِ عَنْتَرٍ، وحَصَرَهم مِنْ ثَمّ ومِنْ مَقْطوع كَنِن، وكانت في طاعته بأبي[1] الفتوح وخَولان العالية، وعَسْكَرَ بعضُ[2][٢١٣] أَصْحابِهِ بجبال تَنْعُمَة والسِّرّ والمَشْرق كُلِّهِ، وبعضُهم عَسْكَرَ بناحية ثُلا لحصار الزّواحيِّين بشِبام وكَوْكَبان. وبَنَى ابنُ عمِّهِ الحسنُ بنُ إبراهيم بنِ سليمان بنِ القاسم بنِ عليٍّ جَبَلَ ثُلا[3]- وهو أوّلُ مَنْ بَناهُ- فضايَقُوهم بصَنْعاء وشِبام حتّى أدّاهم ذلك، بعد أَنْ زاد الحِصارُ، إلى الهُروبِ عَنْ صَنْعاء إلى ذي جِبْلَة، وقد صار في آذانِ نِساءِ الصُّلَيحيِّين أَخْراصُ الصُّفْر وبِيْعَتْ الآلات والثِّياب[4] والمَراكب وحَلْي الأَسْلِحة، وغير ذلك.

وكان مِنْ سَبَبِ ذلك أَيْضاً أَنَّ قبائلَ مَشْرِق هَمْدان مِنْ عُذَر وذَيْبان ونحوها، كانتْ قد أَقْبَلَتْ إلى المُكَرَّم فحَلَفَتْ على السَّمْع والطّاعة وحَرْبِ الأَشْراف، ولم يكن في خِزانَتِهِ ما يُعْطِيهم إيّاهُ، فضَرَبَ لهم قدر صُفْرٍ دنانير، واحْتُيْلَ على تَلْوِيْنِهِ بما صَبَغَهُ حتّى قَبلُوهُ.

وكان العطاءُ أربعةً أربعةً، فأَخذوا عَطاءهم ورَجَعُوا على طاعته حتّى أَتَوا سوقَ حَدْقان مِنْ الرَّحبَة، فتَقَدَّمَ بعضُ مَشائخهم بدينارٍ ممّا معه لشراءِ صُوفٍ اسْتَرْخَصَهُ،

(١) قوله: «بأبي» مضطرب الرسم، لكتابته «إلى» ثمّ كتابته فوقه «بأبي» وتحته «بي» وما أثبت فيه ما يتّجه به السّياق.

(٢) كرّر في المخطوط: «بعض» تارةً في نهاية الصّفحة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

(٣) قوله: «بنى ... جبل ثلا» كذا بالمخطوط، ولعلّ الصّواب: «بنى ... على جبل ثلا».

(٤) في المخطوط: «والثيات».

فأَعْطاهُ البَيِّعَ فرَدَّهُ، ثمّ أَعْطاهُ آخَرَ فرَدَّهُ، ثمّ ثالثاً ورابعاً حتّى رَدَّ ما معه، فقال: كيف يُرَدُّ دينارُ مولانا؟ فأَدْنَوهُ مِنْ أَنْفِهِ فشَمَّ رائحةَ الصُّفْر، فالتفتَ إلى أَصْحابه فأَخْبَرَهم، فجَعَلَ كُلٌّ يَنْظُرُ فيما معه مِنْ تلك الدّنانير ويَرْمي به. ثمّ انْصَرَفوا غِضاباً على المُكَرَّم وكانوا بَعْدُ مِنْ أَشَدِّ أَعْوانِ القاسم عليه.

قال: وإنّ القاسمَ ومحمّدَ ابْنَي جعفرِ بن القاسم نَظَرَا في أَمْرِ البلاد والحُصُون الّتي بأَيْدِيْهما، وكانت نَحْواً مِنْ ثلاثين قَلْعةً، وممّا يَدْخُلُ عليهما مِنْ جباياتِ البلادِ، وكان ما يُؤْخَذُ مِنْ أَكْثَرِ النّاسِ نحواً مِنْ ثلاثة أَرْباع أَمْوالهم إلى ما يُؤْخَذُ مِنَ الأَعْشار وما يُصْطَفى مِنَ الصَّوافي، فوَجَدا النَّفَقَةَ في كُلِّ يومٍ سبعين ألف دينارٍ، وما يَحْصُلُ مِنْ جباياتِ البلاد، وما يُؤْخَذُ مِنْ سائر الأَمْوالِ سبعين ألف دينارٍ في السّنة، فسُقِطَ في أَيْدِيْهما، وأَيْقَنا بالهَلاكِ لِمَنْ معهما، فأَخْفَيَا الأمرَ، وكَتَبَا في ليلةٍ واحدة إلى جميع النّواحي يَأْمُرانِ أَصْحابَهما بالتَّخَلِّي عَنِ المَراكز والعساكر والقِلاع والتَّخَلُّصِ بالحِيْلَةِ إليهما، وكانا بمَسْور المُنْتاب، فقَلَّدا أَمْرَ البلدِ المنصورَ بنَ الحسين بن المُنْتاب، وأَوْدَعاهُ الحريمَ، وانْسَلّا حتّى هَبَطا بطنَ[٢١٤] شَرِس، وأُدْرِكَ مَنْ عُلِمَ بهزيمتهم مِنْ أَصْحابهما فنُهِبَ نَفَرٌ وقُتِلَ آخرون، فصارا إلى جبل شَهارَة فأَقاما به ولَحِقَ بهما أَصْحابُهما، وكانت مُدَّةُ كَرْبهما[١] هذه ثلاثين شهراً.

وأَخْبَرَني القاضي أحمدُ بنُ عبد السّلام بنِ أبي يحيى أَنَّ القاسمَ بنَ جعفرٍ كَتَبَ إلى أحمدَ بنِ المُظَفَّر الصُّلَيحيِّ وهم بصَنْعاء في أيّام المُكَرَّم بها، وبَعَثَ بالمُكاتَبَةِ رسولاً، وكان ذلك في أيّام حركتِهِ في بلاد هَمْدان الشّماليّة وما يُواليها، يَطْلُبَ القيامَ على الأَصْلوح، فقال له الرّسولُ: أين أَجِدُكَ عند رُجُوعي؟ قال: تَسأَلُ أحمدَ بنَ المُظَفَّر عنّي. وكان كبيرَ القومِ، ومُجَرِّبَهم للأُمُور، والخبيرَ بالنّاس منهم، فلمّا قدم الرّسولُ صَنْعاء وأُجِيبَ، وأَرادَ الرُّجُوع قال لأحمدَ بنِ المُظَفَّر: أين أَجِدُ الشّريفَ القاسمَ؟ قال: ولِمَ تَسْأَلُني عنه؟ قال: أَمَرَني

---

(١) قوله: «كربهما» يحتمل أن يُقرأ: «كرتهما» وثمّة نُقطتان عُلويّتان مستحدثتان، لعلّهما لتوجيه المعنى بحسب واضعهما.

بذلك. فضَحِكَ، وقال: إنَّهُ لشيطانٌ، ثمّ قال: أتاني الثِّقَة بأنّه تَغَدَّى أَمْس ببني فُلانٍ، وأَمْسى البارحةَ بمكان كذا، وهو اليوم بناحية كذا، وتجِدُهُ غداً، إن شاء الله، عند بني فلانٍ بمكان كذا. فانصرفَ فأَصابَهُ حيثُ قال. وهذا يَدُلُّ على دَهاء الرَّجُلين، وقِلَّةِ أَمانةِ أَهْلِ العَصْر، وقِلَّةِ حُبِّهم للتَّدَيُّن، وتَقَرُّبِهم إلى المُلُوك للطَّمَع.

وأَخْبَرَني مالكُ بنُ عبد الله بنِ الكُباس المطعميُّ، وأَحْسِبُ أنّي سمعتُ ذلك مِنْ يُوسُفَ بنِ الذُّويب -مسعودٌ عندنا- وغيرِهما، ولعلَّهُ في **(السِّيرة)** موجودٌ: أنّ أحمدَ بنَ المُظَفَّرَ الصُّلَيحيَّ وأَصْحابَهُ مَنّوا النِّهْمِيِّين حيثُ هَبَطَ القاسمُ بنُ جعفرٍ الجَوْفَ الأَسْفلَ لعِمارةِ غَيْل عمران، وكانوا كارهين لذلك في قَتْلِهِ شيئاً، فلمّا قَتَلُوهُ جاؤوا إليه للثّواب، فأَنْكَرَ عليهم، وقال: تَقْتُلون وَلَدَ رسولِ الله، صلّى اللهُ عليه، وتَطْلُبون منّا عليه المكافأةَ، اذْهَبُوا. فذَهَبُوا وقد نَدِموا.

حَمْزَة

وكان حَمْزَةُ بنُ أبي هاشمٍ -فيما بَلَغَني- خَيِّراً فاضِلاً إلّا أَنَّ النّاسَ حَمَلُوهُ على القيامِ على الصُّلَيحيِّين لحاجَتِهم إلى ذلك، ولم يَبْلُغْني عنه تَبَحُّرٌ في العِلْم ولا تَقَدُّمٌ فيما يُوصَفُ به مثلُهُ مِنْ ذلك ونحوه. وقُتِلَ بالمَنْوَى مِنْ بلد[٢١٥] بَوْسان من ناحية الخَشَب مِنْ مَشْرِق بلد هَمْدان.

أَخْبَرَني القاضي أحمدُ بنُ عبد السّلام بنِ أبي يحيى قال: كان عامرُ بنُ سليمان بنِ عبد الله الزَّواحيُّ بيَرِيْم مِنْ جبل تَيْس مِنْ جِبال المغرب، فأَتاهُ الخبرُ بقِيامِ حمزةَ ونُهُوضِهِ إلى صَنْعاء في جمعٍ كثيفٍ، فنَهَضَ عامرٌ فيمن معه مِنْ أَهْل عَسْكرِه، وأَسْرَعَ في السَّيْر إلى شِبامٍ، فلمّا أَتَى أَصَلَ جَبَلِ كوكبان، وكان قد خَبَزَ لذلك العسكرِ ممّا لا يُعْرَفُ مِقْدارُهُ مِنَ الخُبْزِ فقُلِّتْ على ظَهْرِ دابّتِهِ، ولم ينزل حتّى قَسَمَ ذلك الطّعامَ على النّاس، فكان لكُلِّ رَجُلٍ رغيفان، وأَمَرَ بفَتْح مخازنِ الزَّبيب فكان لكُلٍّ نِصْفُ مِكيالٍ، فأَكَلُوا وهم يَسِيرون. فجَعَلَ طريقَهُ على ضِلَع حتّى دَخَلَ صَنْعاء فاجتمع بأحمدَ بنِ المُظَفَّر -وكان المُكَرَّمُ في بعضِ غَزَواتِهِ- ثمّ تَقَدَّمَ حتّى لَقِيَ حمزةَ بالمَنْوَى فقَتَلَهُ وكَرَّ راجعاً.

وقد كنتُ أَسْمَعُ كثيراً ممّن أَدْرَكْتُ مِنْ شُيُوخِ النّاس مِنْ أَهْلِ بلادٍ شتّى يَذْكرون أنّ عامراً مات بأَكِلَةٍ[١] أَصابتْهُ في دُبُرِهِ، ويَرون أنّ ذلك لقَتْل حمزةَ؛ وآخرون يَرون أنّ ذلك لخطيئةٍ أخرى.

أَخْبَرَني الشّيخُ الصّالحُ الحسنُ بنُ فُلْفُلٍ المقوليُّ -وقد تَقَدَّمَ له ذِكْر- قال: أَخْبَرَني

---

(١) الأَكِلَة: داءٌ في العُضْو يأتَكِلُ منه، وهو الحكّة بعينها؛ التّاج: (ء ك ل).

يحيى بنُ جابرٍ المُعَلِّم الحَبابيُّ، وكان مِنَ الصّالحين -وقد تَقَدَّمَ له ذِكْرٌ أيضاً- قال: أَخْبَرَني رَجُلٌ مِنْ أَهْل شِبام كان قد أَخْفَى اسْمَهُ في ذلك الزّمان قال: حَجَجْتُ بعد موتِ عامرِ بنِ سليمان بنِ عبد الله الزَّواحيِّ، فأَتَيْتُ مَكَّةَ فاستقبلَ الحاجَّ رَجُلٌ سألَ عمّن فيهم مِنْ أَهْلِ شِبام؟ فقلتُ: أنا مِنْ أَهْل شِبام. فقال: أَخْبِرْني، هل مات عامرُ بنُ سليمان الزَّواحيُّ؟ قلتُ: نعم. قال: فأَخْبِرْني عَنْ سببِ موتِهِ؟ قلت: أَكَلَتِ الدُّودُ دُبُرَهُ حتّى لاحتْ عِظامُهُ. قال: فسَجَدَ لله، وقال: اللّهم إنّك عَدْلٌ. فأَعْجَبَني أَمْرُهُ، فسألتُهُ عَنْ شَأْنِهِ وعمّا صَنَعَ، ولماذا كان منه ما كان؟ قال: إِذَنْ أُخْبِرك: كنتُ مرّةً بصَعْدَةَ فأتيتُ مسجدَها فقَعَدْتُ خلفَ أُسْطُوانةٍ منه، وكان في البلد مُلُوكُ الصُّلَيحيِّين والزَّواحيّين فدَخَلُوا المسجدَ ثمّ انصرفوا، وبقي[٢١٦] عامرُ بنُ سليمانَ الزَّواحيُّ وغُلامانِ له معه، فأَمَرَهُما فاحْتَمَلاهُ حتّى قَعَدَ على قبرِ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، ثمّ كَشَفَ عَنْ دُبُرِهِ وخَريَ عليه، وانصرف. فقلتُ: إنْ كان اللهُ عَدْلاً لا يموتُ هذا حتّى يُصابَ في دُبُرِهِ بمُصِيبةٍ! فهذا خَبَري وسَبَبُ ما رأيتَ وسمعتَ مِنِّي.

وهذا غيرُ بعيدٍ مِنَ التّصديق لِما قد خُبِرَ بِهِ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، وقبرُهُ مِنَ البَرَكةِ العظيمة والكَرامة عند الله الكريمة في العَصْرِ وقَبْلَهُ فإلى الآن لا يزالُ مَنْ يخافُ على ماله في الأَسْفار يَتَبَرَّكُ بأَنْ يَحْمِلَ في مَتاعِهِ مِنْ تُرابِ قَبْرِهِ الشّيءَ اليَسيرَ، ويجعلُ له فيما معه شيئاً مِنَ المالِ يَتَصَدَّقُ به عنه في شِيْعَتِهِ الصالحين. وكذلك يصنعُ مَنْ يخاف العاهات على زَرْعِهِ وعِنَبِهِ وسائر مُسْتَغَلّاتِهِ، مِنْ جَرادٍ وبَردٍ ونحو ذلك، فيسلم، معروفٌ ذلك عند الخاصّ والعامّ، قَلَّ مَنْ يُخلِصُ الضّمير في ذلك لله فيأتيه ما يَكْرَهُ.

ولقد أَخْبَرَني مَن أَثِقُ به نحو يحيى بنِ المسلم السّاريِّ الصَّعْديِّ ومحمّدِ بنِ إبراهيم بنِ رِفادٍ، قال: أَتَى أحمدُ بنُ المُظَفَّرُ الصُّلَيحيُّ صَعْدَةَ في بعضِ أَسْفارِهِ إليها وإلى نَجْران، فأَصابَهُ أَلَمٌ في أَحْشائِهِ كالقُولَنْج، فاشْتَدَّ أذاهُ له فبعثَ إلى محمّدِ بنِ جعفرٍ الشّمريِّ

-أو قال: إلى ابنه- فأَمَرَهُ بطَلَبِ طبيبٍ. فقال: ما في البلد طبيبٌ غيرُ قبرِ الهادي، عليه السّلام. ثمّ بعث إليه فقال مِثْلَ ذلك. وكُلُّ ذلك يَسْتَهْزِئ بقَولِهِ ولا يلتفتُ إليه. فلّما اشتدّ به الأَمْرُ دعا غُلاماً له لبيباً فكَلَّمَهُ سِرًّا، فأَتاهُ مِنْ تُرابِ القَبْرِ بشيءٍ فجَعَلَهُ على بطنِهِ فسَكَنَ وعُوفي؛ واشتدّ احْتِياطُهُ على مَنْ عَلِمَ بذلك حتّى أَخْفَوهُ أيّاماً لئلّا يُشْمَت به.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيم بنِ رِفادٍ قال: حدّثني فُلْفُلُ بنُ منصور بنِ فُلْفُل المقوليُّ، وكان يَتَطَبَّبُ، وكان مِنْ أَهْلِ الدِّين؛ ثمّ اخْتُصّ بمحمّدِ بنِ حاتم بن الغُشَيم اليامِيِّ مَلِكِ صَنْعاء -وكان قد تَغَلَّبَ عليها وعلى صَعْدَة ونَجْران ومارب وما بينهما مِنَ البلاد، ثمّ أَتَى صَعْدَةَ- قال: فلقيتُ بها محمّدَ بنَ حاتم مُنْصَرَفَهُ مِنْ غَزْوِ نَجْران، وكان قد أَوْقَعَ بأَهْلِ نَجْرانَ، فقَتَلَ وسَبَى ونَهَبَ وأَسَرَ وأَساءَ الأَثَر فيهم، وبالغ[٢١٦] في البَغْي والعُدْوان، ولم يكن أَحَدٌ في الدّولةِ الصُّلَيحيّة يَتَجَبَّرُ تَجَبُّرَهُ، ولا طَغَى طُغْيانَهُ، إلّا ما كان مِنْ أبي الحسين بنِ أحمدَ بن المُظَفَّر الصُّلَيحيِّ ولم يَنْتَهِ إلى طبقتِهِ. وكان فيمن قَتَلَ مِنْ أَهْلِ نَجْران منصورُ بنُ رَوح بنِ منصور بنِ المُهَلَّب المَدانيُّ وسَبى بعضَ حُرَمِهِ، وجَبَّ كثيراً مِنْ رجال العَرَب[١]، وعاثَ فوق عَيْثِ الفَراعِنة وبَغْيِ الجَبابرة.

قال فُلْفُلٌ: فدخلتُ عليه، وقد حَصَرَ أَهْلَ صَعْدَةَ بالدَّرْب الجديد المعروف بدَرْبِ الغزّ، في طَلَبِ الصُّلح بينَهُ وبين الصَّعْديِّين -لأُنْسي بِهِ وبِهِمْ- فكنتُ مِنْ جُملةِ المُتَوَسِّطين في ذلك، فطلبتُهُ فأَتَيْتُ وهو بمسجد الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، وإذا هو يَغْتَسِلُ بجَنْبِ القَبْرِ، والجِرارُ تُنْقَلُ إليه؛ فلمّا رَأَيْتُ ذلك قلتُ: انظرْ ما تصنَعُ، وَيْحَكَ، أَتَغْتَسِلُ هٰهنا، وهذا مكانٌ له حالٌ وشأنٌ؟ وعَظَّمْتُ عليه الأَمْرَ لشِدَّةِ أُنْسي بِهِ وعِظَمِ الأَمْرِ عندي، فلم يلتفتْ إلى خبري، ثمّ كلّمتُهُ في شَأْن الصَّعْديّين وانصرفتُ. ثمّ أَتَيْتُهُ مِنَ الغَدِ فسلّمتُ وتَحَدَّثْنا، فأَقْبَلَ عليَّ وقال: يا فُلْفُلُ، رَأَيْتُ اللّيلةَ رُؤيا هائلةٍ فيما نَهَيْتَني عنه أَمْس؛ وذلك أنّي

---

(١) **جبّهم**: خَصاهم؛ اللّسان: (ج ب ب).

رَأَيْتُ كأنّي في شِعْبٍ مُنْكَرٍ مُوْحِشٍ كثيرِ الأَشْجار، فأنا كذلك إذْ خَرَجَ عليَّ أَسَدٌ عظيمٌ فأَفْزَعَني، فرَدَدْتُ يَديْ إلى السَّيْف، فقال لي: والله، لولا أنّك إلى حَدٍّ أَنْتَ بالِغُهُ ما نَفَعَك مِنِّي سَيْفٌ، تَبِيْتُ على فُرُوجِ بَناتِ العَرَب ثمّ تَغْتَسِلُ عند قَبْرِ إمامٍ مِنْ أَئِمّة الهُدَى.

فأَخْبَرَني القاضي أحمدُ بنُ عبد السّلام بنِ أبي يحيى قال: لَبِثَ بعد ذلك نَحْواً مِنْ ثلاثة أشهر ثمّ قَتَلَه أَبُوهُ بصَنْعاء ثمّ نَدِمَ عليه، فكان مِنْ خَبَرِهِ ما هو مشهورٌ.

وكان القاضي أحمدُ بنُ عبد السّلام يُخْبِرني مِنْ عَجائب أَخْلاقِهِ الخبيثة بما هو عَجيب، كان ربّما يَشْتَدُّ حُبُّهُ للجارية مِنْ جَوارِيْهِ أو لبَعْضِ نِسائِهِ فيَقْتُلُها ثمّ يَنْدَمُ، فيَعْظُمُ نَدَمُهُ ويُسيءُ إلى نفسِهِ. قال: فقال لي ذات يومٍ، وكان يَزْعُمُ أنّه يُحِبُّني ويَرَى لي حَقًّا: يا قاضي، إنّي أُحِبُّ فُلانةً وأَخْشَى أَنْ أَقْتُلَها، فاكتُبْ لها كتاباً تَصْرِفُني به عنها. قال: فقلتُ: يا مولاي، فأنا أَحْوَجُ النّاسِ إلى هذا الكتاب لأنّك تَزْعُمُ أنّك تُحِبُّني!

ولم يَبْلُغْني في دولة الإسلام عَنْ أَحَدٍ أَفْسَدَ فَسادَهُ في بلدِهِ في دِماءِ النّاس وأَمْوالهم[٢١٨]، والفُرُوجِ المُحَرَّمة، ورَفْضِ المِلَّة وعَداوتها إلّا ما كان مِنِ ابنِ فَضْلٍ القُرْمُطيِّ ونُظرائِهِ.

لقد أَخْبَرَني بعضُ مَنْ له خِبْرَةٌ قال: كان محمّدُ بنُ حاتمٍ يسمعُ بالمرأةِ الحَسْناء فيَتَعَمَّلُ[١] لها حتّى يدخلَ عليها منزلَ أَهْلِها، فإن كانت بِكْراً وافْتَضَّها وَضَعَ عندها دنانيرَ عِوَضاً، زَعَمَ مِنْ مَهْرِها إلى نحو ذلك مِنَ القَبائح.

وأَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ محمّدٍ الصَّيْرفيُّ الصَّنْعانيُّ قال: كنتُ أَدْخُلُ على محمّدِ بنِ حاتمٍ بغيرِ إِذْنٍ، فدخلتُ عليه في بعضِ أيّام شهرِ رمضان فأتيتُ وهو يَتَغَدَّى هو وخَواصُّهُ، فارْتَعْتُ ثمّ عَلِمْتُ أنّي إنْ لم آكُلْ قَتَلَني في الحال، فقَعَدْتُ وأَكَلْتُ أَكْلَ جائعٍ، وقلتُ الحمد لله: اسْتَغْنَيْتُ عَنْ خُبْزِ فلانةٍ. في نحوٍ مِن هذا الكلام[٢]. وأمّا في سِوَى هذا فَقَدْ كان يُحْكَى عَنِ

---

(١) **يتعمَّل**: يتعنّى؛ اللّسان: (ع م ل).

(٢) ثمّة حاشيةٌ بالمخطوط بها: «قال بعضُهم في قَتْل ابنِ الغُشَيم لولَدِهِ محمّدٍ هذا: (من المنسرح) =

المُفَضَّل بنِ أبي البَرَكات بنِ الوليد الحِمْيَرِيِّ أيّامَ مُلْكِهِ بالتَّعْكَر ما يُذَمّ به.

أَخْبَرَني القاضي أحمدُ بنُ عبد السّلام بن أبي يحيى قال: لـمّا أَخَذَ أَسْعَدُ بنُ أَسْعَدَ بنِ أبي السِّلاح الحِمْيَريُّ وأَصْحابُهُ التَّعْكَرَ، وخالَفُوا فيه على المُفَضَّلِ ثمّ انصرفَ عَنْ غَزْوَتِهِ إلى تِهامَةَ لِحِصارِهم فلم يَنَلْ منهم طائلاً، ويَئِسَ مِنَ الظَّفَرِ بهم، وأَقْبَلَ عامرُ بنُ سليمان بنِ عامر بنِ سليمان الزَّواحيُّ يُريدُ البلادَ، وكان يُسيءُ الظَّنَّ به، وإنْ أَظْهَرَ مُوالاته، فشَرِبَ السُّمَّ فمات.

قال القاضي: فأَتَيْتُ الحُرَّةَ الملكةَ السَّيِّدَةَ بنتَ أحمدَ الصُّلَيحيّةَ، وكانوا يُظْهِرون مَعاً أنّهم مِنْ قِبَلِها وأنّها مَولاتُهم= أُعَزِّيها بالمُفَضَّلِ وأُشارِكُها في المُصيبة بِهِ وبالبَلَدِ، وكانت تَعْتَدُّ بِهِ في كثيرٍ مِنَ الأُمُور، فأَدْنَتْني وأَكْرَمَتْني. ثمّ دَخَلْتُ عليها وهي خاليةٌ، فذكرتِ المُفَضَّلَ ثمّ قالت: يا قاضي، لقد كانت فيه عِبْرَةٌ، ولقد فَطِنَتْ لها جُوَيرِيَّةٌ دَخَلَتْ عليَّ مِنْ جوارِيْهِ. ثمّ أَنْشَأَتْ تُحَدِّثُني فقالتْ: دَخَلَتْ عليَّ هذه الجُوَيرِيَّةُ فقالت: يا مولاتنا، إنَّ في مولاي لعَجَباً عَجِيباً! قلتُ: وما ذاك؟ قالت: كان يَشْرُبُ الدَّهْرَ كُلَّهُ فإذا أَتَى شهرُ رمضان تَفَرَّغَ فيه لسَقْيِ السُّمُومِ ودَسِّها على أَعْدائِهِ، وللمُعامَلَةِ في الحُصُون والقِلاع وأَخْذِها مِنْ أَهْلِها؛ فأُخِذَ حِصْنُهُ في شهرِ رمضان وشَرِبَ السُّمَّ فمات. وكان مُوْلَعاً بكَشْفِ حُرَمِ النّاس والفُجُور بِهِنَّ فلم يَمُتْ حتّى كان ابنُ أبي السِّلاح وأَصْحابُهُ يَصيحون في كُلِّ غَداةٍ[٢١٩] يُنادونَهُ منَ التَّعْكَر بما صَنَعُوا بنسائه، وربّما قالوا: أَتَمَّ اللهُ سُرُورَك في فلانةٍ، دَخَلَ بها فلانٌ اللّيلة.

وقد كان مِنْ نَوادِرِهِ أنّه لم يَمْتَنِعْ عليه الأَمْر في امرأةٍ اشْتَهاها إلّا امرأة واحدة مِنْ نساء الهَياثِم بذي أَشْرَق، فإنّه ما تَمَّ له عليها شيءٌ جَبْراً ولا اخْتِياراً حتّى كان منه وأَعْمَل رَأْيَهُ

=
لم نَرَ يا ابْنَ الغُشَيْمِ مِنْ أَحَدٍ ... سِواكَ يَفْري بِسَيْفِهِ كَبِدَهْ
ولا رَأَيْنا مِنَ الوَرَى مَلِكاً ... يَقْتُلُ مِنْ أَجْلِ ذِمَّةٍ وَلَدَهْ»

مرّةً في حِيْلةٍ بعد دهرٍ، فتَقَدَّمَ إلى بعضِ جَوارِيْهِ وذَواتِ الإِخْلاص في طاعتِهِ بأَنْ تَدْعُوها عَشِيًّا إلى الأَكْلِ عندها والشُّرْب، ويُبَكِّرُ هو إلى الجَنَد حتّى تَعْلَمَ بغَيْبَتِهِ فتطْمَئِنَّ إليها. ففَعَلَ وفَعَلَتْ فأَتَى الجَنَدَ عند انْتِصافِ النّهار، فلمّا نَزَلَ جُنْدُهُ وأَصْحابُهُ في منازلهم ودَخَلَ دارَ الإِمارة بالجَنَد ثَنَى عِنان دابَّتِهِ، وأَغَذَّ السّيرَ في نَفَرٍ مِنْ خَواصِّ خَدَمِهِ فدَخَلَ الدّارَ بذي أَشْرَق في أوّلِ اللّيل، والامرأةُ قد صارت سَكْرَى إمّا نائمة وإمّا تُريد أَنْ تَنام، فلم يَكُنْ لها عنه امْتِناعٌ فيما حُكي. فكانت هذه مِنْ نَوادِرِ الأَخْبار في المُبالغة في الفُجور منه.

ومِنَ المَعاني مِنْ بَرَكات قَبْرِ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، أنّي استصحبتُ منه -وقد أَتَيْتُ صَعْدَةَ مُنْصَرِفاً عَنِ الحَجّ عامَ ثلاثة عشر[١] وخمس مئة- شيئاً صالحاً فما أَعْرِفُهُ نَفِدَ إلّا في نَفْعٍ. لقد أتاني رَجُلٌ مِنْ أَصْحابي بشَظَب يُقالُ له: عبدُ الله بنُ أبي المدور، وقد أَصابَ وَلَداً له وَرَمٌ أَحْمَرُ كادَ يأتي على نفسِهِ، فأَتاني وقد اشتدَّ جزعُهُ عليه، وظهرتْ عليه الكآبةُ ويَئِسَ مِنْ بُرئِه أو كاد، وقال: يا أخي[٢]، ليس لي غيرُ هذا الطِّفْل وقد خِفْتُ أَنْ يَموت -أَوْسَعَ في الشَّكْوى والتَّخَوُّف- فما تَرَى وما تَعْرِفُ مِنْ عِلاج؟ فاتَّفَقَ أنّي ذكرتُ ذلك التُّرابَ في الحال، فقلتُ: نعم، عندي تُرابٌ مِنْ قبرِ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، ولا أَعْلَمُ وسيلةً إلى الله مثلَه. فأَخَذَهُ وبادَرَ حتّى جعلَهُ على ذلك الوَرَم، فسَكَنَ الأَلَمُ عَنِ الغُلام في الحال، وانْحَلَّ الوَرَمُ وعُوفي، فعاشَ بعد ذلك. وكان لا يَزالُ يذكرُ عجيب شفاءِ اللهِ له تعالى وبَرَكَةِ ذلك التُّراب.

ولقد أَخْبَرَني ناصر المعلّم، رَجُلٌ مِنْ خَولان العالية كان مِنْ أَهْلِ الدِّين والخَيْر قال: خَرَجْتُ أنا[٢٢٠] وأَوْلادٌ لي وأُمٌّ لهم، في سَنَةٍ شديدةٍ ذاتِ قَحْطٍ وغَلاءٍ، نُريدُ صَنْعاء، فأَتَيْنا طريقَ بيتِ بَوْس، ثمّ خَرَجْنا حتّى أَتَيْنا أَكَمَةَ حَدّين، وقد أُعْيِينا حتّى ما نَقْدِرُ أَنْ نَتَقَدَّمَ،

---

(١) في المخطوط: «عام ثلاث عشرة...».

(٢) قوله: «يا أخي» رسمه مضطرب بالمخطوط، وأقرب ما يدلّ عليه الرّسم هو: «يا وحي».

وكنتُ أحملُ بعضَ أَوْلادي، وأُمُّهُم تحملُ بعضَهم؛ ونحملُ مع ذلك أَخْلاقاً لنا وأَهْداماً وآنيةً لا نَقْدِرُ على تَرْكِها ولا نَقْدِرُ على حملِها، فمَرَرْنا بالموضعِ الّذي وَقَعَ فيه الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، في حَرْبِهِ لبَني طَرِيفٍ، فصَلَّيْتُ فيه ركعتين ودعوتُ إلى الله تعالى، وهو موضعٌ معروفٌ، قد بُني عليه بناءٌ يُحيطُ بِهِ، يَتَبَرَّكُ به النّاسُ، وهو مشهورٌ عندهم. ثمّ تَمَشَّيْنا على أَمْرٍ يَعْلَمُهُ اللهُ تعالى مِنَ الضَّعْفِ والفاقة والعَجْزِ عَنِ السَّيْرِ والحمْلِ، فنحن كذلك إِذْ أَدْرَكَنا راكبٌ معه دابّةٌ، فنَظَرَ إلينا وإلى ما نحن فيه مِنْ سُوءِ الحالِ وشِدّةِ الأَمْرِ والجَهْد، فقال: جَبَرَكم الله. ثمّ قال: هاتُوا أَحْمالكم. فحَمَلَها على الدّابة، ونحن نَظُنُّ أنّه يُطالِبُنا بِكِراءٍ[(١)]، فلمّا انتهينا إلى دَرْب صَنْعاء قال: خُذُوا مَتاعكم. فأَخَذْناهُ وانصرفَ عنّا، وقد اشتدّ علينا الأَمْرُ فيما كان مِنَ الخوف منه في الكِراء. وإذا هو رَجُلٌ قد وَفَّقَهُ الله تعالى لنا ووَفَّقَهُ فينا، فكان هذا مِنْ بَركات الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، ويُمْنِهِ. وهذا بابٌ واسعٌ لا سبيلَ إلى استقصاءٍ به.

---

(١) في المخطوط: «بكرى» بألف مقصورة، وسيأتي بُعيده: «الكري»، وإنّما هو: الكِراء، بالمدّ؛ انظر التّاج: (ك ر ي).

ابنا عبدِ الحميد

هما الحسينُ وعليّ ابنا عبد الحميد.

ونَسَبُهما في بني الخلُطيِّ بمَسْوَر المُنْتاب، وهما مِنْ شُيُوخ السَّناعيَّة ومُقَدَّمي الزّيديّة، ومَنْ يُتَبَرَّكُ به مِنْ ذَوي العِلْم والعَمَل منهم، وعِبادُتُهما مشهورةٌ وزُهْدُهما ووَرَعُهما كذلك، ولهما فضائلُ مَرْوِيّةٌ ذَهَبَ عَنِّي كثيرٌ منها إلّا أَنّي أَذْكُرُ منها ما حَفِظْتُ إِنْ شاء الله.

أَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ عبد الفاضل العُبَيْديُّ ﷺ قال: كان الحسينُ وعليّ ابنا عبد الحميد. عندنا بمَدَر مِنْ مَشْرِق حاشِد، وكان الحسينُ مُعَلِّمي القرآنَ، وكان يَقْرَأُ لقالُون؛ وأُمُّهُ مِنْ بَناتِ نَهْدِ بنِ الصَّبّاح. وكان زاهداً عابداً.

قال[٢٢١] أَسْعَدُ: فصَحِبْتُهُ مدّةً مِنَ الزّمان فكان لا يَزالُ صائماً لا أَعْلَمُهُ يُفطِرُ إلّا لبَلاءٍ أو في أيّام العِيْدين ونحوهما. وما زالَ صائماً منذُ وُلِدَ ابنُهُ عبدُ الحميد بنُ الحسين إلى أَنْ أَدْرَكَ وبَلَغَ الشّبابَ، وأَعْرِفُهُ أنا بعد تَحَوُّلِهِ إلى وَقَش شَيْخاً وَقُوراً صَمُوتاً بَكِيءَ المَنْطق شَحِيْحاً بالكلام حتّى يَلْزَمَهُ فيه حَقٌّ لله.

وأَخْبَرَني الحسين بن محمّد القَهْميُّ، رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة مِنْ أَهْل بلادنا، له فِقْهٌ ووَرَعٌ وعِفَّةٌ ودِيانةٌ، وهو ممّن يُعْتَدُّ بفَضْلِهِ في المسلمين، ويُسَرُّ بوُجُود مثلِهِ في البلاد، وقد طالتْ صُحْبَتُهُ للزّيديّة بوَقَش وغيرِها، وأَدْرَكَ طائفةً مِنَ الشُّيُوخ الأَفاضلِ، وسَمِعَ منهم؛ قال: لـمّا حضرتِ الحُسينَ بنَ عبد الحميد الوَفاةُ، وذلك بأَسْناف مِنْ مَشْرِق بلاد سَنْحان، اجتمعَ إليه مَنْ حَضَرَ مِنْ إِخْوانِهِ، فذَكَّرُوهُ الوَصِيّةَ، وقالوا: أَوْصِ بما تُحِبُّ فقال: لا لي ولا عليّ. ولم يَكُنْ منه وَصِيّةٌ في شيءٍ ممّا يُوصي به النّاسُ مِنْ حقٍّ ولا دَيْن ولا تَبِعَةٍ، ولا ما

يُخافُ الله فيه. قال: فبَلَغَ ذلك سُلْطانَ تلك النّاحية، وكان رَجُلاً مِنْ سَنْحان يُقالُ له: موسى الواصل، فتَعَجَّبَ مِنْ ذلك، وقال: يا لها ميتةً ما أَطْيَبَها.

وكان عليٌّ ﵀ يَنْزِلُ مَدَراً، وأَحْسِبُهُ مات بها.

فأَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ عبد الفاضل أنّه كان غايةً -بل آيةً- في العِبادة والوَرَع والفِقْهِ والنَّظَر، وكان قد ابْتُلي ببَناتٍ كثيرةٍ، فكان ربّما اجتمعتْ حَيْضَتُهُنَّ في وقتٍ واحدٍ فإذا طَهُرْنَ يَخْرُجُ ﵀ مِنْ منزلِهِ بكارَةٍ[(١)] مِنَ الثِّياب لا يُطِيقُها حتّى يأتي بعضَ المَياهِ فيَغْسِل لَهُنَّ تلك الثِّياب ويُنَظِّفها، ثمّ يَنْقَلِب إليهنَّ، فكانت تلك عادتَهُ يَثْقُلُ حَمْلُهُ مَرَّةً ويَخِفُّ أخرى، ولا يُولي ذلك منهُنَّ غيرَهُ.

وكان مُشْتَغِلاً في أَكْثَرِ دَهْرِهِ بخِدْمَتِهِنَّ في نَقْلِ الماءِ للطُّهُور والشُّرْب إليهنَّ، ونَقْلِ الحَطَبِ وخِدْمةِ المَنافعِ، فكانت تلك عِبادةً كاملةً لو لم يكن مجتهداً في غيرها لكانت مَثَلاً للآخرين، فكيف وقد كان الصَّوّامَ القَوّام، المُذَكِّرَ بالله سِيرتُهُ وبالآخرة رُؤيتُهُ.

قال أَسْعَدُ: كان عليُّ بنُ عبد الحميد ﵀[٢٢٢] إذا خَرَجَ إلى فِناءِ منزلِهِ، فجلسَ واحتاجَ أَهْلُهُ إليه لحاجةٍ نَقَرَ إحدى تلك البناتِ -أو أُمُّهنّ- الجِدارَ بحَجَرٍ، فيَقُومُ. فكان القائلُ يَقولُ على وَجْهِ التَّوَجُّعِ لَهُ: كُلٌّ له داعٍ مِنْ وَلَدِهِ وأَهْلِهِ، وابنُ عبدِ الحميد داعيهِ الحَجَر[(٢)]. وكان ﵀ لا يَضَعُ شيئاً إلّا في موضعِهِ، ولا يَعْمَلُهُ إلّا في حينِهِ، وعندما يكون أَفْضَلَ.

وأَخْبَرَني الحسين بن محمّد القَهْميُّ قال: كانتِ الفُقَراءُ مِنَ الزّيديّة تَتَبَعُ عُلَيّانَ بنَ سَعْدٍ ﵀ فأَتَى مَدَر في جماعةٍ منهم في أيّام الخَرِيف، وبها عليُّ بنُ عبد الحميد، فسَلَّمَ عليهم وسَلَّمَ عليهم النّاسُ، وأَتاهم القِرَى، ودُعوا[(٣)] إلى قِرَى قومٍ إلى أَمْكِنَةٍ[(٤)]؛ وعليُّ بنُ

(١) **الكارَةُ**: هي ما يُحْمَل على الظَّهْر مِنَ الثِّياب؛ التّاج: (ك و ر).

(٢) في المخطوط: «داعية» آخره تاء مربوطة، وهي متّجهة على كُرْهٍ.

(٣) في المخطوط: «ودعيوا» كذا، وهو رسمٌ تكرّر غيرَ مرّةٍ في الكتاب، نحو قوله فيما سلف: «نسيوا» و«لقيوا، لقيوه».

(٤) في المخطوط: «أماكنة» كذا بدا لي رسمه، على أنّه قد يحتمل غير ما بدا لي، وفي النّفس من العبارة كلّها شكّ.

عبد الحميد يَزُورُهم ويَنْظُرُ إلى ما يَأْتِيهم، فدامَ القِرَى لهم والبِرُّ أيّاماً، فكان لا يَأْتِيْهم بشيءٍ، وكان عُلَيّانُ خَبِيراً بِهِ وبما هو عليه مِنَ التَّدْبيرِ والتّرتيب. فقال له بعضُهم: لا نَرَى الشّيخَ عَلِيًّا أَتانا بشيءٍ! فقال عُلَيّانُ: سَتَرَون ما يَصْنَع. فلمّا انقضى أَكْثَرُ ما كان يَأْتِيهم أَتاهم بما لم يكن في نُفُوسِهم، وأَحْسَنَ قِراهُم، وقام بمَصالحهم، وبالغَ في بِرِّهم جَهْدَهُ. فعَلِمَ حينئذٍ مَنْ عَلِمَ بذلك أنّه كان يَرَى القِرَى بعد القِرَى في الوقتِ الواحد، والزّيادةَ في حَقِّ الغَداء بعدَ الشِّبَعِ بَطَراً وتَبْذِيراً وإِضاعةً للمال وفَساداً في الدِّين، وأنّه كان يُحِبُّ أَنْ يكونَ ما يُطْعِمُهم لله لا للمُباهاة، ولقَوامِ الأَجْساد لا للعَبَثِ، وعندما يحتاجون إليه لا بعدما يَمَلُّونَهُ.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ، أَحُدُ شُيُوخ الزّيديّة في العَصْر بوَقَش وذَوي السَّبْق في الفَضْل، قال: كان موتُ حسينِ بنِ عبد الحميد رحمه الله بأَسْناف مِنْ مَشْرِق بلاد سَنْحان، وكان بحَضْرة رَجُلٍ مِنَ الصّالحين -وأَحْسِبُهُ قال: كان هو الّذي يُمَرِّضُهُ- وكان مُعَلِّماً للقرآن يُقالُ له: أَسْعَدُ بنُ مسلمٍ، فأَخْبَرَ أنّه قال له في مَرَضِهِ: هل عليك دَيْنٌ أو شيءٌ تُوصي به، فأَنا أُسَلِّمُهُ عَنْك؟ فأَجابَ بمِثْلِ ما تَقَدَّمَ عنه في خَبْر الحسين بن محمّد القَهْميّ، وقال: لا عليَّ ولا لي. قال فبَلَغَ[٢٢٣] ذلك موسى الواصلَ سُلْطانَ تلك النّواحي فقال ما حُكيَ عَنهُ. وفي خَبَرِ زيدٍ أَنّهُ قال أيضاً: فهل كان هذا الشّيخُ مِنَ الملائكة؟ واشتدّ تَعَجُّبُهُ.

وأَخْبَرَني زيدٌ أيضاً قال: كان النُّوَيرةُ السَّنْحانيُّ الزّاهدُ رحمه الله يَتَمَنّى أَنْ يُصَلِّيَ خَلْفَ الحسينِ بنِ عبد الحميد ركعتين، وقَلَّما يَتَّفِقُ له ذلك. قال زيدٌ: وكان ابْنُهُ عبدُ الحميد قد تَكَلَّمَ بشيءٍ مِنْ مسائلِ الخِلافِ فأَتَيْتُ الشّيخَ إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثم رحمه الله وقد شَكَكْتُ في الصّلاة خَلْفَهُ، فأَخْبَرْتُهُ الخَبَرَ وأَنَّ شَكِّي فيه لذلك، فقال: فلا تُصَلِّ خَلْفَهُ، ولكن صَلِّ خَلْفَ حسينِ بنِ عبد الحميد. يعني أَباهُ.

وأَخْبَرَني زيدٌ أيضاً قال: لَقِيَني الحسينُ بنُ عبد الحميد، وكان قدِ اضْطُرَّ إلى تَكْتيبِ

الصِّبْيان، والتَّبَلُّغِ بالبِرِّ لوجهِ الله، فقال لي: فِيمَ أنتم تَتَذاكرون، وما أنتم تَتَعَلَّمُون في هذه الأيّام؟ قلتُ: نحن نَتَحَدَّثُ في التّوحيد قال: هنيئاً لكم، أمّا أنا فدائبٌ أَسْتَبْهِم مع هؤلاء البَهائم. يعني الصِّبْيان.

وأَخْبَرَني زيدٌ ﷺ قال: أَخْبَرَني رَجُلٌ مِنَ المسلمين يَنْزِلُ وَقَش مِنْ أَهْل مَشْرِق خَولان يُقالُ له: رعيش، وأَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ مسلمٍ المُعَلِّم بأَسْناف وكان مِنَ الصّالحين قالا: دَخَلْنا على الحسينِ بنِ عبدِ الحميد في مَرَضِ موتِهِ بأَسْناف فسَلَّمْنا عليه، وهو باقٍ على العَقْل، ثمّ جَلَسْنا فلم يَلْبَثْ أَنْ شَخَصَ ببَصَرِهِ إلى فوق، وقال: قَدِما، مَرْحَباً بكما مَرْحَباً بكما. ثمّ قال: بَشَّرَكما اللهُ بالعافية بَشَّرَكما الله بالعافية، وفاضَتْ نفسُهُ ﷺ. فكان النّاسُ يَرُون أنّه بُشِّرَ بالجنّة.

الفُقَهاءُ الإِخْوَةُ اليَحيريّون

وهم: يحيى والحسنُ والحسينُ بنو عَبد اللهِ بنِ أحمد.

نسبُهم في حِمْير ثمّ في يَحِير مِنْ آلِ ذي رُعَين. وأَصْلُ وَطَنِهم بيتُ رِجالٍ مِنْ ناحية المَعْلَل مِنْ أَرْض بني شِهاب.

وفيهِمُ المُتَقَدِّمُ الزّمانِ كيحيى والمُتَأَخِّرُ البَقاءِ كالحُسين، رحمهم الله، وكان يحيى رحمه الله مِنْ مُهاجرةِ سَناع. وماتَ أَخَواهُ الحسنُ والحسينُ بوَقَش، رحمهم الله.

وكانوا أَهْلَ بيتِ عِلْمٍ وعَمَلٍ، أئمّةً في عِلْم الحِساب والفَرائض والوَصايا وغَوامِضِ الفِقْه على[٢٢٤][1] مذهب الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، يُقْتَدى بهم في كثيرٍ مِنْ ذلك حيثُ كانوا، وفي عَقْبِهم إلى الآن مَنْ يَجْمَع فُنُوناً مِنَ العِلْم قَلَّ مَنْ يجمعُها مِنَ النّاس، وهؤلاءِ مِنْ عَقْبِهم باقون إلى الآن لمَنْ أَحَبَّ العِلْمَ بذلك منهمُ.

وبَلَغَني أنّ يحيى رحمه الله كان مِنَ الطِّراز الأوّل على سَمْتِ مُطَرِّفٍ وأَهْلِ عَصْرِهِ وشِيَمِهم في الزُّهْد والإِيْثار لله سبحانه، والإِخاءِ الصّادق في الله، والدّعاءِ إليه، والمُبالغة في الهِداية إلى الحقّ مِنْ دِيْنه تعالى.

أَخْبَرَني ابنُهُ سليمانُ بنُ يحيى، وهو مَنْ لا أَحْتاجُ في تَعْريفه إلى صِفَةٍ لهُ فَضْلاً، قال: نَزَلَ بالمسلمين في سَناع ضَيْفٌ فاحتاجُوا لهُ إلى قِرًى، فالْتَمَسوا كَبْشاً أو شاةً لذلك، فأَعْجَزَهم ذلك، وكانت لأبي رحمه الله غُنَيماتٌ فيها ما يُوافقُ ما يُرِيْدُون، فانْتَبَهوا لها فأتوا إلى الرّاعي، فأَخَذُوا منها كَبْشاً، وكان أبي رضي الله عنه غائباً، فكان منهم مَنْ كان في نفسِهِ مِنْ ذلك

(١) كُتِبَ في المخطوط: «على على» بتكرار «على».

شيءٌ، فلمّا قَدِمَ أَخْبَرُوهُ بما كان منهم فاشْتَدَّ سُرُورُهُ بذلك، وقال: لو لم تَفْعَلُوا هذا ما كنتم عندي برِجالٍ، ولا كنتم إِخْوةً صادقين. في كلامٍ نحو هذا. فلمّا رَأَى مَنِ ارتابَ ذلك منه عَلِمَ أَنَّ مَنْ كان اجْتَرَأَ على ذلك كان على بَصيرةٍ وعِلْمٍ بما بينهم مِنْ صَفاءِ المودَّة وصِدْق الأُخُوَّة. ومثل هذه الحكايةِ كلامٌ لمحمّدِ بنِ يحيى الهادي إلى الحقّ، عليهما السّلام، في المسائلِ يُخْبِرُ فيه أَنَّ هذه شِيَمُ الأَحْرارِ الكرامِ الأَخْيارِ إلى نحوِ ذلك مِنَ الكلام. وروي عن ...[1].

وأَخْبَرَني القاضي أحمد بن عليّ الطّاميّ[2]، حَفَظَهُ الله. قال كنتُ أَرَى شيئاً من مسائلِ الخلافِ الّذي بين الزّيديّة، فاجتمعتُ أنا والفقيهُ يحيى بنُ عبد الله وعَليان بن إبراهيم، رحمهما الله، في موضعٍ، فكَلَّماني في تلك المسائل، فلم يَقَعْ عندي مِنْ كلامِهما شيءٌ بسرعةٍ، ولَبِثا معي في ذلك، فلمّا كان مِنَ اللّيل وفَرَغْنا مِنَ الصّلاة أَوَيْنا إلى مَضاجِعنا ودامَا على الحديثِ معي في ذلك، فكان إذا اشْتَدَّتْ مُطالَبَةُ النّومِ لأَحَدِهما، قال للآخر: أَكْفِنِيْهِ. فإذا نام شيئاً قَعَدَ للحديث معي ونام الآخرُ[٢٢٥]، فلم نُصْبِح إلّا وقد بَيَّنا لي ما احْتاجُ إليه، وقَبِلْتُهُ وعرفتُ الأدلّة عليه فأَعْتَقَدْتُهُ.

وكان الفقيهُ الحسنُ بنُ عبد الله ﷺ إماماً في الحسابِ والهندسة، لا أَعْرِفُ نظيرَهُ في البلاد اليمنيّة يومَ عرفتُهُ. وكان بَكِيءَ[3] الكَلام فإذا تَكَلَّم تَكَلَّمَ بكلامٍ جَزْلٍ وخَبَرٍ مُسْكتٍ كافٍ. وكان إذا رَأَى مُتَعَلِّماً لهُ في نفسِهِ هِمَّةٌ ويَقَظَةٌ، ويصلحُ أَنْ يكون مُعَلِّماً، ويُرْجى منه حياةُ عِلْمٍ لَصِقَ بِهِ ورَغَّبَهُ ورَفِقَ بِهِ وتَأَتَّى لتعليمِهِ ما أَمْكَنَهُ، وثاقَبَهُ حتّى يُبَصِّرَهُ أَصْلاً يَنْفَعُهُ. وربّما يَرَى آخَرَ يَتَّهِمُهُ بطَلَبِ تَكَسُّبٍ بالعِلْم أو فَخْرٍ بِهِ أو بعضِ الوُجُوهِ المَذْمومة

---

(١) ثمّة بياض في المخطوط قدر سطرين ونصف السّطر.

(٢) قوله: «الطامي» كذا، بالطّاء المهملة!

(٣) **البَكيء**: قليل الكلام؛ والبَكْء: قلّة الكلام؛ التّاج: (ب ك ء).

فتظَهَر لَهُ مِنْهُ وُجُوهٌ تَقْطَعُ طَمَعَه فيه، ويَصْحَبُهُ بخُلُقٍ يَثْقُلُ عليه حتّى يَنْصَرِف عنه. وذلك فيما كان عندَهُ مِنَ العُلُوم الّتي تجري مَجْرَى الصِّناعات دونَ عِلْمِ الدِّين، بل كالحسابِ ونحوه.

وكان ﷺ وَرِعاً متحرِّزاً مُتَواضعاً لله ولأَهْلِ الفَضْلِ مِنْ أوليائِهِ.

أَخْبَرَني أحمدُ بنُ الحسين بن إسماعيل مِنْ أَهْلِ صُباعتين مِنَ البَوْن قال: كنتُ بصَنْعاء مَرّةً عند القاضي أحمدَ بنِ عبد السّلام بن أبي يحيى في سنةِ شدّةٍ ومجاعةٍ كانت، فلَقِيَني الحسنُ بنُ عبد الله الفقيهُ وقدِ اشْتَدَّتْ فاقَتُهُ، واضْطُرَّ إلى التَّعَرُّض لِما يَتَبَلَّغُ به، فأَنِسَ إليَّ فقال لي: عند القاضي هذه الأَمْوالُ مِنَ الصَّدَقات فالْتَمِسْ لي منهُ شيئاً ممّا يَحِلُّ لي منها فالحالُ تُبِيحُ ذلك. ففَعَلْتُ، فقال لي القاضي: هٰهنا وَصِيَّةٌ لابنِ قُمّليٍّ الصَّنْعانيِّ، فأَعْطِهِ منها هذين الدِّينارين. ودَفَعَ إلي دينارين، فسِرْتُ بهما إلى الفقيه فقَبَضَهما وشَكَرَ. فلمّا وَلَّى وسار عَنِّي رَجَعَ إليَّ وقال: وَيْحَك، إنْ كانت هذه وَصيّةَ ابنِ قُمّليٍّ، فقد بَلَغَني أنّه أَوْصَى بها للفاضلين مِنْ أَهْل وَقَش ولستُ منهم، فأَخْشَى أَلّا يَحِلَّ لي شيءٌ منها. ثمّ دَفَعَ إليَّ الدِّينارين، وأَمَرَني برَدِّهما، ففعلتُ. فكان أحمدُ بنُ الحسين هذا لا يزالُ يُحَدِّثُنا بهذا الحديث ويُعْجِبنا منه ونَرْتاع له، ونُعَظِّمُ الأَمْرَ لشدّة ما كان عليه الفقيهُ ﷺ مِنَ الفَضْل والدِّيانة، وبِهِ أيضاً وبالنّاسِ يومئذٍ مِنَ الفاقَةِ والبَلاء.

وكان الفقيهُ الحَسَنُ ﷺ يأتي الحَسَبَة والفَلَكيّن ومَنْ يَدَّعي الهندسةَ أو شيئاً مِنْ هذه الصِّناعات ممّن يَعْتَقِدُ إلْحاداً أو يَشُكُّ فيهِ منْه مِنْ حيثُ صنائعُهم، فاجتمعتُ أنا وهو مَرّةً بوَقَش في جماعةٍ مِنَ الزّيديّة، فيهم: إسماعيلُ بن[٢٢٦] حاجبِ بنِ حمزةَ الشِّهابيُّ، وعبدُ الحميد بنُ الحسين بنِ عَبد الحميد الخُلطيُّ، وغيرُهما مِنْ أَهْل وَقَش، وكانوا يَتَكَلّمون في حَدِّ الجِسْم ورَسْمِهِ ويَقُولُون: هو كُلُّ شيءٍ طويلٍ عريضٍ عميقٍ، إلى نحوٍ مِنْ حَدِّهِ ورَسْمِهِ. فقال إسماعيلُ بنُ حاجبٍ: وَيْحَكم، أنا إلى الآن لم أَعْرِفْ ما الطُّولُ والعَرْضُ

والعُمْق بعدُ! فقال عبدُ الحميد: وأنا كذلك. فانتظرتُ الفقيهَ الحسنَ -وكان أمامي- أَنْ يَتكَلّم في ذلك فأَبْطَأَ كلامُهُ جدًّا، فقلتُ: الطُّولُ في المُسْتَطيل أبعدُ أَبْعادِهِ، والعَرْضُ البُعْدُ المُخالِفُ لهُ، والعُمْقُ البُعْدُ المُخالفُ لهما. فكأنّهما قالا: وهذا لا ندري ما هو! فأَقْبَلَ الفقيهُ عليَّ، ولعلّه قد عَجِبَ منهما لأنّ هذا لا يَزْدادُ في التّعريف على هذا القَدْر إلّا أَنْ يكون في المُسْتَدير، فإِنّ تَسْمِيةِ أَبْعادِهِ طُولاً وعَرْضاً وعُمْقاً كالاصْطِلاح. فيُقال: لَبُعْدِهِ مِنْ أَمامٍ إلى خَلْفٍ طُولٌ، ومِنْ يَمِينٍ إلى شِمال عَرْضٌ، ومِنْ فَوْقٍ إلى تَحْت عُمْقٌ، ومِنْ تَحْتٍ إلى فَوْق سَمْكٌ. فجاراني رحمه الله الكلامَ في هذا ومثلِهِ. فاحتجتُ إلى أَنْ أَقولَ: إِنَّ مِنَ المهندسين مَنْ يَغْلَطُ في هذا الطّول والعُمْق والعَرْض الّذي عليه كلامُنا لقَوْلهم: الخَطُّ طُولٌ لا عَرْضَ لَهُ، ونحو ذلك مِنْ كلامهم في السّطح والجِسْم بعده. فكأنّي قرعتُ بذلك بابَ النّشاط منه، فانْفَتَحَ له الكلامُ بشيءٍ ذَهَبَ عنّي حِفْظُهُ، ومنه ما لم أَفْهَمْهُ إلّا أَنَّ ممّا فهمتُ إِنْكارَهُ لوُجُود شيءٍ يَتَأَلَّفُ منه الجِسْم وهو الآخَر، وله ولوُجُودِهِ طُولٌ لغيرِ طويلٍ، وطويلٌ لا عَرْض لَهُ، وكان يَدُلُّ على اسْتِحالةِ وُجُود النّقطة، وهي الجُزْءُ الّذي يَزْعُمُ قومٌ أَنَّهُ لا يَتَجَزّأُ أو نحو هذا، إلى أَنْ حكى مِنْ مجالسِهِ مع المُخالفين مِنْ أَهْل الهندسة ممّن يَرَى رَأْيَ الباطنيّة الّذين يَزْعُمُون أَنَّ في أَيْدِيهم دِيْناً باطِناً ليس في أَيْدِي الأُمَّةِ، ولا نَقَلَتْهُ عَنْ نَبِيِّها، صلّى الله عليه، ولا يجمع معهم عليه أَحَدٌ؛ منها أنّه قال لَهُ: هل يَتَرَكَّبُ في صِناعتك دائرةٌ على دائرة؟ قال: لا. قال: فهذه دائرةُ الإسلام وهذه دائرةُ الكُفْر، أَفتَزْعُمُ أنّهما تَرَكَّبَتا حتّى صارَتَا شكلاً واحداً! فانقطع.

وذلك أنّه أَلْزَمَهُ أَنَّ كُلَّ دِيْنٍ ليس في أَيْديْ أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ محمّدٍ، صلّى الله عليه، ولا تُجْمِعُ فيه عَنْ رَبّها ونبيِّها، وأنّه مِنْ دِينِ الإسلام عندهما، يكون خِلافُهُ وخِلافُ الإسلام[٢٢٧] كُفْراً[١]. وأَنّ تركيبَ شيءٍ له باطنٌ وظاهرٌ مِن خِلافَينِ لا يَصِحُّ، وعَدّ

(١) في المخطوط: «كفر» من دون نصب.

الاثنين واحداً لا يَصِحّ. فكنتُ إذا ذكرتُ منه مثلَ هذا ومثلَ ما سمعتُهُ منهُ ولم أَحْفَظْهُ أو لم أَفْهَمْهُ وأَنّ الموتَ قد فاتَني بتَلافي ذلك وتَدارُكِهِ، اشْتَدَّتْ حَسْرَتي، والله المستعان.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى بنِ عبد الله عَنْ عَمِّهِ الحَسَنِ أنّه كان بالمنظر مِنْ رحبَة صَنْعاء، وبه يومئذٍ آلُ عمران بنِ الفَضْل اليامِيّون، فلَقِيَهُ بعضُ الباطنيّة هناك فقال لهُ: أَخْبِرْني عَنْ آدَمَ، عليه السّلام، مِنْ أين زَوَّجَ بَنِيْهِ؟ فأَعْرَضَ عنه، ولم يُجِبْهُ كراهيةً للكلام معه وعِلْماً لَمِعْنى ذلك عندَهُ، وأنّه أَشارَ إلى باطنٍ قَبِيْح. فأَعادَ عليه السُّؤالَ مرَّةً أخرى، فلمّا رَأى أنّه لا يَعْذِرْهُ مِنْ جَوابٍ، قال: نحنُ في دَورِ محمّدٍ، صلّى الله عليه، فإذا فَرَغْنا منهُ أَجَبْناك عمّا في دَور آدَم. فلمّا سَمِعَ ذلك انْصَرف، وعَرَفَ أنّه قد سَدَّ بابَ الكلام. ومعنى ذلك أنّ النُّطَقاءَ عندهم سبعةٌ: أوّلهم آدَمُ والثّاني نُوحٌ والثّالثُ إبراهيمُ والرّابعُ موسى والخامسُ عِيْسى والسّادس محمّدٌ، صلّى الله عليه، والسّابعُ القائمُ الّذي يُسَمُّونَهُ القيامة. ولِكُلِّ ناطقٌ في دَورٍ وشَريعةٍ وتَكْليف على أُمَّتِهِ يُخالِفُ فيه مَنْ قَبْلَهُ ومَنْ بَعْدَهُ ويُوافِقُ، وكُلُّهم يُبْطِنُون رَفْضَ التّكاليف الّتي يُظْهِرُونها عندهم ويُقَرِّبُون في كَشْفِ ذلك في كلِّ دورٍ تقريباً أَقْرَبَ ممّا في الدَّور الّذي قَبْلَهُ.

يقولُ: فقد صِرْنا في آخَرِ دَورِ السَّتْرِ عندك فما سُؤَالك عمّا في أوّل دَوْرٍ منه، وقد قَرُبَ كَشْفُ المَسْتُور كُلِّهِ، فإذا كان لنا أَنْ نكشفَ المَسْتُور، وجاء وقتُ ذلك كان في ذلك بَيانُ ما عندكم فيما في دَوْر آدَمَ، عليه السّلام، ونحوه.

أو نَقولُ: نحنُ مَأْخُوذون عندك بما في دَور محمّدٍ، صلّى الله عليه؛ وفيه ما يُجْزِيْنا في الوُصُول إلى البَلاغ الّذي تُكْشَفُ عندَهُ الأَسْرارُ عمّا في دَور آدَمَ. ونحو هذا مِنْ معانيهم الّتي يَعْرِفُونها ويَعْرِفُها مَنِ اطَّلَعَ على ما عندهم مِنْ كُتُبِهم ومن أَلْفاظِهم.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى أيضاً قال: كان أبي رحمه الله مُلازماً للصَّبَرِيِّ رحمه الله لا يَكادُ يُفارِقُه اسْتِفادةً منه وتَيَمُّناً بصُحْبَتِهِ. ثمّ إنّه كان معه مَرَّةً سائراً في قاع جَوْبٍ مِنْ أَرْض

البَوْن، وكان معهما يحيى بنُ إبراهيم القاضي هناك، وهو مِنْ أَقارِبِ القاضي تُبَّع بنِ المسلم رحمه الله -أو هو ابنُ أخيه- فلمّا امْتَدَّ بهم السَّيْرُ[٢٢٨] أَقْسَمَ يحيى بنُ إبراهيم بقَسَمٍ: **ما في اليَمَن مِنْ مِكَّةَ إلى عَدَن أَحَدٌ هو أَعْلَمُ منه.**

قال: وكانت في أبي رحمه الله حِدَّةٌ فأَقْبَلَ عليه فقال: لكنّي أَقُولُ: **أنا ما في اليَمَن مِنْ مَكَّة إلى عَدَن أَحَدٌ أَجْهَلُ منك.** قال: ولِمَ؟ قال لدَعْواك هذه. ونحو ذلك. ثمّ اتّصل بينهما الكلامُ حتّى كان منهُ ما اقْتَضى مِنْ أبي أَنْ قال: فأَخْبِرْني، كم مالٍ، ثُلْثُهُ وربُعُهُ دِرْهمٌ؟ قال: فَفَكَّرَ في ذلك فأَطالَ، ثمّ لم يُجِبْ بشيءٍ. فقال: فعَلَى ضَعْفِ هذه المسألة لم تَدْرِ ما تَقُولُ فيها، كيف تكون كما زَعَمْتَ! وقد بَلَغَني أَنَّ يحيى بنَ إبراهيم هذا كانت بِهِ لَوْثَةٌ، وكان يُحَمَّقُ، فلذلك قال ما قال.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى قال: أَتَى أبي ثُلا وأنا مَعَهُ فبِتْنا بها، فلَقِينا رَجُلٌ مِنْ فُقَراء المسلمين قد سَأَلَهم مِنَ الزَّكاة فمَنَعُوهُ، وأَمْسَى عندهم فلم يُطْعِمُوهُ، فشَكا ذلك إلى أبي فأَوجَعَهُ له، ثمّ قالَ ذلك الرّجلُ: إنّهم زَعَمُوا أَنّ أَهْل وَقَش قالوا: لا يَجُوزُ لهم أَنْ يُخْرِجوا الزّكاة مِنْ بلدهم. قال فأَمَرَ لَهُ بعضُهم بغَداءٍ فأَخَذَهُ فتَغَدَّى معَهُ. ثمّ أَمْهَلَ فلمّا اجتمعوا إلى المسجد في آخر النّهار أَقْبَل عليهم وقال: إنّ هذا الرّجلَ أَخْبَرَني عنكم بمَنْعٍ وجَفاءٍ، سَأَلَكم فلم تُعْطُوهُ، وزَعَمْتُمْ أَنَّ أَهْلَ وَقَش أَفْتَوكم بأَلّا تُعْطُوا زكاتكم غيرَ أَهْل بلدكم، وأمسى عندكم فلم تُطْعِمُوهُ؛ فأَخْبِرُوني هَلْ أَمَرَكم أَهْلُ وَقَش أَلّا تُطْعِمُوا الضّيف أو رأيتم أَحَداً يَأْتِيهم فيَجُوعُ عندهم أو يُمْسِي بلا عَشاء؟ قال: فلمّا أَصْبَحَ أَتَوهُ يَدْعُونَهُ للغَداء، فأَقْسَمَ بالله أَلّا يَأْكُلَ عندهم شيئاً. قالوا: فلِمَ؟ قال: أَخافُ أَنْ أَكُون مِنَ الّذين جاء عَنْ رسولِ الله، صلّى الله عليه، فيهم: «**لَعَنَ الله مَنْ أَكْرَمَهُ النّاسُ خَوفَ يَدِهِ أو لِسانِهِ**»[١]. فلم يَطْعَم بعد ذلك لهم طعاماً حتّى انْصَرَف.

---

(١) لم أقف عليه في كتب الأحاديث.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الخير بن جعفرٍ الضّريوةُ مِنْ أَهْلِ ثُلا، وهو يومئذ مِنْ أَفاضِلِ شَبابِ الزّيديّة الصّالحين، قال: كان الفقيهُ الحسينُ بنُ عبد الله ﷺ قد كَبُرَ وضَعُفَ بَصَرُهُ فكان لا يَسْتَحِلُّ التّأَخُّرَ عَنِ الحديث والتّعليم والتَّعَلُّم في الخَلْوةِ بمسجد وَقَش، وهي موضعُ التّعليم هناك في كلِّ وقتٍ يَفْرُغُ فيه مِنْ أَداءِ فريضةٍ أو قَضاءِ[٢٢٩]حاجةٍ ممّا يُقيم جَسَدَهُ. فخَرَجَ في بعض الأَوْقات، وقد عَدِمَ مَنْ يَقُودُهُ إلى الخَلْوَةِ، فوَقَعَ في الغَدِير الّذي بين المسجدين هناك، فأُخْبِرَ بذلك وَلَدُهُ فأقبلَ حتّى اسْتَخْرَجَهُ مِنَ الغَدِير، وجَعَلَ يَلُومُهُ في خُرُوجِهِ مع ذَهاب بَصَرِهِ؟ فقال: يا بُنَيَّ، إنّي أخافُ اللهَ في التّأَخُّر عَنْ هذا المَجْلس وأنا أستطيعُ قَصْدَهُ والمصيرَ إليه، ومع ذلك فإنّي آتِيْهِ وقد فَقَدْتُ جميع ما كنتُ أَعْلَمُهُ فلا أَلْبَثُ أَنْ أَذْكُرَ ذلك وأَزْداد فيه، ويَنْفَتِحُ لي مِنْ أَبْوابِ العُلُوم والكلام فيها ما لم يكن عندي، فكيف أَتْرُكُ هذا؟

وأَخْبَرَني الشّيخُ الحسنُ بنُ سعيد بن إسماعيل المَسْوريُّ، شيخُ الزّيديّة في العَصْر، قال: قال الفقيهُ الحسينُ بنُ عبد الله، رحمةُ الله عليه: دخلتُ صَنْعاء فمَرَرْتُ ببعض كَنائس اليَهُود، وبها مُعَلِّمٌ منهم لصِبْيانٍ منهم، فوقفتُ أَنْظُرُ إليه، فخَطَرَ ببالي أَنْ أُكَلِّمَهُ، فقُلْتُ ما تَقُول في محمّدٍ، صلّى الله عليه؟ قال: ليس عندنا بنَبِيٍّ. قلتُ: فكيف تَقُولون إنّ موسى، صلّى الله عليه، نَبِيٌّ؟ قال: لأنّكم أجمعتم معنا على نُبُوّتِهِ، ولم نجمع معكم على نُبُوّة محمّدٍ. قلتُ: فلو لم نُجمع معكم لم يكن موسى نبيًّا؟ قال: بلى. قلتُ: فبِمَ تَثْبُتُ نُبُوّتُهُ. قال: بالمعجزات. قلتُ: فقد جاء محمّدٌ بالمُعْجِزات. قال: لم تَصِحّ لنا معجزاتُ محمّدٍ. قلتُ: فمِنْ أين صَحَّتْ معجزات موسى؟ قال: لأنّكم أجمعتم معنا على مُعْجِزات موسى فكانت ثابتةً، ولم نُجْمِع معكم على معجزات محمّدٍ. قلتُ: فقَبْلَ أَنْ نُجْمِعَ معكم، أليس مُعْجزات موسى صحيحةً ثابتةً؟ قال: بلى. قلتُ: فمُعْجزاتُ محمّدٍ، صلّى الله عليه، ثابتةٌ، وإنْ لم تجمعوا معنا. قال: فإنّهُ رسولٌ إليكم، وليس برسولٍ إلينا. قلتُ: فإذا كان قد صَحّ

هذا لك، هل لله أَنْ يُرْسِلَ رسولاً إلى غيرِكم ثمّ يَأْتِيْكُم حتّى يَدْعُوَكم إلى الإِقْرار بنُبُوّتِهِ ثمّ يَقْتُلكم ويَسْبي ذَرارِيَكم، وليس برَسُولٍ إليكم؟ قال: يا هذا قد صَحّ أنّهُ نبيٌّ إلّا أنّ النُّبُوّة والأَمْرَ كان في وَلَدِ إسحاق، فلمّا بُعِثَ محمّدٌ كَرِهُ بنو إسرائيل أَنْ ينتقلَ الأَمْرُ منهم إلى وَلَدِ[٢٣٠](١) إسماعيلَ، واسْتَكْبَرُوا مِنْ ذلك وأَنِفُوا فجَحَدُوهُ، فكان ما كان، ثمّ جاء مَنْ بَعْدَهم فمَضَوا على رَأْيِهم مع شَكٍّ وشُبْهَةٍ، ثمّ جاء القَرْنُ الثّالثُ فاعتقدوا ذلك ومَضَوا عليه.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى بنِ عبد الله عَنْ عَمِّهِ الحَسَنِ بنِ عبد الله، رحمهم الله، أنّه قال في الدّليل على حَدَث العالَمِ: إنّ وِجْدانَنا له مُؤَلَّفاً شيئين مُمْكِناً مُخَيَّراً ومَجْبُوراً، مُسَخَّرًا مِنْ أَضْدادٍ مُتَنافرةٍ مَوصُوفة بصِفاتِ الحَدَث مَوقُوفةٍ بين حُدُود التّناهي= دليلٌ على أَنَّ هذا العالَمَ مُحْدَثٌ، وأَنَّ لَهُ مُحْدِثاً بخِلافِهِ عُمُوماً في جميع أَوْصافِهِ.

وأَخْبَرَني سليمانُ بنُ يحيى أيضاً عَنْ عمِّهِ الحسنِ، رحمهما الله: أَنَّهُ قال: شرائطُ التّوبة ثلاثةٌ محروسةٌ برابعٍ، **أوّلها** أَنْ يَقولَ التّائبُ: اللّهمّ إنّي أَتُوبُ إليك على أنّي لا أَعْلَمُ شيئاً يُرْضِيك إلّا أَتَيْتُ به مُبادراً، ولا أَعْلَم شيئاً يُسْخِطُكَ إلّا تجنّبته مُبادراً، ولا أَجْهلُ شيئاً مِنْ أَمْرِكَ ونَهْيِكَ إلّا تَعَلَّمْتُهُ مُبادراً؛ وأَحْرُسُ تَوبتي هذه بالعَزْم على إِغْلاق أَبْوابِ المَعاصي ظاهِرِها وباطِنِها حتّى لا آتي لك معصيةً عَمْداً.

(١) كُرّر في المخطوط «إلى ولد» مرّة في نهاية الورقة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

أبو القاسمِ بنُ شُجاعٍ

هو أبو القاسمِ بنُ شُجاعٍ الحِمْيريُّ.

نَسَبُهُ في بني حُيَمي مِنْ حِمْير، وأَصْلُهُ مِنْ أَهْلِ ثُلا، وانْتَقل إلى وَقَش فأَقامَ بها إلى أَنْ ماتَ بها رَحِمَهُ اللهُ.

وكان معروفاً بالزُّهْد والعِبادة والوَرَع وخِصالِ الخيرِ، له حَظٌّ قَويٌّ مِنَ العِلْمِ والنَّظْرِ، وفَضائلُ مَرْوِيَّةٌ وشَواهدُ مُسْتَعْدَلَةٌ له في ذلك؛ وكان إمامَ مسجد وَقَش والمَرْضيَّ للصّلاةِ بالجماعة هناك.

أَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغَريبُ البَصْريُّ، وهو أَحَدُ شُيُوخ الزّيدية في العَصْر وعُمّار هِجَرِهم وذَوي الدِّيانة والأَمانة منهم، قال: اضْطَرَّ المَساءُ أبا القاسمِ بنِ شُجاعٍ رَحِمَهُ اللهُ إلى المَبيتِ بقَريةٍ مِنَ قُرَى الخَشَب لا ماءَ بها، فأَصابَتْهُ جَنابَةٌ فاشْتَدَّ حُزْنُهُ لذلك واهتمامُهُ[٢٣١] لعُدْمِ الماء ومَشَقَّةِ الطَّهارة هناك، وتَعَذَّرَ القَصْدُ للمِياهِ في اللّيلِ للخوفِ وغيرِهِ، فطار عنه النّومُ ولم يَسْتَقِرَّ به قَرارٌ، وأَجالَ فِكْرَهُ في الاغْتِسالِ وما يَحْتالُ به فيه، فخَرَجَ يَجولُ في طَلَبِ الماء شِرًى، ولم يكن معهُ شيءٌ إلّا ثيابُهُ الّتي عليه، فبَذَلَ قِناعَهُ – وكان يُساوي الدِّيْنار أو يزيد عليه، إن شاء الله– فيما يَغْتَسِلُ به مِنَ الماءِ ويَتَوَضَّأُ لصَلاتِهِ، فوَجَدَ رَجُلاً عنده قُلَّةُ ماءٍ تَكْفِيْهِ لذلك؛ فأَخَذَ الرَّجُلُ القِناعَ ووَعَدَهُ بالماء لِما طَلَبَ، فلمّا رَأَى طِيْبَ نَفْسِهِ عَنِ القِناعِ وسُرُورَهُ بوُجُود الماء لأَداءِ فَرْضِهِ مِنْ غُسْلٍ ووُضُوءٍ عَرَفَ صِدْقَ قَصْدِهِ لله سبحانه وعَمَلِهِ للآخرة، فأَحْسِبُهُ قال فأَدْخَلَهُ منزلَهُ، وأَنَّهُ كان له فيه مُتَوَضّأٌ ومُصَلًّى، فقَدَّمَ إليه الماءَ فاغْتَسَلَ وتَوَضَّأَ، وأَذِنَ له في الصّلاة في المُصَلَّى فصَلَّى

صلاتَهُ، ودفي ساعةً ونَهَضَ للانْصِرافِ فأَمْسَكَهُ، فلمّا فَرَغا مِنْ شُغْلِهِما بذلك قَدَّمَ إليه طَعاماً فأَكَلَ، وأَمَرَ له بدُهْنٍ فمَسَحَ وَجْهَهُ وأَطْرافَهُ واكْتَحَلَ ودَفَعَ إليه قِناعَهُ، وقال: انْصَرِفْ راشداً، فإِنَّ مَنْ عَمِلَ لله أُعِينَ لله. في نَحْوٍ مِنْ هذا الكلام، فانْصَرَفْ أبو القاسم رحمه الله وقد أَدَّى فَرائِضَهُ ورَدَّ الله عليه قِناعَهُ وجَمَّلَهُ وزَوَّدَهُ.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ أَحَدُ شُيوخِ الزّيديّة في العَصْر بوَقَش، وأحمدُ بنُ أبي العريض أَحَدُ الزّيديّة عندنا بشَظَب، قالا: قال أبو القاسمِ بنُ شُجاعٍ رحمه الله يُسأَلُ المُخْتَرِعَة -الّذين يَقُولون إنّ الأُصُولَ الثّمانيةَ عَشَرَ الّتي تَعبّد الله بها خَلْقهُ مِنْ فِعْلِ الله- عَنِ الصّلاة منها أَجِسْمٌ هي أَمْ عَرَضٌ؟ فإِنْ قالوا: جِسْمٌ، اسْتُغْني بجَهْلِهِمْ عَنْ مُناظَرَتِهِمْ، وإِنْ قالوا: عَرَضٌ. قِيْلَ: أَصِفَةٌ أم لا؟ فإِنْ قيل: صِفَةٌ. قِيْلَ: أَضَروريّةٌ مِنْ فِعْلِ الله تعالى أم اخْتِياريّة من فِعْلِ العَبيد؟ فإن قِيْل: ضَروريّة. قِيْل: أَفَصِفَةٌ هي لكُلِّ النّاس أم لبعضِهم؟ فإِنْ قِيلَ: لكُلِّهِم. كانوا كُلُّهم مُصَلِّين. وإِنْ قِيلَ: لبَعْضِهم[٢٣٢]، كان مَنْ لم تجعلْهُ مَوصُوفاً بها مُضْطَرًّا مَجْبولًا عليها مَعْذوراً[١] لأنّه أَتَى مِنْ قِبَلِ صانِعِهِ في عُدْمِهِ لهذه الصّفة لا مِنْ قِبَلِ اخْتِيارِهِ. وإِنْ قِيْل: إِنّها اخْتِياريّة مِنْ فِعْلِ العِباد، فكذلك نَقُول. وعلى هذا يجري حُكْم سائر الثّمانيةَ عَشَر.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمد، حَفِظَهُ الله، قال: كان أبو القاسم بنُ شُجاعٍ يصبح[٢] فتَأْتِيْهِ امرأتُهُ بغَدائِهِ، فيقول: اتْرُكِيْهِ حتّى نَطْلُبَ له صِبْغاً[٣]، ثمّ يخرجُ إلى عَمَلٍ له كان يَشْتَغِلُ به مِنْ مَصالحِ دُنْياهُ وآخرتِهِ، فإذا اشتدّ جُوعُهُ دَخَلَ منزلَهُ ودَعا بالغَداء، فتَقُولُ له امرأتُهُ:

---

(١) في المخطوط: «مجبوه لا عليها معدود» وكُتب بخطٍّ مختلف فوق الكلمة الأولى لفظة: «صح» ولم يتّجه لي المعنى.

(٢) قوله: «يَصبح» يحتمل أن يُقرأ: «يصيح».

(٣) **الصِّبْغ**: الدُّهْن أو نحوه ممّا يُؤْتَى به مع الطّعام ليُعِين على ابْتِلاعِهِ ولاسيّما إذا كان جافًّا؛ قال تعالى في الزّيتون: ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٠]، وأَهْلُ اليَمَن اليوم يستعملونها كثيراً مضمومةَ الأوّل: الصُّبْغ. والصَّبْغ في اللُّغة: الغَمْس؛ التّهذيب: ٨/ ٣٠.

فأين الصِّبْغُ الّذي قُلْتَ إنّك تَطْلُبُهُ؟ فيقولُ: قد حَصَلَ؛ يعني الجُوعَ. فيأْكُلُ ما تَأْتِيْهِ به، وهو يَشْتَهِيْهِ فيَسْتَغْني عَنِ الصِّبْغ.

وهذا المعنى شَبِيهٌ بما رُوي عن عيسى ابنِ مريم، صلّى الله عليه، مِنْ قولِهِ: «**إدامي الجوعُ، وسِراجي في اللّيل القَمَرُ، وصَلاتي في الشّتاءِ مَشارق الشّمس ومَغاربها**».

وأَخْبَرَني أحمدُ بنُ أبي العريض عندنا بشَظَب قال: كان الشّيخُ أبو القاسمِ بنُ شُجاعٍ رحمه الله يُعلِّمنا أَشْياءَ نَنْتَفِعُ بها في أُصُول الدّين، وكنّا نجتمعُ إليه ليلاً فكنّا نَنامُ في خِلالِ ذلك، ويُحِسُّ بذلك مِنّا فيَقُولُ: ناموا، لا بأسَ عليكم. ويَقْعُدُ لا يَنامُ، فإذا أَحَسَّ بالمُنْتَبِهِ منّا قدِ انْتَبَهَ أَقْبَلَ عليه يُعَلِّمُهُ تمامَ مسألتِهِ إلى أَنْ يَنْتَبِهَ الآخرونَ؛ فكانَ ذلك دَأْبَهُ فيما صَحِبْناهُ فيه.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغَريبُ البَصْريُّ قال: اجتمعَ، عند الشّيخِ الحسينِ بن جندبٍ رحمه الله بسناد مِنْ ناحية مَسْوَر المُنْتاب، جماعةٌ مِنَ الزّيديّة فيهم أبو القاسم بنُ شُجاعٍ رحمه الله وغيره، وفيهم رَجُلٌ كان يُعَلِّم الصِّبْيان النَّحْو، فتَكَلَّمُوا في توحيدِ الله؛ وكُلٌّ يُجِيبُ ممّا عنده ويَنْظُرُ ويُناظِرُ إلّا ذلك الرَّجل، فلمّا طال سُكُوتُهُ، وكان يُظَنُّ بِهِ العِلْمُ والفَهْم، قال لهُ أبو القاسم: رُوِي عَنِ النَّبيِّ، صلّى الله عليه، أنّه قال: «**كُلُّ إناءٍ يَرْشَحُ بما فيه**»[1]. وأَرَى إناءَكَ لم يَرْشَحْ بشيءٍ! قال: هو يَرْشَحُ إلى داخلِهِ. فأعتقدُ أنّ سُكُوتَهُ كان جَهْلاً وعِيًّا.

---

(١) لم أقف عليه في كتب الحديث، بل لم يُذكر فيها حديثًا، وإنّما ذُكر في غيرها مثلا؛ انظر مجمع الأمثال: ٢/ ١٦٢.

إسْماعِيلُ الغَرِيبُ النَّيْسابوريُّ[٢٣٣]

هو إسماعيلُ بنُ أبي بكرٍ النَّيْسابُوريُّ.

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خُراسانَ قَدِمَ اليَمَنَ فوَفَّقَهُ الله للقاءِ الزّيديّة حتّى هَدوهُ وأَرْشَدُوهُ إلى اعْتِقادِ التّوحيد والعَدْل ومَعْرفةِ أُصُولِ الدِّين والفِقْهِ في الشَّرْع.

وكان مَثَلاً مَضْروباً في الحِرْصِ على طَلَبِ العِلْم والتَّعَلُّم إلى أَنْ صار عَلَماً مِنْ أَعْلام المسلمين وقُدْوَةً فيهم للمُسْتَرْشدين، وكان أَحَدَ المُتكلِّمين منهُم وذَوي الجِدالِ والاحْتِجاج والمُناظَرة للمُخالفين، وله أَجْوبَةٌ ومَجالسُ ومُناظراتٌ مُدَوَّنة.

وأَخْبَرَني شُيُوخي نحو: عَليان بن إبراهيم، وأَسْعَدَ بنِ عبد الفاضل، ومحمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ= مِنْ فَضائِلِهِ ونَوادِرِ أَكالِيْمِهِ وعَجائِبِهِ بكثيرٍ إلّا أَنَّني أُنْسِيْتُ منه غيرَ قليلٍ. فممّا أَخْبَرُوني مِنْ فَضائِلِهِ في التَّعَلُّمِ أَنَّهُ كان يَغْتَنِمُ اجتماعَ المَشائخِ ورِجالِ العِلْمِ منهم فإذا تَفَرَّقُوا لطُهُورٍ أو صَلاةٍ أو قَضاءِ حاجةٍ في منازلهم= دارَ إلى الصِّبْيان والأَحْداث ويَلْقاهم في الطُّرُقات فيَقُولُ لهذا: عَلِّمْني مسألةً. أو يَقُولُ: ما كانت مسألتُكَ الّتي تَعَلَّمْتَ؟ فيُخْبِرُهُ ويَسْتَفِيدُها، ويَلْتَمِسُ آخَرَ فيَقُولُ لَهُ كذلك، لا يرى أَنْ تَمُرَّ به ساعَةٌ مِنْ عُمُرِهِ في غيرِ ما هو أولى بِهِ مِنْ طَلَبٍ يُغْنِيْهِ في صَلاحِ دِيْنِهِ حتّى بَلَغَ المَبالِغَ في الفَضْل.

وكانت صِناعَتُهُ خِياطةَ الثِّيابِ، فأَخْبَرَني عَليان بن إبراهيمَ رحمه الله قال: حدّثني محمّدُ بنُ حمزة، وكان مِنَ الشُّيُوخ الصّالحين بوَقَش قال: أَتَيْتُ إسماعيلَ الغريبَ بشيءٍ لِيَخِيْطَهُ لي، فقالَ لي: أَنْتَ تَجِدُ مَنْ يَخِيطُ لك ولا أَجِدُ مَنْ يُدَرِّسُ لي.

وأَخْبَرَني عَليان بن إبراهيمَ رحمه الله قال: سَأَلْنا إسماعيلَ الغريبَ، ونحن بوَقَش، أَنْ

يُصَلِّي بنا جماعةً، فأَبَى علينا. فقُلْنا: ما يمنعُك؟ فقال: إِنّهُ لا يجوز أَنْ يُصَلِّي بقومٍ مَنْ يكرهون، وفيكم مَنْ يَكْرَهُ صَلاتِي بِهِ؛ يقول: هذا رَجُلٌ ضَيِّقُ الصَّدْرِ. وإِنْ قُلْتُم ذلك صَدَقْتُم فإنّه ما مِنْ يومٍ يَمُرُّ بي إلّا أَقُولُ فيه لنَفْسي: قد هَدَمْتِ ما بَنَيْتِ فابْني مِنَ الآن. فكان هذا منهُ رَحِمَهُ اللهُ لَوْماً لنَفْسِهِ وتَواضُعاً واحْتِقاراً لعَمَلِهِ ومنزلتِهِ لا أَنّهُ كان يَعْمَلُ ما يُحْبِطُ العَمَلَ. ولمعرفتِهم بأَنَّ هذا منه عَيْبٌ لنَفْسِهِ وذَمٌّ واسْتِزادة[٢٣٤] في الخير. رَوَو[ا] هذا الخبرَ مِنْ أَخْبارِهِ ليَزْجُروا أَنْفُسَهم بذلك ويُوَبِّخُوها. وكيف لا يكون عندهم بالمنزلةِ الرّفيعة، وهو الّذي يَقولُ فيه أبو السُّعُودُ بنُ زيدٍ: (من مشطور الرّجز)

وابْنُ أَبي بَكْرٍ فَتَى نَيْسابُورْ
هُمْ بَصَّرُوهُ مِنْ عَمَى الرَّأْيِ البُورْ
رَأْيَ الفَرِيْقِ القَدَرِيِّ المَثْبُورْ
فَهُوْ رَفِيْعُ القَدْرِ فِيْهِمْ مَحْبُورْ

*

يَفْدُوْنَهُ بالمالِ والنُّفُوسِ
مِنْ كُلِّ هَوْلٍ هائِلٍ وبُوسِ
لَمّا رَأَوا مِنْ حَزْمِهِ المَرْغُوسِ(١)
في الدَّرْسِ دَرْسِ العِلْمِ والتَّدْرِيسِ

*

أَنْعَمَ فِيْما اخْتَلَفَ النّاسُ النَّظَرْ

(١) كُتب فوقه بالمخطوط: «ط: المعروس». والمَرْغوس: المبارك، يُقال وَجْهٌ مَرْغُوس طَلْقٌ مُبارَكٌ مَيْمونٌ، ورَجُلٌ مَرْغُوس مُبارَكٌ كَثِيرُ الخير مرزوق؛ التّاج: (ر غ س).

فَهْوَ نَبِيْهُ الذِّكْرِ كالبَدْرِ الأَغَرْ
يُفِيْدُ مِنْ عِلْمِ الكِتابِ والأَثَرْ
ما تَسْتَفِيدُ الأَرْضُ مِنْ سَحِّ المَطَرْ

وأَخْبَرَني نُجَيمُ بنُ عبد الله بن أبي العريض، أَحَدُ رِجالِ الزّيديّة في بلادنا، بَلْ مِنْ أَفاضِلِهم، وقد تَقَدَّمَ له ذِكْرٌ في هذا الكتاب عن ...[1]، قال عبد المؤمن الهَنُوميُّ -وكان قَدِمَ وَقَش لطَلَبِ العِلْمِ وقَصَدَها مِنْ أَرْض الأَهْنُوم مِنْ هَمْدان، وكان خَيِّراً له قَدْرٌ- لإسماعيلَ الغَريبِ رحمه الله: صِفْ لي العَرَضَ؟ فقال: منك نَتَعَلَّمُ هذا، يا عبدَ المؤمنِ. ففَطِنَ لها وسَكَت. وهذا مِنَ الأَجْوبة الوحيدة المُسْكِتة. إِذْ لو كانَ العَرَضُ يُعْرَفُ بالوَصْفِ لكانتْ لِصِفَتِهِ صفةٌ إلى ما لا يُتَناهى، وهذا مُحالٌ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغَرِيبُ البَصْريُّ قال: قال السّلطانُ بمَسْوَر الحسينُ بنُ المنصور بنِ الحسين بنِ المُنْتاب لإِسْماعيلَ الغريبِ -وقد فَكَّرَ في قِلَّةِ الدُّنْيا في أَيْديْ أَهْلِ العِبادة وأَصْحابِ الزُّهْد مِنَ الزّيديّة-: نحن أَنْعَمُ منكم عَيْشاً وأَحْسَنُ حالاً؟ قال: لا؛ وذلك أنّكم تأكلون فتَشْبَعون شَبْعَةً بعد شَبْعَةٍ فلا تَلْتَذُّون بالطّعام كما نَلْتَذُّ به، وتَلْبَسُون ثِياباً على ثيابٍ فلا تَجِدون اللَّذّةَ الّتي نَجِدُ باسْتِجْداد الكُسْوة، كما نَجِدُ إلى غير ذلك مِنْ سائر المَنافع، ونحن لا ننتفع بشيءٍ مِنْ ذلك إلّا بعد الشّوق والحاجة إليه فنجد لَذَّتَهُ كما ينبغي.

وأَخْبَرَني الشّيخُ عبدُ الحميدِ بنُ الحسين بوَقَش قال: كان إسماعيلُ الغريبُ رحمه الله قد سَكَنَ بالخارفي مِنْ ناحية حَضُور بنفسِهِ ووَلَدِهِ، ففَكَّرَ ذاتَ يومٍ في ما يَصِيرُ إليه وَلَدُهُ بعد موتِهِ مِنَ الجَهْلِ[٢٣٥] فقال: يَصيرُ هؤلاء بعدي مِثْلَ جِيْرانهم؛ وإذا مِتُّ بين المسلمين أَدَّبُوهم بعدي، فانْتَقَلَ إلى وَقَش فمات بها، وخَرَجَ وَلَدُهُ مِنْ أَهْلِ العِلْم.

---

(١) سقطٌ في المخطوط قدر ثلاث كلمات.

أبو السُّعود بنُ محمّدٍ

هو أبو السُّعُود بنُ محمّد بنِ وَضّاحٍ العَنْسِيُّ، هكذا سمعتُ مِنْ ينسبه يَقُولُ، ولا أَرَى في ذلك خِلافاً. وبنَسَبِهِ هذا أَخْبَرَني الشَّيخُ زيدُ بنُ أحمد أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة بوَقَش في العَصْر.

وكان أبو السُّعُود ﷺ عَلَماً مِنَ الأَعْلام، ظاهرَ الوَقار والعِفَّة والزُّهْد والعِبادة والعِلْم، مُتَكَلِّماً شاعراً فَصِيحاً. وله شِعْرٌ يَرُدُّ فيه على المُخْتَرِعَةِ، وأَشْعارٌ أخرى في سِوَى ذلك، نُثْبِتُ مِنْ ذلك إن شاء الله ما يَلِيْق.

وابنُهُ محمّدُ بنُ أبي السُّعُود أَحَدُ الشّبانِ الصّالحين الأَعِفّاء الأَبْرار الطّاهرين الأَخْيار، وهو ممّن شاهدتُهُ وخالَطْتُهُ وبَلَوتُهُ، فكان واحداً في أَقْرانِهِ ولِداتِهِ عِلْماً وعَقْلاً وأَدَباً وبَراعَةً ووَرَعاً ووَقاراً، عليه سِيْماءُ الخاشعين، وكان وَرّاقاً كاتِباً فَصِيحاً. ومات ﷺ على ديانَتِهِ شابًّا حين استوى شبابُهُ.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمد قال: كان أبو السُّعُود بنُ محمّدٍ ﷺ يدعو إلى الله تعالى ونحنُ نسمعُ: أَلّا يُميتَهُ إلّا وهو يَعْقِلُ. فلم يَمُتْ إلّا وهو صحيحُ العَقْل، وكان مُتَطَهِّراً حَرِيزاً مِنَ النَّجاسات والأَقْذار، فمَرِضَ سنتين ومات في آخِرِهما، ولم يُصِبْهُ شيءٌ ممّا يُصِيب المَرْضَى.

قال زيدٌ: لقد أَخْبَرَني ابنُهُ محمّدٌ، رحمهما الله، أنّه قام قبل موتِهِ يَسِيرُ فقَضَى حاجتَهُ إمّا مِنْ بَولٍ أو غائطٍ، ثمّ قال لي: يا محمّدُ، آتني بماءٍ. فقلتُ: يا بَهْ، إنَّ اللهَ تعالى يَعْذِرُكَ في هذه الحال عَنْ هذا. فقال: يا بُنَيَّ، آتني بما سَأَلْتُكَ. وأَبَى أَنْ يرجِع إلى مَضْجَعِهِ حتّى آتِيْهِ بماءٍ، وقال: إنّ نفسي لا تَطِيْبُ بالموت على هذا، وقد دَنا ما أَرَى أنّه يُبْطِئ. فلمّا غَسَلَ يديْهِ مَسَحَهُما ودَخَلَ، فحَوَّلَ فِراشَهُ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، وجَفَّفَ يديْهِ، واضْطَجَعَ مُسْتَقْبِلاً[٢٣٦]، فلم يَلْبَثْ أَنْ مات.

وأَخْبَرَني زيدُ بنُ أحمد، حَفِظَهُ الله، قال: لقيتُ أبا السُّعُود بنَ محمّدٍ، رحمة الله عليه، في شهر رمضان، وكان النّاسُ يجتمعون إلى المسجد فيَقْرَؤون القرآن، فقلتُ: ما لَكَ لا تَأْتِينا إلى المسجد، فتَقْرَأ معنا؟ فقال: يا بني، وَدِدْتُ بهذا إنّي لأَشْتَهي أَنْ أَجْلِسَ معكم وأقْرَأ، ولكن معي هٰهنا سَبُعٌ عَقُور، فأنا أَخافُهُ. يعني نَفْسَهُ. قال: ولي عادةٌ عند قراءة القرآن ما أَمْلِكُ معها نفسي مِنَ البُكاء، فإذا أنا في بيتي بكيتُ ما شئتُ، وإذا أنا بين النّاس لم آمَنْ أَنْ يَصِيرَ ذلك لغيرِ الله تعالى، ويُخالِطُني رِياءٌ.

وأَخْبَرَني أبو النُّورِ بنُ محمّدٍ المنكليُّ العبدُ الصّالحُ عَنْ إسماعيل بنِ حاجب بنِ حمزة بنِ محمّد بنِ سَلَمَةَ الشِّهابيِّ قال: كان أبو السُّعُود بنُ محمّدٍ ؒ إذا غَسَلَ قَدَمَيْهِ للصّلاة أَمامَ المسجد بوَقَش على الحَجَر نَتَبادَرُ أَيُّنا يَطَأُ على أَثَرِ قَدَمَيْهِ قبل صاحِبِهِ تَبَرُّكاً به لفَضْلِهِ العظيم. وأبو النّور بنُ محمّدٍ وإسماعيلُ بنُ حاجب مِنْ عِبادِ الله الصّالحين المشهورين بالعِبادة والوَرَع في الزّيديّة.

ومِنْ شِعْرِهِ قصيدَةٌ يَذْكُرُ فيها فَضْلَ الزّيديّة بسَناع، ومَحَبَّتَهُ لهم، واتِّصالَهُ بهم، ويَذْكُرُ فيها قُبْحَ اعْتِقادِ مَنْ صَحِبَهُ قَبْلُ مِنَ المُخْتَرِعَة، ويَدُلُّ على عَوارِهِ، ويُثْني على بني شِهاب في جُوارِهِم، وهي هذه القصيدةُ؛ قال أبو السُّعُود بنُ محمّدٍ، رحمةُ الله عليه: (مِنَ الكامل)

بِأَبِي وأُمِّي مَعْشَرٌ والِيْتُهُمْ ... للهِ ذي المَلَكُوتِ والسُّلْطانِ
للهِ لا لِهَوى النُّفُوسِ فَإِنَّها ... أَمّارَةٌ بِالظُّلْمِ والعُدْوانِ
للهِ لا طَلَباً لِدُنْيا إنَّها ... وجَمِيْعَ ما فِيْها قَلِيْلٌ فاني
للهِ لا لِسِواهُ إذْ والِيْتُهُمْ ... للهِ ذي الإِفْضالِ والإِحْسانِ
العالِمِ الحَيِّ القَدِيم القادِرِ ... الصَّمَدِ المُهَيْمِنِ والعَظِيم الشّانِ
الصّادِقِ الوَعْدِ الجَوادِ الواحِدِ الـ ... أَفْعالِ والذّاتِ البَعَيْد الدّاني

وَوَلاءُ أَهْلِ الحَقِّ فَرْضٌ لازِمٌ وبَراءُ أَهْلِ الكُفْرِ والعِصْيانِ
بِأَبِي رِجالٌ في سَناعَ مَحَلُّهُمْ بِأَبِي هُمُ في السِّرِّ والإِعْلانِ[٢٣٧]
نَزَلُوا بِأَحْسَنِ مَنْزِلٍ في رَوْضَةٍ ما بَيْنَ نَهْرٍ جارٍ اوْ بُسْتانِ
بِجِوارِ خَيْرِ النّاسِ مِنْ أَبْناءِ ذي يَمَنٍ كِرامِ النَّبْعِ والأَغْصانِ
الحامِلِيْنَ مِنَ الأُمُورِ عَظِيمَها والمُشْتَرِينَ الحَمْدَ بِالأَثْمانِ
الجائِدِينَ بِما تَحُوزُ أَكُفُّهُمْ والمُنْهِلِينَ عَوالِيَ المُرّانِ
أَبْنا شِهابَ الحائِطِينَ لِجارِهِمْ بِنُفُوسِهِمْ كَرَماً عَنِ الحَدَثانِ
بِأَبِي رِجالٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْهُمُ التَّشْبِيْهُ والتَّجْوِيزُ لِلرَّحْمنِ
وكَذاكَ لَيْسَ يَشُوبُ فِعْلَهُمُ الرِّيا إِنَّ الرِّيا مِنْ فِتْنَةِ الشَّيْطانِ
كَلّا ولا حَسَدٌ ولا طَمَعٌ ولا بُخْلٌ على الأَصْحابِ والضِّيْفانِ
لا تُنْطَقُ العَوراءُ في نادِيْهِمُ طُهْراً مِنَ الآفاتِ والأَدْرانِ
مِنْ كُلِّ كَهْلٍ في العِبادَةِ أَشْمَطٍ أَوْ ناشِئٍ في العِلْمِ ذي أَفْنانِ
ما هَمَّهُمْ إِلّا اصْطِفاءُ غَرِيْبَةٍ مِلْعِلْمِ بِكْرٍ غَضَّةٍ وعَوانِ
ودِراسَةٌ في كُتْبِ آلِ مُحَمَّدٍ سُفُنِ النَّجاةِ ومَعْدِنِ الإِيْمانِ
هُمْ عِدَّتِي ووَسِيْلَتِي وذَخِيرَتِي في كُلِّ مُعْضِلَةٍ وهُمْ إِخْواني
وبِهِمْ أَطُولُ على العَدُوِّ الكاشِحِ الطْ طاوِيْ سَرِيرَتَهُ على الشَّنآنِ
كَمْ طالِبٍ مُسْتَرْشِدٍ قد بَصَّرُوا وكَمَ انْقَذُوا مِنْ جاهِلٍ حَيْرانِ
لَيْسُوا كَقَومٍ مُهْمِلِينَ نُفُوسَهُمْ كالسّائِماتِ سَلِيْبَةِ الأَذْهانِ
ما يَعْرِفُونَ الخَيْرَ مِنْ شَرٍّ ولا الْ عَذْبَ الزُّلالَ مِنَ الحَمِيمِ الآنِي

كَلّا ولا البَدْرَ المُنيرَ مِنَ السُّها والشَّمْسَ مِنْ بُلَعٍ ومِنْ كَيْوانِ[(١)]
آذانُهُمْ لا يَسْمَعُونَ بِها إذًا زَعَمُوا يَجُوزُ السَّمْعُ لِلصُّمّانِ
وكَذاكَ لَيْسَ وُقُوعُها أَبَدًا على جِسْمٍ سِوَى الأَصْواتِ والأَلْحانِ
وعُيُونُهُمْ لا يُبْصِرُونَ بِها إذًا زَعَمُوا يَجُوزُ الحِسُّ للعُمْيانِ
وكَذاكَ لَيْسَ وُقُوعُها إلّا على الـ أَلْوانِ والهَيْئاتِ لا الأَعْيانِ
وأَكُفُّهُمْ لا يَلْمِسُونَ بِها إذًا زَعَمُوا يَجُوزُ اللَّمْسُ للشُّلّانِ
وكَذاكَ لَيْسَ يُحَسُّ جِسْمٌ قَطُّ إلْـ لا اللِّيْنَ أو كَخُشونَةِ السَّعْدانِ
وكَذاكَ حُكْمُ الشَّمِّ فِيها عِنْدَهُمْ والذَّوْقِ باللَّهَواتِ أو بِلِسانِ
وقُلُوبُهُمْ لا يَعْقِلُونَ بِها إذًا زَعَمُوا يَجُوزُ العَقْلُ لِلثِّيْرانِ
باللّهِ فاسْتَمِعُوا لَها أُعْجُوبَةً مَحْفُوفَةً بِالصَّدْرِ والعُنْوانِ
خَمْسٌ حَواسٌ، غَيْرُ فاسِدَةٍ ولا مُعْتَلَّةٍ، مَشْفُوعَةٌ بِجَنانِ
لا تُدْرِكُ الأَرضَ العَظِيْمَةَ والسَّما المَسْمُوكَةَ المَحْبُوكَةَ البُنْيانِ
أَبَدًا ولا ما بَثَّ بَيْنَهُما مِنَ الـ مَخْلُوقِ مِنْ نامِيْهِ والحَيَوانِ[(٢)][٢٣٨]
كَلّا ولا شَمْسًا ولا قَمَرًا ولا بَرْقًا إذا ما انْعَقَّ في الأَعْنانِ[(٣)]
سَمِعُوا بِغَيْرِ مَسامِعٍ ومَسامِعٌ زَعَمُوا هُنا لَهُمُ سِوَى الآذانِ
نَظَرُوا بِغَيْرِ عُيُونِهِمْ وعُيُونُهُمْ غَيْرُ الَّتي رُكِّبْنَ في الغِيرانِ

---

(١) **بُلَع**: يريد سعدَ بُلَع، وهو من سعود النّجوم؛ انظر التّاج: (س ع د).
(٢) **النّامي** من الشَّجَرِ والنَّباتِ: ما طالَ ونَما؛ التّاج: (ن م ي).
(٣) **انْعَقّ**: انْشَقّ.

لَمِسُوا بِغَيْرِ أَكُفِّهِمْ وأَكُفُّهُمْ ... لَيْسَتْ بِذاتِ أَشاجِعٍ وبَنانِ

عَقَلُوا بِغَيْرِ قُلُوبِهِمْ وقُلُوبُهُمْ ... غَيْرُ الّتي خَفَقَتْ عَنِ الأَهْوانِ(١)

شَبِعُوا بِما لَم يَأْكُلُوا وكذاكَ ... ما أَكَلُوا فَلَيْسَ بِمُشْبِعِ الجَيْعانِ

ورَوُوا بِما لَم يَشْرَبُوا وكَذاكَ ... ما شَرِبُوا فَلَيْسَ بِنافِعِ العَطْشانِ

دَفِئُوا بِما لَم يَلْبَسُوا ولِباسُهُمْ ... غَيْرُ العَبا والقُطْنِ والكَتّانِ

رَكِبُوا الّذي لا يُسْرِجُونَ وأَسْرَجُوا ... غَيْرَ الّذي رَكِبُوهُ في المَيْدانِ

قَتَلُوا أَعادِيَهِمْ بِغَيْرِ سِلاحِهِمْ ... وسِلاحُهُمْ لم يُغْنِ في الأَقْرانِ

رَدًّا على اللهِ العَظِيمِ مَقالَةً ... يا وَيْحَ كُلِّ مُكابِرٍ لِعِيانِ

والأَرْضُ لا تَحْيا بِماءٍ عِنْدَهُمْ ... بَحْرٍ ولا بِالوَبْلِ ذي الهَمَلانِ

واللهُ يُخْبِرُ أَنَّهُ أَحْيا بِهِ ... ما كانَ مِنْ زَرْعٍ ومِنْ حَيَوانِ

وثِمارِ كُلِّ حَدِيْقَةٍ مُلْتَفَّةٍ ... ونَباتِ كُلِّ سُهُولَةٍ ورِعانِ(٢)

والتِّيْنِ والزَّيْتُونِ يُعْصَرُ دُهْنُهُ ... والنَّخْلِ ذي الأَكْمامِ والصِّنْوانِ(٣)

والقَضْبِ والحَبِّ العَجِيبِ وأَبِّهِ ... وفَواكِهِ الأَعْنابِ والرُّمّانِ

ويَقُولُ أَخْرَجْنا وأَنْبَتْنا بِهِ ... مِنْ كُلِّ ذي نُورٍ وقَطْفٍ داني

فاسْمَعْ لِقَولِ اللهِ في قافٍ ... وفي الأَعْرافِ والأَنْعامِ والفُرْقانِ

ولَكَمْ عَسَى أَحْصَيْتُ مِمّا قالَهُ ... في وَحْيِهِ ذي النُّورِ والبُرْهانِ(٤)

---

(١) قوله: «... عن الأهوان» كذا بالمخطوط وجاء بعده: «غَيْرُ الّتي ينزون لِلْخَفَقانِ»، وكأنّها رواية أخرى للعَجُز.

(٢) **الرِّعان**: جمع الأَرْعن، وهو أَنْف الجَبَل المُتَقَدِّم؛ التّاج: (ر ع ن).

(٣) **الصِّنْوان**: النَّخْلات أَصْلُهنّ واحدٌ، يكنّ اثنتين وثلاثاً وأكثر من ذلك؛ اللّسان: (ص ن و).

(٤) كُتِب في المخطوط: «أحصيه» وكُتِب فوقه: «أحصيت».

ولِقَولِ خَيْرِ الخَلْقِ في اسْتِسْقائِهِ   حِينَ ازْلَأَمَّ الجَدْبُ في البُلْدانِ

ولِقَولِ يحيى بْنِ الحُسَيْنِ وجَدِّهِ   ذي المَكْرُماتِ مُتَرْجِمِ الأَدْيانِ

واللهُ يَخْتَرِعُ المَعاني عِنْدَهُمْ   كالطَّعْمِ والحَرَكاتِ والأَلْوانِ

أَيَكُونُ جِسْمٌ غَيْرَ مَوْصُوفٍ مَدَى الـ   أيّامِ أَمْ ضِدّانِ يَجْتَمِعانِ

والفَضْلُ عِنْدَهُمْ سَواءٌ جائِزٌ   بالخَلْقِ والأَفْعالِ في الإِنْسانِ

والمُلْكُ في كُلِّ الخَلِيْقَةِ واحِدٌ   لِذَوي التُّقَى والبَغْيِ والطُّغْيانِ

وكذا الحَلالُ وضِدُّهُ مِنْ فِعْلِهِمْ   ويَكُونُ فِعْلَ الواحِدِ المَنّانِ

فالحَقُّ في الإِجْماعِ مِنْ هذا وما   في الحَقِّ مِنْ وَهْنٍ ولا نُقْصانِ

وكذا الحُرُوفُ بِزَعْمِهِمْ مَفْعُولَةٌ   لِلْخَلْقِ مِنْ إِنْسٍ ومِنْ جِنّانِ

أَيَكُونُ شَيْءٌ ما يَقُومُ بِنَفْسِهِ   لِلْخَلْقِ مَفْعُولاً مِنَ الأَكْوانِ

وهِيَ القُرانُ ومُعْجِزٌ لِمُحَمَّدٍ   خَيْرِ البَرِيَّةِ كاسِرِ الأَوْثانِ[٢٣٩]

أَتَكُونُ مُعْجِزَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ   لَفْظَ المُغِيرَةِ أو أبي سُفْيانِ

أَمْ هَلْ يَكُونُ اللهُ شاتِمَ نَفْسِهِ   أو ناطِقاً بالزُّورِ والبُهْتانِ

هذا ومِنْهُمْ مَنْ يُجَوِّزُ خَلْقَها   قَبْلَ الأُصُولِ وقَبْلَ كُلِّ أَوانِ

أَتَقُومُ أَعْراضٌ بِغَيْرِ جَواهِرٍ   هذا لَعَمْرُكَ غايَةُ البُطْلانِ

وكذا القُرانُ فلا يَقُومُ بِنَفْسِهِ   في قَوْلِهِمْ ويُحَسُّ بِالآذانِ

ويَكُونُ مُنْتَقِلاً وهذا شَرْطُهُ   كَمَقالِ ذي مَسٍّ مِنَ الشَّيْطانِ

واللهُ فاسْمٌ حادِثٌ في قَوْلِهِمْ   وكَذلِكَ الرَّحْمنُ فاسْمٌ ثاني

وكِلاهُما خَلْقٌ ضَعِيفٌ زائِلٌ   وكَذا هُما في العَجْزِ يَسْتَوِيانِ

فَصَلاتُهُمْ وصِيامُهُمْ وقِيامُهُمْ أَبَداً لِغَيْرِ اللهِ والرَّحْمنِ
واللهُ يَشْهَدُ جَلَّ أَلّا غَيْرَهُ في مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ والفُرْقانِ
ويَقُولُ عَلَّمَنا القُرانَ بِلَفْظِهِ في سُورَةِ الحُسْبانِ والرَّيْحانِ
وكَذلِكَ الحَسَناتُ لِلعاصي فَهَلْ لِعُصاةِ خَلْقِ اللهِ مِنْ إِحْسانِ
أَمْ هَلْ يُضاعِفُ رَبُّهُمْ حَسَناتِهِمْ إِذْ كانَ شَرْطاً نِيَّةَ الإِيْقانِ[1]
لا يَفْعَلُ الحَسَناتِ إِلّا مُحْسِنٌ والسُّوءَ إِلّا ظالِمٌ مُتَواني
والسَّمُّ لَيْسَ بِقاتِلٍ والرُّمْحُ لا يَفْري التَّرائِبَ يَومَ كُلِّ طِعانِ
وكَذاكَ لا يَسْطِيْعُ ضَرْباً ضارِبٌ دُونَ اسْتِطاعاتٍ سِوَى الأَرْكانِ
فِيْها يَكُونُ الفِعْلُ وَهْيَ حَوادِثٌ للهِ جَلَّ اللهُ في الأَحْيانِ
فَمَنِ الّذي قَتَلَ الحُسَيْنَ بِكَرْبَلا وأَباهُ سَيْفَ اللهِ في كُوفانِ
وكذا التَّكَرُّمُ والسَّماحَةُ عِنْدَهُمْ فِعْلُ الإِلهِ وفِطْرَةُ الأَبْدانِ
فَنَفَوا بِذاكَ الفَضْلَ عَنْ أَرْبابِهِ ورَمُوا بِقولِهِم ذَوي الإِيْمانِ
واللهُ يَمْدَحُ كُلَّ سَمْحٍ صابِرٍ ويَذُمُّ كُلَّ مُبَخَّلٍ وجَبانِ
وكَذاكَ قالُوا في الأُصُولِ جَمِيْعِها قَوْلاً ضَعِيفاً واهِيَ البُنْيانِ
زَعَمُوا بِأَنَّ اللهَ يُوْجِدُ كُلَّها المَعْقُولَ والمَسْمُوعَ في الأَدْيانِ
وهِيَ الصَّلاةُ مَعَ الزَّكاةِ مَعَ الوَلا والبِرِّ لِلآباءِ والوِلْدانِ
والعَدْلِ والتَّوحِيْدِ والتَّصْدِيقِ بِالـ ـميعادِ بِالجَنّاتِ والنِّيْرانِ
والصَّومِ والحَجِّ المُؤَكَّدِ والرِّضا لِلنّاسِ ما يَرْضاهُ مِنْ إِنْسانِ

---

(١) قوله: «نية» كذا بدا لي رسمه، وثمّة نقطٌ مبثوثة حول الرّسم تحمل وجوهًا عدّة للقراءة، ويبقى في النّفس منه أشياء.

أَيَجُوزُ للاثْنَينِ فِعْلٌ واحِدٌ في الحِسِّ أو في العَقْلِ والإِمْكانِ
أَمْ هَلْ يَصُومُ وهَلْ يُصَلِّي دُوْنَهُمْ ويَحِجُّ مُعْتَمِراً مَعَ الرُّكْبانِ
ويَبِرُّ والِدةً ويُرْضي والِداً ويَرِقُّ لِلأَهْلِينَ والجِيْرانِ
لم يَبْقَ إِلّا المَسْحُ لِلْخُفَّيْنِ أَوْ رَفْعُ اليَدَيْنِ وعَكْسُهُمْ لأَذانِ
والحُبُّ لِلشَّيْخَيْنِ والتَّقْلِيْدُ والشْ شُوْرَى مَعَ الثّاراتِ في عُثْمانِ[٢٤٠]

وفي هذه القصيدةِ طُولٌ إلّا أنّ مَنْ له رغبةً في معرفةِ العَدْلِ والتّوحيد وحَقائق الدِّين يَسْتَقْصِرُها؛ لنَشاطِهِ في الله وخِفَّةِ حَركاتِهِ في طَلَبِ الخيرِ، وإِقْبالِ قَلْبِهِ وتَلَذُّذِهِ بالعُلُوم، ويَوَدُّ أنّها أَكْثَرُ ممّا هي، ويَسْتَخِفُّ منها ما يَسْتَثْقِلُ الجاهلون؛ وفي إِيْرادي لها وُجُوهٌ:

أَحَدُها: الدَّلالةُ على فَضْل قائلها وعِلْمِهِ بمَذْهَبِهِ الّذي دَخَل فيه وقَبِلَهُ، والمذهبِ الّذي خَرَجَ منه ونافَرَه، وعلى أنّ التّائبَ مِنَ الخَطَأ والخطيئة إذا لم يكن كذلك فهو لاعِبٌ لا تائب.

والثّاني: أَنّ فيها إِخْباراً باعْتِقادِ الزّيديّة على الحقيقة واعْتِقاد المُخْتَرِعَة في ذلك الزّمان، فقد حَدَثَ مِنْ هؤلاءِ وهؤلاءِ الآن أَقْوامٌ يَقُولُون ببِدَعٍ مُحْدَثَةٍ غيرِ ما كان عليه أَسْلافُ الفَريقَين.

والثّالث: فإنّهُ رحمه الله أَوْضَحَ وبَيَّنَ رُجُوعَ المُخْتَرِعَةِ إلى رَأْيِ العامّة الحَشَويَّة، وما بَقي لهم إلّا تقديمُ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ والتّقليدُ في ذلك، والطَّلَبُ بدَمِ عُثْمان، ومَسْحُ الخُفَّيْن، ورَفْعُ اليَدَين في الصّلاة، وتَبْدِيلُ الأَذان كما يُبْدِلون «**حَيَّ على خيرِ العَمَل**» فيجعلون مكان الأَذان بذلك: «**الصّلاةُ خيرٌ مِنَ النّوم**» في أَذانِ الصُّبْح.

أبو العَشيرة بنُ رِزامٍ

هو أبو العَشيرة بنُ رِزامٍ القَرْوَديُّ، مِنْ أَهْلِ قَرْوَدٍ الّذين ببلد الصَّيَد، وكان مِنْ شُيُوخ الزّيديّة الصّالحين، وذَوي الصَّدَقات والإِحْسان إلى المسلمين، والنِّيّات الحَسَنات والأَخْلاق الرَّحْبَة والمَذاهب الجميلة.

وكان مِنْ أَصْحاب عليِّ بنِ حَرْبٍ رحمه الله، أَخبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله قال: كان أبو العَشِيرة بنُ رِزامٍ يَقُولُ لي: يا عُلَيّانُ، لا تَوَقَّفْ عَنْ شيءٍ مِنْ مالي، كُلْ مِنْ أَيِّهِ شِئْتَ، فهو مُباحٌ لك. فكنتُ لا أَكادُ أَفْعَلُ ذلك، ثمّ احتجتُ يوماً إلى شيءٍ آكُلُهُ فأَتَيْتُ عِنَباً له فأَكَلْتُ، ثمّ أَتَى بعضُ السُّؤّالِ فَأَعْطَيْتُهُ شيئاً مِنْ ذلك العِنَب، فلمّا انصرفتُ أَتَيْتُهُ فقلتُ: فعلتُ كذا وكذا. فجَعَلَ يَقُولُ: بارَكَ الله فيك بارَكَ الله فيك. ثمّ قال: لو لم تَفْعَلْ ذلك لم أَعُدَّكَ رَجُلاً.

أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله قال: وَهَبَ أبو العشيرة بنُ[٢٤١] رِزامٍ لعليِّ بنِ حَرْبٍ في كُلِّ عِنَبٍ مِنْ أَعْنابِهِ الحَبْلَةَ والحَبْلَتَينِ والثَّلاثَ حتّى فَرَّقَ ذلك في أَعْنابِهِ. ثمّ قال له: يا أبا الحَسَن، لم يَخْفَ عَنِّ أَنْ أَهَبَ لك شيئاً مُجْتَمِعاً إلّا أنّي، والله، ما فعلتُ هذا إلّا لئن تَدْخُلَ جميعَ مالي بَرَكَتُك.

أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله قال: جَلَسَ أبو العشيرة بنُ رِزامٍ ذاتَ يومٍ في مجلسٍ فسَمِعَ ما حَمَلَهُ على كَلامٍ اهْتاجَ له، وهَمَّ بَعْدُ بقَولِ ما يَنْدَمُ منه، واسْتَبان ذلك فيه مَنْ حَضَرَهُ، فبَدَرَ فتًى مِنْ أَهْلِ بيتِهِ فأَمْسَكَ بيَدِهِ على فِيْهِ حتّى ثابَ إليه رَأْيُهُ وبانَ أَمْرُهُ، ثمّ رَفَعَ يَدَهُ، فنَظَرَ إليه أبو العشيرة وقال: جَزاكَ الله، يا بُنَيَّ، عَنِّي خيراً، فلولا ما صَنَعْتَ لخَرَجَ مِنِّي ما أَنْدَم منه.

ابنُ المحسن[١]

هو أبو القاسم بنُ المحسن العُبَيديُّ اليامِيُّ.

أَنْسبُهُ في آل أبي عُبَيْدة الهَبريّين بمَدَر مِنْ مَشْرق حاشِد، وكان أَحَدَ شُيُوخ الزّيديّة، وذوي الصَّبْرِ والحِلْم والإحْسان لله وفي الله إلى أَوْليائِهِ والصَّبْرِ في جَنْبِ الله على أَذَى عِبادِهِ، ذا معرفةٍ بحَقِّ اللهِ وحُقُوق المسلمين.

أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله قال: أَخْبَرَني إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم رحمه الله قال: قُطِعَ أُصُولُ عِنَبٍ لأبي القاسمِ بنِ المحسن رحمه الله، فأتاهُ النّاسُ يَتَوَجَّعون له مِنْ ذلك، فأَقْبَلَ عليهم وهو غير مُكْتَرِثٍ ولا مُهْتَمٍّ، فقال: ما سآني ما كان ولا كَبُر عليَّ، فإنّما مِثْلي ومِثْلُ صاحِبِ هذه الجِناية عليَّ مَثَلُ رَجُلٍ رَمَى آخَرَ بحَصاةٍ وأَلْقى على ظَهْرِهِ الجَبَلَ.

وأَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله قال: خَرَجَ أبو القاسم بنُ المحسن رحمه الله يَطُوفُ بَعْضَ أَعْنابِهِ ذاتَ يومٍ فإذا مَساكِينَ حَوْلَهُ، فهَمَّ أَنْ يُدْخَلَهم العِنَبَ ليَأْكُلُوا، فخَطَر خاطرٌ مِنْ وَسْوَسَةِ النَّفْسِ فقال: مساكين إنْ[٢] أَدْخَلْتُهم لَعِبُوا بالعِنَبِ ومَغَثُوهُ[٣]. ففَطِنَ لذلك منهم فجَعَلَ يَقُولُ: بلى بلى يَدْخُلُون. فسَمِعَ ابنُ أَخٍ له قَولَهُ فقال: مَنْ أَراكَ تعني؟ قال: هذه الخبيثة[٤][٢٤٢].

---

(١) في هذا الموضع من المخطوط: «المحسّن» بتشديد السّين المهملة، وفيها تلاهُ علامة إهمال ليس غير.

(٢) كرّر في المخطوط: «أن».

(٣) **مَغَثُوهُ**: مَرَسُوهُ ودَلَكُوه.

(٤) يعني نفسَهُ.

النُّوَيْرَةُ

هو محمّدُ بنُ أبي حجيّة السَّنْحانيُّ.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ أَحَدُ الشُّيُوخ بوَقَش في العَصْر قال: قال لي النُّوَيْرةُ: ما اسمي إلّا النُّوَيْرَة لا غير.

ونَسَبُهُ في العنابس[1] مِنْ سَنْحان.

وكان مِنْ جُمْلَةِ جُنْدِ الدّولة الصُّلَيحيَّة، فتابَ إلى الله تعالى ولَحِقَ بجَماعة عُبّاد الزّيديّة بوَقَش، فبَلَغَ الدَّرَجات العُلى في الزُّهْد والعِبادَة والعِلْم، وتَفَرّد بالمَثَلِ المَضْرُوب في ذلك، وكان مَشْهورَ الفَضْلِ عالي الصِّيْت.

وكان رَحِمَهُ الله مِنْ أَرْفَقِ مَنْ يُعَلِّمُ المُبْتَدئَ ويُرْشِدُ الضّالّ، وهو ممّن أَخَذْتُ عنهُ شيئاً مِنْ أُصُولِ اعْتِقادي في التّوحيد والعَدْل وكان بَكِيءَ الكلامِ لازماً للصَّمْت، فإذا خَشيَ أَنْ يَغْفَلَ فيَقُولُ فيما لا يَعْنِيْهِ جَعَلَ في فَمِهِ حَصاةً، فإذا وَجَبَ عليه الكلامُ أَخْرَجها، وإِنْ لم يَلْزَمْهُ ذلك أَمْسَكها، وكان يَلْزَمْ قراءة كتاب أبي مُطِيعٍ في **(أخبار الزُّهّاد والعُبّاد)**، ويَجْعَلُهُ جَلِيسَهُ، ويَقْتَدي بمَذاهِبِ المُؤْثِرين للآخرة جُهْدَهُ.

وبَلَغَ مِنْ بَرَكَتِهِ أنّه كان يُشْرَك في أَحْمالِ البَهائم وفي المَزْرُوع والأَمْوال الّتي يُخافُ عليها الآفات فتَسْلَم، وتأتي على ما يُحِبُّ أَهْلُها، ويُوفَى له بما أُشْرِك فِيْهِ مِنْ ذلك، فلا يُمْسِكُهُ لنفسِهِ، بل يُؤْثِرُ فُقَراءَ المسلمين ومَصالِحَ الدِّيْن، حتّى لا يَكادُ يُوجَدُ غَنيًّا ولا ذا وَجْدٍ ولم يُخْلِهِ الله سبحانه مِنْ بُلْغَةٍ، فلم يَكُنْ أَيْضاً يُوجَدُ مُنْقَطِعاً.

---

(١) يحتمل الرّسم في المخطوط: «العنايس»، على أنّه في مخطوط الطّبقات الصّغرى (المُسْتَطاب): «آل عياش».

أَخْبَرَني صَبرةُ بنُ عليٍّ المَعْروفُ بالسَّنْحانيِّ، وكان أَحَدَ عِبادِ الله الصّالحين، المعروفين بتَقْوَى الله والاجْتِهاد في طَلَب رِضْوانِهِ، ورُبّما يَمُرُّ له ذِكْرٌ في هذا الكتاب؛ قال: أَخْبَرَني النُّوَيْرةُ عَنْ نفسِهِ قال: بايَعْتُ ربّي تعالى وتَقَدَّسَ ألّا أَسْأَلَ أَحَداً مِنَ الآدَمِيِّين، ولا أَتَعَرَّضَ له، فكنتُ على ذلك حتّى حَدَثَ مع امرأتي حَمْلٌ، وانْتَهَتْ إلى المَخاضِ فضَرَبَها الطَّلْق ليلاً، وما في منزلي شيءٌ مِنْ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ ولا حَبٍّ ولا ما يُؤْخَذُ لها به ما تَتَناوَلُهُ في نِفاسِها، وتُصْلِحُ به مِنْ شَأْنِها، فبِتُّ ليلَتي تلك أَنْظُرُ ما يكون مِنْ أَمْرِها، فبَيْنا أنا كذلك إذْ بِقارِعٍ يَقْرَعُ البابَ، فقُمْتُ إليه فسَلَّمَ وسَلَّمْتُ، ثمّ ناوَلَني عشرةَ دَنانيرَ[٢٤٣]، وقال: هذه دَنانيرُ أَرْسَلَني بها إليك أَسْعَدُ بنُ عَطوة، وكانت له فَرَسٌ عُشَراءُ[١]، فنَذَرَ إنْ سَلِمَتْ ونُتِجَتْ أَنَّ لله عليه عشرةَ دنانيرَ يَتَصَدَّقُ بها عليك، وقد نُتِجَتْ وسَلِمَتْ، وهذه الدَّنانيرُ فخُذْها. فأَخَذْتُها.

وكان النُّوَيْرةُ رَحِمَهُ الله يُخْبِرُنا بسببِ تَوْبَتِهِ ووُقُوعِهِ إلى وَقَش، فقال رَحِمَهُ الله: كنتُ رَجُلاً مِنَ الجُنْد، وكنتُ مِنْ أَهْلِ بيتٍ مِنْ ظَلَمَتِهم، فمَضَى أَكْثَرُ أَهْلي إلى سُخْط الله، وكان لي أَخٌ قد رَكَنَ إلى الدُّنْيا، وانْخَدَعَ لغُرُورها واطْمَأَنَّ إليها، فكنّا نَدْخُلُ دارَ سَبأَ بنِ أحمدَ بنِ المُظَفَّر الصُّلَيحيِّ بأَسْلَع، فإذا رَأَى حَجَرَها وسَقْفَها وآلاتِها وما بها مِنْ زينةٍ أو أَصْباغٍ ونُقُوشٍ أو ثيابٍ وفُرُشٍ ورَياحِين وأَشْجار، ونحو ذلك ممّا تُجَمَّلُ وتُزَيَّنُ به دُورُ المُلُوك قال لي: يا النُّوَيْرة، هذه الجنّة، هل تكون الجنّةُ إلّا هكذا، وهل يكون في الجنّة شيءٌ أَحْسَنَ مِنْ هذا؟ وذلك أنّه كان قد مالَ إلى رَأْيِ القوم، وصار يَعْتقدُ حَماقاتٍ كثيرةً وزَنْدَقةً وإلحاداً، فلم يكن يَخْطُرُ ببالي شيءٌ ممّا يَقُولُ ويَعْتقدُ ولا أَلْتَفِتُ إليه. ثمّ إنّ الصُّلَيحيِّين هَبَطُوا تِهامةَ غازين للحَبَشَةِ، وهَبَطْنا معهم فأَصابَ الجَيْشُ مَرَضٌ فمات فيه بَشَرٌ، وكان أَهْلُ بيتي ثمانين رَجُلاً فمات أَكْثَرُهم، فكان ذلك ممّا وَعَظَني وبَدا لي مِنْ عِبَرِ الدُّنْيا وغيرها، وممّا زَهَّدني

(١) **العُشَراء**: هي الّتي مَضَى لِحَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ.

فيها ودَعاني إلى التَّوبة.

وكنتُ أَرَى النّاسَ بتِهامةَ يُصَلُّون وهم على رَأْيِ العامّة، فلم يَكُنْ يُعْجِبُني ذلك منهم، ولا أَطْمَئِنُّ إليه إلّا أنّي قد عَزَمْتُ على التّوبة، فكنتُ أَعْتَزِلهم وأُصَلّي صلاةً لا أَهْتَدي لها، ولا أَعْرِفُ لها حدًّا، إنّما كنتُ أَرْكعُ وأَسْجُدُ وأَقومُ وأَقْعُد حتّى آتي على جُزْءٍ مِنَ النّهار واللّيل صالحٍ ليس بقليلٍ، وأُصَلّي الصّلاةَ الواحدةَ مِنْ عشرين ركعةً فما دونها، فأَقَمْتُ على ذلك حتّى رَجَعْنا مِنْ سَفَرنا، وكان بأَسْلَع رَجُلٌ مِنْ بَكِيل يَنْزلُ مَعْبَر مِنْ جَهْران، فكان يَراني أُصَلّي تلك الصّلاة، فلمّا استكثرها وفَطِنَ لجَهْلي وما أنا عليه دعاني فعَلَّمَني الصّلاة وقَرَّبَ لي في تَعْليم الخير ما أَمْكَنَهُ، واتَّفَقَ في الحال.

فأَقَمْتُ أيّاماً على ذلك ثمّ إنّه بَلَغَني خبرُ الزّيديّة بوَقَش وما هم عليه مِنَ العِبادة والفَضْل، فلم يكن لي هَمٌّ إلّا قَصْدُهم والوُصُول[٢٤٤] إليهم، فلَبِثْتُ حتّى اتّفَقَتْ لي رُفْقَةٌ يريدون أَرْض بني شِهابٍ، فصَحِبْتُهم إلى أَنْ أَتَيْتُ وَقَش، وقد كان بعد سَماعي بها وبأَهْلِها يَلْقاني أَقْوامٌ يَنْهَونَني عَنْ قَصْدِها، ويُقَبّحون عندي محاسنَ أَهْلها، ولا يَأْلُون في صَدِّي عنهم جَهْداً، فلم يَثْنِني شيءٌ مِنْ ذلك عَنْ غَرَضي في الاطّلاع على القوم، وما هم عليه، فلمّا وَصَلْتُ رَأَيْتُ ما يَفْضَحُ العائبَ، ويُخْزي الكاذِبَ، ويُقِرُّ عَيْنَ الشّاهد، ويَشْهَدُ على الغائب.

قال: وكان قد بَلَغَني أنّ بشِبام قوماً مِنَ الزّيديّة لهم عِبادةٌ واجتماعٌ وكلامٌ وتَعْلِيمٌ في الدِّين، فلم أَلْبَثْ أَنْ نَهَضْتُ إليهم لأَسْتَفِيْدَ معرفتهم، وأَرَى فَضْلَهم على مَنْ بوَقَش أو فَضْل مَنْ بوَقَش عليهم، وكان قد ذُكِرَ لي خلافٌ بينهم في مسائل في الدِّين. فسِرْتُ حتّى أَتَيْتُ شِبام فوَقَعَ في عَيْني شَيْخُهم إسحاقُ بنُ أحمد بن عبد الباعث الصَّنْعانيُّ، فآثَرْتُ سُؤَالَهُ والتّعليم منه، فكان يَفْصِلُ لي كلامَهُ بذِمِّ أَهْل وَقَش، والعَيْب لهم، والطَّعْن عليهم، ويَشْتَغِلُ عَنِ التّعليم لي بالنَّهي عَنْ زيارتهم، ويُؤْثِرُ ذلك على كثيرٍ مِنَ الكلام، حتّى أَغْراني

بإعادة النَّظَر فيما عندهم وفيهم، فكان ذلك تَشْوِيقاً لي إلى سُرْعة المَصِير إليهم. وكنتُ قد سَأَلْتُهُ عَنْ شيءٍ عَنَّ لي ذِكْرُهُ على وَجْهِ التّعليم فوَقَعَ في مسائل الخلافِ بَيْنَهُ وبَيْنَهم، فساءَ ظَنُّهُ بي فغَضِبَ، وتَوَهَّمَ أنّي مُناظِرٌ، وقال: أَتَيْتَ مُتَعَرِّضاً للجِدالِ، ولقد لَقَّنَكَ القومُ؟ وزَبَرني وانْتَهَرَني وأَغْلَظَ لي في القول، فصبرتُ على ذلك، وسَكَتُّ عنه. ثمّ لَبِثْتُ إلى أَنْ تَأَمَّلْتُهُ وسَمِعْتُ كلامَهُ فلم أَرَ ما يُعْتَمَدُ عليه، وانْفَتَحَ لي بابُ نَظَرٍ في أُصُول الدِّيْن، وفِطْنَةٌ لِما يعتقد، فرَأَيْتُ رَأْيِي في الرُّجُوع إلى وَقَش، فأَعَدْتُ النَّظَرَ في أَهْلِها، وفيما هُمْ عليه، فتيَقَّنْتُ نَيْلَ الطَّلِبَة بِهِمْ، ودَرْكَ البُغْيَةِ عندهم، ثمّ لم يَقَرَّ بعَيْني أَحَدٌ سِواهم، فجاوَرْتُهم جِواراً، وجعلتُ دارَهم داراً.

وأَخْبَرَني الحسين بن محمّد القَهْميُّ، وهو مِنْ أَهْل الأَمانة والثِّقَة والدِّيانة ببلادنا، أَحْسِبُهُ قال: عَنْ سُعَيدٍ العُذَريُّ العابدِ بوَقَش قال[٢٤٥]: كان ممّا وَعَظَ النُّوَيْرةَ أيّامَ توبتِهِ أَنَّ السّنةَ كانت مجاعةً مُهْلِكَةً، فكان الجُنْدُ يَفْرَحون فيها بأَدْنَى جارٍ يُجْرى لهم، يَتَعَجَّلُونَ البُلْغَة به؛ وكان فيهم شَيْخٌ ضَعِيفٌ، فلمّا عُرِضُوا رُدَّ، وقالوا: هذا لا نَفْعَ فيه ولا قُوَّة به، فحَزِنَ لذلك وصاحَ ورَفَعَ صَوتَهُ، وقال: أنا وأنا، وادَّعَى في البَطْش والشِدَّة في الحَرْب، والغِنى عَنِ السُّلْطان، والنُّصْرة للإِخْوان، دَعْوى عظيمةً، وكان ذلك أوانَ اكْتِيالِ الأَرْزاق، وإِخْراجِ الكفاية مِنَ القُوت إلى الجَيْش، فدُفِعَ إليه شيءٌ طَفِيفٌ قليلٌ مِنَ الحَبِّ، فرَبَطَهُ بردائِهِ واشْتَدَّ فَرَحُهُ به، فلم يَفْرُغْ حتّى نادى المُنادي في القوم بالخُرُوج للقِتالِ، فَوَثَبَ مُبادراً، وازداد في سَعْيِهِ يُرِيهم قُوَّتَهُ، ويُرَغِّبُهم في إِمْساكِهِ، فساعةَ طَلَعَ على العَدُوِّ رُميَ بسَهْمٍ فأَثْبَتَهُ فخَرَّ مَيْتاً وذلك الحَبُّ في ثَوْبِهِ ما انْتَفَع منه بشيءٍ. فكان النُّوَيْرةُ يَرْتاعُ لذلك ويَتَفَكَّرُ فيه وتَعْظُمُ عِبْرَتُهُ بِهِ، فمَضَى على التّوبة ونَفَذَتْ بَصِيرتُهُ في الأَمْر.

وكان النُّوَيْرة، رحمةُ الله عليه، حين تابَ يَسْبِرُ الأَشْياءَ بنَظَرٍ وتمييزٍ عَقْليٍّ إِذْ لا فِقْهَ له حينئذٍ ولا عِلْمَ مَعَهُ، وكان يُخْبِرُ بذلك الإِخْوان.

فأَخْبَرَني الحسين بن محمّد القَهْميّ أَحَدُ رِجالِ الدِّين وطُلّاب الخير والمُتَفَقِّهين ببلادنا، أَحْسِبُهُ قال عَنِ الشّيخ سُعَيدٍ العُذَريِّ العابدِ بوَقَش عَنِ النُّوَيْرة، رحمةُ الله عليه، قال: أَتَيْتُ شِبام مُتَعَلِّماً طالباً، وأنا حينئذٍ لم يَغْلِبْ على قَلْبي مَيْلٌ إلى اعتِقاد مذهبٍ ولا قَبُوله، وكان بها الشّيخُ عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ، رحمةُ الله عليه، فكانتِ المُخْتَرِعَة تجتمعُ لمُناظرتِهِ فإذا فَرَغُوا قامَ هو وأَصْحابُهُ إلى الطُّهُور والصّلاة والتَّأَهُّب لعِبادة رَبِّهم، وتَفَرَّقَ الآخرون إلى أَسْواقهم وصَنائِعهم؛ فوَقَعَ في نفسي المَيْلُ إلى عُلَيّانَ وأَصْحابِهِ، وإِيْثارُ وَلايَتِهم لذلك لا لشيءٍ قدِ اطَّلَعْتُ عليه مِنْ دقيق الكلامِ أو غوامِضِ الأُمُور، واعتقدتُ أَنَّ ذلك منهم عَلامةُ دِيانتهم، وقلتُ: هذه أَمارَةٌ حَسَنَةٌ ودليلٌ على[٢٤٦] فَضْلهم قد ظَهَرَ لي وعرفتُهُ، آخُذُ به، وذلك الكلامُ لا أَفْهَمُهُ.

وأَخْبَرَني عنه بنَحوٍ مِنْ هذا -أَحْسِبُهُ قال: عن سُعَيدٍ أيضاً- قال: قال النُّوَيرة، رحمةُ الله عليه، قَدِمَ يحيى بنُ عمّارٍ، شيخُ المُخْتَرِعَةِ بناعِط مِنْ مَشْرِق هَمْدان، وَقَش وقد صِرْتُ بها، فرآهم يَغْسِلُون أَقْدامَهم في غَدِيرٍ يجتمعُ إليه ماءُ العَيْن الّتي هناك، وكان أمامَ المسجد، فأَنْكَرَ ذلك وقال: مئةُ رِجْلٍ تُغْسَلُ في غَدِيرٍ واحدٍ، ما هو إلّا نَجِسٌ. قال: فوَقَعَ في نفسي مِنْ كلامِهِ شيءٌ، ثمّ رَأَيْتُهُ عند خُرُوجِهِ للوُضُوء قد خَرَجَ إلى رَأْس الوادي فاتَّبَعْتُهُ رَجاءَ أَنْ أَتَعَلَّمَ منه وأَسْتَفِيدَ ما أَنْتَفِعُ به، وقلت لعَلَّهُ يأتي بشيءٍ فيه فَضْلٌ وفائدة أُحْرِزُها أنا، ويَتَمَيَّزُ بها عَنِ القَوم، ويَفْضلُ عليهم في الاحْتِراز، فرَأَيْتُهُ قد قَعَدَ للبَولِ، فلمّا فَرَغَ تَجَفَّفَ مِنْ أَثَرِ البَولِ بقَفا نَعْلِهِ، فوَقَعَ في نفسي شيءٌ آخَرُ. ثمّ أَتَى إلى موضعٍ مِنَ الوادي فحَفَرَ فيه كالحِسْي[1]، فجَعَلَ يَتَوَضَّأُ منه وغُسالَتُهُ تَنْصَبُّ إليه مِنْ بين الرَّمْل. فانْصَرَفَتْ نفسي عنه.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمد أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة بوَقَش عَنه بهذا الخَبَرِ إلّا أنّه ذَكَرَ أنّ المُخْتَرِعَ عبدُ الله بنُ أبي القاسم البُشاريّ، قال: وهذا كان مِنَ النُّوَيْرةِ في أوّل أَمْرِهِ قبل أَنْ

---

(١) الحِسْيُ، بالكسر: الماءُ القليل، كالحساء؛ التّاج: (ح س ي).

يَعْرَفَ كثيراً ممّا يحتاجُ إليه ويَتَفَقَّهَ في الدِّين وتَقْوَى عِبادته.

وأَخْبَرَني غيرُ واحدٍ مِنَ الزّيديّة أنّه، رحمةُ الله عليه، كان قدِ اشْتَدَّ[(١)] وعَظُمَ خَوفُهُ مِنَ الله، فكان يَحْضُرُ مجالسَ الذِّكْر، فكان إذا خافَ مِنْ نفسِهِ أَنْ تَبْدُرَ بقَولٍ عَنْ غير تَثَبُّتٍ ولا نَظَرٍ فيُحاسَبُ عليه، جَعَلَ في فِيْهِ حَصاةً، فإذا تَطَلَّعَتِ النَّفْسُ إلى شيءٍ مِنْ ذلك أَحَسَّ الحَصاةَ فمَضَت، وكان إذا تَيَقَّنَ وُجُوبَ القَولِ عليه ولُزُوم الفريضة له أَخْرَجَها ثمّ نَطَقَ.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمد أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة في العَصْر بوَقَش قال: قال لي النُّوَيْرة، رحمةُ الله عليه: موعظة مِنْ غيرِ حكيمٍ اسْمَعْها. قلتُ: هات؟ قال: صَعِدْتُ درجة بيتِ بَوْس أُريدُ إلى السُّلْطانِ سَلَمَةَ بنِ الحَسَن بنِ ذَعْفان [٢٤٧] الشِّهابيِّ، وكان فيه خيرٌ كثيرٌ ونَفْعٌ للمسلمين إلّا أَنَّ سائرَ قومِهِ الّذين معه هناك ظَلَمَةٌ، فبَيْنا أنا أَصْعَدُ إذْ عارَضَتْني في الدَّرَجَة جاريةٌ فقلتُ لها: تَنَحَّي عَنّي عَنِ الطّريق، يا جارية. فقالت: يا سَيِّديّ، إذا كنتَ وَرِعاً عابداً لِمَ تَأْتِ هذه الدَّرَجَةَ، فإنّه لا يَأْتِيْها إلّا ظالمٌ.

ودَخَلْتُ مسجداً بالسَّهْلَين، وهي قريةٌ تَتَّصِلُ ببلد سَنْحان الّتي تَغَلَّبُوا عليها الآن، فأَرَدْتُ الصّلاةَ وهناك صِبْيانٌ يَقْرَؤون شَغَلُوا قلبي، ومعهم خارجَ المُصَلَّى رَجُلٌ حِجازيٌّ مِنْ أولئك الظَّلَمَة، فقلتُ: أَمْسِكُوا، يا صِبْيانُ، وذَرُونا نُصَلِّي. أو قال: قلتُ: أَخْفِظُوا أَصواتكم. فقال ذلك الحِجازيُّ: إذا كنتَ قد بَقِيْتَ في هذه المنزلة فاخْرُجْ إليِّ إلى هٰهنا. يريدُ أَنَّ المُقْبِلَ على صلاتِهِ المُلْتَفِتَ بكُلِّيَّةِ قَلْبِهِ إلى تَعْظِيمِ رَبِّهِ لا يَشْغَلُهُ شيءٌ.

وأَخْبَرَني أبو النّورِ بنُ محمّدٍ المنكليُّ، أَحَدُ عِبادِ الله الصّالحين مِنَ الزّيديّة، عمّن أَخْبَرَهُ مِنْ رِجالِ الدِّين المَوثُوقِ بهم= أَنَّ النُّوَيْرةَ لـمّا أَتَى وَقَش في أوّل أَمْرِهِ احْتَرَسَ منه المسلمون وانْقَبَضُوا انْقِباضاً شديداً لمكانِهِ مِنَ الجُنْديّة[(٢)]، وسُوءِ الظَّنِّ بهم. وقد قِيْلَ: إنّهُ وَفَدَ وعليه

---

(١) في المخطوط: «اشتدّت» كذا؟

(٢) كُتب الحرفان الأخيران من قوله: «الجنديّة» بخطٍّ مغاير، ولعلّه كتبها على حرفين دارسين.

شَعْرٌ مِنْكَرٌ لكَثْرَتِهِ وطُوْلِهِ، وبهَيْئَةِ الأَوْباش المُنافِرين للدِّين وأَهْلِ الدِّين والعِلْم وأَهْل العِلْم، فألْزَمَهم، بما سَأَلَهم مِنْ تَعْليم فَرائضِ الدِّين وأَعْمالِ البِرّ، الحُجَّةَ، وكَلَّفَهم الصَّبْرَ عليه، فصَبَرُوا خوفاً مِنَ الله لِما أَظْهَرَ لَهُم مِنْ الطَّلَب، ولم يَنْبَسِطوا إلية بسُرْعةٍ، وكانت منهم لَهُ وُجُوهٌ كثيرةٌ مِنَ الاخْتِبار والامْتِحان، قال: فبَلَغَني أنّهم بَعَثُوا إليه رَجُلاً دَسُّوهُ عليه مِنْ حيثُ لا يعلمُ، فأَتاهُ وقد صَعِدَ الجبلَ، فأَقْبَلَ إليه وهو يَقْلي حُبَيْباً قد رُزِقَهُ ليَتَبَلَّغَ به، وقال له: لقد اسْتَخَفَّ بك هؤلاءُ القومُ ورَفَضُوك، فهل لك في أَنْ تَتْرَكَهم وتَنْصَرِف، وأنا أَنْفَعُكَ بشيءٍ وأَعْمَلُ لك في شيءٍ يكون بيَديْ مِنْ فَضْل الله. في كلامٍ نحو هذا. فلم يلتفتِ النُّوَيرةُ إلى كلامِهِ، وأَثْنَى عليهم خيراً، وصَبَرَ على ما كان. فلمّا وَثِقُوا به[٢٤٨] وبقُوَّةِ عزيمته في التَّوبة، وشِدَّةِ صَبْرِهِ على المَكْرُوهِ، وأَمِنُوا مِنْ أَنْ يكون جاسوساً لمُلُوك الدّولة الصُّلَيحيَّة ومُطَّلِعاً عليهم كالعَيْن بالَغُوا في إِكْرامِهِ.

أَخْبرَنا الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ قال: كان النُّوَيْرةُ رحمه الله يَتَوَضَّأُ للصّلاة بباب مسجدِ وَقَش، فأَقْبَلَ رَجُلانِ مِنْ أَهْل حَضُور فلمّا رَأَياهُ قالا: هذا هو النُّوَيْرةُ يُذْكَرُ عندنا. فسَمِعَهُما فقال: نَعُوذُ بالله مِنْ الذِّكْر المُشَوَّه. قال النُّوَيْرةُ: ثمّ هَمَمْتُ أَنْ أَعْمَلَ شيئاً يَغُضُّ مِنْ جاهي عندهما بقَدْر مَبْلَغ عِلْمِهما. يُريدُ رحمه الله بذلك أَلّا يَلْحَقَهُ رِياءٌ أو عُجْبٌ أو نحو ذلك ممّا يحصلُ بعد المَدْح في نُفُوس الجُهّال. قال: فرَأَى في النّوم قائلاً يقول: يا نُوَيْرَةُ، لا تَدْخُلْ مَواضعَ التُّهَم فتُتَّهَم.

يحيى بنُ الصَّبّاح

هو يَحْيَى بنُ الصَّبّاح الجَوبيُّ، وهو مِنْ مُتَقَدِّمي أَهْل هذه الطّبقة، وله فَضْلٌ مشهور، وقد أَدْرَكْتُ مَنْ يَرْوي أَخْبارَهُ مِنَ الزّيديّة، ولكنّ العُذْرَ في الاسْتِكْثار مِنِّي مِنْ هذه العُلُوم ما قد ذكرتُهُ في غيرِ موضعٍ: مِنْ غِرَّةِ الصِّبا وقِلَّةِ المعرفة بفَضِيلةِ الحِفْظِ لأَخْبار الصّالحين.

ولقد أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله مِنْ فَضائل يحيى بنِ الصَّبّاح بما ينبغي أَنْ تُؤْثَرَ القُدْوةُ به في طَلَبِ العِلْم، قال: كان يحيى بنُ الصَّبّاح لا تُفارقهُ دَواتُهُ أَيْنَما سارَ، فإذا سَمِعَ حكمةً يَخافُ أَنْ يَفُوتَهُ بحِفْظِها النِّسْيانُ كَتَبَها، فإن لم يجدْ ما يكتبُها فيه كَتَبَها في عَصاهُ.

وأَخْبَرَني عليُّ بنُ أبي النّعم الحدّادُ في وقتِ تَوبةٍ منه ورُجُوعٍ إلى الله سبحانه، وهو مِنْ أَهْل رَيْدَة، وكان عندنا بشَظَب وَقْتاً مِنْ عُمُرِه، وكنتُ أَثِقُ بِهِ في الرِّواية يومَ أَخْبَرَني وأَرْضاهُ، وهو يومئذٍ شيخٌ كبيرُ السِّنِ قال: أَدْرَكْتُ يحيى بنَ الصَّبّاح الجَوبيَّ شيخاً كبيراً[٢٤٩] ظاهرَ الخير، فكان يَقُولُ لنا: تُوبُوا إلى الله، يا بَنيَّ، وأْتُوني حتّى أُعَلِّمَكم كيف تَتُوبون. قال: وكان يَقولُ: اللّهمّ إنّي عَصَيْتُك عَمْداً وقَصْداً وإِسْرافاً، وتُبْتُ إليك رَغَباً ورَهَباً ورَجاءً، وأنت تَقولُ في كتابك: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزُّمر:٥٣].

الصَّلُوليُّ

هو عبدُ الله بن ...[١] الأعشبيُّ، ويُعْرَفُ بالصَّلُوليِّ، وهو مِنْ مُتَقَدِّمي أَهْل هذه الطَّبَقة، وكان مِنْ أَشْياخِ الخير زاهداً رَفِيقاً لَيِّنَ الكلامِ ظاهرَ التَّواضُعِ وَرِعاً مُحِبًّا لنَفْعِ المسلمين والمَعُونة في الدِّيْنِ.

أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله قال: كان النّاسُ يَدْعُون عبدَ الله الصَّلُوليَّ إلى قَبْضِ زَكواتِهم وتَفْرِيْقِها في أَهْلها، فكان يُجِيْبُهم إلى ذلك، ولم يكن يَحُوزُها إليه إنّما كان يَقُولُ: لِيَدَعْ كُلُّ رَجُلٍ زكاتَهُ عندَهُ حتّى أَمُرَّ إليه. فإذا رَأَى مؤمناً فقيراً يَسْتَحِقُّ ذلك ويَرْضاهُ له بَعَثَهُ إليهم. فقيل له: في ذلك؟ فقال: أَحْبَبْتُ أَنْ يَنْتَفِعَ المؤمنُ بما جَعَلَ الله له منها، وخَشِيْتُ أَنْ يُفَرِّقَها القومُ في غيرِ أَهْلها مِنْ أَعْداء الله إنِ امْتَنَعْتُ عمّا سَأَلُوني، فأَرَدْتُ أَنْ أَنْفَعَ هؤلاءِ وهؤلاءِ.

قال عَليان بن إبراهيم رحمه الله: ولَقِيَ عُلَيّانُ بنُ سَعْدٍ البَحِيريُّ رحمه الله عبدَ الله الصَّلُوليَّ، فقال: عُلَيّانُ للصَّلُوليِّ: لم أَرَ في النّاسِ للنَّجْوَةِ أُهْبَةً ولا في الخير رَغْبَةً. قال: يا أبا المُهَلَّب، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾[التّوبة:٤٦][٢]، إنَّهُ مَنْ يُرِد الدِّينَ يَأْخُذ له أُهْبَتَهُ ويُعِدّ له عِدَّتَهُ.

(١) سقطٌ في المخطوط قدر كلمة.

(٢) كرّر في المخطوط بالآية قوله: «له» وَهْماً.

ابنا مُطَرِّفٍ

هما عليّ وأحمد ابنا مُطَرِّف بنِ شهابٍ.

سَمِعْتُ أَخْبارَهما وأنا غُلامٌ، وذَهَبَ عَنِّي أَكْثَرُها إلّا أنّه لم يذهبْ عَنِّي أَنِّي أُخْبِرْتُ بأَنَّهما كانا مِنْ عُبّاد الزّيديّة وعُلَمائها الأَفاضل، وناهيك أَنَّهما ابنا مُطَرِّفٍ وتَخْرِيْجُهُ، وابنا بنتِ الشّيخِ الصّالحِ إبراهيمَ بنِ الرَّيّان، وتِرْبا إبراهيمَ[٢٥٠] بنِ أبي الهَيْثَم والحسينِ وعليّ ابْنَي عبدِ الحميد الخلطيِّ ونُظَرائهم مِنْ أَوْلاد الطَّهارة والعِبادة.

وكان عليٌّ رحمه الله ممّن طالتْ إقامتُهُ بمَدَر مِنْ مَشْرِق حاشِد، وصار أحمدُ إلى أَرْض بني شِهابٍ مُدَّةً وبها قُتِلَ رحمه الله؛ قَتَلَهُ محمّدُ بنُ حاتم بنِ الغُشَيمِ اليامِيُّ المُتَغَلِّبُ على صَنْعاء بمسجدٍ بكُشَر أو بيت قَرِن مِنْ قُرَى المَعْلَل في آخَرِ ليلٍ أو وقتِ صَلاةِ الفَجْر، وقد بات يَعْبُدُ الله تعالى وأَصْبَحَ يَعْبُدُهُ. وكان هذا الظّالِمُ قد صَبَّحَ القريةَ غازياً، فظَفِرَ بأَهْلِها وساءَ أَثَرُهُ فيها. فصار أحمدُ رحمه الله في عِدادِ الشُّهداء الّذين يُغْبَطون بالفَوز عند الله.

وكان عليٌّ رحمه الله مشهوراً بالعِفَّةِ والوَرَع والزُّهْد والعِبادة والبَصَر بالكلام في أُصُول الدِّين والمُجادلة للخُصَماء فيه لا يكترثُ لمُفاجأَةِ خَطْبٍ في ذلك، ولا يَهابُ مُتَكَلِّماً وإنْ كان مُدِلًّا بالجِدالِ أو بالفِصاحةِ، أو نحو ذلك.

أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله قال: اجتمعَ عليُّ بنُ مُطَرِّفٍ ومحمّدُ بنُ حُمَيْدٍ بَعْدَ فِراقِهِ للزّيديّة ووَقِيْعَتِهِ فيهم، ومُكاشَفَتِهِ لهم بالعَداوَةِ عند الحسينِ بنِ المنصور بنِ الحسين بنِ المُنْتاب، وهو يومئذٍ يلي أَمْرَ جبل مَسْوَر وشيئاً مِنْ نواحيه= فأرادَ ابنُ حُمَيدٍ أَنْ يَغُضَّ مِنْ ابنِ مُطَرِّفٍ بحَضْرةِ ذلك السُّلْطانِ، ويَقَعَ في الزّيديّة، فسَلَكَ طريقَ المَنِّ والفَخْر فقال:

ذَبَّيْتُ عنكم بِلِساني وقَلَمي، وفعلتُ وفعلتُ، وأَوْسَعَ في هذا الباب. فأَقْبَلَ عليه عليٌّ ﵀ بجُرْأَةِ قَلْبٍ وحُضُورِ ذِهْنٍ وقال: لا تُكْثِرْ، فإنّك فَخَرْتَ بأَمْرَينِ، وإنَّ الله تَبارَك وتعالى أَعْطَى نَبِيَّهُ، صلّى الله عليه، كُلَّ فَضْلٍ وعَلَّمَهُ كُلَّ عِلْمٍ، وأَمَرَهُ بمَكارِمِ الأَخْلاق كُلِّها، فلم يَكُونا في شيءٍ مِنْ ذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[يس:٦٩] وقال: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾[العنكبوت:٤٨]. فانْقَطَعَ ابنُ حُمَيْدٍ وانْكَسَر.

أبو القاسمِ الرَبَّعيُّ

هو أبو القاسمِ بنُ أحمد الرَبَّعيُّ.

أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة الأَفاضل، وذَوي العِلْم[٢٥١] والعِبادة والوَرَع والصَّلاح منهم. وكان ينزلُ مِنَ البَوْن الأَسْفَل مِنْ بلد هَمْدان بنَحْوِ رَيْدَة، ويَنْزل بناحية بَلَدِ الصَّيَد، وكانت تحتَهُ أُخْتٌ لعليِّ بنِ حَرْبٍ، رحمهما الله، وكانا مِنْ ذَوي الأُخُوَّة الصّادقة في الله والمُعاوَنة على رِضْوانه.

وكان مِنْ فُصَحاء الزّيديّة وشُعَرائهم وأَهْلِ القراءةِ لكتابِ الله، والقاضي كان بَرَيْدَةَ أحمدَ بنَ أبي القاسم ابنَهُ مِنْ أُخْتِ عليِّ بنِ حَرْبٍ، ونَشَأَ في تَأْدِيْبِهما، وكان جامعاً لفُنُونٍ مِنَ العِلْم لم تجتمعْ لغَيْرِه.

وآلُ الرَّبَعيِّ هؤلاءِ مِنْ بُيُوتاتِ العِلْم والشِّعْر ببلادِ هَمْدان إلّا أنّهُ لم **يُقَيِّدْ** شَيْطانَ الشِّعْرِ بقَيْدِ الخَشْيَة، ويَزُمَّ اللِّسانَ بزِمامِ الوَرَع، ويَفْثَأْ[(١)] حِدّةَ النَّشاطِ المُعْتَرية للشِّعْر الخَوفُ لله، ويَقْمَعْ وَثَباتِ الهَوَى الفارِطةَ بهم عَنِ حدود[(٢)] الله بمَقْمَعَةِ الذُّلِّ لله= **أَحَدٌ** منهم كأبي القاسم بنِ أحمد.

فقد كان ممّن يُنْسَبُ إلى آلِ الرَّبَعيِّ عِدَّةُ شُعَراء -لا أَدْري ما قَرابَتُهم مِنْ أبي القاسم ﷺ- صَحِبوا الصُّلَيحيِّين والشَّهاريِّين، لهم فَصاحَةٌ وأَدَبٌ ظاهرٌ، اشتروا به ثَمَناً قليلاً، وآثَروا الفاني على الباقي؛ منهم يحيى بنُ محمّدٍ الرَّبَعيُّ، وكان ينزل أَكانِط مِنْ مَشْرق حاشِد

---

(١) **يَفْثَأُ**: يُسَكِّن ويُفَتِّر؛ التّاج: (ف ث ء).

(٢) في المخطوط: «عن الله حدود الله» بتكرار لفظ الجلالة: «الله».

مِنْ هَمْدان، وكان مَدّاحاً لعليِّ بنِ محمّدٍ الصُّلَيحيِّ، يُظْهِرُ في أَشْعارِهِ صِدْقَ ضَمِيرِهِ فيه، وكأَنَّهُ كان يَرَى رَأْيَهُ ويُرِيْهِ ذلك مِنْهُ، وأَشْعارُهُ قد توجد في دَواوينِ مَدائحِ الصُّلَيحيِّين وأَخْبارِهم، وهي مِنْ طبقةٍ جَيِّدَةٍ لا تُعاب.

وممّن صَحِبَهم وعاشَ في أَكْنافهم -فيما بَلَغَني- إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمّدٍ الرَّبَعيُّ، وبَلَغَني أَنَّهُ كان أَدِيْباً لُغَويًّا شاعِراً، وأَنَّهُ كان مُؤَدِّبَ بعضِ أَوْلادهم؛ وهو صاحبُ القصيدةِ الّتي نظم فيها كثيراً[1] مِنْ كتابِ الخليل المعروف بكتاب **(العَيْن)** المُلَقَّبَة بـ**(قَيْد الأَوابِد في الغَرِيب)**، وهي الّتي أوّلها[٢٥٢]: (مِنَ مجزوء الهَزَج)

أَجِيْبُوا يا ذَوي التَّلْخِيْـ ... ـصِ في الآدابِ مَنْ يَسْأَلْ:
عَنِ الفَيْهَقِ والعَوْهَـ ... ـقِ والعُنْجُدِ والعَيْهَلْ؟

ومفرّحُ بنُ أحمدَ الرَّبَعيُّ القاضي الأديبُ الشّاعرُ وأَظُنُّهُ أَخاً لأبي القاسم بنِ أحمد، وكانت صُحْبَتُهُ للأَشْرافِ الرَّسِّيِّين بشَهارَة، وهو مُصَنِّفُ **(سِيْرَتِهم)** وله فيها مِنَ الأَشْعار ما يُسْتَحْسَنُ ويُسْتَجاد. وكانتْ صِناعةُ قومٍ مِنَ آلِ الرَّبَعَيِّ تعليمَ القرآنِ، فأَكْرِمْ بها صِناعةً إذا لا بُدَّ مِنَ الصَّنائع.

وأَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم ﵀ قال: كان بالبَرَوِيَّةِ مِنْ ناحيةِ أَرْضِ بني شِهابٍ ومِخْلاف ذي جُرَة مُعَلِّمٌ مِنْ آلِ الرَّبَعيِّ -زَلَّ عَنّا اسْمُهُ- حَسْنُ التّأدية والتّرتيب والتَّدْبير في تَعْليم القرآن وتَخْريج الصِّبْيان، فدَخَلَ عليه قومٌ فأَعْجَبَتْهم طريقتُهُ، وسَرَّتْهُم سِيْرَتُهُ، فسأَلُوهُ أَنْ يَصْحَبَهم إلى مَساكنهم، ويُؤَدِّبَ لهم أَوْلادهم، فأَبَى عليهم، واعْتَذَرَ إليهم في ذلك. فرأَوا صَبِيًّا ممّن معه فأَعْجَبَهم أَدَبُهُ، وسَرَّتْهم قِراءتُهُ، فسأَلُوهُ أَنْ يَبْعَثَهُ معهم للتّعليم. فقال: لا يَصْلُحُ. قالوا: أَلَيْسَ يَقْرَأُ القرآنَ ويُجيد؟ قال: بلى. قالوا: أَيُحْسِنُ يَقْرَأُ ولا يُحْسِنُ أَنْ يُعَلِّم؟ قال: هذه منزلةٌ ثانية غيرُ تلك. يُريدُ أنّه ليس كُلُّ مَنْ تَعَلَّمَ يُحْسِنُ أَنْ يُعَلِّم.

(١) في المخطوط: «كثير» من غير نصب.

قال عَليان بن إبراهيم رَحِمَهُ الله: كان أبو القاسمِ بنُ أحمدَ الرَّبَعيُّ عَمِلَ ماجِلَ القَراوِدِ مِنَ الصَّيَد، قدِ اجتمعَ إليه النّاسُ لذلك، فكان يَرْفِقُ بهم ويَلِينُ لهم ويُحْسِنُ خُلُقَهُ ويَسْتَجْلِبُ نَشاطهم بما أَمْكَنَهُ، وربّما يَرْتَجِزُ فيطْرَبون لرَجَزِه، وكانوا يَرْتجُزون أيضاً، ويَغُضُّ عنهم، وكان فيهم رَجُلٌ يُقالُ له: أبو بُرَيْه، فأَكْثَرَ في ذلك حتّى آذاهُ فَقالَ: (من مشطور الرَّجَز)

أَهْلَكْتَنا، يا با بُرَيْهٍ بالزَّمَلْ

ولَسْتَ بالوارِدِ في حِيْنِ العَمَلْ

و«الزَّمَل» عندهم: الرَّجز مِنَ الشِّعْر. فأَخَذَ ذلك عنه بعضُ فِتْيانهم، وكأَنَّهُ شَمَت بأبي بُرَيْه، فأَكْثَرَ في ذلك ... وأذى به[1] [٢٥٣] فلَزِمَهُ حتّى ثَقُلَ، فقال أبو القاسم: (من مشطور الرَّجَز)

أَهْلَكَكَ اللهُ هَلاكاً عاجِلا

لولا ازْدِمالي ما رَأَيْتَ الماجِلا

يريد: «المَأْجَل»، وأَهْلُ اليَمَن يَتَلَفَّظون به بكَسْر الجِيْم، وأَصْلُهُ (مَفْعَل) بفَتْحِ المَيْم والعَيْن؛ وهكذا جاء في (**ديوان الأَدَب**).

قال: وذَبَحَ أبو القاسمِ لهم كَبْشاً فلمّا أَكَلُوهُ جَعَلُوا يَعْمَلُون، وفيهم ثلاثةُ فِتْيَةٍ كُلُّهم اسْمُهُ عَليٌّ، فكأَنَّهُ رَأَى فَتْرَةً منهم، أو طَلَبَ أَنْ يَسْتَزِيْدَهم في العَمَل، فقال: (من مشطور الرَّجَز)

أَيْنَ عَليٌّ وعَليٌّ وعَليْ

أَيْنَ الّذِيْنَ أَكَلُوا لَحْمَ الطَّليْ؟

فَنَشَطَ كثيرٌ لذلك. و«الطَّلي» عندهم: الفَتيُّ مِنْ أَوْلاد الضَّأْن إلى الجَذَعِ والثَّنيِّ، أو نحو ذلك.

---

(١) ثمّة كلمةٌ ممحوّة مكان النّقاط بالمخطوط، على أنّ ما بقي منها يحتمل أن يُقرأ: «مزحًا وأذى به» ويحتمل غير ذلك.

وأَحْسِبُ أَنَّ مِنْ أَوّلِ مَا كانوا ابْتَدَؤُوا به في رَجَزِهم يومئذٍ قولُ القائل: (من مشطر الرَّجَز)

يا رَبِّ إِنّا نَتَقَوَّى بِالزَّمَلْ

فاغْفِرْ لَنا إِنْ كانَ في القَوْلِ زَلَلْ

وهذا مِنْ رَجَزٍ، أَحْسِبُهُ قديماً.

وأَخْبَرَني عيسى بنُ داودَ الزَّيْديُّ، وكان مِنْ أَهْلِ الصّلاة، وظاهرَ الخيرِ مِنَ الزّيديّة، وممّن تَثِقُ بحديثه؛ قال: قال لي ابنُ عمّي أيّوبُ بنُ محمّدٍ -وكنتُ أعرفُهُ يَقولُ بالاخْتِراع، ويَغْلو في حُبِّ أَهْلِهِ وبُغْضِ مُخالِفيهم، ثمّ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ ذلك وتابَ منه، واعْتَذَر إلى مَنْ قَدَرَ على الوُصُول إليه مِنَ **المُطَرِّفيّة**[1]، وتَحَلَّلَ منهم- قال عيسى: فقال لي أيّوب: سَأَلَني إِسْحاقُ بنُ أحمد بنِ عبد الباعث بَعْدَ كِبَرِهِ، وهو بصَعْدَة عَنْ أحمدَ بنِ أبي القاسم بنِ أحمدَ الرَّبَعيِّ، وكان يَقْضي يومئذٍ بين النّاس برَيْدَة، فأَخْبَرْتُهُ عنه ووَصَفْتُه لهُ بما هو أَهْلُهُ مِنْ دِينٍ وعِلْمٍ بالفِقْهِ واللُّغَة والحِساب، وغيرِ ذلك مِنَ العُلُوم. فأَعْجَبَتْهُ صِفَتُهُ ثمّ قال لي: فهَلْ سَمعتَهُ يَذْكُرُ، فيما وَقَفَ عليه مِنْ تَصانيفي، فيما بَيْنَنا شيئاً؟ فقلتُ: نعم، رَأَيْتُهُ يَسْتَقْبِحُ تَلْقِيبَكَ لهم بالطَّبيعيّة والرِّزْقيّة، ونحو ذلك، ويرى أَنَّ ذلك نَقْضٌ[٢٥٤][2] للأَخْيارِ. قال: فإنّي أسأَلُكَ أَنْ تَسأَلَهُ أَنْ يَحُكَّ، ما يَجِدُ مِنْ ذلك عَنّي، ويُمِيتَهُ.

---

(١) هذه الموضع الوحيد الّذي ذُكرت فيه: «المطرّفية» بالكتاب كلّه.

(٢) قوله: «نقض» بالضّاد المعجمة، ثمّ أعادها مرّة أخرى في بداية الصّفحة الّتي تتلوها بالصّاد المهملة، ولعلّه تكرار لكلمة «نقص» على المعهود منه فيما الزّيادة.

الشّيخُ ابنُ رِفادٍ

هو محمَّد بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ.

أَصْلُهُ مِنْ أَهْل صَنْعاءَ الّذين صاروا إلى شِبام، ثمّ انْتَقَلَ إلى وَقَش وبها مات رَحِمَهُ اللهُ في صَفَر سنةَ أربعَ عشرةَ وخمس مئة.

ونسبُهُ في بني قُشَيرِ بنِ كعب بنِ ربيعة بنِ عامر بن صَعْصَعة، وكان مؤمناً خَيِّراً فاضلاً، صَبُوراً على تَعْليمِ الأَحْداث والعَوامِّ والمُبْتدئين لأُصُول الدِّين جُمَلاً وجَوامعَ وتَفْصيلاً.

تَعُدُّهُ الزّيديّةُ أَحَدَ كبارها المُقَدَّمين وعُلَمائها الصّالحين، وكذلك كان.

وقد أَدْرَكتُهُ وصَحِبتُهُ وسمعتُ منه وتَعَلَّمتُ كثيراً ممّا نَفَعَني اللهُ به في دِيْني.

وكان نَسِيجَ وَحْدِهِ في حِفْظِ أَخْبار الزّيديّة باليَمَن وغيرِهم غايةً في ذلك، بل آيةً.

وكان رَحِمَهُ اللهُ حياةَ كثير مِنَ النّاس بكثيرٍ ممّا يسمع مِنْ ذلك منهُ فيُقْتَدى ويُنافَسُ في الخير ويُرَغِّبُ في اللَّحاق بآلِ الله سبحانه. ولو أنّي اسْتَوفيتُ قِسْطي مِنَ الخير لكُنْتُ كتبتُ عنه ما أَسْمَعُ مِنْهُ كُلَّه لكنّي انْخَدَعتُ لطُولِ الأَمَلِ والتَّرَجّي لغَدٍ فَغَدٍ حتّى فاتَني به ما لا تُسْتَدْرَكُ معهُ الفَوائت، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمدُ لله على ما وَهَبَ، وسَلامٌ على عبادِهِ الّذين اصْطَفى.

وأَخْبَرَني رَحِمَهُ اللهُ قال كان أوّل مَنْ قَدِمَ مِنْ آبائي اليَمَنَ قَدِمَ إلى صَنْعاء –وأَحْسِبُهُ قال: كان مِنْ أَعْراب بني قُشَير مِنْ أَهْل اليَمامة أو مِنْ أَهْل الفَلَج[1]– فلمّا رَأى الصَّومَعَتين

(١) انظر معجم البلدان: ٤/ ٢٣٣.

بجامع صَنْعاء قال: أَيْش[(١)] هاتان المُطَوْلَلَتان؟! فكان أَهْل صَنْعاء يُعِيدون علينا قولَهُ ذلك على وَجْهِ المُزاح والتَّذْكير بالبَداوَة والجَفاء الّذي يُوجَدُ في الأَعْراب.

وكان ﵀ في شِبام قائماً بكثيرٍ مِنْ أَمْرِ المسلمين، ونَفَعَ مَنْ بها ومَنْ يَرِدُها مِنْ إِخْوانِهِ، كثيرَ العَون في الله[٢٥٥] والنُّصْرة على أَعْداء الله، والمُظاهرة لأَوْلياء الله مِنْ حيثُ يستطيع.

فلمّا قَدِمَ وَقَش صار مِنْ أَقْومِ القائمين بها بذلك، ويَتَفَقَّد الضّيفَ والغَريب وذَوي الحاجة، والنَّظَر في أَمْر الوافدِ والمُتَعَلِّمين، والنَّظَر في صَلاحِ مساجدها ومَطاهرها ومجالسها وسائر مَصالح الإسلام بها. وكان صَيْقلاً للسُّيُوف وغيرِها، يَخْرِزُ الجُلُود ويُجَلِّدُ الدّفاتر ونحو ذلك، فكان غنيًّا بذلك مع القَناعة والزُّهْد، لا يَعْدَمُ منه النّاسُ نَفْعاً، ولا يخافون منه مُؤْنَةً.

أَخْبَرَني ﵀ قال: كان أحمدُ بنُ عبد الصّمد الحواليُّ يلي القضاءَ بشِبام أيّامَ سليمانَ بنِ عامر بنِ سليمان بنِ عبد الله الزَّواحيِّ وسُلْطانه بها، وكان يُظْهِرُ اعْتِقادَ الزّيديّة وكانتْ وُلايتُهُ للقضاء مِنْ قِبَلِ الزَّواحيّين وعلى رَأْيهم يومئذٍ فيما أَحْسِب، قال: فأَتَيْتُ مجلسَهُ لأَمْرٍ اضْطُرَّني فشاهدتُهُ وقد حَكَمَ بحُكْمٍ يُخالفُ فيه مذهبَ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، فأَنْكَرْتُ ذلك عليه، وقلتُ: يا سبحانَ الله، تَقْضي بشيءٍ لا يجوزُ في اعْتِقادك ولا على رَأْيِ إمامِك. في كلامٍ نحو هذا. فقال: وَيْحَك، أَخافُ على رَأْسي! فقلتُ: وَيْحَك، أَتَخافُ على شِبْرٍ منك مِنَ السَّيْف وتَسْمَحُ بجَمِيْعك للنّار! فبُهِتَ وتَحَيَّر. ثمّ انصرفتُ عنه. فلم يُرَعْ ﵀ لكونِهِ قاضيَ سُلْطانٍ جَبّارٍ وذا هَيْبةٍ في ذلك الزّمانِ وجاهٍ وقَدْرٍ جليل عند أَهْلِ

---

(١) **أَيْش**: أَصْلُها: أَيُّ شيءٍ، ولجَرَيانها على الأَلْسِنة وكَثْرة استعمالها خُفِّفت بالحَذْف، نحو (حاشَ لله) في (حاشا لله)، ونحو (سَوْ ترى) في (سوف ترى) ونحو (ولا جَرْ) في (ولا جَرْم)، وغير ذلك، والحَذْف كثيرٌ في كلامهم؛ انظر التّاج: (ج ر م).

الدُّنْيا، ولا تَوَقَّفَ على الإِنْكار عليه لله تعالى والوَعْظ له بأَوْجَزِ مَوْعِظَةٍ وأَبْلَغِها.

وما فاتَني منه ومِنْ أَخْبارِهِ المُفيدةِ عِظَةً وأَدَباً وفِقْهاً وتَوحِيداً وكثيراً مِنْ وُجُوهِ الخير ما مثالُهُ ما أَخْبَرَنا به ﵀ قال: كان بصَنْعاء، في زمانٍ قريب مِنْ زمانه أَدْرَكَهُ أو كادَ، غُلامٌ عابدٌ مِنْ أَحْداثِ الزّيديّة قَويُّ الإخلاص لله صادقُ السِّرِّ فيما بينه وربِّهِ سبحانه، وكان إِسْكافاً يَعْمَلُ لبعضِ كِبار الأَساكِفَةِ في دُكّانِهِ بأُجْرَةٍ يَأْخُذُها منه. قال: فكان لا يزالُ يَتَعاهدُهُ النُّعاسُ في نَهارِهِ حتّى يَخْفِقَ برَأْسِهِ مِنْ شِدّة ذلك ولا[٢٥٦] يزالُ صاحبُ الدُّكّان يَصِيحُ بِهِ، ويَرْفَعُ صوتَهُ عليه، ويَشْتَدُّ غَيْظُهُ لذلك، ويَسْأَلُهُ عَنْ شأْنِهِ وما سببُ ما هو فيه، فيرْفقُ بِهِ ويُداريْهِ في الجوابِ ويَعْتَذرُ إليه ويُدافِعُهُ عمّا عنده.

وكان قد بَقيَ للغُلامِ أُمٌّ فأَتاها الإِسْكافُ صاحبُ الدُّكّان، فكَلَّمَها وشكا عليها ما يَرَى مِن ابْنِها، وأَنَّهُ قد شَقَّ عليه ذلك مِنْهُ، ولا يُحِبُّ مُفارَقَتَهُ، وسأَلَها هل يَنامُ أم لا؟ فقالت: لا أَدْري إلّا أَنَّهُ لا يزال صائماً، فإذا كان اللّيلُ أَفْطَرَ على بعضِ قُوتِهِ وأَخَذَ بعضَه وخَرَجَ عَنّي، فلا أَراهُ حتّى الصُّبْح. قال: فوَقَعَ في نَفْسِ الإِسْكاف مِنَ الغُلامِ شيءٌ، فرَصَدَهُ في ليلةٍ مِنْ لياليْهِ، فلمّا دَخَلَ الغُلامُ إلى أُمِّهِ أَمْهَلَهُ حتّى إذا خَرَجَ سار خَلْفَهُ حيثُ يَسِيرُ، واحْتَرَزَ مِنْ أَنْ يَراهُ جَهْدَهُ، قال: فسَلَكَ الغُلامُ شارعاً مِنْ شَوارعِ صَنْعاء حتّى انتهى إلى عَجائِزَ وأَرامِلَ مِنْ فُقَراءِ النّاسِ، فتَصَدَّقَ عليهنَّ بما حَضَرَهُ، وقَسَمَ بينهُنَّ باقي طعامِهِ. ثمّ سارَ والإِسْكافُ يَتْلُوهُ حتّى خَرَجَ مِنْ عِمْران القرية إلى [أَنْ](١) أَتَى الغَيْلَ البَرْمَكيَّ فتَوَضَّأَ، ثمّ سار إلى أَنْ دخلَ المسجدَ المعروف هناك بمسجدِ الحُرَّةِ أَسْماء بنتِ شهابٍ الصُّلَيحيَّة، فقامَ يُصلّي، فلم يَزَلْ يُصلّي ليلتَهُ، والإِسْكافُ يَنْظُرُ إلى أَنْ طَلَعَ الفَجْرُ فصَلَّى صلاةَ الصُّبْحِ. وانصرفَ الإِسْكافُ ورَجَعَ الغُلامُ إلى صَنْعاء فالْتَقَى هو والإِسْكافُ على دُكّانِهِ فأَخَذا في العَمَلِ الّذي كانا يَعْمَلانِهِ إلى أَنْ أَتَى الغُلامَ النُّعاسُ الّذي يَعْتادُهُ،

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين كُتب بخطّ مخالفٍ صغيرٍ تحت حرف الجرّ: «إلى».

فجَعَلَ يَخْفِقُ برَأْسِهِ تارةً بعد أخرى، ويُدافِعُ ذلك ما أَمْكَنَهُ. فلمّا رَأَى ذلك منه الإِسْكافُ صاحبُ الدُّكّانِ قال: يا حبيبي، إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَنامَ فنَمْ، بارك الله لك في ذلك. قال: فامْتَنَعَ الغُلامُ مِنَ النّوم، واسْتَنْكَرَ ذلك منه، ولم يَدْرِ ما سبَبُهُ. فأَحْسِبُهُ قال: فلَبِثَ الغُلامُ يسيراً مِنَ الوقتِ ثمّ عاد إلى ما كان عليه مِنَ النُّعاسِ ومُطالَبَةِ النّوم له، فأَعادَ عليه الإِسْكافُ مثلَ قوله الأوّل، فسألَهُ الغُلامُ[٢٥٧] عَنْ سببِ ذلك منه، وما الّذي دَعاهُ إلى أَنْ يَسْمَحَ له بما كان يَمْنَعُهُ مِنَ النّوم، ويَشقُّ عليه ويَسْتَثْقِلُهُ منه؟ فأَخْبَرَهُ الإِسْكافُ الخبرَ في رَصْدِهِ له واتِّباعِهِ له إلى الأَراملِ وإلى مسجد الحُرَّةِ، وما رَأَى مِنْ صَدَقَتِهِ وصَلاتِهِ، وأَخْبرته أُمُّهُ مِنْ صَومِهِ. فلمّا عَلِمَ الغُلامُ أنّ ما كان بينَهُ وبين رَبِّهِ قد ظَهَرَ للمخلوقين، واطَّلَعَ عليه غيرُهُ تعالى كَبُرَ عليه ذلك وساءَهُ، فلمّا أَعادَ عليه الإِسْكافُ الأَمْرَ له بالنَّومِ اضْطَجَعَ، كأَنّه يُريدُ النّوم، ثمّ قال: إلهي وسَيِّديّ، إِنْ كنتَ رَضِيتَ عَنِّي بما كان مِنْ عَمَلي، وتَقَبَّلْتَهُ مِنِّي وغَفَرتَ لي، فاقْبِضْني إليك السّاعة. قال: فما قامَ مِنْ مَضْجَعِهِ ذلك. ولـمّا طالَ على صاحبِ الدُّكّان نومُهُ وأَنْكَرَهُ نَظَرَ فإذا هو مَيْتٌ، فقام في جَهازِهِ حتّى واراهُ في قَبْرِهِ، رحمةُ الله عليه.

فهذا الخبرُ على حُسْنِهِ وقُوّةِ وَعْظِهِ وعجيبِ كونِهِ، في مِثْلِ ذلك الوقت مِنْ أَخْبارِ مَنْ بصَنْعاء، مع انْطِماسِ مَعالِمِ الخير، وتَغَلُّبِ الضّالِّين عليها، وتَمَلُّكِ الجائرين المُفْسِدين= نادرةً غَريبةً عجيبةً، فاتَنا الزّمانُ بمِثْلِها منه.

وعَسَى أَنْ يُقَيِّضَ اللهُ تعالى وُجُودَ مَنْ أَدْرَكَ منه وحَفِظَ عنه مِثْلَها أو نحوها، إن شاء الله.

وكان محمّدٌ رحمه الله قويَّ الوَرَعِ، دقيقَ النَّظَرِ في أَمْرِ دينِهِ قَوْلاً وعَمَلاً واعْتِقاداً، وكانَ لَهُ أَخٌ يُقالُ له: إبراهيمُ، كان إلى الضَّعفِ عَنْ طبقتِهِ، فرَأَتْ منه الزّيديّة نحو ذلك، فكَرِهَتْ جِوارَهُ، وقد كان لأَهْلِ السَّبْقِ على المكان بوَقَش شُرُوطٌ معروفةٌ مشهورةٌ على مَنْ

يُجاوِرُهم، وذِمَمٌ مِنَ القبائل الّتي حولهم مِنْ بني شِهابٍ وبني مَطَر وحُرْثان وغيرهم على النُّصْرة لهم على مَنْ يَتَغَلَّبُ عليهم في دارِهم ممّن يَكْرَهُون جِوارَهُ، فكانوا قد أَخْرَجُوا أَنْفاراً عَنْ جُوارِهم، منهم إبراهيمُ هذا، فصار إلى موضعٍ أَعْلى مِنْ وَقَش في رَأْسِ شِعْبِها، يَسْكُنُهُ بنو قَيْس مِنْ بني مَطَر، يُقالُ له: بَين[1] عُرّين.

قالَ محمّدٌ: فأَقْبَلْنا راجعَين أنا وأخي ذاتَ يومٍ مِنْ سُوق لُدان إلى وَقَش، وقد صَحِبْنا محمّدُ بنُ إبراهيمَ الصَّبَريُّ إليها وأحمدُ وحمزةُ ابنا المُعَمَّر بن أبي الهَيْثَم بن أبي الدُّعَيْس بنِ محمّد بنِ سَلَمَةَ الشِّهابِيّانِ، وكانا يُريدانِ الإقامةَ بوَقَش للتَّعَلُّم والاسْتِرْشادِ، وكانا قدِ اسْتَصْحَبا ما يحتاجانِ[2] إليه للطُّهُور والصّلاة، والتَّوَقِّي مِنَ البَرْد والحَرِّ وغير ذلك، وفيما معهما[٢٥٨] زرْبُونان[3] يَحْمِلانِهما. فقالَ أخي لأحدهما: ما تُريدان بالزّرْبُونين يا سلطان؟ قالا: للتَّوقِّي مِنَ البَرْد والشّقق على أَقْدامنا. فقال مازحاً مُعَرِّضاً بابنِ الصَّبَرِيِّ: أَحِبّا الحسينَ بنَ القاسم تَأْمَنا مِنْ ذلك. قال: فأَصْغى إليه ابنُ الصَّبَرِيِّ كالمُعْجَبِ بقَولِهِ، وكان مُنْخَدِعاً لهذه الأَقْوالِ ونحوها. قال محمّدٌ: فخشيتُ أَنْ يَحْفَظَ ابنُ الصَّبَرِيِّ الكلمةَ ويُرْجِفَ بها ويَجْعَلَها مِنْ عُدَّتِهِ لمذهبه، ويَزْدادُ بها شَرًّا. فقلتُ لأخي مُسْمِعاً لابنِ الصَّبَرِيِّ: لو كان هذا يَصِحُّ لَـما كانتْ رِجْلا محمّدٍ -يعني ابنَ الصَّبَرِيِّ- على ما تَرَى مِنَ الشُّقاق! وقد كان برِجْلَيْهِ شيءٌ مِنَ التَّشَقُّق مُنْكَرٌ، فكأَنَّهُ ارْعَوَى.

فكانَ هذا وَرَعاً مِنْ محمّدِ بنِ إبراهيم بنِ رِفادٍ، رحمةُ الله عليه، وحِراسةً لذلك الموطنِ مِنَ اللَّعِبِ، وللدِّين مِنْ أَنْ يُدْغِلَ فيه مُدْغِلٌ بحَضْرَتِهِ، ومِنْ أَنْ يكون بحيثُ يسمعُ دُخُولَ ظَنٍّ أو وَهْمٍ مَكْروهٍ في قَلْبِ جاهلٍ يُمْكِنُهُ إخراجُهُ منه أو دَفْعُهُ عنه. ولعلّ قائلاً يَقُولُ: وهل كان مثلُ هذا القَدْرِ مِنَ الكلام ممّا يُخافُ قَبُولُهُ مِنِ ابنِ الصَّبَرِيِّ على أَنَّهُ

---

(١) قوله: «بين ...» آخره نون، كذا بالمخطوط.

(٢) في المخطوط: «ما يحتان».

(٣) **الزّرْبون** والزّرْبول: ما يُلْبَسُ في الرِّجْل، مولَّدة؛ التّاج: (ز ر ب ن).

مِنْ أَبْنَاءِ رِجالِ الدِّين، وممّن نَشَأَ على الدِّيانة والأَدَب والفَحْص والنَّظَر. فعلى هذا نَحْتاجُ أَنْ نُورِدَ مِنْ حِكاياتِهِ في الانْخِداعِ وقِلَّةِ التَّحَرُّزِ وضَعْفِ الحِراسة للنَّفسِ، وحكاياتِ مَنْ يَحْضُرُنا ذِكْرُهُ مِنْ أَهْلِ مذهبِهِ الّذي أَظْهَرَهُ مِنَ الحُسَيْنِيَّة ما يَدُلُّ على صحّة ما قُلْناهُ هٰهنا عَنْ محمّدِ بنِ إبراهيم بنِ رِفادٍ رَحِمَهُ اللهُ.

أَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ أبي السُّعُود بنِ أبي ثورٍ الأَيْهريّ[1]، وكان مِنْ أَبْناءِ شُيُوخ الزّيديّة وأَهْل التّربية في الدِّين، وهو يومئذٍ شابٌّ، وقد بقي إلى وَقْتِ تَصْنِيفِ هذا الكتاب، وكنّا قد تَجارَيْنا مثلَ هذا والتَّعَجُّبَ منه والتَّحَيُّرَ في قَبُولِ رِجالٍ لِمِثْلِ هذه الخُرافات، قال: كنتُ في أيّامِ الخَرِيف برَيْمَة مِنْ أَرْضِ الأَبْناءِ[2] عند صِهْرٍ لي بها، كنت أنا أَعْرِفُهُ مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ الدِّين يُقالُ له: سليمانُ بنُ سودة، فصادَفَ ذلك أَوانَ خُرُوجِ الزُّوّارِ والحُجّاج إلى مَكَّةَ والمدينة، قال: فخَرَجْتُ ذاتَ يومٍ عند طُلُوع الشّمسِ فقَعَدْتُ خارجَ القريةِ للدِّفْءِ بها، والحاجُّ يَمُرُّون بحيثُ أَرَى، فعَدَلَ منهم رَجُلٌ إلى ماء رَيْمة فتَوَضَّأَ ثمّ صلّى صلاةً -أَحْسِبُها الضُّحَى عندهم- وانْصَرَفَ، فخَطَرَ ببالي أَنْ أَعْرِفَ بِهِ ما عند ابنِ الصَّبَرِيِّ في هذه الخُرافاتِ، فكَتَبْتُ إليه -وكان في بعضِ تلك النّواحي- كتاباً أُخْبِرُهُ فيه أنّي رأيتُ أَمْراً عجيباً، وذلك أنّي كنتُ في مكانٍ كذا، فلم أَشْعُرْ حتّى صِرْتُ أَرَى[٢٥٩] شَخْصاً بعد أَنْ لم أَكُنْ أَراهُ، وإذا هو في ثِيابٍ بِيْضٍ قائمٌ يُصلّي، فبَيْنا أنا أَراهُ إِذْ صِرْتُ لا أَراهُ؛ فأُحِبُّ من تَفَضُّلِهِ -أَطالَ اللهُ بَقاءَهُ- أَنْ يُخْبِرَني ما يُقال في ذلك؟ قال: فأَتَى جَوابُهُ يَقولُ لي: الحمدُ لله الّذي أَسْعَدَهُ ووَفَّقَهُ وهَداهُ وسَدَّدَهُ، ليَعْلَمَ أَنَّ ذلك مولانا المَهْديُّ لدِينِ الله الحسينُ بنُ القاسم، صلواتُ الله عليه -في كلامٍ نَحْوِ هذا- فليَتَمَسَّكْ بحَبْلِ الدِّين، ويَعْتَصم بعُصَم المهتدين، ويَفْعَل ويَصْنَع. في كلامٍ ذَكَرَهُ.

---

(١) في المخطوط: «الأبهري»، وقد تقدّم غير مرّة بالمثنّاة من تحت.

(٢) كُتِب فوقه بالمخطوط: «سنحان» وكأنّه يريد توجيه العبارة إلى أن تصبح: «من أرض سنحان».

قالَ أَسْعَدُ: فلمّا رَجَعْتُ إلى أَهْلي كنتُ لا أَزالُ أُعْجِبُ، مِنْ كتابِهِ ذلك، مَنْ وَجَدْتُهُ يَعْجَبُ منه، وأُوْقِفُهُ عليه. فبَلَغَهُ ذلك فغَضِبَ، وكَتَبَ يُعاتِبُني كتاباً، فيه أَبْياتُ شعرٍ أوّلها:

(منَ الوافر)

أَبا حَسّانَ لَمْ فُتِشَ الكِتابُ وخُولِفَتِ المُرُوءَةُ والصَّوابُ؟[1]

قال: ولقيتُهُ بعد ذلك فقال: يا أبا حسّان، أَخْبِرْني بها رأيتَ يومَ رأيتَ الإمامَ شِفاهاً الآن. قال: فخشيتُ أَنْ أُغالِطَهُ بشيءٍ فأُعِيْنهُ على الإِرْجافِ بذلك بين العَوامِّ فقلتُ له: وَيْحَكَ، إنّما رأيتُ رجلاً يُصلّي على الرَّوْث، فهل الحسينُ بنُ القاسمِ ممّن يُصلّي على الرَّوْث؟ فارْتاعَ لذلك وسَكَت.

ونحو هذه الحكايةِ ما أَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بن حُمَيْدٍ بشَظَب -وأَحْسِبُها ممّا سَمِعَهُ مِنْ محمّدِ بنِ إبراهيم بنِ رِفادٍ أيضاً- قال: كان الحسينُ السَّرّاجُ الصَّنْعانيُّ أَحَدَ مُتَكَلِّمي الزّيديّة وذَوي المَعْقولِ منهم، وهو الّذي ذَكَرَ ابنُ حُمَيْدٍ في أُرْجُوزتِهِ الّتي أَجابَهُ عنها أبو السُّعُود بنُ زيدٍ، رحمةُ الله عليه، فاضْطُرَّ إلى الوُصُول إلى شَهارَة، وبها يومئذٍ الأميرُ محمّدُ بنُ جعفر بنِ القاسم بنِ عليٍّ الرَّسِّيُّ وأَهْلُ وَلايتِهِ مِنَ الشَّيْعة الحُسَيْنيّة، فسأَلُوهُ عَمَلَ سُرُوجٍ كانَتْ لهم أو نحو ذلك، ففَعَلَ، ولَبِثَ عندهم أَيّاماً، وربّما يَتَعَرَّضُ له بعضُهم فيَعِظُهُ ويَدعوهُ إلى القَولِ بإمامةِ الحسين وحياتِهِ ونحو ذلك، فربّما يُداريْهم ويُدافعهم عَنِ التّصريح بما عنده؛ إذْ كان لا يَرَى فيهم مَعْمَلاً[2][٢٦٠] لِما يُريدُ مِنْ تَبْيين الحَقِّ الّذي يَعْتَقِدُهُ، ولا يَقْدِرُ لهم على إِظْهارِ مُنافَرَةٍ وخِلافٍ يَيْئَسُون له منه حتّى يَدْعُوه. فاجتمعتْ له عليهم إِجارَةٌ صالحةٌ، وهَمَّ بالانْصِرافِ إلى مَسْكَنِهِ وأَهْلِهِ، فالْتَمَسَ ذلك منهم، فكأَنَّهُ رَأَى بعضَ ما لا يُريدُ مِنْ إِقْبالهم عليه، واهْتِمامهم بحَقِّهِ.

---

(١) كُتِب فوقه بالمخطوط: «كشف».

(٢) كرّر في المخطوط قوله: «معملا» بنهاية الصّفحة وبداية الّتي تتلوها.

وخَرَجَ في بعضِ أوقات الصّلوات إلى حَيْد شَعَف[1] يُقالُ له: الحَوار، بشَهارَة لقَضاءِ الحاجة، فرَأَى غُراباً كان على طَرَفِ الجبلِ أمامَهُ حين طارَ، ثمّ غَفَلَ عنه فأَسْرَعَ التَّواري عَنْ بَصَرِهِ، فخَطَرَ ببالِهِ أَنْ يُظْهِرَ لهم ما يَتَقَرَّبُ بِهِ مِنْ قُلُوبهم، وتَحْسُنُ به له عِشْرَتُهم ولِيَتَيَقَّن ما يَسْمَع به مِنْ تَصْدِيْقِهم بالكَذِب والخُرافات. فلمّا رَجَعَ إلى المُصَلَّى أَقْبَلَ على مَنْ هناك وقال: إنّي رأيتُ شيئاً مِنْ صُنْعِ الله عجيباً يَرُوعُ مثلُهُ أَهْلَ العُقُولِ والتَّفَكُّر -في كلام نحو هذا- ولقد وَقَعَ في نفسي منه شيءٌ. فارتاعوا لقَولِهِ وطالَبُوهُ بالكَشْف عمّا رَأَى فتبَاطَأَ عليهم شيئاً كالمُسْتَحْضِر لأَذْهانهم أو نحو ذلك، فلمّا قَوِيَتْ مُطالَبَتُهم له بالخَبَرِ قال: خرجتُ إلى جانبٍ مِنْ حَرْفِ هذا الجبل، فظَهَرَ لي شخصٌ في الهواء يسيرُ، وأنا أَراهُ، ثمّ غابَ عنّي، وهذا شيءٌ عجيبٌ جدًّا. فتَفَرَّقَ القومُ بذلك وأَشاعُوهُ في الجَبَل بين أَهْلِهِ، وقالوا: تابَ السَّرّاجُ وأَقَرَّ بالحسين ورآهُ. في نحوٍ مِنْ هذا القول، وبالغوا في الكلام بذلك حتّى انتهى إلى الأميرِ، وكان بخِلافِ القومِ فتَهاوَنَ بذلك، وأَعْرَضَ عنه أو نحو هذا. وبادَرَ القومُ إلى السَّرّاجِ فجَمَعُوا له ما كان له عند أَهْلِ الجَبَل مِنْ إجارةٍ فقَبَضَها. وتَزايَدَ الإِرْجافُ بتوبة السَّرّاجِ، وكَثُرَ حتّى إنّ الأميرَ أَحَبَّ أَنْ يَطَّلِعَ على ما عنده في ذلك وما سببُ ما يُقالُ إذْ كان شَكَّ في وُقُوع ذلك منه كذلك؟ وعَزَمَ السَّرّاجُ على السَّفَر فدَخَلَ عليه مُوَدِّعاً أو مُسْتَأْذِناً أو نحو ذلك، فلمّا صَلَحَ المجلسُ للكلامِ معه في الخَبَرِ عَنْ توبته، وما يُرْجَفُ به عنه في الجَبَل، سألَهُ عَنْ ذلك فقال: نعم، يا مولاي، رأيتُ شيئاً. فأَخَذَ عليه أَنْ يَصْدُقَهُ. قال: رأيتُ غُراباً يطيرُ أمامي في الهواء ساعةً ثمّ غَفَلْتُ عنه، والتَفَتُّ فلم أَرَهُ فذلك ما رأيتُ[٢٦١]. فأَحْسِبُهُ ضَحِكَ، وقال: قد عجبتُ أَنْ يكون يَجُوزُ عليك ما يَجوزُ على هؤلاء! فلمّا دَخَلُوا وَبَّخَهم وأَوْسَع في العَيْب لهم وأَخْبَرَهم بما قال السَّرّاجُ، فتَجَدَّدَتْ عَداوتُهم له، وقد اسْتَقَلَّ مُسافراً، فلم يُرَع لِما عندهم.

---

(١) الحَيْد: . والشَّعَف، .

وأَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ به مِنْ ظاهر بني صُرَيم مِنْ أَهْلِ الدِّيانة والوَرَع -ولم أَتْرُك أَنْ أُسَمِّيَه إلّا تَقِيَّةً عليه مِنْ شَرِّ أَهْلِ هذا الرَّأْي، ومَنْ يَقْبلُهُ الآنَ معهم مِنَ الأَشْراف- قال: **كان** في هِجْرةِ الشّريف يحيى [بن عيسى][1] بنِ عيّاشٍ الرَّسِّيِّ القاسميِّ أيّامَ ادّعائِهِ لظُهُور الحسينِ بنِ القاسم إليه، والخَضِر وعيسى ابن مريم عليهم السّلام، وكونهم عنده، **قومٌ** قد هاجروا إليه، وكان قدِ استعمل استعمالاتٍ، واحتالَ بحِيَلٍ قَبِلَها القومُ مِنْ عَوامِّ الحُسَيْنيَّة، ولم يلتفتوا مع ذلك إلى تَكْذيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنَ الأَشْراف والشِّيْعة، وما قالوا فيه مِنَ الشِّعْر لاسيّما أميرُ شَهارَة يومئذٍ جعفرُ بنُ محمّد بنِ جعفر بنِ القاسم بنِ عليٍّ الرَّسِّيُّ، ونحوه وآخرون مِنَ الرَّعيَّة كأحمد المعروف بالفَحّاش الشّاعر بخَمِر مِن ظاهر بني صُرَيم وغيره. وتَوالَتْ إليه الأَرْفادُ ممّن حولَهُ مِنَ القبائل، وأَتاهُ البِرُّ مِنْ أَكْثَرهم، واتَّسَعَ عَيْشُهُ وعَيْشُ شيعتِهِ. قال: فكان في هِجْرَتِهِ هذه رَجُلٌ يُقالُ له: سرح، إذا أَظْلَمَ اللّيلُ أَتَى إلى جِذْل شجرةٍ مُجَوَّفٍ فيَضربُ عليه بشيءٍ صَلِيبٍ حتّى يَعْلُوَ له صوتٌ عظيم، ثمّ يأتي فيَقُولُ: سمعتم صوتَ المَهْديِّ أم لا؟ فلم يَزَلْ كذلك حتّى فَطِنُوا له فسَقَط.

وكان ابنُ عَيّاشٍ قد وَعَدَ النّاسَ لظُهُور المهديِّ الحسينِ بنِ القاسم، وقيامِهِ بالأَمْرِ وقتاً عَرّفه إليهم بابْيِضاضِ «**المَطْو**» -يعني: عِذْق الذُّرَة، وهو سُنْبُلَتُها- وبـ«**عَلّان**». و«عَلّان» عند أَهْلِ اليَمَن: وقتٌ مِنْ آخر وقت الحَرِّ وأوّلِ وقت البَرْد، يُصادِفُ أوّله نُزُول الشَّمْس[2] آخر الأَسَد وأوّل السُّنبلة، ويشتملُ مِنَ الشُّهُور السُّرْيانيّة على أَيْلُول وأَكْثَرِ تِشْرين الأوّل. فمضى ذلك الوقتُ ولم يَرُوا شيئاً ممّا قال، فكَذَّبَهُ بعضٌ.

وكان قد أَرْجفَ له بأنّه يَشْفي العِلَل والأَسْقام بالرُّقْيَة والمَسْح بيدِهِ[٢٦٢] وبريقِهِ، ونحو ذلك، فأَتاهُ لذلك قومٌ مِنْ بلادٍ مُتَباعدةٍ، وتَوَهَّمُوا البُرْءَ في نُفُوسهم حتّى ادَّعَوهُ، ثمّ لم يتمَّ ذلك ولم يَصِحَّ منه شيء، فأَجْمَعَ النّاسُ على تَكْذيبه فسَقَطَ، وتَفَرَّقَ أَهْلُ هِجْرتِهِ تلك.

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين يتّجه به نسب الرّجل، وقد تقدّم مرّاتٍ على التّمام.

(٢) في المخطوط: «نزول ا لا لشمس».

وكان قد وَقَعَ إلى بلادنا مولًى حائكٌ -أَحْسِبُهُ مِنْ موالي ظُلَيْمَة أو مَنْ يُجاورُها مِنَ القبائل- يُقالُ له: غديرٌ، ضَخْمٌ أَسْودُ اللَّون لا عِلْمَ عندَهُ ولا دِيْنَ، وكان -فيما أَخْبَرَني بِهِ عَنْ نفسِهِ وغيرُهُ عَنْهُ- قد عَظُمَتْ منزلتُهُ عند هذا الشّريفِ يحيى بنِ عيسى بنِ عيّاشٍ وشيعتِهِ، وكان يُرْجِفُ له ويَأْتي بما يُوافِقُهُ، ويَنْصُرُ رأيَهُ ذلك، فوَقَعَ منه موقعاً رَفَعَ به منزلَتَهُ حتّى صار ممّن يُتَوَسَّلُ بِهِ إليه، ويَشْفَعُ عندَهُ، ويُقَدِّم ويُؤَخِّر. ثمّ صار إلى أَسْواق المَغْرب فشَرِبَ الخَمْرَ وقَطَعَ الصّلاةَ، واستعملَ الغِناء بنوعٍ مِنْ شِعْر العَوامِّ في بلادنا وما يُواليها، وانتهى إلى أَخَسِّ طبقةٍ في الفِسْق والخَلاعة.

وفيما ادّعاهُ الشّريفُ ابنُ عيّاشٍ مِنْ خُرُوج الحسين وقيامِهِ في وقت ابْيِضاضِ[1] المَطْو من عَلّان، يقولُ أحمدُ الفَحّاشُ الخَمْرِيُّ له ولوَزِيرِهِ غَديرٍ هذا، أَنْشَدَنِيها غَديرٌ وغيرُهُ: (من السّريع)

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي السَّلامَ الكَثِيْرْ ... يَحْيَى بْنَ عِيْسَى والمُرَجَّى غَدِيْرْ

ثُمَّ ابْنَ هَمْدانٍ حَلِيْفَ النَّدَى ... سَفِيْرَ مَوْلانا ونِعْمَ السَّفِيْرْ

قَدْ وَعَدُونا مَوْعِداً صَادِقاً ... فَصُرِبَ المَطْوُ وراحَ الشَّعِيْرْ

فكان هذا تَغاضِياً لوَعْد ابنِ عَيّاشٍ وغَديرٍ وعواضِ بنِ هَمْدان، وهو أَحدُ وُزَرائِهِ وخَواصِّهِ، فيما أَخْبَرَني غَديرٌ بِهِ مِنْ أَخْبارِهم.

ومعنى هذه الأبيات بعد أَنْ مضى وقتُ الموعد.

فكانت هذه الأبياتُ كالنِّداء[2] على كَذِبهم ونَفْخ البُوق به، وشُهْرَة فَضَحَتْهم.

وقوله: «**سَفِيرُ مَولانا**» أي: رَسُولُهُ بالسِّرِّ الخاصّ إلى الخَواصِّ، وهذه كلمةٌ تُسْتَعْمَلُ باليمن في رُسُلِ المُلُوكِ؛ المُلُوك المُعَظَّمِين عندهم وعند مَنْ أَرْسَلُوا إليه. وقوله: «صُرِبَ

---

(١) في المخطوط: «ابتضاض» وقد سلف رسمها: «ابيضاض» وهو الصّواب.

(٢) قوله: «**كالنّداء**» كذا رسمه.

المَطْو» أي: صُرِمَ، يُبْدِلُون الميمَ باءً في اليَمَن كُلِّهِ حتّى إِنَّهم يقولون في **الصِّرام**: **الصِّراب**. ويستعملون في الزَّرْعِ أيضاً.

وكَتَبَ الفَحّاشُ إلى ابنِ عَيّاشٍ وأَصْحابِهِ -أو رُوَيَتْ عنه- وبَلَغَتْ إليه هذه الأبياتَ[٢٦٣]: (من مخلّع البسيط)

أَبْلِغْ ذَوي الجُودِ والبَراعَهْ ومَنْ بِهِمْ تُرْتَجى الشَّفاعَهْ
أَبْلِغْ حُسَيْناً وصاحِبَيْهِ اقْرَأْ سَلامي على الجَماعَهْ
اقْرَأْ سَلامي على رِجالٍ حُقُوقُهُمْ عِنْدَنا مُضاعَهْ
قالوا حُسَيْنٌ وصاحِباهُ عِنْدَ ابْنِ عَيّاشَ في بُتاعَهْ[١]
يُبَشِّرُونَ المَلا جَمِيْعاً بِأَوْبَةِ الحَقِّ كَلَّ ساعَهْ[٢]

ثمّ قال: (من مخلّع البسيط)

إِنْ يَدْنُ هذا فَقَدْ طَلَعْنا مَعاً فُوَيْقَ المَلا سَناعَهْ[٣]
وإِنْ تَكُنْ مِحْنَةً صَبَرْنا وكانَ نَقْصاً على الجَماعَهْ
وسَقْطَةُ المَرْءِ يا خَليلي تَأْتي على قَدْرِ الارْتِفاعَهْ
يا رُبَّ خَبٍّ لَهُ جُزَيْعٌ صُغَيِّرٌ قَدْ مَضَى فَباعَهْ
بِأَعْنُزٍ فَوْقَها قُرُونٌ أَصْغَرُها بالِغٌ ذِراعَهْ

يريد أنّهم كانوا يأمرون مَنْ هاجَرَ إليهم ببَيْعِ مالِهِ وشِرَى المَعِزِ؛ لأنّهم كانوا في ناحيةٍ مِنْ أَسافِلِ بلاد وادِعَة الموالية لبلاد حَجُور وظُلَيْمَة، كثيرةِ الشَّجَرِ دَفِيئَةٍ وَعْرَةٍ تَصْلُحُ للمَعِز. وقوله «**جُزَيْع**»: تَصْغيرُ (جزع) ويُرادُ بها: القطعة مِنَ الأَرْض المُزْدَرَعة. وقد

(١) قوله: «**عيّاشَ**»، منعه من الصّرف للضّرورة الشّعريّة.

(٢) قوله: «**الملا**»: يريد: الملأ، وسهّل للضّرورة الشّعريّة.

(٣)في المخطوط:«**سباعه**»بالباء الموحّدة من تحت، ولا معنى له، **والسَّناعة**: مصدر سَنَعَ، يعني بذلك المبالغة في الارتفاع.

تُسمَّى إذا عَظُمَتْ عندهم «جِرْبَةً» وجَزعاً، ولا تُسَمَّى جِرْبةً إذا صَغُرَت. و«بُتاعة»: موضع.

فسارَ شِعْرُ الفَحّاشِ وصارَ أَمْثالاً تُضْرَبُ، هَتَك بها سِتْرَ القومِ لاسيّما قولُهُ:

وسَقْطَةُ المَرْءِ يا خليلي تَأْتي على قَدْرِ الارْتِفاعَهْ

وأَخْبَرَني غَديرٌ -فيما أَخْبَرَني بِهِ مِنْ حُمْقِ أَصْحابِهِ هؤلاء وجَهْلِهِم وقِلَّة التَّمْيِيز منهم- أَنَّهُ أَقْبلَ في طريقٍ مع الشّريف يحيى بنِ عيسى بنِ عيّاشٍ وأَصْحابٍ لَهُ، فإذا هم بدَفْترٍ لَطِيفٍ في الأَرْض فالْتَقَطَهُ أحدُهم وناوَلَهُ الشّريفَ -أو كان الشّريفُ هو المُلْتَقِط له- فنَظَرَ فيه فإذا فيه العَهْد الّذي يَأْخذُهُ أَهْلُ الدّعوةِ الباطنيَّة لِإمامِهم صاحبِ القاهرةِ مِنْ مِصْر على مَنْ رَغِبَ في الدُّخُول معهم فعرَّفَهم به، وأَراهم أَنَّهُ ممّا أَلْقاهُ إليه الحسينُ بنُ القاسم، وقَرَأَ افْتِتاحَ[٢٦٤] الكلامِ الّذي فيه عليهم، فاسْتَحْسَنُوهُ وطَرِبُوا له ونَشَطُوا، ثمّ قَرَأَ عليهم العَهْدَ وأَخَذَهُ عليهم لصاحِبِهِ الّذي وُضِعَ مِنْ أَجْلِهِ، باسمِهِ وكُنْيَتِهِ ولَقَبِهِ؛ فلم يَنْتَبِهوا لشيءٍ مِنْ ذلك ولا أَنْكَرُوهُ. فصارَ لا يَأْتِيهِ أَحَدٌ للدُّخُولِ معه في حِزْبِهِ وحُلُول محلِّهِ ذلك إلّا أَخَذَ ذلك العَهْد عليه.

وكان غَديرٌ قد حَفِظَ ذلك العَهْدَ الّذي في الدَّفْتر وخُطْبَتَهُ المُقدّمة حِفْظاً تامًّا، فأَرَدْتُ امْتِحانَ ما يَقولُ فأَمَرْتُهُ بِقراءةِ ذلك عليَّ، وقد كانتْ عندي كُرّاسةٌ فيها ذلك، فقابَلْتُ بينهما فإذا هو عَهْد الآمِرِ بنِ المُسْتَعلي، ولَقَبُ الآمِرِ واسمُهُ وكُنْيَتُهُ، فغَلَبَ على ظَنِّي أَنَّهُ قد كان يَرَى رَأْيَ القوم، وقَدَّمَ [مِنْ](١) خَواصِّهِ مَنْ أَلْقَى الدَّفْترَ على الطّريقِ، لِما أَرادَ مِنَ الحِيْلَة في أَخْذِهِ عليهم.

وقد كان فيمن اخْتَلَطَ بأَهْلِ الدّعوة الحُسَيْنيَّة والدّولة الشّهاريّة بَشَرٌ كثيرٌ مِنْ شِيْعة أَهْل الدّعوة الصُّلَيحيّة. ووقتُ ابنِ عَيّاشٍ هذا قريبٌ مِنْ وَقْتَ دُخُولِ الذُّويبِ بنِ

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين يتحوّجه سياق الكلام.

موسى بنِ الذّويب الوادعيِّ في مذهبِ أَهْلِ الدّعوة الصُّلَيحيَّة، وقَولِهِ بالباطن، وأَحْسِبُ داءَهُما كان واحداً.

وكان في أَهْلِ الرَّأْيِ رَجُلٌ بشَهارَة ضَريرٌ، يُعرَفُ بالبَصِير، بَلَغَني أَنَّهُ مولًى مِنْ أَهْل دَرْبِ شاكر الّذي يلي أرضَ بني صُرَيم؛ فأَخْبَرَني عنه غيرُ واحدٍ مِنْ أَهْل شَهارَةَ وغيرِهم مِنَ الزّيديّة والحُسَيْنيَّة أَنَّهُ استعمل فيهم حِيَلاً وتَدْليساتٍ ومَخاريْقَ غَلَبَ على أَكْثَرِهم حتّى إنَّ الأميرَ محمّدَ بنَ جعفر بنِ القاسم أيّامَ مُلْكِهِ بشَهارَة كان يُداريْهِ، وأَنَّهُ بَلَغَ مِنْ انْقِيادهم له أَنّهم كانوا يَأْتُونَهُ بالنّساء فيَمْسَحُ على أَجْسادِهِنَّ للتَّبَرُّك، وأَنَّهُ ربّما يَأْتُونَهُ بالمرأة الّتي لا تَحْمِلُ فيَمْسَحُ على ظَهْرها، وأَنَّ الأميرَ بَلَغَهُ منه ما يَقْبُحْ فهَمَّ بِهِ، فانْفَصَل إليه أَكْثَرُ أَهْل شَهارَة، فتَرَكَهُ.

فأَخْبَرَني الشّريفُ أحمدُ بنُ محمّد بنِ أحمد العَلَويُّ، أَحَدُ ثِقاتي المَرْضِيِّين أَنَّهُ قَدِمَ هذا البَصِيرُ في نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ للخَرِيفِ إلى المَدْحَك مِنْ بلد وادِعة[٢٦٥]، فنَزَلَ على شيخ أَهْلِ البلدِ ورئيسهم[١]، وكان يَتَوالاهُ ويُصَدِّقُهُ ويُكْرِمُهُ ويَرْفَعُ مَنْزِلَتَهُ ويُعَظِّمُهُ، ثمّ إنَّهُ أَخَذَهُ وأَصْحابَهُ إلى عِنَبٍ مِنْ أَعْنابِهِ، فقَسَمَ لهم منه لكُلِّ إِنْسانٍ شيئاً، وقَسَمَ للحسينِ وعيسى ابنِ مريمَ والخَضِرِ لكُلِّ واحدٍ جزءاً، وكان يَتولّى تَفَقُّدَ ذلك العِنَب وحِراستَهُ بنفسِهِ، فربّما يُصْبِحُ في الغَدوات يَدُورُ فيه ويَتَفَقَّدُهُ. فعَمَدَ البَصِيرُ إلى شيءٍ مِنَ المِسْك أو الزَّباد[٢] ونحوهما، فجعلَهُ في مواضعَ مِنَ الجُزءِ الّذي قُسِمَ للحسين، وعلى أوّل موضعٍ منه يطّلعُ عليه، ويقف عندَهُ أَجْوَدُهُ. فأَصْبَح هذا الشّيخُ يدورُ ذاتَ يومٍ في العِنَب وينظرُ فيه حَبْلَةً حَبْلَةً، وأَصْبحَ في الأَرْض طَلٌّ ونَدًى، فاشتدّت رائحةُ ذلك الطِّيْب، فلمّا مَرَّ به شَمَّ تلك الرّائحة، وقد عَلَتْ وقَوِيَتْ، فصاحَ بأَعْلَى صوتِهِ: أنا أشهدُ إنّك، يا حُسينُ بن امْقاسم،

---

(١) يحتمل رسمه في المخطوط: «ورسمهم».

(٢) **الزَّباد**: الطِّيبُ.

امْواحدُ امْقَهّار. فسمعَهُ النّاسُ فسألُوهُ فأخبرَهم بما شَمَّ في ذلك العِنَب الّذي للحُسين أو دعاهم حتّى شمّوا وازدادَ يَقِيْنُهُ ويَقِينُ مَنْ كان على رَأْيِهِ، وقَوِيَتْ بَصائرُهم في رَأْيِهم.

وقوله: «**امْواحدُ امْقَهّار، وامْقاسم**» يريد: القاسم والواحد والقهّار. وقد ذَكَرْنا أَنَّ وادِعَة ومَنْ والاها مِنْ بَكِيل يُبْدِلُون لامَ التّعريف مِيْماً، وهم إلى الآن على ذلك.

وبين النّاس ببلادنا وبلاد وادِعَة وبَكيل وظُلَيْمَة وعُذَر والأَهْنوم أحاديثُ تُرْوَى وتَدُورُ تَتَضَمَّنُ الخَبَرَ مِنْ غباوة[1] أَكْثَر مَنِ اسْتَجابَ لهذا الرَّأْي وقَبِلَهُ مِنْ هذه القبائل= **لو** أوردناها لأَتَتْ على أَكْثَر هذا الكتاب، وحالت بيننا وبين الغَرَضِ المقصود فيه مِنْ ذِكْر الله تعالى وذِكْر أوليائه الصّالحين مِنْ آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه وعليهم، وشِيْعَتهم الأَبْرار، رحمهم الله، واسْتَحالَ التّصْنِيفُ مِنَ الوَعْظ والتّذكير بالخَبَر إلى الهَزْل واللَّعَبِ؛ لأنّها تكون شبيهةً بما ضَمَّنَهُ أبو العبّاس السِّجْزيُّ جِرابُ الدّولة كتابَهُ[2][٢٦٦] في (**النّوادر والمُضْحكات مِنْ أَخْبار المَعْتُوهين والحَمْقى**) إلّا أَنّي أُوْرِدُ مِنْ ذلك مَثَلاً دالّاً[3] على سائر ما لم يُذْكَر منه، ومُذَكِّراً لِمَنْ عَرَفَهُ بِهِ.

أَخْبَرَني غيرُ واحدٍ مِنَ النّاس أَنَّ بعضَ المهاجرين مِنْ بني عُبَيد مِنْ وادِعَة إلى شَهارَة، وذَوي التَّدَيُّن والتَّعَبُّد منهم، دَخَلَ منزلَهُ ذاتَ يومٍ وله ابنةٌ حين بَلَغَتْ قد طَلَع ثَدْياها وكَعَبَتْ، كما يكون مِنَ الجواري بعد البُلُوغ، فأَتَى وهي تَطْحَنُ أو نحو ذلك مِنْ أَعْمال الطّعام، وقد أَخْرَجَتْ ثَدْيَها مِنْ كُمِّها، فرَأَى ثَدْيها قدِ ارتفعَ، فأَنْكَرَ ذلك وظَنَّها لا يكون

---

(١) يحتمل رسمه أن يُقرأ: «عناوة».

(٢) ذَكَرَهُ ياقوتٌ الحَمَويُّ (معجم الأدباء: ٤٥٩/١)، وذكر له كتاباً آخَرَ، فقال: «**أحمدُ بنُ محمّدٍ جرابُ الدّولة**...: مِنْ أَهْل سِجِسْتان، ويكنى أبا العبّاس، وكان طَنْبُوريًّا أَحَدَ الظُّرفاء الطّياب، كان في أيّام المقتدر وأَدْرَك دولة بني بُوَيْهِ فلذلك سمّى نفسه بجِراب الدّولة لأنّهم كانوا يفتخرون بالتّسمية في الدّولة، وكان يُلَقَّبُ بالرِّيْح أيضاً، وله كتاب (تَرْويح الأَرْواح ومفتاح السُّرور والأَفْراح) لم يُصَنَّف في فَنِّهِ مثلُهُ اشْتِمالا على فُنُون الهَزْل والمَضاحك».

(٣) في المخطوط: «مثلا لاً دالاً».

ذلك منها إلّا عَنْ حَمْلٍ بوَلَدٍ -وكان فيما أَحْسِبُ يُدْعَى جعفراً- فالتفتَ إلى أُمِّها وقد اشتدّ غضبُهُ وقال: أنا أبو الفضلين ثمّ أنا أبو الفَضلين، امْصَبِيَّةٌ قد نَشَرَتْ وأنت تُخْفين مِنّي! فقالت: إنّ النِّساء بخِلافِ البَهائم، وإِنّ البَهائم يكون لها ضُرُوعٌ ولا تَعْظُم ضَرَّةُ البهيمةِ إلّا عند قُرْبِ وُلادتها، وليس النِّساءُ كذلك. فوَثَبَ على الجاريةِ فذَبَحَها في الحال، ولم يلتفت إلى قول أُمِّها.

قوله: «**امْصَبيّة**» يريد: الصَّبيّة. وقوله: «**نشرت**»: لغةٌ تُسْتَعْمَلُ في بعض البلاد في الشّاة والبَقَرة الّتي تَرِمُ ضَرَّتُها وتَعْظُمُ ضُرُوعها للدَّرورِ عند الولادة والوَضْع لحَمْلها. كما يُقالُ: رَمَّدَتِ الضَّأْن ونحوها. و«**الضَّرَّةُ**»: لَحْم الضَّرْع؛ قال طَرَفَةُ[(١)]: (منَ الوافر)

مِنَ الزَّمِراتِ أَسْبَلَ قادِماها وضَرَّتُها مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ

ومِنْ هذه الأَخْبار الّتي هي باقيةٌ ظاهرةٌ إلى اليوم يختلف فيها، وإِنْ كَثُرَتْ، ما لا أزالُ أسمعُهُ يُعادُ في أَكْثَر الأَوْقات بين العامّة والخاصّة مِنْ أَهْل هذه المَخاليف؛ وهو أَنَّ رَجُلاً مِنْ بني صُرَيمٍ بالجراف خرج مِنْ منزلِهِ إلى مجلسِ قومِهِ فرَأَى شَهارَةَ في وقتٍ ظَهَرَ له شَخْصُها وعَظُمَتْ في عَيْنِهِ كما يكون مِنْ رُؤْيةِ الجبال في الأيّام الّتي يكون الجَوُّ فيها نَقِيًّا مِنَ القَتام والغَمام، فحَمَلَهُ حُمْقُهُ على أَنْ رَفَعَ رِجْلَهُ، وأَقْسَمَ بالله لئن يَرْكُضُ[(٢)] شَهارةَ[٢٦٧] ليَذَرْنها دَقْدَقاً. أي: دَكًّا رَمِياً. فوَثَبَ إليه أَقاربُهُ فأَمْسَكُوهُ وحالوا بينه وبين الرَّكْضِ، وقالوا: اتَّقِ اللهَ، يا أبا فلان، إنَّ ثَمَّ أَشْرافاً وشَرائفَ ومَساكين تَأْثَمُ فيهم. فوَقَفَ، وخَلَّوهُ وقد أَمِنُوا مِنْ شَرِّهِ على شَهارَة وأَهْلها.

قوله: «**دَقْدَقًا**» أي: دكًّا مُتَهَدِّماً. وكأنّه عندهم مأخوذٌ مِنْ دَقْدَقة حَوافر الدَّواب، وهي أَصْواتها عند السَّيْر. أو شبيه بـ«**الدَّكْداك**» مِنَ الأَرْض**خطأ! الإشارة المرجعية غير**

---

(١) ديوانه: ١٠٨.

(٢) قوله: «**لئن يركض**» كذا؟

معرّفة.، وأَبْدَلوا الكافَ قافاً كسائر المُبْدَلات. أو تَضْعيف «**الدَّكّ**»: وهو الهَدْم ونحوه ثمّ أُبْدِلَ، والله أعلم.

فهذه أمثلةٌ مِنْ أَخْبارِ هذا الفريق دالّةٌ على صحّةِ ما قُلْنا به في خَبَرِ محمّدِ بنِ إبراهيم الصَّبَرِيِّ، وما خِيْفَ منه وعليه في أوّل الكلام. فلو قِيْلَ إنّ هذا جَهْلٌ مِنْ أَقْوامٍ آخرين وقبائل معروفة بالغَباوَة والحُمْق لا يُسْتَدلُّ به عليه، لكان فيما قَدَّمْنا مِنْ خَبَرِهِ ما يُبْطِلُ هذا القولُ على أَنَّ له مِنْ عجائب الأَخْبار هو بنفسِهِ ما يُقِيمُ الدّلالةَ على ذلك، ونحن نزيد في هذا الفَصْل منها بعضَ شيءٍ لنُؤَكِّدَ القولَ الأوّل.

أَخْبَرَني الشّيخُ الحسنُ بنُ أحمد بنِ زايدٍ الجَنْبيُّ، أَحَدُ شُيُوخِ الزّيديّة وعُلَمائهم وعُبّادِهم وأَهْل الوَرَع والصِّدْق منهم ومَنْ لا يُخْتَلَفُ في عَدالَتِهِ قال: قال لي محمّدُ بنُ إبراهيمَ الصَّبَرِيُّ محْتَجًّا على إمامة الحسين بنِ القاسم: لقد بَلَغَني أَنَّ الحسينَ خَرَجَ ذاتَ يومٍ راكبَ حِصانٍ ومعه أَصْحابُهُ، فبَيْنا هم يَسِيرون إِذْ تَبِعَتْهم مُهْرَةٌ لبَعْضِ أَهْل البَوْنِ، فكلَّما دَنَتْ منهم طَرَدُوها، وهي لا تَلْبَثُ أَنْ ترجِعَ إليهم، فسَأَلَهم الحسينُ عن شَأْنها؟ فقالوا: تَطْلُبُ الحصانَ ليُحْمَلَ عليها. قال: فنَزَلَ عَنْ حِصانِهِ وأَمَرَهم فحَمَلُوهُ عليها فضَرَبَها. قال الحسنُ: فقلتُ له: ما تُريدُ بهذا الكلام؟ قال: أَحْكي عَدْلَهُ ورحمتَهُ.

قال الحسن: قال لي محمّدٌ: وبَلَغَني أَنّ الحسينَ خَرَجَ ذات يومٍ برَيْدَةَ إلى السّوق بها، فمَرَّ بجَزّارٍ يَذْبَحُ شاةً فأَتى كَلْبٌ[٢٦٨] حتّى دَنا مِنْ مَذْبَحِ الشّاة في الأَرْض ليَلَغَ مِنْ دَمِها فضَرَبَهُ الجَزّارُ بالشَّفْرة، فجعل الكَلْبُ يُوَلْوِلُ ويَقَرّ. فرَأَى ذلك الحسينُ فقال للجَزّار: اقْطَعِ الثَّرْبَةَ وادْفَعْها إلى الكَلْبِ جَزاءَ ما فعلتَ به. قال الحسنُ: قال محمّدٌ: فلم يَزَلْ الحسينُ قائماً حتّى سَلَخَ الجَزّارُ الشّاةَ ثمّ قَطَعَ الثَّرْبَةَ للكَلْب.

وهذا كُلُّه مِنْ كلامِ محمّدٍ عَنِ الحسين بهذا ونحوه احْتِجاجٌ على العَدْلِ والرَّحْمَة للبَهائم، وهذان خَبَران قد رأَيْتُهما فيما دَوَّنتِ الحُسَيْنيَّةُ مِنْ فضائل الحسينِ إلى أَشْباهٍ لهما

كثيرةٌ تَطْعُنُ على عَقْلِ القائل والفاعل والقابل، يَأْبَى كلُّ مَنْ يُرِيدُ تَنْزِيْهَ الحسينَ التّصديق بها وتَصْحِيحها عنه؛ لأنّ فيه هذا العَدْلَ المَحْكي على الكَلابِ والجَوْر على بني آدم، والتَّشاغُلَ بإِنْكاح البَهائم بعضِها لبعضٍ وتَلْذِيذِها بذلك، الّذي هو خاصّة في بلاد أَهْل هذه الأَخْبار مِنَ البَوْن وما حولها مِنْ صَنائع الحَجّامين والسِّفْل، يتكرّم عنها العامّة مِنَ العَرَب فَضْلاً عَنْ آلِ الرّسول، صلّى الله عليه. فهل بَقيَ في الدّلالة على ضَعْف حَصاةِ ابنِ الصَّبَرِيِّ شيءٌ أَبْيَن مِنْ هذا ونحوه.

وأَخْبَرَني الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ زايدٍ الجَنْبِيُّ عَنْ محمّدِ بنِ إبراهيم الصَّبَرِيِّ قال: لمّا أرادَ المهديُّ الحسينُ بنُ القاسم الخُرُوجَ إلى الحَرْبِ في الوَقْعَةِ الّتي غابَ فيها قال لامرأتِهِ: إنّي سأَغِيْبُ، وإنَّك تَلِدين، فإنْ وَلَدْتِ بِنْتاً فسمِّيها باسمٍ تَشْتَقِّيْنَهُ لها مِنِ اسْمي. أَحْسِبُ في الخَبَر: فإن وَلَدْتِ ابناً فسمِّيْهِ باسمي، وإن وَلَدْتِ بِنْتاً فاشْتَقِّي لها اسْماً مِنِ اسْمي. قال: فوَلَدَتْ بِنْتاً سَمَّتْها مَهْدِيَّةً. ثمّ أَوْدَعَها كتاباً إلى الحَمْلِ الّذي في بَطْنِها. فلمّا وُلِدَتِ البنتَ دَفَعَتْ إليها الكتابَ بعد نَشْأَتها، فقرأَتْهُ فإذا فيه[1].

وكان محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ رِفادٍ رحمه الله يخبرنا -وأَحْسِبُهُ ممّا كان[٢٦٩] تَكَلَّمُ به الباطنيَّة بصَنْعاء وشِبام- قال: ما مثلُ دِينِ الباطنيَّة إلّا كقَصْرٍ عالٍ في السّماء، فيه غُرَفٌ على غُرَفٍ، فإذا دَخَلَهُ الدّاخلُ وَجَدَ دَهالِيزَه مُجَصَّصَةً مُقَضَّضَةً مَكْنُوسَةً مَفْرُوشَةً بفُرُشٍ حِسانٍ وأَزْهارٍ طيِّبةٍ حسنةٍ، مُسَتَّرَةٌ جُدُرُها بالثِّيابِ الرَّفيعة النَّفيسة، قد أُوْقِدَ[2] فيها البَخُورُ، وطُيِّبَتْ بالطِّيْبِ الفائق، فإذا صَعِدَ فوق ذلك وَجَدَهُ دون ذلك، ثمّ إذا صَعِدَ إلى ما فوقه وَجَدَهُ دون ذلك، فلا يَزالُ الأَعْلى يوجد أَدْنَى ممّا تحتَهُ وأَضْعَفَ حتّى يكون أَعْلَى ذلك كُلِّهِ بَيْتَ ماءٍ مُظْلِماً نَجِساً مُنْتِناً جامِعاً لكُلِّ قَذِرٍ. وذلك أَنَّ أوّلَ ما يُسْمَعُ منهم الإقرارُ بالله

(١) فراغٌ في المخطوط قدر سطرين اثنين.

(٢) في المخطوط: «أوقدها» ثمّ ظهر على (ها) ما يُشبه التّضبيب.

وملائكته وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليوم الآخر، والأَمْرُ بالمعروف والنَّهيِ عَنِ المُنْكَرِ والتَّرْغيب في الثّوابِ والتّخويفِ مِنَ العِقابِ، ثمّ يأتون بكُلِّ شيءٍ مِنْ ذلك بباطنٍ يُخالفُهُ شيئاً، ثمّ يأتون لباطِنِهِ بباطنٍ فخالَفَهُ أَكْثَرَ مِنَ الأوّل، فلا يزالون كذلك حتّى ينتهوا إلى جَحْدِ الصّانع وملائكته وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والبَعْث بعد الموت، وفِعْلِ الخَبائثِ والأَمْرِ بالمُنْكَرِ والنَّهيِ عَنِ المعر[و]ف، وما قدِ انكشفَ عنهم ممّا تَأْباهُ كثيرٌ مِنَ البَهائم في أَنْفُسها وإناثها مِنَ الفَحْشاء.

وأَخْبَرَنا محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ قال: دَخَلَ محمّدُ بنُ إبراهيم بنِ رِفادٍ صَنْعاءَ، فلَقِيَهُ بعضُ الباطنيّة فقال: تهاوَنْتُمْ، يا مَعْشَرَ الزّيديّة، بالدِّين، وأَسْقَطْتُمْ قَدْرَهُ، وفَضَحْتُمُوهُ وعَلَّمْتُمُوهُ العَبيدَ والسِّفْلَ والحَوَك[1] والحَجّامين ومَنْ لا قَدْرَ له؛ ودِيْنُنا لا يَظْهَرُ عليه إلّا المُلُوكُ وكِبارُ النّاسِ وأَجِلّائهم. فأقبل عليه محمّدٌ وقال: أَخْبِرْني عَنْ أَشْرفِ عُضْوٍ في الإِنْسان وأَنْظَفِهِ وأَجَلِّهِ قَدْراً، أليسَ هو الوَجْهُ؟ وأَقْذَرِ عُضْوٍ فيه وأَنْجَسِهِ وأَقْبَحِهِ أليس هو الفَرْجُ وما يليه؟ قال: بلى. قال: فهكذا دِيْنُنا كَشَفْناهُ وأَتَحْنا للنّاسِ الاطِّلاعَ عليه والنَّظر إليه كالوَجْهِ، ودِيْنُكُم سَتَرْتُموهُ وأَخْفَيْتُمُوهُ[٢٧٠] كالفَرْجِ أَقْبَحِهِ وأَقْذَرِهِ.

---

(١) **الحَوَك**: الصِّغار الضّاوين، يُقالُ: هؤلاءِ حَوَكُ سَوْءٍ، بالتَّحْريكِ، ولم يُقَلْ مِنَ الحَوَكِ واحِدٌ؛ التّاج: (ح و ك).

يحيى الحَدّادُ

هو يحيى بنُ عليٍّ.

بَلَغَني أَنَّهُ مِنْ أَهْل صَنْعاء مِنْ بني زنجي. كا[ن] يَنْزِلُ موضِعاً مِنْ أَرْض بني شاوِر يُقالُ له: المَوبد. وهو أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة المشهورين بالفَضْل والدُّعاة منهم إلى الخير. وأَدْرَكْتُ صِهْرَهُ عَليان بن إبراهيم بنِ زنجي رَحِمَهُ الله يَحْكي مِنْ أَخْبارِهِ محاسنَ فاتَني تَقْييدُها بالكتاب ما فاتَني بغِيرها ممّا قد أَعَدْتُ ذِكْرَهُ في غيرِ موضعٍ مِنْ هذا الكتاب، واللهُ المستعان. وكذلك ما سمعتُ مِنْ غيرِ عُلَيّانَ ممّن يَرْوي أَخْبارَهُ.

وكان تَأْثِيرُ يحيى رَحِمَهُ الله في أَرْض بني شاوِر وإِظْهارُهُ بها ما لم يكن ظاهراً مِنَ التَّشَيُّع كتَأْثِير شيخِنا إبراهيمَ بنِ عليٍّ الضّاميِّ، رحمةُ الله عليه، عندنا بشَظَب إلّا أَنّ كلَّ واحدٍ منهما مات ولم يتَمَكَّنْ مِنْ كُلِّ ما كان يَبْتَغي أو يُريدُ مِنَ التّعليم؛ إِذْ كان الغالبُ على أَهْل هذه البلاد مِنَ المذاهب أَشَدَّها مُضادّةً للتَّشَيُّع، وأَهْلُهُ أَشَدّ النّاس نُفُوراً عَنْ أَهْلِهِ وعمَّن يَتَشَيَّعون له مِنْ آلِ رسول الله، صلّى الله عليه، وهو مذهبُ الإباضيَّة مِنَ الخَوارج.

فأَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رَحِمَهُ الله قال: دَخَلَ القاسمُ بنُ سعيد بنِ محمّد بنِ عبد الله بنِ أبي عبد الله الخُراسانيُّ، أَحَدُ الأَفْضَلين مِنْ آلِ أبي عبد الله= مسجدَ المَوبد[1] وقدِ امْتَلأَ ممّن علَّمَهُ يحيى رَحِمَهُ الله الصّلاةَ على مذهب الهادي، عليه السّلام، مِنْ بني شاوِر ومَنْ بينهم مِنَ النّاس، فارْتاعَ لذلك واشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ له، وكيف أَمْكَنَ ذلك منهم وفيهم، وعَظُمَ فرحُهُ لهم بإِصابة الصّواب، وليحيى، رحمةُ الله عليه، بالثّواب وللإسلام بالحياة،

---

(١) في المخطوط: «مسجدًا الموبد»، وكأنّه أراد: مسجدًا بالموبد.

ولِمن يَزُورُ تلك الأرضَ مِنَ الزّيديّة بالأُنْسِ بهم، وظَنَّ أَنّهم استجابوا لله تعالى عَنْ عِلْمٍ وفَحْصٍ ونَظَرٍ وبَحْثٍ، وأَنّهم قد صلحوا للتَّبَحُّر في العِلْم والمُبالغة في التّعليم، فأَقْبَلَ على يحيى رَحِمَهُ الله فقال: لو كنتُ تَقْرَأُ على هؤلاء كتابَ (**الأحكام**) و(**المسترشد**)[٢٧١] في التّوحيد ونحوهما مِنْ كُتُبِ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، وسائر الأئمّة عليهم السلام، وتُرَقِّيهم في العِلْم رُتْبَةً رُتْبَةً. فعَجِبَ يحيى رَحِمَهُ الله لقولِهِ ذلك، وقال: يا أخي، ليس الأَمْرُ كما تَظُنُّ نحن نُريدُ هؤلاء إذا أَرْبَقَ النّاسُ علينا أَرْبَقُوا معنا. فأمّا غيرُ ذلك فلا يَلْتَفِتون إليه ولا يُرَجَّى منهم. فسَكَتَ القاسمُ وعَرَف الأَمْرَ.

قوله: «**أَرْبَقُوا**»، **الإِرْباق**: نوعٌ مِنْ صُراخِ الرِّجال يُشَبَّهُ بنوعٍ مِنْ صُراخِ النّساء. وأَهْلُ هذه الدِّيار الّتي نحن بها وما يُواليها مِنَ النّاس والبلاد يستعملونه لشُهْرةِ الأُمُور والتَّنْبِيْهِ عليها.

وأَخْبَرَني يحيى بنُ أحمد الحَمّاديُّ في وقتِ تَوبةٍ منه وإِنابةٍ وظاهرٍ مَسْتورٍ، عَنْ شُيُوخ أَهْل بيته والمسلمين مِنَ الزّيديّة قال: بَنَى يحيى الحدّاد رَحِمَهُ الله في أَرْض بني شاوِر ومَيْتَك وبني أَعْشب وما يُوالي هذه البلاد، ثلاثين مسجداً لله تعالى، وذلك أنّه كان داعياً إلى الله حيثُ أَتَى مِنَ الأَرْض، مُذَكِّراً بالتّوبة إليه. فكلّما قَبِلَ عنه قومٌ بنى فيهم مسجداً، وشَرَى لهم المَشاعِلَ مِنْ ماله للطّهارة.

و«**المَشاعِل**»: جمع مِشْعَلٍ، وهو رَكْوةٌ مِنْ جُلودٍ تُسْتَعْمَلُ لحَمْل الماء للطّهارة. وبذلك يعرفها أَهْلُ اليمن[١].

وأَخْبَرَني بنحو ذلك محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ، وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن[٢] الغريبُ قال: أَتَى يحيى الحَدّادَ رَحِمَهُ الله رَجُلٌ يَخْطِبُ إليه ابنةً كانت لَهُ، فقال:

---

(١) سلف شرحُ المصنِّف لهذه المفردة.

(٢) في المخطوط: «الحسين»، وهو وَهْم، لأنّه صاحب ترجمةٍ وتكرّر اسمُهُ غير ما مرّة في هذا الكتاب.

أنت قَبْرٌ أو ناعٍ؟ قال: وما القُبْرُ وما النّاعي؟ قال: «**القَبْرُ**» الّذي إِنْ رَأَى فيها عَيْباً سَتَرَهُ أو رَأَى منها خُلُقاً يُكْرَهُ غَفَرَهُ، ولم يَقْعُدُ بها بين الرِّجال في مجالسهم يَصِفُ قَبائِحَها ويَنْشُر فَضائِحَها. وأمّا «**النّاعي**» فهو هذا الّذي يَفْضَحُ حُرْمَتَهُ ويُشْهِرُ مَساوئَها. وقول يحيى رحمه الله: «قبر» أُخِذ منه بالحديثِ عَنْ بعضِ الأَخْيار، وقد أَتاهُ رَجُلٌ يَخْطِبُ إليه ابنةً له، فأجابَهُ إلى ذلك، فقال: وما تشترطُ مِنَ المَهْر؟ قال: أَنْ تكون لها قَبْراً وسِتْراً.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ معيدٍ القَهْميُّ قال: أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم بنِ زنجي قال: لَقِيَني يحيى الحَدّادُ رحمه الله فقال لي: يا عُلَيّانُ لي ابنةٌ أَشْتَهِيْها لك[٢٧٢] وأَشْتَهِيْكَ لها، فقد رضيتُ أَخْلاقَك ومَذاهبَك، ولا تحسب أنّي عَرَضْتُها عليك لقُبْحٍ في صُورتها أو رِقّةٍ في دِيْنها أو وَسَخٍ في صُنْعها أو أَخْلاقها، هي كما يَسُرُّك إِنْ شاء الله. قال عُلَيّانُ فقلتُ: إنّي لا أَصْلُحُ لهذا لأنّ معي امرأةً، وأنا فقيرٌ. قال: ليس هذا ممّا نَكْرَهُك مِنْ أَجْلِهِ لأنّ غَرَضَنا فيك أَنْ تُنْجي هذه معك مِنَ النّار، ليس غَرَضُنا الفَقْرَ ولا الغنى. قلتُ: فليس معي لها شيءٌ أُحْضِرُهُ. قال عندي الدّارُ والحاضر. فأجبتُهُ إلى ذلك فدَخَلَ إلى أَهْلِهِ وأَمَرهم بتَجْهيزها لآخِرِ نَهارِهِ، وأَمَرَ بشاةٍ فذُبِحَتْ، وأَمَرَ بطعامٍ فصُنِعَ ودعاني ورِجالاً مِنَ المسلمين فأَكَلْنا، وعَقَدَ لي النِّكاحَ. ثمّ أَدْخَلَني إليها فرَأَيْتُ امرأةً حَسْناء وداراً جيّدةً. ثمّ سَلَّمْتُ، فرَدَّتِ السّلامَ وأَحْسَنَتِ التّرحيبَ بي، ثمّ قالت: لا تَسْتَثْقِلْ مُؤْنَتي مع امرأتك، فربّما أَنْ نكون اثنتين أَخَفَّ مِنْ واحدةٍ. قال: فاسْتَحْسَنْتُ ذلك منها، وأَقَمْتُ عندها أيّاماً، وعَمِلْتُ على الرُّجُوع إلى أَهْلي لأَرَى ما يكون مِنَ الامرأةِ الأولى، فلمّا دخلتُ وسَلَّمْتُ اسْتَقْبَلَتْني بالتّرحيبِ والتّهنئة، وأَقْسَمَتْ باللهِ أنّها سُرَّتْ بما كان لي مِنَ التّزويج، ثمّ أَمَرَتني أَنْ أَحْمِلَها إلى امرأتي ابنةِ يحيى، وأَنْ أَجْمَعَ بينهما للسّلام والخُلْطَة. قال: فسَأَلْتُها في أَنْ تَأْذَنَ لي في مُشاوَرَتها قبل ذلك. فأَذِنَتْ. فلمّا ذكرتُ لها ذلك قالت: لَسْنا نُؤَخِّرُك إلى ذلك اذْهَبْ بنا إليها، فإِنّها امرأةٌ تَتَّقي اللهَ، ونحن نرجو أَنْ نكون كذلك، وليس أَحَدٌ منّا يَأْثَم في عِشْرة

صاحبِهِ، إِنْ شاء الله. فلمّا رأيتُ عَزْمَها على ذلك نَهَضْتُ بها فأَتَيْنا منزلَنا، فتَلَقَّتْنا امرأتي الأولى بالتّرحيب والبِشْر وحُسْن اللِّقاء، ثمّ قالت: لا بُدَّ لهذه مِنْ قِرًى، فاذْبَحْ لنا شاةً نَأْكُلُ منها، ونُطْعِمُ جِيْراننا. ففعلتُ. فلمّا اسْتَقَرَّ بنا القَرارُ واسْتَأْنَسَ كُلُّ واحدةٍ مِنَ الامرأتين إلى الأخرى قالت لي ابنةُ الحَدّاد: قد عَمِلْنا على أَنْ نَسْكُنَ معاً، ونجتمعَ فنتعاونَ بضَيْفِنا وأَشْغال[٢٧٣] دُنْيانا وأَعْمال آخِرَتنا، وتُعَلِّمُنا القرآن معاً فيَخِفَّ ذلك عليك وعلينا. ففَعَلَتا ذلك، ثمّ لم نَلْبَثْ أَنْ خَتَمَتا كتابَ الله وأَتَيَتَا بوَلَدين، فكانت كُلُّ واحدةٍ منهما تَخْدِمُ الأخرى ووَلَدَها مع نَفْسِها ووَلَدِها بما يُمْكِنُها، وتَتَحَرَّى مَسَرَّتها والتّخفيف عنها، وتُبادِر إلى ما يَقَعُ بموافقتها.

قال: ثمّ إنّي حَجَجْتُ حِجّةً بأُجْرَةٍ صالحةٍ، فلمّا قدمتُ أَتَيْتُهما، وقلتُ: قد معي ما يكون صَداقَ إحداكما فإنْ وَهَبَ الله البَقاء إلى الموسم، فلعلّه يَتَيَسَّرُ مثلُ هذا للأخرى. فقالتَا: بل نَقْتَسِمُ هذا فإِنْ حَصَلَ بعدَهُ شيءٌ وإلّا وَهَبْنا لك ما بَقِيَ عليك. فاتّفقَ في الموسم الثّاني أنّي حَجَجْتُ بمثلِ تلك، فلمّا قَدِمْتُ سَلَّمْتُهُ إليهما فشَرَيْتُ لهما به أَرْضاً يَسْتَغِلّانها. وكانت حياتُنا حسنةً ودِيْنُنا سالماً حتّى مات على ذلك مَنْ مات وبَقِيَ مَنْ بَقي.

عَليان⁽¹⁾ بنُ إبراهيم

هو عَليان بن إبراهيم بنِ يحيى بنِ زنجي[٢].

أَصْلُهُ مِنْ أَهْل صَنْعاء ثمّ صار إلى سَعْوان وإلى البَوْن وأَرْض الصَّيَد ونحوها، لصُحْبَةَ المَشائخ مِنَ الزّيديّة العُلَماء الّذين كانوا قُدْوَةً للنّاسِ وأَعْلاماً في الأَرْضِ وحَياةً للدِّين، ثمّ منهم كمِثْلِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ الصَّبَرِيِّ وعليِّ بنِ حَرْب بنِ عُبيد الله بنِ شَيْبَرَة وأبي القاسم بنِ أحمدَ الرَّبَعيِّ ونُظرائهم.

ونسبُهُ في بني الأَزْرق مِنْ أَهْل الأَهْجُر مِنْ بلاد حِمْيَر، وأَهْل بيتِهِ الأَدْنَون منه بصَنْعاء -أو أَكْثرهم- إلى اليوم.

ومات بثَوْمَح مِنْ ناحية جبل صِلّيل بالبَوْن. وهو ممّن طال عُمُرُهُ في طاعة الله تعالى وصُحْبَةِ أَهْل الهِجَرِ مِنَ الزّيديّةِ المُعْتزلين للظَّلَمة، الطُّلّابِ للعِلْم والتّعليم، وهو ممّن لا يحتاجُ في تعريفه إلى كثيرٍ مِنَ الكلام لشُهْرتِهِ بين الزّيديّة وظُهُور فَضْله رحمه الله.

وقد أَدْرَكْتُهُ وأنا شابٌّ، وهو ذو شَيْبةٍ بهِ بَقيّةٌ مِنَ القوّة قويّةٌ، وحواسُّهُ سليمةٌ وصَحِبْتُهُ أوقاتاً غيرَ قليلةٍ، فكنتُ أَرَى لَهُ فَضْلاً على غيرِهِ في دِيانتِهِ وأَخْلاقِهِ؛ مِنْ ذلك أَنَّهُ كان قويَّ الحَزْم في عَمَلِ دِيْنِهِ، شديدَ الاحْترازِ مِنَ الإضاعة لعُمْرِهِ، مع كَثْرةِ عِيالٍ وضَيْفٍ وانْفِرادٍ منه بحَمْل كُلْفَةِ مَحَلٍّ انْفَرَدَ فيه مدّةً مِنَ الزّمان، بعد شيخِهِ عليِّ بنِ حَرْبٍ رحمه الله، عَنِ

---

(١) قوله: «عَليان» بفتح العين المهملة، كذا ضُبِط في هذا الموضع برأس التّرجمة، مع أنّه قد مرّ غير مرّة في النّثر والشّعر مضبوطاً بضمٍّ ثمّ فتح ثمّ ياء مشدّدة بعدها ألف، آخره نون: «عُلَيّان»، ولعلّ ضمّ العين المهملة وتشديد الياء المثنّاة من تحت هو اسم عُلَيّان بن سعد؛ أمّا فتحها وتخفيف الياء المثنّاة فاسم عَليان بن إبراهيم.

(٢) في مخطوط الطّبقات الصّغرى (ورقة: ٥٣ب): «... يحيى بن يحيى» وهو تحريف.

الأَعْوان مِنَ الإِخْوان وغيرِ الإِخْوان إلّا الله سبحانه، صابراً على[٢٧٤] قَرْي نازلٍ ومُواساةِ سائلٍ وتَعْليمِ مُسْتَرْشِدٍ وجَواب مُتَعَرِّض. فكان نازلاً بذلك المَحَلِّ في شِعْبٍ مِنْ شِعاب بيت شَهير مِنَ البَون الأَسْفل، كان أَسَّ العِمارةَ فيه عليُّ بنُ حَرْبٍ، رحمهما الله، فلمّا مات ثَبَتَ به عُلَيّانُ رَحِمَهُ اللهُ مُدّةً مَدِيدةً لا يَفْزَعُ لوَحْشَةٍ ولا يَسْتَوحِشُ لغُرْبَةٍ ولا يخاف مِنْ فَقْرٍ ولا فاقَةٍ، مُؤاثراً على نفسِهِ ووَلَدِهِ، صابراً في مَرضاةِ رَبِّهِ لا يَذُمُّهُ زائرٌ ولا يَخْذُلُهُ مِنَ الله ناصرٌ.

وأَخْبَرَني رَحِمَهُ اللهُ -أو أَخْبَرَني بعضُ إِخْوانِهِ، أَحْسِبُهُ بمَشْهَدٍ منه- أنّهم أَتَوا هذا الموضعَ، وهو موضعٌ يُعْرَفُ بالعَشّة، وكان الشّيخُ عليُّ بنُ حَرْبٍ رَحِمَهُ اللهُ يَرْتادُ له مَحَلًّا يعتزلُ فيه النّاسَ، ويَخْلُو برَبِّهِ سبحانه، فرَأَوا في أَصْلِ جَبَلِهِ شجرةً شديدةَ الخُضْرة بين شَجَرٍ كثيرٍ فقال رَحِمَهُ اللهُ: ما ينبغي أَنْ تكون هذه الخُضْرَةُ الخاصّة لهذه الأَشْجار في هذه البُقْعَة مِنْ هذا الموضع إلّا لكَوْنها على ماءٍ. فالْتَمَسَ مَنْ له بَصَرٌ بالعَمَل في اسْتِنْباطِ المِياهِ فاحْتَفَر هناك، فأَصابَ عَيْناً حسنةً تَصْلُحُ لِما يُريدُ، فابْتَنَى عليها منزلاً، وابْتَنَى عُلَيّانُ آخَرَ، وابْتَنَيا مسجداً، ولَزِما الموضعَ للعِبادةِ. ولم يزل به عُلَيّانُ رَحِمَهُ اللهُ بعد موت عليٍّ رَحِمَهُ اللهُ إلى أَنِ **انْتَبَهَ** لتلك العَينِ **حاتمُ** بنُ ذَعْفانَ بنِ يحيى بنِ حَوْشَب اللَّعَويُّ، وهو صاحبُ السّلطان والآمِرُ بالنّاحية كلِّها، وخَدَمُهُ، فأَحْدَثُوا عليها مُزْدَرَعاً. فوَعَظَهم عُلَيّانُ رَحِمَهُ اللهُ وذَكَّرَهم اللهَ فيما يَلْزَمُهم مِنْ جُوارِهِ، وتَرْك الأَذَى له والتَّنْغِيص عليه عُزْلَتَهُ تلك؛ فلم يَلْتَفِتوا إلى ذلك، فلم يَلْبَثُوا أَنْ سَلَبَهم الله تعالى ذلك الماءَ فقَلَّ وانْقَطَعَ عنهم ما كانوا يَرْجُون فيه، وتَعَذَّرَ عليهم الانْتِفاع به. وارْتَحَلَ عُلَيّانُ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ المكان، وذلك في أَوان إِحْداث الطّائفة مِنَ الزّيديّة بناحية بلد حِمْيَر للمَحَلِّ الّذي أَسُّوهُ بأَعْلَى وادي قاعَة مِنَ البَوْن، ويُعْرفُ بهجْرَةِ قاعَة الآن، فصار إليهم وسَكَنَ بينهم مدّةً صالحة، ثمّ اضْطَرَّهُ بعضُ الأَمْر إلى المصير إلى ثَوْمَح، وكانت تحتَهُ امرأةٌ مِنْ أَهْلِهِ فماترَحِمَهُ اللهُ هناك.

وكان رَحِمَهُ اللهُ حُلْوَ الوَعْظِ والحِكاية للحديث النّافع عَنِ النَّبيِّ، صلّى الله عليه، وغيرِهِ

مِنْ أئمّةِ آلِ رسول الله، صلّى الله عليه، وشُيُوخِ الزّيديّة وأفاضِلِ المسلمين وعُلَمائهم، فكان لا يُعْجِبُهُ شيءٌ يَذْكَرُهُ مِنْ ذلك[٢٧٥] إلّا وتَبَسَّمَ، ولا يَتَبَسَّمُ إلّا وأَتْبَعَهُ بعَبْرَةٍ كأَنَّهُ يَحْزَنُ مِنَ الْتِذاذِهِ تلك السّاعة ويَخافُ منه. وربّما يَذْكُرُ شيئاً يَرِقُّ له فيَسْتَعْبِرُ ثمّ لا يَلْبَثُ أَنْ يَبْتَسِم. كأَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَفْطَنَ النّاسُ لِما عنده فيُغالِطُ عَنْ ضَميرِهِ وما يُكِنُّ، لِما عنده مِنْ خشيةِ الله تعالى ورِقّةِ قَلْبِه. وكنتُ إذا رَأَيْتُهُ وذلك أذكرُ الخبرَ في صِفَةِ الحسنِ البَصْريِّ مِنْ قولهم: **وما تَبَسَّمَ إلّا وأَتْبَعَها بعَبْرَةٍ.**

وكان سَهْلَ السِّيْرة فيما يُظْهِرُ مِنْ عِبادَتِهِ، سَمْحَ الأَخْلاق في مُعاشَرَة إِخْوانه، لا يَتَحَمَّلُ ما وَضَعَ اللهُ عنه، ولا يُحَمِّلُهُ مُقْتَدِياً به، إنّما قُصاراهُ أَنْ يُصلِّيَ الصّلاةَ على وقتها ثمّ يُقْبِلُ على ضَيْفِهِ وأَخِيْهِ فيُؤْنِسُهُ بما يُوافِقُ رِضا اللهِ سبحانه وسُرُورِهِ مِنَ الكلام، ثمّ يُعَلِّمُهُ ما يَنْبغي له أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ دِيْنِهِ الأَوْلى فالأَوْلى والأَقْرَبَ فالأَقْرَبَ، يَخْتارُ له ما يَقْرُبُ مِنْ فَهْمِهِ لَفْظاً ومَعْنًى، ويَضْرِبُ له المَثَلَ المُعِينَ له على عَقْلِهِ لذلك، ويُورِدُ الحِكاية مِنْ نحوه، وممّا يَدُلُّ عليه ويُرَغِّبُ فيه.

وكان كثيراً ما يُرَدِّدُ ويَدُورُ على لِسانِهِ فُصُولٌ مِنْ كلامِ القاسم بنِ إبراهيم، عليهما السّلام، مِنْ كتاب (الدّليل الكبير) نحو قولِهِ، عليه السّلام: «**فابْتَدِئ، يا بُنَيَّ، في طَلَبِ فِعْلِ الصّالحات واكْتِسابِ الخَيْرات، إذا ابْتَدَأْتَ بطَلَبِ اليَقِينِ بالله وحقيقةِ العِلْمِ لله**». وقوله: «**ففي طَلَبِ اليَقِين باللهِ، يا بُنَيَّ، فادْأَبْ، ومَنْ رَجُوتَ عندَهُ على اليَقِين بالله عَوْناً فقارِنْ واصْحَبْ**». وقوله، عليه السّلام: «**فإنّه بَلَغَني أَنّ حكيماً مِنَ القُدَماء قال لبعضِ مَنْ كان له عِلْمٌ كثيرٌ مِنَ الحُكَماء: يا هذا، لا تَرَيَنَّ أَنّك علمتَ شيئاً، وإنْ علمتَ كُلَّ شيءٍ، ما لم تكنْ عالماً بالله الأوّل الحيِّ القيّومِ الّذي هو سببُ كلِّ خيرٍ كان أو يكون**» إلى آخرِ الفصل. وقوله: «**مَنْ أَيْقَنَ بالله إِيْقاناً يَقِيْناً لم يَزَلْ بالله في عاجِلِ الدُّنيا ما بَقي غَنِيًّا**». فكان لا يَذْكرُ شيئاً مِنْ هذا ونَحْوِهِ إلّا اسْتَعْبَرَ باكياً، ولا يَسْتَعْبِرُ إلّا وبادَرَ إلى تَسْكين ذلك وسَتْرِهِ عَنِ النّاس.

وكان رحمه الله[٢٧٦] سريعَ الجواب، وَجِيزَ الكلام لا يَكادُ يُخِلُّ بما يلزمُهُ في ذلك، نائباً عَنِ الله والإسلام والمسلمين حيثُ وَقَعَ بما يُمْكِنُهُ، ويَنْبَغي مِنْ قَولٍ أو عَمَل.

لقد أَخْبَرَنِي عنه الحسين بن محمّد القَهْميُّ قال: مَرَّ عُلَيّانُ رحمه الله بحيثُ يَراهُ حاتمُ بنُ ذَعْفان اللَّعَويُّ وجُلَساؤُهُ وخَدَمُهُ وهو يومئذٍ يلي أَمْرَ البَوْنِ الأَسْفل مِنْ قِبَلِ أَهْل الدّولة الصُّلَيحيَّة، وكان بحِصْنِهِ المعروف ببيت مَساك -أو قريباً منه- فأَحَبَّ بعضُ مَنْ بحَضْرَتِهِ مِنَ الباطنيّة ومَنْ جَرَى مَجْراهم أَنْ يَعْبَثَ بعُلَيّانَ، ويُعَرِّضُ بالزّيديّة وفَقْرِهم وأَكْلِهم للزّكوات والأَعْشار ونحو ذلك، فنَهاهُ حاتمٌ -وكان حَلِيماً وَقُوراً مُتَحَرِّزاً عَنْ كثيرٍ مِنْ سَفَهِ المُلُوك الجُهّال مُتَكَرِّماً- فأَبَى فتَرَكَهُ. فأَمَرَ مَنْ دعا بعُلَيّانَ، فأَقْبَلَ حتّى وَقَفَ على القوم، فلمّا سَلَّمَ وهَدَأَتْ أَنْفاسُهُ قال له ذلك الرَّجُلُ: هٰهنا زكاةٌ، ولا ندري مَنْ نُعْطِيها، فأَشِرْ علينا في ذلك بما تَرَى؟ قال: يا مولاي، في رَيْدَةَ وحَمُدَةَ(١) والبِرارِ مِنَ الأَيْتام مَنْ يَسْتَغْرِقُ الزّكاة، وما هي زكاته معاً(٢)، إلّا أنّه يُحْكَى أَنَّ رَجُلاً أَتَى بعضَ بلادِ المَجُوسِ فوَجَدَهم يَقْسِمون صَدَقاتٍ لهم، وكانت به حاجةٌ فسأَلَهُم، فقالوا: إن كان دِيْنُكُ دِيْنَنا أَعْطَيْناك. قال: وما دِيْنُكُم؟ فأَخْبَرُوهُ. فقال: أمّا أنا فلا، ولكن هذا -يعني حِمارَهُ- على دِيْنكم فأَعْطُوهُ. قال: فنَدِمَ الرَّجُلُ، وخَزِيَ حاتمٌ إلى نفسِهِ، وقال لأَصْحابه: أَلَم أَكُنْ نَهَيْتُكم عَنْ عُلَيّان.

وأَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رحمه الله قال: لَقِيَني رَجُلٌ مِنَ الباطنيَّة فقال: أَخْبِرْني عَنْ آدَمَ، مَنْ زَوَّجَ بَنِيْهِ؟ فقلتُ: إذا لقيتَ آدَمَ فاسْأَلْهُ. قال: فإنْ لم أَلْقَهُ؟ قلتُ: فابْكِ نَفْسَك. يُريدُ رحمه الله أنّه إذا لم يَلْقَ آدَمَ كان مع إِبْلِيْس وحِزْبِهِ، لأنّ إِبْلِيْس إمامُ الفاسقين وأوّلُهم، وآدَمُ أبو المؤمنين وإمامُهم.

---

(١) قوله: «حَمدة» بفتح أوّله كذا ضُبط في المخطوط، وبقيّة ضَبْطه عن صفة جزيرة العرب:٨٢، ١١١.

(٢) قوله: «وما هي زكاته معا» كذا؟

وأُخْبِرْتُ أنّه قِيْلَ له ذلك بصَنْعاء، وكان السّلطانُ إبراهيمَ بنَ أبي الغَوازي[٢٧٧] أَحَدَ أَجِلّاء بني عبد الحميد مُلُوك مَسْوَر، وكان يَرَى رَأْيَ الزّيديّة، قال عُلَيّانُ فلَقِيَني فقال: أَوْصِني. قلتُ: لا يَكُونَنَّ أَحَدٌ أَحَبَّ إليك مِنْ نفسك. فأَوْجَزَ له في الوَصيَّة وجَمَعَ وُجُوهَ الخير، لأنّه إذا لم يَكُنْ أَحَدٌ أَحَبَّ إليه مِنْ نفسِهِ آثَرَ العَمَل لدارِ خُلُودِهِ على الأَهْلِ والمالِ والوَلَدِ والعَشِيرةِ وغيرِ ذلك.

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ رَحِمَهُ اللهُ قال: دَخَلْتُ عليه ذاتَ يومٍ، وقد صارَ كبيرَ السِّنِّ، وإذا هو قد باعَ أَرْضاً واشترى أَرْضاً وشافَع في أخرى. فقلتُ: هل تدري ما مثلُكَ ومثلُ الدُّنْيا؟ قال: لا. قلتُ: مثلُ رَجُلٍ قد أَصابَهُ الكِبَرُ ولَهُ امرأةٌ شابَّةٌ فتَبَرَّأَتْ منه وصَدَّتْ عنه، فقال: شَعْرَةٌ مِنْكِ بأَلْفٍ.

وكان عُلَيّانُ رَحِمَهُ اللهُ شديدَ الالتِذاذِ بإطْعامِ الإخْوانِ لِما عندَهُ مِنَ الطّعام والْتِماسِ ما يَسُرُّهُم بِهِ مِنْ نحو ذلك، أو يُشْبِعُ جُوعاً أو يُدْفئ مِنْ بَرْدٍ. فسمعتُ مِنَ المُتَعَلِّمين مَنْ يَقولُ بعد موتِهِ: ما ثَقُلَ علينا التَّعَلُّمُ في الهِجَرة إلّا لفَقْدِ عُلَيّانَ، كنّا لا نَجِدُ مَعَهُ الغُرْبَةَ عَنِ الأَهْلِ ولا فَقْدَ الدِّيارِ والمالِ. وليس ذلك لأنّهم جُفِئوا[1] عند أَحَدٍ مِنَ الزّيديّة، وإنّما فقدوا ما عَوَّدهم مِنَ البِرِّ الزّائد والتَّفَقُّدِ والإكْرام، فلم يَرْضَوا بغيرِهِ. وإنْ كان قَدْرُ ما افْتَرَضَ اللهُ لهم على الإخْوان قد أُدِّيَ إليهم.

أَخْبَرَني أَسْعَدُ بن أبي السُّعُود بن المُخْتار، الصَّيْقل ببلادنا قال: أَقَمْتُ بهجْرَة قاعَة فما خَلَوتُ مِنْ تَفَقُّدِ عُلَيّانَ لي بطعامٍ يَأْتِيني به أو يدعوني له، ولا عَذَرَني مِنْ حُضُور طعامِهِ مع كُلِّ ضَيْفٍ يكون له، ولو لم يكن مِمّا فُقِدَ مِنْ أَجْلِهِ إلّا الأَخْبار الواعظة المُبْصِرة والأَحاديث المُوْقِظَة المُذَكِّرَة الّتي كان يَسْرُدُها سَرْداً، ويجدُ لها السّامعُ مِنْ لسانِهِ على الفُؤادِ بَرْداً= لكان ذلك رُزْأً عظيماً، وذلك مِنْ نحو ما أَخْبَرَني به رَحِمَهُ اللهُ قال: كان في جَنْب الّذين بناحية همَل،

---

(١) قوله: «جُفِئوا» من الجفاء وهو خلاف البرّ.

فيما بين مَيْتَك وبني أَعْشب، رَجُلٌ مِنَ صَالحي الزّيديّة، فحَضَرَتْهُ الوَفاةُ فقال لابنٍ له: يا بُنَيَّ، اخرجْ فاصْرُخْ بقومك. ففعل الغُلام. فلمّا اجتمعتْ إليه جَنْب قال: يا معشرَ جَنْب، قد تَرَون ما أنا عليه فانْصُرُوني وأَنْقِذوني مِنَ الموت، ألا تَحْمُونَني ألا تَمْنَعُونني؟ قال: فقال القومُ بأَجْمَعِهم: لا نَقْدِرُ على ذلك ولا يُمْكِنُنا. قال: فإنّكم أَهْلُ حَدٍّ وحَديدٍ وقُوّةٍ! قالوا: لا نملِك لك نَفْعاً ولا عنك دَفْعاً. قال: فإِنَّهُ آتِيْكم ما أَتاني ثمّ لا يَنْفَعُ أَحَداً منكم مالٌ ولا عَشِيرة[٢٧٨] ولا أَهْلٌ ولا وَلَدٌ ولا عَدَدٌ ولا عُدَّة، فتَأَهَّبُوا لذلك.

وهذه من المَواعِظِ الغَرِيبةِ العجيبةِ النّادرة الّتي تُوْقِظُ الغافلَ، وتَزِيدُ في حَزْمِ العاقل إلى أَبْعَد غاية.

وأَخْبَرَنا عُلَيّانُ رَحِمَهُ الله قال: كان للأميرِ الحسينِ بنِ المُنْتاب ابنٌ يُقالُ له: أَسْعَد، له دِينٌ وصَلاحٌ وزُهْدٌ في الدُّنْيا، وكان لا يَزالُ يَأْتِيْهِ فيستأذنَهُ في زيارةِ أَخَواتٍ لَهُ، وكُنَّ مَحْجوباتٍ عنه وعَنْ سائرِ كُلِّ مَحْرَمٍ لَهُنَّ مِنْ أَخٍ وغيرِهِ، فلا يُؤْذَنُ له، ثمّ لا يَيْئَسُ فيعُودُ لذلك مرّةً بعد أخرى. فلمّا امْتَنَعَ عليه عَمِلَ في الدُّخُول عليهنّ حتّى دَخَلَ فراهُنَّ على هيئةٍ كَرِهَها، واشْتَدَّ لها حُزْنُهُ، مِنْ تَكَلُّفِ مَطْحَنٍ ومِغْزَلٍ وأَعْمالٍ دائمةٍ، لا يَكَدْنَ يَسْتَرِحْنَ معها، وكُنَّ مع ذلك في قُمُصٍ بِيْضٍ ومَصاوُنَ مِنْ نحوها لا صِباغَ بها، ولا زِيْنة بهِنّ ولا حَلْيَ ولا طِيْب. فأَحْسِبُهُ قال: فاشْتَدَّ بُكاؤُهُ ودَخَلَ على أَبِيْهِ باكياً حَزِيْناً فقال: مالك؟ قال: نَظَرْتُ إلى هؤلاء الأُسارى الضِّعافِ المَرْحُومات بناتِك، فرَأَيْتُ أَمْراً رائعاً غامًّا، قَبُحَ عندي مَنْظَرُهُ، وكَبُرَ عليَّ هَوْلُهُ، وسَآني كَوْنُهُ؛ فاتَّقِ الله أَيُّها الأميرُ، ولْتَنْعُمْ بَناتُك نِعْمَتَك الّتي قد تَناوَلْتَ بها أَهْلَ الآفاق، مع سَعَةِ مُلْكك، وكَثْرة أَموالك، ووُفُور خِزانَتِك. قال: فقال: يا بُنَيَّ، إنّي نَظَرْتُ غيرَ نَظَرِك هذا، إنّي عَلِمْتُ أَنَّ هذا المُلْكَ سَيَزولُ والخَزائنُ سَتَفْنَى والأَمْوالُ سَتَفْتَرِق، وربّما كان ذلك في حياتي، فيَنْكَشِفُ السِّتْرُ عنهُنَّ وقد رَبَّيْتُهُنَّ بدَعَةٍ وخَفْضٍ، وبِنِعَمٍ ورَفاهِيةِ عَيْشٍ، ولَذّاتِ مُلْكٍ، فيَنْكَشِفُ السِّتْرُ -كما قِيْلَ في المثل- عن:

لَحْمٍ على وَضَمٍ، فلا يَرْغَبُ فيهِنَّ مَلِكٌ لِفقَرْهِنَّ ولا رَجُلٌ مِنْ قومِهِنَّ مِنْ حِمْيَر لِرَفاهِيَّتِهِنَّ وعَجْزِهِنَّ[٢٧٩]، وإنّما يَنْكِحُ الزُّرّاع امرأةً تَطْحَنُ وتَعْجِنُ وتَخْبِزُ وتَغْزِلُ، وتَقُومُ بخِدْمَةٍ كثيرةٍ لِزَوْجِها وضَيْفِهِ ومُعاوِنِيْهِ ووَلَدِها وخَدَمِها، وغيرِ ذلك مِنْ رَقْعِ ثَوْبِها وغَسْلِهِ وتَطْيِيْبِ بَيْتِها وكَنْسِهِ، ونَحْو ذلك وسُواهُ مِنَ الأَعْمال. فأَخَذْتَهُنَّ، يا بُنَيَّ، بالأُهْبَةِ لذلك إنِ احْتَجْنَهُ، ولم أُجِعْ ولم أُعَرِّ ممّا يَكْفي ويَسْتُرُ بحيثُ هُنَّ مِنْ داري، فإنْ سَلِمْنَ ممّا خِفْتُ عَلَيْهِنَّ لم يَضُرَّهُنَّ ذلك. قال: فسَكَتَ أَسْعَدُ، وقَنِعَ بقَولِهِ وانْصَرَف.

وأَخْبَرَنا عُلَيّانُ رَحِمَهُ اللهُ قال كان محمّدُ بنُ حُمَيْدٍ أيّام صَلاحِهِ وكونِهِ بين الزّيديّة لا يَزالُ يُنْشِد: (من مشطور الرَّجز)

وللْفَتَى في نَفْسِهِ إذا عَقَلْ

شُغْلٌ بِها عَنْ غَيْرِها إنِ اشْتَغَلْ

في الاعْتِقادِ والمَعاشِ والعَمَلْ

وهذه أبياتٌ حسنةٌ واعظةٌ مُؤَدِّبة.

وأَخْبَرَنا عَليان بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ قال: كان مِنَ آلِ أبي النَّضْر بالجائف مِنَ الخَشَب رَجُلٌ يُقالُ له: الحسنُ بنُ محمّدٍ، يُعْرَفُ بزُرَيقٍ، وكانت له دارٌ فيها اثنتا عشرةَ خَلْوَةً -يعني غُرْفَةً- ولم يكن لَهُ فيها مَسجدٌ ولا مَطْهَرٌ يَسْتَكِنُّ فيهما مِنْ حَرٍّ ولا بَرْد، يُؤَدِّي فَرْضَ رَبِّهِ مع حِياطَةِ نفسِهِ وبَدَنِه، فإذا أَرادَ الصّلاة صَعِدَ فوق الدّار فتَوَضَّأَ لصَلاتِهِ وهَبَطَ إلى زاويةٍ مِنْ بيتٍ فصَلَّى فيها. قال: فاضْطُرَّ ذاتَ يومٍ إلى تَسْخِين الماء[١] لوضوئه، فأَمَرَ بِهِ فسُخِّنَ ثمّ صَعِدَ فوق فتَوَضَّأَ ثمّ هَبَطَ فصَلَّى، فمَرِضَ مِنْ أَجْلِ ذلك ثمّ لم يَلْبَث أَنْ مات. فكان رَحِمَهُ اللهُ يُعْجِبُنا مِنْ سَعَةِ دارِهِ وقُدْرَتِهِ على المُصَلَّى الدّفِيء والمُتَوَضَّأ السّاتر، وتَضْيِيعِهِ لذلك وتَوانِيْهِ فيه حتّى هَلَك، فيَدْعُونا ذلك إلى إيْثارِ العَمَل للمُصَلَّيات والمُتَوَضَّآت في المنازل.

---

(١) كرّر في المخطوط قوله: «الماء».

وأَخْبَرَني عُلَيّانُ قال: خطب[٢٨٠] رَجُلٌ مِنْ آلِ اللُّبْحيِّ بالبَوْن إلى قومٍ مِنَ اللَّعَويِّين بالبِرار، وأَوْعَزَ إليهم في سُرْعَةِ الجَهاز للعَرُوس، وقال: أَبْعَدُ ذلك إلى ثمانية أيّام. فقال القوم: قُلْ: إنْ شاء الله. قال: إنْ شاء أو لم يَشَأ. قال: فمات قبل الثّامن مِنْ ذلك اليوم وبَطَلَ الأَمْرُ.

[وأَخْبَرَني][(١)] عَليان بن إبراهيم ﵀ قال: أَخْبَرَني عبدُ الله بنُ عليٍّ، المعروفُ بالجمال، مِنْ أَهْل رُحابَة قال: كنتُ أَحْرِثُ في أَرْضٍ مِنَ الأَراضي، فدَعاني رَجُلٌ لَهُ حاجةٌ، فقلتُ: خَلِّني أُتِمُّ حَرْثي فما بَقيَ إلّا الأَقَلُّ. فقال: قُلْ: إنْ شاء الله. فقلتُ: إنْ شاء وإنْ لم يَشَأْ. فانْكَسَر الحَلْيُ وما تَمَّ ذلك التِّلْم.

و«**الحَلْيُ**»: عُوْدٌ تُجْعَلُ فيه حَديدةُ الحَرْث. و«**التِّلْمُ**»: الشَّقُّ الّذي يَشُقُّهُ الحَرّاثُ بتلك الحَدِيدة في الأَرْض، بكلام أَهْل اليَمَن.

وهذه مواعظُ قريبةُ العَهْد، وأَهْلُها مِنْ أَهْل العَصْر، يَنْتَفِعُ بها مَنْ سَمِعَ بها فيكون مِنَ الله على حَذَر. ويكون الله تعالى عندَهُ على تَعْظيمٍ وإِجْلال.

وأَخْبَرني محمّدُ بنُ مُعِيْدٍ القَهْميُّ، وهو مِنْ رِجالِ أَهْل الدِّين في العَصْر، معروفٌ بذلك، وكان ممّن صَحِبَ عَليان بن إبراهيم ﵀ قال: قال لي عُلَيّانُ: كان مِنْ آلِ أبي عبدِ الله رَجُلٌ قد تَقادَمَتْ صَلاتُهُ وتَظاهُرُهُ بالدِّين يُقالُ له: عليٌّ، وكان لا يَعْرِفُ مِنْ عِلْم دِيْنِهِ شيئاً ولا يَسْأَلُ عَنهُ، خالياً مِنْ كثيرٍ ممّا يحتاجُ إليه لآخِرَتِهِ، جاهلاً بكثيرٍ ممّا أُمِرَ به. قال: فاصْطَحَبَ هو وعُلَيّانُ في طريقٍ مرّةً فقال له عُلَيّانُ: ما الفَرْقُ بين الجِسْمِ والعَرَضِ؟ قال: أَفِدْ؟ فتَعَجَّبَ عُلَيّانُ ﵀ مِنْ تَقْصيرِهِ في نفسِهِ وطَلَبِ نَجاتها بما هو مِنْ معرفةِ صانِعِهِ وصُنْعِهِ، وما قد كان يلزمه المُبادَرَة إلى طَلَبِهِ قبل بُلُوغِهِ، ولُزُوم الفَرائض له، ومِنْ إِهْمالِ مُرَبِّيْهِ له مع كَونِهِ مِنْ أَهْلِ بيتِ عِلْمٍ وعَمَلٍ. فقال كالنّاظرِ ما عندَهُ والمُوَبِّخِ له ولمُؤَدِّبِهِ مِنْ

---

(١) ما حُفَّ بمعقوفين زيادةٌ تطلّبها السّياق، وتُرك مكانها بياضاً في المخطوط.

أَهْلِهِ: العَرَضُ كُلُّ شيءٍ تَحْوِيهِ السِّتُّ الجهاتُ وتُدْرِكُهُ الخَمْسُ الحَواسُّ، والجِسْم: كُلُّ شيءٍ لا تُدْرِكُهُ الخَمْسُ الحَواسّ ولا تَحْوِيْهِ[٢٨١] الجِهاتُ. قال: فجَعَلَ يَدْرسُ ذلك في طريقِهِ ويُكَرِّرُهُ رغبةً في حِفْظِهِ واعْتِقاداً أَنَّ ذلك كذلك. فلَقِيَهما رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة فقال له عُلَيّانُ: أَعْرِضْ عليه مَسْأَلَتَكَ. ففَعَلَ. فقال: هذا مَقْلُوبٌ فالْتَفَتَ إلى عُلَيّانَ وقال: تُعَلِّمَنْ مَقْلُوباً[١]. وخَبَرُ هذا الرَّجُلِ مما يُحَرِّضُ على طَلَبِ العِلْم وإِيْثار معرفةِ الله تعالى وأُصُولِ دِيْنِهِ، ويُوجِبُ الأَنَفَةَ مِنَ الجَهْل والتَّحَرُّزِ مِنَ النَّقْصِ لاسِيَّما على أولاد الصّالحين وجيْرانهم ومَنْ له معرفةٌ بهم وبأَماكِنِهم مِنَ الأَرْض.

وكان عُلَيّانُ، رحمةُ الله عليه، لا يَزالُ يَقولُ: أَعْطَى رسولُ الله [صلّى الله][٢] عليه الأُمَّةَ سِتَّ كلماتٍ تَكْفِيها في دِيْنها، قال صَلَّى الله عليه: «**أَمْرٌ بانَ لك رُشْدُهُ فاتّبِعْهُ، وأَمْرٌ بانَ لك غَيُّهُ فاجْتَنِبْهُ، وأَمْرٌ أَشْكَلَ عليك فكِلْ عِلْمَهُ إلى الله**»[٣]. وقال صَلَّى الله عليه: «**حَلالٌ بَيِّنٌ وحَرامٌ بَيِّنٌ وشُبُهاتٌ بين ذلك، والمؤمنون وَقّافون عند الشُّبُهات**»[٤]. يُريدُ ﷺ أَنَّ العَمَلَ بما اسْتَبانَ، والوُقُوف عندما أَشْكَل حتّى يَتَبَيَّنَ تَحَرِّي المؤمن في دِيْنِهِ.

---

(١) في المخطوط: «مقلوب» من دون تنوين النّصب.

(٢) ما حُفّ بمعقوفين سقطٌ في المخطوط.

(٣) المعجم الكبير للطّبرانيّ: ١٠/٣١٨، وفيه: «إنّ عيسى ابن مريم عليه السّلام قال: إنّما الأمور ثلاثة: أمر يتبيّن لك رشده فاتّبعه، وأمر يتبيّن لك غيّه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فرّده إلى عالمه».

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ إلى علم الأصول: ٢/١٩٤، ٢/٢٨٦، وفيه: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، والمؤمنون وقّافون عند الشّبهات».

السُّلْطانُ إبراهيمُ بنُ أبي الغَوازي

هو إبراهيمُ بنُ أبي الغَوازيِّ بنِ مالكٍ.

نسبُهُ في بني أَزْد مِنْ بني عبد الحميد بنِ محمّد بنِ الحجّاج بنِ الشَّوّاد[١] وهم أَهْل عَنَقان[٢] مِنْ عَمَل مَسْوَر[٣]، وله هناك عَقْبٌ فيهم نَباهَةٌ.

وكان أَكْثَرُ مَقامِهِ ومَسْكَنِهِ بناهِرَة مِنَ البَوْن الأَعْلَى. وبنو عبد الحميد يُنْسَبون إلى بني الصَّوّار بنِ عبد شَمْس بنِ وائلٍ مِنْ حِمْير، وقد كان فيهم مُلْكٌ وسُلْطان.

وأبو الغَوازي بنُ مالكٍ هو مِنَ المشاهير في أَوائلِ الزّيديّة وأَهْلِ الصِّيْت قبل الدّولة الصُّلَيحيَّة، وله خَبَرٌ مَرْويٌّ في مُناظرةٍ بين الزّيديّة وعامر الظُّلَيميِّ، وذلك بعد خُرُوج عامرٍ عَنْ رَأْيهم إلى رَأْي أَهْل الدّعوة الصُّلَيحيّة، وقد رَأَيْتُ مِنْ ذلك ما هو مُدَوَّنٌ مَسْطورٌ ومَرْويٌّ مَذْكور.

وكان إبراهيمُ بنُ أبي الغَوازي مَأْلَفاً[٢٨٢] للزّيديّة، مفتوحَ الباب لأَهْل العِلْم، مُقْبِلاً عليهم ببِرِّهِ ومَوَدَّتِهِ، ذا خُلْطةٍ بالسَّناعِيَّة وصُحْبَةٍ لهم ووَلاءٍ واعْتِقادٍ، لا يُعْرَفُ بشيءٍ مِنْ مَقابِحِ المُلُوك وشَهَوات أَهْلِ اللَّعِب، بل الغالبُ عليه سَمْتُ أَهْل الدِّين ورِياستهم وزِيِّهم مع غِناهُ. وأَحْسِبُهُ لم يَمُتْ حتّى أَنْفَقَ في ذلك جَزِيلاً مِنْ مالِهِ أو أَكْثَره.

أَخْبَرَني عَليان بن إبراهيم رَحِمَهُ الله قال: قال لي إبراهيمُ بنُ أبي الغَوازيّ رَحِمَهُ الله: قال رسولُ الله، صلّى الله عليه[٤]: «**اغْتَنَمْ خَمْساً قَبْلَ خمسٍ: شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ**». قال: هذه ذَهَبَتْ.

---

(١) كُتِب فوقه بالمخطوط: «ط: الصوار» ويحتمل الرّسم: «السوار».

(٢) قوله: «عَنَقان»، ضُبط بفتحات ثلاث.

(٣) قوله: «مسور» ضُبط في هذا الموضع بكسر أوّله، والمعروف المشهور فيه الفتح.

(٤) السّنن الكبرى للنَّسائيّ: ١٠/٤٠٠.

«وصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ». قال: وهذه ذَهَبَتْ. «وغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ». قال: وهذه ذَهَبَتْ. «وفَراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ». قال: وهذه ذَهَبَتْ. «وحَياتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ». قال: ما بقي غيرُها، رُوحٌ تَتَرَدَّدُ في جَسَدٍ. وهذا مِنْ خَبَرِهِ يَدُلُّ على أَنَّهُ قد كان فَنِيَ مالُهُ في كِبَرِهِ، وعلى أنّه كان لائماً لنفسِهِ في العِبادة، زارياً عليها غيرَ راضٍ منها بما كان يَعْمَلُ، وهذه شِيَمُ الصّالحين مِنْ عِباد الله.

وفي أَخْبارِهِ ما يَدُلُّ على أَنَّهُ كان بَصِيراً بالكلام في الأُصُولِ ذا عِلْمٍ ومعرفة؛ أَخْبَرَني غيرُ واحدٍ مِنَ الزّيديّة المَرْضِيِّين نحوِ مِنْ محمّدِ بنِ إبراهيم بنِ رِفادٍ وعَليان بن إبراهيم وغيرِهما، قالوا: اجتمعَ عند إبراهيمَ بنِ أبي الغَوازيّ نَفَرٌ مِنَ الزّيديّة فيهم إبراهيمُ بنُ أحمدَ الصَّبَريُّ وعَليان بن إبراهيم في آخَرين، منهم: يحيى بنُ عَمّارٍ أَحَدُ القائلين بالاخْتِراع، وذلك في أيّام قِطافِ العِنَب للزَّبِيْب، فلمّا طَلَعَتِ الشّمسُ بَرَزُوا إلى موضعٍ يَدْفَؤُون فيه، وبالقُرْب منهم جُرْنٌ فيه عِنَبٌ مَقْطوفٌ حين ضَمَرَ، فلمّا ضَرَبَتْهُ الشَّمْسُ قَوِيَتْ رائحتُهُ، فرَأَى يحيى بنُ عَمّارٍ أَنْ يَغْتَنِمَ الفُرْصَةَ على ما في ظَنِّهِ مِنْ مذهبِهِ على القَومِ فقال: يا مولاي[٢٨٣]، أَيْنَ الّذين يزعمون أَنَّ الحَواسَّ لا تُباشِرُ الأَعْراض ولا تُدْرِكها حِسًّا. قالوا: قل ما تُحِبُّ. قال: أما تَشْتَمُّون هذه الرّائحةَ الّتي تَأْتِينا مِنْ هذا العِنَب الّذي في[١] الجُرْن؟ قالوا: بَلَى، ولكن أَخْبِرْنا هلِ انْتَقَلَت إلينا أَمْ وَصَلَتْ إليها أُنُوفُنا هناك؟ فقال: لا هذا ولا ذاك، لأنّ الأَعْراض لا تَنْتَقل ولكن امْتَطَّتْ مِنْ ثَمَّ إلى هٰهنا. فأَحْسِبُهُ قِيْلَ له: فهي إذَنْ أَطْوَلُ وأَعْرَضُ وأَعْمَقُ وأَوْلى بالجِسْمانيّة ممّا هي صفتُهُ. فانْقَطَع.

قوله: «**امْتَطَّت**» بمعنى: امْتَدّت. و«**الجُرْن**»: هو الجَرين وهو البَيْدَر وهو المِرْبَد، وهو موضعٌ يُصْرَمُ إليه التَّمْر، ويُقْطَفُ إليه العِنَبُ، ويُحْصَدُ إليه الزَّرْع ويُجْمَعُ فيه. وأَهْل اليَمَن يَقُولُون: «**جُرْن**» على (فُعْل) بضَمِّ الفاء وسُكُون العين. وأَهْل نَجْران إذا كان للتَّمْر قالوا:

---

(١) كرّر في المخطوط قوله: «في».

«صُوبَة». ولا أَدْري مَنْ يَنْطِقُ معهم بذلك مِنَ العَرَب.

وأنا أَشَكُّ أَنَّ الّذي أَجابَ يحيى بنَ عَمّارٍ عَنْ كلامِهِ إبراهيمُ بنُ أبي الغَوازيّ أو الصَّبَرِيُّ، رحمهما الله.

وأَخبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ قال: كان السّلطانُ إبراهيمُ بنُ أبي الغَوازيّ رَحِمَهُ اللهُ يقول: افْرُقوا بين الأَشْكال. قال: يُريدُ بين الشُّبّان والأَحْداث، فإنّهم إذا انْفَردوا كان أَكْثَرَ ما يَخْلون بِهِ مِمّا يَمِيْلُ بهم إلى اللَّهْو واللَّعِب ومعاصي الله في الأَغْلَب مِنْ أَمْرِهم لِما هو معروفٌ في طِباع الشُّبّان. قال: وكذلك بين المُتَّهَمِين بالنِّفاق والمَكائد والخِداعِ والتَّعَمُّلِ في المَكاسِبِ الرَّديئة، مِنَ[1] الشُّيُوخ والفِتْيان ونحوهم مِنْ أَهْل المُشاكلات المَذْمومة.

(١) في المخطوط: «ولها من»، ولم يتّجه لي المعنى بهذا الرّسم فإمّا أن تكون زائدة وإمّا أنّي لم أحسن قراءة الرّسم.

أَسْعَدُ بنُ سَلَمَة

هو أَسْعَدُ بنُ سَلَمة بنِ محمّد بن سَلَمة بنِ محمّد بنِ سَلَمة بنِ المُهَلَّب الشِّهابيُّ.

وقد ذَكَرْنا مِنْ أَخْبار أَبِيْهِ وعَمِّهِ ذَعْفان بن محمّدٍ في أَخْبارِ مُطَرِّفٍ[٢٨٤] وغيرها شيئاً، وبَلَغَني أَنَّهُ كان مِنَ الصّالحين، وأَنَّهُ اعْتَزَلَ قومَهُ، ولَحِقَ بعُبّاد الزّيديّة نَحْوِ مُطَرِّفٍ وأَصْحابِهِ، رحمهم الله، وكنتُ أَسْمَعُ ممّن يَذْكُرُ أَخْبارَهُ منهم نحو الشّيخ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم، رحمةُ الله عليه، ما يَدُلُّ على أَنَّهُ ما وُثِقَ بالنَّجاة مِنْ أَهْلِهِ لأَحَدٍ مِثْلِهِ.

وأَخْبَرَنا إبراهيمُ بنُ أبي الهَيْثَم ﷺ ونحن جماعةٌ بوَقَش قال: كان أَسْعَدُ مع إِخْوانِهِ مِنَ المسلمين فصاحَ الصّائحُ: يا خَيْلُ يا خَيْلُ. وقد عَدا عليهم بعضُ أَعْدائهم أو نحو ذلك، فلم يُفَكِّرُ في ذلك، ولا قَطَعَ ما كان فيه مِنْ ذِكْرِ الله وطَلَبِ النَّفْعِ مع أَوْلياء الله، فأَتاهُ آتٍ فقال: يا سُلْطانُ، أَمَا تَسْمَعُ الصّارخَ والنّداء: يا خَيْلاهُ يا خَيْلاهُ! فارْكَبْ أو خُذْ سِلاحك، وادَّرِكْ عَدُوَّك وعَدُوَّ بني عَمِّك. فلم يلتفتْ إليه ولا كان لكلامِهِ فيه تأثيرٌ ولا عندَهُ. وكان بحيثُ يَرَى القاعَ ومَجْرَى الخَيْلِ إلى أَهْل الغارة، فالتفتَ فرَأَى أَخاهُ مالكَ بنَ سَلَمَة، وكان مِنْ فُرْسانهم قد أَقْبَلَ إلى الصّوت يُرْكِضُ فَرَسَهُ، وذلك القائل له: ادَّرِكْ. قائمٌ لم يَفْتَأْ عَنْ قولِهِ ولم يَنْتَهِ، فالْتَفَتَ إليه وقال: قد جاءَكَ أَصْحابُها. فيَئِسَ منه، وانْصَرف.

ابنُ أبي ثَورٍ

هو أبو السُّعُود بنُ المنصور أبي ثَورٍ الأَيْهريُّ الحَنْبَصيُّ.

مِنْ حِمْيَر ثمّ مِنْ آل ذي يُهَرِيْم، مِنْ وَلَدِ أبي نَصْرٍ الحَنْبَصيِّ محمّدِ بنِ سعيدٍ النَّسّابةِ أَحَدِ عُلَماء اليمن الّذين ذَكَرَهم الحسنُ بنُ أحمد بنِ يعقوب الهَمْدانيُّ النَّسّابةُ في كُتُبِهِ نحو كتاب (**الإكليل**) في أَنْسابِ أَهْل اليَمَن وأَخْبارهم، وذكر أنّه مِنْ أَعْلَم مَنْ كان بذلك، وعنه كان يَأْخُذُ أَوْثَقَ ما يَثِقُ بِهِ مِنْ ذلك.

وكان أبو السُّعُود رحمه الله أَحَدَ فقهاء الزّيديّة ومُتَكَلِّمِيهم في الأُصُول والفُرُوع، وذوي الوَرَع والدِّيانة منهم.

وأَصْلُ مَسْكَنِهِ بيت حَنْبَص مِنَ المَعْلَل مِنْ أَرْض بني[٢٨٥] شِهابٍ، ثمّ صار إلى وَقَش فسَكَنَها مع الزّيديّة.

وكان بعد أَنْ قَدِمَتِ الكُتُبُ الّتي تَتَضَمَّنُ (**شرح التّجريد والتّحرير**) ونحوها مِنَ التَّعاليق، وما يُنْسَبُ إلى السَّيِّدين الهارُونِيَّين: أبي الحسين أحمد وأبي طالبٍ يحيى ابنَي الحسين بنِ هارون، ونَحْوِهما مِنَ السّادة عليهم السلام **قد** تَكَلَّمَ في شيءٍ مِنْ مسائل الخلافِ الّتي في هذه الكُتُب لمذهب الهادي إلى الحقّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، وبَصَّرَ شيئاً مِنْ ذلك، لا أَدْري على أَيِّ وَجْهٍ أَعَلَى الاعْتِقادِ له والاخْتِبارِ بالدّليل أم على وَجْهِ الامْتِحان لغيره أو سِوَى ذلك؟ فبادَرَ قومٌ بالنَّكَرَة عليه، وصادَفَ ذلك قُدُومَ رَجُلٍ يُقالُ له: محمّدُ بنُ عيسى، مِنْ مُتَفَقِّهَةِ أَهْل ديار الجِيْل والدَّيْلَم، فلَجَأَ إليه وسأَلَهُ عَنْ شيءٍ مِنْ تلك المَسائل، فلَقَّنَهُ فيها على ما بَلَغَني شيئاً، فزادَ سُوءُ ظَنِّ إِخْوانِهِ به.

وكان هذا الرَّجُلُ الدَّيْلميُّ مُؤَيَّديَّ الرَّأْي، فيما بَلَغَني عنه يومئذٍ وأنا بوَقَش، فمالَ إليه لِما تَوَهَّمَ منه، وأَشاعَتِ العَوامُّ عنه الخِلافَ على ما جَرَتْ به عاداتُهُم مِنَ الإرْجاف والهَذَيان. وكَبُرَ الأَمْرُ في ذلك على مَشائخ الزّيديّة، وكَرِهُوا ظُهُورَهُ وإشاعَتَهُ عنه، فلَزِمَ الجِدالَ عَنْ مسائِلِهِ وأَضْرَبَ عَنْ أخرى إلى أَنْ ظَهَرَ له منهم الكَراهِيَة، فلَزِمَ مَنْزِله مدّةً طويلة. ثمّ صار بعد ذلك إلى هِجَرِ الهَراثِم مِنْ بلد وادِعة وإلى بعض بلاد الأَهْنُوم، ودَعا إلى تعليم أُصُول المذهب على ما يَنْبَغي، ولم يَنْكَشِف عنه ممّا ظَنَّ به الجُهّالُ شيءٌ، فَحَسُنُ الظَّنِّ بِهِ ممّن بَلَغَهُ ذلك مِنْ إخْوانه، ورَجَعَتْ له القُلُوبُ منهم إلى ما ينبغي.

والّذي كان عليه مَشائخُ الزّيديّة في عَصْرِهِ تَقْلِيدُ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، في الفِقْهيّات لا يَعْدُونَ عَنْ مذهبِهِ ويَسْتَنْكِرون التَّصْويب لسِواهُ، ويَرَون تَنَقُّلَ العَوامِّ والمُتَعلِّمين، ومَنْ ليس له في العِلْم والفِقْهِ بالمَسْمُوع بَصَرٌ، يُعَدّلهُ مِنْ أَهْل الاسْتِحْقاقِ للقياسِ على ما رَسَم الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، في **(الأَحْكام)** وكتاب **(القياس)** ونحوهما مِنْ كُتُبِهِ في المذاهب والآراء في فُرُوع الفِقْهِ، فَضْلاً عَنْ أُصُولِهِ= **خطأً** مخوفاً عليه[٢٨٦] ضَرَرُهُ عند الله سبحانه في آخرتِهِ، ويَتَّقُون عليه الهَلَكَة في دِيْنِهِ. إذْ كان ذلك كاللَّعِبِ والعَبَثِ بالهَوَى فقط، وإنِ احْتَجَّ منهم مُحْتَجٌّ على ذلك، فإنّما يَرْتَكِبُ طريقةَ قياسٍ على رَأْيِهِ لا على نُصُوصِ الكتاب والسُّنَّة المُحْكَمة والسَّماع مِنْ آلِ الرّسول، صلّى الله عليه.

وكنتُ أَسْمَعُ إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثَم رحمه الله أيّامَ قُدُوم محمّدِ بنِ عيسى -هذا الرَّجُلِ الدَّيْلميِّ- يَقُولُ للنّاس: لا تكونوا تَنْخَدِعُون لهذه الأَشْياء الجديدة، وتَنْشَطون لكُلِّ مُسْتَطْرَفٍ حادِثٍ، وتَمَلُّون ما بأَيْدِيكم مِنَ الحقّ، فإنّ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، قال في (الأحكام): «**كتابٌ مُسْتَقْصًى فيه أُصُول كلِّ ما يُحتاج إليه، فأَجِيْدوا النَّظَرَ فيه، واسمعوا منه ولا تَسْمَعُوا عليه، ولا يَخْلُوَنّ بقُلُوبكم كلُّ جديدٍ فيه له خِلافٌ**». في كلامٍ مِنْ نَحْو هذا.

وكان منهم مَنْ يُحَذِّر مِنَ التّقليد، ويقول: إنّ الهادي، عليه السّلام، لمُجْمَعٌ على إمامته لأَنّ هذه الكُتُبَ الواردةَ تَشْهَدُ بإمامَتِهِ، فما وافقَها ووافَقَتْهُ فيه فاعْمَلُوا به واتَّكِلُوا عليه، وما أَنْكَرْتُموهُ واتَّهَمْتُمُوهُ بخِلافِهِ فارْفُضُوهُ، فإنَّ الحقَّ ما أُجْمِعَ عليه، والباطلُ ما اخْتُلِفَ فيه، ومنهم مَنْ يَقولُ إذا جُوِّزَ الخِلافُ في الفُرُوع لآلِ محمّدٍ، صلّى الله عليه، وكانتِ الحاجةُ إليهم في الفُرُوع؛ لأَنَّ الأُصُولَ العقليَّة لا يُجْزَى العَبْدُ فيها إلّا ما عَقَلَهُ منها، لا ما عَقَلَ غيرُهُ بإِجْماعهم، وشَهادة العُقُول بذلك.

والأُصُولُ السَّماعيَّة هي مُحْكَمُ الكتاب والمُجْمَعُ عليه مِنَ السُّنّة، وهذانِ الوَجْهان لا يُحْتاجُ فيهما إلى أَحَدٍ مِنَ النّاس لاسْتِغْنائهما بأَنْفُسِهما عنهم، فلم يَبْقَ إلّا أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ مُتَشابِهِ الكتابِ والمُخْتَلَف فيه مِنَ السُّنَّة وتَفسير ما أَشْكَل مِنْ ذلك.

وكان الصَّدْرُ الأوّلُ منهم قد أَتَى بعدهم أئمّةٌ منهم دَفَعُوا أَنْ يكون بينهم خِلافٌ إلّا مَنْ كان منهم خارجاً إلى مذهبٍ غيرِ مذهب آلِ محمّدٍ، صلّى الله عليه، مِنْ مذاهب العَوامِّ مِنَ الرَّوافِضِ وغيرها، فإِنَّ القاسمَ ويحيى وأولادَهما، عليهم السّلام، مَنَعُوا مِنْ وُجُود الخِلافِ بين آلِ محمّدٍ، صلّى الله عليه وعليهم، إلّا على هذا الوَجْهِ الّذي قد بانَ صاحبُهُ عَنِ آلِ الرّسول، عليه السّلام، وفارَقَهم إلّا في النّسب فقط أو في غَلَطٍ ووَهْمٍ تجري فيه التَّذْكرةُ، وأَنْكروا ما ادُّعي بين القاسم ويحيى، عليهما السّلام، مِنْ كثير مسائلِ الخِلاف أَشَدَّ الإِنْكار، ونَفَوهُ عنهما.

فإذا جُوِّزَ الخِلافُ[٢٨٧] بين آلِ محمّدٍ، صلّى الله عليه، فيما يُحْتاج فيه إليهم فإلى مَنْ يُفْزَعُ بعدهم في حَلِّ ما أَشْكَل مِنْ أَمْرِهم ومَنْ يُداوي الدَّواء إذا فَسَدَ، ويَدُلُّ الدّليلَ إذا عَمي، وهذا شيءٌ يستحيلُ عَقْلاً وشَرْعاً.

وإذا كان الأَخْذُ عَنْ آلِ محمّدٍ، صلّى الله عليه، في التّفسير للمُتَشابه والمُشْكل مِنَ الكتاب والسُّنَّة، وفي الخَبَر المختلف فيه برواياتهم هو المُفْتَقرُ فيه إليهم فقط، وكان الآخَرُ

يُخالِفُ الأوّلَ، فمِنْ أين أُخِذَ هذا الآخَرُ إذن؟ هل يكون أُخِذَ إلّا عَنِ العامّة؟ وعلى هذا يكون قد أَبْطَلَ أَصْلَ القَولِ بِإمامَتِهم؛ وإِبْطالِ أُصُولِ الدِّين هَلَكَةٌ كبيرةٌ وفِسْقٌ عندهم بالإِجْماع أو كُفْرٌ.

فكان مَنْ يَقولُ بكثيرٍ ممّا في هذه الكُتُب، الواردة مِنْ جِهَةِ الجِيْل والدَّيْلَم، قد حَكَم بإِبْطالِ أَحَد ما في الجَنْبَتين: إمّا ما في جَنَبَة القاسم ويحيى وأَوْلادِهما، عليهم السّلام، وإمّا ما في جَنَبَة الهارُونِيَّين وابنِ الدّاعي ونحوهم مِنَ السّادة ﭬ.

وهذا كُلُّهُ يَكْبُرُ الإِقْدامُ عليه، فبَقِيَتِ السّلامةُ مِنْ ذلك في حُسْنِ الظَّنِّ بالأئمّة جميعاً، عليهم السّلام، وقِلَّةِ التّصديق عنهم بما يُوجِبُ هذه الهَلَكَة، ويُناقِضُ الأُصُولَ المُجْمَعَ عليها ويُنافِيْها، والعَمَل بما أُجْمِعَ عليه، والوقوف عند الشُّبُهات، وتَرْك القول فيما أَشْكَل، والعَمَل به مع طَلَبِ العِلْم به، والبَحْث عَنِ اليَقِين فيه لهذه الوُجُوهِ المذكورة، ولأنّ في هذه الكُتُبِ مِنْ تَرَدُّدِ مُصَنِّفِيها في الأَقْوالِ والوُقُوفِ في شيءٍ والرُّجُوع عَنْ آخَرَ والنَّدَم على ما فات به القَولُ في ذلك نحو ما رَوَوا فيها عَنْ سِيْرة المُؤَيَّد بالله أبي الحسين الهارُونيّ، قَدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ، مِنْ قولِهِ عندَ موتِهِ: «**وَدِدْتُ أنّي أَتَمَكَّنُ مِنْ فتاويَّ –أو قال: تصانِيْفي– فأُحْرِقُها**».

وهذا بخِلافِ ما رُوِيَ عَنِ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، في سِيْرتِهِ وجاء عَنِ السَّيِّدِ أبي طالبٍ الهارُونيّ ﭬ في كتاب (**الإفادة**) المَرْوي عنه في أَخْبارِهِ مِنْ قولِهِ، عليه السّلام: «**أين الرّاغبُ وأين مَنْ يَطْلُبُ العِلْمَ، إنّما يَجِيْئُنا مجاهدٌ راغبٌ في فِضْلِهِ مُتَحَرٍّ ما عند الله لأَهْلِهِ**». ولعَمْرِي إنَّهُ لأَكْبَرُ فُرُوضِ الله على عَبْدِهِ، ولكن لو كان مع ذلك رَغْبَةٌ في العِلْم وبَحْثٌ عنه لصادَفُوا مِنْ يحيى بنِ الحسين، عليه السّلام، عِلْماً جَمًّا.

فإذا كان الهادي، عليه السّلام، قد رُوِيَ عنه التَّأَسُّفُ لقِلَّةِ الرّاغب[٢٨٨] في عِلْمِهِ وعُدْم السَّبِيل إلى نَشْرِهِ؛ والمُؤَيَّدُ، قَدَّسَ الله رُوحَهُ، يُرْوَى عنه التَّأَسُّفُ على فَوْتِ كُتُبِهِ

وتَصانِيْفِهِ عَنْ أَنْ يُحْرِقَها، وتمنِّيهِ أَنْ لو أَتْلَفَها. فقدِ اتَّضَحَ السَّبِيلُ لِمَنْ عَقَلَ في الثِّقَةِ بأَحَدِهما والتَّوَقُّف في الثّاني. وأَقَلُّ ما في ذلك أَنْ يُقالَ: لا يَصِحُّ عَنِ المُؤَيَّدِ ذلك، وهذه طريقةُ تَكْذيبٍ لهذه التَّصانيف وتَشْكِيك فيها. وما أُقْدِمَ به على أَحَدِها أُقْدِمَ به على الآخَر. وكان منهم مَنْ يَقولُ: «**ما بُودِرَ إليه بالطَّرَبِ للهَوَى رُفِضَ بالمَلالة، ومَنْ قَبِلَ شيئاً بغَيْرِ نَظَرٍ اسْتَنْكَرَهُ بغيرِ نَظَرٍ**».

وكان أبو السُّعُودُ بنُ أبي ثورٍ رحمه الله ذا وَرَعٍ قد حُكِيَ ورَأْيٍ وجَوابٍ قَويّ، فأَخْبَرَني بعضُ ثِقاتي مِنَ الزّيديّة نَحْوِ عَليان بن إبراهيم رحمه الله وغيرِهِ قال: كان بنو شِهابٍ قد هَمُّوا بغَزْوِ صَنْعاء في وقتِ قِلَّةٍ مِنَ الجُنْد بها -وكان ذلك فيما أَحْسِبُ لأنّهم صاروا إلى اليَمَن مُنْجِدِينَ لِمَنْ بها مِنْ مُلُوك أَهْلِ دَعْوتهم نَحْو: سَبَأ بنِ أحمدَ بنِ المُظَفَّر الصُّلَيحيِّ، وزُرَيع بنِ العبّاس اليامِيِّ، والمُفَضَّلِ بنِ أبي البَرَكات الحِمْيريِّ، والحُرَّةِ الملكة الصُّلَيحيَّةِ؛ وذلك في غَزْوَتهم لأَبْيَن ولَحْج وأَخْذِهما وقَهْرِهم لمُلُوكهما مِنْ بني مَعْنٍ ونحوهم- قال: فاجتمع الشِّهابيُّون للمَشُورة في ذلك، واتَّفَقَ حُضُور أبي السُّعُود بنِ أبي ثورٍ هناك، فلمّا تَكَلَّمُوا في ذلك قال: يا موالي، هذا غيرُ صَوابٍ. قالوا: ولِمَ؟ قال: «**لأنّ صَنْعاء لا تُؤْخَذ بسُرْعةٍ ولا تُفْتَح بالهُوَينى، وبها حاتمُ بنُ الغُشَيم وبها كذا، وأَنتم الآنَ غيرُ مُتيَقِّنين للظَّفَر، فإنْ كانتِ الأُخرى كان السَّيْفُ فيكم يَعْمَلُ إلى حُصُونكم، وكانت هزيمتُكم فَتْحاً للقوم عليكم، يَنالُون فيه ما قد عَجِزوا عنه منذ دُهُورٍ ومَنَعْتُمُوهُم إِيّاهُ، فيَسْتَأْصِلون شَأْفتكم، ويُهْلِكون مَنْ بَيْنكم مِنَ المسلمين، وتكون هذه مخاطرةً قبيحةً بشيءٍ نفيسٍ لا تُقالُ العَثْرَةُ فيه**». فسمعوا قولَهُ وأَضْرَبوا عَنْ ذلك.

وبَلَغَ حاتماً الخَبَرُ، ودَخَلَ أبو السُّعُود صَنْعاء لبَعْضِ حَوائجه، فلم يَشْعُرْ حتّى أَتاهُ الرّسولُ[1] خادمُ حاتمٍ يَسْتَدْعِيْهِ للحُضُور، ففَزِعَ لذلك وأَنْكَرَهُ؛ إِذْ كان حاتمٌ ليس ممّن

---

(١) قوله: «الرسول» كأنّه محكوك.

يَحْضُرُ مجلسَهُ أَحَدٌ مِنَ الزّيديّة للأُنْس ولا للاسْتِخْدام ولا لوَجْهٍ مأمونِ العاقبة، ثمّ لم يَرَ من ذلك بُدًّا، فتَجَمَّلَ وتَوَكَّلَ على الله تعالى، وسارَ معه. فلمّا دَخَلَ تَلَقّاهُ حاتمٌ إلى الحُجْرَة، ورَحَّبَ به، وقال: أَهْلاً بك يا أبا حَسّان ومرحباً[٢٨٩]. ثمّ أَمَرَهُ بالجُلُوس في موضعِ كرامةٍ مِنَ المجلسِ، فلم يَدْرِ أبو السُّعُود ما سببُ ذلك. وأَحْسِبُهُ استدعى له ما يأكلُهُ، فكَرِهَ أبو السُّعُود واعْتَذَر بعُذْرٍ قَبِلَهُ حاتمٌ، ثمّ إنَّ حاتماً أَمَرَ رَجُلاً كان يُقالُ له: سعيدُ بنُ نصرٍ، مِنْ أَجِلّاء خَدَمِهِ عندَهُ وخَواصِّهِ، فأَتَى بدَفْتَرٍ يُسَمِّيْهِ كتاب **(الحسنات والسَّيِّئات)** فعَلَّمَ منه على موضعٍ مِنْ باب الحَسَنات، ثمّ ناوَلَهُ أبو السُّعُود وقال: اقْرَأْ هذا. فنَظَرَ فإذا فيه: «**أبو السُّعُود بنُ أبي ثورٍ رَجُلٌ مِنَ الشِّيْعة مِنْ أَهْل بيت حَنْبَص حَضَرَ مَشْورَةً لبني شِهابٍ في غَزْو صَنْعاء في وقت افْتِراقٍ مِنْ هَمْدان، وقِلَّةٍ مِنَ الجُنْد بها، فنَهاهُم عَنْ ذلك، وكَسَرَ عليهم رَأْيَهم حتّى تَرَكُوهُ**». وإذا هو قد أَثْبَتَ كلامَ أبي السُّعُود ذلك الّذي أَرادَهُ لله تعالى طاعةً، وللقوم نُصْحاً، وللمسلمين نَظَراً حَسَناً منه إليه. ثمّ أَمَرَ له بمئة دينارٍ وجُبَّةٍ وقَمِيصٍ وثوبٍ وعِمامةٍ، وقال: خُذْ هذا، يا أبا حسّان، وبابُنا لك مفتوحٌ متى شئت فقد فعلتَ وفعلتَ، وشَكَرَ له ذلك المشهد وقوله فيه. فأَبَى أبو السُّعُود أَنْ يقبلَ شيئاً مِنْ ذلك واعْتَذَر إليه فيه بما قَبِلَهُ، وقال: لكنّي أُريدُ منك، يا مولاي السّلطان، أَنْ تَأْمُرَ خَدَمَك أَلّا يحجبوني عنك، ولا يكون عليَّ اسْتِئْذانٌ إليك حتّى أكون أَشْكُو إليك ما يَغُمُّني، وأَسْتَعين بك عند نَوائبي.

وكان أبو السُّعُود رحمه الله يسكن سَعْوان في بعض الأوقات، وهو مِنْ بلاد حاتمٍ الّتي يَمْلِكها، فكان ربّما يُطالِعُهُ في بعضِ مَنْ يُظْلَمُ مِنَ المسلمين، ويَسْأَلُهُ الذِّمَّةَ للخائفِ والمُسامحة للمؤمن فيما يُطالِبُونَهُ به مِنَ الوظائف في الأَمْوال. وكان يرى ذلك أَسْلَمَ له وأَنْفَعَ في الدِّين وأَقْرَبَ إلى الله.

وأَرَى -والله أَعْلَمُ- أَنَّهُ قد ذَكَرَ أَنَّهُ لـمّا خَرَجَ لامَهُ فُقَراءُ النّاسِ، ومَنْ خَفيَ عليه

موضعُ نَظَرِهِ في رَدِّ الدّنانير والثِّياب، وتَرْك القَبُول لها مِنْ حاتمٍ، وتَرْك التَّفْريق لها في فُقَراء المسلمين إنِ اسْتَغْنى عنها. فأجابهم بمِثْلِ جَوابِ الصَّبَرِيِّ لابن رِفادٍ في عَطِيَّةِ سليمانَ بنِ عامرٍ الزَّواحيِّ، وقد تَقَدَّم ذِكْرُ ذلك. وقال: تكون مِنّةً للقوم علينا، ويُغْلِقُون أَبْوابَهم عَنْ شَكْوانا الظُّلْمَ منهم لَظْلُومِنا، ويَقُولون: **حَرَّمْناها عليهم تَفارِيقَ، واسْتَحْلَلْناها حين جَمَعُوها لنا**. ولا يَبْعُدُ أَنْ يكون ذلك منه قُدْوةً بالصَّبَرِيِّ؛ لأنّ في أَخْبارِهم، رحمهم الله، ما يَدُلُّ على أَنَّ أَكْثَرَ ما يأتي المُتَأَخِّرون منهم على مِثالِ ما جاء به المُتَقَدِّمون، وأَنَّ ذلك قُدْوةٌ مِنْ آخِرٍ بأَوَّل، ولاحِقٍ بسابق.

وأَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ به مِنْ أَفاضِلِ الزّيديّة[٢٩٠] -وذَهَبَ عَنِّي الآن اسْمُهُ- أَنَّهُ بعد أَنْ قَعَدَ للحُكْم بين النّاس على مذهبِ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، لم يَشْعُر ذاتَ يومٍ حتّى أَتاهُ آتٍ بجِرابٍ جيِّدٍ فيه بُرٌّ صالحٌ، فأَهْداهُ إليه فقَبِلَهُ مُرْتاباً بغَرَضِهِ مِنْ ذلك وبه، إذْ لم يكن مِنْ عِدادِ الإِخْوان الّذين يُوْثَقُ بِبِرِّهم وإِحْسانهم أَنَّهُ لله وفي الله. فلَبِثَ ما شاءَ اللهُ ثمّ أَتاهُ ذلك الرَّجُلُ بخَصْمٍ له فحَكَم بينهما بما أراهُ الله، ثمّ قام إلى منزله فأَخْرَجَ للرَّجُلِ بُرَّهُ بنفسه، وذلك أَنَّهُ حين ارْتابَ عَزَلَهُ في موضعٍ وحَرَسَهُ مِنْ أَنْ يَنْتَفِعَ به أَهْلُهُ في شيء. فقال الرَّجُلُ: ما هذا، يا مولاي القاضي؟ قال: حَبٌّ تَأْخُذُهُ. ففَطِنَ الرَّجُلُ للأَمْر، فقال: يا مولاي، أُقْسِمُ بكذا وكذا ما آخُذُهُ. فقال: أُقْسِمُ أنا لتَأْخُذَنَّهُ. فقال: إنّي أَرَدْتُ لوَجْهِ الله بِرًّا لك وصِلَةً في الله. قال: لذلك طريقةٌ أخرى ووَجْهٌ معروفٌ. فلم يُفارِقْهُ حتّى أَخَذَهُ.

وأَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ به منهم -وأَحْسِبُهُ محمّدَ بنَ إبراهيم بن حُمَيْدٍ- قال: كان أبو السُّعُود بنُ أبي ثورٍ بالبَون، فاجتمع هو وقاضٍ كان مِنْ آل الثُّوَيْر، وهم مِنْ قُضاة البَوْن، وفيهم مَنْ يحكمُ بين النّاس بالنَّسَب الّذي لَهُ، وأَنَّهُ مِنْ أولاد قُضاة البَلَد لا بفِقْهٍ ولا بَصَر عندَهُ، وأَخْبارُهُم في ذلك ظاهرةٌ إلى الآن لا تَحْتاجُ إلى تَعْريفٍ. فتَكَلَّمَ ابنُ الثُّوَيْر في شيءٍ مِنْ حُكْمِ الله تعالى فأَنْكَرَهُ عليه أبو السُّعُود بنُ أبي ثورٍ ودَلَّهُ على فَسادِ ما ذَهَبَ إليه،

فلم يَقْبَلْ وغَضِبَ مِنَ الاعْتِراض عليه وأَنِفَ، وقال: أَعَلَيَّ تُنْكِرُ ولي تَقُولُ هذا وأنا ابنُ الثُّوَيْر! فخَشيَ أبو السُّعُود رحمه الله أَنْ يَغُرَّ العَوامَّ الّذين حضروا بإِرْجافِهِ وصِياحِهِ، ويُؤَكِّدَ عندهم الثِّقَةَ به فيَزْدادوا له تقليداً، ويَغُضَّ بذلك مِنَ الزّيديّة العُلَماء، ويُجَرِّئ عليهم الطّاعِنَ والمُسْتَهْزِئ. فقال: **يا هذا، إِنْ كنتَ ابنَ الثُّوَيْرِ الصّغير، وكان ذلك يَشْهَدُ لك بالعِلْم، فأنا ابنُ الثَّوْرِ الكبير**. فانْكَسَرَ وصاحَ عليه مَنْ صاحَ، وضَحِكُوا وتَفَرَّقَ النّاسُ وقد زَرُوا عليه.

أحمدُ بنُ هَمْدان

هو أحمدُ بنُ هَمْدان(١).

نسبُهُ في نِهْم بنِ ربيعة، مِنْ قبائل بَكيل هَمْدان، ثمّ في بني ...(٢).

كان يَنْزِلُ الخايسين مِنْ أَرْض خَرْفان مِنْ بلاد بَكِيْل.

وكان رحمه الله مِنْ عِباد الله الصّالحين وَرِعاً عفيفاً مُواسياً[٢٩١] بل مُؤْثِراً على نَفْسِهِ فيما يَنْبَغي الإِيْثارُ فيه، وكان له مالٌ مِنْ عِنَبٍ وغيرِهِ يَعودُ بنَفْعِهِ على المسلمين، كثيرَ الاهتمام بنَفْعِهم، عظيمَ الحِياطة لهم، قويَّ الإِكْرام لأَوْلياء الله مَأْلفاً لهم، مُسْتدعياً لهم إلى قَصْدِهِ بقوّةِ إِيْناسهم منه، وسَعَةِ بَشاشَتِهِ بهم ورِعايةِ حُقُوقهم زَوّاراً للمسلمين مُذَكِّراً بالله داعياً إليه، له عِلْمٌ بالتّوحيد والعَدْل وكثيرٍ مِنْ مسائل الكلام مُحْيياً للحقّ ما أَمْكَنَهُ.

...(٣) قال: مَرِضَ فَرَجُ الحَبَشيُّ رحمه الله مولى محمّدِ بنِ أَسْعَدَ الجَنْبيِّ -وقد ذكرناهُ بما هُو أَهْلُهُ مِنَ الخير عند أحمدَ بنِ هَمْدان- مَرَضَ موتِهِ، فجَعَلَ يَتَنَفَّسُ ويكْتَرِبُ ويَتَأَلَّمُ ولا يَقَرُّ به قَرارٌ، وكان أحمدُ رحمه الله يَنْظُرُ في الطِّبِّ نَظَراً صالحاً، فلم يَرَ به ما يُوجِبُ تلك الشِّدَّة ولا ذلك الكَرْب في ساعته تلك، فقال: ما لك، وما كَرَبَك؟ قال: دُيُونٌ عليَّ أَكْرَهُ معها الموت. فقال: فإنّ عليَّ قضاءَها، فمِتْ مُسْتَريحاً. فسكن وهَدَأَتْ أَنْفاسُهُ ثمّ مات، رحمةُ الله عليه.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ قال: كنتُ على رَأْي العامّة ثمّ قَدِمْتُ شِبامَ ومَسْوَر ونواحيهما، وكان بشِبام مَنْ يُكْرِمُني مِنَ الشِّيعة القائلين بالاخْتِراع. فكنتُ أَحْتَمِلُ ما أَسْمَعُ منهم في سَبِّ أبي بكرٍ وعُمَرَ وسُوءِ القول فيهما للضَّرورةِ والفَقْر. قال:

---

(١) بياضٌ في المخطوط قدر كلمتين.

(٢) بياضٌ في المخطوط نحو ثُلُثَي سطر.

(٣) بياضٌ في المخطوط نحو نصف سطر، ولعلّه اشتمل على اسم راوي الخبر.

فقَدِمَها أحمدُ بنُ هَمْدان رَحِمَهُ اللهُ فلمّا رآني رَغِبَ في توبتي مِنَ الرَّأْي الّذي كنتُ عليه، وأَحْسِبُ ذلك رجاءَ أَنْ يكون في طبقةِ إسماعيلَ بنِ أبي بكر النَّيْسابُوريِّ ونحوه، قال: وخاف أَنْ يَغْلِبَ عليَّ مَنْ بشِبام مِنَ القائلين بالاخْتِراع، وكانوا أَهْلَ سَبٍّ وأَذًى لمن خالفهم وجُرْأَةٍ على اللَّعْن والطَّعْن جَهْراً وسِرًّا، فرَصَدني حتّى أَمْكَنَتْهُ الفُرْصة في كلامي، فلم يَجِدْ شيئاً يَقَعُ عندي حينئذٍ يَصِيدُ به وُدِّي إلّا حُبَّ أبي بكرٍ وعُمَرَ فقال لي: ما تَقُولُ فيمن يَسُبُّهما، أترجو له سَلامةً أو عنده خَيراً؟ قلتُ: لا. قال: فقد تَسْمَعُ هؤلاء ما يَقُولون، فاحْذَرْهم. فلمّا قال ذلك وَقَعَ في نفسي ومالَ إليه قلبي شيئاً، ثمّ لَزِمَني وأَحْسَن مُعاشرتي بواسعِ أَخْلاقِهِ ورِفْقِهِ وبَصَرِهِ حتّى اجْتَذَبَني مِنْ شِبام إلى ثُلا فاخْتَلَطْتُ بالزّيديّة، فلم أَرَ ولم أَسْمَع شيئاً ممّا كان بشِبام مِنْ أولئك، فلم يَطُلِ الوقتُ حتّى قَبِلْتُ مَذْهَب الزّيديّة، ودخلتُ هِجَرَهم، وسَكَنْتُ بينهم فكان[٢٩٢] رَحِمَهُ اللهُ سببَ سلامتي.

وأَخْبَرَني أحمدُ بنُ أبي العريض عندنا بشَظَب قال: كان أحمدُ بنُ هَمْدان يَنْزِلُ هو وأَخُوهُ الهَيْصَم بنُ هَمْدان كَهْفاً بناحية الخايسين مِنْ خَرْفان مُتَنَحِّياً عَنِ القُرَى. قال: فبَيْنا هو ذاتَ يومٍ قاعدٌ في مكانٍ كان يَقِفُ به إِذْ أقبل ثلاثةُ نَفَرٍ -أو أربعة- عليهم أَمارَةُ الدِّين وهَيْئة المسلمين مجاهيلُ كُلّهم لا يَعْرِفُهُ، فلمّا سلّموا وكلّمهم ساعةً، واسْتَأْنَسوا وَثِقَ بأنّهم ضَيْفٌ نازِلون به فتَرَكَهم مُتَشاغلين ببعضِ الكلام، وقَصَدَ القريةَ يطلبُ لهم كَبْشاً -أو شاةً- لِيَذْبَحَها لهم قِرًى، فأَقْبَلَ وإذا ليس لهم أَثَرٌ ولا عنهم خَبَرٌ ولا وَجَدَ مَنْ يَدُلُّهُ على مذهبهم عنه، وأين سَلَكُوا. فجلس يُفَكِّرُ في ذلك واعتقد أنّهم مِنْ عِباد الله الصّالحين السّاحةِ في أَرْضِهِ. ثمّ قال لنا: هل رأيتم أَعْجَبَ مِنْ خَبَرِ هؤلاء النَّفَر ومجيئهم بَغْتَةً وانْصِرافهم، لم نَرَهم قبل ذلك، ثمّ لم نَرَهم بعدُ. أما إنّهم لو مَرّوا ببعضِ هؤلاء الجَهَلة مِنَ الحُسَيْنية لَمَلَؤوا بذِكْرِهم الأَرْضَ، وأَكْثَروا فيهم الأَقاويل، وادّعوا فيهم الدَّعاوى الباطلة، وأَرْجَفُوا بهم على العَوامِّ مِنَ النّاس. كأنّه يُريد أنّهم كانوا يَتَمَكّنون بذلك مِنْ أَنْ يقولوا مَرَّ بنا الحسينُ وعيسى ابنُ مريم والخَضِرُ، ونحو ذلك مِنْ أَقْوالهم.

الذَّماريُّ

هو القاضي الحسين بن يوسف بن إبراهيم، المعروفُ بابنِ ركَيزة مِنْ أَهْل ذَمار.

كان ﵀ مِنْ فُقَهاء الزّيديّة ومُتكَلِّمِيْهم، صاحبَ جَدَلٍ ورَدٍّ على مَنْ خالفَ اعْتِقادَهُ، وله على عبدِ الله بنِ أبي القاسم البُشاريَّ(١) الرَّدُّ المعروف.

وكان البُشاريُّ -فيما يُذْكر مِنْ خبره- جَرِيئاً على اللَّعْن والطَّعْن، وقد تقدّم ذِكْرُ شيءٍ مِنْ خَبَرِهِ في ذلك، فكأنّه تَعَرَّضَ للحسين الذَّماريِّ بقَولٍ غاظَهُ، فرَدَّ عليه جواباً فيه حِدَّةٌ أَتَى عليه فيه، وفَضَحَهُ وتَشَفَّى منه فيه، مع تَجَمُّلٍ وظاهرِ وَرَعٍ بما يَشْفِيْهِ ويَسْتُرُهُ.

وفي كلامِهِ ﵀ ما يُنْتَفَعُ به إذا نَظَرَ فيه، نحو قولِهِ: وبعدُ، أَيّها السّائلُ، **فإنَّ** مَسائِلَكَ هذه الّتي تَسَوَّرْتَ عليها، هي وغيرها ممّا أنت تَعْتَقِدُهُ وتُناظِرُ عليه، وتُظْهِرُهُ مِنَ الحُرُوف والأَسْماء وغيرِ ذلك عندك مِنْ مَسائل العَمَى= **أُمُورٌ** ما ذُكِرَ أَنَّ أَحَداً مِنَ الصّالحين عَلَّمَها ولا تَعَلَّمَها، ولا تَوَهَّمَها كما أنت تَوَهَّمْتَها، قد جعلتَها دِيْنك ونهايةَ عِلْمِك، كأَنّك ما أُمِرْتَ إلّا بها ولا فُرِضَ عليكَ غيرُها، وإنّما هي فُرُوعٌ لا يَصِحُّ عِلْمُها إلّا بعِلْمِ أَصْلِها وما أَراك إلّا تركتَ الأُصُول المُحْكَمَة[٢٩٣] ولَزِمْتَ الفُرُوعَ الشّاذَّةَ والأَلْفاظَ المُغْلَقَة، ثمّ حَمَلْتَها على ظاهرها. فأنتَ مُتَمَسِّكٌ منها بغيرِ وَثِيْقةٍ، وعامِلٌ منها على غير حقيقة.

وإذا نَظَرَ المُتَعَلِّمُ الطّالبُ للنَّجْوَةِ في كلامِ الحسين بنِ يوسف هذا، عَلِمَ أنّه بمعنى قول الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، في كتاب (المسترشد): «**ولو أنّكم أَنْصَفْتُم عُقُولَكم، وتَرَكْتُمُ المُكابَرَةَ عنكم، ثمّ رَدَدْتُم مُتَشابِهَ الأُمُور إلى مُحْكَمِها، وما شَذَّ مِنْ فرعها إلى أَصْلِها، ثمّ نَظَرْتم إلى النُّطْفَة مِمَّ هي، ومِمَّ كانت**» إلى آخر الفصلِ.

---

(١) في مخطوط الطّبقات الصّغرى (ورقة: ٥٤ب): «الشاوري» وسيعاد فيه أيضاً «الشاوري».

والنّاظِرُ في كتابِ الله تعالى، وكلامِ رُسُلِهِ وأئمّة دِيْنِهِ، عليهم أجمعين السّلام، **إذا** لم يَعْمَل بهذا ويَعْرِف أَنَّ لذلك أُصُولاً هي حَقائقُهُ ومحكمُهُ، وفُرُوعاً هي مُتَشابِهُهُ ومَجازُهُ، فيَرُدُّ حُكْمَ الفَرْعِ إلى حُكْمِ الأَصْلِ وجِنْسِهِ، ولا يُخْرِجُهُ إلى خلافه ومُضادّته، وحُكْمَ المَجازِ المُتَشابِهِ إلى معنى الحقيقة المُحْكَمة= ضَلَّ وأَضَلَّ، وهَلَكَ وأَهْلَكَ، وصارَ بظِنِّهِ على شيءٍ يُنْجِيْهِ، وأنّه يَلْزَمُهُ لله الدّعاء إليه، وهو غيرُ ما ظَنَّ ما نَهاهُ الله عَنِ القَولِ والعَمَل به والإِحْياء له.

وضَرَبَ الحسينُ الذَّماريُّ لهذا مثلاً -ولقد أَصابَ فيه وأَجادَ التَّحْذير مِنَ الوُقُوع في مَعْناهُ- وذلك قولُهُ بعد إِيْرادِهِ لقَولِ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، في كتاب **(البالغ المدرك)**، ولن يَعْدَمَ أَنْ يكون في الخَلْق مَنْ قدِ اسْتَبْهَمَ[1] عَنِ الفَهْم، ووَلَجَ في مَضايقِ الحَيْرة -إلى قوله، عليه السّلام- ونِتاجُ إرادتِهِ الاخْتِلاط. ثمّ قال: لك ولَمَنْ تَعَلَّقَ بالشُّبْهَةِ مُتعَلِّقَكَ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[الكهف][2]. ثمّ قال: فاتَّقِ اللهَ، يا عبدَ الله، لا تكن مِنْ أَهْل هذه الصِّفَة؛ فأيَّةُ حَسْرةٍ أَشَدّ مِنْ حَسْرة مَنْ يكون قد ظَنَّ أَنَّهُ أَصابَ الطَّريق، وهو عنها يَبْعُدُ، وظَفِرَ بالنَّجْوةِ وهو إلى الهَلَكَة يَقْصِدُ، ومَنْ يَبِيْعُ أَنْفَسَ أَعْلاقِهِ بالزَّهيد مِنَ الأَثْمان، ويَتَّكِلُ في نَظَرِهِ لنفسِهِ على ما يُسَلِّمُهُ إلى الهَوان.

وفي كلامِ الذَّماريِّ رحمه الله نُكَتٌ وعُيُونٌ تَدُلُّ على أَنَّ عَقْلَهُ وعِلْمَهُ أَقْوَى مِنْ لِسانِهِ، وأَنْفَسُ مِنْ حَظِّهِ في البلاغة، وإِنْ كان لم يَأْتِ بشيءٍ يُعَابُ في لُغَتِهِ، وهي ممّا يَنْتَفِعُ به النّاظرُ في أَمْرِ دِيْنِهِ، فليجدّ فيها النَّظَرَ مَنْ وَقَفَ عليها ولا يَتَهاون بها لقِلَّةِ تَنْمِيْقِها وتَزْوِيْقها بحُلْوِ الكلام السّاحر، فإنّ الآخرةَ تُصابُ بالنَّظَر لا بالفَيْهَقة[٢٩٤].

---

(١) **اسْتَبْهَم**: اسْتَعْجَم، واسْتَبْهَم عليه الأَمْرُ: أي أُرْتِج عليه.

(٢) في المخطوط: «أنبئكم» وهو وَهْم.

الهَرْثَميُّ

هو محمّدُ بنُ سليمان ...[(١)].

نَسَبُهُ في الهَراثم مِنْ وادِعَة.

وكان قدِ انْتَقَل في آخِرِ أيّامِهِ إلى بعضِ نَواحِيْنا، فكان منها بباري، وهو يومئذٍ خَرِبَةٌ قد بَقيَ فيها أَبْياتٌ قليلةٌ فيها أَقْوامٌ مِنْ أَهْل الصَّلاح، نَحْو أبي السُّعُود بنِ إبراهيم الشُّرَيْفيِّ وأبي الفَرَج بنِ جبران ويعقوبَ بنِ هناف ، وأَقْوامٍ آخرين يعتقدون رَأْيَ الزّيديّة مِنْ قِبَلِ شيخِنا إبراهيمَ بنِ عليٍّ الضّاميِّ رَحَمَهُ اللهُ ونحوه. فلَجَأَ محمّدُ بنُ سليمانَ إلى أبي السُّعُود بنِ إبراهيمَ، وكان لهُ أَوْلادٌ فأَمَرَهُ بتَعْلِيمهم القُرآنَ، وكان ربّما يكتبُ مَصاحِفَ، ويَنْسَخُ دَفاترَ يَبِيْعها. وأَدْرَكْتُهُ، وأنا صَبيٌّ، شيخاً كبيراً لم يَلْبَث أَنْ ماتَ، رحمةُ الله عليه.

وكان مِنْ عِباد الله الصّالحين وأَهْلِ وِلايتِهِ، ومَنْ عليه سِيْماءُ الخير وله سَمْتُهُ وهيبتُهُ. وكان يُحْيِي القولَ بالعَدْل والتّوحيد بهذه النُّسَخ إذْ لم يَرَ للسانِهِ مَعْمَلاً، وكان في كُتُبِهِ ما يَدُلُّ على أَنّهُ أَصابَ شيئاً أو أَدْرَكَهُ سَماعاً عَنِ المُرْتَضى لدِيْن الله محمّدِ بن يحيى، عليهما السّلام، وأَبِيْهِ وأَخِيْهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ويَدُلُّ على أَنَّ الهَراثِمَ كانوا مِنْ طُلّابِ العِلْم وأَنَّهُ بَقيَ في أَيْدِيْهم ما يَدُلُّ على صحّةِ ما كان بيَدِ مُطَرِّفِ بنِ شهابٍ رَحَمَهُ اللهُ ونحوِهِ مِنْ أَهْل العَدْل والتّوحيد مِنْ شِيْعة الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، وكان له كتابٌ قديمٌ بخَطٍّ حَسَنٍ، فيه أُصُولُ المَسْأَلةِ عَنِ العالم والفُرُوقِ بين الأَشْياء والحقائق لها صريحٌ في المذهب، وقد بقيتْ

---

(١) بياضٌ في المخطوط نحو نصف سطر.

نُسَخُهُ، منه الّتي نَسَخَ لإِخْوانِهِ عندنا، وللبَيْعِ موجودةٌ إلى الآن. وكنتُ أرَى والدي رحمه الله وأبا السُّعُود بنَ إبراهيم الشُّرَيفيَّ يُكْرمانِهِ ويُعَظِّمانِهِ ويَحْتَرِزان مِنْ كثيرٍ ممّن يَدَّعي التَّشَيُّع. **وهو مِنْ مُتَقَدِّمي أَهْل هذه الطّبقة يَكادُ يكون مِنْ آخر أَهْل الطّبقة الثّالثة لتَقادُمِ سِنِّهِ ووَقْتِهِ.**

ابنُ حَيّان الأعشبيُّ

هو القاسم بنُ حَيّان.

ونَسبُهُ في بني زيدِ بنِ أَعْشب بنِ قُدَم.

أَحَدُ الصّالحين مِنَ الزّيديّة، صَحِبَ إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثَم وعُلَيّانَ بنَ سَعْدٍ والفقيهَ يحيى بنَ عبد الله وعليَّ بنَ حَرْبٍ ونَحْوَهم.

وكان يأتي هِجْرَةَ العَشّة مِنْ بيت شَهِير ويَطْلُبُ العِلْم.

وكان مِنْ أَهْلِ الوَرَعِ والزُّهْد[٢٩٥] والتّواضُع وأَخْلاق الخير.

فأَخْبَرَني سليمانُ بنُ يحيى الفقيهُ اليَحِيريُّ، قال: كان عيسى بنُ عبد النّاصر قدِ اغْتَصَبَ جِرْبَةً -مزرعةً- للقاسم بنِ حَيّان رحمه الله، وكان عيسى هذا رئيسَ بني أَعْشب، وكان القاسمُ يتمكّن مِنْ خُصُومتِهِ فيها، ولكن بكُلْفَةٍ ربّما جَرَّتْ حَرْباً. قال: فأَتَى القاسمَ آتٍ فقال له: ولِمَ لا تُخاصِمُ ابنَ عبد النّاصر في جِرْبَتِك وتَقُومُ في ذلك؟ قال: لأنّي لم أَخَفِ اللهَ أَنْ يَسْأَلَني يومَ القيامة لِمَ لم أُخاصِمْهُ، وإنّما يَسْأَلُهُ لِمَ غَصَبها؟ في كلامٍ نحوِ هذا. قال: فبَلَغَ ذلك ابنَ عبد النّاصر، فعَرَفَ قُبْحَ ما جاء به فرَدَّ عليه جِرْبَتَهُ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحَسَن البَصْريُّ الغريبُ في نوعٍ مِنْ أَخْبارِهِ قال: كنّا عند القاسمِ بنِ حَيّان، وكان يُكْرِمُنا ويُحْسِنُ إلينا، فقَدَّمَ إلينا طَعاماً، فأَكَلْنا، فلمّا رَأَى أَكْلَنا لا يُعْجِبُهُ أو تَوَهَّمَ مِنّا تَجَمُّلاً أو نحوه، ونحن لم نَشْبَع. قال لي: **كُلْ ولا تَجْمَعْ عليك جُوعاً ونِفاقاً**. فذَهَبَتْ مَثَلاً في النّاس.

الطَّبَقَةُ الخامسةُ
مِنَ الزّيديّة باليَمَن

هؤلاء هُمُ الّذين أَخَذُوا عَنْ أَهْل الطَّبَقَة الرّابعة، ومنهم مُتَقَدِّمُ الوقت ومنهم مُتَأَخِّرُهُ، فمِنْ مُتقَدِّمِيْهم فَضْلاً لا وَقْتاً مِنْ أَهْلِ البيت ﵃:

الشّريفُ الحَسَنُ بنُ محمّدٍ الحَسَنيُّ

المعروف بابنِ القاضي.

مِنْ وَلَدِ الهادي إلى الحقِّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، وهو مِنْ أَهْل صَعْدَة ونواحيها، وكانت إقامَتُهُ بأَمْلَح، مِنْ بَلَد شاكر مِنْ هَمْدان، تَكْثُرُ، وبها تُوفِّي ﵀.

وكانت قدِ اشْرَأَبَّتْ إليه الزّيديّةُ باليَمَن، وجمع مودَّةَ الفَريقَين منهم، وكان ذَكيًّا عاقلاً زَكِيًّا وَرِعاً دَيِّناً فاضلاً، له حَظٌّ مِنَ العِلْم صالحٌ، وبَصَرٌ بالنّاس جيّدٌ، فطُوْلِبَ بالقِيامِ والدُّعاءِ إلى نَفْسِهِ، وطَلَبِ البَيْعة له والإمامةِ فأَبَى أَشَدَّ الإِباءِ، وامْتَنَع أَقْوى الامْتِناعَ حتّى مات ﵁ على ذلك.

وكان فاضلاً -فيما بَلَغَني مِنْ أَخْبارِهِ- في فُنُونٍ كثيرةٍ، مَرْضِيًّا محمودَ الطّريقة والسِّيْرة.

وبَلَغَني أَنَّ محمّدَ بنَ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ البَحيريَّ أَتاهُ وحاوَلَهُ على القيام، فأَعْرَضَ عنه، ولم يَلْتَفِتْ إلى شيءٍ مِنْ كلامِهِ وأَيْأَسَهُ مِنْ[1] غَرَضِهِ فيه، فانْصَرَفَ آيِساً، ووَلّى باسِراً

---

(١) كرّر في المخطوط: «من».

عابساً. فكانتْ هذه مِنْ[٢٩٦] فضائلِهِ عند أَهْل الدِّيانة والعِلْم بالمِلَّة والخِبْرة بالنّاس. إذْ كان ابنُ عُلَيّانَ هذا رجلاً[١] رَجُلاً مُوْلَعاً بطَلَبِ الأَمْرِ، جَريئاً على تحريك الحُرُوب، شديدَ المحبّة للرّياسة، فإذا الْتَمَسَ ذلك قامَ فيه وقَعَدَ، وحَلَّ وعَقَدَ، حتّى يُلْجِئَهُ العَجْزُ أو القَهْرُ أو هَلاكُ صاحِبِهِ الّذي يدعو إليه مِنْ أَهْلِ البيتِ أو شِيْعَتِهِ وأَنْصارِهِ، ودُخُولِ الغَلَب عليهم إلى القُعُود، ثمّ لا يَلْبَثُ أَنْ يَلْتَمِسَ ذلك مِنْ سائر مُلُوك اليَمَن حتّى أَفْنَى في ذلك أَمْوالاً ورِجالاً مِنَ الزّيديّة ومَنْ يُنْسَبُ إليهم مِنَ الأَشْراف والرّعيّة، وطَلَبَ بثأْرِ قومٍ، وتَكَلَّفَ ما لا يَعْنِيْهِ في آخرين، وكذلك مِنْ أَهْل صَنْعاء وعَدَن والمَعافِر مِنْ أَهْل الدّعوة الصُّلَيحيّة ومِنْ أَهْل زَبيد مِنْ مُلُوك الحَبَشة وأَهْل حَرَض مِنْ مُلُوك الأَشْراف السُّلَيمانِيِّين وغيرهم، حتّى اشْتُهِرَ بذلك وعُرِفَ ضَعْفُ دِيْنِهِ يومئذٍ، وهَلاكُهُ في آخِرَتِهِ، وسَقَطَ قَدْرُهُ وزالَ فَضْلُهُ عند رِجالِ الزّيديّة وأَهْل الخير، ورَفَضُوهُ. وعُرِفَ قِلّةُ ثَباتِهِ على حالٍ أو وِقاية بصُحْبَةِ صاحبٍ أو تمام عَقْدٍ عند الآخرين.

لقد رأيتُ بمسجدِ آلِ أبي الطّاهر بنَجْران مكتوباً على أُسْطُوانةٍ منه: (منَ البسيط)

قُلْ لابْنِ عُلْيانَ: دَعْ عَنْكَ النَّوامِيْسا ... فَإِنَّهُ مَذْهَبٌ قد صارَ مَدْرُوسا[٢]

إنْ كانَ إِبْلِيْسُ أَغْوَى النّاسَ كُلَّهُمُ ... فَأَنْتَ أَنْتَ الّذي أَغْوَيْتَ إِبْلِيْسا

فسألتُ عَنِ البيتين فيمن قِيْلا؟ فقِيْلَ: فيه. وسألتُ: مَنْ قائلُهُما؟ فاخْتُلِفَ فيه، فقائلٌ: بعضُ أَهْل صَنْعاء، وقائلٌ: إنّه محمّدُ بنُ الحَسَنِ الشّاعرُ الحَضُوريُّ المعروف بالطّشّ، وكان كثيرَ الأَهاجي شاعراً فيها.

ولقدِ اجتمعتُ أنا ومحمّدُ بنُ عُلَيّانَ هذا بدار القاضي أبي الخيرِ أحمدَ بنِ عبد السّلام بنِ أبي يحيى بصَنْعاء في ليلةٍ مِنَ اللّيالي، فاطَّلَعَ عليَّ وأنا أُصَلِّي العشاءَ الآخرة

---

(١) في المخطوط: «هذ رارجلا»، وقد تُقرأ: «هذراً رجلا» إلّا أنّ التّركيب مضطربٌ.

(٢) قوله: «عليان» كذا في المخطوط من دون ضبط، وقد ضُبِطَ اسمُهُ في غيرِ موضعٍ مِنْ هذا الكتاب بالتّصغير: «عُلَيّان»، ولكنه لا يستقيم به الوزن هٰهنا، وليس ثمّة سبيلٍ لاستقامة الوزن إلّا أن يكون: «عُلْيان» أو نحو ذلك.

ولا أَرْفَعُ يَدَيْ ولا أَعْدُو في أذاني مذهبَ الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام، ولا فيما يَظْهَرُ له مِنْ صلاتي. فلَبِثَ قائماً ينتظرني حتّى فرغتُ ثمّ قال: أَراكَ تُصَلِّي صلاتَنا! فاغْتَظْتُ لذلك، وقلتُ: ومَنْ أنتم، يا سَيِّديّ؟ قال: الزّيديّة. قلتُ: أنت زيديٌّ، يا شيخُ يا محمّدُ، أو أنا؟ وأنت تَجُولُ مِنْ صَنْعاء إلى الجُوَة في تَرْقِيعِ خُرُوقِ الدّولة الصُّلَيحيّة ورَفْي وَهْيها، تَغْرَمُ في ذلك الغَراماتِ، وتَبْذِلُ جاهَك، وتُنْضي دابَّتَك، وتُبْلي بَدَنَك، وتُفْني عُمُرَك، وتَوْتَغُ[1] دِيْنَك[٢٩٧]، وتَقلبُ عادَتَك -في كلامٍ نحو هذا- وأنا أَقُومُ بين أَيْديْ سَلاطينِها مادحاً فأَصِفُهُم بأنّهم حُجَجُ الله وخُلَفاءُ الأئمّة وقَوَمَةُ المِلَّةِ والأُمَناء على الأُمّة، وأنا أَعْلَم أنّي كاذبٌ غيرُ مُضْطَرٍّ إلى ذلك، ولا مُكْرَهٍ عليه، بل حُبًّا للدُّنْيا وزِيْنَتِها والإِكْرامِ عند أَهْلِها. وإنّما الزّيديُّ أبوك رحمه الله الّذي كان يَقُولُ لأَصْحابه مِنَ الزّيديّة بوَقَش: **لقد سَرَّني ما أَنْتُم عليه لولا أنّي أَخافُ عليكم محبّةَ بني سَلَمَة، وهم ظَلَمَةٌ**. في كلامٍ هذا مَعْناهُ. وذلك لأنّ بني سَلَمَة كانوا يُكْرِمُونهم غايةَ الإِكْرام. فسَكَتَ وانْصَرَفَ ولم يُعاوِدْني بكلامٍ بَعْدها.

فكان إِعْراضُ الشّريفِ الحسنِ بنِ محمّدٍ رحمه الله عَنْ ابنِ عُلَيّانَ واطِّراحُهُ لكلامِهِ وتَهاوُنُهُ بقولِهِ، وقَطْعُهُ لطَمَعِهِ فيه، وكذلك طَمَعِ غيرِهِ مِنْ سائرِ النّاسِ مِنْ فَضائلِهِ الفاضلة، ودرجاتها العالية؛ لأنّ الحديث عَنْ رسول الله، صلّى الله عليه: «**على العاقل أَنْ يكون بَصِيراً بزمانِهِ وأَهْلِهِ، مُقْبِلاً على شأْنِهِ، حافظاً لِلسانِهِ**»[2].

ونحو ذلك مِنْ مكارمِهِ الكريمة، وفضائلِهِ العظيمةِ الدّالة على أَنَّهُ لو عاش لكان يُمْكِنُ أَنْ يَصِيرَ إلى اسْتِحْقاقِ ما طلب منه، طُلِبَهُ أو لم يَطْلُبْهُ= ما أَخْبَرَني به عيسى بنُ داود الزّيْديُّ، وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بالثِّقَةِ عندنا والرِّضا به في الرِّواية، قال: أَحَبَّ مُفَضَّلُ بنُ عليٍّ المعروفُ بالعُنْدُر، وأخي أحمدُ بنُ داود، زيارةَ هذا الشّريف والمعرفةَ لِما هو عليه، واخْتِبارَ

---

(١) **تَوْتَغ**: من الوَتَغ، وهو الهلاك في الدِّين والدُّنْيا؛ التّاج: (و ت غ).

(٢) جامع العلوم: ١/٢٩١، وفيه: «... وعلى العاقل ... حافظا للسانه ...».

غَرَضِهِ في طَلَبِ الأَمْرِ والقيام بالدّعوة، فسارا حتّى أَتَياهُ فأَكْرَمْهُما وأَدْناهما وسَأَلاهُ عمّا كان في أَنْفُسِهما، فأَجابَهُما، وتَعَرَّفا ما عندَهُ في طَلَب الأَمْرِ والقيامِ بالدّعوة، فصَرَفَ هَمَّهُما عَنْ ذلك بأَلْطَفِ طريقةٍ، وعَرَّفَهُما في كُلِّ ما اعْتَذَرَ فيه بعُذْرٍ قَنِعا به. وكانا يَعْتَقِدان شيئاً مِنْ مَسائِلِ الخِلافِ الّتي بين الزّيديّة، نحو الاخْتِراعِ للأَعْراضِ وحِسِّها، وما أَشْبَهَ ذلك، فأَقْبَلَ عليهما وراعَى حُقُوقَهما ولم يُوْحِشْهما، ثمّ إِنَّهُ وَعَظَهما وعَرَّفَهُما خَطَأَ مَنْ يعتقدُ العَداوةَ والبَغْضاءَ مِنْ فَريقَي الزّيديّة كلّ فريقٍ منهما للآخَرِ، وصَوَّبَ الوَرَعَ في ذلك، والتَّحَرُّزَ مِنْ إِطْلاق القَوْل السَّيِّئ في ذلك، وغَلَّطَ الأَمْرَ في ذلك وقَبَّحَهُ، وأَمَرَهما بالتّوبة مِنْ ذلك، وأَمَرَ بجَمْعِ الكلمة[٢٩٨] منهم، وتَرْكِ الفُرْقة، ونَهَى عَنِ المِراءِ المُفَرِّقِ بينهم، في نحو ذلك مِنَ المعروف. فانْصَرَفا راجِعَين مِنْ عندِهِ وقد يَئِسا مِنْ حركتِهِ فيما خَفَّ له غيرُهُ مِنَ الأَشْراف، وطَمِعُوا بِهِ مِنْ طَلَبِ الأَمْرِ، فكان ذلك ممّا عُرِفَ بِهِ حَزْمُهُ وبَصَرُهُ وجَوْدَةُ رَأْيِهِ، وسَلامتُهُ مِنِ اتّباعِ الهَوَى، وطَلَبِ التَّرَؤُّسِ في الدُّنْيا، فرحمةُ الله ومغفرتُهُ ورِضْوانُهُ عليه.

الشّيخُ الحسينُ بنُ عليٍّ

هو الحسين بن علي بن الفضل الوادعيّ.

وقِيْلَ: إنَّهُ مِنْ آل ذي كِبارٍ، ورأيتُ الفقيهَ الأَجَلَّ يحيى بنَ الحسين اليَحِيريَّ، أَيَّدَهُ الله، قد نَسَبَهُ في بعضِ كُتُبِهِ إلى خَولان، وأَحْسِبُهُ الصّحيح.

وهو ابنُ أُخْتِ الشّيخِ إبراهيمِ بنِ أبي الهَيْثَم رحمه الله، وأَخِ الحسنِ بنِ أحمد بنِ زايدٍ الجَنْبيِّ لأُمِّهِ. وأَحْسِبُهُ ممّن وُلِدَ بوَقَش، لأنّ معرفتي لَهُ مُتَقَدِّمَةٌ وهو شابٌّ حَدَثٌ في حياةِ خالِهِ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم، وسِنُّهُ يَصْغُرُ عنه مِنْ أَنْ يكون أَدْرَكَ كَوْنَهم بسَناع، على أنّه كان أَصْغَرَ سِنًّا مِنْ أخيه الحُسين بنِ أحمدَ الجَنْبيِّ، وما أَظُنُّ الحَسَنَ وُلِدَ بسَناع، واللهُ أَعْلَم.

نَشَأَ رحمه الله على الوَرَعِ والزُّهْد في الدُّنْيا والطَّهارة والعِفّة، وطَلَبِ العِلْم وفي تخريج المشائخ الأوّلين مِنَ الزّيديّة الّذين كانت صفاتهم فائتةً، وطرائقهم لمن بعدهم في الخير متعبةً.

ولقد كنتُ أَسْمَعُ مَنْ يُشَبِّهُهم بالحَواريّين وأَفاضل صِحابة محمّدٍ رسولِ الله، صلّى الله عليه، لِما لا نُحيطُ به مِنْ فَضْلهم. وأجمعتِ الزّيديّةُ بوَقَش بعد موت خالِهِ إبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم، رحمهما الله، على تَقْدِيْمِهِ في أُمُورها وسَمْعِ أَمْرِهِ ونَهْيِهِ، وسَلَّمَتْ له الرّياسةَ فيها على طاعةِ الله وصَلاح هِجْرتها. وهذه شهادةٌ قائمة بما ذَكَرْنا عنه مِنَ الخير لا يحتاج معها إلى شيءٍ آخر. فكيف وله مِنَ الفَضائل ما يَكْثُر.

لقد شاهدتُهُ في حَداثَتِهِ، وقد خَرَجْنا مِنْ وَقَش نُريدُ صَنْعاء في نَفَرٍ مِنَ الزّيديّة، فسِرْنا حتّى تَوَسَّطْنا المَعْلَل، وجاوَزْنا بيت رِجالٍ، ونحن في طريقٍ مُحْدَثَةٍ لا ندري إلى أين تُفْضي

بنا، وقد تَقَدَّمَنا مِنَ الجماعةِ مَنْ لا يُطْعَنُ على وَرَعِهِ فتَبِعْناهُ، فسِرْنا وقتاً غيرَ قليلٍ حتّى طَلَعْنا على أَرْضٍ -مَزْرَعَةٍ- لقومٍ تقع تلك الطّريق فيها حتّى لا يُوجدُ عنها مَعْدِلٌ[٢٩٩]، فلمّا رَأى ذلك وَقَفَ وقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون. ثمّ رَجَعَ على أَثَرِهِ فلم يَزَلْ يَسيرُ راجعاً حتّى اتَّصَلَ بالجادّة ثمّ أَخَذَ فيها. فقلتُ له: لو كنتَ سِرْتَ كنّا متّصلين بأَصْحابنا فقد صارت طريقاً بَيِّناً قد سارها النّاس، ولم تَتَوَّلَ إِحْداثَها أنت. فأَحْسِبُهُ قال: أَمَا سمعتَ الحديثَ: «**مَنْ بَيَّضَ حَرْثَ قومٍ كُتِبَ غاصباً**»(١). ثمّ أَنْشَأَ يحدّثني حديثَ الأَفْقَم الصَّنْعانيِّ وقد ذكرتُهُ في موضعٍ مِنْ هذا الكتاب مِنْ رواية غيرِهِ مِنَ المشائخ؛ وذلك أنّه مَرَّ بعَجوزٍ في مزرعةٍ كأنّها تَحْرُسُها لزَرْعٍ كان فيها، وقد مَرَّ بذلك الزَّرْعِ بعضُ جُيُوش الظَّلَمة فوَطِئوهُ حتّى جعلوا فيه طريقاً أو طُرُقاً. فسار الأَفْقَمُ فيما بَيَّضَ ذلك الجيشُ مِنَ الطّريق في ذلك الزَّرْع، وكان يَتَشَكّك ويُظْهِرُ زِيَّ الدِّيْن، فلمّا رَأَتِ العَجُوز إلى ذلك قالت: يا هذا لِمَ تَطَأُ زَرْعَنا؟ قال: أَوَما وَطِئَهُ غيري؟ فقالت: يا هذا، أَوَ كُلّما سَلَكَ الظّالمون طريقاً سَلَكْتها؟ فكان هذا مِنْ كلامِهِ ﷺ بَذْراً حَسَناً زَرَعَهُ عندي يومئذٍ ما كِدْتُ أغفُل عَنِ الاحْتِراز وأُقْدِمُ على شيءٍ مِنَ المُخْفرات عندي تَهاوناً به ورجاءَ أَلّا إِثْمَ فيه إلّا ذَكَرْتُهُ فَزَجَرَني، إلى أَنْ مضى عليه صَدْرٌ مِنْ عُمْري، حتّى صار عادةً.

وأَخْبَرَني يحيى بنُ يوسفَ العَنْسيُّ ومحمّدُ بنُ سلمانَ البَكِيْليُّ، وكانا مِنْ أَنْفَسِ شبابِ الزّيديّة في عَصْرنا هذا دِيانةً ووَرَعاً وحُبًّا للعِلْم والتّعليم وحِرْصاً عليه ومُبالغةً في طَلَبِهِ وتَمَسُّكاً بالحقّ وتَشَبُّهاً بكُهُول الخير وشُيُوخ الدّين= قالا: كان الشّريفُ سليمانُ بنُ محمّدٍ العَلَويُّ يرى الاخْتِراعَ، شديدَ الإعْراض عَمَّن لا يقول بِهِ مِنْ سائر الزّيديّة غَلِيْظاً عليهم، ثمّ إِنَّهُ قَدِمَ على الشّيخ أحمدَ بنِ أبي الخير بشَوْحَط، فكان بينهما كلامٌ لم يعمل فيه شيئاً، وكان له عَمٌّ على مِثْلِ رَأْيِهِ في المذهب، وفي البَغْضاء لمُخالِفِيْهِ مِنَ الزّيديّة، فسألَهُ المُعاونةَ له

(١) لم أقف عليه في كتب الأحاديث.

على ما يُريدُ مِنْ مُناظرَةِ لمُخالِفِيْهِ فأَجابَهُ إلى ذلك، فقَصَدوا وَقَش وذلك في أيّام الشّيخِ الحسينِ بنِ عليٍّ رحمه الله فقالَ للشّريفِ سليمانَ عمُّهُ هذا: ذَرْني حتّى أَتَوَلّى الكلامَ مع القوم، فإذا قَطَعُوني أو فَتَرْتُ فتَكَلَّم أنت. فلمّا اجتمع القومُ للكلام جَعَلَ الشّريف لا يأتي بمسألةٍ إلّا حَلُّوا الشُّبهةَ فيها[٣٠٠] ولا بحُجَّةٍ إلَا أَبْطَلُوها، ولا يَعْتَرِضُ عليهم بشيءٍ إلّا قَطَعُوهُ؛ فلمّا انقطع قال: يا سليمانُ، تَقَدَّمْ. فتقدّم سليمانُ ففعلوا به مثلَ ذلك، فلمّا قَطَعُوهُ قام وقال: انظر في أَمْري واعمل بحَسَبِ ذلك. فقال له الحسينُ بنُ عليٍّ: وبِمَ تَنْظُرُ؟ قال: بعَقْلي. قال: وعَقْلُكَ جِسْمٌ أَمْ عَرَضٌ؟ قال: عَرَضٌ. قال: أَفَتَفْعَلُ عَرَضاً بعَرَضٍ؟ قال: فانْتَبَهَ لذلك فتَرَكَ مذهبَهُ ورَفَضَ اعْتِقادَهُ الأوّل، وانْصَرفَ وقد حَسُنَتْ تَوبتُهُ وموافقتُهُ لهم، وجَعَلَ يَجولُ في هِجَرِ المُخْتَرِعةِ ومَساكِنِ عُلَمائهم ويُطالِبُهم بالحُجَّةِ على ما فَهِمَ مِنَ المذهب ورَجَعَ إليه مِنَ الاعْتِقاد والكَسْر لذلك. ويسأَلُهم نُصْرَةَ رَأْيِهِ الأوّل فلا يجد عندهم ما يَرْضى به ويَعْتَمِدُ عليه، فقَوِيَتْ بصيرتُهُ في ذلك فتَجَرَّدَ لحياتِهِ والدُّعاء إليه ونَصْرِهِ، وبالغ في ذلك جُهْدَهُ.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمد أَحَدُ شُيُوخِ الزّيديّة بوَقَش في العَصْر قال: أَتَى بعضُ المُصَلِّين مِنْ أَهْل حَضُور وَقَش فجَلَسَ في مجلسِ الشّيخ الحسينِ بنِ عليٍّ، رحمةُ الله عليه، في المسجد، فأَقْبَلَ عليه الشّيخُ فقال: أَعْرِضْ عليَّ صلاتَك، يا فُلانُ؟ يُريدُ تَعْلِيْمَهُ إنْ كان مُخِلًّا بشيءٍ مِنْ فَرائِضها أو يعمل فيها ما يُوجِبُ إعادَتها ونحو ذلك. فاغْتاظَ الرَّجُلُ مِنْ قولِهِ هذا وقال: أَمِثْلُكَ يَقولُ لي هذا أو يَنْزِلُني هذه المنزلةَ؟ فقال له: وكيف ذلك، أَوْ ما يَدْخَلُ عليك في هذا؟ فقال: يَدْخُلُ عليَّ النَّقْصُ عند أَهْل المسجد، وتَسْقُطُ منزلتي عندهم، فإذا أَحْبَبْتَ هذا قُمْنا إلى موضعٍ خالٍ أنا وأنت حتّى لا يَسْمَعَ هؤلاءِ خَطَئي، ولا يعلمون به فيَسْتَهْزئ بي مُسْتَهْزئٌ.

الضُّبْعيُّ

هو مالكُ بنُ عليٍّ، ويُعْرَفُ بالضُّبْعيّ.

ونَسَبُهُ في قومٍ مِنْ أَهْل عاثين مِنْ أَرْضِ بَكِيل أَلْهان يُقالُ لهم: بنو إِسْحاق، وأَصْلُ وَطَنِهِ فيهم.

كان ﵀ مِنْ خاصّة الله وأَهْلِ الإِيْثارِ لهُ، تَقِيًّا وَرِعاً زَكِيًّا مجتهداً في العَمَل للآخرة، داعياً إلى الله سبحانه بقَوْلِهِ وفِعْلِهِ، له فضائلُ مشهورةٌ وأَخْبارٌ مَأْثُورَةٌ. وقد بَقيَ في العَصْر مَنْ يَعْرِفُ أَكْثَرَ ذلك، فتَثَبَّتُ منه هٰهنا ما كنّا قد سمعناهُ، ونستعين بالله على سَماعِ ما بَقيَ مِنْ ذلك والقُدْوَة[1] به، والإِحْياء له بما أَمْكَنَ مِنْ عَمَلٍ وتَصْنيف.

أَخْبَرَني أبو الجيش بنُ العلاء التُّمانِيّ الثِّقةُ المَرْضيُّ عند الخاصّة والعامّة قال: كان لمالكِ بنِ عليٍّ[٣٠١]﵀ مالٌ صالحٌ، وكانت مِنْهُ جِرْبةٌ مشهورةٌ بالفَضْل على سائِرِه، فكان قدِ احْتاجَ إلى النِّكاحِ فخَطَبَ إلى قومٍ فأَبَوا أَنْ يُزَوِّجُوهُ إلّا عليها، وسَأَلُوهُ أَنْ يَكْتُبَها مَهْراً لمَنْ خَطَب مِنْ نِسائهم. فأَبَى ذلك ولم يَسْمَح بأَنْ يُمَلِّكَها غيرَهُ. ثمّ خَطَبَ إلى آخرين فكان منهم ومنه مِثْلُ ذلك، ثمّ إلى آخرين فكان مِثْلُ ذلك؛ فلمّا رَأَى سُرْعةَ وُقُوعِ الاخْتِبار[2] مِنَ المخلوقين عليها، وعِظَمَ رَغْبَتهم فيها والمُبادرة إلى طَلَبها، قال: لا أُمْهِرُها إلّا حُوريّةً مِنْ حُورِ الجنّة، إنْ شاء الله. ثمّ دعا شُهُوداً عُدولاً وتَصَدَّقَ بها في سَبِيْلِ الله وعلى أَهْل طاعته.

---

(١) كأنّه كرّر: «القدوة» أو خشى عدم اتّضاحها في نهاية السّطر فأعادها في أوّله.

(٢) قوله: «الاختبار» يحتمل السّياق لا الرّسم: «الاختيار».

وأَخْبَرَني أبو الجيش بنُ العلاء رحمه الله قال: كان بجَهْران امرأةٌ مسلمةٌ فسَأَلَتُ الشّيخَ مالكَ بنَ عليٍّ، رحمةُ الله عليه، عَنْ مسألةٍ في الحَيْض، وهو يومئذٍ مبتدئٌ مُتَعَلِّمٌ، ولم يكن مُهْتَمًّا بالفِقْهِ والنَّظْر فيه لشُغْلِهِ بوُجُوهٍ مِنَ الطّاعات أُخَر، فلم يَدْرِ بها يُجِيبُها، ولم يُحبَّ أَنْ يُجِيبَ بها يَسْأَلُهُ الله عنه ويُحاسِبُهُ عليه، فقال: لا أَدْري. فقالتِ المرأةُ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إذا كانت سلامَتُنا لا تكون إلّا بالتّعليم والعِلْم، فإذا سَأَلْناكم قُلْتُم مثلَ هذا، كيف تكون السّلامة؟ فارْتاعَ لِما قالتْ وعَظُمَ الأَمْرُ عليه وأَيْقَظَتْهُ لِما هو غافلٌ عنه، ورَأَى الفريضةَ في ذلك له لازمةً، فلم يستحلَّ أَنْ يبيت ليلتَهُ، فارتحلَ في آخر نَهارِهِ حتّى أَتَى وَقَش، وبها بقيّةُ أَهْلِ الفَضْل في العِلْم والعِبادة، فتعلّم في الفِقْهِ ما يَمُكِّنُهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ غيرَهُ، ويَنْتَفِعُ به في أَمْرِ دِيْنِهِ ويَنْفَع به، ورَجَعَ إلى الامرأةِ وقد فَقِهَ في مَسائلِ الحَيْضِ، فأَتاها بجَوابِ مَسْأَلَتها وهو طَيِّبُ النَّفْس عَنِ الجواب.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ سلمانَ البَكِيليُّ عَنْ شُيُوخ الزّيديّة في العَصْر، قال: كان مالكُ بنُ عليٍّ الضُّبْعيُّ، رحمةُ الله عليه، قد رَأَى الشّيخَ أحمدَ بنَ أبي الخير صاحبَ شَوْحَط حين تابَ فأَعْجَبَتْهُ توبتُهُ، وتَأَمَّلَ فِطْنَتَهُ وعَقْلَهُ ورَغْبَتَهُ في الخير وأَهْلِهِ، وكانت صِناعةُ أحمدَ بنِ أبي الخير الّتي يَعيشُ بها حَوْكَ ثِيابِ الصُّوفِ، فرَغِبَ فيه مالكٌ رحمه الله وفي تعليمه وشُغْلِهِ بالعِلْم والتّعليم وحَياةِ الدِّين به، وكَرِهَ له الانْقِطاعَ في تلك الصِّناعة عَنْ ذلك. وكان أحمدُ إذا فَرَغَ مِنَ الصّلاة والحديث مع إخْوانِهِ أَغْلَقَ عليه بابَهُ، واشْتَغَلَ[٣٠٢] بصِناعَتِهِ تلك، ويَأْتِيهِ مالكٌ فيَعِظُهُ في ذلك ويَنْهاهُ عنه، ويُعاتِبُهُ عليه، ويَقولُ: أَقْبِلْ على ما هو أَوْلَى بك وأَلْيَقُ، وأنت به أَحْرَى وأَحَقُّ مِنَ الشُّغْلِ بحَياةِ نَفْسِك والمسلمين وثِقْ بالله تعالى، فإنّه لا يُخَلِّيك مِنْ فَضْلٍ يُغْنِيك ورِزْقٍ يَكْفِيك. ويَدْعُوهُ بكُلِّ كلامٍ يُحَسِّنُهُ إلى الإِيْثار للدَّرْس والتّدريس لعِلْم الدِّيْن، ويُبالِغُ في ذلك جَهْدَهُ، وأحمدُ في كلِّ ذلك لا يَلْتَفِتُ إلى شيءٍ ممّا يَقُولُ، بل مَكَثَ على صِناعتِهِ تلك مع أَداءِ فَرائضِهِ. فلمّا رَأَى مالكٌ ذلك منه عَمِلَ على أَنْ

يَضْطَرَّهُ إلى مال ضرّهُ به بوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الاضْطِرارِ، وطريقٍ يُمَكِّنُهُ مِنَ الإِكْراهِ له تُهَوّنُ عليه مُؤْنتها، ويرجو صَلاحها له، فكان يدخل عليه في الوقت بعد الوقت، ويَكْسِرُ عِيْدانَهُ الّتي تَنْفَعُهُ للعمل في صِناعَتِهِ تلك، ويُفْسِدُ آلاتِهِ ولا يخرج إلّا وقد سَلَّم قيمةَ ما أَفْسَدَ إليه. وأحمدُ مع ذلك لا يُبالي ولا يلتفت. فدخل عليه مالكٌ ذاتَ يومٍ وهو يعمل دُرّاعةً مِنْ صُوفٍ حَسَنٍ لها قَدْرٌ وقيمةٌ في تلك الأَرْضِ فأَخَذَ شَفْرَتَهُ ووَضَعَها فيها حتّى قَطّعها قِطَعاً، ثمّ وَضَعَ عليها ثَمَنَها وبالغ فيه. فلمّا رَأى ذلك أحمدُ تَفَكَّرَ في الأَمْرِ الّذي يحمل مالكاً على ذلك، فاستبانَ له صَوابُهُ وخَطَأُ ما يَصنعُ هو في خِلافِهِ. فرَفَضَ تلك الصِّناعةَ ولَزِمَ مدرسةَ الجماعة ومسجدَهم، وأَكَبَّ على العِلْم والتّعليم فبَلَغَ في ذلك الحَدَّ الّذي صار به رئيسَ الزّيديّة كُلِّها باليمن في عَصْرِهِ، وناب عَنْ شُيُوخها الّذين مَضوا في الهِجَر كلّها حتّى افْتُقِر إليه في وَقَش وغيرها. واسْتُدْعي إلى هٰهنا وهٰهنا ووَفَدَ عليه الوُفُود للتَّعَلُّم والاسْتِرْشاد. واسْتَحَقَّ اسمَ العِلْم بتَصْدِيْقِهِ له بالعمل وبُلُوغِهِ في العِبادة والزُّهْد والتَّوَكُّلِ والإِخْلاص والرِّفْق والتَّواضُع والحِلْم والصَّبْر وسائر مَكارم الأَخْلاق وخِصالِ الخير إلى التَّفَرُّدِ بالمَثَلِ السّائر، رحمة الله عليه ورضوانه، وعلى مَنْ دَعاهُ إلى ذلك وهَداهُ إليه.

وأَخْبَرَني ناصرُ بنُ عليٍّ أَحَدُ طلّابِ العِلْم في العَصْر مِنَ الزّيديّة، وأَصْلُهُ مِنْ أَهْل يَكْلى، وكان يَنْزِلُ بهِجْرَةِ شَوْحَط مِنْ بلاد بَكِيل أَلْهان، قال: كان الشّيخُ[٣٠٣] مالكُ بنُ عليٍّ الضُّبْعيُّ رحمه الله له مزرعةٌ يَتَخَرَّفُ فيها وفي عَمَلها لقُوْتِهِ، فكان يَطْلُبُ العُمّالَ فإذا اجتمعوا له حَمَّلَ على دابّةٍ كانت له قِرْبتين مِنْ ماءٍ قَدْرَ ما يكفيهم للطُّهُور، وقُلَّةً للتَّطَهُّرِ، فإذا دخل وقتُ الصّلاة أَمَرَهم فاسْتَراحوا حتّى يَجِفَّ عَرَقُهم وتَبْرُدَ أَعْضاؤُهم ثمّ صَبَّ لهم مِنْ ذلك الماء في تلك القُلَّةِ وأَمَرَهم بالتَّطَهُّرِ للصّلاة أوّلاً فأوّلاً حتّى يأتي على آخرهم فإذا صَلّوا عادوا لعَمَلِهم. فكان ذلك دَأْبَهُ كُلَّما عَمِلَ لهُ العُمّال في أَرْضِهِ لا يَرْضى لهم بما لا يَرْضى به لنفسِهِ مِنْ تَضْييعِ الفَرائض ولا مِنَ التَّعَرُّضِ للأَمْراض.

أحمدُ بنُ أبي الخير

هو أحمدُ بنُ أبي الخير.

صاحبُ شَوْحَط.

أَصْلُهُ فيما أُخْبِرتُ بِهِ مِنْ نَفَرٍ يُقالُ لهم: القياعل، بنواحي بَكِيل أَلْهان، وأَصْلُهم مِنْ أَهْل يَكار. وكان، رحمةُ الله عليه، قد بَلَغَ في الزُّهْد والعِبادة والعِلْم والعَمَل والإِخْلاص والتّواضُع والحِلْم والرِّفْق والصَّبْر لله تعالى وفي الله، والتّعلم[1] والإِرْشاد والاسْتِرْشاد والاجْتِهاد في العِبادة والتَّوكُّل على الله، وسائر الأَخْلاق المحمودة في الدِّيْن= حَدًّا انْقادتْ لَهُ معَهُ الزّيديّة كُلُّها مِنَ الأَشْراف والرَّعيّة، وسَلَّمَتْ له الرِّياسةَ وتَبارکت فيه بأَمْرِهِ ونَهْيِهِ، واعْتَرَفَ له أَهْلُ الهِجَرِ منهم بالفَضْل، واسْتدعي إلى هٰهنا وهٰهنا ووَفَد عليه الوُفُود[2] لطَلَب العِلْم.

وكان في أوّل أَمْرِهِ يعيشُ يَحُوكُ ثِيابَ الصُّوف مُشْتَغِلاً بذلك حتّى كان مِنَ الشّيخ مالكِ بنِ عليٍّ الضُّبْعيِّ، رحمةُ الله عليه، فيه ما قد ذَكَرْناهُ في أَخْبار مالكٍ قبل هذا، فلمّا أقبل على التَّعَلُّم والتّعليم صار في ذلك غايةً بل آيةً، وإنّما بَلَغَ به ذلك مع عَقْلِهِ وفِطْنَتِهِ صِدْقُ نِيَّتِهِ في ذلك والقَصْدُ به لوجهِ الله تعالى والإِخْلاصُ له. وهذا مُتَعارَفٌ ممّن فَعَلَ شيئاً مُخْلَصاً لله تعالى وَحْدَهُ أنّه يبلغ فيه عالي الذُّرَى وغاياتِ العُلَى، ويَصيرُ مَثَلاً مَضْرُوباً ويَبْلُغُ حَدًّا فائِتاً مشهوراً، وله أَبْوابٌ وفَصُولٌ ومُخْتَصَراتٌ في أَيْدي الزّيديّة اليومَ تَدُلُّ على عظيمِ بَرَكَتِهِ وزُهْدِهِ وعِبادَتِهِ وإِخْلاصِهِ وصِدْقِهِ في الله تعالى، ينتفعُ بها مَنْ قَصَدَ ذلك ورَغِبَ

---

(١) يحتمل الرّسم: «التّعليم».

(٢) يحتمل الرّسم: «الموفود».

فيه. والنّاظرُ فيها لا يقتصرُ به على النَّفْعِ في عِلْمِ التّوحيد ومعاني الدِّين، بل يَبْلُغُ به غاياتٍ في العَمَل غيرِ قصيرةٍ، ولا هَيِّنَةٍ عند الله سبحانَهُ يَسيرةٍ[٣٠٤].

وكان المشائخُ مِنَ الزّيديّة في عَصْرِهِ لا تَتَقَدَّمُهُ في كلامٍ إذا حَضَرَ، وإنْ شَهِدَ المجلسَ مَنْ لـه بَصَرٌ وعِلْمٌ بنوعٍ مِنْ أَنْواعِ العُلُومِ -أو أَنْواعٍ كثيرةٍ- فوق ما لَهُ، لِمَا وَهَبَهُ الله سبحانه في البلاغة في الكلام، وحُسْن البَيان في التّعليم، ودِقَّةِ النَّظَر في أَدْواء النُّفُوس وحَسْمِها(١)، وحُسْنِ العِلاج لها، ولتُواضُعِهِ وغَضِّهِ مِنْ نفسِهِ اعْترافاً بتَقديم صِناعَتِهِ تلك الّتي كان يَقْرَعُ بها نفسَهُ ويُطَأْطِئ مِنْ بَأْوها(٢)، ويَمْنَعُها التَّرَفُّعَ بالعِلْم والدِّيْن إذا خَشيَ تَنَفُّشَها بشيءٍ مِنْ ذلك أو نحوه، ولو خَفيَ عَنِ النّاسِ معاملةً لله سبحانه ومُراعاةً لعِلْمِهِ بما تخفي الصُّدُور.

أَخْبَرَني محمّدُ بنُ سلمان البَكِيليُّ بمَحْضَر رجالٍ مِنَ الزّيديّة، فيهم مَنْ يَروي كثيراً مِنْ أَخْبار أحمدَ بنِ أبي الخير رَحمه الله عَنِ ابن ابنِهِ عليِّ بنِ الحسين بنِ أحمدَ بنِ أبي الخير، قال: كان قدِ انْعَقَدَ مجلسٌ عظيمٌ حَضَرَ فيه شُيُوخٌ مِنَ الزّيديّة المُقَدَّمين في العِلْم والعَمَل، فيهم الفَقِيْهان الحسنُ والحسينُ ابنا عبدِ الله، والحسنُ بنُ أحمدَ بنِ زايدٍ الجَنْبيُّ ونحوهم مِنَ الأَعْلام في العَصْر -وأَحْسِبُ ذلك بوَقَش- وكان فيهم يومئذٍ الشّيخُ أحمدُ بنُ أبي الخير فقَدَّمُوهُ للكلامِ والوَعْظ، فتَكَلَّمَ فأَصاب، ووَعَظَ فأَيْقَظَ؛ فكأنّه أَحَسَّ مِنْ نفسِهِ فَرَحاً بإصابَتِهِ أَنْكَرَهُ، فاتَّهَمَها على دِيْنِهِ، فالْتَفَتَ إلى النّاس فقال: أَيُّها النّاسُ، وعليكم بطَلَبِ العِلْم فإنّهُ يَرْفَعُ الوَضِيعَ، ويُعْلي الخَسِيس، ويُوقِظُ الرَّقِيع(٣)، ويُنْطِق الأَخْرَسَ، ويُحيي الميتَ، ويَفْعَل ويَفْعَل. فلم يَذَرْ للعِلْم مَنْقَبَةً إلّا ذكرها. ثمّ قال: فإنّي كنتُ امرأً حائكاً لكذا، وأَسْتَعْمِلُ في صِناعتي كذا. ممّا يَغُضُّ منه ويَضَعُهُ مِنْ مَقاذِيْرِ الحِياكة ووَسَخها، نحو

(١) كُتِب ثلاثة أسطر سابقة بخطٍّ مغاير للأصل مرّ غير مرّة في الكتاب.

(٢) **البَأْو**: الفخر والكِبْر.

(٣) يحتمل الرّسم: «الرفيع» أيضًا.

التَّلَطُّخ بِرُطُوباتِ ما تَعْمَلُ بِهِ الحاكةُ مِنْ أَخْثاءِ[1] البَقَر والّذي يُسَمُّونَهُ الأرز[2]، وأَذَى الذِّبّان ونحو ذلك.

قال: فكان في النّاسِ مَنْ يَفْهَمُ غَرَضَهُ مِنْ ذلك وإرادَتَهُ فيَعْظُمُ لذلك قَدْرُهُ عندهم، ويَزْدادُ شَرَفاً وفَضْلاً في دِينِهِ، ويَعْذِرونَهُ في كلامِهِ ذلك، ويَنْتَفِعون بِهِ هُمْ في زَجْر أَنْفُسِهم عَنِ العَمَلِ لغيرِ الله والعُجْب به. ولا يَفْرغُ هو متى أَتَى بذلك وذكره نفسه حتّى تَذِلَّ[3] وتَخْضَعَ وتَهُونَ جِدًّا ويَأْمَنَ مِنْ شَرِّها. ثمّ يعود إلى ما كان فيه مِنْ كلامِهِ في التّعليم ونَفْعِ النّاس به.

وأَخْبَرَني يحيى بنُ يوسفَ العَنْسيُّ ومحمّدُ بنُ سليمانَ البَكِيْليُّ قالا: كان الشّريفُ[٣٠٥] سليمانُ بنُ محمّدٍ العَلَويُّ أيّامَ كان يرى الاخْتراعَ ويَقولُ به، شديدَ العَداوة لِمَنْ خالَفَهُ، ثمّ إنّه أَتَى شَوْحَط، وهي الهِجْرَة الّتي كانت تَكْثُرُ بها إقامَةُ أحمدَ بنِ أبي الخير في أوّل أَيّامِهِ، فطَلَبَ مُناظَرَتَهُ، فجَعَلَ لا يُكَلِّمُهُ أحمدُ في شيءٍ إلّا قَطَعَهَ، فاغْتاظَ لذلك وغَضِبَ، فأَقْبَلَ عليه بحِدَّةٍ وغِلْظَةٍ، وقال: أَخْبِرْني مِنْ أيّ وَلَدِ السِّبْطَينِ أنتَ؟ قال أحمدُ: يا مولاي الشّريفُ، ما أنا مِنْ واحدٍ منهم أنا رَجُلٌ حائكٌ مِنْ كذا وكذا. فوصف نفسَهُ بما يَضَعُها بين يديه. فنَدِمَ الشّريفُ مِنْ قولِهِ واسْتَحَى، وعَظُمَ أحمدُ في عَيْنَيْهِ حتّى بَلَغَ أَعْلَى منزلة.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ سليمانَ البَكِيْليُّ -فيما أَخْبَرَني به مِنْ أَخْبار أحمدَ بنِ أبي الخير، رحمةُ الله عليه عَنِ ابن ابنِهِ عليِّ بنِ الحسين بنِ أحمدَ، وكان وقت إِخْبارِهِ بذلك شابًّا فاضلاً مِنْ أَهْلِ الخير مَرْضِيًّا- قال: كان أحمدُ بنُ أبي الخير يعملُ في عِنَبٍ كان لَهُ، ولَهُ شَمْلَةٌ قد تَرَكَها خَلْفَهُ، فالْتَفَتَ فرَأَى رَجُلاً قد قَصَدَها ليَأْخُذَها، وقد جَعَلَ يَنْسَلُّ رُويداً، ويَتَحَرَّزُ مِنْ أَنْ يُسْمَعَ لَهُ وَطْءٌ أو حركةٌ، فكأنّ الشّيخَ اسْتَحَى لَهُ مِنْ ذَنْبِهِ، وهان عندَهُ أَمْرُ الشَّمْلَة في

---

(١) أَخْثاء البَقَر: من قولهم خَثَى البَقَرُ يَخْثي خَثْياً: إذا رمت بها في بَطْنها؛ والواحد من ذلك: الخِثْيُ.

(٢) قوله: «الأرز» كذا رسمه، ولم أقف على ذكر له في المصادر الموقوف عليها.

(٣) في المخطوط: «ولا يفرغ هو متى أتى بذلك وذكره نفسه منه وحتى تذلّ ...»، ولم أطمئن إلى سلامة العبارة.

فَضِيحتِهِ، فرَدَّ وَجْهَهُ عنه إلى عملِهِ، وأَقْبَلَ عليه وتَغافَلَ عَنِ الرَّجُلِ حتّى وَصَلَ إلى الشَّمْلَة فأَخَذَها.

وأَخْبَرَني بإِسْنادِهِ هذا قال: كان أحمدُ بنُ أبي الخير ذاتَ ليلةٍ في منزلِهِ، وكانت له غُنَيماتٌ في موضعٍ منه، فسَمِعَ لها أَصْواتاً أَنْكَرَها، فقام إليها ليَعْرِفَ السّببَ في ذلك، فوَجَدَ عندها سارقاً، وقد أَخْرَجَ منها شاةً ليَذْهَبَ بها، فتَلَطَّفَ حتّى رَجَعَ إلى منزله فأَتاهُ بمُدِّ بُرٍّ -مكيال تلك الأَرْض- وقال له: ذاك اللَّحْمُ وهذا الخُبْزُ، فاحْمِلْ، ولا يعلم بك[1] أَحَدٌ. ثمّ حَمَّلَهُ البُرَّ، وحَمَلَ عليه الشّاةَ، وسَكَّنَ مِنْ فَزَعِهِ فخَرَجَ بالشّاة والبُرّ.

وأَخْبَرَني أبو الجيش بنُ العلاء التُّمانيُّ ويحيى بنُ يوسفَ العَنْسيُّ ومحمّدُ بنُ سليمانَ البَكِيْليُّ وغيرُهم قالوا: كان أحمدُ بنُ أبي الخير رحمه الله مُقِلًّا في بعضِ الأَوْقات، وكان عندَهُ قُوتٌ لوَلَدِهِ -وُلِدَ في ليلةٍ مِنَ اللّيالي- فنَزَلَ به مَنْ آثَرَهُ بما كان عندهُ، والْتَمَسَ لهم ما يَقْتاتون، فوَجَدَ شيئاً يسيراً فأَمَرَ بعَمَلِهِ، فلمّا فَرَغَ جاء سائلٌ فاستحى مِنَ الله أَنْ يَمْنَعَهُ موجوداً يَقْدِرُ عليه، فأَعْطاهُ ما كان عندَهُ وأَمْسى طاوياً هو وأَولادُهُ ليلتَهم بذلك.

فأَخْبَرَني بعضُهم أنّه ما زالَ على ذلك ثلاثةَ أيّامٍ أو نحوها، فلمّا كان في اللّيلة الرّابعة نام هو وعِيالُهُ في مَضاجِعِهم فكان كذلك حتّى رَأَى سِراجاً فقام فوَجَدَ جَفْنَةً مِنْ طعامٍ -أو قال: مائدةً- وقام أَهْلُهُ فعَرَفُوا تلك الآنِيَةَ لرَجُلٍ مِنَ المسلمين مِنْ موالي جَنْب، ثمّ مِنْ موالي آل العلاء بن الأَوْبَر مِنْ بني رنيّة يُقالُ له: بشرى، كان جارَ منزلهم، وكان مِنْ عِبادِ الله الصّالحين، فلمّا عرفوا الآنِيَةَ أَكَلُوا الطّعامَ ثمّ جاؤوا[٣٠٦] بالآنِيَةِ إلى بشرى ليَدْفَعُوها إليه فامتنع مِنْ قَبْضِها، وأَبَى أَنْ يَعْتَرِفَ بأنّها لَهُ. فكان مِنَ النّاس مَنْ يَرَى أَنّ ذلك مِنْ بشرى كِتمانٌ للصّدقة وسَماحةٌ منهُ لهم بالآنِيَة؛ إِذْ كانوا ينتفعون بها وبما هو دونها للإِقْلال إذا تَصَرَّفوا فيها بنَفْعٍ أو بَيْعٍ. وكان مِنَ النّاس مَنْ يرى أَنّ أحمدَ بنَ أبي الخَير أُطْعِمَ مِنَ

---

(١) في المخطوط: «لك».

السّماء، وأُنْزِلَتْ عليه مائدةٌ؛ فأمّا أَهْلُ الخِبْرة والبَصَر بالأَمْرِ فلا يرون ذلك.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ [أبي][1] الحسن الغريبُ البَصْريُّ قال: كان أحمدُ بنُ أبي الخير مِنْ أَحْسَنِ مَنْ ضَرَبَ مثلاً في وَعْظٍ أو تعليم، ومِنْ أَحْسَنِ النّاس خُلُقاً مع ذلك. قال: فكان يَقولُ: مَثَلُنا في مجلسِ الوَعْظ والذِّكْر كالسَّلَّة في الماء لا تَزالُ مملوءةً منه ما دامتْ فيه، فإذا تَفَرّقنا عَنْ ذلك المجلس كنّا كالسَّلَّة حين تُرْفَعُ مِنَ الماء، لا يبقى معنا ممّا كنّا قد عَلِمْناهُ واعْتَقَدْنا أنّا قد حَفِظْناهُ، شيءٌ كما لا يَبْقى في السَّلَّة مِنَ الماء شيءٌ. وهذا مَثَلٌ عظيمٌ يَحُضُّ مَنْ له رَغْبةٌ في الآخرة على حِراسةِ نفسِهِ وأَخْذِها باسْتِصْحاب الذِّكْر لله تعالى والمُراعاةِ له في فرائِضِهِ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ سلمان البَكِيْلِيُّ عَنْ غيرِ واحدٍ مِنَ الزّيديّة قال: كان رَجُلٌ قد أَلِفَ الشّيخَ أحمدَ بنَ أبي الخير، وكان لا يَأْتِيْهِ إلّا وأَمَرَ له بطعام، وكان أَكولاً عظيمَ اللُّقْمَة، وكان مَنْ قد رآهُ يَأْكُلُ ورَأَى لَقْمَتَهُ يَشْنَؤُوهُ لذلك، ويَسْتَقْبِحُ خُلُقَهُ.

وكان الشّيخُ رَحِمَهُ الله راضياً بذلك مِنْهُ غيرَ مُسْتَثْقِلٍ منه لشيءٍ، وكان مع ذلك يَتَرَشَّدُ ويَتَعَلَّمُ فيَسُرُّهُ ذلك منه. فلمّا كَثُرَتْ زياراتُهُ له وأَدامها ثَقُلَ ذلك على غيرِهِ مِنْ أَصْحابِهِ، فلَقِيَهُ بعضُهم فقال: قد رَأَيْتُ أَنْ أَستقبلَ هذا الرَّجُلَ بما يَصُدُّهُ عنك، فقد ثَقُلَ وثَقَّلَ. فلمّا سَمِعَ رَحِمَهُ الله هذا الكلامَ منه ذُعِرَ له وارْتاعَ أَشَدَّ الارْتِياع، وقال: مَهْلاً مَهْلاً يا خي، فإنّ هذه خطيئةٌ عظيمةٌ؛ أَرأيتَ لو أَنَّ رَجُلاً مِنَ النّاس كان يَأْتِيْكَ كلَّ يومٍ بهديّةٍ، أَكانَ ذلك حَسَناً منه ويَسُرُّكَ؟ قال: نعم. قال: فإنّ هذا يَأْتِيْني كلَّ يومٍ بهديّةٍ عظيمةِ المَسَرَّةِ عندي. يُريدُ رَحِمَهُ الله ثوابَهُ في إِكْرامِهِ وإِيْناسِهِ. قال: فانصرفَ الرَّجُلُ، ولم يَقُلْ شيئاً.

وأَخْبَرَني جابرُ بنُ عليِّ بنِ عمرٍو السَّعْديُّ الخَولانيُّ، المشهور بالعُذَيقيِّ، قال: كنّا نَتَعَلَّمُ عند الشّيخِ أحمدَ بنِ أبي الخير رَحِمَهُ الله بهِجْرَتِهِ المعروفةِ بالعَشّة مِنْ عُرِّ بَكِيل في سنةٍ

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين زيادةٌ يتحوّجها تمام نسب الرّجل كما ورد في ترجمته بهذا الكتاب.

شديدةٍ ومجاعةٍ؛ [و]كانت قد نزلتْ بالحَقْلين قبائلُ مِنَ العَرَب مِنْ بني فُجاءة وسَنْحان وغيرهم مِنْ مَذْحِج وسُواها، أَهْلُ ماشيةٍ وعَمُودٍ، فكان يَأْتِيْهِ منهم النَّفَرُ فيُطْعِمُهُم ويُكْرِمُهم[٣٠٧] ويَرْجِعُون إلى قومهم فيُخْبِرُونهم بما يَتَلَقّاهم به مِنَ الإِكْرام، فتَتابع زيارتُهم له ويَكْثُرون، فلا يَرُوعُهُ ذلك مع ضِيْقِ الحال في الوقت على النّاس. قال جابرٌ: فقلتُ له في ذلك وخِفْتُ عليه المَشَقَّةَ مِنْ ذلك والأَذَى الكثير مِنْ أولئك؛ لأنّهم أَعْرابٌ ويَعْتَقِدونَهُ مِنْ أَهْلِ الأَمْوالِ الواسعة، ولا يَرُوعُهم تَكْلِيْفُهُ ما لا يُطِيق. فقال لي: يا ولدي، أَرَأَيْتَ لو كان رَجُلٌ غَنيٌّ عظيمُ النِّعْمة، ثمّ كان كثيرَ الإحسان إلى أَحَدِنا لا يزالُ يَأْتِيْهِ منه هديّةٌ، وتُصِيْبُهُ منه مَنْعَمَةٌ، حتّى غَمَرَهُ إحسانُهُ وكَثُرَ عندَهُ إِنْعامُهُ؛ ثمّ إِنّ بعض عَبيدِهِ أَبَقَ عنه فأَتَى إلى هذا الرَّجُلِ فعَرَفَهُ فأَكْرَمَهُ وتآلفَهُ بما أَمْكَنَهُ لعلَّهُ يَرُدُّهُ على مَوْلاهُ، أَلَيْسَ كان هذا حسناً جميلاً في العَقْل ومِنْ شُكْرِ هذا المُنْعِم؟

وأَخْبَرَني جابرُ بنُ عليٍّ العُذيقيُّ أيضاً قال: قال الشّيخُ أحمدُ بنُ أبي الخير رحمه الله: مَثَلُ مَنْ يكون له دِينٌ وقَصْدٌ في الخير ثمّ يكون مُقِيماً في القُرَى الخبيثةِ، وبين أَهْلِ المعاصي، مَثَلُ رَجُلٍ له غَنَمٌ كثيرةٌ هَجَمَ عليه اللّيلُ في صحراءَ قدِ انتشرتْ فيها، فبات ساهراً قائماً على قَدَمَيْهِ يَدورُ في طَلَبِها لتجتمعَ بحيثُ يَحْفَظُها خائفاً عليها الذِّئابَ واللُّصُوصَ، فإذا دار إلى جانبٍ ضاعتْ مِنْ جانبٍ، لا يُصْبِحُ إلّا وقد أَتَتِ اللُّصُوصُ والذِّئابُ على أَكْثَرِها. ومَثَلُ مَنْ يكون في عُزْلَةٍ مِنْ عُزَلِ المسلمين وأَهْلِ الدِّين وبينهم، مَثَلُ آخَرَ هَجَمَ عليه اللّيلُ وهو بأَصْلِ جَبَلٍ فيه غارٌ، ومعه غَنَمٌ فآواها في ذلك الغارِ، ووَقَفَ على بابِهِ قائماً غيرَ نائمٍ، يحرسُها فلم يصلْ إليها سَبُعٌ ولا لِصٌّ، ونَفَعَهُ قيامُهُ وسَهَرُهُ.

وأَخْبَرَني جابرٌ قال: خَرَجَ الشّيخُ أحمدُ بنُ أبي الخير وقد كَبُرَ وضَعُفَ يَريدُ الجَبْجَب -وهي هِجْرَةٌ معروفة بأَرْضِ بَكِيل أَلْهان- للتّعليم، فرَكِبَ دابّةً، وكان كُلَّما نَكَبَتْ به تَلافَيْتُهُ لئلّا يَسْقُط، ودعوتُ له بالبَقاءِ، فلمّا كَثُرَ ذلك الْتَفَتَ إليَّ وقال: أَجادٌّ أنتَ يا جابرٌ؟

ثمّ أنشد: (منَ الوافر)

دَعا لي بالبَقاءِ أَخُو وُدادٍ رُوَيْدَكَ إِنَّما تَدْعُو عَلَيّا

وأَخْبَرَني جابرٌ أيضاً قال: كان الشّيخُ أحمدُ بنُ أبي الخير مُكْرِماً للضَّيف والمُسَلِّم، مُسْتَخِفًّا بالدُّنْيا في الغاية، مُتَهاوناً بالجليل والقليل منها فيما يحرسُ به دِيْنَهُ ويَنْصُرُ حِزْبَهُ، فكان قدِ اتّخذَهُ كثيرٌ مِنَ العَوامِّ مَطْلباً فيَعُدّون له الكَبْشَ للقِرَى، وما يحتاجُ إليه للرِّفْد ويَبِيْعُونَهُ منه بأَغْلَى الثَّمَن، ولا يُماكِسُ في ذلك، ويَأْخُذُهُ بما يَقُولون، وربّما لا يجدُ النَّقْدَ فيَعْرِضُ لهم عُرُوضاً يَأْخُذُونها[٣٠٨] بأَقَلِّ قليلٍ، فربّما يَأْخُذون الدِّينار منه دنانيرَ مِنْ هذه الجهة.

ولقد نَزَلَ به ضيفٌ -فيما أَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ به- فطَلَبَ له شيئاً يُطْعِمُهُ به مِنَ الذّبائح، فأُتِي بكَبْشٍ لبَعْضِ العَوامِّ فبايَعَهُ فيه فقال: لا أَبِيْعُهُ إلّا بدينارٍ. ولعلَّهُ لا يُساوي ذلك. فقال: اشْتَرُوهُ منه. فلمّا كان عند تَقاضي الدّينار أَتاهُ صاحبُهُ وكان النّاسُ في سنةٍ شديدةٍ ومجاعةٍ، فطالَبَهُ بالدّينار فلم يجد ما يُعْطِيْهِ إلّا قِناعاً كان له قد وَهَبَهُ له بعضُ الزّيديّة مِنْ أَهْل جَهْران، واختارَ صُوفَهُ واسْتَجادَ عَمَلَهُ، وكان يزيدُ في القيمة على الدّينار، فدَفَعَهُ إليه وقال: خُذْهُ. قال: لا آخُذُهُ إلّا برُبْع دينارٍ. قال: خُذْهُ. فأَخَذَهُ وانصرف، ثمّ أَتاهُ فقال: أُريدُ تمام الدّينار. فلم يجد إلّا سِكِّيْنَهُ، فقال: خُذْهُ. قال: لا آخُذُهُ إلّا بربع دينار. فقال: خُذْهُ. فأَخَذَهُ، ثمّ عاد إليه بعد أيّامٍ فقال: أُريدُ ما بَقيَ مِنَ الدّينار. فتَذَكَّرَ فذَكَرَ جِلْدَ بَقَرَةٍ كان عندَهُ لعلّه بقي بالدِّينار أو نحوه، فقال: لا أَجِدُ إلّا هذا فتَأْخُذُهُ. قال: لا آخُذُهُ إلّا بربع دينار. فقالَ: خُذْهُ. فأَخَذَهُ وانصرف. ثمّ أَتاهُ فقال: أُريدُ ما بقي مِنَ الدّينار. فكان له قِسْمٌ قد زُرِعَ فيه بَقْلٌ، فعَرَضَ عليه أَنْ يَسْتَوفي منه. ففَعَلَ وأَخَذَ منه قطعةً تفي بالدّينار أو أكثر، فاقْتَلَعَ ما فيها مِنَ البَقْل، وصار به إلى البَدْو ليَبِيْعَهُ، فلمّا رآهُ صِبْيانُهم أَخَذُوهُ شيئاً بعد شيءٍ حتّى أَتَوا عليه، وأَخُذوا القِناع. فرَجَعَ إليه يَبْكي فسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ فأَخْبَرَهُ. فأَمَرَ معهُ ابنَهُ

الحسينَ فأَتَيا البَدْو فأَكْرَمُوهما واعتَذَرُوا ممّا كان مِنْ سُفهائهم، وغَرِمُوا له مِنْ صُوفِ أَغْنامهم قَبْضَةً قَبْضةً حتّى مَلَؤوا له القِناعَ ورَدّوهُ، وإذا هو بثَمَنٍ كثيرٍ فأَتَى به الشّيخَ أحمدَ فعَرَضَ عليه أَنْ يأخذَ منه لأنّه اسْتَكْثَرَهُ فأَبَى أَنْ يقبل منه وصَرَفَهُ.

وأَخْبَرَني جابرٌ قال: كان لأهلِ هِجْرة الشّيخ أحمدَ زَرْعٌ قد دَنا حصادُهُ وفتحوا له أَعْيُنَهم وتَرَجّوا التَّبْلِيغَ به، فأقبلتِ الجَرادُ فأَكَلَتْهُ، فانصرفوا محزونين إلى مسجدهم، ففَطِنَ الشّيخُ لِما بهم، فأتاهم فقَعَدَ معهم ثمّ قال: ما تقولون لو أَنَّ رَجُلاً أَتاهُ ضَيْفٌ يَعِزّون عليه، ويُحِبُّ إِكْرامهم، فأَمَرَ بإِعْدادِ الطّعام الكثيرِ وذَبْحِ ذبائح، فلمّا دَنا الفَراغُ وتقديمُ الطّعام إلى الضّيف أقبلَ بعضُ رُفَقٍ[1] الحاجِّ إلى بيتِ الله جِياعاً عِطاشاً مجتازين، فلم يَرَ بُدًّا مِن أَنْ يُقَدِّم إليهم ما أَعَدَّ لضَيْفِهِ لعَجَلَتِهم وجُوعِهم وثِقَتِهِ بالقُدْرة على اسْتِئْناف العَمَل في إِحْضار طعامٍ آخَرَ لضَيْفِهِ؛ أليس كان لَهُ أَنْ يفعل هذا، وعلى ضَيْفِهِ أَنْ يَصْبِروا الحُضُور ما اسْتَأْنَفَ لهم ويَعْذِرُوهُ. قالوا: بلى. وسَكَنَتْ قُلُوبُهم وتَعَزَّوا عمّا أَصابَهم في زَرْعِهم[٣٠٩]. ثمّ لم يَلْبَثُوا إلّا أيّاماً غيرَ كثيرةٍ حتّى بُعِثَ إليه بصَدَقَةٍ مِنْ بعضِ الأَغْنياء صالحةٍ، فقَسَمَها بينهم.

وأَخْبَرَني جابرٌ قال: قلتُ للشّيخِ أحمدَ بنِ أبي الخير رحمه الله -وقد هالَني عظيمُ ما يَتَكَلَّفُ مِنْ كُلَفِ المسلمين والإِنْفاق في سبيل الله ومَصالح الإسلام وقِرَى الضُّيُوف ورِفْد المُسْتَرْفد وغيرِ ذلك مِنَ المَشاقّ في الله مع ما يَحْمِلُ على نفسِهِ مِنْ مَشَقّةِ العِبادة ونحو ذلك-: يا شيخُ، لو كنتَ تَرَفَّقُ بنَفْسِك. وتَعَجّبتُ مِنْ صَبْرِهِ على ما يُعاني، فقال لي: **يا بُنَيَّ، مَنْ لم يَرَ الطّاوسَ أَعْجَبَهُ الغُرابُ**، لو أَدْرَكتم مَنْ أَدْرَكنا مِنَ المشائخ الطّاهرين ما أَعْجَبَكم هذا. في كلام نحو هذا.

وأَخْبَرَني ناصرُ بنُ عليٍّ، رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة وطلّابِ العِلْم منهم ممّن ينزلُ بِهِجْرَة

---

(١) **رُفَق**: جمع رُفْقة، ونحوه رَفَق: جمع رِفْقة.

شَوْحَط بأَرْض بَكِيل أَلْهان، عَنِ الشّيخِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ أبي الخير، قال: أَقْبَلَتِ الجَرادُ ذاتَ يومٍ ولنا زَرْعٌ نحن منتظرون لَهُ، وذلك في أوّل وقتِ الظُّهْر، فارْتَعْتُ لذلك، وكان معي الشّيخُ عيسى بنُ محمّدٍ الكِرَنْديُّ ففَزِعَ كفَزَعي، فقُلْنا: نذهبُ فنَذَبُّ الجَرادَ عَنْ هذا الزَّرْع. فقال أبي رحمه الله: لا بل نُصَلّي. قلتُ: إنّ الصّلاةَ لا تَفُوتُ، والزَّرْعُ يفوتُ، فاذهبْ بنا فنحن في أوّل الوقت. قال: كلّا، بل نُؤْثِرُ الصّلاةَ. فمضيتُ أنا وعيسى، وأَقْبَلَ يَتَأَهَّبُ للصّلاة، ثمّ صلّى ما شاء الله؛ ورَجَعْنا ولم نُغْنِ شيئاً، فأَقْبَلْنا وقد تَلَقّانا وهو يَضْحَكُ لا يَرُوعُهُ شيءٌ مِنَ الأَمْر، وكأنّه يَتَعَجّبُ منّا.

عليٌّ العابدُ

هو عليُّ بنُ أبي السُّعُود.

أصلُهُ مِنْ أَهْل حَضُور مِنْ ...[١].

وصَنَّفْتُ هذا الكتابَ وهو في الحياة كبير السِّنِّ قد أَحْسَنَ الله مَتاعَهُ، وأَطالَ عُمُرَهُ في طاعته.

وكان -أَيَّدَهُ اللهُ- كما يُسمَّى عابداً مُوَحِّداً مُنْقَطِعاً إلى الله تعالى، وقد اتَّجَهْتُ به غيرَ مرّةٍ بوَقَش في أوقاتِ زياراتٍ منه لأَهْلها، وكان يُقِيمُ بغارٍ في جَبَلٍ مِنْ ناحية العلو مِنْ حَضُور، قريبٍ مِنَ الهِجْرَة الّتي يُقالُ لها: الحَظْفَرُ، هو ووَلَدُهُ حتّى أَنِسَتْ به السِّباعُ وأَنِس بها هو ووَلَدُهُ.

وأُخْبِرْتُ أَنَّهُ كان معَهُ في هذا الغارِ نَمِرانِ -ذَكَرٌ وأُنْثَى- وأولادٌ لهما، فسألْتُهُ عَنْ ذلك حين لَقِيَني، فأَخْبَرَني بأَنَّ ذلك كذلك، ونحن بخَلْوةِ المسجد مِنْ وَقَش في خَلْقٍ كثيرٍ مِنَ النّاس، وحكى لي عَجائبَ مِنْ مُعاشرتِهِ للسِّباعِ، أُنْسِيْتُ أَكْثَرَها لأنّي صَنَّفْتُ هذا الكتابَ بعدَ مواجهتي لَهُ، وإِخْبارِهِ لي بذلك، بنَحْوٍ مِنْ سِتٍّ وثلاثين سنةً أو أكثر شيئاً.

وكان قد عَوَّدَ وَلَدَهُ الاقْتِيات بأَوْراقِ[٣١٠] أَشْجارٍ بَرِّيَّةٍ وثِمارِها نحو شيءٍ يُقالُ له: المَعسُ والنَّقْم، فأَلِفُوا ذلك وقَنِعُوا بِهِ، فلم يزالوا كذلك حتّى غَلَبَهم النّاسُ على ذلك بكَثْرَةِ ما كانوا يحملون إليهم مِنَ الخُبْز وسائر الأَطْعِمة. فتَفَرّقَ عنه الأَكابرُ مِنْ وَلَدِهِ وكان فيهم غُلامٌ يُقالُ له: أبو البور[٢]، فلَقِيْتُهُ بوَقَش وساءَلْناهُ ونحن جماعةٌ عَنْ طَعْمِ ما كان

---

(١) سقطٌ في المخطوط قدر أربع كلمات.

(٢) يحتمل الرّسم في المخطوط: «النور» ويحتمل أيضًا «النورس» لأنّ علامة إهمال الرّاء ممدودة أكثر من المعتاد.

يَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرِ؟ فيذكرُ لِذَّةَ ذلك عنده يومئذٍ ويُوْسِعُ في تَعْظِيْمِهِ.

وسمعتُ عَنْ عليِّ بنِ أبي السُّعُود أنّه كان قد شُهِرَ في تلك النّواحي باسْتِجابَةِ الدّعوة، وبَرَكَةِ المَسألة لله، وشِفاء الرُّقْيَة، ونحو ذلك شُهْرَةً عظيمةً. وأنّه كان يأتي المُسْرِفين وأَهْلَ الفَسادِ في الأَرْض مِنْ فاسقٍ وسارقٍ وقاطعِ طريقٍ فيَعِظُهُم ويُقَبِّحُ عندهم ما يَأْتُون ويُخَوِّفُهم بالله تعالى.

وكان يَحْفَظُ مواعِظَ كثيرةً وأَشْياءَ مِنْ أَخْبار العُبّاد والزُّهّاد والرُّهْبان وصِفَةِ الجنّة والنّار والموت والقيامة، ونحو ذلك ممّا يَعْطِفُ النُّفُوس الصّادَّةَ عَنِ الله تعالى إليه، ويَقْصدُ بأَكْثَرَ ذلك قَرْعَ نفسِهِ وقَمْعِها وتَخْويفها وإِيْقاظها للتَّقْوى، والحَذَر مِنْ تَبَعات الآفات قبل الأُهْبَة للنَّجْوَة. فإذا قَرَأَ عليهم ذلك أو وَعَظَهم بشيءٍ منه أو مِن نحوه فتابوا، أَعانَهُمْ على أَمْرِ تَوْبَتِهم وسبيل نَجاتهم وتَعْليم ما يحتاجون إليه في دِيْنهم بما يُمْكِنُهُ. ومنهم مَنْ يَتَوجَّهُ إلى هِجَرِ الزّيديّة أو مواضعِ التّعليم، إن شاء الله. وإنِ امْتَنَعُوا أَنْظَرهم ثمّ عاوَدَهم بالمَوْعِظة والتّذكير، فإنْ أَصَرُّوا وَعَدَهم النِّقْمة[(١)] مِنَ الله تعالى يوماً معلوماً لا يتأخّرون عنه، ويأتي الأَمْرُ كما يَعِدُهم. فكان أَكْثَرُ أَعْداء الله في تلك النّواحي قد تَنَغَّصَتْ عليهم المعاصي به، وكانوا يَصُدون عَنْ طريقه ويَتَوَقَّون لقاءَهُ إِنْ أَمْكَنَهم أو يَتُوبُون إلى الله سبحانه ويُقْلِعون.

فلمّا لقيتُهُ سَأَلْتُهُ عَنْ ذلك فأَخْبَرَني به بمَحْضرِ الجماعة الوافرة مِنَ الزّيديّة بخَلْوةِ مسجد وَقَش فيصدّقونه، وربّما بادروا بذِكْر ذلك وحِكاية العَجائب؛ فأَخْبَرُوا -وهو يَسْمَع- عنه بما قد وَقَعَ عندهم مِنْ ذلك أو عايَنُوهُ، وإذا ذلك في مواطنَ كثيرةٍ لا يَعْلَمُها إلّا الله تعالى. فقلتُ له: يا شيخُ، فهَلْ هذا إلى الآن لا تَدْعُو على ظالمٍ إلّا انْتُقِمَ حين تُحِبُّ قال: لا[٣١١]. قُلْتُ: ولِمَ؟ قال: لأنّي اسْتَأْنَسْتُ إلى المَخْلوقين وصِرْتُ إلى جِوارِهم،

---

(١) يحتمل الرّسم في المخطوط: «للنقمة».

وأَكَلْتُ خُبْزَ ذَواتِ الحَيْض والأَوْساخ، وكنتُ يومئذٍ مُسْتَوحِشاً منهم مُسْتَأْنِساً إلى الله وَحْدَهُ، هارباً إليه منهم، لا آكُلُ إلّا ما تَفَرَّدَ بصُنْعِهِ، ولم تَعْتَوِرْهُ أَيْديْ خَلْقِهِ. وكان يَتَأَوَّهُ ويَتَأَسَّفُ على ما فاتَهُ مِنْ ذلك ومِنَ الهَرَب عَنِ النّاس، والخَلْوة بالله وَحْدَهُ.

وإنّما كان يأتي الهِجَرَ يَتَفَقَّهُ ويَتَعَلَّمُ ويَتَرَشَّدُ خوفاً مِنْ أَنْ يُضَيِّعَ هذه الفَريضةَ العظيمة، فيترك غارَهُ ذلك ثمّ لا يَلْبَثُ أَنْ يرجِع إليه أو إلى مثله مِنْ غِيْران الجبال وكُهُوفها. ويكون له عند الخُلْطَة للنّاس كلامٌ، ولقِلْبِهِ صورةٌ غيرُ ما يكون له عند التَّفَرُّد.

وقد سمعتُهُ يَعِظُ فكان يُغْشَى مِنْ مَوْعِظَتِهِ على بعضٍ مِنَ النّاس ويُصْعَقون، وإذا رَأَى ذلك فربّما يَكُفُّ. وكان يَقولُ لنا: قد شُهِرْتُ بالعبادة، وأَخْشَى أَنْ اشْتَهَرَ بعذابٍ خاصٍّ لي يوم القيامة، وربّما أَتَصَوَّرُ في نفسي أنّه يُبْنَى لي كالصَّومَعة العالية، ثمّ يُنادَى عليَّ: هذا فلانٌ حتّى اشْتَهَرَ عند النّاس بالفضيحة والعذاب. وإذا تَكَلَّمَ بهذا أَصابَهُ أَمْرٌ عظيمٌ، ومَنْ يَسْمَعُهُ مِنَ النّاس.

وكان لا يُراعي لأَحَدٍ مِنَ النّاس، ظَنَّ به نَقْصاً في دِيْنِهِ أو تقصيراً، حُرَمَةً ولا جَلالَةَ قَدْرٍ، بل يَجْبَهُهُ بالذَّمِّ واللَّومِ والتَّوبِيْخِ والعَيْبِ له، ويَحْتَجُّ عليه بما يَضْغَطُهُ مِنَ الحُجّة حتّى يَنْقادَ له ولله ويَسْلم، ويَظْهَرَ منهُ ما يَكُفُّهُ عنه، نحو التّوبة والاعْتِذار ونحو ذلك. ويُشْهِرُ اللّومَ للمشائخِ الّذين يُعَظَّمون وتُقَلِّدُهم النّاسُ، ويُخْبِرُ بما يَتَخَوَّفُ عليهم مِنَ الله في تَرْك التّدقيق في اسْتِيْفاء حُقُوق اللهِ تعالى عليهم وعلى مَنْ يُمْكِنُهم أَخْذهُ بذلك.

لقد سمعتُهُ وقد ذَكَرَ الشّيخَ إبراهيمَ بنَ أبي الهَيْثَم رحمه الله في أيّام حياته ونحن بوَقَش يرفع صوته ويَقولُ: هذا الشّيخُ الّذي يُقالُ: لئن لم يخلص لله في كذا، ويُنْكِرِ لله كذا، ويَأْمُرُ له بكذا ليَفْعَلَنّ به ولَيَفْعَلَنّ. أو كأنّه قال: ولَيَسْأَلَنَّهُ اللهُ عَنْ جاهِهِ أو نحو ذلك.

وسمعتُهُ يَقُولُ: إنّما هذا الّذي ذَكَرَهُ الأئمّة، عليهم السّلام، في كتاب **(الأحكام)** ومثله مِنْ عِبادة الله سبحانه شيءٌ أَخَذَ الله به العَوامَّ[٣١٢] والمُقَصِّرين وسامَحَهَم به. فأمّا

أَهْلُ الإِخْلاص لله تعالى والخلصانيّون من خاصّة الله والمُحَقِّقون لِعبادته فحَدُّهم أَعْلَى مِنْ ذلك، والعَمَل منهم بما هو فوقه، لأنّ حَقَّ الله العظيم يتقاضى ذلك ممّن يَزْعُمُ أنّه يعرفُهُ ويقصدُهُ مُخْلِصاً بعَمَلِهِ. والّذي تَوَهَّمْنا نحن مِنْ كلامه هذا، وأنّه يعني به أَخْذَ العبد لنفسِهِ بأَنْ تكون حركاتُهُ وخَطَراتُهُ في عملِهِ كلِّهِ مِنْ صلاةٍ وصَومٍ ونُطْقٍ وسُكُوتٍ وأَخْذٍ وعَطاءٍ واقْتِياتٍ بقُوتٍ ونِكاحٍ وغيرِهِ، بعد أَنْ يَعْلَمَ أَنْ ليس في ذلك شيءٌ للدُّنْيا ولا لأَهْلِها بل لله وَحْدَهُ. فحينئذٍ لا يَسْهو في صلاةٍ لقَصْدِهِ لله سبحانه بالتّعظيم وامْتِلاء صَدْرِهِ مِنْ هيبتِهِ والحَياء منه تعالى، ولا يتحرّك في غير الصّلاة، ولا يسكن في عملٍ ينتفع به في عِمارة بَدَنِهِ ونفسِهِ وأَهْلِهِ وولدِهِ إلّا بعد أَنْ يَعْلَمَ أنّه لا يَحِلُّ له تَرْكُهُ، وأَنَّ ذلك مُخِلٌّ بِهِ في هذه الوُجُوه مُضِرٌّ بنفسِهِ وأَهْلِهِ وإِخْوانِهِ، فيكون حينئذٍ عملُهُ في ذلك خالصاً لله لا للشّهوات واللَّهْو والرّاحة. وكذلك لا يتكلّم إلّا بما يَعْلَمُ أنّه أَوْلى به في طاعة الله مِنَ السُّكُوت. وإذا كان العبد هكذا[١] لم يَعْصِ الله طَرْفَةَ عَيْنٍ، ولم يسقط ذِكْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ، وإِنْ ذَكَرَ بلسانِهِ غيرَهُ كان ذلك ذِكْراً له سبحانَهُ، وهان عليه كلُّ عظيمٍ سِوَى اللهِ جَلَّ جَلالُهُ، ولم يَغْضَبْ لظُلْمٍ ولا أَذًى إلّا أَنْ يكون ما في الغَفْلة والصَّفْح عنه غَضَبٌ لله. ولم يَجْنَحْ[٢] لخُصُومةٍ في شيءٍ مِنْ عَرَض الدُّنْيا، ولم يَفْرح بخَصْبٍ ولم يَحْزن لجَدْبٍ ولم يَرْتَع لمَرَضٍ ولا موتٍ ولا فَقْرٍ ولا يَسُرُّهُ غِنًى ولا مال، ولا يهمُّهُ مِنْ ذلك كلِّهِ شيءٌ لا يتعلّق بإيجابِ النّار أَوِ الجنّة له.

وعلى هذا يكون كلامُ عليِّ بن أبي السُّعُود هذا ومَعْناهُ ووَجْهُهُ ومَغْزاهُ أَنّ الدَّعْوَى والشّهادة واليمين والشُّفْعة والاختلافَ في المُعاملات كلّها لا يَقَعُ بين رَجُلَين بهذه الصِّفَة أبداً. وكذلك لا يكون مِنْ أَهْل هذه الصِّفة سَهْوٌ في عِبادةٍ عَنِ الله وقَصْدِهِ بها كلِّها، ولا

---

(١) يحتمل الرّسم في المخطوط: «كالذي».

(٢) يحتمل الرّسم في المخطوط: «لم يحتج» من الحاجة.

عُجْبٌ ولا رِياءٌ ولا سائرُ عُيُوب العِباد والعاملين بظاهر الدّين.

وكان عليُّ بنُ أبي السُّعُود رحمه الله يَسْتَصْحبُ إلى الهِجْرة كَرارِيْسَ مختلفةَ القطع مِنْ صِغارٍ وكِبارٍ ودِقاقٍ وعِراضٍ وقِصارٍ وطِوالٍ بحَسَبِ ما يُرْزَقُ مِنَ الوَرَق، يُعَلِّقُ فيها ما يَنْتَفِعُ به في[٣١٣] حياةِ قَلْبِهِ وإيقاظه[١]، وتَزَيدُهُ معرفةً بالله تعالى، وخوفاً وإِخْلاصاً له، ويُداوي به داءَ نَفْسِهِ مِنْ قِبَلِ دِيْنِهِ.

وأَخْبَرَني عنه أحمدُ بنُ زبيد بن عليٍّ الضّاميُّ أَحَدُ إِخْواني بشَظَب -وقد ذكرتُهُ في بعض هذا الكتاب، وعَرّفتُهُ بما يُعْرَفُ بِهِ مِنْ كونِهِ مِنْ أَهْلِ بُيُوت الخير وذَوي الثِّقَة عندنا- أنّهُ رَأَى عليَّ بنَ أبي السُّعُود تارةً بوَقَش ومعه أَلْواحٌ صِغارٌ كثيرةٌ، يَحْمِلُها يُعَلِّقُ فيها ما يَسْمَعُ ممّا تكون له به حَياةٌ.

وأَخْبَرَني أحمدُ بنُ زُبيدٍ أيضاً مِنْ أَخْبار عليِّ بنِ أبي السُّعُود، الّتي سَمِعَها منه، فذَكَرَ لي نَحْوها ممّا كنتُ سمعتُهُ منه وأُنسِيتُهُ في ابتداء أَمْرِهِ، قال: قال لنا عليُّ بنُ أبي السُّعُود: لـمّا عَزَمْتُ على الخُرُوج إلى الله تعالى مِنْ جِوار المخلوقين لم يَبْقَ عليَّ شيءٌ غير امرأتي، فإنّه عَظُم عليَّ أَمْرُها ورِياضَتُها على رَفْضِ الدُّنيا بالجُمْلَة، فلم أَزَلْ بها حتّى انْقادتْ للخُرُوج معي إلى الغار المذكور، وعَلِمْتُ أنّها لا تَنْقادُ لي إلى تَرْك الطّعام مِنْ أوّل مرّةٍ، فكان قد بَقي معي دقيقٌ نحو المِكيالين، فأَوْدَعْتُهُ لها رَجُلاً في القرية التي تَلِيْنا، وكنتُ آتِيْها منه بالشّيء بعد الشّيء، ولا أَدَعُها تَجُوعُ كثيراً، إلى أَنْ رَضِيَتْ بالحال، واطمأنّت وقَرَّتْ عَيْنُها، وأَمِنَتْ على نَفْسِها ممّا كانت قد خافتْهُ، فلمّا حان انْقِراضُ ذلك الدّقيق وفناؤُهُ بعد زمانٍ كثيرٍ، لم أَشْعُر حتّى أَقْبَلَ رَجُلٌ يَحْمِلُ خُبْزاً كثيراً، فناداني مِنْ ظَهْر الجَبَل، فأَتَيْتُهُ فقال: إنّي كنتُ نائماً في ليلتي هذه حتّى أَتاني آتٍ فقال لي: أنت نائمٌ هٰهنا وعليُّ بنُ أبي السُّعود وولدُهُ بلا طعامٍ؟ قال: فأَخَذْتُ الطّعام وصِرتُ به إلى أَهْلي.

---

(١) في المخطوط: «وإيقاضه» بالضّاد أخت الصّاد.

قال: وكانت لي بُنَيَّةٌ، فكنّا في جانبنا الّذي لنا مِنَ الغار، والنَّمِران في جانبهما منه، فتَنَحَّيتُ ناحيةً واشتغلتِ المرأةُ -أحسِبُهُ قال بالصّلاة- فدَنَتْ تلك الابنةُ حتّى دَنَت مِنْ أُنْثَى النَّمِرين، ولم يكن هناك الذَّكرُ حينئذٍ، فكأنّها هَمَّت بها، ورَفَعَتْ صوتاً لها عليها؛ ظَنَنْتُ أنّه عَنْ شَرٍّ وإرادةٍ ونِيَّةٍ بها، فقلتُ: مهلاً، دَعِيها، انْتَقَمك اللهُ. قال: فلقد ماتَتْ وأنا أَرَى.

وأَخبَرَني أحمدُ بنُ زُبَيدٍ عَنْ عليِّ بنِ أبي السُّعُود قال: كان قد هَمَّ في وقتٍ من أَوْقاتِهِ بأَنْ يحرث أَرْضاً بَيْضاء لا مالكَ لها، فعارضَهُ فيها رَجُلٌ من أَهْلِ تلك النّواحي، فأتى حتّى حَرَثَ شيئاً[٣١٤] يَسِيراً قال: فبَعَثَ اللهُ عليه حيّةً عظيمةً، فهَرَبَ ناحيةً وكان معه[1] صاحبٌ، فهَرَبَ ناحيةً، والثّورانِ ناحيةً، ولم يَزَلْ ذلك الرَّجُلُ يَهْرُبُ حتّى وَقَعَ في ماجِلِ ماءٍ هناك فغَرِقَ فيه، ونَجا صاحبُهُ. وأَحْسِبُهُ قال: إنّ عَلِيًّا دَعا عليه.

وأَخبَرَني أيضاً عَنْ عليِّ بنِ أبي السُّعُود أنّه لـمّا انتقل إلى هذا الغار، الّذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، ولم يكن عُرِفَ خَبَرُهُ كانت راعيةً تأتي إلى ذلك الجَبَل فتُغَنِّي وتُؤْذِيْهِ بالغِناء، قال: فتَمَشَّى إلى أَنْ قَرُبَ منها، ثمّ سَأَلها عَنْ حالها وشيءٍ مِنْ خَبَرِها سُؤالَ إيْناسٍ ورِفْقٍ حتّى اسْتَأْنَسَت إلى كلامه، ثمّ وَعَظَها حتّى رَقَّتْ، ثمّ دعاها إلى التّوبة فلم تُبْعِدْهُ، ثمّ أَخَذَ في تَعْلِيْمها الصّلاة، فصَلَحَ حالُها وظَهَرَ منها شيءٌ مِنَ الخير. وخَلا في غارِهِ ذلك مِنْ كلِّ مُؤْذٍ وقَرَّتْ عَيْنُهُ.

وأَخْبَرَني أحمدُ بنُ أبي العريض عندنا بشَظَب قال: كان عليُّ بنُ أبي السُّعُود يقعدُ مع المسلمين ليلاً بالرَّوْعَة، وهي هِجْرَةُ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ رحمه الله الّتي صار إليها في آخر عُمُرِهِ وتُوفِّي بها، فيتعلّم معهم في التّوحيد وعُلُوم الدِّين إلى انْتِصاف اللّيل، ثمّ يقوم على رِجْلَيْهِ ويَقولُ بأَعْلَى صوته: (مِنَ البسيط)

---

(١) كتب فوقه بالمخطوط: «له».

مَنْ خافَ أَدْلَجَ إِنَّ المُدْلِجينَ لَهُمْ في اللَّيْلِ هَيْنَمَةٌ بِالذِّكْرِ والسُّوَرِ

وينصرفُ إلى مَسْكَنِهِ. وكان له يومئذٍ منزلٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعاب المُوحِشَة تحت الرَّوْعَة يَعْبُدُ الله فيه.

وأَخْبَرَني نُجَيمُ بنُ عبد الله بنِ أبي العريض قال: قال: قَدِمَ عليُّ بنُ أبي السُّعُود وَقَش وبها مِنَ التّائبين مِنْ بني شِهابٍ وأَهْل صَنْعاء، وكانوا يأكلون الأَطْعمةَ الطَّيِّبة ويَلْبَسُون الثِّيابَ الجَيِّدة ويَفْتَرِشون الفُرُش الوَطِيْئة، ويُجَمِّلُون منازلهم بما يمكنهم مِنْ جَمالٍ؛ قال: وكان مِنْ أَجَلِّهم قَدْراً إسماعيلُ بنُ حاجب بنِ حمزة بنِ محمّد بنِ سَلَمة الشِّهابيُّ، لكَوْنِهِ مِنْ سَلاطين البلاد في الأَصْل وظُهُور عِبادَتِهِ واجْتِهادِهِ، قال: فلمّا قَدِمَ عليُّ بنُ أبي السُّعُود وثَبَ بإسماعيلَ بنِ حاجبٍ فوَعَظَهُ في ذلك ولامَهُ ووَبَّخَهُ في خِلالِ كلامِهِ، وقال: يا إسماعيلُ، تَقولُ إنّك عابِدٌ زاهدٌ تائبٌ، وأنت ونحوكَ مِنَ النّاس تأكلون لُبابَ البُرِّ، وتفترشون وَطِيْء الفُرُش، وتَلْبَسُون الثّيابَ الحسنة؛ فإذا جاءكم عبدٌ لله تائبٌ إليه خائفٌ له زاهدٌ في الدُّنْيا يُريدُ أَنْ يَزيدَهُ النَّظَرُ إليكم زُهْداً وتَفَرُّغاً لطاعةِ الله، لم يَلْبَث أَنْ يَرَى ما أنتم عليه وما في مَنازلكم فيَدْعُوهُ ذلك إلى طَلَبِ الكَسْب والاحْتِراف والجَمْع والتَّجَمُّل مثل ما يَرَى عليكم وعندكم فإذا[٣١٥] هو قد رَجَعَ عَنْ نِيَّتِهِ الجيّدة، وإرادَتِهِ الكريمة الّتي عَلَتْ فيها هِمّتُهُ، وسَما فيها بقَصْدِهِ إلى الخير. وكان يقول: اتّقوا الله مرّةً بعد أخرى، ويُكَرِّرُ ذلك.

سُعَيدٌ العابدُ

هو سُعَيْد بن سعدٍ ...[١].

أَصْلُ مَسْكَنِهِ بِلادُ عُذَر مِنْ مَشْرق حاشِد بقرية ثباجر[٢] مِنْ أَرْض مَطِرَة، مِنْ نَفَرٍ يُعْرَفون بالقضاة ...[٣]، وكان رَحِمَهُ اللهُ عابداً مشهوراً بذلك، وقَدِمَ وَقَش للكَونِ بها وأنا يومئذٍ بها، وكأنّه إنّما كان قَصْدُهُ لها لِيَلْصَق بتلك الشُّيُوخ الأَفْراد الّذين اقْشَعَرَّتِ الأَرْضُ لفَقْدِهم الآن، وليُذْكي مِنْ نُورِهم سِراجَهُ؛ لأنّ علامة المؤمن مُفارَقَةُ الفاسقين، وعلامة الصّادق مُفارقة الكاذبين، وعلامة المُتّقين مُفارقة الفُجّار.

فاختصّ منهم بإبراهيم بن أبي الهيثم والنُّوَيرة السَّنحانيِّ ونحوهما ممّن رضي الله عنه فرَحِمَهُ. فكنتُ أَسْمَعُهُ يحكي لنا خُرُوج الشّيخ إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ للغائط، واسْتِجْمارِهِ بالأَحْجار، ومَسالِكِهِ في الطَّهارة حين وَقَعَ ونحن بوَقَش يومئذٍ، ففَهِمْتُ مِنْ شَأْنِهِ قوّةَ القُدْوة به، وحُسْنَ النَّظَرِ للنَّجْوَةِ بالتَّعَلُّق بسَبَبِهِ، وأنّهُ عنهم أَخَذَ وُضُوءَهُ وصَلاتَهُ وطَهاراتِهِ، وبرَأْيِهم في الزّهد إنْ شاء الله عَمِلَ، وفي العِبادة وسائر ما مَضَى عليه -إلى أَنْ مات- مِنْ مَكارم الأَخْلاق رحمة الله عليهم وعليه. والوقتُ منه قريبٌ، والعَهْد به دانٍ، ولستُ أَحْتاجُ في وَصْفِهِ إلى فَضْل كلامٍ لأنّ أَكْثَرَ مَنْ يَقِفُ عليه يَجِدُ مَنْ قد رآهُ بالأَمْسِ أو رآهُ هو، فإنّي ابتدأتُ هذا الكتابَ وهو حَيٌّ لم يَمُت.

وأَخْبَرَني الحسين بن محمّد القَهْميّ قال: تَذاكَرَ أَقْوامٌ الأَفْكارَ والخَواطرَ الّتي تَعْرِضُ

---

(١) ثمّة فراغٌ في المخطوط قدر كلمتين.

(٢) قوله: «ثباجر» كذا رسمها، ولم أقف لها ذِكر فيما وقفت عليه من مصادر.

(٣) ثمّة فراغٌ في المخطوط قدر كلمتين.

في الصّلاة لكثيرٍ مِنَ النّاس، والْتِفات النُّفُوس حين قِيامها بين يدي الله تعالى عَنِ الذِّكْر الّذي يَعْنِيها في تلك الحال، وذلك الوقت، ويختصُّ بها إلى ما لا يَعْنِيْها مِنْ فُضُول الأُمُور والتَّفَكُّر في أُمُور بني آدَمَ الّتي ليستْ عليها بمَفْرُوضةٍ في تلك الحال، ولا في غيرها. وسُعَيدٌ رحمه الله يَسْمَعُهم، فقال قائلٌ منهم: ما أَعْجَبَ هذا الأَمْرَ، وليتَ شِعْري لِمَ تختصُّ هذه الخَواطرُ والأَفْكار بذلك الوقت؟ فقال سُعَيدٌ: إنّه قد ذَهَبَ عَنْكم أنّها مُشْتَغِلَةٌ بذلك سائر زمانها، مُهْمَلَةٌ على ما لا يَعْنِيها، وإنّما استيقظتم لذلك في وقت الصّلاة لمُطالَبَتِكم[٣١٦] لها بالإِخْلاص والإِقْبال على الصّلاة. فكان هذا تَنْبيهاً قويًّا على غَفْلَةِ الإنسان عَنْ نفسِهِ حتّى أَهْمَلَها أَكْثَرَ دهرِهِ، وعَوَّدها ما صَعُبَ عليه نَقْلُها عنه عند ذِكْرِ ربّه.

قال الحسين بن محمّد ثمّ ضَرَبَ لنا مثلاً في ذلك مِنْ حيثُ يقربُ مِنْ أَفْهامِنا بالعَنْزِ الّتي تكون مُطْلَقَةً بالصّحراء على المَرْعى، فإنّ صاحبَها إذا أرادَ إِمْساكها في منزلِهِ لم تُطاوِعْهُ إلى ذلك إلّا بأَنْ يُوثِقَ رِباطَها بالحِبالِ القويّة، ومع ذلك لا تقفُ عَنِ النَّزَوان والتَّقَلُّب والأَذَى جَهْدَها.

وأَخْبَرَني الحسين بن محمّد القَهْميُّ قال: أَتَى سُعَيْداً رحمه الله آتٍ فسأَلَهُ الفُتْيا في مسألةٍ فقهيّة؟ فقال له: إنّ في وَقَش ستةَ عشرَ قاضياً، فلو لم يكن بها أَحَدٌ لجَهَدْتُ لك نفسي في البحث عَنْ هذه المسألة، فاسألْ غيري، واعْذِرْني. في كلامٍ هذا مَعْناهُ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ سلمان البَكِيليُّ قال: كان بعضُ الزّيديّة يقولُ: اشغلوا مَعِدَكم بالعُثْرُبِ والمُرَار، فأَقَلُّ شيءٍ يَصُدُّ شَرّ المَعِدَة ويدفع أذاها. وأَحْسِبُ أنّي سمعتُ ذلك مِنْ سُعيدٍ رحمه الله.

و«**العُثْرُب**»: شَجَرٌ قابضٌ فيه حُمُوضةٌ، يَعْرِفُهُ أهلُ اليمن. و«**المُرار**»: شيءٌ مُرٌّ، يعرفونَهُ أيضاً. وقد يأكلونها على الطّعام وغيره.

قال: وسمعتُهُ يُخْبِرُ قال: قَدِمْتُ للتَّعَلُّم أنا وصاحبانِ لي، ومع كُلِّ رَجُلٍ مِنّا دينارٌ،

يريد أَنْ يجعلَهُ نفقتَهُ إلى أَنْ يَتَفَرَّقَ النّاسُ، وكانوا يجتمعون للتّعليم وَقْتاً معروفاً، فأَخَذَ صاحِباي بديناريهما بُرًّا للنَّفَقَة. وهَمَمْتُ أنا بمِثْلِ ذلك، فنظرتُ وإذا ما يُؤْخَذُ مِنَ البُرِّ بالدّينار أَقَلُّ ممّا يُؤْخَذُ به مِنَ الشَّعِير، ونظرتُ وأنا إذا أَخَذْتُ شعيراً كفاني إلى أَنْ يَتَفَرَّقَ النّاسُ؛ فأخذتُ بديناري شعيراً فكفاني، وفَرَغَتْ نفقةُ صاحِبَيِّ قبل ذلك فانْصَرَفا[1]، ولَبِثْتُ بعدهما مدّةً صالحة. فكنّا نأتي ويأْخُذانِ البُرَّ وآخُذُ الشّعيرَ فأَسْتَفِيدُ وراءهما أَبَداً ما يَفُوتُهما دَرْكُهُ مِنَ الخير، فجعلت ذلك دَأْبي.

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ، أَحَدُ الشُّيُوخ الفاضلين في العَصْر بوَقَش في سَبَبِ نَقْلَةِ سُعَيدٍ إلى وَقَش قال: قَدِمَ النُّوَيرةُ السَّنْحانيُّ الزّاهد رَحِمَهُ اللهُ أَرْضَ مَطِرَة في وقت العِنَب للخَرِيف هناك، فنَزَلَ على سُعَيدٍ وهمام ابْنَي سَعْدٍ، فلَبِثَ ما لا أَدْري ثمّ انصرفَ راجعاً، فقال له همامٌ: ليتَ شِعْري، متى تَعودُ إلينا، أو قال: لعلّك ترجِعُ إلينا؟ فقال آخِرَ ما رَجَعْتُ إليكم[٣١٧] يا همام؟ قال: ولِمَ؟ قال: إنّها تَضْطَرِمُ[2] بين جِبالها ناراً. يريد معاصي أَهْل المَشْرِق الظّاهرة، وما عليه عَوامُّهُم مِنْ تَرْكِ التَّحَرُّج[3] في الأَمْوال والدِّماء، وشُرْب الخَمْر، والتَّزَيِّي بكَشْف العَوْرات في لِباسِهم للأُزُر، إلى غير ذلك مِنْ معاصي الله المحرّمة. قال: فلمّا سَمِعَ سُعَيد ذلك لم يَسْتَقِرَّ به القَرارُ، وعَمِلَ مع أَهْلِهِ في النُّقْلَةِ[4] على التّدريج حتّى تَمَّ له غَرَضُهُ، ثمّ ارْتَحَلَ.

---

(١) ثمّة تكرار لبعض ما في المتن بالهامش في محاولة لإعادة بناء العبارة.

(٢) فاعل «**تَضْطَرِمُ**» الأَرْضُ الّتي يُريدون أن يعود إليها النُّويرةُ؛ أي إن هذه الأَرْض ما تزال تَضْطرِمُ ناراً بالمعاصي الّتي تُرْتَكب فيها.

(٣) في المخطوط: «التخرج» والمعنى غير متّجه.

(٤) **النُّقْلة**: الاسم من الانتقال من موضع إلى موضع؛ التّاج: (ن ق ل).

الكِرَنْديُّ

وهو عيسى بنُ محمّدِ بنِ لَيْثٍ.

أَصْلُ مَسْكَنِهِ مَسْوَر بني عبد الحميد، ثمّ موضعٌ مِنَ التِّهام يُعْرَفُ بالعَكْتِ مِنْ قومٍ يُعْرَفون ببني الرّكُوعيّ.

كان رحمه الله أَحَدَ عُبّادِ الزّيديّة وفُقَهائهم وذَوي العِلْم والعَمَل الصّادق منهم، حَسَنَ الأَخْلاق جيّد الخُشُوع سَريعَ الدَّمْعة لله وفي الله، عليه سِيْماءُ الطِّراز الأوّل مِنَ الزّيديّة الأَخْيار.

وَصَلَ إلى أَرْض بَكِيل أَلْهان ومُقْرَى ونواحيها وبها مات رحمه الله.

وأُخْبِرْتُ أنّه لـمّا حَجَّ عَمِلَ في شَأْنِ حُجّاج الزّيديّة حتّى مَيَّزَهم أميرُ مكّةَ عَنْ سائر النّاس، لتَعَصُّبِهِ لهذا الاسم، وكونه مِنْ وَلَدِ الحسنِ بنِ عليٍّ، عليهم السّلام، فأَطْلَقَهم عَنْ المَكْس الّذي يَأْخُذُهُ مِنَ الحاجِّ وهو شيءٌ يَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوالهم يَقِلُّ ويَكْثُرُ على وَجْهِ الغَصْب.

وأَخْبَرَني الشّيخُ محمّدُ بنُ أبي الخير بنِ جعفرٍ، المعروف بالضّريوة، وهو أَحَدُ شبابِ الزّيديّة الصّالحين الأَفاضل بوَقَش عَنْ عيسى الكِرَنْديِّ رحمه الله أنّه قَدِمَ مكّة حاجًّا في أيّام الأمير بها هاشم بنِ فَلِيْتَة بنِ القاسم بنِ محمّد بنِ هاشمٍ الحسينيّ الموسويّ، واحتالَ حتّى دَخَلَ عليه –وكان لا يتكلّم في شيءٍ مِنَ التّذكير بالله ودِيْنِهِ إلّا عَمِلَ فيه وَعْظُهُ وتَذْكيرُهُ فبكى قبل المَوعُوظ، ورَقَّ وازْداد خشيةً لله وتَعْظيماً له وإِيْثاراً لحَقِّهِ سبحانه– فلـمّا سَلَّمَ أَقْبَلَ على الأميرِ، وكان خَدَمُهُ قد جاروا على النّاس في المَكْس الّذي يَغْتَصِبونَهُ الحاجَّ، ثمّ قال: إنّ ما أنت عليه وخَدَمُك مِنَ الظُّلْم يَدُلُّ على أنّك لستَ مِنْ آلِ رسول الله، صلّى الله

عليه، لأنّك لم تَرِثْ منه شيئاً مِنْ عَدْلِهِ ورَأْفَتِهِ ورحمتِهِ ومَكارم أَخْلاقِهِ، وهو يبكي شديدَ البكاء، ويُذَكِّرُهُ بوَعْدِ الله ووَعِيدِهِ، فرَقَّ وخَشَعَ[٣١٨] وقال: فبِمَ تَأْمُرُ؟ قال: برَفْعِ هذا المَكْس عَنْ وَفْد الله عَزّ وجَلّ، وتعمل للنَّجْوة. فتقدَّمَ إلى خَدَمِهِ أَلّا يَعْرِضُوا لأَحَدٍ مِنَ الزّيديّة وأَمَرَ بمُراعاتهم، وعَدَلَ بعض عَدْلٍ على النّاس، ورَفَعَ وِراثَةَ أَمْوالِ الموتى ببلدِه، وسَلَّمَها لوَرَثَتِهم، فلم يَزَلْ على ذلك حتّى ادّعَتِ المُجْبِرَةُ أنّها مِنَ الزّيديّة، فكَثُرَ ذلك فتَغَيَّرَ بعضُ الأَمْر.

وبَلَغَني أنّ عيسى رحمه الله لم يكن يَتَلَقَّى إِخْوانَهُ إلّا بدَمْعِهِ إِنْ خاف منهم أو خافَ عليهم معصيةً لله أو غَضَباً منه سبحانه، ويرون ذلك فيَرِقُّون ويَرْجِعون إلى ما يُحِبُّ.

أَخْبَرَني يحيى بنُ يوسفَ العَنْسيُّ قال: بَلَغَ عيسى الكِرَنْديَّ رحمه الله مِنْ إبراهيمَ بنِ عبد الله الحجلم كلامٌ بَدَرَ منه إلى مَنْ يَضِيْقُ به صَدْرُهُ ويَسُوؤُهُ مِنَ المسلمين، فأَقْبَلَ حتّى أَتاهُ فقال: يا أبا إسحاقَ، أنت شيخُنا ونحن نتَعَلَّمُ منك، ولكنّ في لسانك فَضْلَةَ كلامٍ يُدْخِلُك النّار. ثمّ بكى. قال يحيى: وكنتُ يومئذٍ غُلاماً فبكاؤُهُ يومئذٍ في نفسي إلى الآن.

وأَخْبَرَني يحيى بنُ يوسفَ أيضاً قال: سمع عيسى ذِكْرَ رَجُلٍ مِنَ الأَشْراف يُعادُ، وأنّه يَصْلُحُ للبَيْعة بعد عليّ بن زيدِ بنِ المليح الحسنيِّ[(١)] القائم بصَعْدَة ونواحيها عام ثلاثين وخمس مئة لطَلَب الإمامة، فعَظُمَ عليه ذلك ورَأَى أنّ أولئك الّذين ذَكَرُوا هذا الشّريف ورَأَوهُ يَصْلُحُ للأَمْر -وكان به عارفاً- عَوامٌّ جهلةٌ، وإنْ كانوا عند العَوامِّ عُلَماء عُبّاداً. فأَحْسِبُهُ قال: فبكى وقَطَعَ عليهم الكلامَ وسَكَّنَهم ثمّ قال: إنّكم إنْ ذَكَرْتُم مثلَ هذا بَلَغَهُ فطَمِعَ فيما لا يحلُّ لَهُ ولا لكم، فهَلَكَ وهَلَكْتم، فلا يَسْمَعَنَّ هذا منكم.

فلمّا مات عيسى رحمه الله دعا هذا الشّريفُ إلى نفسه، فبادَرَ إليه القومُ واقْتَدَى بهم

---

(١) ثمّة حاشيةٌ بالمخطوط يذكر فيها أخبار علي بن زيد المليح، وكأنّها ليست من المخطوط لعدم إشارته إليها على المعهود، منها: «بُويع له وخرج في جيشٍ كثيف من خولان وهَمْدان والأشراف والشّيعة، فيهم».

النّاسُ، فأَحْدَثَ الأَحْداثَ الكثيرةَ، وحَرّكَ الأُمُور الجليلة، وحَدَثَ بسببِهِ بين النّاس مِنْ سَفْكِ الدّماء وكَشْف الحريم وأَخْذ الأَمْوال وخَراب الدِّيار، أَمْرٌ لم يُظَنَّ قَطّ أنّه يكون. وأَحْسِبُ أنّه كان مِنْ كلامِ عيسى يومئذٍ لأولئك: إنّكم [إنّ](١) قُلْتُم هذا جَرّأتم كلَّ أَحَدٍ على طَلَبِ الإمامة وطمّعتم فيها مَنْ ليس لها بأَهْلٍ، لأنّ مثلَ هذا في الأَشْراف كثيرٌ، وهُمْ لا يَطْمَعُون بها لاعْتِقادهم عظيمَ درجتِها وغِلَظَ شُرُوطها، فمتى رَأَوْهُ قد بُويعَ قالوا: فيمَ يَفْضُلُنا؟ وطَلَبَها كلُّ أَحَدٍ، وهذه هَلَكَةَ الإسلام. في نحوِ هذا الكلام.

وأَخْبَرَني عمرُو بنُ محمّدٍ المعمريُّ[٣١٩] الوادعيُّ قال: أَقْبَلْتُ مِنْ بلاد خَولان أُريدُ الشّريفَ يحيى بنَ الحسين الحسنيَّ مِنْ ولد الهادي إلى الحقّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، وهو بنواحي مَسْوَر وبلد حِمْيَر، وكان مِنْ أَصْحابه= فمَرَرْتُ ببلاد ظاعن مِنْ حَجُور وبلاد الأَهْنُوم، فلقيتُ القاضي محمّدَ بنَ عليٍّ الهنوميَّ، وكان مِنْ عُلَماء الزّيديّة ورجالهم الأفاضل، مُبَرِّزاً في ذلك على كثيرٍ مِنْ نُظَرائه وذلك بعد قيام أحمدَ بنِ سليمان الحسنيِّ مِنْ ولد الهادي، عليه السّلام، أيضاً وفَتْحِهِ صَنْعاء ونواحيها، فتَذاكَرْنا أَمْرَ الإمامة والأئمّة فقال لي: اسمع. قلتُ: نعم. قال: لا أرى أنّه يقوم باليمن مِنْ أَشْرافها إمامٌ بعدها إلى يوم القيامة. قلتُ: ولِمَ؟ قال: يرونَ رُخَصَ هذا الأَمْر وطاعةَ مَنْ يُظْهِر الدِّين ويَدَّعي العِلْم لطالبِهِ[٣٢٠]، ممّن ليس له بأَهْلٍ، فيَطْمَعون في مثل ذلك، فيَتَهاونون بالعِلْم والتَّعَلُّم والعِبادة وطَلَب الخير، ويَطْلُبُون الأَمْرَ ثِقةً بالنُّصْرة عليه مِنْ هؤلاء المُدَّعين للدِّيانة والعِلْم بلا كُلْفَةٍ ولا عَمَل. فمتى يَتَعَلَّمُ أو يَتَعَبَّدُ أو يَطْلُب خِصالَ الإمام ويَكْتَسِبها مَنْ يَجِد الأَعْوان لمَنْ ليستْ فيه ممّن يُصَدِّقُهُ النّاسُ ويُقَلِّدونَهُ؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

(١) ما حُفّ بمعقوفين يتحوّجه سياق الكلام.

أَسْعَدُ بنُ عبد الفاضل

هو أسعدُ بنُ عبد الفاضل بنِ يحيى.

أَصْلُ مَسْكَنِهِ مَدَر مِنْ مَشْرِق هَمْدان، وبها مات.

ونسبُهُ في آل أبي عُبَيْدة، ونَسَبُهم في هبرة بنِ مَذْكر بنِ يام بن أَصْبى.

وكان ﵀ حين مات رَجُلاً شابًّا لم يَكْتَهِل بعدُ، وكان مِنْ أَبْناء الزّيديّة وتخريجِ الشُّيُوخ الأفاضل منهم. كان أَبُوهُ وعمُّهُ سلامةُ بنُ يحيى مِنْ عِباد الله الصّالحين -فيما بَلَغَني- وكذلك أُمُّهُ.

وكان تعليمُهُ للقرآن عند الشّيخِ الحسينِ بنِ عبد الحميد الخلطيِّ وتَأْدِيبه مِنْ قِبَلِهِ، وتَهْذِيبه بالتّوحيد ومعرفة الأُصُول فإنّما كان تمامُهُ مِنْ قِبَلِ عُلَيّانَ بن سَعْدٍ البَحيريِّ، رحمةُ الله عليهم، وله صُحْبَةٌ بإبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم وأبي القاسم بنِ شُجاعٍ ومحمّدِ بنِ إبراهيم بن رِفادٍ ونُظَرائهم مِنْ شُيُوخ الزّيديّة. وكانت خُلْطَتي به ومَعْرفتي له مُتَقَدِّمَةٌ واخْتِصاصي به خالصاً لله سبحانه.

وقد ذكرتُ مقدّمةً مِنْ صفاتِهِ في أَخْبار الشّيخ إبراهيم بن عليّ بنِ عيسى الضّاميِّ ﵀ شيخِنا بشَظَب، وأنّها سببُ هِدايتي لمعرفة الحقِّ في الدِّيْن ووَلِيًّا المِنَّةِ عليَّ في ذلك بَعْدَ الله سبحانه.

وكنتُ أَعْرِفُهُ شَحِيحَ الوَرَع[1]، دقيقَ النَّظَرِ، خَفيَّ المَسْلَك في اسْتِخراجِ العُلُوم، لطيفَ التّأتّي للمُتَعَلِّم، حَسَنَ الخُلُق رفيقاً، مُحْتَرِزاً عمّا يُنَفِّرُ عنه أو عنِ الدِّيْن بسببِهِ ممّا يَدِقُّ

---

(١) قوله: «شحيح الورع» كذا!

ويَخْفى فَضْلاً عمّا يَسْتَبين ويَظْهَرُ، ومُحْتَرِزاً عمّا يُطَمِّعُ به العَوامُّ ويُحَزِّبُهم عليه، مع تَواضُعٍ ورِفْقٍ يَجْتَلِبهم[(١)] بِهِ إلى الله، يَدْنو عند الدّعاء إلى الله حتّى يُباشِرَ الثَّرَى ثمّ يَعْلو عند خَوفِ التُّهْمة بالطَّمَع والتَّمَلُّق وما يَضَعُ مِنَ الكريم حتّى يَتَجاوز الثُّرَيّا.

لقد خالطتُهُ آكلاً وشارباً ومُنْفِقاً ومُنْفَقاً عليه وسائساً ومَسُوساً، فلم أَكُنْ أَراهُ رَحِمَهُ اللهُ يُبَذِّرُ إذا وُسِّعَ عليه ولا يَقْنَطُ إذا قَلَّ وضاق حالُهُ ولا[٣٢١] يَفْتُرُ إذا أَنْفَق ولا يَغْتَنِمُ الفُرْصة فيما يُنْفَقُ عليه ولا يُظْهِرُ خَلَّةً ولا يُعرف له إِقْلالٌ مِنْ غِنًى لفَضْل تَحَمُّلِهِ وصَبْرِه، ولا يَشْرهُ عند الشَّهْوة ولا يَنْقَبِضُ عند الضِّيقة.

وكان ربمّا يُعلِّم القرآنَ مَنْ[(٢)] رضي ممّن يَأْتِيْهِ بولدِهِ -أو مَنْ يُريدُ تعليمَهُ- بأَنْ يُعلِّمَهُ الخَطَّ والهجاءَ، وإِنْ لا فلا يَشْرط لهم تعليمَ القرآن لا بأُجْرَةٍ، ولا لرَجاءِ إِحْسانٍ لم يُشْرَط. وإذا قَعَدَ مُعَلِّماً لم يَسْتَحِلَّ أَنْ يُحدِّثَ أَحَداً ولا يَقُومُ لحاجةٍ إلّا بعد قوّةِ المُطالبة منها ولُزُوم الفريضة له فيها، يَمْتَحِنُ المتعلِّمَ محنةً بعد أخرى حتّى يَثِقَ بحِفْظِهِ لِما يَتَعَلَّمُ ثِقةً صحيحة، فإذا حان انصرافُ المُتَعَلِّم إلى منزلِهِ عَشِيًّا لم يَنْصَرف حتّى يُلَقِّنَهُ مسألةً في أُصُول الدِّين فيخرج المُتَعَلِّم مِنْ بين يديه قارئاً كاتباً موحِّداً مُتَفَقِّهاً زاهداً.

وكان أَسْعَدُ رَحِمَهُ اللهُ يَقْعُدُ على الطَّعامِ مع الجماعة فإِنْ كان سائلٌ رَفَقَ بصاحب الطّعام حتّى يدخل، فإِنْ كان ممّن تَصْلُحُ مُؤاكلتُهُ فيأْكُلُ مع الآكلين، أو يُعْطِيْهِ شيئاً يَخْرُجُ به إليه مع طِيْبِ نَفْسٍ واحْتِيال له لِما يُنَشِّطُهُ لذلك مِنْ روايةٍ حسنةٍ وتَعْريضٍ لطيفٍ أو تَذْكيرٍ بآية أو شيءٍ قريبٍ مِنَ العَهْد مِنْ أَخْبار الزّيديّة ونحوهم. فإذا أَكَلَ مع الجماعة تَشاغَلَ بمَضْغِ لُقْمَتِهِ وتَباطَأَ عَنْ أَصْحابه حتّى يَسْتَأْثِروا مِنْ ذلك بما لا يَصيرُ إليه منه، لاسيّما إِنْ كانت مجاعةً أو ظَهَرَ ببعض القوم شِدَّةُ جُوعٍ في الحال، وربّما يقطع اللُّقْمَةَ ويُنَحِّيها عنه إلى جهةِ

(١) يحتمل الرّسم: «ويختلبهم».

(٢) في المخطوط: «فمن» ولم يتّجه لي الكلام بهذا الرّسم.

الجليس، ولَعَلَّهُ يَتَوَخَّى بذلك غَفْلَتَهُ عنه حتّى يصيرَ إلى أَصْحابه ما يَسْلَمُ به مِنْ حُقُوقهم في المُؤاكَلَة ونحو ذلك.

وكنتُ إذا تَفَكَّرْتُ فيه ذكرتُ قولَ دُرَيد بنِ الصِّمَّةِ الجُشَميِّ في أخيه(١): (من الطّويل)

قَلِيْلُ تَشَكِّيْهِ المَصائِبَ ذاكِرٌ مِنَ اليَومِ أَعْقابَ الأَحادِيْثِ في غَدِ

كَمِيشُ الإِزارِ خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ صَبُورٌ على العَزّاءِ طَلّاعُ أَنْجُدِ

وكان يَرْمي بالنَّبْل ويَخْدِمُ السّلاح ويُجِيْدُ، ويَدْعُو إلى الجَلادة والنَّبالَة، ويَنْهى عَنِ الامْذِلال والاسْتِرْخاء، ويَأْمُرُ بالحَزْم والاحْتِراز، ويُسيءُ الظَّنَّ بمَنْ يَجْهَلُ ولا يَقْطَعُ عليه، إنّما حَدُّ ذلك أنّه لا يَتْرُك له سبيلاً إلى شيءٍ ينالُ فيه مَساءته[٣٢٢]، ويُعْذَرُ به فيه إنْ رامَ ذلك، وسواء كان ذلك مظهراً لهيئةِ الدِّين أو غير ذلك، مع ما يُؤَدِّي مِنْ فَرائِضِهِ، ويُعِيْنُهُ على ما يَطْلُب منه أو مِنْ غيرِهِ حتّى تجودَ خِبْرَتُهُ بالرَّجُل مرّةً بعد أخرى، وفي أَزْمِنةٍ كثيرةٍ، ثمّ ائْتَمَنَهُ(٢) فيما يَنْبَغي.

لقد خرجتُ أنا وهو مرّةً نُريدُ الخَريفَ بناحية القَراوِد مِنَ الصَّيَد، وكان ذلك عَنْ موعدٍ مِنْ طائفةٍ مِنَ الزّيديّة، فيهم عَليان بن إبراهيم ورِجالٌ مِنْ آل البركي مِنْ ناحية مَسْور للاجتماع هناك، وكانت طريقُنا إلى هِجْرَة عَليان بن إبراهيم مِنْ وادي بيت شَهير على دَعّان، وذلك في ساعةِ أَمانٍ به كانت، وكانت معه قَوسان إِحْداهما سِلاحُهُ والأخرى -فيما أَحْسِبُ- كانت معه للبَيْع، فلمّا طَلَعْنا على القاع مِنْ دَعّان رَفَعَ إِلَيَّ إحدى القوسين، وأخرج إِلَيَّ سهمين مِنْ قَرَنِهِ(٣)، وأَراني كيف أَلْبَسُ القَوسَ وأُمْسِك السَّهْمين. قلتُ: وكيف، ولا أُحْسِنُ أَرْمي؟ قال: تَسيرُ سَيرَ الرِّجال لا هَرَبا ولا هُوَيْنَى، وتَصْنَعُ هكذا فإنّ

---

(١) ديوانه: ٦٦، ٦٨، البيتان: ٣٢، ٣٠، وروايته: «صبور على رزء المصائب حافظ ... أدبار الأحاديث...».

(٢) قوله: «ائتمنه» كذا بالمخطوط إلّا أنّه سهّل الهمز.

(٣) **القَرَن**: الجَعْبَة، وهي الكِنانة.

الرّامي هَيْبَتُهُ أَنْفَعُ مِنْ عَمَلِهِ، فلعلّ مَنْ يرانا -إنْ كان أَحَدٌ بهذا القاع- لا يَطْمَعُ فلا يخرج. ففَعَلَنا ذلك فلم نَرَ أَحَداً، وسِرْنا حتّى بَلَغْنا وسَلَّمَ اللهُ فله الحَمْد.

وكنتُ قد ابتدأتُ بقولِ الشِّعْر، وكاتبتُ به أَنْفاراً، فرَأَى ذلك مِنِّي ورَأَى رغبةً كانت في طاعة الله تعالى، فقال: أَنْصَحُكَ وتَقْبَلُ عنّي؟ قلتُ: نعم. قال: خَمِّلْ نفسَك وأَخْفِها لتَخْلُوَ بالله والعَمَلِ لله، وتَسْلَم مِنْ عار الشِّعْر وإِثْمِهِ ومَغارِمِهِ وشُهْرَتِهِ وسائر مَضارِّهِ. فقَلَّ مَنِ اشْتُهِر به إلّا هَلَكَ إمّا دِيْنُهُ وإمّا بدنُهُ أو مالُهُ. في كلامٍ نحو هذا. ثمّ أَنْشَأَ يُخْبِرُني بمَنْ أَهْلَكِ الشِّعْرُ، كالماربيِّ وابْنِ حُمَيْدٍ ونحوهم. فما أَعْلَمُ أنّي ذكرتُ خِلافي له في هذا، وإِحْيائي للشِّعْر ومحبّتي له وما لَحِقَني به مِنَ المآثم والمَغارِم والعَداوات والمَكارِهِ، إلّا اشتدّت حَسْرتي، وعرفتُ فَضْلَ نُصْحِهِ وجَوْدَةِ رَأْيِهِ وذَكاءِ عَقْلِهِ رحمه الله.

وكان كثيراً ما يَرْوي لي ولِمِثْلي مِنْ تَلامِذَتِهِ ومُتَعَلِّمِيْهِ نحوَ خَبَرِ إسماعيلَ الغريبِ رحمه الله في قولهم له وقدِ اجتمع جماعةٌ على طعامٍ: قال رسولُ الله، صلّى الله عليه وعلى آله: «**خيرُ الطّعام ما كَثُرَتْ فيه الأَيْدي**»[1]. فقال: نعم إذا سَلِمَ مِنَ النِّيّات. كأنّه يُريدُ نحو أَنْ يَقولَ أحدُهم في نفسِهِ: آكُلُ قَبْلَ هؤلاء حتّى أَشْبَعَ، فربّما قَصُرَ الطّعامُ عَنْ شِبَعِ الكُلِّ. أو يرى أحدُهم[٣٢٣] شيئاً بيدِ آخر يستحسنُهُ فيَقولُ: ليتني كنتُ سَبَقْتُ إليه. أو يَقولُ آخَرُ لآخَرَ: ليت هذا لم يَكُنْ أَكَلَ معنا لكَراهَةٍ لا تتعلّق بالدِّين في نحو هذه الأَخْلاق. فكان رحمه الله ينفعنا بذلك.

وكان مِنْ أَجْوَد مُعَلِّم[2] للتّطهر غسلاً ووُضُوءاً، فمَنْ فَهِم عنه ذلك كان مِن أَنْظَف المُتَطَهِّرين وأَسْرعهم وأَقَلِّهم مُؤْنَةً في ماءٍ وغيره، وكان يَكْرَهُ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يُهْلِك ثِيابَهُ بالغُسْل في كلِّ يومٍ، فإذا أَصابتِ النَّجاسةُ الثَّوبَ في موضعٍ منه يَعْرِفُهُ أَمَرَ مَنْ يَصُبَّ عليه

(١) مسند أبي يعلى: ٤/٣٩: «إنّ أحبّ الطّعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي».

(٢) قوله: «من أجود معلم» كذا!

الماءَ بحيثُ وُقوعُهُ أَعْلى مِنَ النَّجاسة في الطّاهر منه، وقد قَبَضَ على قَدْرِ الموضع النَّجِس فيَغْسِلُهُ ويَتْرُكُ باقي الثّوب لا يَعْرِضُ له فيُفْسِدُهُ ويُبْلِيْهِ، وكان يَحْتَرِزُ مِنْ إِضاعة المال والقِيْلِ والقال وكَثْرَة السُّؤال. حَسَنَ الحِيْلَة على الفَسَقة وقُطّاع الصّلوات حتّى يَتُوبُوا، وعلى أَهْل الوَرَع الضّعيف حتّى يَصْلُحُوا إلى غير ذلك مِنْ حيثُ لا يُسْتَثْقَلُ ولا يُنْفَر عنه، بعيداً عَنِ التَّمَلُّق والمَخْرَقة[1] والضِّعَة لِمَتاعِ الدُّنْيا وما يَعودُ عليها وإليها.

لقد لَقِيَني رَجُلٌ مِنَ الظَّلَمَة وإيّاهُ فسَلَّمَ علينا فأَجَبْناهُ بأَجْوَدَ مِنْ سَلامِهِ مُكافَأَةً له، وتَقَدَّمَ أَسْعَدُ وكان بين يَدَيْ ولَبِثْتُ خلفَهُ مع ذلك الرَّجُلِ لخاطرٍ خطَرَ ببالي أَنْ أَدْعُوَهُ به إلى صِدْقِ مَوَدَّةٍ تحصلُ لحاجةٍ كانت إليه، فزِدْتُهُ في البَشاشة والسُّؤال عَنْ أَحْوالِهِ، ثمّ لحِقْتُ بأَسْعَدَ فقال: يا بُنَيَّ، لقد أتيتَ شيئاً، وقد ظَنَنْتَ أنّك تَطْلُبُ به رِفْعَةَ قَدْرٍ عند هذا، وزيادةَ مودّةٍ، وما أَراهُ يزيدُك إلّا بُعْداً ممّا رَجُوتُ؛ إنّ الرَّجُلَ لَيَنْكَمِشُ ويَخْذِفُ كلامَهُ[2] مع هذا ومثلِهِ فلا تزال هَيْبَتُهُ في نفسِهِ ويَراهُ عظيماً، فلا تَعُودَنَّ لِمِثْلِ هذا، وتَلَبَّثْ في مُعاشَرة النّاس. فنَفَعَني الله بكلامِهِ هذا ما شاء مِنْ دهري.

وكان يكون لنا مجلسٌ للتّعليم ليلاً عنده يُلَقِّنُنا فيه شيئاً مِنْ أُصُول التّوحيد والعَدْل، فكان يستعمل في امْتِحاننا حِيَلاً رقيقةً[3] بحُسْنِ خُلُقٍ وطِيْبِ مَنْطِقٍ وخِفَّةِ مُؤْنَةٍ[٣٢٤]، وربّما يُطَيِّبُ نُفُوسَنا مِنَ المَزْح بما يُؤْنِسُنا به، ويكون مُتَضَمِّناً لمعنى ما فيه كلامنا، فيكون لنا فيه تحريضٌ وإيْقاظ. ويكون مُقْبلاً على كلام بَعْضنا في وقت وُصُول المسألة إليه؛ لأنّا كنّا نجلس حَلْقَةً فيَبْدَأُ بمَنْ على يمينِهِ ثمّ بمَنْ عَنْ يَمِين ذلك حتّى ينتهي الكلامُ إلى مَنْ عَنْ شِماله، كعادة الزّيديّة في مجالسهم للتّعليم. فإذا بادَرَ أَحَدُنا بالجوابِ قبل وُصُول السُّؤال

---

(١) **المَخْرَقة**: إظهار الخُرْق توصّلًا إلى حيلة؛ التّاج: (خ ر ق).

(٢) **يَخْذِف** كلامَهُ: يُسقطُهُ. على أنّه لو كان الرّسم: «يحذق» أي: يقطعه؛ لجاز.

(٣) يحتمل الرّسم أن يُقرأ: «رفيقة».

إليه قال له: احْسَك[١] قليلاً. يَضْرِبُ بذلك لَهُ مثلاً بالفارس لا يَرَى وَجْهاً للحَمْلَة فيَشْغَل فرسَهُ بشيءٍ مِنَ الحَسِيك لئلّا يُتْعِبَهُ فَرْعُهُ ويَضُرَّ بالفَرَس القيام. فكان يُؤدّبنا بذلك ونحفظُهُ لكونه مثلاً عقليًّا ونادِرَةً مِنَ الكلام تُقْبِلُ عليها النَّفْسُ.

وأَخْبَرَني أحمدُ بنُ أبي العريض عندنا بشَظَب قال: كان عندنا عُرُسٌ لبَعْضِ النّاس فأَمَرَ أَهْلُ العُرُس مِنْ طعامِ وَلِيْمَتهم بشيءٍ إلى أَسْعَدَ بنِ عبد الفاضل ونَفَرٍ كانوا معه بمسجدٍ خارج القرية، كان يَخْتارُ الوُقُوفَ فيه لبُعْدِهِ مِنْ أذى النّاس، فلم يَأْكُلْ منه شيئاً. فقَلْنا له في ذلك فاعتذرَ بشيءٍ لم نَقْبَلْهُ، وقُلْنا: هذه وَلِيْمَةٌ، وقد قال رسول الله، صلّى الله عليه: «**أَوْلِمْ ولو بشاةٍ**»[٢]. فقال: وإذا تركتُهُ هل تخافون عليَّ شيئاً؟ قُلْنا: لا. قال: فقد رأيتُ أَنْ أَتْرُكَهُ. ثمّ قال لي في خلال ذلك: إنّ ظاهر هذه الوَلِيْمة أنّها عُمِلَتْ للسُّمْعة لا لله سبحانه.

فكان رَحِمَهُ الله لا يُرِيدُ إلّا اللهَ ولا يتصرّفُ إلّا فيما كان له. وكان يقولُ إذا أَرَدْتَ أَنْ تُطْعِمَ رَجُلاً شيئاً أو تَنْفَعَهُ بشيءٍ فقَدِّمِ النِّيَّةَ لله سبحانه[٣]، ولا تَنْوِ شيئاً مِنْ ذلك للعِوَض فتضيع في الدُّنْيا والآخرة، ولا تَأْكُلْ طعاماً ولا تنتفع بشيءٍ، ممّا يغلِب على ظَنِّكَ ويظهر لك منه أنّه يريد ذلك لعِوَضٍ أو مُكافأةٍ، ما أَمْكَنَك. في نحوٍ مِنْ هذا الكلام الّذي هذا معناهُ.

وكان يظهر لي منه أَنَّه عَرَفَ مثلَ هذا مِنْ عادة مشائخ الزّيديّة، رحمهم الله، وأنّ هذا كان ينفع ذلك، وذلك يُطْعِم هذا لله، فإنْ قَدَرَ أَحَدُهم يوماً على مُكافَأَةِ[٣٢٥] أخيه فَعَلَ، وإلّا كان ثوابُ المبتدئ بالإِحْسان غيرَ ضائعٍ، والعِوَضُ عَنِ الْمُحْسِنِ إليه ساقطاً، فكانا سالَمَين مُثابَين.

---

(١) **احْسِك**: من قولهم: حَسِكت الدّابة: أكلتِ الحَسيكة، وهو من باب فرِح يفرَح في الغضب، ولعلّ هذا مثله.

(٢) صحيح البخاريّ:٣/٥٣.

(٣) كُتب بخطٍّ شبه مغاير بالهامش أمام قوله: «سبحانه» ما نصّه: «في ذلك لله».

صبرةُ السَّنْحانيُّ

هو صبرةُ بنُ عليٍّ.

نَسَبُهُ في البقراء، والأَبْقور مِنْ خَولان، وهما قبيلتان يُقالُ: إنّ أَصْلَهما من الأَزْد[١] مِنْ ثُمالة، والله أعلم.

ويُعْرَفُ بالسَّنْحانيّ، وأَحْسِبُ النِّسْبَةَ في ذلك أنّه كان اسْماً وُضِعَ عليه لَقَباً أو غَلَطاً في نسبِهِ حتّى لَزِمَهُ ذلك. وهو مِنْ أَصْحاب عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ ومقدام العُبْشيّ[٢]. **وكانت تحتَهُ** ابنةُ مقدام.

وكان واعظاً بَلِيغاً مُذَكِّراً بالله تعالى داعياً إليه، كثيرَ البَرَكة في ذلك، قد تاب على يَدَيْهِ وبسبَبِهِ مِنْ خَلْق الله مَنْ أَسْعَدَهُ الله به.

وكان جَوّالاً في البلاد وأَكْثَرُ استقرارِهِ كان بما يلي مَسْور وبلد حِمْيَر والبَوْن وما يُقارب هذه الدِّيار، ثمّ استقرَّ بهجْرَة قاعَة، ومات بمَعِين هِجْرَة مَحْجَر جَنْبٍ.

وكنتُ أَعْرِفُهُ رَحِمَهُ اللهُ يَقولُ في مَواعِظِهِ: قال مَلِكٌ ممّن يُقِرُّ بالله تعالى لصديقٍ له حكيمٍ: إنّي أخاف الله، وأُحِبُّ لَذّاتِ الدُّنْيا وشَهواتِها، فدُلَّني على أَمْرٍ يكون لي فيه رُخْصَةٌ وسَلامةٌ مِنَ الله سبحانه. فقال: نعم، تجتهد في أَنْ تكون مَعْصِيَتُك لله تعالى في موضعٍ لا يَعْلَمُ بك فيه. قال: لا أَجِدُهُ. قال: فحيثُ لا يَقْدِرُ عليك. قال: وهذا كذاك. قال: فتجتهدُ في أَلّا يكون لله عليك نعمةٌ يلزمك شُكْرَها، ويَقْبُحُ منك كُفْرَها؟ قال: لا يمكن. قال: فلا أَعْلَم لك رُخْصَةً في غير هذه الأَوْجُهِ الثّلاثة[٣٢٦].

---

(١) كُتب فوقه بالمخطوط: «من حمير على الصّحيح».

(٢) سلف رسمه«العشبي»، ولم أقف على ما يقطع بأيّهما الصّواب.

يونس بنُ محمّدٍ

هو يُونُس بنُ محمّد بنِ مطيرٍ الأَهْنُوميُّ.

نسبُهُ في بني عوفٍ مِنَ الأَهْنُوم، وهم إحدى قبائل حاشِد مِنْ هَمْدان.

وكان رحمه الله منذ تاب لا يَنْفَكُّ يأتي وَقَش ويَزُور الزّيديّة إلى هِجَرهم، وأَحْسِبُ سببَ توبتِهِ مِنْ قِبَلِ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ رحمه الله وأنّ اختلاف عُلَيّانَ إلى أَرْض الأَهْنُوم مِنْ أَجْلِهِ وأَجْلِ إِخْوانه بها.

وكان يُونُس رحمه الله مِنْ أَهْل الوَرَع والعِبادة وطُلّاب العِلْم والتّعليم مِنَ الزّيديّة، ونَزَلَ هو وإِخْوانُهُ ببلدِ الأَهْنُوم بموضعٍ يُعْرَفُ بسَقام اعتزلوا به مساكن العُصاة والعَوامّ، وجَعَلُوهُ دارَ هِجْرَةٍ. وكان يُقالُ إنّه مَحَمَّةٌ ليس بصحيح، فكان خُشُوع يُونُس وتَواضُعُهُ وسَمْتُهُ وعِبادتُهُ لله تعالى، وذِكْرُهُ للغاية والإِيْثار للعمل، لذلك يَضْطَرُّ التّائب الخائف لله على الصَّبْر على أَذَى ذلك المَحَلِّ ويَجْتَلِب إليه من يَجْتَويه ويَسْتَوبِلُهُ[1]، مِنَ الّذين يَرَون حَرَّ النّار أَخْوَفَ مِنْ حَرِّ الحُمَّى وصَبِّ الحميم فوق الرُّؤوس أَشَدَّ مِنْ فَيْض العَرَق على البَدَن، وخوف الموت إلى يوم القيامة أَهْوَنَ مِنْ خوف الموت إلى الأَبَد في النّار الكبرى الّتي لا يموت فيها ولا يحيا. وذلك أَنَّ يُونُسَ وأَصْحابَهُ هناك، رحمهم اللهُ، كانوا حُجّةً لله قويّةً في عَصْرهم ونواحيهم لأنّ دُعاءهم إلى الله تعالى بالعَمَل كان أَكْبَرَ وأَكْثَرَ مِنْ دُعائهم بالقول، ووَعْظِهم بالنَّظَر إليهم كان أَبْلَغَ مِنَ الوَعْظ بالسَّماع منهم، فرحمةُ الله عليهم ورِضْوانُهُ وبركاتُهُ وغُفْرانُهُ.

---

(١) **يَجْتَويه**: يكرهه ولا يستمرئ طعامه وشرابه. **ويَسْتَوبِله**: لا يُوافقه في بدنه؛ تهذيب اللّغة: (ج و ي، و ب ل).

لقد قال لي رَجُلٌ مِنْ إِخْوانِنا بشَظَب وهو نُجَيم بنُ عبد الله بن أبي العريض، وكان لا يَفْتَأُ يَمُرُّ بنا وبه مِنَ الأَهْنوميّين ومَنْ بنَواحِيهم مِنْ أَصْحابِ يُونُس وابنِهِ يُوسُفَ بنِ يُونُس بَعْدَهُ رِجالٌ عليهم غَبْرَةُ الخاشعين وسِيْماءُ الصّالحين، خُضَّعٌ خُشَّعٌ كأَنّ على رُؤوسهم الطَّيْرُ تَواضُعاً وسكوناً لله، لعلّ أَحَدَهم لا يرفع طَرْفَهُ إلى السّماء إلّا لوقتِ صلاةٍ ينظر فيه=: **يا خي**، ما بالُ هؤلاء يَأْتُوننا وعليهم سَكِينةٌ ووَقارٌ وسَمْتٌ عجيبٌ مِنَ الخير وخُشُوعٍ، وغيرهم مِنْ سائر الواردين مِنْ أَهْل الدِّيْن ليس كذلك؟ فربّما أَقُولُ له: إنّ المُتَعَلِّم مِنَ المُعَلِّم والخادمَ مِنَ المُسْتَخْدِم. فيَقُولُ: صَدَقْتْ.

وكان يُونُسُ مُبْتَلًى في ناحيتِهِ تلك بمُداراةِ العَوامِّ مِنَ الشِّيْعة وغيرهم، هو وإِخْوانه[٣٢٧] ثمّ لم يَلْبَث أَنِ انْقَلَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْل تلك النّاحية كان يَرَى رَأْيَ الزّيديّة في ظاهِرِهِ إلى رَأْي الباطنيّة يُقالُ له: غمير بن سهي، فأَظْهَرَ الدُّعاء إلى ذلك الرَّأْي واتّصل بالذُّويب الوادعي، وهو يومئذٍ مَأْذُون أَهْل الباطن لأَخْذ العُهُود بالبلاد وبالسّلطان الخطّاب بنِ الحَسَن بنِ أبي الحِفاظ بالجريب، فقَويَ أَمْرُهُ واستظهر بهما، وأَرْجَفَ بنُصْرةٍ لهما له بالمال والجدال والرّجال على مَن يُخالفه، فانْخَدَع لذلك خَلْقٌ مِنَ النّاس ممّن يَدَّعي الدِّيانة ومِنَ المُجاهرين بالمَعاصي، وصاروا معه إلى الجَريب. فنَضَحَهم الخطّابُ مِنْ رِفْدِهِ بشيءٍ أَفْسَدَهم على قومِهم وأَفْسَدَ أَنْفُسَهم عليهم وأَفْسَدَ عليهم دُنْياهم وآخرتهم؛ إذْ كان ما يُصِيبون منه لا يَبْلُغُ بهم الغِنَى، وحَلاوتُهُ في أَنْفُسِهم لا تخلّيهم والزُّهْدَ والقَناعة، وخوف انْقِطاعِهِ يحملهم على الإِرْجاف به على قومهم ليَدُومَ لهم.

وقد ذَكَرْتُ في موضعٍ -أو مواضعَ- أَنّ أَحَداً لم يَبِعْ دِيْنَهُ بثَمَنٍ أَوْفَرَ ممّا باعَ به دِيْنَهُ عمرُو بنُ العاص، وأَنَّ سائر مَنْ بعدَهُ باعوا أَدْيانهم بدون ذلك. فويلٌ للظّالمين، ولا حَول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وكان يُونُسُ ؒ مع شُغْلِهِ بأَمْرِ بلادِهِ قدِ انفتح له بابُ توبةِ أَشْرافٍ عَلَويِّين مِنْ بني

سليمان بنِ عبد الله بنِ موسى بنِ عبد الله الحسنيّين بتِهامة، فكان يَزُورهم، وكان للخطّاب بتلك النّواحي شِيْعةٌ، فلم يَلْبَث أَنْ عارضَ غميرٌ يُونُسَ في أَمْرِ الأَشْراف ومواليهم بتِهامة وقومٍ مِنَ الحَكَميِّين، فازدادَ بذلك شُغْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ حتّى مات وهو مُوْغَر القَلْب شَجيّ الصَّدْر[١] بهذه الأُمور؛ فكان كما قال القائل[٢]: (من الطّويل)

يُدارِسُهُمْ آيَ الكِتابِ وقَلْبُهُ ... شَجٍ بِمُصابِ أَهْلِ عَذْراءَ مُوْغَرُ

فناهِيْك به وبإِخْوانِهِ رضي الله عنهم، عُبّاداً مجتهدين خاشعين لله مع هذا الجَهْد الشّديد والجِهاد العظيم؛ لأنّهم طَرَف إلى الحَشَويَّة والإِباضِيَّة والمُخالِفِين مِنَ الشِّيعة والباطنيّة، ومُبْتَلُون بمُداراة أَشْرافٍ يُطالِبُون النّاسَ بحَقِّ القَرابة مِنَ الرّسول، صلّى الله عليه، ولا يحتسبون ببُعْدِ المَعْصية بهم عَنِ الله فهم كما قِيْلَ[٣]: (منَ الوافر)

لَهُ حَقٌّ ولَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ ... ومَهْما قالَ فالحَسَنُ الجَمِيلُ[٣٢٨]

وقد كان الرّسولُ يَرَى حُقُوقاً عليه لغَيْرِهِ لأَهْلها وهو الرّسول. وهذه أَشْياءُ تَسْتَخِفُّ الوَقُور وتُمِلُّ الصَّبُور.

وكنتُ قد رأيتُ يُونُسَ رَحِمَهُ اللهُ في أيّام قيامِ عليِّ بنِ زيدِ بنِ المليحِ الحَسَنيِّ بدَرْب يُرْسُم مِنْ حَقْل صَعْدَة في جماعةٍ أَقْبَلُوا معه حين انصرف مِنْ غَزْوِهِ لسواد عُذَر[٤]، فأَنْكَرت ذلك مِنْ يُونُسَ، فانصرفتْ قافلاً إلى شَظَب، وأَنْشأت إليه أبياتاً منها: (من الطّويل)

نَدِمْتَ على ما مِنْهُ كانَتْ نَدامَتي ... فَقُمْتَ لِشَيْءٍ نَحْنُ عَنْهُ قُعُودُ

وأَعْجَبَكَ القَدْرُ الّذي لَيْسَ مُعْجِباً ... فَأَخْبَرْتَنا عَنْهُ ونَحْنُ شُهُودُ

---

(١) في المخطوط: «شج الصّدر» محاكاة لرسمه في البيت بعده، غير أنّه ههنا مضاف، **والشّجيّ**: الحزين المهموم.

(٢) البيت في أنساب الأشراف (٥/٢٧٠) ثالث ثلاثة أبيات لعليّ بن الغدير الغَنَويّ، وروايته فيه: «... عذراء مشعرُ».

(٣) البيت في الخزانة (٤/٢٢٣)، وهو أوّل بيتين لعائذ الكلب الزُّبيريّ.

(٤) في المخطوط: «السواد»، وكأنّ ثمّة تضبيبًا على الألف الأولى، على أنّ ظاهره يُقرأ: «غزوة السواد عذر»!

تَلَبَّثْ يَسِيراً رَيْثَما يَبْلُغُ المَدَى لِتَرْجِعَ عَنْ قُرْبٍ وأَنْتَ حَمِيدُ
تَوَسَّطْتَ بَحْراً لَسْتَ تَمْلِكُ عَبْرَهُ ولا تَسْتَطِيعُ العَوْدَ حِيْنَ تَعُودُ
فلا تَحْسَبِ الدُّنْيا مَعَ الدِّيْنِ تَنْبَنِي لَئِنْ رُمْتَ هذا إِنَّهُ لَبَعِيْدُ
وإِنَّكَ إِنْ يَسْلَمْ لَكَ الدِّيْنُ خالِصاً عَلَى ما أَرَى يَوماً لأَنْتَ سَعِيْدُ

فلمّا بَلَغَتْني الأَخْبارُ عَنِ البلادِ والأَحْوال بها ظَهَرَ لي عُذْرُهُ، وعلمتُ أَنّ الضَّرُوراتِ تُبِيْحُ المَحْظُورات.

وكانَ مِنْ تَلامِذَةِ يُونُسَ وأَصْحابِهِ أَقْوامٌ أَخْيارٌ أَبْرارٌ هادون مَهْدِيّون، يُصْلِحون في البلاد ولا يُفْسِدون، ويُرْشِدون ويَسْتَرْشِدون، فأَتَى بعضُهم ناحيةَ الصَّدْر وانحُوّ[1] مِنْ جبالِ الجَبْر في الشّرف، وكان بها رَجُلانِ أَخَوانِ مِنْ قُضاةِ الإِباضيَّة وعُلَمائهم المُتَقدِّمين ورُؤَسائهم المُعَظَّمين؛ فأَخْبَرَني محمّدُ بنُ معيد القَهْميُّ قال: كنتُ بتلك الدِّيار وهذان القاضيان هما: إبراهيمُ وأبو الهدام ابنا ...[2]، فأَتَى هذا الرَّجُلُ ناحيتَهما في وقت حاجةٍ دَعَتْهُ إلى ذلك، فنَزَلَ بإبراهيم رحمه الله فرَأَى وُضُوءَهُ وتَنْظِيْفَهُ، وطَهارَةَ بَدَنِهِ وثَوْبِهِ، وصَلاتَهُ وهَيْئتهُ[3] فيها، وسِيْماءَ مِنَ الخير ظاهرة عليه. فأَعْجَبَهُ ما رَأَى فسَأَلَهُ عَنْ مذهبِهِ فأَخْبَرَهُ، فأَمْسَكَهُ عندَهُ حتّى أَجادَ فَحْصَهُ وبَحْثَهُ، فقال له: يا أخي، إنّ طَلَبَ العِلْم فَريضَةٌ، وأنا أَسْتَثْقِلُ جَوَلان البلادِ، وأنا أُحِبُّ منك أَنْ تَأْتِيْني بشيءٍ مِنْ[٣٢٩][4] كلامِ أَعْلَمِ عالمٍ منكم حتّى أَنْظُرَ فيه وفي مذهبي هذا لطَلَبِ النَّجْوة. قال: إنّ لنا أئمّةً هم الّذي يُعْتَمَدُ على عُلُومهم، وعُلَماؤنا لا يتجاوزون ما يأتون به. قال: فمَنْ أَفْضَلُهم؟ قال: الهادي إلى الحقّ

---

(١) قوله: «وانحُوّ» كذا بدا لي رسمه في المخطوط، على أنّه قد يحتمل غير ما بدا لي، ولم يتّجه لي معناه.

(٢) بياضٌ في المخطوط قدر كلمة.

(٣) يحتمل الرّسم: «هيبته».

(٤) كُرّر في المخطوط قوله «من» مرّة في نهاية الورقة وأخرى في بداية الّتي تتلوها.

يحيى بن الحسين، عليهما السّلام. قال: فَأْتِني بشيءٍ مِنْ كُتُبِهِ. فأَتاهُ بـ(**الأحكام**) و(**المنتخب**) وكتاب (**التّوحيد**) المعروف بـ(**المسترشد**) وأَشْباهها، فنَظَرَ فيها وأَجادَ التّأَمُّلَ لها فقَبِلَ المذهب ورَفَضَ ما كان عليه مِنْ رَأْيِ الإِباضيَّة. وانْفَتَحَ البابُ بينه وبين يُونُسَ وغيرِهِ مِنَ الزّيديّة بناحيتِهِ فزارُوهُ ونَصَرُوهُ في كلِّ ما يَحتاجُ إليه مِنْ دِيْنِهِ وأَعانُوه على أَمْرِهِ وتَجَدَّدَ الحُبُّ بينه وبينهم، فكثرتْ زيارتهم له، فانكشف أَمْرُهُ لأخيه أبي الهدام، فعَظُم عليه الأَمْرُ غايةَ العِظَم، وشَقَّ أَشَدَّ المَشَقَّة، فبَعَثَ إلى قُضاةِ[1] الإِباضيّة في النّواحي وإلى عُلَمائهم وأَجِلّائهم، فاجتمعوا إليه فشكا إليهم الأَمْرَ فأَتَوا إبراهيمَ وعاتَبُوهُ في خُرُوجِهِ عَنْ رَأْيِهم، وقالوا: هَدَمْتَ رُكْنَنا، وانْتَقَصْتَ دِيْنَنا، وزَوَّرْتَ آباءنا وسَلَفَنا، وأَتَيْتَ أَمْراً عظيماً، وفَعَلْتَ وفَعَلْتَ. حتّى أكثروا. فقال: إنّ المرءَ مأخوذٌ بالنَّظَرِ في أَمْرِ دِيْنِهِ، مَنْهيٌّ عَنِ التَّقْلِيد غيرُ مَأْخُوذٍ بأَبْيه ولا غيرِهِ مِنْ أَهْلِهِ ولا بأَحَدٍ مِنَ النّاس لا يُخَلِّصُهُ إلّا ذلك، وقد صارت بيديْ كُتُبٌ مِنْ كُتُبِ أئمّة هذا المذهب، فإِنْ أَحْبَبْتم أَنْ آتيكم بها حتّى تَنْظُروا فيها فتُصَوِّبوا الصّواب، وتُخَطِّئوا الخَطَأَ، فَعَلْتُ ذلك. قالوا: لا نُحِبُّ ذلك. قال: فلستُ بتاركٍ ما اعْتَقَدْتُ مِنْ هذا المذهب. قالوا: إذن نَهْجُرُك. قال: إذن أَلْجَأُ إلى الله سبحانه. قالوا: ولا نَحْكُمُ لك ولا عليك. قال: أَحْسَنُ ما تصنعون، لأنّكم لو حكمتم لي بتَحْليل ما يَحْرُمُ في هذه الكُتُب وعلى هذا المذهب لم أَسْتَحِلَّهُ أو حكمتم عليَّ بإِسْقاطِ ما يَلْزَمُ فيها لم أُسْقِطْهُ. قالوا: ولا نَشْهَد لك. قال: لا أَدْعُوكم إلى هذا في المستقبل، ويَسْأَلُكم اللهُ عَنِ الماضي. فيَئِسَ القومُ منه وانصرفوا، واستقام على دِيْنِه حتّى مات، وكانت مدّةَ حياتِهِ بعد ذلك سنتان، رحمةُ الله عليه[٣٣٠].

---

(١) في المخطوط: «قضاة الشّرف»، وكأنّه ضرب عليها كلمة: «الشّرف».

ابنُ الصّائغ

هو أحمدُ بنُ محمّد ...[١]، يعرَفُ بابنِ الصّائغ.

وهو ممّن كان يَنْزِلُ بلدَ الأَهْنُوم، وكان هو ويُونُسُ بنُ محمّدٍ، رحمهما الله، وَحِيْدَي[٢] تلك النّواحي، وكانا يَنْزِلان معاً بالموضعِ المعروف بسَقام، ثمّ تحوَّلَ أحمدُ في آخِرِ عُمُرِهِ إلى ناحيةِ بلاد الشَّوارق مِنْ حَجُور، وأَحْسِبُهُ مات بها، رحمةُ الله عليه ورِضْوانُهُ.

وكان عابداً مجتهداً، ظاهرَ العبادة والزُّهْد، عظيمَ الاجتهاد والصَّبْر لله، يُحِبُّ الخَلْوة بذِكْر الله تعالى، ويَنْفَرِدُ عَنِ النّاس، ويَكِدُّ بَدَنَهُ في الأَعْمال الخالصة لله تعالى، يَظْهَرُ عنه حُبُّ الصَّمْت عَنِ النّاس، ويَثْقُلُ عليه كَثْرَةُ كلامِهم، مُحِبًّا للطّهارة في بَدَنِهِ ومنزلِهِ، وما يُجاوِرُهُ، وكُلُّ شيءٍ يُقارِبُهُ حتّى لعلّهُ[٣] يُحِبُّ أَلّا يُرى إلّا طاهراً.

وسمعتُ مِنْ أَهْلِ البِلاد مَنْ يَقولُ: أحمدُ في هذه الدِّيار كإبراهيمَ بنِ أبي الهَيْثَم في تلك الدِّيار. فكان هذا يَقَعُ عندي وأَقْبَلُهُ لأنّه كان مِنْ أَصْحابِهِ الّذين أَخَذُوا عنه، ولَحِقَتْهم بَرَكَتُهُ.

---

(١) بياضٌ في المخطوط قدر كلمة.

(٢) في المخطوط: «وحيدا».

(٣) يحتمل الرّسم –وإن كان غير معجمٍ– أن يُقرأ: «نعله» من باب المبالغة في الطّهارة في كلّ ما حوله حتّى نعله.

الطّائيُّ الأَصْغرُ

هو عليُّ بنُ ...(١) الضَّبِّيُّ، المعروف بالطّائيِّ.

مِنْ وَلَد الطّائيِّ الأَكْبر صاحب الهادي إلى الحقّ، عليه السّلام.

وهو مِنْ أَهْلِ صَعْدَة، وكان حَسَنَ الطّريقة، مُعْتَدِلَ السِّيرة بين فريقَي الزّيديّة، يُكْرِم هؤلاء وهؤلاء، ولا يَظْهَرُ منه في أَحَدِهما ما يَكْرَهُ.

وبَلَغَني أنّه كان ذا عِبادةٍ وإِحْسانٍ إلى المسلمين وأَهْلِ الدِّين ومَعُونةٍ لهم في الله تعالى. وكان ذا تجارةٍ واسعةٍ وغِنًى، فيما أُلْقيَ إليَّ.

وأَخْبَرَني أسعدُ بنُ أبي السُّعُود بنِ المختار، الصَّيْقَل ببلادنا قال: كنّا نسمعُ كلامَ عليِّ الطائيِّ فنَسْتَحْسِنُهُ ويَظْهَرُ لنا منه الموافقة لأَهْل رَأْينا أَكْثَرَ مِنْ أَهْل الاخِتْراع، ونرى مَنْ بِرِّهِ ما يَشْهَدُ بذلك.

وأَخْبَرَني أَسْعَدُ بنُ أبي السُّعُود أيضاً قال: رَجَعْتُ في بعض السِّنين مِنَ الحَجِّ، فلمّا صِرْتُ بصَعْدَة ذَكَرْتُ سُوءَ عِشْرَةِ امرأةٍ لي كانت، فضاقَ صَدْري بالقُفُول إليها، وكانت تُؤْذيني وتُؤْذي والديَّ، رحمهم الله، فرآني الطّائيُّ فأَنْكَرَ أَمْري[٣٣١] فقال لي: إنّ النّاسَ إذا قَرُبُوا من بلادَهم فَرِحُو، وأَراكَ حزيناً، فما الخَبَرُ؟ فأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الامْرَأَة. فقال لي: طَلِّقْها. قلتُ: لا أَجِدُ صَداقَها. قال: فامْكُثْ عندي فإِنّ لي بناحية مَجَز أَرْضاً قد أُعْطِيتُ فيها أربعين ديناراً، وسَأَبِيْعها وأُعْطِيك ثَمَنَها وتذهب فتُطَلِّقها. قال: فلمّا رأيتُ أَنّي أَلْبَثُ بعد صُدورِ الحاجِّ عَنْ صَعْدَة تَغَيَّرَ عَزْمي في الوُقُوف، وعَزَمْتُ على الرُّجُوعِ إلى أَهْلي، فدَعاني

(١) بياضٌ في المخطوط قدر كلمة.

إلى حَمْلِ دَنانيرَ صالحةٍ أُتْجِرُ فيها وأَشْري بُرًّا أكون أَبْعَثُ به إليه فيأخذُ رأسَ مالِهِ ويُعْطِيني الرِّبْح. فلم أَنْشَطْ لذلك كما ينبغي وانصرفتُ.

وأَخْبَرَني أَسْعَدُ قال: قال لي الطّائيُّ: كنتُ مع نَفَرٍ مِنَ الزّيديّة بالعراق فتَذاكرنا الاسْتِقاء بمَشاعِلِ الطُّهُور الّتي تُوضَعُ في المُتَوَضَّياتِ الّتي يُماطُ فيها النَّجاسات، أو قال: قال: فأَدْلَيْتُ مِشْعَلي في بئرٍ لأَسْتَقي به، فنَهَوني عَنْ ذلك، وقالوا: تُنَجِّسُ به موضِعَهُ، ثمّ نَغْتَرِفُ ما نَجَّسْتَ به. فقلتُ: وهل يكون ذلك وأنا أُحَرِّك به الماء، فيطلعُ الطّاهر؟ في كلامٍ نحو هذا. قال: وكانت معهم مَشاعِلُ طاهرةٌ يَسْتَقُون بها مِنَ البِئارِ، فأَخَذُوا أَحَدَها فجعلوا على قَفاهُ مِنْ أَسْفَلِهِ تِبْناً ثمّ أَدْلَوهُ في البئر وحَرَّكُوهُ في الماءِ تحريكاً كثيراً، فما خرج بماءٍ إلّا وعليه شيءٌ مِنْ ذلك التِّبْن. فقالوا: هذا قياسُ ذلك لا بُدَّ أَنْ يحمل به مِنَ النَّجَسِ شيئاً كما حَمَلْنا التِّبن بهذا[٣٣٢](١).

(١) بعده في المخطوط ستّة أسطر مخالفة الرّسم والمضمون لِسِياق الكتاب.

محمّدُ بنُ إبراهيم

هو محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ حُمَيدٍ ...[(١)].

رَجُلٌ كان عندنا بشَظَب ينزلُ قريةَ نخبَةَ.

ونسَبُهُ في بني ...[(٢)] مِنْ أَهْلِ ناعِط مِنْ مَشْرِق حاشِد مِنْ هَمْدان.

وكان في أوّل أَمْرِهِ رَجُلاً زَرّاعاً، وكان يُصلّي فيما أَخْبَرَني به مَنْ خَبِرِهِ أحمدُ بنُ أبي العريض بنخبة أيضاً، وكان يعتقد رَأْيَ الإباضيَّة مِنَ الخَوارج قال أحمدُ: فلم يكن لي هَمٌّ إلّا الكَسْرُ عليه والاحْتِجاجُ على فَساد مذهبه ذلك، حتّى رَجَعَ عنه وتاب وتعلّم في أُصُول دِيْنِهِ شيئاً، فقَوِيَتْ كَراهَتُهُ لِما كان عليه مِنْ رَأْيِ الإباضيَّة، وأَدْبَرَ عنه إِدْباراً كُلِّيًّا حتّى كان مِنْ أَشَدِّ خَلْق الله لهم مُنافرةً، وعليهم كَسْراً واحْتِجاجاً، ثمّ صَحِبَ شُيُوخَ الزّيديّة بوَقَش وغيرها والظّاهر والبَوْن والمَشْرِق، وصَحِبَ أحمدَ بنَ هَمْدان النِّهميَّ أَحَدَ شُيُوخ الزّيديّة بخَرْفان مِنْ أَرْض بَكِيل مِنْ هَمْدان. وكان ببلادنا مِنْ عِباد الله الصّالحين فرج الحبشيُّ مولى محمّدِ بنِ أَسْعَدَ الجَنْبِيِّ -وقد ذُكِرَ في بعض هذا الكتاب- وكان مِنْ آل الله، رحمةُ الله عليه، فخُصَّ به، وكانا مِنْ أَصْحاب عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ، رحمهم اللهُ جميعاً.

ثمّ إنّ محمّداً رَحِمَهُ اللهُ زَهِدَ في الدُّنْيا واشتدّ حُبُّهُ للزّيديّة وللإقامة بين أَظْهُرِهم في نواحيهم، وكان لهُ مُوَيْلٌ صالحٌ فلم يَرَ أَنْ يُؤْثِرَ عِمارتَهُ والتَّمَتُّعَ بغَلَّتِهِ وثمرتِهِ على صُحْبة أَوْلياء الله والقُدْوة بهم، فمَدَّ يَدَهُ فيه فباعَهُ أوّلاً فأوّلاً، وهو يُنْفِقُهُ على نفسه وعلى المؤمنين

---

(١) بياضٌ في المخطوط قدر كلمة.

(٢) بياضٌ في المخطوط قدر كلمة.

حتّى أَتَى على آخِرِهِ، وافْتَقَر حتّى صارَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَحِلُّ لَهُ الصّدقةُ، ويَجوزُ له أَكْلُ الأَعْشار، ولا يَرُوعُهُ ذلك، فرحمةُ الله عليه ورِضْوانُهُ. فكانت هذه منقبةً عظيمةً له عند الله تعالى والعارفين به العاملين له، ودرجةً رفيعةً وزُلْفَةً كريمةً لاسيّما في زماننا هذا وبلادنا هذه، **إلّا** أَنَّ أهلَ الدُّنْيا الطِّوالَ الآمال المُؤْثرين للتّكاثر والمُباهاة بالأَمْوال النّاسين للآخرة، الصّادِّين عَنِ الله تعالى= **جَعَلُوا** ذلك في بلادنا هذه نذيراً لأولادهم وللأَحْداث مِنْ إِخْوانهم إذا هُمْ قَصَدُوا الله تعالى وأَنابُوا إليه، ومَدُّوا أَيْدِيَهم بشيءٍ مِنَ البِرِّ لفُقَراء المؤمنين والإِنْفاق في طاعة ربِّ العالمين، وتحذيراً مِنْ مِثْلِ ما صار إليه محمّدُ بنُ إبراهيم رحمه الله[٣٣٣] مِنْ إِيْثار الدّار الآخرة، وقَطْعِه لهذه الأيّام اليسيرة بالقَناعة وانْتِظار الأَجَل وتَقْصِير الأَمَل، وتقديمه لمالِهِ إلى دار الحَيَوان الّتي بها مَقامُهُ، وإليها نَدَبَهُ رَبُّهُ النّاصحُ الشّفيقُ تعالى، وبها يُضاعَفُ له ذلك المالُ الأَضْعافَ الّتي لا تَبِيْدُ ولا تَفْنى ولا تُعَدُّ فتُحْصَى، وبحيثُ لا سَرَق ولا غَرَق ولا حَرَق ولا فَرَق.

وكان محمّدٌ رحمه الله قدِ اختلط بالزّيديّة في البلاد والبلد خُلْطَةً خاصّةً، وأَخْلَصَ حُبَّهم في الله إِخْلاصاً بَيِّناً، فكان خبيراً بهم حافظاً لأَخْبارهم، حافظاً لكثيرٍ مِنْ أَنْسابهم وأَسْبابهم، فكان عِلْمُهُ بهم وبما هم عليه في ذلك الزّمان فِقْهاً تامًّا وعِلْماً كاملاً نافعاً في عَمَل الآخرة، لأنّ النَّظَر إليهم والذِّكْر لهم كان يحيي روايةَ المسائل الّتي يَتَذاكرونها والقُدْوة بزُهْدهم واجتهادهم في العَمَل لله سبحانه، وطَهارتهم أَبْداناً ودُوراً وإِخْواناً وبُلْداناً، وحَمِيّتهم على الجِيْران والحريم، وفَرْط الغَيْرة والحِجبَة وإِيْثارهم لإِخْوانهم بما هم إليه مُقْتاتون مِنَ الأَقْوات على أَنْفُسِهم إلى مكارم أَخْلاقٍ لا أُحْصِيْها.

ومَنْ كانتْ هذه حالُهُ لا يَفْتَقِرُ مَنْ يَعْرِفُهُ ويَصْحَبُهُ، ولا ناسيَ لشيءٍ مِنَ الدُّنْيا ولا يكون إلّا مُتَجَهِّزاً إلى الآخرة، سائراً إليها مرحلةً مرحلةً، لا يلتفتُ إلى ما خَلْفَهُ، فكان محمّدٌ رحمه الله معهم، رحمهم الله، مِنْ أَمْرِهِ في راحةٍ، والفَسَقَةُ ممّن يعرفه ببلادنا مِنْ خَوفِ ما

أَكْرَمَهُ الله به في مشقّةٍ.

وقد أَدْرَكْتُ أنا بقيّةً ممّن أَدْرَكَ هو لا أَذْكُرُهُم إلى الآن إلّا اشتدّت حَسْرتي لفِراقهم، وعَظُم أَسَفي، وقَلَّ عَزائي، والله المستعان. ولولا ذِكْرُهم وما بَقيَ عندهم مِنْ أَخْبارهم لَما نَشَطْتُ لجَمْعِ هذا الكتاب. إلّا أنّي جعلتُ النَّظْرَ فيه عُدّةً لشَيْخوختي ووَقْت النِّسْيان، ورَفْض الإِخْوان، وفَقْد الأَقْران، وكالبكاء عليهم والنُّدْبَة لهم، فرحمهم الله رحمةً واسعةً، وغَفَرَ لهم مغفرةً جامعةً.

لقد كان الرَّجُلُ المسلمُ يَجُولُ في هذه المَخاليف لا يَعْدَمُ في قريةٍ منها رَجُلاً يَأْنَسُ إليه لله ولتِقْواهُ، مِنَ الظّاهر وأَرْض وادِعَة كلِّها وظُلَيْمة والأَهْنُوم وأَرْض خَولان وبَكيل والصَّيَد ومشرق بلاد هَمْدان وخَولان العالية والخَشَب والرَّحبَة والبَوْنين وبلاد حِمْيَر وبني شِهاب وصَنْعاء وأَعْمالها وأَرْض[٣٣٤] الأَبْناء وعَنْس وبَكِيل أَلْهان ومُقْرَى ونحو هذه البلاد. مِنْ نحو مَنْ ذَكَرْنا في هذا الكتاب مِنْ صالحي الأَشْراف مِنْ آلِ الرّسولِ، صلّى الله عليه، ثمّ مِنْ: عليِّ بنِ حَرْبٍ، وعَليان بن إبراهيم، وسليمانَ بنِ إبراهيمَ بنِ أبي عبد الله، والقاسمِ بنِ سعيدٍ، والرَّبَعيِّ، وأحمدَ بنِ هَمْدان، وآلِ أبي الشّجاع، وآلِ فُلْفُلٍ ومقدام العُبْشيّ، وأحمد بن عليّ، ومنصورٍ الأَعْرجِ، وابن تُبَّعٍ، إلى بَشَرٍ كثيرٍ ممّن قربنا ويَدْنو مِنْ بلادنا مِنْ مَشارقها، ومَنْ يَقْرُبُ مِنّا مِنَ الهَنوميّين ومَنْ يَلِيْهم، وكان السّرويُّ ويعقوبُ بنُ هَمْدانَ الشّاوِريُّ والصَّلُوليُّ ورجالٌ آخرين ممّن بناحية بني شاوِر وبني أَعْشب ومَسْور، منهم مَنْ قد ذُكِرَ في هذا الكتاب ومنهم مَنْ لم نَذْكُر. فهذا ممّا يَقْرُبُ مِنْ بلادنا دون مَنْ بالهِجَر النّائية قليلاً، فالّذي يَنْظُرُ إلى هذه البلاد اليومَ يَسْتَوحِشُ منها ومِنْ أَهْلِها لولا ما آنَسَ اللهُ به النّاحيةَ مِنْ هِجْرة قاعَة حَرَسَها الله بحِياطَتِهِ. ويَعْلَمُ أنّ المؤمن بهذه البلاد غريبٌ وحيدٌ فريدٌ مَكْروبٌ مرحومٌ لاسيّما والحوادثُ تتزيّدُ، والجُرْأَةُ على الله تَتَجَدَّدُ، والنِّفاقُ يحيى والإِخْلاص يَموتُ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وكان محمّدُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ الله قد أَصابَهُ في آخر أيّامه ابتداءُ جُذامٍ، فكنتُ أَلْقاهُ فأُعَزِّيْهِ عَنْ ذلك وأُجِلِّدُهُ وأُسَكِّنُ قَلْبَهُ بالموعظة، وربّما أَقولُ له: يجبُ أَنْ تَحْمَدَ اللهَ على البلاء وتَصْبِرَ، فإنّ اللهَ عَزّ وجلّ يَقُولُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[البقرة:١٥٥]، ونحو هذا مِنَ الكلام. فيَقولُ: وَيْحَكَ لو كنتُ مِنْ أَهْلِ البَلاءِ لم أَحْزَن، وإنّما أَحْزَنُ خوفاً أَنْ يكون هذا نِقْمَةً ببعض ذُنُوبي.

وكنتُ أَسْمَعُ غيرَهُ مِنْ أَهْلِ الوَلاية يَقولُ وقد مَرِضَ زماناً طويلاً: لو كان ما أَصابني مِنَ المَرَضِ شيئاً مِنَ الله تعالى ابْتَدَأَني به إمّا بَلاءً وإمّا جَزاءً ببعضِ ذُنُوبي لكان ذلك حَسَناً لِما أَرْجُو مِنْ ثوابِ الصَّبْرِ على البَلاءِ أو إِسْقاط بعضِ الجزاء، ولكنّه شيءٌ اجْتَلَبْتُه إلى نفسي وتعرّضتُ له، فأنا فيه المَذْموم واللهُ المحمودُ؛ إذْ لم يَخْلُقْ ما أَكَلْتُ وشَرِبْتُ، وما غَيَّرَني مِنْ شمسٍ محرقةٍ أو بَرْد مُجَمِّدٍ، ليُمْرِضَني بل ليُصْلِحَ به مَنْ تَوَقَّى إِفْراطَهُ، أنا أو غيري، ونَهاني عَنِ الإِلْقاء بيديْ إلى التَّهْلُكَة في ذلك وسُواهُ، فعَصَيْتُهُ، فإنّما ينبغي لي أَسْتَغْفِرُهُ مِنْ ذَنْبي في ذلك، وأَحْمَدُهُ على ما أَرادَ به مِنَ النَّفْع لخَلْقِهِ وأنا منهم.

إِبْراهيمُ بنُ جابِرٍ[٣٣٥]

هو إبراهيمُ بنُ جابرِ بنِ(١) الحجازيّ ثمّ العَنْزيّ.

نَسبُهُ في هذه القبيلة مِنْ عَنْز الّذين يَنْزِلُون فيها بين أَرْض جَنْب وسَراة الحَجْر مِنَ الأَزْد، وقد رأيتُ نَسَبَهُ مُثْبَتاً إلى ابن عَنْز. ويَقولُ: عَنزُ بنُ وائل بن قاسِط، يَذْهبُ إلى أنّهم إِخْوَةٌ لبَكْر وتَغْلِب(٢).

وكان أَحَدَ مُتَكَلِّمي الزّيديّة وذَوي الأَجْوبة الحاضرة والمَثَل والنّادرة، وكان جَوّالاً في اليَمَن ويأتي هِجَرَ الزّيديّة الّذين يَرَى رَأْيَهم فربّما يُحْكَى منه لهم المُخاشَنَة مرّةً والمُلايَنَة مرّةً أخرى.

وكان يُحْكَى عنه لشدّة جُرْأَتِهِ على هَتْك أَسْتار مَنْ يُخالِفُهُ مِنَ الفِرَق عَجائبُ ونَوادرُ يَضَعُها بهم، وكان عالماً بالعربيّة وأَخْبار العَرَب؛ يُرْوَى عنه حُبُّ المُفاخرة للقبائل بقومِهِ والتَّعَصُّب للمَعَدِّيّة ونحو ذلك. وقد يُنْتَفَعُ بكثيرٍ مِنْ نَوادِرِهِ وأَمْثالِهِ، فلذلك أَوْرَدْنا منها هٰهنا شيئاً.

أَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ حُمَيْدٍ قال: أَتَى إبراهيمُ بنُ جابرٍ ناحيةَ مَشْرِق حاشِد، وما يُوالِيْهِ فأُخْبِرَ بحُكْمٍ مِنْ بعضِ القُضاة إمّا مِنَ الأَشْراف أو(٣) مِنْ غيرهم، وكان فاسداً، فقال: **الدّار مُظْلِمٌ والكَيّالُ أَعْمى**. يُريدُ أنّه لا يَرَى ما يَعْمَلُ لعَماهُ، ولا يَراهُ غيرُهُ فيُنْكِرُ عليه لظُلْمَة الدّار.

---

(١) بعده بَياضٌ في المخطوط قدر كلمةٍ، على أنّ مُسَلَّماً اللَّحْجيَّ عندما ترجمَ عَمَّهُ الحِجازيَّ قال: «هو أحمدُ بنُ الحِجازيِّ...، ونسبُهُ على ما وَجَدْتُ في نَسَبِ ابنِ أَخِيْهِ إبراهيمَ بنِ جابرٍ في عَنْز بنِ وائلٍ»، فرفع نَسَبَ عمِّهِ إلى الحجازيِّ دون أن يكون بينهما أَبٌ.

(٢) انظر نسبهم في جمهرة أنساب العرب: ٣٠٣، وما بعدها.

(٣) قوله: «أو» كذا، وحقّه أن يكون: «وإمّا».

وكانتِ القُضاةُ بتلك النّواحي قد حَكَمَتْ بحُكْمٍ فاسدٍ كلّما أتَى إلى واحدٍ منهم بالمسألة فيه وَجَدَ الجوابَ الفاسَدَ الأوّلَ، فصَوَّبَهُ وكَتَبَ: الجوابُ واحدٌ، وكتبَ فلانُ بنُ فلان. فأتَى بذلك الكتاب في تلك المسألة إلى يحيى بنِ عَمّار أَحَدِ شُيُوخ الاخْتِراع، وكان يَنْزِلُ نواحيَ ناعِط، فلمّا رَأَى إطْباقَهم على ذلك قال: **ما أَشْبَهَ هؤلاء القُضاةَ بالحَمِير إذا سَبَقَ أَحَدُها فبالَ في مكانٍ اتَّبَعَهُ سائرُها حتّى تَبُولَ به معاً**. فكانت هذه أيضاً نادرةً أخرى ومثلاً على القُضاةِ فاضحاً لأَهْلِ الجُرْأَةِ منهم والقَولِ بغَيْرِ عِلْمٍ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ إبراهيم بنِ حُمَيْدٍ قال: كان إبراهيمُ بنُ جابرٍ سائراً يُريدُ شِبام، فدخلها وقدِ اشتدّ جُوعُهُ، وكان إذا اشتدّ جُوعُهُ يَضْعُفُ حتّى لا يَتَمالك، ويَأْلَمُ أَلَماً عظيماً، ويَسُوءُ حالُهُ جِدًّا؛ لخَلْطٍ كان معهُ، فقَصَدَ بَعْضَ مساجدها، وكان به مُعَلِّمٌ أَحْمَقُ، فتَعَرَّضَ لحُسْنِ نَظَرِهِ له في شيءٍ يَأْكُلُهُ، فلم يَلْتَفِتْ إليه ولا اهْتَمَّ له ولِما به. فأَضْرَبَ عَنِ الكلام معهُ. ثمّ إنّه سَمِعَ غُلاماً مِنَ المتعلّمين يَقْرَأُ آخرَ عشر مِنْ سورة البَقَرَة ورآه قدِ استبشر بذلك، ورَأَى أنّه قد جمع القُرآنَ وفَرَغَ من[٣٣٦] تَعْليمِهِ، فأقبل عليه وكان بحيثُ يَسْمَعُهُ المُعَلِّم – فيما أَحْسِبُ– فقال له: يا بُنَيَّ، إنّه قد بقي عليك أَنْ تَعَلَّمَ السُّورةَ الّتي وراءَ البَقَرة، وحينئذٍ تجمع القرآن وتَفْرُغُ مِنْ جميعِهِ. قال: وأيُّ سُورةٍ هي؟ فكأنّه قال: اسألِ المُعَلِّمَ فسيخبرك. فأَحْسِبُ المُعَلِّمَ بادَرَ وقال: لا أَعْرِفُ هذه السُّورةَ. فقال: فاطلبوها في المَصاحف. فدخل المُعَلِّمَ الشَّكُّ، فأَمَرَ بجمعِ المَصاحف، وجعل يطلبها فلا يجد شيئاً. فقال: يا شيخُ، لم أَجِدْ وراء البَقَرَة سُورةً. فقال: لم تجدها في هذه المصاحف كلّها؟ قال: لا. فتَعَجَّبَ وقال: وَيْحَكَ، أَفَكُلُّها ناقصٌ؟ قال: كُلُّها ما فيه سورة وراء البَقَرَة ألبتّة. فقال: إنّا لله وإنّا إليه [راجعون][(١)]. في كلامٍ نحو هذا. قال: فتداخلَ المُعَلِّمَ أَمْرٌ عظيم ورَغِبَ في اسْتِدْراك ما فاتَهُ وتَكْمِلَةِ هذا النَّقْص العظيم عندَهُ فقال للغِلْمان: اذْهَبُوا فتَجَبَّزوا أو لِيَأْخُذْ كُلُّ واحدٍ مِنْ جَبِيْزِهِ لهذا الشّيخِ كِسْرَةً. ففعلوا. فلمّا صار الطّعامُ بين يديْ إبراهيمَ، وأَكَلَ منه حاجتَهُ،

(١) ما حُفّ بمعقوفين سقطٌ في المخطوط.

طالبُوهُ بإمْلاء هذه السُّورة ومعرفةِ اسْمِها فقال: هي سورة الحمار، إنْ كنتم لم تسمعوا بها. قالوا: فاتْلُها علينا حتّى نكتبها؟ فتَعَوَّذَ بالله مِنَ الشّيطان الرّجيم وقرأ: بسم الله الرّحمن الرّحيم. ثمّ قرأ: واتْلُ عليهم نَبَأَ الحمارِ، إذْ غَرِقَ في الطِّيْن فكَسَرَ رِجْلَهُ اليمين، وكان بِسِتِّين فرَجَعَ إلى عشرين، إنّ هذا لَهُوَ الخُسْران المبين. ثمّ غالَطَهم حتّى اسْتَغْفَلَهم وخَرَجَ. فكان مِنَ النّاس مَنْ يرى أنّه عَرَّضَ في (الحمار) بذلك المُعَلِّم. وأنّه اضْطُرَّ إلى اسْتِجلاب شيءٍ يُمْسِك به رَمَقَهُ بتلك الحِيْلَة مع سُخْرِيَتِهِ مِنَ المُعَلِّم وكَشْفِهِ عَنْ عَقْلِهِ للنّاس. ومنهم مَنْ يرى أنّه كان ذا جُرْأَةٍ وإِقْدام، وذلك أنّها قد يُرْوَى عنه لهذه أَخَواتٌ تَدُلُّ على هذا وهذا.

و«**الجَبِيْز**» بكلامِ كثيرٍ مِنْ أَهْل اليَمَن: اسمُ وَجْبَةٍ يَأْكُلُها بعضُ النّاس عند صَلاة الظَّهيرة بين الغَداء والعَشاء، فيُقالُ: تَجَبَّزَ[١]، كما يُقالُ: تَعَشّى وتَغَدّى.

فمِنْ أَخْبار إبراهيمَ بنِ جابرٍ الّتي تُوْهِمُ منه أنّ ذلك كان في حَداثَتِهِ ووَقْتِ جُرْأَةٍ منه لا في وقتِ توبةٍ وإِنابَةٍ، **ما** أَخْبَرَني به أَسْعَدُ بنُ عبد الفاضل بنِ يحيى العُبَيْديُّ رَحِمَهُ اللهُ قال: أَتَى إبراهيمُ بنُ جابرٍ بيتَ غُفران مِنْ جبل حَضُور، وكان بها[٣٣٧] رِجالٌ مِنَ الأَغْنِياء وأَهْلِ السَّعَة يَقُولُون بإمامة الحسينِ بنِ القاسم وحَياتِهِ، فقَصَدَ المَسْجِدَ، وكان به مُعَلِّمٌ لهم على مِثْلِ رَأْيِهم مع زيادةِ حُمْقٍ فيه، وذلك في وقت الزَّوالِ فسَلَّمَ عليه وقال له: أنت فُلانٌ الفُلانيُّ؟ قال: نَعَم. قال: وهذه بيت غُفْران[٢] الثّلاث القروات؟ قال: نعم. قال: وبها مِنَ المشائخ كذا، ومِنَ النّاس كذا، وبك أنت وبمَنْزِلك كذا وكذا مِنَ العَلامات؟ ممّا أَحْسِبُهُ أنا قد كان سَأَلَ عنه، لأنّه فيما ذَكَرَ لي ابنُهُ محمّدُ بنُ إبراهيم بنِ جابرٍ قد كان ينزل عُصفران مِنْ ناحية البَرَوِيَّة، وكان موضعاً قد نَزَلَ به عَمُّهُ أحمدُ الحِجازيُّ أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة المذكورين

---

(١) كرّر في المخطوط: «تجبز»، وكأنّه ضرب على الأولى، أو أنّه أراد: «تجبز بجبز». و**الجَبِيز**: الخُبْزُ الفَطير، يُقالُ: جاءَ بخُبزَته جَبيزاً، أي فَطيراً، أو هو اليابسُ القَفَار، يُقالُ: أكلت جَبُزَ الخُبْز، ككَرُم. عن ابْن الأَعْرابِيّ: جَبَزَ له من مالِه جَبْزَةً: قَطَعَ له منه قِطعةً؛ التّاج: (ج ب ز).

(٢) في المخطوط: «غفرات» آخره تاء، وقد تقدمّ بالنّون الموحّدة من أعلى.

في هذا الكتاب، بعد خُرُوجهم مِنْ سَناع، وهو قريبٌ مِنْ جَبَل حَضُور بحيثُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَقَعَ إليه فيه أَخْبار أَهْلِهِ، وكان ببيتِ شُعَيب مِنْ شرقيِّ جَبَل حَضُور قومٌ مِنْ هذه القبيلة الّتي يَنْتَسِبُ إليها مِنْ عَنْز، لا أَرَى إلّا أنّه كان ينزل بهم ويأتي كثيراً مِنْ نواحي حَضُور.

قال أَسْعَدُ: فلمّا سَمِعَ منه ذلك المُعَلِّمُ ذلك القولَ فَزِعَ له وخامَرَهُ أَمْرٌ راعَهُ، ثمّ إنّهُ قال للمُعَلِّم: فإنّي رسولُ المهديِّ لدينِ الله الحسينِ بنِ القاسم وصاحِبَيْهِ -أو أَحْسِبُهُ قال: وعيسى ابن مريم والخَضِر- وهم بشِعْب كذا مِنْ حَضُور -شِعْبٌ مُوْحِشٌ خالٍ مِنَ النّاس- وقد أَمَروني إليك بالسّلام واخْتَصَّك الإمامُ بخاصّة سِرِّهِ وأَهَمِّ حَوائِجِهِ، وهو يَأْمُرُكَ بأَنْ تَلْقى فلاناً وفلاناً مِنْ أَهْل هذه القُرَى الثَّلاث. فعَدَّ عشرةً مِنْ كِبارهم ومَنْ يجوزُ قولُهُ عليهم. قال: قال: فتَأْمُرُهم بأَنْ يَبْعَثُوا إليه بمئة دينارٍ، كُلّ رَجُلٍ منهم بعشرةِ دَنانير، ويكون نَصِيبُك أنت أَنْ تَصْنَعَ له ولصاحِبَيْهِ عَشاءً، وأنا آتيهم به ولا تُخْرِجْهُ إليَّ حتّى تغيبَ الشّمس. فأَحْسِبُ، والله أَعْلَمُ، أنّه قال له: فهَلْ أَدْعُوهُم إليك هٰهنا؟ قال: إنْ فعلتَ فإنّهم لا يَرونني. فجَعَلَ المُعَلِّمُ يُفَكِّر، فلمّا اشتغل انْسَلَّ إبراهيمُ حتّى تَوارَى في موضعٍ، وأَتَى القومُ فلم يَرَوْهُ فعَظُمَ عليهم الأَمْرُ، وبادروا حتّى جمعوا الدّنانير، فلمّا تَفَرّقوا بَرَزَ للمُعَلِّم فقَبَضَها وواعَدَهُ موضعاً مُتَنَحِّياً عَنِ البَلَد يَأْتِيْهِ فيه بالعَشاءِ وقتَ غُرُوب الشّمس. ففَعَلَ، وانْصَرَفَ إبراهيمُ بالدّنانير، وبذلك الطّعام إلى حيثُ يريد.

وأمّا ضَرْبُهُ المَثَلَ للجاهلِ بالحمار فقد سمعتُ مَنْ يحكي عنه غيرَ مرّةٍ، منهم صِهْرُهُ[٣٣٨] زوجُ ابنته محمّدُ بنُ مُعِيدٍ القَهْميُّ أنّه مَرَّ في طريقٍ برَجُلٍ يَسوقُ حماراً قد حمّلهُ شيئاً ثقيلاً، فسايَرَهُ ساعةً فسمَعَ منه ما يَدُلُّ على حُمْقٍ واعْتِقادٍ ضالٍّ في حياةِ الحسينِ بنِ القاسم وإمامَتِهِ، وما يَقْبُحُ مثلُهُ في صفات المُوَحِّدين وأَهْل الأَلْباب، فاسْتَخَفَّ به. قال: فجعل يدور بحِمارِهِ ذلك مِنْ هٰهنا وهٰهنا، ويَتَصَفَّحُهُ كأنّه يَنْظُرُ فيه إلى شيءٍ مُنْكَرٍ، ثمّ أَقْبَلَ على الرَّجُل فقال: حمارُك هذا حامل. فارتاع الرَّجُلُ، وجعل يَدورُ بحِمارِهِ ويَنْظُرُهُ مِنْ هٰهنا

وهٰهنا لعَلَّهُ يرى فيه أَمارَةَ حَمْلٍ بوَلَدٍ كما تَحْمِلُ الأُنْثىٰ وتَضَع. وإبراهيمُ قد عَمِلَ به ما يُشاعُ عَنْ ضَعْفِ عَقْلِهِ، وسَيَّرَ به نادرةً مِنَ النّوادر يحملُها النّاسُ. ومعنى أنّه «**حامل**»: أي حامل على ظهرِهِ حِمْلاً لا حَمْلاً في بطنه.

ومِنْ نَوادِرِهِ الّتي وَضَعَها على الجُهّال، وكَشَفَ بها عَوارَهم، ما أَخْبَرَني به محمّدُ بنُ غُشَيْمٍ الصّنْعانيُّ، وكان مِنْ أَهْلِ الدِّيْن والثِّقَة، قال: صَحِبْتُ إبراهيمَ بنَ جابرٍ إلى بلاد خَولان قُضاعَة فأَتَيْنا **ساقَين** في آخر نهارٍ، فلم نتمكّن مِنْ دُخُول البلد خوفاً مِنْ أَنْ تَفُوتنا الصّلاةُ، فعَدَلْنا إلى بئر يُسْنَى عليها[1]، فأَقْبَل رَجُلٌ مِنْ خَولان وإبراهيمُ يَتَوَضّأُ فشَهِقَ ثمّ قال: **تَطَهَّرُ بالمَسْناء دُو أنت إلّا مِنْ أَهْل انْيَمَن نَعَلَ الله أَهْلَ انْيَمَن**. أي ما أنت إلّا مِنْ أَهْل اليَمَن.

و«**دو**»: كلمةٌ حِمْيَرِيّة تستعمل في النَّفي، قريبةٌ مِنْ معنى (ما) و(لا) النّافية. وخَولانُ وحِمْيَرُ اليَمَن يَنْطِقُون بها إلى الآن. وكذلك خَولانُ وبعضُ حِمْيَر يجعلون لام التّعريف نوناً. و«**نَعَلَ**» بمعنى (لَعَنَ) عندهم.

قال: فأَقْبَلَ عليه إبراهيمُ وقال: أَخْبِرْني مَنْ تَعْبُدُ، يا شيخُ، اللهَ أَوِ الرّحمنَ؟ قال: فشَهِقَ ثمّ قال: أَعْبُدُ انرحمنَ، أَنِي[2] يَهُوديٌّ! قال إبراهيمُ: فأمّا أنا فأَعْبُدُ الرّحمنَ. قال: فانْصَرَفَ عنه وكأنّه قد عَذَرَهُ حيثُ قال: إنّه يَعْبُدُ الرّحمن. فأَحْسِبُهُ قال: فلمّا دَخَلْنا البلد وَجَدْنا خَبَرَنا مع الخَولانيِّ قد شاعَ، وكان هناك رَجُلٌ قد ذَكَرْناهُ في أَخْبارِ عُلَيّانَ بنِ سَعْدٍ يُقالُ له: عليُّ بنُ هلالٍ، فأَحْسِبُهُ قال: فأَقْبَلَ على الخَولانيِّ يُوَبِّخُهُ ويُعَرِّفُهُ قِلَّةَ عَقْلِهِ وعِلْمِهِ، وأنّه لم يَدْرِ ما قولُهُ (**الله**) وقوله (**الرّحمن**) وأنّهما تَسْمِيتان لمُسَمًّى واحدٍ سبحانه، وأنّه فَرَّقَ بين ما لا يَفْتَرِق، وكَشَفَ جَهْلَهُ وفَضَحَ بَلَدَهُ وأَهْلَهُ.

---

(١) **يُسْنَى** عليها: يُستقى منها بالمسناء والرّشاء.

(٢) في المخطوط: «الرحمن» ثمّ كُتب عليه ما أُثبت أعلاه، ولعلّه تصحيح له ليُوافق لهجة الرَّجُل، نحو ما تقدّم في الخبر نفسه. وقوله: «**أَنِي**» يمانية مستعملة بمعنى (أنا)، وتوجيه الكلام: أأنا يهوديٌّ؟! مستنكراً.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى[٣٣٩] بنِ عبد الله اليَحِيريُّ عَنْ عَمِّهِ الحسين بنِ عبد الله قال: كان إبراهيمُ بنُ جابرٍ مرّةً برحَبَة صَنْعاء، وهناك إسماعيلُ بنُ عبد الله المَنْكثيُّ المُلَقَّبُ بالعالم، وكان إسماعيلُ يعتقد أنّ الأَجْسامَ لا تُدْرِكُها الحَواسُّ وأَنَّ الّذي تَراهُ العُيُون منها هي صِفاتُها لا هي، فلَزِمَهُ إبراهيمُ بنُ جابرٍ، وكان يَتَوَخّى به حُضُور العَوامِّ واجتماعهم، ثمّ يَتَأَتّى لفَضِيحتِهِ بنادِرَةٍ يَتَوَخّاها، يَصيْحُ بها عليه النّاسُ ويُؤْذُونَهُ، فيَهْرُبُ مِنْ قريةٍ إلى قريةٍ، فإذا ارتحلَ مِنْ حيثُ يكون اتَّبَعَهُ إبراهيمُ إلى حيثُ يَصيرُ حتّى آذاهُ وآلَمَهُ ذلك. فعَمِلَ على المسير إلى مَطِرَة مِنْ بلاد عُذَر المَشْرق، وبَلَغَ ذلك إبراهيمَ فتقدّم إلى الموضع الّذي بَلَغَهُ أنّه يقصدُهُ، فلمّا جَلَسَ في مجلسِ الحيِّ واطْمَأَنّ قال لهم: ما تقولون فيمن يَقولُ إنّه لا يَرَى عِرامة؟ و«**عِرامة**»: جبلٌ قريب منهم. قال: فبادَرَ أَحَدُهم فقال: نرمي بَطْنَهُ بالسِّهام. قال: فالسّاعةَ يأتيكم رَجُلٌ يَقُولُ بذلك. فلمّا أَقْبَلَ إسماعيلُ قال تَرُونَهُ؟ هذا. قال: فصاحوا به أَتَرَى عِرامة يا شيخُ؟ قال: بل أَرَى لونَهُ. قال: أَلم أَقُلْ لكم. قال: فصاحُوا عليه بصوتٍ واحدٍ وأَجْلَبُوا عليه بما يُضْجِرُهُ، فهَرَبَ عنهم.

وأُخْبِرْتُ أَنّ إبراهيمَ بنَ جابرٍ كان جَلْداً يُجِيْدُ حَمْلَ السَّلاح أو العَمَل به، قويَّ القَلْب ذا عزيمةٍ ومَضاء؛ فأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى أيضاً قال: أَقْبَلَ إبراهيمُ بنُ جابرٍ مِنْ جِهَة صَعْدة وما يليها راجعاً إلى اليمن فانْتَهى إلى موضعٍ مِنْ بلاد شاكرٍ نحو العمشيّة وما يليها، فمال إلى شجرةٍ وقَعَدَ يستظلُّ تحتها فوَثَبَ به رَجُلانِ مِنْ لُصُوص دهمة بنِ شاكر، فرَماهُ أَحَدُهما بحَجَرٍ فأصاب ظَهْرَهُ، فالتفتَ وقال: ما شَأْنُك، أَلَكَ قَتْلٌ أَمْ حِرابَةٌ؟ قال: بل حِرابةٌ. قال: فأَمْسِك يَدَك، وخَلِّني أُعْطِيك ما معي. فقام فقَدَّمَ مِشْعَلَهُ أَمامَهُ ونَزَعَ ثيابَهُ ووَضَعَها قريباً منه، فلم يَشُكَّ الرَّجُلان أنّه قدِ اسْتَسْلَم، وإنّما غَرَضُهُ الأَناةُ في نَزْعِ ما عليه، وتَسْلِيم ما معه الأوّلَ فالأوّل، فاسْتَرْسَلا ولم يَخافاهُ، فلمّا رَأَى ذلك وَثَبَ على أَحَدِهما[٣٤٠] فأَخَذَ سِلاحَهُ وأَخَذَ حَجَراً فرَمَى به الآخرَ واتّبَعَهُ فأَخَذَ سِلاحَهُ ثمّ طَرَدَهما

ورَجَعَ فأَخَذَ مَتاعَهُ وانصرف حتّى أَتَى خَيْوان، فقَصَدَ مَسْجِدَها ومعهُ السِّلاحان، فأَخْفاهما تحتَ فُرُش المسجد في ناحيةٍ منه. وكان يحفظُ كتابَ الله أجمعَ، فقَعَدَ يَقْرَأُ فبَيْنا هو كذلك إِذْ أَقْبَلَ الرَّجُلان -إمّا وحدَهما أو مع نَفَرٍ مِنْ قومهما- فأَتَيا السّلاطين مِنْ آلِ الضّحّاك بخَيْوان، وشكوا إليهم الأَمْرَ، فأَتَوا إبراهيمَ فأَخْبَرُوهُ بذلك وسَأَلُوهُ رَدَّ السّلاح، فتَباطَأَ عَنِ الإجابة، وقال: الشِّيْعَةُ ضُعَفاء مساكين لا يَصِحُّ أَنْ يَحْتَرِبوا الحِرابَ، ولا يَقْدِرون على ذلك. فلم يزالوا به حتّى أجابهم إلى ما سألوا وقال: لا يَأْخُذانِ السّلاحَ حتّى يَحْلِفا بالله العظيم اليمين المُغَلَّظَة أَلّا يَعْرِضا ما بَقِيا لأَحَدٍ مِنَ الشِّيْعَة. ففَعَلا وانْصَرَفا.

وأَخْبَرَنِي الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى أَنَّ إبراهيمَ بنَ جابرٍ كان يحفظُ كتابَ الله تعالى كُلَّهُ وشيئاً مِنْ كُتُبِ الأئمّة، عليهم السّلام، ثمّ مِنْ كِبارها نحو **(التّحرير)**. قال: وكان له تأثيرٌ في الدّعاء إلى العَدْل والتّوحيد، واتَّبَعَهُ نَفَرٌ مِنْ جِلَّةِ النّاس ونُبَلائهم مِنْ أَهْل البلاد المُنْتَحِيَة عَنْ بلاد الزّيديّة نحو السّلطانِ أبي القبائل بنِ الحسن بنِ جعفر بنِ هاشمٍ القُدَميِّ، وهو صاحبُ حَقيل مِنْ أَرْض عيّان مِنْ مَغْرِب هَمْدان.

وأَخْبَرَنِي الشّيخُ عبدُ الرّحمن بنُ عبد الله الطائيُّ المعروفُ بالحَكَميِّ بعيّان، وكان أَحَدَ شعراء اليَمَن المجيدين ومُتَرَسِّلِيهم وذَوِي الأَدَب والفَصاحة= أنّه كان سببَ اعْتِقادِهِ لمذهب الزّيديّة والخُرُوج عَنْ رَأْي المُجْبِرَةِ الحَشَوِيَّة، وعنه أَخَذَ المذهب. وعبدُ الرّحمن مِنْ جِيْران السّلطان أبي القبائل وخَواصِّهِ.

وممّا أَخْبَرَنِي به الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى اليَحِيريُّ مِنْ نَوادِرِهِ العجيبة في الكلامِ والكَسْرِ على أَهْل الخِلافِ والتّنْبِيْهِ على حَماقَتِهِم، قال: دَخَلَ إبراهيمُ بنُ جابر سوقَ عيّان وأدران، فأَتَى الجامعَ وحَضَرَ صلاةَ الجُمُعَة مع العامّة، والغالبُ على تلك النّواحي الجَبْرُ والتَّشْبِيْهُ على رَأْي ابنِ حَنْبَلٍ ومَنْ وافَقَهُ، وكذلك القَولُ بالإِرْجاء ونَحْوِهِ. قال فسَمِعَهم يَمْدَحون عائشةَ زَوجَ النَّبيِّ، صلّى الله عليه، ويذكرون فضائلَها فقال: رُوي عَنِ النَّبيِّ، صلّى الله

عليه، أنّه قال: «**إِنّ الله تعالى حَرَّمَ على كُلِّ بَدَنٍ مَسَّهُ بَدَنِي النّارَ**»[١]. فقالوا: صَدَقَ الشّيخُ صَدَقَ الشّيخ. وأَعْجَبَهم ذلك منه فأَقْبَلُوا عليه فقال: رُوي عَن[٣٤١] النَّبيِّ، صلّى الله عليه، أنّه قال: «**إذا جَمَعَ اللهُ النّاسَ يوم القيامة أَخَذَهم قَبْضَةً بيَمِيْنِهِ فيُلْقِيها في الجنّة ويَقولُ: ولا أُبالي. وقَبْضَةً بشِمالِهِ فيُلْقِيْها في النّار ويَقولُ: ولا أُبالي**»[٢]. فازدادَ إِقْبالُهم عليه وأَعْجَبَهم ذلك منه، وقالوا: صَدَقَ الشّيخُ صَدَقَ الشّيخُ. فلمّا سَكَتُوا قال: فكان[٣] بَدَنُ النَّبيِّ، صلّى الله عليه، أَفْضَلَ مِنْ بَدَن رَبِّهِ؛ لأنّه لم يَمَسَّ بَدَنَهُ بَدَنٌ فدَخَلَ النّارَ، وقد مَسَّ بَدَنَ رَبِّهِ أَجْسادُ أَهْل تلك القَبْضَة الّتي أَلْقاها في النّار فلم يَنْفَعْهم ذلك. قال: فتَفَرَّقُوا عنه وقالوا: شِيْعيٌّ شِيْعيّ.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى أيضاً قال: كنتُ مرّةً بخَيْوان فأَتاهم إبراهيمُ بنُ جابرٍ وأنا بها، وكان خارج البلد ماجِلُ ماءٍ يَتَوَضَّأُ عليه المُصَلّون وأَصْفِيةٌ[٤] يُصَلّون عليها، فخَرَجْنا إليها للصّلاة فمَرَرْنا بصَفاً مكتوبٌ عليها تاريخُ قَتْلِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ عليٍّ بذي عُرارٍ مِنْ ناحية البَوْن الأَسْفل في يومٍ مِنْ شهرٍ وسنةٍ قد ذُكِرَا. وقد مَرَّ به بعضُ الحُسَينيَّةُ فغاظَهُ ذلك، فأَخَذَ حَجَراً أو حديدةً فنَقَرَ بها ذلك الكتاب حتّى غَيَّرَ منه بَعضَهُ. فلمّا رَأَى ذلك إبراهيمُ بنُ جابرٍ صاحَ بالنّاس وقال: انظروا ما صَنَعَ هذا بهذا الإمامِ دَقَّ رَأْسَهُ بالحَجَر وفَعَل وفَعَل. فكان ذلك منه كالتَّنْبِيْهِ على الوُقُوف على التّاريخ لِيَكْشِفَ عَنْ جَهالَةِ مَنْ يَدَّعي حياةَ الحسين ويَجْحَدُ قَتْلَهُ، مع تَسَتُّرٍ عَنِ العَوامِّ منهم وإِخْفاءٍ للغَرَضِ المقصود في ذلك.

---

(١) لم أقف له على أثرٍ في كتب الأحاديث، إلّا ما يُشمّ من قصّة أبي عُكاشة.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٤/٢٦٧-٢٦٨، وفيه: «إنّ الله تبارك وتعالى قبض قبضةً بيمينه، فقال: هذه لهذه ولا أبالي، وقبض قبضةً أخرى- يعني: بيده الأخرى- فقال: هذه لهذه ولا أبالي».

(٣) يحتمل الرّسم والمعنى: «كأنّ» أيضاً، وإنّما ما أثبت أقرب إلى استغفال المتكلِّم لمَن يخاطب، وكأنّ يتمّ كلاماً معقولاً.

(٤) **أَصْفية**: لعلّه ج ج صَفاة، على أنّ الجموع الّتي ذكرتها المعجمات للصّفاة (الصَّفاةُ الحَجَرُ الصَّلْدُ الضَّخْمُ الّذي لا يُنْبِتُ شيئاً) هي: "جمع الصَّفَاةِ صَفَواتٌ وصَفًا وجمعُ الجمعِ أَصْفَاءٌ وصُفيٌّ وصِفيٌّ" التّاج: (ص ف و).

وأَخْبَرَنِي الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى قال: أَتَى إبراهيمُ بنُ جابرٍ ناحيةً مِنْ أَرْضِ الصَّيَد صَيَد البِرار وهو صَيَد الماعز، وبذلك يُعْرَفُ وبغيرِهِ مِنَ الأَسْماء، وكان أَهْلُ تلك النّاحية حُسَينيّةً مِنْ أَهْلِ الإِفْراط والجَهْل، فأَرادَ المُداراةَ لهم والتَّوَقّي مِنْ شَرِّهم إلى أَنْ يُجاوِزَهم إلى حيثُ يَقْصُدُ. فقالوا له: أَتَعْرِفُ وَقَش؟ قال: نعم أَعْرِفُ بني وَقْشَة قوماً مِنْ جَنْب حُرّاباً ظَلَمَةً مِنْ حالهم وشأنهم. قالوا: لا نُريدُ أولئك ولا نَعْنِيهم إنّما نُريدُ أَهْلَ موضعٍ يُعْرَفُ بوَقَش بناحية كذا. فذكروا له هِجْرَةَ الزّيديّة بناحية البَرَوِيِّة وأَهْلها وسَبّوهم. فغالَطَهم حتّى غَفَلُوا. ثمّ قالوا له: ما تَقولُ في الحسينِ بنِ القاسمِ، عليه السّلام؟ قال: كما قال: **مَنْ قال أنا إمامٌ، فلم يعرفني، ومَنْ قال: أنا نَبيٌّ، فلم يعرفني**. فأَقْبَلُوا عليه وفرحوا به وبما سمعوا منه مِنْ ذلك وأَحْسَنُوا صُحْبَتَهُ حتّى ارْتَحَلَ عنهم.

وأَخْبَرَنا الشّريفُ أحمدُ بنُ محمّد بنِ أحمد بن عليّ بنِ إبراهيمَ بنِ المحسنِ العَلَويُّ العبّاسيُّ -وقد ذَكَرْنا الثِّقَة به في غيرِ موضعٍ- وأَخْبَرَني بذلك[٣٤٢] غيرُهُ غيرَ مَرَّةٍ قال: أَتَى إبراهيمُ بنُ جابرٍ قريةَ بني ضامٍ بمَشْرِق حاشِد، وبها الشّريفُ إبراهيمُ بنُ حمزةَ بنِ أبي هاشم الحسنيُّ، وكان جَبّاراً، وكان بها رِجالٌ مُسْلِمون يُحِبُّون الخيرَ وأَهْلَهُ، ويَتَجَمَّلُون مِنَ الضّيف وعندَهُ[١]، فقال الشّريفُ إبراهيمُ: نحنُ آل رسول الله، صلّى الله عليه، ولنا مِنَ الفَضْل كذا وكذا، ونحن في الشَّرَف كذا، وأَطالَ في هذا الباب حتّى قال: ومِنْ ذلك أنّه يُصلَّى علينا في آخر كُلِّ صَلاةٍ؛ يَقولُ المُصَلِّي: اللّهم صَلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ، وبارِكْ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ كما صَلَّيْتَ وباركت على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنّك حميدٌ مجيد. فلمّا أَكْثَرَ اغْتاظَ إبراهيمُ بنُ جابرٍ لإِكْثارِهِ، ولِما كان يعتقدُ فيه مِنْ فَسادِ الدِّيْن وحُبِّ الكِبْرياء والعَظَمَة ونحو ذلك، فأَقْبَلَ عليه وقال: هذا خاصٌّ أم عامّ؟ فإِنْ قلتُ: عامٌّ، فمِنْ آلِ إبراهيمَ اليَهُودُ والنَّصارى. قال: فغَضِبَ الشّريفُ وقال: جَعَلْتَنا مِثْلَ اليهود

---

(١) قوله: «يتجملون من الضيف وعنده» كذا، على أنّ الرّسم قد يحتمل غير قراءة.

والنَّصارى، ووَثَبَ عليه بالسَّيْف صَلْتاً، فتَلَقّاهُ إبراهيمُ بالسِّنان، وبادَرَ النّاسُ فمَنَعُوهما وحالوا بينهما وبين ذلك.

فأمّا غيرُ الشّريفِ أحمدَ فأَخْبَرَني أَنّ قصّةَ إبراهيمَ بنِ جابرٍ هذه كانت مع جعفرِ بنِ حَمْزة.

الحسينُ بنُ جندبٍ

هو الحسينُ بنُ جندبٍ الحِمْيَريُّ.

أَصْلُهُ مِنْ بني رينع[١]، نَفَرٍ يَنْزِلُون المحالئَ مِنْ أَرْض المَصانع مِنْ بلد حِمْيَر، وكان قد صار إلى سناد مِنْ ناحية مَسْوَر وبها مات.

وكان جَواداً سَخِيًّا بما ملكتْ يَمِينُهُ في الله ولله، لا يكادُ يُسْمَعُ بِراجٍ له خابَ، ولا نازلٍ به حُرِم، ولا مُسْتعينٍ به على دَهْرٍ خُذِل. وسَمِعْتُ مِنْ أَخْبارِهِ في ذلك محاسنَ كثيرةً مِنْ غيرِ واحدٍ مِنَ الزّيديّة. وكان عابِداً زاهِداً وَرِعاً عَفِيفاً كثيرَ الصِّيام والقِيام مُحْيِياً لليلِ بذِكْر الله.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ قال: كان الحسينُ بنُ جندبٍ قدِ احْتَفَر له في بيتِهِ قَبْراً، فكان يَهْبِطُهُ فيَتَذَكَّرُ به الموتَ والقَبْر، ويَعِظُ نفسَهُ ويُزِيلُ قَساوَةَ القَلْبِ به. قال: وكانت لَهُ امرأةٌ صالحةٌ قد وَفَّقَها اللهُ له كثيرةُ الصَّدَقات والبِرِّ للصّالحين. قال: وكان له أَخٌ -يُقالُ لهُ: عليُّ بنُ جندبٍ- باطِنِيُّ الرَّأْيِ مُسْتَخِفًّا بالمِلَّة رافضاً لها، وكان لا يَكادُ يَتْرُك زيارَتَهُ، وكانتِ الزّيديّة لا تُغِبُّهُ[٢]، ويَزُورُهُ منهم الأَفاضلُ وأَهْلُ العِبادة والعِلْم اعِتْرافاً لفَضْلِهِ وأداءً لحَقِّهِ. فاتَّفَقَ أَنَّ[٤٤٣] أَخاهُ هذا قَدِمَ عليه، وكان يَنْزِلُ المحالئَ مِنْ مَصانِع حِمْيَر وأَعْمال ثُلا، وكانت له دارٌ بسناد أيضاً، فصادَفَ عندَهُ مِنْ شُيُوخ الزّيديّة نَفَراً، منهم: أبو القاسمُ بنُ شُجاعٍ الحِمْيريُّ، وعَليان بن إبراهيم، وعبدُ الحميد بنُ

---

(١) قوله: «رينع» كذا، ولم أقف لهم على خبر أو أثر.

(٢) قوله: «لا **تُغِبُّهُ**» من الغِبّ، أي: لا تتأخّر عنه يومًا، بل يأتون إليه كلّ يومٍ؛ انظر التّاج: (غ ب ب).

الحسين بنِ عبد الحميد الخلطيُّ، فأتاهم إلى المسجد على أَقْبَح هيئةٍ مِنْ وَسَخ البَدَن والثِّياب وقَساوَة القَلْب، فكرهوا مُجالستَهُ ودُخُولَهُ المسجدَ لِما هو عليه مِنَ النَّجاسة وقِلَّة التَّمَسُّك بظاهرٍ مِنْ وُضُوءٍ وصَلاةٍ. فتَفَكَّرُوا فيما يَدْفعونَهُ به عَنِ المسجد ويَطْرُدُونَهُ عَنِ المُجالَسَةِ، فقال عُلَيّانُ: عندي دَفْعه، إن شاء الله. فلمّا جاء وجَلَسَ قال له عُلَيّانُ: أَخْبِرْني يا شَيْخُ يا عليُّ عَنْ قولِ الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾[المدثر]؟ قال: قُلْ. قالَ: بَلِ اقْرَأ الآيةَ، وقُلْ. قال: ففهِمَ أنّ الغَرَضَ منه في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾[المدثّر]، وأنّه أراد بذلك الإِنْكار عليه لتَرْك الصّلاة ورَفْض أَعْمال المِلَّة. قال: فانصرف، وقال: أنتم تريدون ألّا ندخلَ عليكم هذا المسجدَ، وحَرامٌ عليَّ دُخُولَهُ. ثمّ انْكَفَأَ على أَثَرِهِ راجعاً.

وأَخْبَرَني بعضُ مَنْ أَثِقُ به مِنَ الزّيديّة -ممّن قد زَلَّ عَنّي اسمُهُ- قال: أَتَى جماعةٌ مِنَ المُخْتَرِعَةِ مَسْوَرَ فنزلوا بالحسينِ بنِ جندبٍ ليلاً، وذلك في شهر رمضان، فأَتَى لهم بلَحايح قليلةٍ جدًّا، لعلّها قُوتُ أَحَدِهم أو دون ذلك، فأَكَلُوها عند الفُطُور ثمّ انْصَرف إلى منزلِهِ، وتَغافَلَ عنهم، فلمّا أَبْطَأَ عليهم تَفَرَّقَتْ ظُنُونهم به، وكان منهم مَنْ تَوَسَّم أنّه نَسيَ أو [ا]شتغل بإِعْداد قِرًى تَعَسَّرَ عليه، ثمّ لم يَلْبَثْ أَنْ أَتاهم وقد مَضَى مِنَ اللّيل جزءٌ عظيم بغيرِ شيءٍ، فقالوا: يا شيخُ، يا حسينُ ما هذه الغَفْلَة منك عنّا؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: أَنَبَيْتُ عندك بلا عَشاءٍ؟ قال: قد جِئْتُكم بقَدْرِ ما يَخْتَرِعُ اللهُ لكم فيه الشِّبْعَ، فإِنْ كان الزّاد لا يُشْبعُ وإنّما يُشْبعُ شيءٌ فيه مِنَ الأَعْراض يَخْتَرِعُهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فقد معكم أَكْثَرُ ممّا يُحْتاجُ إليه لذلك، وإِنْ كان لا يُشْبعُ إلّا الخُبْزُ أَتَيْتُكم به. ثمّ أَتاهم بعَشاءٍ صالحٍ فأَكَلُوهُ وناموا.

مسلم الحُبَيْبيُّ الخَولانيُّ

هو مسلمُ بنُ عواضٍ.

رَجُلٌ مِنْ بني حُبَيْب مِنْ خَولان العالية، ثمّ مِن آلِ العَلاء منهم ممّن يَنْزِلُ السِّرّ.

وأَخْبَرَني غيرُ واحدٍ مِنْ مَشائخ الزّيديّة بوَقَش أَنَّهُ كان مِنْ عَوامِّ أَهْل السِّرّ، وكان يُصلِّي صلاةَ سُوءٍ، فوَضَعَ طُهُورَهُ ذاتَ يومٍ بين يَدَيْهِ ليَتَوَضَّأَ للصّلاة، وقال: بسم الله وبالله، وعلى مِلّة رسولِ الله، صلّى الله عليه. ولم يَسْتَتِمَّ[٣٤٤] كلامَهُ حتّى انْتَبَهَ لِما هو عليه مِنَ المعصية وخِلافِ المِلّة فقام وقال: كذبتَ، والله، يا أبا الغَمْر. يُخاطبُ نفسَهُ.

ثمّ خرج وله بنتٌ تَرْعى غَنَماً في موضعٍ بارزةً لِمَنْ يَمُرُّ بها، فناداها فأَقْبَلَتْ بغَنَمِها إلى المنزلِ فلمّا دَنَتْ منه قال: إيّاك أَنْ تخرجي مَنْ هذه الدّارِ بعد اليوم. ثمّ جَدَّدَ التّوبة ونَهَضَ لها بعَزْمٍ قويٍّ وجِدٍّ واجْتِهاد. ثمّ صار إلى وَقَش فكان بها بنفسِهِ وولدِهِ إلى أَنْ تَفَقَّهَ في دِيْنِهِ، وكان لَحّاناً على ما عليه أَهْلُ بلادِهِ فإنّهم مِنْ أَلْحَنِ أَهْل اليَمَن، فكان يَلْقى شدّةً عظيمةً في تَعَلُّمِ القراءة وأَذْكارِ الصّلاة، لكنّه كان يُداومُ ذلك ويُواظِبُ عليه بجِدٍّ واجْتِهادٍ حتّى أَصاب.

وأَخْبَرَني الشّيخُ عبدُ الحميد بنُ الحسين بنِ عبد الحميد الشّيخُ بوَقَش في العَصْرِ وغيرُهُ: أنّه كان ذا مالٍ واسعٍ، فأَخْرَج ذلك في دِياتِ خمسةِ قَتْلى كان قد قَتَلَهم. قال عبدُ الحميد: أَخْرَجَ ذلك خمسةَ آلافِ دينارٍ، فافْتَقَرَ في آخِرِ عُمُرِهِ فَقْراً مُدْقِعاً، ولَقيَ شدّةً وفاقَةً عظيمة فصَبَرَ على ذلك صَبْرَ الكرامِ، ولَزِمَ الوَرَعَ الشّديد حتّى مات، رحمةُ الله عليه.

سلامة المُعَلِّم

هو سلامةُ بنُ حادثٍ.

أَصْلُهُ مِنْ أَهْل حَبابَة مِنْ آل حِمْيَر.

وأَخْبَرَني الشّريفُ أحمدُ بنُ محمّد بنِ أحمد بن عليّ بنِ إبراهيمَ بنِ المُحْسن العَلَويُّ رَحِمَهُ الله قال: كان لسلامة المُعَلِّم ولأَهْلِهِ بحَبابَة مالٌ ضَخْمٌ وسَعَةٌ، فتَصَدَّقُوا بذلك وأَنْفَقُوهُ في سبيل الله تعالى.

وكان رَحِمَهُ الله لا يزالُ يعملُ الطّعامَ الطَّيِّبَ ويدعو المسلمين فيأكلونَهُ وكأنّه يَلْتَذُّ بذلك. وينظرُ في مَصالحِ أَهْل الدِّيْن وقَضاء حَوائجهم ويَجْتَهِدُ في نَفْعِهم بما يمكنه.

قال: وكان مُعَلِّمَ آلِ حارثِ بنِ حسين شيخِ نِهْمٍ ببَرّان مِنْ مَشْرِق بلد هَمْدان، وعاش حتّى عَلَّمَ زُنَيْجَ بنَ حارثٍ أو غيرَهُ منهم، حتّى عَلَّمَ منهم أربعةَ قُرُون.

وكان فَقِيهاً مُفْتِياً، وكان عابداً طُولَ عُمُرِهِ، ولم يَمُتْ إلّا هَرِماً، وكان قد وَهَبَ نفسَهُ لله تعالى، فكان لا يزال صائماً.

وأَخْبَرَني الشّريفُ أحمدُ أيضاً قال: كان سلامةُ لا يَكادُ ينقطعُ عنه الاحْتِلامُ، ولا يزال يغتسلُ. فقلتُ له: لو تَزَوَّجْتِ. فقال: قد وَهَبْتُ نفسي لله تعالى، والمرأةُ تُكْسِبني المَعاصي. فقلتُ: أما تشتهي النِّساءَ؟ قال؟ بلى، ولكن أَمْرُ الدُّنْيا قريبٌ، وليس لي فيها هِمّةٌ ولا عَمَل؛ فأَعْرِضْ عن هذا.

وكان له ابنٌ يَعْمَلُ له قُوتَهُ، فلمّا مات كانت له بنتٌ فكانت تصنعُ له طعامَهُ، فلمّا لم يكن يحتاجُ النّساء إلّا[٤٤٥] لعَمَلِ الطّعامِ اكتفى بها.

قال: وكان رَحِمَهُ اللهُ شديدَ الاهتمام بمَصالِحِ المسلمين، وكان زُنَيْجُ بنُ الحارث قد أَباحَ له أَمْوالَهُ يتصرّفُ فيها بما شاء، وكان يقضي حَوائجَ المسلمين ويَحْتال لذلك. وكان لزُنَيْجٍ وَكِيلٌ على أَعْنابِهِ يحميها ويحفظها، وكان له دِيْنٌ وفيه خيرٌ، وكان مِنْ أَهْل قريةٍ بنواحي السِّرّ، يُقالُ لها: فُنْصُخ؛ فبَعَثَ إليه سلامةُ ذاتَ يومٍ لِعِنَبٍ طَيِّبٍ، كأنّه كان يُريدُهُ لبعضِ المسلمين، فتَوَقَّفَ الفُنْصُخيُّ في ذلك وأَبْطَأَ، فاسْتَنْكَر سلامةُ أَمْرَهُ -وكان شاعراً- فابْتَدَأَ يَقولُ: (منَ المتقارب)

زُنَيْجٌ لَعَمْري جَوادٌ سَخي ولكِنَّهُ وَكَّلَ الفُنْصُخي

فبَلَغَ ذلك الفُنْصُخيَّ فبادَرَ إليه بما طَلَب، واعْتَذَرَ إليه، وسأَلَهُ أَنْ يَكُفَّ فكَفَّ، ولم يَقُلْ شيئاً.

بابٌ فيه شَواذٌّ ونَوادرُ مختلفةٌ مِنْ أَخْبار الزّيديّة في العَصْر باليَمَن على غيرِ تَرْتيبٍ يَدخلُ فيها ما جاء عَنْ عُلَمائهم وعَوامِّهم ممّا يُنْتَفَعُ به في الدِّين والدُّنْيا، إنْ شاء الله

أَخْبَرَني مُكَتِّبي لكتابِ الله تعالى شَعْثَمُ بنُ عليِّ بنِ أبي الحروب، رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة مِنْ ناعِط مِنْ مَشْرِق حاشِد مِنْ أَرْض هَمْدان، قال: قال رَجُلٌ مِنْ خَواصِّ يحيى بنِ عَمّارٍ له: اطْلُبْ لي امرأةً مُوافقةً، فأَنا محتاجٌ إلى التَّزْوِيج. فقال يحيى: ظَنَنْتُكَ تَقُولُ لي: اطْلُبْ لك امرأةً مُنافقةً، فلعلّها تُوْجَد، وإذا بك تَطْلُبُ مُوافقةً؛ والمُوافقة لا تُوْجَد.

وقال لي رَجُلٌ مِنْ عَوامِّهم ممّن لا يُؤْبَهُ له: **مَنْ حَكَمَ على نفسِهِ عَزَّ بلا عشيرة.**

ومَرَّ آخَرُ بجماعةٍ يَهْزِلون ويَضْحَكون قد اشتدّ ضِحْكُهم فقال: واللهِ، لو كان بقي على الأَرْض مِنْ وَلَدِ آدَمَ، عليه السّلام، لصُلْبِهِ رَجُلٌ واحدٌ، أو بَقيَ هو، ما كان لكم هذا، فكيف وأنتم لا تَرَون على الأَرْض ممّن قَبْلَكم عَيْناً تَطْرِف؟

ولقي نُجَيمُ بنُ عبد الله بنِ أبي العريض -رَجُلٌ مِنْ أَفاضِلِ الزّيديّة عندنا بشَظَب- رَجُلاً وابناً له، وكان الغُلامُ لا يُصلِّي، فوَعَظَهُ في ذلك ودَعاهُ إلى الصّلاة، فقال أَبُوهُ: أمّا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَضَعَ امرأتُهُ حَمْلاً معها، ويَفْرُغا مِنْ عِمارةِ مسجدٍ لنا فلا يُصلّي. فأَعْرَضَ[٤٤٦] عنهما وخَلّاهما. فلمّا كان بعد أسبوعين أو نحو ذلك أصابتْ ذلك الرَّجُلَ وابْنَهُ ورَجُلاً كان معهما، في موضعٍ كانوا به، صاعقةٌ، فغُشي على القوم، فماتَ الغُلامُ، وأَفاقَ أَبُوهُ والرَّجُلُ. ولم يكن له وَلَدٌ غيرُهُ ذَكَرٌ ولا أُنْثى، فاشتدّ جَزَعُهُ عليه ونَدِمَ مِنْ مَنْعِهِ مِنَ التّوبة،

فلَقيَ نُجيماً وأَخْبَرَهُ بما عندَهُ وشكا عليه شدّةَ مُصابِهِ وعظيمَ ما نَزَلَ به، وقال: أَتَرَى أَنْ أَتَصَدَّقَ عنه بجُزْءٍ مِنْ مالي وقطعةٍ مِنْ أَرْضٍ لي، فلعلّه ينفعُهُ؟ قال نُجيمٌ: وَيْحَكَ أتكون هذه القطعةُ مِنْ أَرْضِك أَكْثَرَ مِنْ مِلْءِ الأَرْض ذَهَباً؟ قال: بل مِلْء الأَرْض ذهباً. قال فإنّ الله تعالى يَقُولُ: ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا﴾[آل عمران:٩١](١). فانصرف الرَّجُلُ ويَئِسَ، واشتدّت نَدامتُهُ وحَسْرتُهُ، ورَجَعَ على نفسه باللّائمة والتّوبيْخ.

وقال رَجُلٌ مِنَ الحُسَينيَّة لرَجُلٍ زَيْديٍّ فيما يتعلّق بالقيامة والبَعْث والنُّشُور قولاً، فقال: وهل يَصِحُّ أَنْ تكون قيامةٌ وبَعْثٌ ونُشُورٌ وثَوابٌ وعِقابٌ؟ قال: نعم. قال: هل مِنْ دليلٍ على ذلك؟ قال قَولُ الله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[الأنعام:١٢](٢). وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ الآية[التَّغابن:٧]. قال: وهذا كلام مَنْ هو؟ قال: كلامُ الله. قال: ما الدّليلُ على ذلك، وعلى أنّه مِنَ الله؟ قال: لأنّه مُعْجزٌ لا يَقْدِرُ البَشَرُ على المجيء بمِثْلِهِ. قال: يا سبحان الله، ومَنْ يَقولُ هذا؟ قال: لا اختلاف فيه ولا يدفعُهُ أَحَدٌ. قال: بل هو المَردودُ المَدفوعُ، والّذي لا إجماعَ عليه. قال: لِمَ؟ قال: لأَنَّكُم رَوَيْتُم –زَعَمْتُم– عَنِ الحسينِ بنِ القاسم أنّه قد جاء بما هو فوقه درجةً وأَعْلَى منزلةً. وقد كان يبطلُ كونُهُ معجزةً أَنْ يُؤْتَى بمثلِهِ، فكيف وقد ادّعيتم القدرةَ على المجيء بما هو أَبْهَرُ منه أو أَبْيَن، أيّ ذلك قلتم فهو إِثْباتُ فَضْلِ ما جاء به الحسينُ عليه! فلم يجد الحُسَينيُّ حِيْلَةً إلا الجَحْدَ والإنْكار لذلك القولِ وأنّه ما قالَهُ الحسينُ ولا هو مِنْ كلامه. قال: فأمّا إنْ كان الأَمْرُ على هذا، ولم يَقُلِ الحسينُ هذا، فأنت صادقٌ[٤٤٧]، وأنت سالمٌ مِنَ الهَلَكَة الّتي عليها غيرُك مِنَ القائلين بذلك. وقال له:

---

(١) في المخطوط: «لو أن لأحدهم ملء الأرض ذهباً»، وهو تصرّف في رسم الآية الكريمة، وثمّة بالكتاب نحوه.

(٢) في المخطوط: «كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة» وثمّة خَلْطٌ بين آيتين من سورة الأنعام، أولاهما قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[الأنعام: ١٢]، وثانيتهما قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ٥٤].

الحُسينيُّ: أَتَقولُ إنَّ الحسينَ بنَ القاسم حيٌّ سَويٌّ إلى الآن، وإنّه المهديُّ الّذي ينتظرُهُ النّاسُ؟ قال: لم أَرَهُ بَعْد ولا خُلْطَة لي به ولا معرفة. قال: إنّه غائبٌ. قال: كيف يَعْرفُ الشّاهدُ الغائبَ مِنَ النّاسِ بغير عِيانٍ ولا خِبْرة؟ قال: إنّه سيظهر ويَمْلأُ الأرضَ عَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْراً. قال: إذا كان هذا عرفتُهُ حينئذٍ وأَخْبَرْتُك بما أعتقد فيه؛ فأمّا الآن فلا كلامَ لي فيه. قال: فهل تقولُ إنّه أَفْضَلُ مِنْ رسولِ الله حينئذٍ أم لا؟ قال: قد قلتُ: حتّى أَراهُ، فأمّا الآن فلا قَوْلَ لي، فإنِ استعجلتَ عليَّ فصِفْهُ لي؟ قال: إنّه رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ رسولِ الله، صلّى الله عليه؛ فذَكَرَ نسبَهُ وأَباهُ وعِلْمَهُ ودِيانَتَهُ وفَضائلَهُ على ما يَعْتقد فيه. قال: فعَلَى هذا هو شريفٌ مِنْ آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه؟ قال: نعم. قال: ولآلِ رسولِ الله مِنَ الشَّرَفِ به، صلّى الله عليه، ما ليس لسائر أَشْراف العَرَب مِنْ قريش وغيرها؟ قال: نعم. قال: فكيف يَلْزَمُني أَنْ أُفَضِّلَ رَجُلاً على مَنْ لم يكن شريفاً إلّا به ومِنْ أَجْلِهِ! فانقطع.

قال: وقال لَهُ رَجُلٌ آخَرُ: إنّ كتابَ الله وكلامَ رسولِهِ، صلّى الله عليه، ليس للرّعيّة أَنْ يحتجّوا بهما لأنّهم لا يفهمونهما ولا لهم إلى فَهْمِهما والعِلْم بهما والوقوف على مُراد الله تعالى فيهما سبيلٌ إلّا مِنْ تفسير إمامِ الحقّ مِنْ آلِ رسولِ الله، صلّى الله عليه. قال: فهَلِ احتجَّ اللهُ على خَلْقِهِ إلّا بمعقولٍ ومسموعٍ؟ قال: ما احتجَّ إلّا بذلك ولا خاطبهم إلّا مِنْ جهة هذين الطّريقين. قال: فمِنْ أين نعرفُ الإمامَ، وما السّبيلُ إلى العِلْم اليقين بإمامته **إذْ** لا تُفْتَرض الفَرائض بظَنٍّ ولا شَكٍّ ولا تَخْمينٍ ولا وَهْمٍ ولا تلزم الطّاعة في الغَزْو والجِهاد وكَشْف حَريم المُحاربين وسَبْي ذَراريهم وسَفْك دِمائهم واسْتِباحة دِيارهم وفي سَفْك دماء البُغاةِ حتّى يَنْهَزِمُوا= **إلّا** بعِلْمٍ يَقينٍ يُؤْمَنُ معه مِنَ النّار؟ فتحيّر ثمّ قال: مِنْ دلالة كتاب الله. قال: وكيف، ونحن لا نفهمه ولا ندري أنّ مَنْ يُفْهِمَناهُ ويدّعي أنّ له ذلك إمامٌ يجبُ الأَخْذُ عنه حتّى نفهمَهُ، إذْ كلُّ أَحَدٍ يدّعي لنفسِهِ هذه الرُّتْبَةَ[٣٤٨] إذا سُلِّم له ذلك مِنْ مسلمٍ وذِمّيٍّ وكافرٍ حَربيٍّ؟ فانْقَطَع، واعْتَرَف بأَنْ ليس كلُّ الكتابِ والسُّنّة ممّا

يَتَعَذَّرُ السّبيلُ إلى فَهْمِهِ، بل فيهما ما يَفْهَمُهُ كلُّ أَحَدٍ على الفور، وبه يُدْخَلُ إلى ما لا يُفْهَمُ إلّا بعد النَّظَر. وبه يُعْرَفُ الأئمّةُ الّذين يُسأَلُون عن مُشْكِلِهِ الّذي يَبْعُدُ مُتَناوِلُهُ، وذلك هو المُحْكَم الّذي به تُعْرَفُ الإمامةُ ويُتَوَصَّلُ إلى معرفة المُتَشابه.

ودَخَلَ الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى بنِ عبد الله اليَحيريُّ صَنْعاءَ، فكَلَّمَهُ رَجُلٌ مِنَ المُخْتَرِعَة في حِسِّ الأَعْراض؟ فقال الفقيهُ: إنّي ذو حَواسَّ مثلُكَ فأَرِني ما ترى؟ فقال: تَراهُ هذا. وأشار له إلى جِسْمٍ بين يديه. فقال: لستُ أَرَى عَرَضاً حيثُ أَشَرْتَ. قال: فأنت أَعْمى. قال: إنّي كنت أَعْرِفُ النّاسَ يَقُولُون إنّ الأَعْمَى الّذي يرى الشّيءَ شيئين. فأَسْكَتَهُ وانصرف.

وكانت بين الفقيهِ سليمانَ بنِ يحيى وبين الأَشْرافِ مِنْ آلِ حمزةَ ببيت الجالد معرفةٌ وأُنْسٌ، فتُوفِّيَ رَجُلٌ منهم يُقالُ له: يحيى بنُ إبراهيمَ بنِ حَمْزَة، فأَتاهم مُعَزِّياً، فخرجوا ذاتَ يومٍ إلى موضعٍ فيه عِنَبٌ، فقَعَدُوا يَتَحَدّثون، فقال لهُ الشّريفُ عبدُ الله بنُ الحسين بن حَمْزَة، وهو يومئذٍ كبيرُهم وقاضي البلد: ما العَقْلُ؟ قال: شيءٌ مِنْ فِعْل القَلْب. قال: وأنت تعقلُ بقَلْبك؟ قال: نعم. قال: فوالله، ما أَعْلَمُ أَحَداً قال بهذا غيرَك إلّا أَنْ يكون رَجُلاً يُقالُ له: عبدُ الحميد بنُ الحسين بنِ عبد الحميد؛ يعني الخلطيَّ أَحَدَ شُيُوخِ الزّيديّة فقد تاب مِنْ ذلك. قال الفقيهُ إلّا أَنْ يكون اللهَ سبحانه فقد قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ الآية[الحجّ:٤٧]. فأقسمَ الشّريفُ للفقيهِ بالله إنْ أَنْتَ إلّا مشركٌ. قال: لو حَلَفْتَ على أَكْثَرَ مِنْ هذا يا شريفُ سُلِّمَ لك. ولم يَغْضَبْ. فاجْتَرَأَ الشّريفُ على الكلام، فقال الفقيهُ: احْذَرْ يا شريفُ أَنْ تكون مِنَ الّذين قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الآية [الأعراف:١٧٩]. قال الشّريفُ: فأَخْبِرْني عَنِ القرآن، هل هو في قَلْبِك؟ قال: نعم. قال: مِنْ أين دَخَلَ؟ قال: مِنْ أُذُني. قال: دخل فيها؟ قال: ليس هو عُودٌ. قال: فيا مَمْحُوقُ، فكيف

جاء مِنْ أُذُنك ولم يدخل فيها؟ قال: كما جاءها لونُك، وعِلْمي به أنّك أَسْمَرُ ولونُك السُّمْرَةُ. قال: ليس هذا مثل هذا. قال: لا فَرْق[٣٤٩] لأنّ هذا عَرَضٌ عُرِفَ مِنْ قِبَلِ العَيْنِ، وذلك عَرَضٌ عُرِفَ مِنْ قِبَلِ الأُذُن، وصار العِلْمُ بهما إلى القَلْب على قضيّةٍ واحدةٍ، فكيف ما كان عِلْمُك بهذا كان عِلْمُك بذاك. قال: فأُقْسِمُ بالله ما تَجوزُ مُؤاكَلَتُك. قال: قد أنا(١) لك ضيفٌ، فإنْ شئتَ فآكِلْني وإنْ شئتَ فلا تُؤاكِل. ثمّ إنّ سائر الأَشْراف انْكَسُروا واسْتَحوا(٢)، فأَتَوا الفقيهَ وهو معهم فاعْتَذَرُوا إليه.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريب البَصْريُّ عَنْ عبدِ الله بن عليٍّ العَنْسيِّ -وكان قد أَتَى بلادَ الدَّيْلَم- قال كان المسلمون: يأتونني بها آكُلُ مِنَ الخُبْز، فربّما يَبْقى منه ما لا آكُلُهُ حتّى يَجِفَّ، ويَتَعَذَّرَ عليَّ شَهْوتُهُ ونحو ذلك، وكنت بمسجدٍ يُصلِّي فيه الفقيهُ زيدُ بنُ عليٍّ الهُوسميُّ -أو قال: القاضي زيدُ- فدخل المُتَوضَّأَ وأنا هناك، فأقبل كَلْبٌ مِنَ الكلاب فرميتُ بحَرْفِ خُبْزَةٍ بقي عندي لم أَشْتَهِ أَكْلَهُ، فجَعَلَ يكسرُهُ بفَمِهِ ويَلُوكُهُ، فسَمِعَهُ الفقيهُ زيدٌ فقال: ما هذا؟ قلتُ: كَلْبٌ أطعمتُهُ كسرةً بقيتْ عندي. فقال: ما أقلَّ ورعَكم يا أَهْلَ اليَمَن، وَيْحَكَ، يا عبدَ الله، متى تَعَيَّنَتْ عليك فريضةُ الكِلاب وهذا خُبْزٌ يَأْتِيك المسلمون به لتَأْكُلَهُ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ قال: أتيتُ ناحيةَ الباقر فصرتُ منها إلى قرية بيت عربث(٣)، فأتيتُ وبها الشّريف داودُ بنُ الحسن بنِ إبراهيم بنِ سليمان بنِ القاسم بنِ عليٍّ الحسنيُّ الرَّسِّيُّ، وكان فاضلاً، وبها يحيى بنُ عَمّارٍ القاضي بناحية ناعِط مِنْ مَشْرِق حاشِد، وكان أَحَدَ شُيُوخ أَهْل الاخْتِراع ومِنْ أَقْواهم في ذلك بصيرةً وأَشَدِّهم له تَعَصُّباً. فلمّا رَآني سألَ عنّي، فأُخْبِرَ بي، وكنت أُريدُ القيامَ للغداء، فأَمْهَلَني حتّى رجعتُ، فلمّا قعدتُ قال لي: لا تكن قد أَفْسَدَك هؤلاءِ الطّبيعيّةُ. قلتُ: ومَنِ الطَّبيعيّةُ؟ قال أَهْلُ وَقَش

---

(١) قوله: «قد أنا ...» كذا، وإدخال (قد) يستعمل للتّأكيد لدى أهل اليمن حتّى اليوم، والمعنى نفسه: أنا لك ضيف.

(٢) في المخطوط: «واستحيوا» كذا، وهو رسمٌ تكرّر غيرَ مرّةٍ في الكتاب، نحو قوله فيما سلف: «نسيوا» و«لقيوا، لقيوه».

(٣) قوله: «عربث» كذا رسمه ومن دون ضبطٍ، ولم أقف له على ذكر.

ومَنْ قال بقَولهم. في نحوٍ مِنْ هذا الكلام. قلتُ: وما يقولون؟ قال: يقولون: إنّ الحَبّةَ مِنَ البَقْلة والبَقْلَة مِنَ الحَبّة، والبَيْضَةَ مِنَ الدَّجاجة والدَّجاجة مِنَ البَيْضَة، والإنسان مِنْ أبيه وأبوه مِنْ أبيه. ونحو هذا. قلتُ: فالكلامُ مُتَوَجِّهٌ إليك، أَخْبِرْني: أَنْتَ مِنْ عَمّارٍ أم لا؟ قال: نعم. قلتُ: فلا أَراك إلّا قد أجمعتَ معهم. وإنْ قلتَ: إنّك مِنْ غيرِ عَمّارٍ. فقُلْ على أُمِّكَ ما شئتَ. قال: فصاحَ عليه النّاسُ وضَحِكَ الشّريفُ داودُ[٣٥٠] وسَقَطَ قَدْرُهُ عند أَهْل البلد، وكان يَعْتادُ منهم شيئاً يَأْخُذُهُ مِنْ زكاتهم فانْصَرَفَ بلا شيء.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ قال: تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنَ المؤمنين امرأةً مؤمنةً فكانت خَلْفَ بابها، وهو يختلف في حَوائجها مرّةً بعد أخرى، يأتي بالحَطَب ويأتي بالماء ويأتي بالطّعام إلى غير ذلك مِنَ الحَوائج، فلَبِثَ بذلك زماناً، ثمّ إنَّهُ مَلَّهُ وأَتْعَبَهُ ذلك فكَشَفَ لها ما عندَهُ، وهَمَّ بطَلاقها. فقالت: لا تَحْزَنْ، اطْلُبْ لنا خادماً وعندي ثمنُهُ، واجعلْهُ مؤمناً وَرِعاً يخاف اللهَ ويراعي حُقُوقَنا ولا يُضَيِّع مَنافعنا. قال: فطَلَبَ جَهْدَهُ فلم يجد، فأتاها فقال: قد طال طلبي لخادمٍ على ما وَصَفْتِ فلم أَجِدْهُ. قالت: فأنا امرأةٌ خَلْفَ بابٍ وقد وجدتُهُ، ولم تجدْهُ! قال: ومَنْ هو؟ قالت: أنت. قال: فَرَقَّ لها ورَجَعَ عَنْ رَأْيِهِ في الفِراق. وقال: قال النَّبيُّ، صلّى الله عليه: «**مَنْ ظَنَّ بك خيراً فصَدِّق ظَنَّهُ**»(١).

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ مُعِيدٍ القَهْميُّ بنحوه عَنْ آخَرَ قال: سمعتُ رَجُلاً مِنْ أَهْل الدِّين يُخْبِرُ أَنَّ رَجُلاً وُلِدَتْ له ابنةٌ، وأنّها أَقامَتْ زماناً لا يَرْغَبُ في نِكاحها أَحَدٌ، وكان لهُ ابنُ أَخٍ فدَعَتْهُ امرأتُهُ إلى تَزْويج ابنتها هذه بغيرِ عِلْمٍ مِنْ عَمِّهِ، وبذلتُ له ثلاثين ديناراً يُحْضِرُها لهذه البنت ليُجَهِّزها بها. فلمّا تَزَوَّجها مَكَثَ زماناً لا يُكَلِّمُها بشيءٍ، ثمّ إنّهُ رَأَى منها شيئاً ذاتَ يومٍ فكأَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَغُضَّ منها ويُعَيِّرَها، فقال: ما كان أَقْبَلُ حالَكِ وأَجْمَلُ أَمْرَكِ لو لم يَزِدْ لي عليك أَهْلُك ثلاثين ديناراً. قال: فأَمْهَلَتْهُ حتّى نَسِيَ ثمّ قالتْ: اطْلُبْ لي خادماً عفيفاً

---

(١) لم أقف عليه في كتب الأحاديث.

وَرِعاً أَمِيْناً مَرْضِيًّا عابداً بثلاثين ديناراً. قال: فطَلَبَ ذلك زماناً فلم يجِدْهُ، فأتاها فقال: لم أَجِدْ في هذه الصِّفة الّتي وَصَفْتِ لي خادماً، وإِنَّ خادماً في هذه الصِّفة لا يوجدُ بمئة دينارٍ، فكيف بثلاثين! فقالت: فقد وَجَدْناهُ بثلاثين، وهو أنت، فهل في ذلك علينا ما نُعَيَّرُ به. فعَرَفَ الأَمْرَ فسَكَتَ.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ قال: أتيتُ عبدَ الخالق بنَ إدريس بنِ لابد الرَّيّانيّ بحَجَّةَ، فجعل يُريني حِصْنَهُ الّذي قَطَعَهُ هناك، وعِمَاراتِهِ وما يأمل فيه مِنْ ذلك، ثمّ أَنْشَأَ يحدّثني بأحاديثَ شتّى شيئاً بعد شيءٍ، حتّى كان منها خَبَرُ رَجُلٍ غريبٍ بَصْريٍّ أَتاهُ فقال: إنّي أُرِيدُ الحَجَّ إلى بيتِ الله الحرام والرُّجُوع إلى أَهْلي فأَعْطِني ما أَتَزَوَّدُ به إلى مكّة[٣٥١]. قال: فقلتُ: لا يُمْكنني ذلك في هذه السّاعة لأنّي قد وَهَبْتُ مِنْ زكاتي شيئاً، ودَفَنْتُ شيئاً فلا يَحْضُرني الآن شيءٌ. قال: فاسْتَفْتَحَ القراءةَ فتَعَوَّذَ بالله مِنَ الشّيطان الرّجيم، ثمّ قرأ: بسم الله الرّحمن الرحيم، ثمّ قرأ: وممّا رزقناهم يدفنون. قال: فقلت: كيف هذا؟ قال: لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة:٣]، وقلتَ أنتَ: يدفنون! قال: فلم يَبْقَ لي عُذْرٌ مِنْ أَنْ أُخْرِجَ لَهُ مِنْ تلك الذُّرَةِ ما يَتَحَمَّلُ به.

وأَخْبَرَني الفقيهُ سليمانُ بنُ يحيى بنِ عبد الله اليَحِيريُّ قال: كنتُ مَرّةً بالسِّرّ مِنْ مخلاف صَنْعاءَ فلَقِيَني الشّريفُ عبدُ الله بنُ الحسين بنِ حَمْزَة بنِ أبي هاشمٍ الحسنيُّ فقال لي: ما تَقولُ في قَولِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[الغاشية]، ما الإِبِلُ. فقلتُ: أَفِدْ؟ فقال: أمّا القاسمُ والهادي، عليهم السّلام، فقالا: هي هذه الجمالُ المعروفة. وأمّا جَدّي أبو هاشمٍ فقال: «**الإِبِل**»: المطرُ، لأنّ العَرَبَ تقول: وَبَلَتِ السّماءُ وَبْلاً، أي: مَطَرَتْ مَطَراً. قال: ولقد تَفَكَّرْتُ ذاتَ يومٍ، وأنا ببيت الجالد في هذا، وقد أَقْبَلَ المَطَرُ، فإذا هو أَمْثالُ الإِبِل، فعرفتُ صحّة ما قال جَدّي، فاخترتُهُ وقلتُ به.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ قال: لَقِيَني مسلمُ بنُ أيّوب –رَجُلٌ

كان ينزلُ جعرة مِنْ أَرْض بني شاوِر- وكان يعتقد حِسَّ الأَعْراض، فاحتجّ بقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان]. فقلتُ: إنّ لنا عليك في هذه الآية مثل ما لك علينا إِنْ حَكَمْتَ بظاهرها؛ فأَخْبِرْني هل معناها كُلُّهُ على ظاهرِه أم يختلف؟ قال: بل على ظاهرِهِ لا يختلف. قلتُ: فإنّه يلزمك أَنْ تكون رأيتَ المادَّ كما رأيتَ الممدود. فانقطع. وذلك أنّه يلزمُهُ إِنْ كانتِ الرُّؤيةُ في الآية رؤيةَ حِسٍّ أَنْ يكون عايَنَ رَبَّهُ تعالى بعينِهِ وهذا كُفْرٌ. وإِنْ كانت رؤيةَ عِلْمٍ فمَعْناهُ: ألم تعلم كيف مَدَّ رَبُّك الظِّلَّ؟ وهذا يُلْزِمُهُ الخُرُوج مِن مَذْهبه.

وسمعتُ رَجُلاً مِنَ الزّيديّة كان بحَضْرة الغريب حين أَخْبَرَ بهذا الخَبْر يقولُ الآيةُ دليلٌ[٣٥٢] ناصٌّ قاطعٍ في موضعِ الخِلاف، وهو قولُهُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان:٤٥]. فدَلَّ على أَنَّ الأَجْسامَ أدِلّةٌ على الأَعْراض لا أَنَّ الأَعْراض الأدلّة على الأَجْسام خِلافاً للمُخْتَرِعَة.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ قال: أَخْبَرْني منقذُ بنُ مجملٍ أَحَدُ شُيُوخ ثُلا، وكان له دِيْنٌ قال: أتى سليمانُ بنُ عامرِ بنِ سليمانَ الزَّواحيُّ ثُلا، فصَنَعَ له أبي قِرًى، ثمّ دَعاهُ فقَعَدَ على المائدة، وكان في أَسْفَلِها خُبْزُ شعيرٍ، فتناول منه لُقْمَةً، فلمّا لاكها لم يُسِغْها ورامَ أَنْ يَبْلَعَها فلم تَبْتَلِعْ له. فقال: لَعَنَ اللهُ مَنْ يَأْكُلُ هذا ويدخل معي جَهَنّم.

وأَخْبَرَني أيضاً قال: كنتُ أنا وعَليان بن إبراهيم بنِ زنجيٍّ رَحِمَهُ الله هابِطَين نُريدُ سوقَ قاعَة مِنَ البَوْن الأَعْلَى، وإذا خَلْفَنا رَجُلٌ مِنْ أَوْباش العامّة يَحْمِلُ أَعماداً للعِنَبِ يُريدُ بَيْعَها في السّوق، فابْتَدَأْنا بالكلام فقال: أمّا أنا فأُعْجِبُكما مِنْ شيءٍ. فقلنا: ما هو؟ قال أَرادَ الله مِنَ النّاس عِمارة الآخرة فأَخْرَبُوها وعَمَرُوا الدُّنيا!

وأَخْبَرَني الشّيخُ زيدُ بنُ أحمدَ بنِ عبيدِ بن الخطّاب، أَحَدُ شُيُوخ الزّيديّة بوَقَش في عَصْرنا هذا، وهو مِنْ أَهْل عَجاز مِنْ مَشْرِق حاشِد، ثمّ صار إلى وَقَش. قال: سمعتُ

الشّيخ محمّدُ بنُ إبراهيم بنِ رَفادٍ يُخْبِرُ أنّه كان بصَنْعاء رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة المتكلِّمين في حَقائق التّوحيد والعَدْل، وكان جَزّاراً -وأَحْسِبُهُ قال: كان يُقالُ له: عبادٌ- وكان له أستاذٌ يَرَى رَأْيَ المُخْتَرِعَة، فكان يُناظِرُهُ فيَقْطَعُهُ بالحُجّة في أَكْثَرِ أَوْقاتِهِ فقال له: أستاذُهُ هذا يوماً، وقد كان في خِزانةِ دُكّانِهِ أَدِيمٌ: أَخْرِجْ هذا الأَدِيمَ إلى الشّمسِ. فقال: ولِمَ يُخْرَجُ إلى الشّمس؟ فقال: ليَحْمَرَّ. قال: اتْرُكْهُ حيثُ هو فهو يَحْمَرُّ. قال: اعْمَلْ ما أَقُولُ لك. قال: إنْ كانتِ الشّمسُ تُحِيْلُهُ فَعَلْتُ، وإلّا تركتُهُ. فقال: يا هذا، اعْمَلْ ما آمُرُك ودَعِ الفُضُولَ. فلم يَزَلْ به حتّى أَوْقَعَ الحُجَّةَ في قَلْبِهِ وكَرّرها، ثمّ فَعَل.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ سلمان البَكِيليُّ قال: تَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ الزّيديّة ورَجُلٌ مِنَ المُخْتَرِعَة في الأَصْوات، فقال المُخْتَرِعُ: إنّها مِنْ فِعْلِ اللهِ لا مِنْ فِعْل[٣٥٣] المخلوقين. وقال الآخَرُ: ليست مِنْ فِعْلِ الله بل مِنْ فِعْل المُصَوِّتين مِنَ الخَلْق. فقال المُخْتَرِعُ: فإنْ كان صَوتُكَ مِنْ فِعْلِكَ فنادِ بِهِ بعضَ أَهْلِ العِراقِ لعلَّهُ يَسْمَعُك! قال الآخَرُ: أَفَتَقولُ: إنّ حَرَكاتِك مِنْ فِعْلك؟ قال: نعم. قال: فاخْطُ مِنْ هٰهنا إلى مكّة خُطْوةً واحدة. فانقطع. وظَهَرَ له أَنَّ العَبْدَ إنّما يَقْدِرُ على ما أَقْدَرَهُ اللهُ عليه دون ما لم يُقْدِرْهُ عليه.

وأَخْبَرَني محمّدُ بنُ أبي الحسن الغريبُ البَصْريُّ قال: أتيتُ صَعْدة فكنتُ بها عند الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي الفرج، المعروف بابن أبي الشّحم، فدَخَلْنا مسجدَ الهادي إلى الحقّ يحيى بنِ الحسين، عليهما السّلام، فإذا إسحاقُ بنُ أحمدَ بنِ عبد الباعث، شيخُ الاخْتِراعِ يومئذٍ في جماعةٍ يَقْرَأُ عليهم شيئاً مِنْ أَخْبارِ العَرَب وأَعاجِيْبهم، فلمّا جَلَسْنا إليهم التفتَ إليَّ فقال: ما تَقولُ في قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة]، هل هو الصّلاةُ أو غيرُ الصّلاة؟ قلتُ: بل غيرُ الصّلاة، لأنّه أَمَرَ بها والأَمْرُ بالشّيء غيرُهُ. قال: بل الأَمْرُ به هو. قلتُ: فكذلك النَّهيُ عَنِ الشّيء هو الشّيءُ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾[الإسراء:٣٢]، فنَهْيُهُ عَنِ الزِّنا هو الزِّنا، كما أَنَّ أَمْرَهُ بالصّلاة هو الصّلاة عندك.

فانقطع. وشَكَّ فيه طائفةٌ مِنَ النّاس، وكان يُصلِّي بهم فاعْتَزَلَهُ أولئك.

وأَخْبَرَني عليُّ بنُ يحيى بنِ مسلمٍ اللُّدانيُّ بوَقَش، وكان مِنْ أَهْلِ الدِّين قال: لـمّا تُوفّي الشّيخُ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ أبي رَزينٍ رَحِمَهُ اللهُ بوَقَش كان مِنْ وَرَثَتِهِ ابنتُهُ امرأةُ[١] محمّدِ بنِ إبراهيمَ الصَّبَريِّ، فأَقْبَلَ أحمدُ بنُ محمّد بنِ إبراهيمَ الصَّبَريُّ إلى وَقَش -وهي أُمُّهُ- مُطالِباً بنَصِيْبِها مِنْ تَرِكَة أَبِيْها. قال: فدخلتُ عليه وعلى رُفْقتِهِ، وكان معه له صِهْرٌ تحتَهُ أُخْتُهُ ابنةُ محمّدِ بنِ إبراهيمَ، يُقالُ لَهُ ...[٢]، وكان مِنْ[٣٠٤] كِبارِ الحُسَيْنيّة مِنْ أَهْلِ حَضُور، وإذا بين أَيْدِيْهم حَمِيْرٌ لهم، وهو يَأْمُرُ بإِكْرامِها وصِيانتها ويَقُولُ: ارْفِقُوا بالأَوْلياء. فقال له الشّيخُ الحسنُ بنُ أحمد الجَنْبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: والحَمِيرُ أَوْلياء؟ قال: نعم. قال: مِنْ أَهْلِ الجنّة؟ قال: مِنْ أَهْلِ الجنّة. قال: فأَنْتَ؟ قال: اللهُ أَعْلَم. قال: فقد تَيَقَّنْتَ أنّ الحَمِيرَ تَدْخُلُ الجنّةَ، وأَنْتَ شاكٌّ في نفسك؟ قال: نعم. فقلتُ أنا لعليِّ بن يحيى: إنّ عند الحسينِ بنِ القاسم ممّا هو مَسْطُورٌ في كُتُبِهِ: إنّ البَهائم تُبْعَثُ يوم القيامة وتَدْخُلُ الجَنَّةَ وتَنَعَّمُ. وأنّ الله تعالى لا يَفْعَلُ ذلك بها إلّا وقد جعل لها عُقُولاً تَعْرِفُ بها ذلك، وإذا جَعَلَ لها عُقُولاً لم يُجِزْ أَنْ يجعلها في الصُّوَرِ الّتي تُسْتَقْبَح وتَسُوؤُها، فيَجْعَلُها في صُوَرٍ تُسْتَحْسَنُ؛ وهذا فهو رَأْي بعضُ أَهْلِ التَّناسُخ.

تَمَّ الكتابُ وكَمَلَ والحمدُ لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً،

في يومِ الأَرْبعاء آخِرَ شَهْر ذي القِعْدة مِنْ شُهُور سنةِ سِتٍّ وستّين وخمسِ مئةٍ،

وصلّى الله على محمّدٍ رَسُولِهِ خاصّة وعلى كافّة الأَنْبياء عامّة،

وعلى آلهم الطّيّبين وسَلَّمَ وكَرَّمَ[٣٠٥][٣].

---

(١) في المخطوط: «وامرأة» بزيادة الواو، وإنّما هي ابنتُهُ نفسها امرأة محمّد بن إبراهيم الصَّبَريِّ.

(٢) بياضٌ في المخطوط قدر كلمتين، ولعلّه المشتمل على اسم الصِّهْر.

(٣) بعده بخطٍّ مُغاير: «**قُوْبِلَ على الأَصْلِ فَصَحّ**، وصلّى على رَسُولِهِ محمّدٍ النَّبيِّ وآلِهِ وسلّم ورَحِم وكَرّم».
وأُلْحقتِ المخطوطة بثلاث صفحات تَضَمَّنَت الأُولَيانِ منها قصيدةً رائيّةً لإبراهيم بن الحدوّ في رِثاء الهادي، وفيهما: «قال إبراهيمُ بنُ الحدوّ يرثي الهادي إلى الحقِّ يحيى بنِ الحسين صلى الله عليه، ويُحَرِّضُ خَوْلانَ وهَمْدانَ على عليِّ بنِ =

= الفَضْل القُرْمُطيِّ، لعنه الله: (من الطّويل)

دُمُوعٌ مَرَتْها فاسْتَهَلَّ غَزِيْرُها ... حَراراتُ ثُكْلٍ لَيْسَ يَخْبُو سَعِيرُها

هُوَ الثُّكْلُ لا ثُكْلَ البَنِيْنِ وإِنَّما ... يُعَفِّي على ثُكْلِ البَنِيْنِ شُهُورُها

وثُكْلُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مُجَدَّدٌ ... على الأَرْضِ ما هَبَّتْ عَلَيْها دَبُورُها

ألا خابَتِ الأَيّامُ ماذا تَعاقَبَتْ ... عَلَيْنا بِهِ آصالُها وبُكُورُها

بَرَتْنا، كَما تُبْرَى القِداحُ، نُدُوبُها ... وكَرَّ، لَنا بالمُصْمَئِلِّ، كُرُورُها

لَقَدْ ضُمِّنَ الهادي إلى الحَقِّ حُفْرَةً ... مُطَهَّرَةً طابَتْ وطابَ نَشُورها

فَصارَتْ بُطُونُ الأَرْضِ تَزْهُو وطالَما ... زَهَتْ بأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ظُهُورُها

وكانَتْ قُلُوبُ المُؤْمِنِينَ بِعَدْلِهِ ... مُطَهَّرَةً طُوْلَ الحَياةِ ودُورُها

فقَدْ أَصْبَحَتْ مِنْ بَعْدِهِ اليَومَ إِذْ ثَوَى ... مُطَهَّرَةً أَمْواتُها وقُبُورُها

وكانَ لأَهْلِ الأَرْضِ في الأَرْضِ رَحْمَةً ... فَلَمّا تَوَلَّى فاجَأَتْهُمْ شُرُورُها

أَتَخْلُو قُلُوبُ المُؤْمِنِينَ مِنَ الأَسَى ... وقَدْ ماتَ يَحْيَى بْنُ الحُسَيْنِ أَمِيْرُها

وأَصْبَحَتِ الدُّنْيا وأُمَّةُ أَحْمَدٍ ... مُعَطَّلَةً أَمْصارُها وثُغُورُها

أَلا أَبْلِغا خَوْلانَ في مُسْتَقَرِّها ... وهَمْدانَ ما أَهْدَى إِلَيْها مُشِيرُها

أُناشِدُكُمْ بِاللهِ في مَنْعِ دِيْنِكُمْ ... وفي حُرُمٍ غالٍ عَلَيْكُمْ مُهُورُها

وفي بَلْدَةٍ كانَتْ لَكُمْ قَبْلِ تُبَّعٍ ... بِكُمْ مُنِعَتْ آطامُها وقُصُورُها

وفي ابْنِ رَسُولِ الله بَيْنَ ظُهُورِكُمْ ... وسِيْرَةِ عَدْلٍ كانَ فِيْكُمْ يَسِيْرُها

دَعُوا عَنْكُمُ الشَّحْناءَ في ذاتِ بَيْنِكُمْ ... وكُونُوا لَهُ عَوْناً على مَنْ يُثِيْرُها

فَقَدْ طالَما ذُدْتُمْ عَنِ الدِّيْنِ بالقَنا ... وبالخَيْلِ تَعْدُو في الأَعِنَّةِ فُوْرُها

فَعُودُوا لَها للهِ دَرُّ أَبِيْكُمُ ... ودَرُّ نِساءٍ رَبَّأَتْكُمْ حُجُورُها

فَما هذِهِ الكُفّارُ إِلّا عِصابَةٌ ... مُجَمَّعَةٌ مِنْ كُلِّ فَجٍّ نَفِيْرُها

كِلابٌ تَعاوَتْ فاسْتَجاشَتْ جُمُوعُها ... على غَيْرِ دِيْنٍ وابْنُ فَضْلٍ عَقُورُها

أَمَا فِيْكُمُ يا قَوْمُ طُرًّا قَبِيْلَةٌ ... يَغارُ لِبَيْعِ المُحْصَناتِ غَيُورُها =

=

أَلَمْ يَأْتِكُمْ ما نالَ صَنْعاءَ إِذْ طَغَتْ	وكَيْفَ على الطُّغيانِ كانَ نَكِيْرُها
أَلَمْ يُخْرَبِ البُنْيانُ مِنْها فَأَصْبَحَتْ	يُعَفِّي على تِلْكَ المَحارِيْبِ مَورُها
أَلَمْ تُحْرَقِ الدُّورُ المَشِيْدَةُ عَنْوَةً	وتُهْدَمُ مِنْ بَعْدِ المَساجِدِ سُورُها
أَلَمْ تُذْبَحِ الأَطْفالُ ذَبْحاً كَأَنَّها	عَقائِرُ تَجْرِي بالدِّماءِ نُحُورُها
أَلَمْ تُنْهَبِ الأَمْوالُ نَهْباً فَأَصْبَحتْ	وأَعْداؤُها مِنْها غَنِيًّا فَقِيْرُها
أَلَمْ تُقْتَلِ الأَبْطالُ صَبْراً وذِلَّةً	ويَصْلَى بِأَصْنافِ العِقابِ أَسِيْرُها
أَلَمْ يُفْتَنُوا عَنْ دِيْنِهِمْ ونَبِيِّهِمْ	وتُحْبَطُ مِنْ بَعْدِ الشَّقاءِ أُجُورُها[٣٥٦]
أَلَمْ يُطْحَنِ الشَّيْخُ الكَبِيْرُ بِرَغْمِهِ	تُدِيْرُ الرَّحَى آرابَهُ ويُدِيْرُها
وإِنِّي لأَخْشَى مِثْلَها بَعْدَ بُرْهَةٍ	عَلَيْهِمْ وأَيّاماً يَطُولُ قَصِيرها
تَطُوفُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةٌ مُرْجَحِنَّةٌ	يُثِيرُ بَقايا القَومِ فِيْها مُثِيرُها
فَلَوْ نَصَحُوا للهِ في ابْنِ رَسُولِهِ	كَما نَصَحَتْ قُلْفَ العَبِيدِ جَمِيرُها
لَما زَالَتِ النَّعْماءُ فِيْهِمْ مُقِيْمَةً	طَوالَ اللَّيالِي ما أَقامَ ثَبِيرُها
ولكِنَّها خانَتْهُ واسْتَنْصَرَتْ بِهِمْ	عَلَيْهِ فَقَدْ ذَلَّتْ وذَلَّ نَصِيرُها
وما غَضِبَتْ صَنْعاءُ يَوماً لِرَبِّها	فَقَدْ رَضِيَتْ حَوْلَيْنِ عَنْها نُسُورُها
فَعَوْذاً مِنَ البَلْوَى الَّتي نَزَلَتْ بِهِمْ	فَإِنِّي لَكُمْ يا قَوْمُ مِنْها نَذِيْرُها
وأَنْتُمْ إذا ما الحَرْبُ شُبَّتْ لَدَى الوَغَى	وقامَتْ عَلَى رِجْلٍ وفارَتْ قُدُورُها
تَخَطَّفْتُمُ الأَقْرانَ خَطْفاً كَأَنَّها	مَحاسِيْرُ غِرْبانٍ وأَنْتُمْ صُقُورُها
وقَدْ كَرِهَتْ عَدْلَ الإمامِ قَبِيْلَةٌ	ومالَتْ بِها لَذّاتُها وخُمُورُها
وكانُوا ذَوِي مُلْكٍ وعِزٍّ ومَنْعَةٍ	فَأَمْسَى أَجِيْراً لابْنِ فَضْلٍ كَبِيرُها
وما غَيَّرَ اللهُ المُهَيْمِنُ نِعْمَةً	بِقَومٍ ولم يُبْدِ الغِيارَ كَفُورُها[٣٥٧]»

الفهارس

فهرس مطالب الكتاب

أخبار الزّيديّة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشّريفة والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والفِرَق والجماعات وغيرها

فهرس البلدان والأمكنة والمواضع والجبال والأمواه وغيرها

فهرس الشّعر

البيت	قافيته	بحره	قائله	العدد	الصفحة
يا ناظِري قُلْ لِي	لُؤْلُؤَهْ	البسيط	المـاربي	٢	٢٣٠
ولِمْ لا وهُمْ	مُرْتابِ	الطّويل	شريح بن أسعد	١٢	٣٢٩
أَلا لَيْتَ شِعْري	الرّابي	الطّويل	شريح بن أسعد	٩	٣٢٨
فَما كانَ سَبّاباً	الكَواذِبِ	الطّويل	أبو السّعود بن زيد	٤	١٣٦
رَمَتْنا صُرُوفُ	المُحارِبِ	الطّويل	شُرَيح بن أَسْعَد	٨	١٣٦
كَفَى لِلْعاقِلِ	عَجِيْبِ	الوافر	جُشَيْم	١٣	١١٣
عَلَى قَدْرِ عُظْمِ	والكَرْبُ	الطّويل	أبو السّعود بن زيد	٢	١٣٣
أَبا حَسّانَ	والصَّوابُ	الوافر	أسعد بن أبي السّعود	١	٤٤٥
أَبا قَطَنٍ	واكْتِئابا	الوافر	أبو السّعود بن زيد	٥٤	٣١٩
حَرَّمُوها بَعْدَ ما	طَبَّا	الرَّمَل	أحمد بن محمّد العثماني	٥	١٢٢
إذا ما أَخِيْ يَوْماً	النَّسَبْ	الطّويل	عامر بن عبد الله الظُّلَيميّ	٣	١٠٦
أَتَعْرِفُ خالاً	عَصَبْ	الطّويل	محمّد بن أحمد اللَّحْجيّ	٢	١٠٦
فَلَوْلا الّذي أَرْجُوْهُ	قِطَعاتِ	الطّويل	دِعْبِل	٢	٣١٥
الآنَ جُدْتُ	المَجْرُوحِ	الكامل	محمّد بنُ حُمَيد	٤	١٣٤
زُنَيْجٌ لَعَمْري	الفُنْصُخي	المتقارب	سلامة المُعَلِّم	١	٥٦٨
قَلِيْلٌ تَشَكِّيْهِ	غَدِ	الطّويل	دُرَيد بن الصِّمَّة الجُشَميّ	٢	٥٣٣
وفي صِنْوِهِ البَدْرِ	فاقِدِ	الطّويل	أبو القاسم الرَّبَعيّ	١	١٣٢
عَفا اللهُ عَنْكَ	المَحامِدِ	الطّويل	أبو القاسم بن أحمد الرَّبَعيّ	٨	١٣٥

البيت	قافيته	بحره	قائله	العدد	الصفحة
كَمُحَمَّدٍ ومُحَمَّدٍ	الرَّدي	الكامل	ينسب للماربي	١	٢٣٨
يا سَيْفَ دَوْلَةِ	ويَهُودِها	الكامل	أحمد بن محمّد العثمانيّ	١٢	١١٩
وما هِيَ إلّا جَوْعَةٌ	واحِدُ	الطّويل		١	٧٥
نَدِمْتَ على ما مِنْهُ	قُعُودُ	الطّويل	مُسَلَّمٌ اللَّحْجيّ	٦	٥٤١
أمّا الحُسَينُ فَقَدْ	تَشْهَدُ	الكامل		١	٣٧٥
ومِمّا هاجَ تَذْكاري	العِدادا	الوافر	لعلّه أبو السّعود بن زيد	١٣	٣٠٨
أَظُنُّ الكاشِحِيْنَ	وزادا	الوافر	أبو السّعود بن زيد	٥	٣٠٩
لم نَرَ يا بْنَ الغُشَيْمِ	كَبِدَهُ	المنسرح		٢	٣٨٥
مَنْ خافَ أَدْلَجَ	والسُّوَرِ	البسيط	عليّ بن أبي السّعود	١	٥٢١
اعْمَلْ بِعِلْمي	تَقْصِيري	البسيط	الخليل بن أحمد الأَزْديّ	١	١٥٦
دَعِ الذُّخْرَ	يُسْرُ	الطّويل	جُشَيْم	٩	١١٤
يُدارِسُهُمْ آيَ الكِتابِ	مُوْغَرُ	الطّويل	[عليّ بن الغدير الغَنَويّ]	١	٥٤١
وكُنْتَ لَنا أُنْساً	الشُّكْرُ	الطّويل	صالح البصير	٨	١٣٥
دُمُوعٌ مَرَتْها	سَعِيرُها	الطّويل	إبراهيم بن الحدوّ	٤٢	٥٧٩
مِنَ الزَّمِراتِ	دَرُورُ	الوافر	طَرَفَة	١	٤٥٣
هِيَ ابْنَةُ عَمِّهِمْ	الصَّغِيْرُ	الوافر	عامر بن عبد الله الظُّلَيميّ	٣	١٠٥
ثَلاثَةُ إِخْوَةٍ	فَقِيرُ	الوافر	إسماعيل بن أحمد	٣	١٠٥
قُوْمَا انْحَرَا	والدّارُ	الكامل	أحمد بن محمّد العثمانيّ	٤	١٢٣
خُذْها فَإِنْ حَلَّتْ	اسْتِغْفارُ	الكامل	أحمد بن محمّد العثماني	١	١٢٣
لَعِبَتْ بِلُبِّكَ	الخَمّارُ	الكامل	محمّدُ بنُ عَبْدون	١٨	١٢٤
ما العَيْشُ	أَخْيارُ	الكامل	أحمد بن محمّد العثمانيّ	١	١٢٣

البيت	قافيته	بحره	قائله	العدد	الصفحة
رَمَتْ حَسَناً	مُقْلِقِ	الطّويل	صالح البصير	٤	١٣٤
تجِلُّ عَنِ الدَّقِيْقِ	المُدِقِّ	الوافر	عليّ بن أحمد بن أبي رَزين	١	٢٣٩
ويا حَمَدَ الخَيْراتِ	اللِّقا	الطّويل	محمد العَلَلي	١	١٣٢
مَتى تَسْأَلُوا هَمْدانَ	أبي عَلي	الطّويل	قائل من همدان	١٣	٦٧
بَنِيَّ اصْبِرُوا لِلدَّهْرِ	النَّوازِلِ	الطّويل	حَمّاد بن أحمد الجَحْبَرِيّ	١	١٠٧
ما لي أَرَى	يُكْتَحَلُ	البسيط	جُشَيْم	٢	١١٢
الدِّيْنُ ثَوْبٌ نَفِيْسٌ	السِّفَلُ	البسيط	جُشَيْم	١	١١٢
لَهُ حَقٌّ ولَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ	الجَمِيلُ	الوافر	[عائد الكلب الزُّبيريّ]	١	٥٤١
بَلِّغْ سَلامي	بَطَلا	البسيط	أبو السّعود بن زيد	٧	٣١٢
ابْدَأْ مِنَ العِلْمِ	والمِلَلا	البسيط	أبو السّعود بن زيد	٤	٣١٥
لا تَرْكَنَنَّ إلى الدُّنْيا	والأَمَلا	البسيط	أبو السّعود بن زيد	٣	٣١٥
والحَمْدُ للهِ	الدُّوَلا	البسيط	أبو السّعود	٢	٣١٤
أَجِيْبُوا يا ذَوي	يَسْأَلْ	مج الهَزَج	إسماعيل بن إبراهيم بن محمّد الرَّبَعيّ	٢	٤٣٦
نُبِّئْتُ أَنَّكَ قَدْ	دمي	البسيط	الماربي	٢	٢٣٠
فَرَحْمَةُ اللهِ	يُظْلَمِ	السّريع	مُسَلَّمٌ اللَّحْجيّ	٣	١٧٩
رَأَيْتُ ابْنَ يُعْفِرَ	انْتِقاما	الطّويل		٢	٩٩
أَلَا أَيَّتُها	أَيّاما	مج الوافر	رجلٌ في حلم ثعلب بن أحمد	٤	١٠٦
قُدْنا مِنَ الجَبَلِ	صَلادِما	الكامل	مفرّح بن أحمد الرَّبَعيّ	٨	٣٧٦
سَأَلْتُ بَرِيْداً	نَعَمْ	الطّويل	الصّاحب بن عَبّاد	٢	١٢٥

فهرس الأراجيز

فهرس أنصاف الأبيات

الشّطر	بحره	قائله	العدد	الصفحة
أَلمّا نَبْكِ لِلدّارِ الخَلِيَّهْ	الوافر	شريح بن سعد	١	٣٢٥
نُفورَ محُمَّدٍ عَنْ والِدَيْهِ	الوافر	لعلّه أبو السّعود بن زيد	١	٣٠٨

فهرس اللُّغة والفوائد

فهرس الكتب

فهرس مصادر التّحقيق ومراجعه

المخطوطات:

مخطوط الإكليل (الجزء العاشر): لأبي محمّد الحسن بن أحمد الهَمْدانيّ (نحو ٣٤٥هـ)، نسخة مكتبة برلين الوطنيّة.

مخطوط الطّبقات الصُّغْرى (المُسْتَطاب): ليحيى بن الحسين (١٠٩٩م)، مؤسّسة الإمام زيد بن عليّ الثّقافيّة، صنعاء.

مخطوط الطّبقات الكُبْرى: لإبراهيم بن القاسم (١١٥٣هـ): مؤسّسة الإمام زيد بن عليّ الثّقافيّة، صنعاء.

مخطوط الفضائل (تاريخ بني الوزير): لأحمد بن عبد الله الوزير (٩٨٥هـ)، مؤسّسة الإمام زيد بن عليّ الثّقافيّة، صنعاء؛ عن مصوّرة معهد إحياء المخطوطات العربيّة، الّتي أصلها بمكتبة الإمبروزيانا.

الكتب:

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول: لمحمّد بن عليّ الشّوكانيّ (١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشّيخ أحمد عزو، دمشق، دار الكتاب العربيّ، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

الأعلام: لخير الدّين الزِّرِكْلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ١٩٨٠م.

الإكليل (الجزء العاشر): لأبي محمّد الحسن بن أحمد الهَمْدانيّ (نحو ٣٤٥هـ)، تحقيق العلّامة محبّ الدّين الخطيب، أغارت عليه الدّار اليمنيّة للنّشر والتّوزيع بصنعاء ١٩٨٧م، فانتهبته ونشرته عارياً من اسم المحقّق، ثم أعادت الغارة العام نفسه ونشرته نشرةً أخرى.

تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمّد مرتضى الزَّبيديّ (١٢٠٥هـ)، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، تحقيق فريقٍ منَ المحقِّقين، صدر منجَّماً في نحو أربعين عاماً (١٩٦٥-٢٠٠١م).

تيّارات معتزلة اليمن في القرن السّادس الهجريّ: للدّكتور. علي محمّد زيد، المركز الفرنسيّ للدّراسات اليمنيّة، صنعاء، د.ت.

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم: لزين الدّين عبد الرّحمن بن أحمد السَّلاميّ (٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الأندلسيّ، علي بن أحمد (٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٩٩م .

خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: لعبد القادر بن عمر البغداديّ (١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.

الدّوامغ الشّعريّة بين القحطانيّة والعدنانيّة: للدّكتور مقبل التّامّ عامر الأحمديّ، بحثٌ منشورٌ بمجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، المجلّد (٨٨)، الجزء (٤).

ديوان دريد بن الصِّمَّة: تحقيق: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

ديوان طَرَفَة بن العبد بشرح الأعلم الشَّنْتَمريّ (٤٧٦هـ): تحقيق دريّة الخطيب ولطفي الصّقّال، إدارة الثّقافة والفنون بدولة البحرين، والمؤسسة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.

السّنن الكبرى للبيهقيّ: لأحمد بن الحسين البيهقيّ (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

السّنن الكبرى للنَّسائيّ: لأحمد بن شعيب النَّسائيّ (٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

سيرة الإمام النّاصر (من أخبار الزّيديّة باليمن): لمُسَلَّم بن محمّد اللَّحْجيّ (كان حيًّا ٥٣٠هـ)، تحقيق: ويلفرد ماديلونغ، مطبعة إيثاكا، أكسفورد، ط١، ١٩٩٠م.

سيرة الأميرين الجليلين الشّريفين القاسم ومحمّد ابني جعفر ... العيانيّ: لمفرّح بن أحمد الرَّبَعيّ (٤٦٨هـ)، تحقيق: رضوان السّيّد، وعبد الغني محمود عبد الباقي، دار المنتخب العربي للدّراسات والنّشر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

شعر دعبل بن عليّ الخُزاعيّ (١٤٨-٢٤٦): صنعة الدّكتور عبد الكريم الأشتر، ط٢، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

صحيح البخاريّ (الجامع ...): لمحمّد بن إسماعيل البخاريّ الجُعْفيّ، تحقيق: محمّد زهير، دار طوق النّجاة (مصوّرة عن السّلطانيّة بإضافة)، ط١، ١٤٢٢هـ.

صفة جزيرة العرب: لأبي محمّد الحسن بن أحمد الهَمْدانيّ (نحو ٣٣٤هـ)، تحقيق: داود هنريك موللير (١٩١٢م)، مجمع العربيّة السّعيدة، صنعاء، ٢٠١٤م، وهي طبعة مصوّرة عن طبعة ليدن، ج١ ١٨٨٤م، ج٢ ١٨٩١م.

العواصم والقواصم في الذّبّ عن سنّة أبي القاسم: لابن الوزير، محمّد بن إبراهيم (٨٤٠هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.

الفهرس الوصفيّ لمخطوطات السّيرة النّبويّة ومتعلّقاتها بمكتبة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة: لقاسم السّامرّائيّ، منشورات جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ١٩٩٥م.

القاموس المحيط: لمجد الدّين الفيروز آبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التّراث في مؤسسة الرّسالة، بإشراف: محمّد نعيم العرقسُوسي، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

كتاب جمل من أنساب الأشراف: لأحمد بن يحيى البلاذريّ (٢٧٩هـ)، تحقيق د. سهيل زكار، ود. رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

كتاب المثلين: لمُسَلَّم بن محمّد اللَّحْجيّ (كان حيًّا ٥٣٠هـ)، تحقيق: د. فيصل الحداد، ليبيا، بنغازي، جامعة قاريونس، ١٩٩٨م.

لسان العرب: لمحمّد بن مكرّم بن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، لبنان، بيروت.

مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمّد الميدانيّ (٥١٨هـ)، تحقيق: محمّد محيى الدّين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

المستدرك على الصّحيحين: لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النّيسابوريّ (٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

مسند أبي داود الطَّيالسيّ: لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطَّيالسيّ (٢٠٤هـ)، تحقيق: د. محمّد بن عبد المحسن التّركيّ، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

مسند أبي يعلى: لأبي يعلى أحمد بن عليّ بن المثنّى التّميمي (٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتّراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأحمد بن محمّد بن حنبل الشَّيبانيّ (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسّسة الرّسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

معجم الأدباء: لأبي عبد الله ياقوت الحَمَويّ (٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

معجم البلدان: لأبي عبد الله ياقوت الحَمَويّ (٦٢٦هـ)، دار صادر، لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
المعجم الكبير للطَّبرانيّ: لسليمان بن أحمد الطَّبرانيّ (٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف د. سعد بن عبد الله الحميد ود.خالد بن عبد الرّحمن الجريسيّ، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
معجم مقاييس اللُّغة: أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
المعجم اليمنيّ في اللُّغة والتّراث (حول مفردات خاصّة من اللّهجات اليمنيّة): لمطهَّر بن علي الإريانيّ (١٤٣٧هـ)، مؤسّسة الميثاق للطّباعة والنّشر، الجمهوريّة اليمنيّة، صنعاء، ط٢، ٢٠١٣م.
هِجَر العلم ومعاقله في اليمن: للقاضي إسماعيل الأكوع (١٤٢٩هـ)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.
هديّة الزّمن في أخبار ملوك لَحْج وعَدَن: لأحمد فضل العَبْدَلي، المطبعة السّلفيّة، القاهرة، ١٣٥١هـ.
هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين: لإسماعيل بن محمّد البغداديّ (١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهيّة إستانبول، ج٢ ١٩٥٥م، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي بيروت.

فهرس الفهارس